

— ❦ — **الجلد الثاني من التفسيرين العجيبين** — ❦ —

— ❦ — **المسبوک علیہما سطور الذمب سبک البعین** — ❦ —

الاول المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل لشيخ مشايخ الاسلام أعلم العلماء الاعلام  
الحبر النحرير حاوي فضيلتي البيان والبنان في التقرير والتحريركاشف قناع المشكلات  
وموضع دلائل المعضلات مظهر الكنایات والاشارات منبع الی أفضل الوری  
علم الهدی ناصر مذهب أهل السنة وكاشف غمة مذهب الاعتزال عن هذه الامة  
شيخ ديار العجم والعرب وأمام أهل اللغة والادب فريددهره ووحيد عصره القاضي  
ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي المتوفى سنة  
(٦٨٥) وقيل (٦٩٢) قدس الله روحه ونور ضريحه

الثاني المسمى بلباب التأويل في معاني التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة  
والائمة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم  
البغدادي الصوفي الشافعي المعروف بالخازن فرغ من تأليفه  
سنة (٧٢٥) تقدمه الله برحمة آمين

قد حلّ هامش هذا الكتاب بالتفسيرين النيرين \* الاول المسمى بمدارك التنزيل  
وحقائق التأويل تأليف الامام الحليل العلامة أبي البركات عبد الله بن احمد بن  
محمود التسفي الحنفي المتوفى سنة (٧٠٤) عليه سحائب الرحمة والرضوان  
الثاني تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لابن طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي  
الشافعي المتوفى سنة (٨١٧)

تنبیه

يقول المتوسل الى الله احمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصارى المصحح بدار الطباعة العامرة  
اعانه الله على مشاق هذه الصنعة وضعت أنوار التنزيل فوق الصحيفة ولباب التأويل  
تحتها مفصولا بينهما بجدول وكذلك وضعت مدارك التنزيل فوق  
الهامش وتنوير المقباس تحته مفصولا بينهما بجدول

— ❦ — **الطبعة الاولى** — ❦ —

بالمطبعة العامرة

سنة ١٣١٧ هجرية



❖ فهرست الجلد الثاني من التفسيرين الجليلين الاول ❖

❖ المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل \* الثاني ❖

❖ المسمى بلباب التأويل في معاني التنزيل ❖

- ٠٠٤ عن عائشة الرحم معلقة بالعرش الحديث  
 ٠٠٠ عن انس من سره ان يبسط عليه من رزقه الحديث  
 ٠٠٠ عن جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع الحديث  
 ٠٠٠ تفسير ( وآتوا اليتامى اموالهم ) الآية  
 ٠٠٦ عن عروة انه سأل عائشة عن قوله تعالى وان خفتم الآية.  
 وتفسير قوله تعالى ( فانكحوا ما طاب لكم من النساء ) الآية  
 ٠٠٧ عن ابن عمر ان غيلان بن سلمة التقى اسلم الخ  
 ٠٠٩ عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار في العقد  
 ٠٠٠ عن عقبة بن عامر احق الشروط ان توفوا بها الحديث  
 ٠١٠ تفسير قوله عز وجل ( ولا تؤتوا السفهاء اموالكم ) الآية  
 ٠١١ ❖ فصل في احكام تتعلق بالحجر وفيه ست مسائل ❖  
 ٠٠٠ ❖ المسئلة الاولى ❖ - الايتلاء يختلف باختلاف احوال اليتامى الخ  
 ٠١٢ ❖ المسئلة الثانية ❖ - قال الامام ابو حنيفة الخ  
 ٠٠٠ ❖ المسئلة الثالثة ❖ - في بيان البلوغ الخ  
 ٠١٣ ❖ المسئلة الرابعة ❖ - في بيان الرشد الخ  
 ٠٠٠ ❖ المسئلة الخامسة ❖ - اذا بلغ الصبي الخ  
 ٠٠٠ ❖ المسئلة السادسة ❖ - اذا بلغ الصبي رشيدا الخ  
 ٠١٥ تفسير قوله عز وجل ( للرجال نصيب مما ترك الوالدان ) الآية  
 ٠١٧ تفسير قوله عز وجل ( وليخش الذين لو تركوا ) الآية  
 ٠١٩ تفسير قوله عز وجل ( يوصيكم الله في اولادكم ) الآية  
 ٠٠٠ عن جابر قال جاءت امرأة سعد بن الربيع الخ  
 ٠٢٠ ❖ فصل في الحث على تعليم الفرائض ❖  
 ٠٠٠ ❖ فصل في بيان احكام الفرائض ❖  
 ٠٠٠ ❖ فصل واسباب الارث ثلاثة ❖  
 ٠٢١ ❖ فصل والسهام المحدودة في الفرائض ❖  
 ٠٢٢ ❖ فصل ❖ - روى عن زيد بن ثابت الخ  
 ٠٢٨ تفسير قوله عز وجل ( وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة الآية )  
 ٠٢٩ عن عمر ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ  
 ٠٠٠ عن معدان بن ابي طلحة قال خطب عمر الخ

- ٣٠ عن ابي امامة ان الله اعطى كل ذى حق حقه الحديث  
 ٠٠٠ عن ابي هريرة ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله الحديث  
 ٣٢ تفسير قوله عز وجل ( ومن يطع الله ورسوله ) الآية  
 ٣٣ عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم الخ

### فصل

- ٣٥ اتفق العلماء على ان هذه الآية منسوخة يعنى ( واللاتى يأتين الفاحشة )  
 تفسير قوله عز وجل ( انما التوبة على الله ) الآية

### رفيه حديثه

- ٣٦ الاول : عن ابن عمر ان الله يقبل توبة العبد الحديث  
 ٠٠٠ الثانى : عن ابي سعيد الخدرى ان الشيطان قال الحديث  
 ٤١ تفسير ( حرمت عليكم امهاتكم ) الآية \* وفيه حديث  
 ٠٠٠ عن ابن عباس حرم من النسب سبع الخ  
 ٤٢ تفسير قوله عز وجل ( وامهاتكم اللاتى ارضعنكم ) الآية

### رفيه خمسة احاديث

- ٠٠٠ الاول : عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنت حمزة انها لا تحل لى الحديث  
 ٠٠٠ الثانى : عن ام سلمة لا يحرم من الرضاع الا ما فتى الحديث  
 ٤٣ الثالث : عن ابن مسعود لارضاعة الاما كافى الحولين  
 ٠٠٠ الرابع : عن ام الفضل لا تحرم الاملاجة الحديث  
 ٠٠٠ الخامس : عن عائشة كان فيما انزل من القرآن الخ  
 ٤٥ تفسير قوله عز وجل ( وان تجمعوا بين الاختين ) الآية

### رفيه ثلثة فروع

- ٠٠٠ ( الاول ) لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها الخ  
 ٠٠٠ ( الثانى ) المحرمات بالنسب سبعة اصناف الخ  
 ٤٦ ( الثالث ) التحريم الحامل بسبب المصاهرة الخ

### الجزء السادس

- ٥٠ تفسير قوله عز وجل ( فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ) الآية

### رفيه حديثه

- ٠٠٠ الاول : عن سبرة بن معبد الجهنى يا ايها الناس انى كنت اذنت لكم الحديث  
 ٠٠٠ الثانى : عن علي بن ابي طالب نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء  
 وبيان قول العلماء فى المتعة أسفاح هى أم نكاح

### فصل فى قدر الصداق وما يستحب منه

- ٥١ رفيه عدة احاديث واقتصر على العلماء فى اقل الصداق  
 ٥٧ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ) الآية

- ٥٨ عن ابي هريرة من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم الحديث  
 ٥٩ عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح الحديث  
 تفسير قوله عز وجل ( ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ) الآية

### ﴿ وفيه ثمانية احاديث ﴾

- ٥٥٠ الاول : عن ابي بكرة ألا ابتئكم باكبر الكبائر ثلاثا الحديث  
 ٥٥١ الثاني : عن انس بن مالك الشرك بالله وعقوق الوالدين الحديث  
 ٥٥٢ الثالث : عن ابي هريرة اجتنبوا السبع الموقبات الحديث  
 ٥٥٣ الرابع : عن ابن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أى الذنب اعظم عند الله الحديث  
 ٥٥٤ الخامس : عن عبدالله بن عمرو بن العاص الكبائر الاشرار بالله الحديث  
 ٥٥٥ السادس : عن ابن مسعود ان من الكبائر شتم الرجل والديه الحديث  
 ٥٥٦ السابع : عن سعد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر الخ  
 ٥٥٧ الثامن : عن ابي هريرة كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا الحديث  
 ٥٥٨ تفسير قوله عز وجل ( الرجال قوامون على النساء ) الآية

### ﴿ وفيه ثمانية عشر حديثا ﴾

- ٥٥٩ الاول : عن ابي هريرة لو كنت امرأة احدنا ان يسجد لاحد الحديث  
 ٥٦٠ الثاني : عن ابي هريرة قيل يا رسول الله اى النساء خير قال التى تسره الحديث  
 ٥٦١ الثالث : عن ابي هريرة خير النساء امرأة الحديث  
 ٥٦٢ الرابع : عن ابي هريرة استوصوا بالنساء خيرا الحديث  
 ٥٦٣ الخامس : عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ٥٦٤ السادس : عن حكيم بن معاوية قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا الخ  
 ٥٦٥ السابع : عن عبدالله بن زعنة لا يجلد احدكم امرأته الحديث  
 ٥٦٦ الثامن : عن اياس بن عبدالله لا تضربوا النساء الحديث  
 ٥٦٧ التاسع : عن عمر لا يستل الرجل فيم ضرب امرأته  
 ٥٦٨ العاشر : عن ابي هريرة اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه الحديث  
 ٥٦٩ الحادى عشر : عن طلق بن علي اذا دعا الرجل امرأته الى حاجة الحديث  
 ٥٧٠ الثانى عشر : عن معاذ بن جبل لا تؤذى امرأة ماتت زوجها فى الدنيا الحديث  
 ٥٧١ الثالث عشر : عن ام سلمة أيما امرأة وزوجها راض عنها الحديث  
 ٥٧٢ تفسير قوله عز وجل ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ) الآية

### ﴿ وفيه اثني وعشرون حديثا ﴾

- ٥٧٣ الاول : عن معاذ بن جبل يا معاذ هل تدري ما حق الله الحديث  
 ٥٧٤ الثاني : عن ابي هريرة جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ  
 ٥٧٥ الثالث : عنه رغم انفه رغم انفه رغم انفه الحديث  
 ٥٧٦ الرابع : عن انس بن مالك من سره ان يبسط له فى رزقه الحديث  
 ٥٧٧ الخامس : عن سهل بن سعد انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا  
 ٥٧٨ السادس : عن ابي هريرة الساعى على الارملة الحديث  
 ٥٧٩ السابع : عن ابن عمر مازال جبريل يوصينى بالجار الحديث  
 ٥٨٠ الثامن : عن عائشة قلت يا رسول الله ان لى جارين الخ  
 ٥٨١ التاسع : عن ابي ذر يا اباذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها الحديث

- ٧٠ العاشر : عن ابى هريرة والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن الحديث  
 ... الحادى عشر : عنه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الحديث  
 ... الثانى عشر : عن عبدالله بن عمر خير الاصحاب عندالله تعالى الحديث  
 ٧٢ الثالث عشر : عن ابى شريح من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الحديث  
 ... الرابع عشر : عن ابى بكر الصديق لا يدخل الجنة الحديث  
 ... الخامس عشر : عن رافع بن مكيب حسن الملكة نماء وسوء الخلق الحديث  
 ... السادس عشر : عن على كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ  
 ... السابع عشر : عن معرور بن سويد رأيت اباذر وعليه حلة الخ  
 ٧٣ الثامن عشر : عن ابن عمر لا ينظر الله يوم القيامة الحديث  
 ... التاسع عشر : عن ابى هريرة لا ينظر الله يوم القيامة الى من جرازاره الحديث  
 ... العشرون : عنه بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه الحديث  
 ... الحادى والعشرون : عن ابن عمر بينما رجل ممن كان قبلكم الحديث  
 ... الثانى والعشرون : عن ابى هريرة الفخر والخيلاء الحديث  
 ٧٤ عن ابى هريرة أناغنى الشركاء عن الشرك الحديث  
 ٧٥ تفسير قوله عز وجل ( ان الله لا يظلم مثقال ذرة ) الآيه  
 ... عن انس بن مالك ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها فى الدنيا الحديث  
 ... عن عبدالله بن عمرو بن العاص افاض الله تعالى سيخلص رجلا من امتى الحديث  
 ... عن ابى سعيد الخدرى ثم يضرب الجسر على جهنم ونحل الشفاعة ويقولون  
 اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر الحديث  
 ٧٧ عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن الحديث  
 ٧٨ تفسير قوله عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة واتم سكارى حتى  
 ... تعلموا ما تقولون ) الآيه  
 ٨٠ فصل فى احكام تتعلق بالآيه  
 ٨١ عن ابن عمر لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النفساء الحديث  
 ... عن ابى هريرة اذا جلس بين شعبها الحديث  
 ٨٢ تفسير قوله عز وجل ( أو لامستم النساء ) الآيه  
 ٨٣ فصل فى احكام تتعلق بالآيه وفيه خمس مسائل  
 ... المسئلة الاولى - اذا افضى الرجل بشئ من بدنه الى شئ من بدن  
 المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما الخ  
 ... المسئلة الثانية - اختلف قول الشافى فى لس المحرم الخ  
 ٨٤ ... المسئلة الثالثة - فى الحدث وهو الخارج من السيلين الخ  
 ... المسئلة الرابعة - من نواقض الوضوء زوال العقل الخ  
 ... المسئلة الخامسة - من نواقض الوضوء مس الفرج الخ  
 ٨٥ تفسير قوله عز وجل ( فلم تجدوا ماء فتمسوا صعيدا طيبا ) الآيه  
 ٨٨ فصل - واركبان التيمم خمسة  
 ٩٣ تفسير قوله عز وجل ( ان الله لا يغير ان يشرك به ويفر مادون ذلك لمن يشاء )  
 الآيه \* وبيان سبب نزوله

- ٠٩٥ عن علي بن ابي طالب مافي القرآن احب الى من هذه الآية  
 ٠٠٠ عن جابر من مات لا يشرك بالله شيئاً الحديث  
 ٠٠٠ تفسير قوله عز وجل ( ألم تر الى الذين يزكون انفسهم ) الآية  
 ٠٩٧ عن قطن بن قبيصة العيافة والطيرة والطرق من الجب  
 ٠٩٩ تفسير قوله عز وجل ( ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا ) الآية  
 ٠٠٠ عن ابي هريرة ما بين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاثة ايام الحديث  
 ٠٠٠ وعنه ضرس الكافر او قال ناب الكافر مثل احد الحديث  
 ١٠٠ تفسير قوله عز وجل ( ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها )  
 الآية \* وبيان سبب نزولها  
 ١٠٣ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى  
 الامر منكم ) الآية

### ﴿ وفيه خمسة اماريت ﴾

- ٠٠٠ الاول : عن ابن عباس لما نزل قوله اطيعوا الله الآية نزلت فى عبد الله بن حذافة  
 ٠٠٠ الثانى : عن ابي هريرة من اطاعنى فقد اطاع الله الحديث  
 ٠٠٠ الثالث : عن ابن عمر على المرء المسلم السمع والطاعة الحديث  
 ٠٠٠ الرابع : عن انس بن مالك اسمعوا واطيعوا الحديث  
 ٠٠٠ الخامس عن انس مثل اصحابى فى امتى كالمخج فى الطعام الحديث  
 ١٠٥ تفسير قوله عز وجل ( ألم ترالى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك )  
 الآية \* وبيان سبب نزولها  
 ١٠٨ تفسير قوله عز وجل ( وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ) الآية  
 ١١١ تفسير قوله عز وجل ( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله  
 عليهم ) \* وبيان سبب نزولها  
 ١١٢ « قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل الخ »  
 ١١٣ عن انس ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة الخ  
 ١١٧ تفسير قوله عز وجل ( ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم ) الآية  
 ١١٨ عن المستورد بن شداد ما الدنيا فى الآخرة الامثل احدكم الحديث  
 ١٢٠ تفسير قوله عز وجل ( ما اصابك من حسنة فمن الله ) الآية  
 ١٢٧ تفسير قوله عز وجل ( واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها ) الآية  
 ١٢٨ ﴿ فصل فى فضل السلام والحث عليه ﴾

### ﴿ وفيه ثلثة اماريت ﴾

- ٠٠٠ الاول : عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ  
 ٠٠٠ الثانى : عن ابي هريرة لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا الحديث  
 ٠٠٠ الثالث : عن عبد الله بن سلام ايها الناس افشوا السلام الحديث

## ١٢٨ فصل في احكام تتعلق بالسلام وفيه خمس مسائل

... المسئلة الاولى في كيفية السلام

وفيه حديث

- ... الاول : عن ابي هريرة لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة جلوس الحديث  
... الثاني : عن عمران بن حصين جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم الخ  
... المسئلة الثانية في حكم السلام

وفيه حديث

- ١٢٩ عن علي بن ابي طالب يحزى عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم الحديث  
... المسئلة الثالثة في آداب السلام

وفيه حديث

- ... عن ابي هريرة يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد الحديث  
... المسئلة الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها  
١٣٠ المسئلة الخامسة في حكم السلام على اهل الذمة من اليهود والنصارى  
١٣١ عن زيد بن ثابت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد الخ  
١٣٥ تفسير قوله عز وجل (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً الا خطأ) الآية

## ١٣٧ فصل في احكام تتعلق بالآية وفيه ثلاث مسائل

... المسئلة الاولى في بيان صفة القتل

قال الشافعي القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطأ الخ

... المسئلة الثانية في حكم الديات

فدية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدت الابل فتجب قيمتها الخ

... المسئلة الثالثة في حكم الكفارة

الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل الخ

فصل

١٤١

وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار وبيان  
جواب علماء اهل السنة

- ١٤٢ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا) الآية  
١٤٤ تفسير قوله عز وجل (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر  
والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم) الآية

وفيه سبعه امارات

- ... الاول : عن زيد بن ثابت املى على النبي صلى الله عليه وسلم الخ  
... الثاني : عن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوى القاعدون الخ

- ١٤٥ الثالث : عن جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة الخ  
 ٠٠٠ الرابع : عن انس رجعا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم الخ  
 ٠٠٠ الخامس : عن ابن عباس لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر الخ  
 ٠٠٠ السادس : عن ابي سعيد الحدري من رضى الله ربا الحديث  
 ١٤٦ السابع : عن ابي هريرة من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة الحديث

### فصل

- اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية الخ  
 ١٤٨ عن ابي هريرة لارفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ  
 ١٥٠ تفسير قوله عز وجل ( واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا  
 من الصلوة ) الآيه

### ١٥١ فصل في احكام تتعلق بالآيه وفيه اربع مسائل

- ٠٠٠ المسئلة الاولى في حكم القصر الخ  
 ١٥٢ المسئلة الثانية اختلف في صلاة المسافر الخ  
 ٠٠٠ المسئلة الثالثة ذهب الشافعي ومالك واهل الجمهور الخ  
 ٠٠٠ المسئلة الرابعة اختلف العلماء في مسافة القصر الخ

### فصل

- ١٥٣ ٠٠٠ تفسير قوله عز وجل ( واذا كنت فيهم فاقت لهم الصلوة ) الآيه \* وبيان  
 سبب نزوله

### ١٥٥ فصل في احكام تتعلق بالآيه وصفة صلاة الخوف

#### وفيه اربع مسائل

- ٠٠٠ المسئلة الاولى قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة  
 صلاة كانت خاصة الخ  
 ٠٠٠ المسئلة الثانية قال الخطابي صلاة الخوف انواع الخ  
 ١٥٦ المسئلة الثالثة فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة الخ  
 ١٥٧ المسئلة الرابعة اذا اشتد الحرب والتعم القتال الخ  
 ١٥٩ تفسير قوله عز وجل ( انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ) الآيه

### فصل

- ١٦٠ وقد تمسك بهذه الآيه من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء الخ  
 ١٦١ تفسير قوله عز وجل ( ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ) الآيه  
 ١٦٥ تفسير قوله عز وجل ( لخير في كثير من نجواهم الامن امر بصدقة او  
 معروف او اصلاح بين الناس ) الآيه



### وفيه ثمرة اماريت

- ١٦٥ الاول : عن ابي الدرداء الاخيركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة الحديث  
 ... الثاني : عن سهل بن سعد ان اهل قباقتلوا حتى تراموا بالحجارة الخ  
 ... الثالث : عن ام مكتوم ليس الكذاب الذي يصلح اثنين الحديث  
 ١٦٦ تفسير قوله عز وجل ( ان الله لا يغفر ان يشرك به ) الآية  
 ١٦٩ عن سعد بن ابي وقاص لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون  
 التبتل لاخصيتنا الخ  
 ١٧١ تفسير قوله عز وجل ( ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب ) الآية  
 ١٧٣ تفسير قوله عز وجل ( ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله وهو محسن ) الآية  
 ١٧٤ بيان تسمية ابراهيم صلى الله تعالى على نبينا وعليه خليلاً  
 ١٧٥ فصل  
 في بيان اتخاذ الله محمداً صلى الله عليه وسلم خليلاً الخ  
 ١٨١ فصل  
 فيما يتعلق بحكم الآية يعني ( ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ) الآية  
 ١٨٣ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ) الآية  
 ١٨٥ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ) الآية وبيان سبب نزوله  
 ١٨٩ تفسير قوله عز وجل ( ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ) الآية  
 ١٩٠ عن ابن عمر مثل المنافقين كمثل الشاة العائرة الحديث  
 ١٩٤ الجزء السادس  
 ١٩٧ تفسير قوله عز وجل ( يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد  
 سألو موسى اكبر من ذلك ) الآية  
 ٢٠٢ تفسير قوله عز وجل ( وان من اهل لكتاب الا ليؤمنن به ) الآية وبيان  
 اختلاف المفسرين في ضمير قوله تعالى قبل موته  
 ٢٠٥ تفسير قوله عز وجل ( لكن الراسخون في العلم منهم ) الآية  
 ٢٠٨ تفسير قوله عز وجل ( واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ) الآية  
 ... عن ابي موسى الاشعري لورأيتني البارحة وانا استمع لقراءتك الحديث  
 ٢٠٩ تفسير قوله عز وجل ( رسلا مبشرين ومنذرين ) الآية  
 ٢١٠ عن الغيرة بن شعبة قال سعد بن عباد لورأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير  
 مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ  
 ٢٢٣ تفسير قوله عز وجل ( يا اهل الكتاب لاتقلوا في دينكم ) الآية  
 ٢١٤ عن عبادة بن الصامت من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الحديث  
 ٢١٨ تفسير قوله عز وجل ( يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ) الآية

- ٢٢٠ ﴿ تفسير سورة المائدة ﴾
- ٢٢٣ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله )
- ٢٢٥ ﴿ فصل ﴾
- اختلف علماء النسخ والنسوخ في هذه الآية الخ
- ٢٢٩ عن قطن بن قبيصة العيافة والطيرة والطرق من الجبت
- ٢٣٠ تفسير قوله عز وجل ( اليوم اكملت لكم دينكم ) الآية ويومان وقت نزول هذه الآية
- ٢٣٣ تفسير قوله عز وجل ( يستلونك ماذا احل لهم ) الآية
- ٠٠٠ عن ابي هريرة من امسك كلبافانه يتقص كل يوم من عمله قيراط الحديث
- ٢٣٤ عن عدى بن حاتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
- ٢٣٥ عن ابي ثعلبة الحشني قلت يا رسول الله انا بارض قوم اهل كتاب الخ
- ٢٣٨ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا اذا قمم الى الصلوة ) الآية
- ٢٤١ تفسير قوله عز وجل ( وارجلكم الى الكمين ) وبين اختلاف العلماء في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح او انقل الخ
- ٢٤٣ ﴿ فصل ﴾
- قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه الآية اربعة الخ
- ٠٠٠ ﴿ فصل في ذكر الادحاديث التي وردت ﴾
- ﴿ في صفة الوضوء وفضله ﴾
- ﴿ وفيه خمسة عشر حديثاً ﴾
- ٠٠٠ الاول : عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا اباناه فافرغ الخ
- ٠٠٠ الثاني : عن عبدالله بن زيد بن عاصم قيل له توضأ لتاوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
- ٢٤٤ الثالث : عن عبد خير قال اتانا على كرم الله وجهه وقد صلى الخ
- ٠٠٠ الرابع : عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم الخ
- ٠٠٠ الخامس : عن ابي هريرة ابن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا الخ
- ٠٠٠ السادس : عن جابر قال اخبرني عمر بن الخطاب ان رجلا توضأ الخ
- ٠٠٠ السابع : عن خالد ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي الخ
- ٠٠٠ الثامن : عن عبدالله بن عمرو بن العاص تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ
- ٠٠٠ التاسع : عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرة صرة
- ٠٠٠ العاشر : عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين
- ٠٠٠ الحادي عشر : عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعية فجاءت نوحى الخ
- ٢٤٥ الثاني عشر : عن ابي هريرة اذا توضأ العبد المسلم الحديث
- ٠٠٠ الثالث عشر : عن نعيم بن عبدالله ان امتي يدعون يوم القيامة الحديث
- ٠٠٠ الرابع عشر : عن ابن عمر من توضأ على طهر كتب الله به عشر حسنة
- ٠٠٠ الخامس عشر : عن ابي هريرة لاصلاة لئلا وضوءه الحديث
- ٠٠٠ تفسير قوله عز وجل ( وان كنتم جنبا فاطهروا ) الآية

- ٢٤٥ عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة الخ
- ٢٤٧ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم ) الآية
- ٢٤٩ تفسير قوله عز وجل ( ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل ) الآية
- ٢٥٠ ﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾
- ٢٥٧ تفسير قوله عز وجل ( يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل ) الآية \* وبيان سبب نزولها
- ٢٦٤ ﴿ قصة وفاة موسى وهارون عليهما السلام ﴾
- ٢٦٧ تفسير قوله عز وجل ( واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ) الآية
- ٠٠٠ ﴿ ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل ﴾
- ٢٧٤ تفسير قوله عز وجل ( انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ) الآية \* وبيان اختلاف الاقوال في سبب نزولها
- ٢٧٨ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة واجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ) الآية
- ٢٧٩ عن انس يقول الله تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا الحديث
- ٠٠٠ تفسير قوله عز وجل ( والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما )
- ٢٨٠ ﴿ فصل في بيان حكم الآية وفيه خمس مسائل ﴾
- ٠٠٠ ﴿ المسئلة الاولى ﴾ اقتضت هذه وجوب القطع الخ
- ٠٠٠ ﴿ المسئلة الثانية ﴾ اختلف العلماء في قدر النصاب الخ
- ٢٨١ ﴿ المسئلة الثالثة ﴾ الحرز هو ما جعل للسكنى الخ
- ٢٨٢ ﴿ المسئلة الرابعة ﴾ اذا سرق مال له فيه شبهة الخ
- ٠٠٠ ﴿ المسئلة الخامسة ﴾ اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى الخ
- ٠٠٠ ﴿ فصل ﴾
- وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله الخ
- ٢٨٣ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ) الآية
- ٢٨٤ ﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾
- ٢٨٨ تفسير قوله عز وجل ( فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ) الآية
- ٢٨٩ ﴿ فصل ﴾
- اختلف علماء التفسير في حكم هذه الآية
- ٠٠٠ عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان المنسطين عند الله على منابر من نور الحديث

- ٢٩٠ تفسير قوله عز وجل (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور) الآية \* وبيان سبب نزول هذه الآية  
 ٢٩٢ تفسير قوله عز وجل (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) الآية  
 ٢٩٦ تفسير قوله عز وجل (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الآية  
 ٣٠٠ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء) الآية  
 ٣٠٢ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية  
 ٣٠٦ تفسير قوله عز وجل (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية \* وبيان سبب  
 نزول هذه الآية

٣٠٧ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم  
 هزوا ولعبا) الآية

٣١٢ تفسير قوله عز وجل (وقالت اليهود يد الله مغلولة) الآية

٣١٣ بيان اختلاف العلماء في معنى اليد على قولين احدهما مذهب جمهور السلف وعلماء  
 اهل السنة وثانيهما قول جمهور المتكلمين واهل التأويل

٣١٧ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) الآية

٣١٨ تفسير قوله عز وجل (والله يعصمك من الناس) الآية

٣٢٠ تفسير قوله عز وجل (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى)

٣٢٣ تفسير قوله عز وجل (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) الآية

٣٢٩ تفسير قوله عز وجل (وليجدن اقربهم مودة للذين آمنوا) الآية

٣٣٠ ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية

٣٣٤ الجزء السابع

٣٣٦ تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما اهل الله لكم) الآية

٣٣٧ تفسير قوله عز وجل (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) الآية

٣٣٨ تفسير قوله عز وجل (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم) الآية

٣٣٩ فصل في بيان حكم الآية وفيه اربع مسائل

... المسئلة الاولى في بيان الكفارة وهي اربعة انواع

... (النوع الاول) من الكفارات الاطعام الخ

٣٤٠ (النوع الثاني) من الكفارات الكسوة الخ

... (النوع الثالث) من الكفارات العتق الخ

... (النوع الرابع) من الكفارات الصوم الخ

٣٤١ المسئلة الثانية كلمة اول التخيير بين الاطعام والكسوة والعتق الخ

... المسئلة الثالثة لا يجوز صرف شيء من الكفارات الخ

... المسئلة الرابعة اختلفوا في تقديم الكفارات على الحنث

- ٣٤٢ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام  
رجس من عمل الشيطان ) الآية
- ٣٤٤ تفسير قوله عز وجل ( واطيعوا الله واطيعوا الرسول ) الآية
- ٣٤٧ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ) الآية  
... عن ابن عمر خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الحديث  
... عن عائشة خمس من الدواب كلهن فواسق الحديث
- ٣٥٢ تفسير قوله عز وجل ( جعل الله الكعبة البيت الحرام ) الآية
- ٣٥٥ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبدلكنم تسؤلكنم ) الآية  
... عن ابن عباس كان قوم يسئلون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء الخ  
... عن ابي هريرة خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس الخ  
٣٥٦ عن سعد بن ابي وقاص ان اعظم المسلمين في المسلمين جرمان سئل عن شيء لم يحرم على الناس  
فحرم من اجل مسئلته  
... عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم الخ  
... عن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات  
٣٥٧ عن ثعلبة الحثني ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضعوها الحديث  
... تفسير قوله عز وجل ( ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ) الآية
- ❖ وفيه عمدة اماريت ❖
- ٣٥٩ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم ) الآية  
وفي معنى الآية اقوال كثيرة اصحها ما روى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
- ٣٦٢ تفسير قوله عز وجل ( يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم ) وبيان نزول هذه الآية
- ٣٦٨ تفسير قوله عز وجل ( اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي ) الآية
- ❖ تفسير سورة الانعام ❖ ٣٧٥
- ٣٨٧ تفسير قوله عز وجل ( قل لمن ما في السموات والارض قل الله ) الآية  
... عن ابي هريرة لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده الحديث  
... عن ابي هريرة جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده الحديث  
... عن سلمان الفارسي ان الله خلق يوم خلق السموات والارض الحديث  
... عن عمر قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة الخ
- ٣٩١ تفسير قوله عز وجل ( وهو القاهر فوق عباده ) الآية  
... عن عبدالله بن عمرو بن العاص بلغوا عنى ولو آية الحديث وشرح ما يتعلق بهذا الحديث  
... عن ابن مسعود نضر الله امرأ سمع مناشياً الحديث  
... عن زيد بن ثابت نضر الله امرأ سمع مناشياً الحديث
- ٤٠٠ تفسير قوله عز وجل ( وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ) الآية
- ٤٠٤ تفسير قوله عز وجل ( وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا ام  
امثالكم ) الآية
- ٤١١ تفسير قوله عز وجل ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون  
وجهه ) الآية

- ٤١٢ بيان سبب نزول هذه الآية  
 ٤١٥ تفسير قوله عز وجل (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام عليكم) الآية  
 ٤١٨ تفسير قوله عز وجل (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) الآية  
 ٤٢٠ تفسير قوله عز وجل (وهو القاهر فوق عباده) الآية  
 ٤٢٢ تفسير قوله عز وجل (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم) الآية  
 ٤٢٣ عن جابر لما نزلت هذه الآية قل هو القادر الخ  
 ٠٠٠ عن سعد بن ابي وقاص انه اقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم الخ  
 ٠٠٠ عن خباب بن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطمها الخ  
 ٤٢٤ تفسير قوله عز وجل (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) الآية

### ٤٢٥ فصل

- قال سعيد بن المسيب وابن جريج ومقاتل هذه الآية منسوخة الخ  
 ٤٢٩ تفسير قوله عز وجل (وهو الذي خلق السموات والارض بالحق) الآية  
 ٠٠٠ عن ابي سعيد الخدرى كيف اتم وقد التقم صاحب القرن القرن الحديث  
 ٤٣١ تفسير قوله عز وجل (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) الآية  
 ٤٣٢ تفسير قوله عز وجل (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى) الآية

### ذكر القصة في ذلك

- ٤٤١ تفسير قوله عز وجل (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) الآية

### ٤٤٢ فصل

- احتج العلماء بهذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من جميع الانبياء الخ  
 ٤٤٦ تفسير قوله عز وجل (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) الآية  
 ٠٠٠ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم الحديث  
 ٤٤٨ تفسير قوله عز وجل (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة) الآية  
 ٠٠٠ عن ابن عباس قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة الخ  
 ٠٠٠ عن عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تحمى الناس الحديث  
 ٤٥٠ تفسير قوله عز وجل (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) الآية  
 ٤٥٢ تفسير قوله عز وجل (وهو الذى انشأكم من نفس واحدة) الآية  
 ٤٥٥ تفسير قوله عز وجل (وجعلوا لله شركاء الجن) الآية  
 ٤٥٧ تفسير قوله عز وجل (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) الآية

### ٤٥٨ فصل

- تمسك بظاهر الآية قوم من اهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وبيان  
 احتجاج اهل السنة على اثبات رؤية الله للمؤمنين فى الآخرة الخ

### ٤٦٨ الجزء الثامن

- ٤٧٣ تفسير قوله عز وجل ( فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ) الآية  
 ٤٧٥ تفسير قوله عز وجل ( ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) الآية

### فصل

- اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها الخ  
 ٤٨٠ تفسير قوله عز وجل ( فمن رد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ) الآية  
 ٤٨٢ تفسير قوله عز وجل ( ويوم نحشهم جميعا يامعشر الجن ) الآية  
 ٤٨٥ تفسير قوله عز وجل ( يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ) الآية  
 ٤٩٣ تفسير قوله عز وجل ( قد خسروا الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم ) الآية  
 ٤٩٩ تفسير قوله عز وجل ( قل لا اجد فيما وحي الى محرما على طاعم يطعمه ) الآية

### رفيعه اهديت فليراجع والله الموفق

- ٥٠٣ تفسير قوله عز وجل ( سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ) الآية

### فصل

- استدل القدرية والمعتزلة بهذه الآية فقالوا ان القوم الخ  
 ٥٠٦ تفسير قوله عز وجل ( قل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم ) الآية  
 ٥٠٨ تفسير قوله عز وجل ( واوفوا الكيل والميزان بالتسبط لانكف نفسا الاوسمها ) الآية  
 ٥٠٩ عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا الخ  
 ٥١٢ تفسير قوله عز وجل ( هل ينظرون الا ان تأتيم الملائكة ) الآية  
 ... عن ابي هريرة ثلاث اذا خرجن لا يتفعنفسا ايمانها الحديث  
 ... عن ابي سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله او يأتى الخ  
 ... عن ابي هريرة من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه  
 ... عن صفوان بن عسال المرادى قال باب من قبل المغرب مسيرة عرضه الحديث  
 ... عن ابي هريرة لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها الحديث  
 ٥١٣ عن حذيفة بن اسد الفغاري اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ  
 ... عن ابي هريرة بادروا بالاعمال قبل ست الحديث  
 ... عن عبدالله بن عمرو بن العاصى حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ  
 ... عن ابي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله  
 ورسوله اعلم الحديث  
 ... عن ابي ذر كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم الخ  
 ٥١٦ تفسير قوله عز وجل ( من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ) الآية  
 ٥١٧ عن ابي هريرة اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها الحديث  
 ... عن ابي ذر يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الحديث  
 ... عن ابي هريرة يقول الله تبارك وتعالى واذا اراد عبدي ان يعمل سيئة الحديث

### تفسير سورة الانعام

- ٥٢٤ تفسير قوله عز وجل ( والوزن يومئذ الحق ) الآية
- ٥٢٦ تفسير قوله عز وجل ( ولقد خلقناكم ثم صورناكم ) الآية
- ٥٢٨ تفسير قوله عز وجل ( قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها ) الآية
- ٥٣٠ تفسير قوله عز وجل ( ثم لا تبينهم من بين ايديهم ومن خلفهم ) الآية
- ٥٣٢ تفسير قوله عز وجل ( ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ) الآية
- ٥٣٥ تفسير قوله عز وجل ( قال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا ) الآية
- ٥٣٦ فصل
- وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية الخ
- ٥٣٧ تفسير قوله عز وجل ( يا بني آدم قد انزلنا عليك لباسا يوارى ) الآية
- ٥٣٨ تفسير قوله عز وجل ( يا بني آدم لا يفتنك الشيطان كما اخرج ابوكم من الجنة ) الآية
- ٥٤٢ تفسير قوله عز وجل ( يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ) الآية
- ٥٤٤ تفسير قوله عز وجل ( قل انما حرم ربي الفواحش ) الآية
- ٥٥٠ تفسير قوله عز وجل ( ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها ) الآية
- ٥٥١ تفسير قوله عز وجل ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات ) الآية
- ٥٥٢ عن ابي سعيد الخدري يخلص المؤمنون من النار الحديث
- ٥٥٣ عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة اذا دخل اهل الجنة الجنة الحديث
- ٥٥٤ تفسير قوله عز وجل ( ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ) الآية
- ٥٥٥ تفسير قوله عز وجل ( وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال ) الآية
- وبيان اصحاب الاعراف على وجه التفصيل
- ٥٥٩ تفسير قوله عز وجل ( ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ) الآية
- ٥٦١ تفسير قوله عز وجل ( ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ) الآية \* وبيان تفصيل معنى الآية
- ٥٦٣ تفسير قوله عز وجل ( ثم استوى على العرش ) وبيان معنى الاستواء على مذهب السلف وجهور المتكلمين
- ٥٦٧ تفسير قوله عز وجل ( ادعوا ربكم تضرعا وخفية ) الآية
- ٥٦٨ بيان بعض قول ارباب الطريقة هل الافضل اظهار العبادات ام لا
- ٥٧٣ تفسير قوله عز وجل ( لقد ارسلنا نوحا الى قومه ) الآية
- ٥٧٦ تفسير قوله عز وجل ( والى عاد اخاهم هودا ) الآية
- ٥٧٩ ذكر قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق

واصحاب السير والاخبار



- ٥٨٣ تفسير قوله عز وجل ( والى ثمود اخاهم صالحا )
- ٥٨٧ ذكر قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق ووهب
- ابن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار
- ٥٩١ تفسير قوله عز وجل ( ولو اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ) الآية
- ٥٩٢ ذكر قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحق
- وغيره من اهل الاخبار والسير
- ٥٩٣ تفسير قوله عز وجل ( والى مدين اخاهم شعيبا ) الآية
- ٥٩٨ الجزء التاسع
- ٦٠٢ تفسير قوله عز وجل ( وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء ) الآية
- ٦٠٦ تفسير قوله عز وجل ( ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون ) الآية
- ٦٠٨ فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل
- ٦١٧ تفسير قوله عز وجل ( ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ) الآية
- ٦٢٣ تفسير قوله عز وجل ( وجاوزنا بني اسرائيل البحر ) الآية
- ٦٢٥ تفسير قوله عز وجل ( وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ) الآية
- ٦٢٨ فصل
- وقدمتكم من نبي الرؤية من اهل البدع والحوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظ هر هذه الآية وهو قوله تعالى ( لن تراني ) الآية
- ٦٢٣ تفسير قوله عز وجل ( وكتبناه في الالواح من كل شيء ) الآية
- ٦٣٦ تفسير قوله عز وجل ( واتخذ قوم موسى من بعده من حلهم ) الآية
- ٦٤٢ تفسير قوله عز وجل ( واختار موسى قومه سبعين رجلا ) الآية
- ٦٤٦ تفسير قوله عز وجل ( الذين يتبعون الرسول النبي الامي ) الآية
- ٦٤٧ بيان قول العلماء في معنى الامي وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص وشرح غريب الفاظ الحديث
- ٦٤٩ تفسير قوله عز وجل ( قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ) الآية
- ( وفيه مائة )
- ٠٠٠ الاول : عن جابر اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي الحديث
- ٠٠٠ الثاني : عن ابي هريرة فضلت على الانبياء بستة الحديث
- ٦٥٣ تفسير قوله عز وجل ( واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ) الآية
- ٦٥٨ تفسير قوله عز وجل ( فخلقهم من بعدهم خلف ) الآية
- ٦٦١ تفسير قوله عز وجل ( واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ) الآية
- ٦٦٢ بيان كيفية الاخذ على وجه التفصيل وبيان مذاهب العلماء

٦٦٦ تفسير قوله عز وجل ( وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ) الآية

٠٠٠ ﴿ وذكر قصة حرب موسى عليه السلام الجبارين ﴾

٦٧٠ تفسير قوله عز وجل ( فثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ) الآية

٦٧٣ تفسير قوله عز وجل ( ولله الاسماء الحسنى ) الآية

٦٧٤ عن ابي هريرة ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها الحديث

٦٧٦ تفسير قوله عز وجل ( ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون )

٠٠٠ عن معاوية لاتزال من امتي امة قائمة بامر الله الحديث

٦٧٨ تفسير قوله عز وجل ( يسئلونك عن الساعة ) الآية

٦٨٠ تفسير قوله عز وجل ( قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ) الآية

٦٨٢ تفسير قوله عز وجل ( هو الذي خلقكم من نفس واحدة ) الآية

٦٨٥ تفسير قوله عز وجل ( ان الذين تدعون من دون الله عبادا مثلكم ) الآية

٦٨٧ تفسير قوله عز وجل ( خذ المفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ) الآية

٦٨٨ تفسير قوله عز وجل ( واما ينزغناك من الشيطان نزغ ) الآية

٠٠٠ ﴿ فصل واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه الآية ﴾

٦٩٠ تفسير قوله عز وجل ( واذا قرئ القرآن فاتموا له وانصتوا ) الآية

٦٩١ ﴿ وفي هذه الآية للعلماء اقوال فارم مع البها ونفك الله ﴾

٦٩٣ تفسير قوله عز وجل ( ان الدين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ) الآية

﴿ وبيان ان هذه السجدة من عزائم سجود القرآن ﴾

( وفيه ثمرة امارت )

٠٠٠ الاول: عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن الحديث

٦٩٤ الثاني: عن ابي هريرة اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد الحديث

٠٠٠ الثالث: عن ثوبان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله الحديث

معارف نظارت مجلس سنك ( ٢٥٣ ) و ( ٦٣٣ ) نور در بنی ماوی رضیتم الله عنه

مطبعة عامره ده طبع اول نشر

﴿ سورة النساء ﴾

نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وستون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) يا أيها الناس يا بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم أبيكم (وخلق منها زوجها) معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة انشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواء من

﴿ السورة التي يذكر فيها النساء وهي كلها مدينة وكلماتها ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربعون وحرروفها ستة عشر ألفاً وثلاثون حرفاً ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وبإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (يا أيها الناس) عام وقد يكون خاصاً (اتقوا ربكم) اطيعوا ربكم (الذي خلقكم) بالتناسل (من نفس واحدة) من نفس آدم وحدها وكانت نفس حواء فيها (وخلق منها) من نفس آدم (زوجها) حواء

الجلد الثاني

فتبارك الله احسن الخالقين

\* ﴿ سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وستون آية ﴾ \*

\* ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ \*

﴿ يا أيها الناس ﴾ خطاب يعم بني آدم ﴿ اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ هي آدم ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم حواء من ضلع من أضلاعها أو محذوف تقديره

\* ﴿ تفسير سورة النساء وهي مدنية ﴾ \*

وهي مائة وخمس وستون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفاً

\* ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ \*

\* قوله عز وجل ﴿ يا أيها الناس ﴾ خطاب للكافة فهو كقوله يا بني آدم ﴿ اتقوا ربكم ﴾ أي احذروا أمر ربكم أن تخافوه فيما أمركمه أو نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال ﴿ الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ يعني من أصل واحد وهو آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام وإنما أنت الوصف على لفظ النفس وإن كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم

أبوك خليفة ولدته أخرى \* وأنت خليفة ذلك الكمال

فإنما قال ولدته أخرى لتأنيث الخليفة ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ يعني حواء وذلك

ضلع من أضلاعه ( وبث منها ) ونشر من آدم وحواء ( رجالا كثيرا ونساء ) كثيرة أى وبث منها نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها أو على خلقكم والخطاب في أيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها أمكم حواء وبث منها رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفاشئة للمحصر فان قلت الذى تقتضيه جزالة النظم ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يدعو اليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذى ذكره داعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على ﴿ ٣ ﴾ كل شئ ومن { سورة النساء } المقدورات عقاب الكفار

والفجار فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابقة عليهم فحتمهم ان يتقوه في كفرانها قال عليه السلام عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها في الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه في التراب ( واتقوا الله الذى تساءلون به ) والاصل تتساءلون فأدغمت التاء في السين بعد ابدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس تساءلون به بالتخفيف كوفي على حذف التاء الثانية استقالا لاجتماع التائين أى يسأل بعضهم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف ( والارحام ) بالنصب على انه معطوف على اسم الله تعالى أى واتقوا الارحام

من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة ﴿ وبث منها رجالا كثيرا ونساء ﴾ بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضى أن يكن أكثر وذكر كثيرا جلا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التى منحتها أن تخشى والنعمة الباهرة التى توجب طاعة موليا أولان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله وبنى جنسه على مادلت عليه الآيات التى بعدها وقرئ وخالق وبث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وبث ﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به ﴾ أى يسأل بعضهم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله تساءلون نادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بطرحها ﴿ والارحام ﴾

ان الله تعالى لما خلق آدم عليه الصلاة والسلام أتى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها من أنت قالت امرأة قال لما ذا خلقت قالت خلقت لتسكن الى قال اليها وألفها لانها خلقت منه واختلفوا فى أى وقت خلقت حواء فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم انما خلقت فى الجنة بعد دخوله أياها ﴿ وبث منها ﴾ يعنى نشر وأظهر من آدم وحواء ﴿ رجالا كثيرا ونساء ﴾ انا وصف الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتنبه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشهار وبحال النساء الاختفاء والجمول ﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به ﴾ انا كرر ذكر التقوى للتأكيد وانه أهل ان يتقى والتساؤل بالله هو كقولك أسألك بالله وأحلف عليك بالله وأستشفع اليك بالله ﴿ والارحام ﴾ قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا

ان تقطعوها أو على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وبالجر حزة على وهو ضعيف لان الضمير المتصل كاسمه متصل والجار والمجرور كشيء واحد فاشبهه العطف

( وبث منها ) خلق بالتوالد من آدم وحواء ( رجالا كثيرا ونساء ) خلقا كثيرا ذكرا واثى ( واتقوا الله ) أطيعوا الله ( الذى تساءلون به ) بحق الله الجوانح والحقوق بمضكم من بعض ( والارحام ) بحق القرابة والارحام ان قرئت بنصب الميم يقول وصلوا الارحام ولا تقطعوها معطوفة الى قوله واتقوا الله

بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله  
 أي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حجة بالجر عطفاً على  
 الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف  
 الخبر تقديره والارحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن  
 الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة  
 بالعرش تقول الأمان وصلني وصله الله ومن قطعني قطعني الله ﴿ أن الله كان عليكم  
 رقيباً ﴾ حافظاً مطلقاً ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ أي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم  
 وهو الذي مات أبوه من اليتيم وهو الانفراد ومنه الدرّة اليتيمة اما على انه لما جرى  
 مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتام ثم قلب فقيل يتامى أو على انه جمع على  
 تيمى كأسرى لانه من باب الآفات ثم جمع تيمى على يتامى كأسرى واسارى والاشقاق  
 يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في  
 الآية اما للبلغ على الاصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثاً على أن يدفع اليهم  
 أموالهم أول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان أونس منهم الرشد ولذلك  
 أمر بابتلائهم صغاراً أولغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد  
 الاول ماروى أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ  
 طلب المال مندفعه فنزلت فلما سمعها العم قال أظننا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب

من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم  
 على بعض وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها وبدل على ذلك أيضاً  
 الاحاديث الواردة في ذلك (ق) عن عائشة رضى الله عنهما قالت قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعني الله (ق)  
 عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يسقط عليه من رزقه  
 ينسأ في أثره فليصل رحمه قوله ينسأ في أثره أي يؤخره في أجله (ق) عن جبير بن مطعم  
 رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته  
 يعنى قاطع رحمه وعن الحسن قال من سألك بالله فأعطه ومن سألك بالرحم فأعطه وعن ابن عباس  
 قال الرحم معلقة بالعرش فاذا أتاها الواصل بشت به وكنته واذا أتاها القاطع احتجبت عنه  
 ﴿ أن الله كان عليكم رقيباً ﴾ يعنى حافظاً والرقيب في صفة الله تعالى هو الذي لا ينفل عما خلق  
 فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شئ من أمر خلقه فينب  
 بقوله ان الله كان عليكم رقيباً انه يعلم السر وأخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى  
 ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾ نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير  
 لابن أخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فنبهه عمه فترافعا الى النبي صلى الله  
 عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أظننا الله وأظننا الرسول نعوذ بالله  
 من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح

على بعض الكلمة (أن الله  
 كان عليكم رقيباً) حافظاً أو  
 حالماً (وآتوا اليتامى أموالهم)  
 يعنى الذين ماتت آباؤهم  
 فانفردوا عنهم واليتيم  
 الانفراد ومنه الدرّة اليتيمة  
 وقيل اليتيم في الاناسى من  
 قبل الآباء وفي البهائم من  
 قبل الامهات وحق هذا  
 الاسم ان يقع على الصغار  
 والكبار لبقاء معنى الانفراد  
 عن الآباء الا انه قد غلب  
 ان يسوآبه قبل ان يبلغوا  
 مبلغ الرجال فاذا استغنوا  
 بانفسهم عن كافل وقائم  
 عليهم زال هذا الاسم  
 عنهم وقوله عليه السلام  
 لا يتيم بعد الحلم تعليم شريعة  
 لالفة يعنى انه اذا احتلم  
 لم تجر عليه أحكام الصغار  
 والمعنى وآتوا اليتامى  
 أموالهم أبعاد البلوغ وسماهم  
 يتامى لقرب عهدهم اذا  
 بلغوا بالصغر وفيه اشارة  
 الى ان لا يؤخر دفع أموالهم  
 اليهم عن حد البلوغ ان  
 أونس منهم الرشد وان  
 يؤتوها قبل ان يزول  
 عنهم اسم اليتامى والصغار  
 (أن الله كان عليكم رقيباً) حفيظاً  
 يسألكم عما أمركم من الطاعة  
 وصلة الارحام ( وآتوا  
 اليتامى) اعطوا اليتامى  
 (أموالهم) التي عندكم بعد

(ولا تبدلوا الخيث بالطيب) ﴿٥﴾ ولا تستبدلوا الحرام {سورة النساء} وهو مال اليتامى بالحلال

وهو مالكم أو لا تستبدلوا  
الامر الخيث وهو اختزال  
أموال اليتامى بالامر الطيب  
وهو حفظها والتورع  
عنها والتفعل بمعنى الاستفعال  
غير عزيز ومنه التجمل  
بمعنى الاستجمال (ولأن كلوا  
أموالهم الى أموالكم) الى  
متعلقة بمحذوف وهو في

موضع الحال أى مضافة  
الى أموالكم والمعنى ولا  
تضموها اليها فى الانفاق  
حتى لا تفرقوا بين أموالكم  
وأموالهم قلة مبالاة بما  
لا يحل لكم وتسوية بينه  
وبين الحلال (انه) ان  
أكلها (كان حوبا كبيرا)  
ذنبا عظيما (وان خفتم  
ألا تقسطوا) أى لا تعدلوا  
أقسط أى عدل (فى اليتامى)  
يقال للاناث اليتامى كما يقال  
للكور وهو جمع يتيمة  
ويتم وأما أيتام فجمع

الرشد والبلاغ (ولا تبدلوا  
الخيث بالطيب) يعنى  
لأن كلوا أموالهم الحرام  
وتتركوا أموالكم الحلال  
(ولأن كلوا أموالهم الى  
أموالكم) أى مع أموالكم  
بالخلط (أه كان) يعنى أكل  
مال اليتيم ظلما (حوبا كبيرا)  
ذنبا عظيما عند الله بالعقوبة  
نزلت فى رجل من غطفان  
كان عنده مال كثير لابن  
أخ له يتيم فلما نزلت هذه

الكبير ﴿٥﴾ ولا تبدلوا الخيث بالطيب ﴿٥﴾ ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال  
من أموالكم أو الأمر الخيث وهو اختزال أموالهم بالامر الطيب الذى هو حفظها  
وقيل ولأن أخذوا الرفع من أموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس  
يتبدل ﴿٥﴾ ولأن كلوا أموالهم الى أموالكم ﴿٥﴾ ولأن كلوها مضمومة الى أموالكم أى  
لا تنفقوها معا ولا تسوا بينهما وهذا حلال وذلك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله  
تعالى فليأكل بالمعروف ﴿٥﴾ لأنه ﴿٥﴾ الضمير للاكل ﴿٥﴾ كان حوبا كبيرا ﴿٥﴾ ذنبا عظيما ﴿٥﴾ وقرئ  
حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولوا قالا ﴿٥﴾ وأن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى

نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الصبي ماله أنفقه فى سبيل  
الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر وبقى الوزر فقالوا كيف ثبت الأجر  
وبقى الوزر قال ثبت الأجر للعالم وبقى الوزر على أبيه والخطاب فى قوله تعالى وآتوا اللواتى  
والأوصياء • واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذى مات أبوه واليتيم فى اللغة الانفراد  
ومنه الدرّة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد  
عن الآباء لكن فى العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي  
وصار يستغنى بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع  
عنه اسم اليتيم قال اذا أونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة  
أو اقرب عهدهم باليتيم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقبل المراد باليتامى الصغار الذين  
لم يبلغوا والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا  
اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح اذا المراد  
باليتامى البالغون لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد  
﴿٥﴾ ولا تبدلوا ﴿٥﴾ أى ولا تستبدلوا ﴿٥﴾ الخيث بالطيب ﴿٥﴾ يعنى الخيث الذى هو حرام  
عليكم بالحلال من أموالكم واختلفوا فى هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي  
والزهري والسدي كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه  
الردى فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها الهزيلة ويأخذ الدرهم  
الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فهو اعنه  
وقال عطاء هو الربح فى مال اليتيم وهو صغير لاعلمه بذلك وقيل انه ليس بابدال حقيقة  
وانما هو أخذه مستهلكا وذلك ان أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وانما  
كان يأخذ الميراث الاكبر من الرجال وقيل هو أكل مال اليتيم عوضا عن أكل  
أموالهم فهو اعن ذلك ﴿٥﴾ ولأن كلوا أموالهم الى أموالكم ﴿٥﴾ يعنى مع أموالكم وقيل  
معناه ولا تضموا أموالهم الى أموالكم فى الانفاق • واعلم ان الله تعالى نهى عن أكل مال  
اليتيم وأراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الأكل لانه معظم المقصود  
﴿٥﴾ أنه كان حوبا كبيرا ﴿٥﴾ يعنى ان أكل مال اليتيم من غير حق أثم عظيم والحوب  
الاثم ﴿٥﴾ قوله عز وجل ﴿٥﴾ وأن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى ﴿٥﴾ يعنى وان خفتم يا أولياء

الآية قالوا نزل اليتامى مخافة الائم فانزل الله (وأن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى) ان لا تعدلوا بين اليتامى فى حفظ الاموال فكذلك

يتم لا غير) فانكحوا ما طاب { الجزء الرابع } لكم ( ما حل ٦ ) لكم ( من النساء ) لان منهن ما حرم

الله كاللاقي في آية التحريم  
وقيل ما ذهابا الى الصفة  
لان ما يحى في صفات  
من يعقل فكانه قيل الطيبات  
من النساء ولان الاناث  
من العقلاء يجري مجرى  
غير العقلاء ومنه قوله تعالى  
أو ما ملكت أيمانكم قيل  
كانوا لا يتخرجون من الزنا  
ويتخرجون من ولاية  
اليتامى فقيل ان ختم  
الجور في حق اليتامى  
فخافوا الزنا فانكحوا  
ما حل لكم من النساء ولا  
تحوموا حول المحرمات  
أو كانوا يتخرجون من  
الولاية في أموال اليتامى  
ولا يتخرجون من الاستكثار  
من النساء مع ان الجور  
يقع بينهن اذا كثرن فكانه  
قيل اذا تخرجتم من هذا  
فتخرجوا من ذلك وقيل  
وان ختم أن لا تقسطوا  
في نكاح اليتامى فانكحوا  
من البالغات يقال طابت  
حافوا ان لا تعدلوا بين النساء  
في النفقة والقسمة وكانوا  
يتزوجون من النساء ماشاؤا  
تسعا أو عشرا وكان تحت  
قيس بن الحرث ثمان نسوة  
فنهاهم الله عن ذلك وحرم  
عليهم ما فوق الاربعة فقال  
( فانكحوا ما طاب لكم )

فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴿ أى ان ختم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا  
تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذا كان الرجل يحدية ذات  
مال وجمال فيتزوجها ضنبا فرعا يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن  
أو ان ختم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتخرجتم منها فخافوا أيضا ان لا تعدلوا بين  
النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتخرج من الذنب ينبغي ان يخرج  
الذنوب كلها على ما روى انه تعالى للماعظم أمر اليتامى تخرجوا من ولايتهم وما كانوا  
يتخرجون من تكثير النساء واضاعتن فزلت وقيل كانوا يتخرجون من ولاية اليتامى  
ولا يتخرجون من الزنا فقيل لهم ان ختم

اليتامى أن لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الفرائب (ق) عن عروة  
انه سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن قوله تعالى وأن ختم ألا تقسطوا في اليتامى  
فانكحوا ما طاب لكم من النساء الى قوله أو ما ملكت أيمانكم قالت يا ابن أخي هذه  
اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتقص صداقتها فهوا  
عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في أكل الصداق وأمرنا بشكاح من سواهن قالت  
عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأمر الله  
عز وجل ويستفتونك في النساء الى وترغبون أن تنكحوهن فيبين الله لهم في هذه الآية  
ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في أكل  
الصداق وان كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها واتمسوا غيرها من النساء  
قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذا رغبوا فيها إلا  
أن يقسطوا لها ويعطوها حقهما الا وفي من الصداق وقال الحسن كان الرجل من أهل  
المدينة تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهى  
لا تعجبه كراهية ان يدخل غرب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص بها الى  
أن تموت فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وأمر هذه الآية وقال عكرمة في روايته عن ابن  
عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء أو أكثر فاذا صار معدما من مؤن  
نساءه مال الى مال يتيمته التي في حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على أربع حتى لا يحوجكم الى  
أخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتخرجون عن أموال اليتامى ويتخصون في النساء فيتزوجون  
ماشوا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما أنزل الله تعالى في أموال اليتامى وآتوا اليتامى  
أموالهم أنزل هذه الآية وان ختم ألا تقسطوا في اليتامى يقول فكما ختم أن لا تقسطوا  
في اليتامى فكذلك خافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا يتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام  
بحقهن لان النساء في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك  
والسدى ثم رخص الله تعالى في نكاح أربع فقال تعالى ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾  
يعنى ما حل لكن من النساء واستدل الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا  
لان قوله فانكحوا أمر والامر للوجوب وأجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو

فتزوجوا ما أحل الله لكم ( من النساء )

الثمرة اى أدركت (مثنى

وثلاث ورباع) نكرات  
وانما منعت الصرف للعدل  
والوصف وعليه دل كلام  
سيبويه ومحلهن النصب  
على الحال من النساء أو مما  
طاب تقديره فانكحوا  
الطيبات لكم معدودات  
هذا العدد مثنى مثنى  
وثلاثا وثلاثا وأربعا أربعا  
فان قلت الذى أطلق للنكح  
في الجمع أن يجمع بين  
اثنين أو ثلاث أو أربع  
فما معنى التكرير في مثنى  
وثلاث ورباع قلت الخطاب  
للجميع فوجب التكرير  
ليصير كل نكح يريد  
الجمع ما أراد من العدد  
الذى أطلق له كما تقول  
للجماعة اقتسموا هذا المال  
وهو الف درهم درهمين  
درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة  
أربعة واو أفردت لم يكن له  
معنى وحى بالواو لتدل على  
تجويز الجمع بين الفرق ولو  
جى باو مكانها لذهب معنى  
التجويز (فأن خفتم ألا  
تعدلوا) بين هذه الاعداد  
(فواحدة) فالزموا أو

مثنى وثلاث ورباع) يقول  
واحدة واثنين او ثلاثا او اربعا  
لا يزداد على ذلك (فأن خفتم  
ألا تعدلوا) بين أربع نسوة  
في القسمة والنفقة (فواحدة)  
فتزوجوا امرأة واحدة

ان لاتعدلوا في أمر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهم بما ذهابا  
الى الصفة أو اجراء لهن مجرى غير العقلاء لتقصان عقلمن ونظيره أو ما ملكت  
أيمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لامزيدة اى وان خفتم ان تجوروا  
﴿ مثنى وثلاث ورباع ﴾ معدولة عن اعداد مكررة هى مثنى مثنى وثلاثا ثلاثا  
وأربعا أربعا وهى غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت  
اصولها لم تبين لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الضعيفة  
والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل نكح يريد  
الجمع ان ينكح ماشاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البكرة  
درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واو افردت كان المعنى تجوز الجمع بين هذه الاعداد دون  
التوزيع ولو ذكرت بأولذهب تجويز الاختلاف في العدد ﴿ فأن خفتم ألا تعدلوا ﴾  
بين هذه الاعداد أيضا ﴿ فواحدة ﴾ فاختروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ

بيان لما يحل من العدد في النكاح وتمسك الشافعى في بيان أن النكاح ليس بواجب بقوله  
ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح الى قوله ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم  
الآية فتحكم في هذه السورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب  
ولامندوب ﴿ وقوله عز وجل ﴾ مثنى وثلاث ورباع ﴿ معناه اثنين اثنين وثلاثا وثلاثا وأربعا  
أربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه امران العدل والوصف والواو بمعنى أو في هذا الفصل  
لانه لما كانت أو بمنزلة واو النسق جاز أن تكون الواو بمنزلة أو وقيل ان الواو أفادت انه  
يجوز لكل أحد أن يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنين  
فأنتان وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على أربع فأربع لانه يضم عددا وأجمت الامة على  
انه لا يجوز لاحد أن يزيد على أربع نسوة وان الزيادة على أربع من خصائص رسول الله  
صلى الله عليه وسلم التى لا يشاركه فيها أحد من الامة ويدل على ان الزيادة على أربع غير  
جائزة وانها حرام ماروى عن الحرث بن قيس أو قيس بن الحرث قال أسلمت وعندى  
ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن أربعا أخرجه  
أبو داود ﴿ عن ابن عمر أن غيلان بن سلمة الثقفى أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن  
معه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعا أخرجه الترمذى قال  
العلماء فيجوز للحر أن يجمع بين أربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد أن ينكح أكثر من  
امرأتين وهو قول أكثر العلماء لانه خطاب لمن ولى وملاك وذلك للحرار دون العبيد  
وقال مالك في إحدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد أن يتزوج بأربع نسوة واستدل  
بهذه الآية وأجاب الشافعى بأن هذه الآية مختصة بالاحرار ويدل عليه آخر الآية  
وهو قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم والعبد لا يملك شيأ فثبت  
بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد ﴿ قوله عز وجل ﴾ فأن خفتم ﴿ يعنى  
فان خشيتم وقيل فان علمتم ﴿ ألا تعدلوا ﴾ يعنى بين الأزواج الاربع ﴿ فواحدة ﴾



فاختاروا واحدة (أو { الجزء الرابع } ما ملكت  ٨  أيانكم ) سوى في اليسر بين الحرة الواحدة

بالرفع على انه فاعل محذوف أو خبر تقديره فتكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة أو ما ملكت أيانكم \* سوى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري خلفه مؤنهن وعدم وجوب القسم بينهما \* ذلك \* أي التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسري \* أدنى ألا تعولوا \* أقرب من أن لا تعولوا يقال عال الميزان إذا مال وعال الحاكم إذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم إذا ما نهم فعب عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعولوا من عال الرجل إذا كثرت عياله ولعل المراد بالعيال الأزواج وإن أريد الأولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع \* وآتوا النساء صدقاتهن \* مهورهن \* وقرى \* بفتح الصاد وسكون الدال على التحفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما

يعنى فانكحوا واحدة \* أو ما ملكت أيانكم \* يعنى وما ملكتكم من السراري لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن \* ذلك أدنى \* أى أقرب \* ألا تعولوا \* معناه أقرب من أن لا تعولوا الخذف لفظه من لدلالة الكلام عليه ومعنى أن لا تعولوا أى لا تعولوا ولا تجوروا وهو قول أكثر المفسرين لان أصل العول الميل يقال عال الميزان إذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرائض إذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك أدنى أن لا تضلوا وقال الشافعي رحمه الله تعالى معناه ان لا تكثر عيالكم وقد أنكر على الشافعي من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انا يقال من كثرة العيال أعال الرجل يعيل اعالة إذا كثرت عياله قال وهذا من خطأ الشافعي لانه انفرد به ولم يوافق عليه أحد وانما قال هذه المقالة من أنكر على الشافعي وخطأه من غير علمه بلغة العرب فقد روى الأزهرى في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم في قوله ألا تعولوا أى لا تكثر عيالكم وروى الأزهرى عن الكسائي قال عال الرجل إذا افتقر وأعال إذا كثرت عياله قال ومن العرب الفحشاء من تقول عال يعول إذا كثرت عياله قال الأزهرى وهذا يقوى قول الشافعي لان الكسائي لا يحكى عن العرب إلا ما حفظه و ضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لانه عربى فصيح والذي اعترض عليه وخطأه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري أن يعجل الى انكار ما لا يحفظه من لغات العرب هذا آخر كلام الأزهرى وبسط الامام فخر الدين الرازى في هذا الموضوع من تفسيره ورد على أبى بكر الرازى ثم قال الطعن لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوى عن أبى حاتم قال كان الشافعى أعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال هى لغة حير وقرأ طلحة بن مصرف ألا تعولوا بضم التاء وهو حجة للشافعى \* وآتوا النساء صدقاتهن \* قال الكلبى وجاعة هذا خطاب للأولياء قال أبو صالح كان الرجل إذا زوج أيمه أخذ صدقاتها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل ان ولى المرأة كان اذا زوجها فان كانت معهم فى العشيرة لم يعطها من مهرها لا قليلا

وبين الاماء من غير حصر (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى (أدنى ألا تعولوا) أقرب من أن لا تعولوا ولا تجوروا يقال عال الميزان عولا إذا مال وعال الحاكم فى حكمه اذا جار ويحكى عن الشافعى رحمه الله انه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم واعترضوا عليه بانه يقال أعال يعيل اذا كثرت عياله وأجيب بان يحل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك ما نهم يعونهم اذا أنفق عليهم لان من كثرت عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام مثله من أعلام العلم حقيق بالحل على السداد وان لا يظن به تحريف تعولوا الى تعولوا كانه سلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (وآتوا النساء صدقاتهن)

حرة (أو ما ملكت أيانكم) من الاماء لا قسمه لهن عليكم ولا عدة لكم عليهن (ذلك) تزويج الواحدة (أدنى) أخرى (ألا تعولوا) ان لا تعولوا ولا تجوروا بين أربع من النساء فى القسمة والنفقة (وآتوا) اعطوا (النساء صدقاتهن)

(ولا)

مهورهن (نحلة) من نحلها كذا اذا أعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لان النحلة والاياء بمعنى الاعطاء فكأنه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى أعطوهن مهرهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى ﴿٩﴾ النفوس بالاعطاء أو {سورة النساء} من الصدقات أى منحولة

معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملمة وفلان يتحل كذا أى يدين به يعنى وآتوهن مهرهن ديانة على انها مقول لها والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهر بناتهم (فأن طبن لكم) الازواج (عن شئ منه) أى من الصداق اذ هو فى معنى الصدقات (نفسا) تميزو توحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصدقات وتجاقت عنه نفوسهن طيبات غير مخبئات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا ولم يقل فان وهبن لكم أعلاما بان المراعى هو تجاقت نفسها عن الموهوب طيبة (فكلوه) الهاء يعود على شئ (هنيئا) لاثم فيه (مرثيا) لاذاء

على التوحيد وهو تقييد صدقة كظلمة فى ظلمة ﴿نحلة﴾ أى عطية يقال نحلة كذا نحلة ونحلا اذا أعطاه آياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها فى معنى الاياء أو الحال من الواو او الصدقات أى آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة وقيل المعنى نحلة من الله سبحانه وتعالى وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم اتحل فلان كذا اذا دان به على أنه مفعول له أو حال من الصدقات أى دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهر مولاتهم ﴿فأن طبن لكم عن شئ منه نفسا﴾ الضمير للصدقات جلا على المعنى أو مجرى مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة كأنه فى الجلد توليع البهق

اذ سئل فقال اردت كأن ذلك وقيل الاياء ونفسا تميز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعدها بعن لتضمين معنى التجاقت والتجاوز وقال منه بعثالهن على تقليل الموهوب ﴿فكلوه﴾ هنيئا مرثيا ﴿فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة

ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا جلوها اليه على بعير ولا يعطها من مهرها غير ذلك فهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يدفعوا الحق الى أهله وقال الحضرمي كان أولياء النساء يعطى هذا أخته على أن يعطيه الآخر أخته ولا مهر بينهما وهذا هو الشعار فهاهم الله عن ذلك وأمرهم بتسمية المهر فى العقد (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار فى العقد والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا أصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج أمرهم الله تعالى باتيان نسائهم الصداق والصدقات المهور واحدا صدقة يفتح الصاد وضم الدال ﴿نحلة﴾ أى فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة يعنى عن طيب نفس وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهى أخص من الهبة وسمى الصداق نحلة من حيث انه لا يجب فى مقابلته غير التمتع دون عوض مالى (ق) عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط ان توفوا بها ما استحلتم به الفروج ﴿فأن طبن لكم﴾ أى النساء المتزوجات ﴿لكن﴾ يعنى للازواج ﴿عن شئ منه﴾ يعنى من الصداق ومن ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صداقها جاز ﴿نفسا﴾ نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شئ من ذلك الصداق المعين فوهبن ذلك لكم فقل الفعل من النفوس الى أصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع ﴿فكلوه﴾ يعنى ما وهبته لكم ﴿هنيئا مرثيا﴾ يعنى طيبا سائفا وقيل الهنىء الطيب المساغ الذى

مهورهن (نحلة) هبة لهن من الله فريضة (قا وخا ٢ نى) عليكم (فأن طبن لكم عن شئ منه) فان أحلن لكم من المهر شيئا (نفسا) بطيبة النفس (فكلوه هنيئا) بلائهم (مرثيا) بالامامة وكانوا

فيه فسرهما النبي عليه السلام أو هنيئاً في الدنيا بلامطالبة حريئاً في العقبى بالاتبعة وهما صفتان من هنيئاً الطعام وحريئاً إذا كان سائغاً لاتغنيص فيه وهما وصف مصدر أى أكلا هنيئاً حريئاً أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنيئاً حريئاً وهذه عبارة عن المبالغة في الإباحة { الجزء الرابع } وازالة التبعة ﴿ ١٠ ﴾ هنيئاً حريئاً بغير همز يزيد وكذا حزة في الوقف

والهنيئ والمريئ صفتان من هنيئاً الطعام ومريئاً إذا ساغ من غير غص أقيمتا مقام مصدر بهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيئ ما يئله الإنسان والمريئ ما تحمد عاقبته روى أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما ساق إليها فنزلت ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴾ نهى للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها وإنما أضاف الأموال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملامم للآيات المقدمة والتأخرة وقيل نهى لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله تعالى من المال فيعطى امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم وإنما سماهم سفهاء استخفافاً بعقلهم واستهجاناً لجملهم قواماً على أنفسهم وهو أوفق لقوله ﴿ التي جعل الله لكم قياماً ﴾ أى تقومون بها وتتعتشون وعلى الأول يأول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياماً وسمى ما به القيام قياماً للمبالغة وقرئ قياماً بمعنى عيادو قواماً وهو

لا ينفصه شيء والمريئ الحمود العاقبة وفي الآية دليل على إباحة هبة المرأة صداقها وإنما تملكه ولا حق للولي فيه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ﴿ اختلفوا في هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال أن يؤتوا النساء أموالهم سواء كن أزواجاً أو بنات أو أمهات وقيل هم الأولاد خاصة يقول لاتعط ولدك السفهه مالك الذى هو قيامك فيفسده عليك وقيل امرأك وابنتك السفهه قال ابن عباس لاتعمد إلى مالك الذى خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيها امرأتك وابنتك فيكونوا هم الذى يقومون عليك ثم تنظر إلى ما بين أيديهم أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذى تنفق عليهم في رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبي إذا علم الرجل أن امرأته سفهية مفسدة وان ولده سفهه مفسد لا يئبني له أن يسلط واحداً منهما على ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لاتؤته أياً وأنفق عليه منه حتى يبالغ وإنما أضاف المال إلى الأولياء لأنهم قوامها ومدبروها وأصل السفه الخفة واستعمل في خفة النفس لقصان العقل في الأمور الدنيوية والدينية والسفه المستحق الحجر هو الذى يكون مبذراً في ماله ومفسداً في دينه فلا يجوز لوليه أن يدفع إليه ماله وقيل إن السفه المذكور في هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء وإنما سماوا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعنى الجهال بموضع الحق أموالكم ﴿ التي جعل الله لكم قياماً ﴾ يعنى قوام معاشكم بقول المال هو قوام الناس وقوام معاشهم كن أنت قيم أهلك أنفق عليهم ولا تؤت مالك امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سبباً للقيام بالمعاش سمي به اطلاقاً اسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به قيام الحج والجهاد وأعمال

وهمزهما الباقون وعن علي رضي الله عنه إذا اشتكى أحدكم شيئاً فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليستربها عسلاً فليشربه بماء السماء فيجمع الله له هنيئاً وحريئاً وشفاء ومباركاً ( ولا تؤتوا السفهاء ) المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا يئبني ولا قدرة لهم على إصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء وأضاف إلى الأولياء أموال السفهاء بقوله ( أموالكم ) لأنهم يملونها ويمسكونها ( التي جعل الله لكم قياماً ) أى قواماً لأبدانكم ومعاشاً لاهلكم وأولادكم قياماً يعنى قياماً نافع وشامى كما جاء عوداً بمعنى عياداً وأصل قيام قواماً فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج إلى الناس وعن سفيان وكان له بضاعة يقبلها لولاها لتمدلى بي

يتزوجون بلامهر ( ولا تؤتوا السفهاء ) لاتعطوا الجهال بموضع الحق من النساء والأولاد ( أموالكم ) ( البر ) التي جعل الله لكم قياماً

بنو العباس (وارزقوهم فيها) واجعلوها ﴿١١﴾ مكان الرزقهم بان تجروا {ورة لنساء} فيها وترجوا حتى تكون نفقتهم

من الارباح لان صلب المال فيا كلها الانفاق (واكسومهم وقولوا لهم قولا معروف) قال ابن جريح عدة جيلة ان صلحتم ورشدتم سلنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما انكرته لفقده فهو منكر (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفةهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاع عندنا ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى تبين حاله فيما يحيى منه وفيه دليل على جواز اذن الصبي العاقل في التجارة (حتى اذا بلغوا النكاح) أي الحلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد (فان أنستم منهم) تبينتم (رشدا) هداية في التصرفات وصلاحا

معاشا (وارزقوهم فيها) اطعموهم فيها (واكسومهم) وكونوا اتم القوام على ذلك فانكم أعلم منهم في النفقة والصدقة بموضع الحق (وقولوا لهم) ان لم يكن لكم شيء (قولا معروف) عدة حسنة أي أكسو وسأعطى (وابتلوا اليتامى)

ما يقام به ﴿١١﴾ وارزقوهم فيها واكسومهم ﴿١١﴾ واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تجروا فيها وتحصلوا من نفقتها ما يحتاجون اليه ﴿١١﴾ وقولوا لهم قولا معروفًا ﴿١١﴾ عدة جيلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ما انكره أحدهما لقبه ﴿١١﴾ وابتلوا اليتامى ﴿١١﴾ اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان بكل اليه مقدمات العدة وعند أبي حنيفة رجه الله تعالى بان يدفع اليه ما يتصرف فيه ﴿١١﴾ حتى اذا بلغوا النكاح ﴿١١﴾ حتى اذا بلغوا احد البلوغ بان يحتمل أو يستكمل خمسة عشر سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل الولد خمس عشرة سنة كتب ماله وماعليه واقامت عليه الحدود وثماني عشرة عند أبي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده ﴿١١﴾ فان أنستم منهم رشدا ﴿١١﴾ فان ابصرتم منهم رشدا

البر وفكك الرقاب من النار ﴿١١﴾ وارزقوهم فيها ﴿١١﴾ أي اطعموهم ﴿١١﴾ واكسومهم ﴿١١﴾ يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته لما نهى الله عن ابتاء المال للسفيه أمر ان يجرى رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لانه أراد اجعلوا لهم فيها رزقا ورزق من الله تعالى هو العظيمة من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق من العباد هو الاجر الموظف المعلوم وقت معلوم محدود ﴿١١﴾ وقولوا لهم قولا معروفًا ﴿١١﴾ يعني قولا جيلا لان القول الجليل يؤثر في القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جيلة من البر والصلة قال عطاء يقول اذا ربحت أعطيتك وان غممت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعاء أي ادعوا لهم قل ابن زيد ان لم يكن ممن تحب عليك نفقته فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به أنفسهم وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وانا أمين عليه فاذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علوهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم أمر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل ﴿١١﴾ قوله عز وجل ﴿١١﴾ وابتلوا اليتامى ﴿١١﴾ الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنة ثابتا وهو صغير فجاه عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن أخي يتيم في جري فيحمل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله تعالى هذه الآية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في عقولهم وأديانهم وحقوق أموالهم ﴿١١﴾ حتى اذا بلنوا النكاح ﴿١١﴾ أي مبلغ الرجال والنساء ﴿١١﴾ فان أنستم ﴿١١﴾ أي ابصرتم وعرفتم ﴿١١﴾ منهم رشدا ﴿١١﴾ يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلمًا بما يصلحه

### فصل في أحكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل المسئلة الاولى

الابتلاء يختلف باختلاف احوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشراء في الاسواق يدفع اليه شيأ يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لا يتصرف في الاسواق فيختبر بنفقته على اهله وعبيده وأجرائه وتصرفه في احوال داره وتختبر المرأة في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزائها واستغزائها فاذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الامور صرارا وغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله

اختبروا عقول اليتامى (حتى اذا بلغوا النكاح) الحلم (فان أنستم منهم) فان رأيتم منهم (رشدا) صلاحا في الدين وحفظا

وقرى أحستم بمعنى أحسستم ﴿ فادفعوا اليهم أموالهم ﴾ من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية أن الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتأوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم مالم يؤنس منهم الرشد وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهى مدة معتبرة في تغير الاحوال اذا الطفل يميز بعدها

وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد

### المسئلة الثانية

قال الامام ابو حنيفة رحمه الله تعالى تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولى صحيحة وقال الشافى رحمه الله تعالى هى غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لان قوله تعالى وابتأوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضى ان هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جمع تصرفاته فثبت ار قوله وابتأوا اليتامى أمر للاولياء بالاذن لهم في البيع والشراء قبل البلوغ أجاب الشافى بان قال ليس المراد بقوله وابتأوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فان أنستم منهم رشدا ﴿ فادفعوا اليهم أموالهم ﴾ وانما تدفع اليهم أموالهم بعد البلوغ وایناس الرشد مثبت بموجب هذه الآية أنه لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب أن لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستكشاف حاله في معرفة المصالح والمفاسد

### المسئلة الثالثة

في بيان البلوغ وذلك بأربعة أشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان بالنساء أما اللذان يشترك فيهما الرجال والنساء فأحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية ويدل عليه ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردنى ثم عرضت عليه عام الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى أخرجاه في الصحيحين وهذا قول أكثر أهل العلم وقال أبو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثمانى عشرة سنة والثانى الاحتلام وهو انزال المنى الدافق سواء أنزل باحتلام أو جاع فاذا وجد ذلك من الصبي أو الجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحيا ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا اما نبت الشعر الحسن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في أولاد المشركين لما روى عن عطية القرظى قال كنت من سبي قريظة فكانوا ينظرون فن أبى الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في أولاد المسلمين فيه قولان أحدهما انه يكون بلوغا كفى وأولاد المشركين والثانى لا يكون ذلك بلوغا في حق أولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليدهم أولاد المسلمين والرجوع الى قول آبائهم

في المعاملات ( فادفعوا اليهم أموالهم ) من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم هذا الكلام ان ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم أموالهم جعل غاية للابتلاء وهى حتى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله حتى ماء دجلة أشكال والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان أنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذى هو اذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتأوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وتكبير الرشد بتيدان المراد رشدا مخصوص وهو الرشد فى التصرف والتجارة أو يفيد التقليل أى طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لابي حنيفة رحمه الله فى دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة فى المال ( فادفعوا اليهم أموالهم )

﴿ولأنها كلوها أسرافا﴾

بخلاف الكفار فإنه لا يوقف على موالدهم ولا يقبل في ذلك قول آبائهم لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم وأما الذي يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لانها أقل مدة الحمل

### المسئلة الرابعة

في بيان الرشد وهو ان يكون مصليا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون محمداً دينوية ولا مثوبة أخروية أو لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشراء فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة اذا كان مصليا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسداً لدينه واذا كان لماله مفسداً لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غيرانه ينفذ تصرفه قبله والقرآن حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنتم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم أمر بدفع المال بعد البلوغ وائناس الرشد والفاسق لا يكون رشيداً وبعد بلوغه خسا وعشر سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب أن لا يجوز دفع المال اليه كاقبل بلوغ هذا السن

### المسئلة الخامسة

اذا بلغ الصبي أو الجارية وأونسى منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج أو لم يتزوج وقال مالك ان كانت امرأة لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر وتجرب

### المسئلة السادسة

اذا بلغ الصبي رشيدا زال عنه الحجر فلو عاد سفيا ينظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسداً في دينه فعلى وجهين أحدهما ان يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني ان لا يحجر عليه لان حكم الدوام أقوى من حكم الابتداء وعند أبي حنيفة لا حجر على الحر العاقل البالغ بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ماروى عن هشام بن عمرو عن أبي عبد الله بن جعفر ابتاع أرضا سبعة بستين ألف درهم فقال على لآتين عثمان ولا حجرن عليك فأتى ابن جعفر الزبير فأعلمه بذلك فقال الزبير أنا شريكك في بيعك فأتى على عثمان فقال اجمر على هذا فقال الزبير أنا شريكه فقال عثمان كيف أجمر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير لدفعه \* قوله عز وجل ﴿ولأنها كلوها أسرافا﴾ الخطاب للاولياء يعني يا عشرين الاولياء لانها كلوا أموال

( ولأنها كلوها أسرافا )

التي عندكم ( ولأنها كلوها أسرافا ) في المعصية

وبدارا أن يكبروا) ولأننا كانوا مسرفين ومبادرين كبرهم فاسرافا وبدارا مصدران في موضع الحال وان يكبروا في موضع المصدر منصوب الموضع { الجزء الرابع } بدارا ويجوز ﴿١٤﴾ ان يكونا مفعولا لهما أى لاسرافكم ومبادرتكم

وبدارا أن يكبروا ﴿١﴾ مسرفين ومبادرين كبرهم أو لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ﴿٢﴾ ومن كان غنيا فليستعفف ﴿٣﴾ من أكلها ﴿٤﴾ ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ﴿٥﴾ بقدر حاجته وأجره وسعيه ولفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه الصلاة والسلام أن رجلا قال له ان في حجرى يتيماً فأأكل من ماله قال كل بالمعروف غير متأثر مالا ولا واق مالك بماله وياراد هذا التقسيم بعد قوله ولأننا كانوا يدل على انه نهى الاولياء ان يأخذوا وينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى ﴿٦﴾ فإذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم ﴿٧﴾

اليتامى بغير حق ﴿٨﴾ وبدارا أن يكبروا ﴿٩﴾ يعنى لا تبادروا كبرهم ورشدهم ففقرطوا في انفاقها وتقولون ننفق كأنه شئ قبل أن يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ﴿١٠﴾ ثم بين تعالى حال الاولياء وقسمهم قديمين فقال تعالى ﴿١١﴾ ومن كان غنيا فليستعفف ﴿١٢﴾ أى فليمتنع من أكل مال اليتيم ولا يرزؤه قليلا ولا كثيرا ﴿١٣﴾ ومن كان فقيرا ﴿١٤﴾ يعنى محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه ﴿١٥﴾ فليأكل بالمعروف ﴿١٦﴾ روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى فقير وليس لى شئ ولى يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر ولا متأثر. واختلف العلماء في حكم هذه الآية فروى عن عمر وابن عباس وابن جبير وأبي العالية وعبيدة السلماني وأبي وائل ومجاهد ومقاتل انه يأخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا أيسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض أى يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه فاذا أيسر قضاء وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب انى أنزلت نفسى من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعفت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت وقال قوم لاضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما يأكله كالأجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا يأكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الأكل من مال اليتيم اختلفوا في قوله فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة يأكل باطراف أصابعه ولا يسرف ولا يكتسى منه ولا يلبس الكتان ولا الحال لكن يأكل ما يسد به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن يأكل من تمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فاما الذهب والفضة فلا يأخذ منه شيئا فان أخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له أن يأكل من ماله شيئا وروى أن رجلا قال لابن عباس انى يتيموان له ما بلا فأشرب من لبن أبله فقال ابن عباس رضى الله عنهما ان كنت تبغى ضالة أبله وتهنأ جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فأشرب غير مضر نسل ولأنهاك في الحلب وقال قوم المعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجاعة من أهل العلم ﴿١٧﴾ قوله عز وجل ﴿١٨﴾ فإذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم ﴿١٩﴾

كبرهم ففقرطوا في انفاقها وتقولون ننفق فيما نشئ قبل أن يكبر اليتامى فيتنزعوها من أيدينا (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) قسم الامر بين ان يكون الوصى غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغنى يستعفف من أكلها أى يحترز من أكل مال اليتيم واستعفف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا فى أكله عن ابراهيم ماسد الجوعه ووارى العورة (فإذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم)

حراما (وبدارا) مبادرة كبر اليتيم الى أكلها الاول فالاول (أن يكبروا) مخافة أن يكبروا فيمنعوكم عن ذلك (ومن كان غنيا) عن مال اليتيم (فليستعفف) بغناء عن مال اليتيم ولا يرزأى لا ينقص منه شيئا (ومن كان فقيرا) محتاجا (فليأكل) من الذى له (بالمعروف) بالتقدير لكى لا يحتاج الى مال اليتيم ويقال فليأكل بالمعروف بقدر ما يعمل فى مال اليتيم ويقال فليأكل

بالمعروف بالقرض ليرد عليه (فإذا دفعتم اليهم أموالهم) بعد الرشد والبلوغ (فاشهدوا عليهم) (هذا)

بأنهم تسلموها وقبضوها دفما للجهاد وتقاديا عن توجه اليهين عليكم عند التخاصم والتناكر (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فليكم بالتصادق واياكم والتكاذب أو هو راجع الى قوله فليأكل بالمعروف أي ولا يسرف فان الله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفي لفظة الله والباء زائدة وكفي بتعدى الى مفعولين دليله فيسيفيكم الله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) ﴿١٥﴾ هم المتوارثون {سورة النساء} من ذوى القربات دون

غيرهم (مما قل منه أو أكثر) بدل مما ترك بتكرير العامل والضمير في منه يعود الى ماترك (نصيبا) نصب على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا (مفروضا) مقطوعا لا بداهم من أن يحوزوه روى أن أوس بن ثابت ترك أمه أم حكة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الامن طاعن بالرمح وحاز الغنيمة فجاءت أم حكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فزلت الآية فبعث اليهما لانفرقا من مال أوس شيئا فان الله تعالى قد جعل

عند الدفع (وكفى بالله حسيبا) شهيدا نزلت في ثابت ابن رفاعة الانصارى ثم ذكر نصيب الرجال والنساء من الميراث لانهم كانوا لا يعطون النساء

بأنهم قبضوها فانه انفي للتممة وأبعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الابالينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ محاسبا فلا تغالوا ما أمرتم به ولا تتجاوزوا ما حد لكم ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون﴾ يريد بهم المتوارثين بالقربة ﴿مما قل منه أو أكثر﴾ بدل مما ترك باعاد العامل ﴿نصيبا مفروضا﴾ نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله أوحال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيب أو على الاختصاص بمعنى أعنى نصيبا مقطوعا واجبالهم وفيه

هذا أمر ارشاد وليس بواجب أمر الله تعالى الولي بالشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان أبعد من أن يدعى عدم القبض وتظهر بذلك أمانة الوصي وتسقط عنه اليهين عند انكار اليتيم القبض ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ يعنى محاسبا ومجازيا وشاهدا به ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون﴾ نزلت هذه الآية في أوس بن ثابت الانصارى توفى وترك امرأته ويقال لها أم حكة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابناع الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فأخذنا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا من ماله وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الارث الامن قائل وحاز الغنيمة وحسى الحوزة فجاءت أم حكة امرأة أوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيانى ولا بناته منه شيئا وهن في حجرى ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركب فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكبن عدوا فانزل الله هذه الآية وبين ان الارث ليس مختصا بالرجال بل هو أمر يشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعنى الذكور من أولاد الميت وعصبته نصيب أى حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعنى من الميراث ﴿ولللنساء نصيب﴾ يعنى وللانات من أولاد الميت حظ ﴿مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو أكثر﴾ يعنى من المال المخلف عن الميت ﴿نصيبا مفروضا﴾ يعنى معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو أكد من الواجب فلما نزلت هذه الآية بجملة ولم يبين كم هو النصيب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لانفرقا من المال شيئا فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى أنظر ما ينزل

والصبيان من الميراث شيئا فقال (للرجال نصيب) حظ (مما ترك الوالدان والاقربون) في الرجم (ولللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون) في الرجم (مما قل منه أو أكثر) يقول ان كان الميراث قليلا أو كثيرا (نصيبا مفروضا) حظا معلوما قليلا كان أو كثيرا ولم يبين كم هو ثم بين بعد ذلك نزلت في أم حكة وبناتها كان لهن عم لا يعطيهن شيئا



دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه\* روى أن اوس بن صامت الانصارى رضى الله عنه خلف زوجته أم حكة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفة أوقادة وعرفجة وعرفثة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت أم حكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجى حتى أنظر ما يحدث الله سبحانه وتعالى فنزلت فبعث اليه مالاً تقرباً من مال أوس شيئاً فان الله قد جعل لهن نصيباً ولم يبين حتى تبين فنزل بوصيكم الله فأعطى أم حكة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تأخر البيان عن وقت الخطاب\* وأذا حضر القسمة أولوا القربى\* ممن لا يرث\* واليتامى والمساكين فازرقوهم منه\* فأعطوهم شيئاً من المقسوم تطيباً لقلوبهم وتصديقاً عليهم وهو أمر نذوب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسجه والضمير

فيهين فأزل الله تعالى بوصيكم الله في أولادكم الآية فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادعوا الى أم حكة الثمن بما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقى المال\* قوله عز وجل\* وأذا حضر القسمة\* يعنى قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين\* أولوا القربى\* يعنى القرابة الذين لا يرثون\* واليتامى والمساكين\* انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم\* فازرقوهم منه\* أى فارضحوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة بآية الموارث وهذا قبل نزول آية الموارث فلما نزلت آية الموارث جعلت لاهلها ونسخت هذه الآية وهى رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقادة وقال قوم هى محكمة غير منسوخة وهى الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول أبى موسى الأشعري والحسن وأبى العالية والشعبي وعطاء بن أبى رباح وسعيد ابن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف العلماء بعد القول بانها محكمة هل هذا الامر امر وجوب أو نذوب على قولين أحدهما انه واجب فتميل ان كان الوارث كبيراً وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيئاً من المال بقدر تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيراً وجب على الوالى ان يعتذر اليهم ويقول أنى لا أملك هذا المال وهو لهؤلاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كباراً رضخوا لهم وان كان الورثة صغاراً اعتذر اليهم فيقول الوالى أوالوصى انى لا املك هذا المال وانما هو للصغار واو كان لى منه شئ لأعطيكم وان يكبروا فسيعرفوا حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم هذا حق واجب فى مال الصغار والكبار فان كان الورثة كباراً تولوا اعطاءهم بانفسهم وان كانوا صغاراً أعطى وليهم وروى محمد بن سيرين أن عبيدة السلماني قسم أموال أيتام فأمر بشاة فذبحت وصنعت طعاماً لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى وقال الحسن والنخعي هذا الرضخ مختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما أشبه ذلك فقولوا لهم قولاً معروفًا وقيل كانوا يعطون التابوت والاوانى ورث الثياب والمتاع الذى يستعمل من قسمة القول

لهن نصيباً ولم يبين حتى يبين فنزلت بوصيكم الله فأعطى أم حكة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم (وأذا حضر القسمة) أى قسمة التركة (أولوا القربى) ممن لا يرث (واليتامى والمساكين) من الاجانب (فازرقوهم) فأعطوهم (منه) مما ترك الوالدان والاقربون وهو أمر نذوب وهو باق لم ينسخ وقيل كان واجبا في الابتداء ثم نسخ (وأذا حضر القسمة) عند قسمة الميراث (أولوا القربى) قرابة الميت الذى ليس يوارث (واليتامى) يتامى المؤمنين قبل القسمة (والمساكين) مساكين المؤمنين (فازرقوهم) منه (أعطوهم) من الميراث شيئاً قبل القسمة

بآية الميراث (وقولوا لهم  
قولا معروفا) عذرا جيلا  
وعدة حسنة وقيل القول  
المعروف ان يقولوا لهم  
خذوا بارك الله عليكم  
ويستقلوا ما أعطوهم ولا  
يئمنا عليهم (وليخش الذين  
لوتركوا من خلفهم ذرية  
ضعافا خافوا عليهم

(وقولوا لهم) ان لم يكن  
الوارث بالغا (قولا معروفا)  
عدة حسنة أى سأوصيه  
حق يعطيك شيأ (وليخش  
الذين) يحضرون المريض  
ويأمرون أن يوصى أكثر  
من الثلث على أولاد المريض  
الضيعة بعد موته (لوتركوا  
من خلفهم) بعد موتهم  
(ذرية ضعافا) عجزة  
عن الحيلة (خافوا عليهم)  
الضيعة وكذلك خافوا  
على أولاد الميت ويقال  
مرالميت ما كنت أمرا  
النفسك وتخش على ضيعة  
أودلام كما تخشى على  
ضيعة أولادك وكانوا  
يحضرون المريض  
ويتقولون له أعط مالك لفلان  
وفلان حتى يستغرق ماله  
كله ولا يترك لأولاده شيأ  
فنهاهم الله عن ذلك ثم قال

لمترك أو مادل عليه القسمة ﴿وقولوا لهم قولا معروفا﴾ وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يئمنا عليهم ﴿وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم﴾ أمر بالوصية بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في أمر اليتامى فيقبلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذرايرهم الضعاف بمدوقاتهم وللحاضرين المريض عند الايضاء بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه ان يضربهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمسكين متصورين انهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبمث على الترجم وان

الثانى ان هذا الامر ندب واستحب لاعلى سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذى عليه العمل اليوم واحتجوا لهذا القول بأنه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علما ان ذلك غير واجب وقيل فى معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمسكين أمر الله الوصى أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقوله ﴿وقولوا لهم قولا معروفا﴾ هو أن لا يتبع العطية بل من والاذى ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذرية ضعافا﴾ يعنى أولادا صغارا ﴿خافوا عليهم﴾ يعنى الفقير قيل هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان أولادك وورثتك لا يغنون عنك شيأ قدم لنفسك اعتق وتصدق وأعط فلا يزالون به حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بان يأمره بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث فى وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء أولادكم فى الضعف والجوع من غير مال فآخشوا الله ولا تحملوا المريض على أن يحرم أولاده الصغار من ماله وحاصل هذا الكلام كما أنك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لآخيك المسلم وكانه لو كان هذا القائل هو الموصى لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد أن يوصى بشئ فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك أموالك لولدك فيمنونه من الوصية لأقاربه المحتاجين وقيل الآية يحتمل أن تكون خطابا لمن حضر أجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لثلاثى ورثته فقراء ضعافا ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الآية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها ان لا يجعل الوصية مستفرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد منها أن يوصى بالثلث أو باقل منه اذا خاف على ورثته كما روى عن كثير من الصحابة

فليتقوا الله وليقولوا قولا {الجزء الرابع} سديدا المراد بهم ﴿١٨﴾ الاوصياء امروا بان يخشوا الله ويحافظوا على

يجب لا اولاد غيره ما يحب لا اولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده ﴿فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾ أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للمبتدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم أمرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لا اولادهم بالشفقة وحسن الادب أو للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة أو لحاضري القسمة عذرا جيلا ووعدا حسنا أو ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ﴿أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما﴾ ظالمين أو على وجه الظلم ﴿انما يأكلون في بطونهم﴾ ملء بطونهم ﴿نارا﴾ ما يجير الى النار ويؤهل اليها وعن أبي بردة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا فقليل من هم فقال ألم تر

انهم أوصوا بالقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس في الوصية أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث كثير لان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس يعني يسألونهم بأكفهم وقيل هو خطاب لاولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد موته ان يضع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره اذا كان في حجره والمقصود من الآية من كان في حجره يتيم فليحسن اليه وليه أو وصيه ليفعل به ما يجب أن يفعل بأولاده من بعده ﴿فليتقوا الله﴾ يعني في الامر الذي تقدم ذكره ﴿وليقولوا قولا سديدا﴾ يعني عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين عند المريض هو أن يأمره ان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وان لا يحيف في وصيته والقول السديد من الاوصياء وأولياء اليتامى ان يكلموهم كما يكلمون اولاده ولا يؤذوهم بقول ولا فعل ﴿قوله عز وجل﴾ أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ﴿قال مقاتل وابن حبان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولى مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فأنزل الله هذه الآية ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يعني حراما بغير حق ﴿انما يأكلون في بطونهم نارا﴾ يعني سيأكلون يوم القيامة فسمى الذي يأكلون نارا بما يؤهل اليه أمرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأذنيه وعينه وأنفه يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم وفي حديث أبي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وقيل انما ذكر أكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان أكل مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر أنواع الاتلافات وجمع التصرفات الرديئة المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فبعض جميع ذلك بالاكل لانه

من في مجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وأن يقدروا ذلك في أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع ما في حيزه صلة للذين أي وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بدمهم لذهاب كافلهم وجواب لو خافوا والقول السديد من الاوصياء ان يكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بباني واولادى (أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) ظالمين فهو مصدر في موضع الحال (انما يأكلون في بطونهم) ملء بطونهم (نارا) أي يأكلون ما يجير الى النار فكأنه نار روى انه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأذنيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال (فليتقوا الله) فليخشوا الله فيما يأمرونه فوق الثلث (وليقولوا) للمريض (قولا سديدا) عدلا في الوصية (أن الذين يأكلون أموال

اليتامى ظلما) غضبا (انما يأكلون في بطونهم نارا) يعني حراما ويقال يحمل في بطونهم نارا يوم القيامة (معظم)

اليتيم في الدنيا (وسيعلون) شامى وأبو بكر ﴿١٩﴾ أى سيدخلون {سورة النساء} (سعيوا) نارا من النيران

مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد اليكم ويأمركم (في أولادكم) في شأن ميراثهم وهذا أجل تفصيله (للكم مثل حظ الاثنتين) أى للذكر منهم أى من أولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبنياً بحظ الذكر ولم يقل للاثنتين مثل حظ الذكر أو للاتى نصف حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يجرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به والمراد حال الاجتماع أى اذا اجتمع الذكر والاثنيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين وأما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنات تأخذان الثلثين والدليل عليه أنه اتبعه حكم الانفراد بقوله

(وسيعلون سعيوا) نارا وقودا في الآخرة نزلت في حنظلة بن شمر دل ثم بين نصيب الذكر والاتى

ان الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم نارا ﴿وسيعلون سعيوا﴾ سيدخلون نارا وأى نارا \* وقرأ ابن عاصم وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرأ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصلته شويته وأصلته وصلته ألقته فيها والسعي قيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا ألهمتها ﴿يوصيكم الله﴾ يأمركم ويعهد اليكم ﴿في أولادكم﴾ في شأن ميراثهم وهو أجل تفصيله ﴿للكم مثل حظ الاثنتين﴾ أى يهد كل ذكر باثنتين حيث أجمع الصنفان فيضع نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضييف كاف للتفضيل فلا يجرمن بالكلية فقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به

معظم المقصود وانما ذكر البطون للتأكيد فهو كقولك رأيت بعيني وسمعت بأذني ﴿وسيعلون سعيوا﴾ يعنى بالكلمة أموال اليتامى ظلماً والسعي النار الموقدة المسعرة ولما نزلت هذه الآية ثقل على الناس واحتزروا من مخالطة اليتامى وأموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تحالطوهم فأخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تحالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة في المنع من أكل أموال اليتامى ظلماً وهذا لا يصير منسوخا لان أكل مال اليتيم بغير حق من أعظم الآثام وقوله وان تحالطوهم فأخوانكم وارد على سبيل الاصلاح في أموال اليتامى والاحسان اليهم وهو أعظم القرب ﴿قوله عز وجل﴾ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الاثنتين ﴿اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فروى عن جابر قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودنى وأبو بكر وهما عشيان فوجدانى أغشى على فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه على فأققت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يارسول الله كيف أصنع في مالى كيف أقضى في مالى فلم يجبنى بشئ حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثنى الا كلاله فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفي رواية أخرى فنزلت يوصيكم الله في أولادكم وفي رواية أخرى فلم يرد على شئ حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم أخرجه البخارى ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في أم حنيفة امرأة أوس ابن ثابت وبناته وقال عطاء نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم أحد وترك بنتين وامرأة وأخا (ق) عن جابر رضى الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتها من سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله هاتان ابنتا سعد ابن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا ان عهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان الا ولهما مال قال يقضى الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عهما فقال اعطى بنتى سعد الثلثين واعطى أمهما الثلثين وما بقى فهو لك أخرجه الترمذى وقال السدى كان أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من أطاق القتال فمات عبدالرحمن أخو حسان =

في الميراث فقال (يوصيكم الله) بين الله لكم (في أولادكم) في ميراث أولادكم بعد موتكم (للكم مثل حظ الاثنتين) نصيب الاثنتين

الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاء الورثة وأخذوا ماله فشكت امرأته الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة تقدم فصولا تضمن أحكام الفرائض وأصول قواعدھا

### فصل في الحث على تعليم الفرائض

اعلم ان علم الفرائض من أعظم العلوم قدرا واشرفها ذكرا وأفضلها ذكرا وهي ركن من أركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بهصيلها وتكلموا في فروعها وأصولها ويكفي في فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها في كتابه مينة من محل قدسه وقد حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلّموا الناس فاني مقبوض أخرجه الترمذي وقال فيه اضطراب وأخرجه أحمد بن حنبل وزاد فيه فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة فلا يجد ان أحدا يخبرهما عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلّموها فانه نصف العلم وهو أول علم نسي وهو أول شيء ينزع من أمي أخرجه ابن ماجه والدارقطني

### فصل في بيان أحكام الفرائض

اذا مات الميت وله مال يبدأ بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم تنفذ وصاياه وما فضل بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سواء كان لاب وام اولاب اولام وابن الاخ للاب والام أو الاب وان سفل والعم للاب والام أو للاب وابناهما وان سفلوا والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وان سفلت والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة أصناف صنف يرت بالفرض المجرد وهم الزوجان البنات والاخوات والامهات والجدات وأولاد الام وصنف يرت بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف يرت بالتعصيب تارة وبالفرض أخرى وهما الاب والجد فيرت بالتعصيب اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث السدس بالفرض وأخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع المال اذا انفرد ويأخذ ما فضل عن أصحاب الفرائض

### فصل

وأسابب الارث ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو أن يرث أحد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء هو ان المعتق وعصباته يرثون المعتق والاسباب التي تمنع الميراث أربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم

(ولا)

— ولا المسلم يرث الكافر لما روى عن اسامة بن زيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم أخرجه في الصحيحين فأما الكفار فيرث بعضهم بعضهم اختلاف ملهم وأديانهم لأن الكفر كلمة واحدة وذهب بعضهم إلى أن اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث أيضا حتى لا يرث اليهودى من النصرانى ولا النصرانى من المجوسى وإلى هذا ذهب الزهرى والأوزاعى وأجد واسحق لما روى عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث بين أهل ملتين أخرجه الترمذى وقال حديث غريب عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا توارث أهل ملتين شتى أخرجه أبو داود وجه الآخرون على الإسلام والكفر لأن الكفر عندهم كلمة واحدة فتورث بعضهم من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الإرث لأن الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الإرث عمدا كان القتل أو خطأ لما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث أخرجه الترمذى وقال هذا حديث لا يصح والذي العمل عليه عند أهل العلم أن القاتل لا يرث سواء كان القتل عمدا أو خطأ وقال بعضهم إذا كان القتل خطأ فإنه يرث وهو قول مالك وعمى الموت وهو أن يخفى موت المتوارثين وذلك بأن غرقا أو انهدم عليهما بناء فلم يدبر أيهما سبق موته فلا يرث أحدهما الآخر بل يكون ارث كل واحد منهما لمن كانت حياته يقينا بعد موته من ورثته

### فصل

والسهم المحدودة في الفرائض المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثلث والثلاثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب أو بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الأخت الواحدة للاب والام وفرض الأخت الواحدة للاب إذا لم يكن ولد للاب وأم والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثلث فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا أو بنات الابن عند عدم بنات الصلب وفرض الأختين فصاعدا للاب والام أو للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام إذا لم يكن للبيت ولد ولا اثنان من الأخوة والأخوات إلا في مستلثين أحدهما زوج وأبوان والأخرى زوجة وأبوان فإن للام فيهما الثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة وفرض الأختين فصاعدا من أولاد الام ذكرهم وأنتاهم فيه سواء وفرض الجد مع الأخوة إذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث للجد خيرا من المقاسمة مع الأخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب إذا كان للبيت ولد وفرض الام إذا كان للبيت ولد أو ولدان أو اثنان من الأخوة والأخوات وفرض الجد إذا كان للبيت ولد مع الأخوة إذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس خيرا للجد من المقاسمة مع الأخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من أولاد الام ذكر كان أو أنثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض الأخوات للاب مع الأخت للاب والام تكملة الثلثين (ق) عن ابن عباس =

رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فابق  
فهو لاولى رجل ذكر (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان المال للولد  
والوصية للوالدين ففسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل  
للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج  
الشطر والربع اهـ

### فصل

روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهن ابن  
ذكرهم كذكرهم وأنثاهم كأنثاهم يرثون كإيرثون ويحببون كما يحببون ولا يرث  
ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكر كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقى لقوله  
صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض بأهلها فابق فهو لاولى رجل ذكر ففي هذا الحديث دليل  
على أن بعض الورثة يحجب البعض والحجب عجمان يجب نقصان ويجب حرمان أما الاول  
وهو يجب النقصان فهو أن الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة  
من الربع الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات  
يحببون الام من الثلث الى السدس وأما الثاني وهو يجب الحرمان فهو أن الام تسقط  
الجدات وأولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون بأربعة بالاب والجد وان علا وبالولد  
وولد الابن وأولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب  
والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زين بن ثابت وهو  
قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي وأحمد وأولاد  
الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالأخ للاب والام وذهب قوم الى أن الاخوة يسقطون  
جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول أبي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وأبي  
الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وأبو حنيفة والاقرب من العصابات  
يسقط الابعد منهم فأقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا  
فان كان مع الجد أحد من الاخوة والاخوات للاب والام أو للاب يشتركان في الميراث  
فان لم يكن جد فلاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم أقربهم سواء كان  
لاب وأم أولاب فان استويا في الدرجة فالذي هو لأب وأم أولى ثم العم لاب وأم  
ثم لاب ثم بنوهم على ترتيب بنى الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على الترتيب فان لم يكن  
أحد من عصابات النسب وعلى الميت ولاء فللميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلمعصبات المعتق  
وأربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب والام والاخ للاب  
فلومات عن ابن وبنت أو عن أخ وأخت لاب وأم أولاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ  
الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث  
ومن فوقه اذا لم يأخذ من الثلثين شيأ حتى لومات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان  
ولاشئ لبنت الابن فان كان في درجتها ابن ابن أو أسفل منها ابن ابن كان الباقي  
بينهما للذكر مثل حظ الانثيين والاخت للاب والام أولاب تكون مع البنت

(عصبة)

﴿فَأَنْ كُنْ نِسَاءً﴾ أى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فأنت الضمير باعتبار الخبر أو على تأويل المولدات ﴿فوق اثنتين﴾ خبر ثان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين ﴿فهن ثلثا مارك﴾ المتوفى منكم ويدل عليه المنى

عصبة حتى لومات عن بنت وأخت كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولومات عن بنتين وأخت كان للثنتين الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روى عن هذيل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال للابنة النصف وللأخت النصف وأت ابن مسعود فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت وما أنا من المهتدين ثم قال أفضى فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس من تكلمة الثلثين وما بقى فللاخت فأخبر أبو موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألونى مادام هذا الخبر فيكم أخرجته البخارى ﴿وأما التفسير فتوجه تعالى بوضيكم الله أى بعهد اليكم وبفرض عليكم فى اولادكم يعنى فى امر اولادكم اذا تمم الوصية من الله ايجاب وانما بدأ الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده أشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الاثنتين يعنى ان الولد الذكركر له من الميراث ضعف ما ساهم الاثني فللذكر سهمان وللأثني سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من أهل الفروض كالابوين أخذوا فروضهم وما بقى بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الاثنتين ﴿فأن كن﴾ يعنى المتروكات من الاولاد ﴿نساء فوق اثنتين﴾ يعنى بنتين فصاعدا ﴿فهن ثلثا مارك﴾ واجهت الامة على أن للثنتين الثلثين الاماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه ذهب الى ظاهر الآية وقال الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فأَنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثَلَاثُ مَآرِكٍ جَمْعُ الثَّلَاثِ لِلنِّسَاءِ اِذَا زِدْنَ عَلَى الثَّنَيْنِ وَعِنْدَهُ اِنْ فَرَضَ الثَّنَيْنِ النِّصْفَ كَفَرَضِ الْوَاحِدَةِ وَأَجِبَ عَنْهُ بِوَجْهِهَا فِيهَا حِجَّةٌ مِّنْهُدَى الْجُمْهُورِ اَيْضًا الْوَجْهُ الْاَوَّلُ اِنْ اَللّٰهُ تَعَالٰى قَالَ وَاِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ جَمْعُ النِّصْفِ لِلوَاحِدَةِ وَذَلِكَ يَنْبَغِي حَصُولَ النِّصْفِ نَصِيبًا لِلْبَنَاتَيْنِ الْوَجْهَ الثَّانِي اَنْ فِي الْآيَةِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا وَالتَّقْدِيرُ فَاِنْ كُنْ نِسَاءً اِثْنَتَيْنِ فَاَوْقَمَهُمَا فَلَهُنَّ الثَّلَاثُ الْوَجْهَ الثَّلَاثُ اِنْ لَفْظَةٌ فَوْقَ هَهُنَا صَلَةٌ وَالتَّقْدِيرُ فَاِنْ كُنْ نِسَاءً اِثْنَتَيْنِ فَهُوَ كَقَوْلِهِ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْاِعْتَاقِ يَعْنِي فَاضْرِبُوا الْاِعْتَاقَ وَاتَمَّا سَمِيَ الْاِثْنَتَيْنِ نِسَاءً بِلَفْظِ الْجَمْعِ لِاَنَّ الْعَرَبَ تَطْلُقُ عَلَى الْاِثْنَيْنِ جَمَاعَةً بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالٰى فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبَكُمْ بِالْوَجْهِ الرَّابِعِ قَالَ عُلَمَاءُ الْجُمْهُورِ اِنَّمَا أُعْطِينَا الْبَنَاتَيْنِ الثَّلَاثَيْنِ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ لِاَنَّ اَللّٰهُ تَعَالٰى جَمَعَ لِلْبَنَاتِ الْوَاحِدَةِ النِّصْفَ بِقَوْلِهِ تَعَالٰى وَاِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَجَمَعَ لِلْاَخْتِ الْوَاحِدَةِ النِّصْفَ بِقَوْلِهِ اِنْ اَمْرًا وَهُلِكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَهِيَ اَخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَآرِكٍ ثُمَّ جَمَعَ لِلْاَخْتَيْنِ الثَّلَاثَيْنِ بِقَوْلِهِ فَاِنْ كَانَتَا اِثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثُ فَلَمَّا جَمَعَ لِلْاَخْتَيْنِ الثَّلَاثَيْنِ عَلِمْنَا اَنَّ لِلْبَنَاتَيْنِ الثَّلَاثَيْنِ قِيَاسًا عَلَى الْاَخْتَيْنِ الْوَجْهَ الْخَامِسَ اِنْ اَلنَّبِيَّ صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالْبَنَاتَيْنِ لَابْنَتِي سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ

(فَأَنْ كُنْ نِسَاءً) أى فان كانت الاولاد نساء خلصا يعنى بنات ليس معهن ابن (فوق اثنتين) خبر ثان لكان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين (فهن ثلثا مارك) أى الميت لان الآية لما كانت فى الميراث علم أن التارك هو الميت (فَأَنْ كُنْ نِسَاءً) بنات ولد الصلب (فوق اثنتين) ابنتين أو أكثر من ذلك (فهن ثلثا مارك) من المال



(وأن كانت واحدة فلها النصف) أي وان كانت المولودة منفردة واحدة مدني على كان التامة والنصب أو وفق لقوله فان كن نساء فان قلت قد ذكركم البنين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنين في حال الانفراد فاحكمهما قلت حكمهما مختلف فيه فان عباس رضي الله عنهما نزلها منزلة الواحدة لان منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أعطوا حكمها حكم الجماعة بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لان من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبت والثلثان للابن فاذا كان الثلث لبت واحدة كان الثلثان للبنتين ولانه قال في آخر السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف مارك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك والبتان أمس رجا بالميت من الاختين فواجبوا لهما { الجزم الرابع } ماوجب الله للاختين ﴿٢٤﴾ ولم يتقصوا حظهما عن حظ من

هو أبدمنهما وان البنت لما  
وجب لها مع أخيها الثلث  
كان أخرى ان يجب لها  
الثلث اذا كانت مع أخت  
مثلها ويكون لاختها معها  
مثل ما كان يجب لها أيضا  
مع أخيها لو انفردت معه  
فوجب لهما الثلثان وفي  
الآية دلالة على أن المال  
كله للذكر اذا لم يكن معه  
أثى لانه جعل للذكر  
مثل حظ الانثيين وقد جعل  
للأثى النصف اذا كانت

منفردة فلم ان للذكر في  
حال الانفراد ضعف النصف  
وهو الكل والضمير في  
(ولابويه) للميت والمراد  
الاب والام الا أنه غلب  
الذكر (لكل واحد منهما  
السدس) بدل من لابويه  
بتكرير العامل وفائدة هذا  
البدل انه لو قيل ولابويه

وهذا نص واضح في المسئلة قوله عز وجل ﴿ وأن كانت واحدة ﴾ يعني البنت  
واحدة ﴿ فلها النصف ﴾ يعني فرضا لها ﴿ ولا يورثه ﴾ يعني أبوي الميت كناية  
عن غير مذكور وهما والداه ﴿ لكل واحد منهما السدس مما ترك أن كان له ولد ﴾  
يعني أن للاب والام مع وجود الولد أو ولد الابن لكل واحد منهما سدس الميراث  
واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فإذا مات الميت وترك أبوين وولدا  
ذكرا واحدا كان أو أكثر أو ترك بنات فان للام السدس بالفرض وللأب السدس  
مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله  
مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب ﴿ فان لم يكن له ولد ﴾  
يعني للميت ﴿ وورثه أبواه فلامه الثلث ﴾ يعني ان الميت اذا مات عن أبوين وليس

السدس لكان ظاهره اشتراكها فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاهم قسمة السدسين عليهما على التسوية (له)

وعلى خلافها ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل بعد الاجال والسدس مبتدأ  
خبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن السدس والربع والثلث والتخفيف (مما ترك أن كان له  
ولد) هو يقع على الذكر والانثى (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث)

(وأن كانت) ابنة (واحدة فلها النصف) من المال (ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك) من المال (أن  
كان له) للميت (ولد) ذكر أو أنثى (فان لم يكن له) للميت (ولد) ذكر أو أنثى (ورثه أبواه فلامه الثلث) وما بقى

ماترك وانما لم يذكر حصاة الاب لانه لما فرض أن الوارث أبواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكأنه قال فلهما ماترك أملاًنا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث كان معهما أحد الزوجين ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لاثنتي الممال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الاثني على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع ﴿فأن كان له أخوة فلامه السدس﴾ باطلاقة يدل على ان الاخوة يردها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضی الله تعالى عنهما انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له أخوة من غير اعتبار الثلث سواء كان من الاخوة أو الاخوات وقال ابن عباس رضی الله تعالى عنهما لا يحجب الام من الثلث

له وارث سواهما فأن الام تأخذ الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقى الممال بالفرض والتعصيب فيكون الممال بينهما أملاًنا للذكر مثل حظ الانثيين فأن كان مع الابوين أحد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج أو الزوجة ﴿فأن كان له﴾ يعني للميت ﴿أخوة﴾ يعني ذكورا أو اناثا ﴿فلامه السدس﴾ يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها أب وأجمع العلماء على أن الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد أو الاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس واختلوا في الاخوين فالأكثر من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلى وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا أن يكونوا ثلاثة قال ابن عباس لعثمان لم صار الاخوان يرثان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى فان كان له أخوة والاخوان في لسان قومك ليسا بأخوة فقال عثمان يابى ان قومك حجبوها باخوين ولا أستطيع نقض أمر قد كان قبلي وانما نشأ هذا الاختلاف لانهم اختلفوا في أقل الجمع وفيه قولان أحدهما ان أقل الجمع اثنان وهو قول القاضي أبي بكر الباقلاني ووجه هذا القول أنك اذا جمعت واحدا الى واحداتهما جماعة لان أصل الجمع ضم شئ الى شئ وقال ابن انبارى التثنية عند العرب أول الجمع ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ومنه قوله تعالى فقد صفت قلوبكما يريد قلبا كما والقول الثاني ان أقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الأصح وانما حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس فانهم لا يرثون شيئا ألبتة بل يأخذ الاب الباقي كرجل مات عن أبوين وأخوين فأن للام السدس والباقي وهو خمسة أسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير أن يرثوا مع الاب شيئا معونة للاب لانه يقوم بشأنهم

أى ماترك والمعنى وورثه أبواه فحسب لانه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للام ثلث ما بقى بعد اخراج نصيب الزوج لاثنتي ما ترك لان الاب أقوى من الام في الارث بدليل ان له ضعف حظها اذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كلالا أدى الى حط نصيبه عن نصيبها فان امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الا ان يكون للاب مثل حظ الذكرين فلامه بكسر الهمزة جزءة وعلى مجاورة كسر الام (فأن كان له) أى للميت (أخوة فلامه السدس) اذا كان للميت اثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا فلامه السدس والاخ الواحد لا يحجب والاعيان والهلات والاخفاف

فلااب (فأن كان له) للميت (أخوة) من الاب والام او من الاب أو من الام (فلامه السدس)

في حجب الام سواء (من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة الموارث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصاء من بعد وصية (بوصى بها) وما بعده بفتح الصاد مكى وشامى وحاد ويحيى وافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية لمجاورة يورث وكسر الاولى لمجاورة يوصيكم الله الباؤون بكسر الصادين أى بوصى بها الميت (أو دين) والاشكال ان الدين مقدم على الوصية في الشرع وقدمت الوصية على الدين في التلاوة والجواب ان أولادك على الترتيب الأترى انك اذا قلت جاءني زيد {الجزء الرابع} أو عمرو كان ﴿٢٦﴾ المعنى جاءني أحد الرجلين فكان التقدير في

قوله من بعد وصية بوصى بها أو دين من بعد أحد هذين الشيتين الوصية أو الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا هنا وانما قدمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام ألا ان الدين قبل الوصية ولانها تشبه الميراث من حيث انها صالحة بلا عوض فكان اخراجها كما يشق على الورثة وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقد تمت على الدين ليسارعوا الى اخراجها مع الدين (أباؤكم) مبتدأ (وابناؤكم) عطف عليه والخبر (لاتدرون) وقوله (أيهم) مبتدأ خبره (أقرب لكم) والجملة في موضع نصب بتدرون (نفعاً) تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ما هو على حكمة ولو وكل ذلك اليكم

مادون الثلاثة ولا الاخوات الخالص أخذاً بالظاهره وقرأ حزة والكسائى فلامه بكسر الهززة اتباعاً للكسرة التي قبلها (من بعد وصية بوصى بها أو دين) متعلق بما تقدمه من قسمة الموارث كلها أى هذه الانصاء للورثة من بعد ما كان من وصية أو دين وانما قال بأو التي للإباحة دون الواو للدلالة على انها متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة بمجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شائعة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على التدور وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد ﴿أباؤكم وابناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ أى لاتعلمون من انفع لكم بمن يرثكم من أصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتمروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تتمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان أحد الموالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته أو من مورثيكم منهم أو من أوصى منهم فمرضكم للثواب بامضاء وصيته أم من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعراض وينفق عليهم دون الام ﴿من بعد وصية بوصى بها أو دين﴾ يعنى ان هذه الانصاء والسهم انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لافي الحكم لان افضلة أو لا توجب الترتيب وانما هى لاحد الشيتين كأنه قال من بعد أحد هذين مفرداً أو مضموماً الى الآخر قال على رضى الله عنه انكم تقرؤن الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل الوصية وهذا اجاع على أن الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة ﴿قوله عز وجل ﴿أباؤكم وابناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصابتهم وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فاطوكم الله من الآباء والابناء أرفعكم درجة فان كان الوالد أرفع درجة من ولده رفع الله درجة ولده اليه وان كان الولد أرفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك أعينهم فقال تعالى لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً لان أحدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة

لم تعلموا أيهم أنفع لكم فوضعتم أنتم الاموال على غير حكمة والتفاوت في السهم بتفاوت المنافع وأنتم (وسبقة) لاتدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلاً منه ولم يكلها الى اجتهادكم ليجزكم عن معرفة المقادير وهذه الجملة اعراضية مؤكدة لاموضع لها من

من بعد وصية بوصى بها أو دين) من بعد قضاء دين على الميت واستخراج وصية بوصى بها الى الثلث (أباؤكم وابناؤكم لاتدرون) أنتم في الدنيا (أيهم أقرب لكم نفعاً) في الآخرة في الدرجات ويقال في الدنيا

من بعد وصية بوصى بها أو دين) من بعد قضاء دين على الميت واستخراج وصية بوصى بها الى الثلث (أباؤكم وابناؤكم لاتدرون) أنتم في الدنيا (أيهم أقرب لكم نفعاً) في الآخرة في الدرجات ويقال في الدنيا

الاعراب (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد أى فرض ذلك فرضنا (من الله ان الله كان عليما) بالاشياء قبل خلقها (حكيميا) فى كل ما فرض وقسم من الموارث ﴿٢٧﴾ وغيرها (ولكم {سورة النساء} نصف ترك ما أزواجكم) أى

زوجانكم) ان لم يكن لهن ولد) أى ابن أو بنت (فان كان لهن ولد) منكم أو من غيركم (فلكم الربع عما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم أن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) والواحد والجماعة سواء فى الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجة لدلالة قوله للذكر مثل حظ

فى الميراث (فريضة من الله) عليكم قسمة الموارث (أن الله كان عليما) بقسمة الموارث (حكيميا) فيما بين نصيب الذكر والذى (ولكم نصف ماترك أزواجكم) من المال (ان لم يكن لهن ولد) ذكر أو أختي منكم أو من غيركم (فان كان لهن ولد) ذكر أو أختي منكم أو من غيركم (فلكم الربع مما تركن) من المال (من بعد وصية يوصين بها أو دين) من بعد قضاء الدين عليهن واستخراج وصية يوصين بها الى الثلث (ولهن

مؤكد لامر القسمة أو تنفيذ الوصية ﴿فريضة من الله﴾ مصدر مؤكد أو مصدر يوصيكم الله لانه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم ﴿أن الله كان عليما﴾ بالمصالح والرتب ﴿حكيميا﴾ فيما قضى وقدر ﴿ولكم نصف ماترك أزواجكم أن لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن﴾ أى ولدوارث من بطنها أو من صلب بنها أو بنى بنها وان سفل ذكر أو أختي منكم أو من غيركم ﴿من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم أن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ فرض للرجل بحق الزواج ضعف للمرأة كفى النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا فى الجهة والقرب ولا يستثنى منه الأولاد الام والمعتق

وسبقه الى منزلة عالية تكون سببا لرفعه اليها وقيل ان هذا الكلام ليس معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم واناؤكم يعنى الذين يرثونكم لا تدرسون أيهم أقرب لكم نفعا أى لا تعلمون أيهم أنفع لكم فى الدين والدنيا فتكم من بطن ان الاب أنفع له فيكون الابن أنفع له ومنكم من بطن ان الابن أنفع له فيكون الاب أنفع له ولكن الله هو الذى دبر أمركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتعطلون من لا يستحق مالا يستحق من الميراث وتمنون من يستحق الميراث ﴿فريضة من الله﴾ يعنى ما قدر من الموارث لاهلها فريضة واجبة ﴿أن الله كان عليما حكيميا﴾ يعنى كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيميا فيما قدر من الفرائض وفرض من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقهم قبل أن يخلقهم حكيميا حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفى معنى لفظه كان ثلاثة أقوال أحدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ولم يزل كذلك الثانى حتى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وفضلا قيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل على الله ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخببر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبير بالحال والاستقبال لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال وانقلب ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ولكم نصف ماترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين﴾ هذا ميراث الأزواج من الزوجات وقال تعالى فى ميراث الزوجات من الأزواج ﴿ولهن﴾ يعنى للزوجات ﴿الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾ لما جعل الله فى الموجب النسبى حظ الرجل مثل حظ الاثنتين جعل الله فى الموجب النسبى للرجل مثل حظ الاثنتين وعلم ان الواحدة من النساء لها الربع أو الثمن وكذلك لو كن أربع زوجات فانهن يشتركن فى الربع أو الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والذى

الربع مما تركتم) من المال (ان لم يكن لكم ولد) ذكر أو أختي منهن أو من غيرهن (فان كان لكم ولد) ذكر أو أختي منهن أو من غيرهن (فلهن الثمن مما تركتم) من المال (من بعد وصية توصون بها أو دين) من بعد قضاء دين عليكم من المال واستخراج وصية توصون

والمعتقة وتستوى الواحدة والمدد منهن في الربع والثلث ﴿وأن كان رجل﴾ أي الميت ﴿يورث﴾ أي يورث منه من ورث صفة رجل ﴿كلالة﴾ خبر كان أو يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا أو مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز أن يكون الرجل الوارث ويورث من أورث وكلالة من ليس له بوالد ولا ولد \* وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتل المعاني الثلاثة وعلى الأول خبر أو حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الأصل مصدر بمعنى الكلال قال الأعشى

فآليت لا أرثي لها من كلالة \* ولا من حفا حتى أولاقى محمدا

فاستعيرت لقرابة ليست بالعضية لأنها كلالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابي ﴿أو امرأة﴾ عطف على رجل

ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسواء كان الولد للرجل من الزوجة أو من غيرها \* قوله عز وجل ﴿وأن كان رجل يورث كلالة أو امرأة﴾ تقدير الآية وان كان رجل أو امرأة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب أكثر الصحابة الى أن الكلالة من لا ولده ولا والد روى الشعبي قال سئل أبو بكر الصديق عن الكلالة فقال سأقول فيها قولاً برأى فان كان صواباً فمن الله وان كان خطأ فني ومن الشيطان أراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال اني لاسمى من الله أن أرد شيئاً قاله أبو بكر وهذا قول على وابن مسعود وزيد بن ثابت وأحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في أصل اللغة عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس فمن عد الوالد والولد من القرابة انما سمو كلالة لانهم كالدارة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك لان فيها تنوع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشيء الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم اتصال احاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيك في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء مأخوذ من حديث جابر بن عبد الله لان الآية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها أب ولا ابن لان أباه قتل يوم أحد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصارت شأن جابر بيانا لمراد الآية التي نزلت في آخر السورة انزولها فيه واختلفوا في ان الكلالة اسم لمن فاتهم من قال هو اسم للميت وهو قول على ابن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحي

(من)

اثنين (وأن كان رجل) يعني للميت وهو اسم كان (يورث) من ورث أي يورث منه وهو صفة لرجل (كلالة) خبر كان أي وان كان رجل يورث منه كلالة أو يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير في يورث والكلالة تنطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء (أو امرأة)

بها الى التثنية (وأن كان رجل) لا ولده ولا والده ولا قرابته من الولد والوالد (يورث كلالة) يورث ماله الى كلالة والكلالة هي الاخوة والاخوات من الام (أو امرأة) او كانت امرأة مثل ذلك ويقال الكلالة ما خلا الولد والوالد ويقال الكلالة هي المسال الذي لا يرث والد ولا ولد

﴿وله﴾ أي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركتها فيه  
 ﴿أخ أو أخت﴾ أي من الام ويبدل عليه قراءة أبي وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الام فانه  
 ذكر في آخر السورة ان للاختين الثلثين وللأخوة الكل وهو لا يليق بأولاد الام وان  
 ما قدرهنا فرض الام فناسب ان يكون لاولادها ﴿فلنكل واحد منهما السدس﴾ فان كانوا  
 أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ﴿سوى﴾ بين الذكر والاثني في القسمة لان الادلاء  
 بمحض الانوثة ومفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كالا يرثون مع البنت

عطف على رجل (وله)  
 أخ أو أخت) أي لام فان  
 قلت قد تقدم ذكر الرجل  
 والمرأة فلم أفرد الضمير  
 وذكره قلت أما افراده  
 فلان أولاحد الشئيين  
 وأما تكبيره فلانه يرجع  
 الى رجل لانه مذكر  
 مبدوء به أو يرجع الى  
 أحدهما وهو مذكر  
 (فلنكل واحد منهما السدس  
 فان كانوا أكثر من ذلك)  
 من واحد (فهم شركاء في  
 الثلث) لانهم يستحقون  
 بقرابة الام وهي لا ترث  
 أكثر من الثلث ولهذا  
 لا يفضل الذكر منهم على

(وله) لليت (أخ أو أخت)  
 من أمه (فلنكل واحد منهما  
 السدس فان كانوا أكثر  
 من ذلك فهم شركاء في الثلث)  
 الذكر والاثني فيه سواء

من الورثة وهو قول أبي بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا أن الكلاله من دون  
 الوالد والولد ويبدل عليه حديث جابر انما يرثي كلاله أي يرثي ورثته ليسوا بولد ولا والد  
 فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث فالمراد يرثه غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين  
 فهم غير الوالد والولد وقال ابن زيد الكلاله الذي لا ولد له ولا والد والحى والميت كلهم كلاله  
 هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال أبو الخير سأل رجل عقبه عن الكلاله فقال  
 ألا تجيئون من هذا يسأني عن الكلاله وما أعضل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شيء  
 ما أعضلت بهم الكلاله (ق) عن عمر رضى الله عنه قال ثلاث وددت أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فين عهدانتهى اليه الجد والكلالة وأبواب من  
 أبواب الزبا وهذا طرف حديث ذكر في الخبر (ق) عن معدان بن أبي طلحة  
 رضى الله عنه قال خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال انى لأدع بعمى شيئاً  
 أهم عندي من الكلاله ماراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في  
 الكلاله وما أغلظ لى في شيء ما أغلظ لى في الكلاله حتى طعن باصبعي في صدرى  
 وقال يا عمر ألا يكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء وانى ان أعش أقض فيها  
 بقضية يقضى بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن لفظ مسلم قوله ألا يكفيك آية  
 الصيف أراد ان الله عز وجل أنزل في الكلاله آيتين أحدهما في الشتاء وهي التي في  
 أول سورة النساء والآية الاخرى في الصيف وهي التي في آخر السورة وفيها  
 من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك أحاله عليها ﴿قوله عز وجل﴾ وله أخ أو أخت  
 فنكل واحد منهما السدس ﴿أراد به الاخ والأخت للام باتفاق العلماء وقرأ سعد بن  
 أبي وقاص وله أخ أو أخت من أمه﴾ فان قلت ان الله تعالى قال وان كان رجل يورث كلاله  
 أو امرأة ثم قال تعالى وله أخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة فما السبب فيه قلت هذا  
 على عادة العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم أخبروا عنهما وكانا في الحكم سواء ربما  
 أضافوا أحدهما الى الآخر وربما أضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر  
 والصلاة ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال القراء اذا جاء حرفان بمعنى واحد جاز اسناد  
 التفسير الى أيهما أريد ويجوز اسناده اليهما أيضا ﴿فان كانوا أكثر من ذلك فهم  
 شركاء في الثالث﴾ وهذا أجماع العلماء أن أولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون  
 في الثلث ذكرهم وأنتاهم فيه سواء قال أبو بكر الصديق في خطبته ألا ان الآية التي

وبنت الابن فخص فيه بالاجاع \* من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار \* أى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث أو قصد المضارة بالوصية دون القرية والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول. في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم

أنزل الله في أول سورة النساء من شأن الفرائض أنزلها في الولد والوالد والام والآية الثانية في الزوج والزوجة والاختوة من الام والآية الثالثة التي ختم الله بها سورة النساء في الاختوة والاختوات من الاب والام والآية التي ختم بها سورة الانفال أنزلها الله في أولى الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله \* قوله عز وجل تعالى \* من بعد وصية يوصى بها أو دين \*

تقدم تفسيره وبقى شئ من الاحكام يذكر هنا وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفي معنى الآية ما روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه \* وفي رواية له شئ يريد أن يوصى به أن يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما سمت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة أخرجاه في الصحيحين \* ففي ظاهر الآية والحديث ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص قال الثلث وثلث كثير أنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس أخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على أن الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث وان القصصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لو ارث ويدل عليه ما روى عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لو ارث والولد للفراس وللعاقر الحجر أخرجه الترمذى والنسائى \* عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لو ارث أخرجه أبو داود \* قوله عز وجل \* غير مضار \* يعنى غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو ان يوصى بأكثر من الثلث وقيل هو ان يوصى بدين ليس عليه أو يقر بماله أو أكثر ماله لاجنبى ويترك ورثته \* عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرها الموت فيضاران في الوصية فمحب لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين الى قوله وذلك الفوز العظيم أخرجه أبو داود والترمذى وقال قتادة كره الله تعالى الضرر في الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه وقيل ان الاضرار في الوصية من الكبار لان مخالفة أمر الله عز وجل كبيرة وقد نهى الله عن الاضرار في الوصية فدل على أن ذلك من الكبار \* واعلم ان الاولى بالانسان ان ينظر عند الموت

على الاثنى (من بعد وصية يوصى بها أو دين) انما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالاول والوالدان والاولاد والثاني الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلاله (غير مضار) حال يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك بان يوصى بزيادة على الثلث ولو ارث

(من بعد وصية يوصى بها أو دين) من بعد قضاء الدين عليه واستخراج وصية وصى بها الى الثلث (غير مضار) للورثة وهو ان

(وصية من الله) مصدر مؤكد أى يوصيكم بذلك وصية (والله عليم) بمن جار أو عدل في وصيته (حليم) على الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد فان قلت فأين ذوالحال فيمن قرأ يوصى بها قلت يضمير يوصى فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثمة موصيا كما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح لانه لما قيل يسبح له علم ان ثمة مسبحا فاضمر يسبح واعلم ان الورثة أصناف أصحاب الفرائض وهم الذين لهم سهام مقدرة كالبنات ولها النصف وللأكثر الثلثان وبنات الابن وان سفلت وهى عند عدم الولد كالبنات ولها مع البنات الصلبية السدس وتسقط بالابن وبقى الصلب الا ان يكون معها أو أسفل منها غلام فيمصها والاخوات لاب وأم وهن عند عدم الولد وولد الابن كالبنات والاخوات لاب وهن كالاخوات لاب وأم عند عدمهن ويصير الفريقان عصبة مع البنت أو بنت الابن ويسقطن بالابن وابنه وان سفلت والاب وبالجد عند أبي حنيفة رحمه الله وولد الام فللواحد السدس وللأكثر الثلث وذكرهم كانوا وبسقطون بالولد وولد الابن وان سفلت والاب والجد والاب وله السدس مع الابن أو ابن الابن وان سفلت ومع البنت أو بنت الابن وان سفلت السدس والباقي والجد وهو ﴿٣١﴾ أبوالباب وهو { سورة النساء } كالأب عند عدمه الا في رد الام

الى الثلث ما سبق والام ولها السدس مع الولد أو ولد الابن وان سفلت أو الاثنين من الاخوة والاخوات فصاعدا من أى جهة كانا وثالث الكل عند عدمهم وثالث ما سبق بعد فرض أحد الزوجين في زوج وأبوين أو زوجة وأبوين والجدة ولها السدس وان كثرت لام كانت أو لاب والعمدى تحجب بالقربى والكل بالام والابويات بالاب والزوج وله الربع مع الولد أو ولد الابن وان سفلت وعند عدمه

﴿ وصية من الله ﴾ مصدر مؤكد أو منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة أى لا تضار وصية من الله وهو الثلث فادونه بالزيادة أو وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والأقرار الكاذب ﴿ والله عليم ﴾ بالمضار وغيره ﴿ حليم ﴾ لا يعاجل بعقوبته ﴿ تلك ﴾ اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى أمر اليتامى والوصايا والموارث ﴿ حدود الله ﴾ شرائعه التى هى كالحدود المحدودة

فى قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفى الورثة كثرة فالاولى به ان لا يوصى بشئ لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد ابن أبى وقاص انك ان تذر ورثك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان فى المال كثرة أوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده فى القلة والكثرة ﴿ وقوله عز وجل ﴾ ﴿ وصية من الله ﴾ أى فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم ﴿ والله عليم ﴾ يعنى انه عالم بمصالح عبادهم ومضارهم وبما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجوز فى وصيته وبمن لا يجوز ﴿ حليم ﴾ يعنى انه تعالى ذوحلم وذواناة فى ترك العقوبة عن جار فى وصيته وقال أبو سليمان الخطابى الحليم ذوالصفح والاناة الذى لا يستفز غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المأنى الذى لا يعجل بالعقوبة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ تلك حدود الله ﴾

النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد أو ولد الابن وان سفلت وعند عدمه الربع (يعنى) . والعصبات وهم الذين يرثون ما بقى من الفرض وأولاهم الابن ثم ابنه وان سفلت ثم الاب ثم أبوه وان علا ثم الاخ لاب وأم ثم الاخ لاب ثم ابن الاخ لاب وأم ثم ابن الاخ لاب ثم الامام ثم الامام ثم الاب ثم أعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب واللاتى فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة باخواتهن لاغيرهن وذوو الارحام وهم الاقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات (تلك) اشارة الى الاحكام التى ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والموارث (حدود الله) سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن

يوصى فوق الثلث (وصية من الله) فريضة من الله عليكم قسمة الموارث (والله عليم) بقسمة الموارث (حليم) فيما يكون بينكم من الجهل والخيانة فى قسمة الموارث لا يعجلكم بالعقوبة (تلك حدود الله) هذه



تجاوزها (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتم حدوده يدخله نارا خالدا فيها) انتصب خالدين وخالدا على الحال وجع مرة وأفرد أخرى نظرا الى معنى من ولفظها ندخله فيها { الجزء الرابع } مدني وشامي ﴿ ٣٢ ﴾ (وله عذاب مهين) لهوانه عند الله

ولا تعلق للمعتزلة بالآية فانها في حق الكفار اذا الكافر هو الذي تعدى الحدود كلها وأما المؤمن العاصي فهو مطيع بالإيمان غير متمدد الحد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال الكلبي ومن يعص الله ورسوله بكفره بقسمة الموارث ويتعد حدوده استعمالا ثم خالف الحكم فقال (واللاتي) هي جمع التي وموضعها فع بالابتداء (يأتين الفاحشة) أي الزنا لزيادتها في التبع على كثير من القبائح بقار أي الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى (من نسائكم) من للتبعيض والخبر (فاستشهدوا عليهن) فاطلبوا الشهادة (أربعة منكم) من المؤمنين

أحكام الله وفرائضه (ومن يطع الله ورسوله) في قسمة الموارث (يدخله جنات) بساتين (تجري من تحتها) من تحت شجرها ومسكنها (الأنهار) أنهار الخمر والماء والعسل والابن (خالدين فيها) يقول خالدا في الجنة لا يموت ولا يخرج

التي لا يجوز مجاوزتها ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتم حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ توحيد الضمير في بدخله وجع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مهرت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والاول وجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هماله ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم ﴾ أي يفعلنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها ﴿ فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ فاطلبوا من قذفهن أربعة من رجال

يعنى الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة من مال اليتامى والوصايا والانكحة والموارث وانما سماها حدودا لان الشرائع كالحودود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه ﴿ ومن يطع الله ورسوله ﴾ يعنى في شأن الموارث ورضى بما قسم الله له وحكم عليه ﴿ يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ﴾ يعنى في شأن الموارث ولم يرض بقسمة الله ورسوله ﴿ ويتمدد حدوده ﴾ يعنى ويتجاوز ما أمر الله تعالى به ﴿ يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ فأن قلت كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم ان العصاة والفساق من أهل الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروى عكرمة عن ابن عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعدا قال الله يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة الموارث ويتمدد حدود الله استعمالا اذا ثبت ذلك فن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك واذا كفر كان حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته واذا مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الآية للمعتزلة والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ واللاتي ﴿ هو جمع التي وهي كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة ﴿ يأتين الفاحشة ﴾ يعنى يفعلن الفاحشة يقال أتيت أمرا قبيحا اذا فعلته والفاحشة في اللغة القملة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل أو قول يعظم قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنه حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك أجموا على أن الفاحشة ههنا هي الزنا وانما سمي الزنا فاحشة لزيادة قبحه ﴿ من نسائكم ﴾ قيل هن الزوجات وقيل المراد بهن جنس النساء ﴿ فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ﴾ يعنى من المسلمين وهذا خطاب للزوجات أي

منها (وذلك الفوز العظيم) النجاة الوافرة بالجنة (ومن يعص الله ورسوله) في قسمة الموارث (ويعتد حدوده) (اطلبوا) يتجاوز أحكامه وفرائضه بالميل والجور (يدخله نارا خالدا فيها) دائما في النار الى ما شاء الله (وله عذاب مهين) يهان به ويقال شديد (واللاتي يأتين الفاحشة) يعنى الزنا (من نسائكم) من حرائركم المحصنات (فاستشهدوا عليهن) على العورتين (أربعة منكم)

المؤمنين تشهدوا عليهم ﴿فَأَنْ شَهِدُوا فَمَسْكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ فاحبسوهن في البيوت واجملوها سبحنا عليهن ﴿حَتَّى يَتُوفَاَهُنَّ الْمَوْتُ﴾ يستوفى أرواحهن الموت أو يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في أوائل الاسلام ففسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بما ساء كهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ماجرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استثناء بقوله تعالى الزانية والزانية ﴿أَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ كتعيين الحد المخلص عن الحبس أو النكاح المعنى عن السفاح

(فَأَنْ شَهِدُوا) بازنا (فَمَسْكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ) فاحبسوهن (حَتَّى يَتُوفَاَهُنَّ الْمَوْتُ) أى يتوفاهن الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة أو حتى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن (أَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) أى بمنى الأأن (سَبِيلًا) غير هذه عن ابن عباس رضى الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وتعريب عام وللثيب الرجم لقوله عليه السلام خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتعريب عام والثيب مائة جلد مائة ورجم

من أحراركم (فَأَنْ شَهِدُوا) كما ينبغي (فَمَسْكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ) فاحبسوهن في السجن (حَتَّى يَتُوفَاَهُنَّ الْمَوْتُ) يمتن في السجن (أَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) فخر جبالا رجم ففسخ حبس

اطلبوا أربعة من الشهود ليشهدوا عليهن وقيل هو خطاب للحكام أى استمعوا شهادة أربع عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة والذكورة قال عمر بن الخطاب انما جعل الله الشهود أربعة سترًا يستركم به دون فواحشكم ﴿فَأَنْ شَهِدُوا﴾ يعنى الشهود بازنا ﴿فَمَسْكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ أى فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن ان المرأة انما تقع في الزنا عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا ﴿حَتَّى يَتُوفَاَهُنَّ الْمَوْتُ﴾ يعنى تتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء آجالهن ﴿أَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ وهذا الحكم كان في أول الاسلام قبل نزول الحدود كانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلاً (م) عن عباد بن الصامت رضى الله عنه قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه حكم كرب لذلك وتربد وجهه فأ نزل الله عليه ذات يوم فبقى كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم

### فصل

اتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى أن ناسخها هو حديث عباد بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم الى أن الآية منسوخة بآية الحد التي في سورة النور وقيل ان هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال أبو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك لان قوله تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً يدل على امساكهن في البيوت ممدودا الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلاً وان ذلك السبيل كان مجالا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلاً الحديث صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لاناسخها وأجمع العلماء على جلد البكر الزانى مائة ورجم المحصن وهو الذى اجتمع فيه أربعة أوصاف البلوغ والعقل والحريية والاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب ورجمه فذهب طائفة الى أنه يجب الجمع بينهما وبه قال على بن أبي طالب رضى الله عنه والحسن واسحق بن راهويه وداود وأهل الظاهر وروى عن على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنده انه جلد شرابة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة

بالحجارة (واللذان) يريد الزاني والزانية وتشديد النون مكى (يأتيناها منكم) أى الفاحشة (فأذوهما) بالتوبيخ والتعير وقولوا لهما أما استحييتما {الجزء الرابع} أما خفتا الله ﴿٣٤﴾ (فأن تابا) عن الفاحشة وأصلحا وغيرها

الحال (فأعرضوا عنهما) فاقطعوا التوبيخ والمذمة (أن الله كان توابا رحيمًا) يقبل توبة التائب ويرجه قال الحسن أول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة والحاصل انهما اذا كانا محصنين فحدهما الرجم لا غير واذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير وان كان أحدهما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد وقال ابن بحر الآية الاولى في السحاقات والثانية في اللواتين والتي في سورة النور في الزاني والزانية وهو دليل ظاهر لابي

المحصنة بالرجم (واللذان يأتيناها) يعنى الفاحشة (منكم) من أحراركم وهوالفتى والفتاة زنيا (فأذوهما) بالسب والتعير (فأن تابا) من بعد ذلك (وأصلحا) فيما بينهما وبين الله (فأعرضوا عنهما) عن السب والتعير (أن الله كان توابا) متجاوزا (رحيمًا) وقد نسخ السب والتعير للفتى والفتاة

﴿واللذان يأتيناها منكم﴾ يعنى الزانية والزاني \* وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مدالالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين ﴿فأذوهما﴾ بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعير أو الجلد ﴿فأن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما﴾ فاقطعوا عنهما الايذاء أو أعرضوا عنهما بالاغراض والستر ﴿أن الله كان توابا رحيمًا﴾ علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى

وقال جلدها بكتاب الله ورجتها بنسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جاهير العلماء الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزًا والقامدية ولم يجلدتهما وأما تعريب البكر الزاني ونفيه سنة فذهب الشافعي وجاهير العلماء وجوب ذلك وقال أبو حنيفة وحاد لا يقضى بالنفي أحد الا أن يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لانفي على النساء ويروى مثله عن علي قال لان المرأة عورة وفي نفيها تضييع لها وتمريض للفتنة ووجه الشافعي وجاهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروى نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وأن أبابكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب وان كان الزاني عبد فعليه جلد خمسين وفي تعريبه قولان فان قلنا انه يغرب ففيه قولان أصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزاني مجنونًا أو غير بالغ فلا جلد عليه قوله عز وجل ﴿واللذان﴾ هوتنية الذي ﴿يأتيناها﴾ يعنى يأتينا الفاحشة ﴿منكم﴾ يعنى من رجالكم ونساءكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المضمين بالآية الاولى وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النساء وهذه للرجال لان الله تعالى حكم في الآية الاولى بالحبس في البيت على النساء وهو اللائق بمجالهن لان المرأة انما تفعل الفاحشة عند الخروج فاذا حبست في البيت انقطعت مادة المصيبة وأما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه يحتاج الى الخروج في اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذية بالقول والفعل ﴿فأذوهما﴾ يعنى عيروهما بالقول باللسان وهو أن يقال له أما خفت الله أما استحييت من الله حين زيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعير ويضرب بالنعال ﴿فأن تابا﴾ يعنى من الفاحشة ﴿وأصلحا﴾ يعنى العمل فيما أتى ﴿فأعرضوا عنهما﴾ أى اتركوهما ولا تؤذوهما ﴿أن الله كان توابا رحيمًا﴾ يعنى انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورجته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان في ابتداء الاسلام كان حد الزاني الاذى بالتوبيخ والتعير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخت ذلك الاذى بالآية التي في سورة النور وهى قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا

(تأخذكم)

حنيئة رحمة الله في انه يميز في اللوطة ولا يحد وقال مجاهد آية الاذى في اللوطة (أما التوبة) هي من تاب الله عليه اذا قبل توبته أي انما قبولها (على الله) وليس المراد به الوجوب اذ لا يجب على الله شيء ولكنه تأكيد للوعد يعني أنه يكون لا محالة كالواجب الذي لا يترك ﴿ ٣٥ ﴾ (للذين يعملون { سورة النساء } السوء) الذنب لسوء عقابه

(بجهالة) في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه وعن مجاهد من عصي الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل انه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته (ثم يتوبون من قريب) من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت الأتري الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت فين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قيل أن ينظر الى ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ومن للتبويض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا

في السحاقات وهذه في اللواتين والزانية والزاني في الزناة ﴿أما التوبة على الله﴾ أي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله سبحانه وتعالى بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته ﴿للذين يعملون السوء بجهالة﴾ ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصي الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ من زمان قريب أي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر أحدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله سبحانه وتعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان أمد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل أو قبل ان يشرب في قلوبهم جبه فيطبع عليها فتعذر عليهم الرجوع ومن للتبويض أي يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان

تأخذكم بهما رافة في دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحسن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ما عزا وكان قد أحسن وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكان قد أحسن وقال أبو حنيفة لارجح على اليهودي لان المشرك ليس بمحصن وأجيب عنه بان المراد بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿أما التوبة على الله﴾ يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من أي من الله وقال أهل المعاني ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيئا أنجز ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله أوجب على نفسه من غير ايجاب أحد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد ﴿للذين يعملون السوء﴾ يعني الذنوب والمعاصي سميت سوأ لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها ﴿بجهالة﴾ قال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل شيء عصي الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره وكل من عصي الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصي الله سمي جاهلا وسمى فعله جهالة وانما سمي من عصي الله جاهلا لانه لم يستعمل مامعه من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة ان يأتي الانسان بالذنب مع العلم بأنه ذنب ولكنه يجهل بعقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لثلا بعد في زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل قبل معاناة ملك الموت ومعاناة أهوال الموت وانما سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو آت قريب وفيه تنبيه على

بجلد مائة (أما التوبة) التجاوز (على الله) من الله (للذين يعملون السوء بجهالة) بتعمد وان كان جاهلا لعقوبته (ثم يتوبون من قريب) من قبل السوق

ينزل بهم سلطان الموت أو تزين السوء ﴿ فأولئك يتوب الله عليهم ﴾ وعد بالوفاء بما وعده وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله ﴿ وكان الله عليما ﴾ فهو يعلم باخلاصهم في التوبة ﴿ حكيم ﴾ والحكيم لا يعاقب التائب ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال أنى تبت الآن

ان عمر الانسان وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به ﴿ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يفرغ أخرجه الترمذى « الفرغرة أن يجعل المشروب في فم المريض فيرده في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم ﴾ وروى البغوى بسنده عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يارب لا أبرح أعوى عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتي وجلالى وارتفاعى فى مكاني لأزال أعقر لهم ما استغفرونى وقيل فى معنى الآية ان القريب هو أن يتوب الانسان قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها ﴿ فأولئك يتوب الله عليهم ﴾ يعنى يقبل توبتهم ﴿ وكان الله عليما حكيم ﴾ قال ابن عباس علم ما فى قلوب عباده المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل فى معنى الآية علم انه انما أنى بتلك المعصية باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وأتاب عن قريب ﴿ قوله عز وجل ﴾ وليست التوبة للذين يعملون السيئات ﴿ قال ابن عباس يريد الشرك وقال أبو العالية وسعيد ابن جبيرهم المنافقون وقال سفيان الثورى هم المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار ﴿ حتى اذا حضر أحدهم الموت ﴾ يعنى وقع فى النزاع وعان ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح للخروج من جسده ﴿ قال أنى تبت الآن ﴾ قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التى لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايتانه وهو قوله تعالى حتى اذا أدركه العرق قال آمنتم أنه لا اله الا الذى آمنتم به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسناه فان قلت قد تعلق الوعيدية بهذه الآية وقالوا أخبر الله تعالى ان عصاة المؤمنين اذا أهملوا أمرهم الى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم فى قوله أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما وأيضا انه تعالى أخبر انه لا توبة لهم عندما يموتون وأسبابه قلت ليس الامر على ما زعموا فقد روى عن ابن عباس فى قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الاولى فى المؤمنين يعنى قوله انما التوبة على الله والوسطى فى المنافقين يعنى قوله وليست التوبة والاخرى فى الكافرين يعنى قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الآية نازلة فى المنافقين والكفار فلا وجه

قريبا ( فأولئك يتوب الله عليهم ) عدة بأنه يقى بذلك وإعلام بان القرآن كأن لا محالة ( وكان الله عليما ) بعزمهم على التوبة ( حكيم ) حكم بكون الندم توبة ( وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ) أى ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم الى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة ملك الموت فان توبة هؤلاء غير مقبولة لانها حالة اضطرار لا حالة اختيار وقبول التوبة ثواب والنزع ( فأولئك يتوب الله عليهم ) يتجاوز الله عنهم ( وكان الله عليما ) بتوبتكم ( حكيم ) يقبول التوبة قبل المعاينة ولا يقبل عند المعاينة وبعدها ( وليست التوبة ) للتجاوز على الله ( للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت ) عند النزع ( قال أنى تبت الآن

ولا وعده الا مختار (ولا الذين يموتون) في موضع جر بالعطف على الذين يعملون السيئات أي ليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون (وهم كفار) ﴿٣٧﴾ قال سعيد بن جبير {سورة النساء} الآية الاولى في المؤمنين

والوسطى في المنافقين والآخرى في الكافرين وفي بعض المصاحف بلامين وهو مبتدأ خبره (أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) أي هيأنا من العتيد وهو الحاضر أو الاصل أعدنا فقلت الدال تاء كان الرجل يرث امرأة مورثه بان يلقى عليها ثوبه فيتروجها بلامه فترثت (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) أي ان تأخذوهن على سبيل الارث كما تحازن الموارد وهن كارهات لذلك أو مكراهات كرها بالفتح من الكراهة وبالضم حزة وعلى من الاكراه مصدر في موضع الحال من المفعول والتقدير بالكراهة لا يدل على الجواز عند عدمه لان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه كما في قوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدي منه بماله

ولا الذين يموتون وهم كفار) يقول ولا يقبل توبة الكفار عند المصاحفة (أولئك) الكفار (اعتدنا

ولا الذين يموتون وهم كفار) سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء أعمالهم وبالذين يموتون الكفار ﴿أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما﴾ تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب أعد لهم لا يجزه عذابهم حتى شاء والاعتداد التهمة من العتاد وهو العدة وقيل أصله أعدنا فابدلت الدال الاولى تاء (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) كان الرجل اذا مات وله عصبته التي توبه على امرأته وقال انا حق بهائم ان شاء تزوجها بصدقتها الاول وان شاء زوجها غيره وأخذ صداقتها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فهو اعن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك أو مكراهات عليه وقرأ حزة والكسائي كرها بالضم في مواضع وهما

لجملها على المؤمنين وعلى تقدير أن تكون الآية نازلة في عصاة المؤمنين فتدروى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يفرق أن يشرك به ويفقر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل التوحيد الى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة ففى هذا القول تكون الآية منسوحة في حق المؤمنين ﴿قوله عز وجل﴾ ولا الذين يموتون وهم كفار ﴿معناه لا توبة للكفار اذا ماتوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومعانبة ما وعدوا به من العتاب﴾ ﴿أولئك اعتدنا لهم﴾ أي هيأنا لهم ﴿عذابا أليما﴾ ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) نزلت في أهل المدينة وذلك انهم كانوا في الجاهلية وفي أول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من ذوى عصبته فالتق ثوبه على تلك المرأة او على خباثتها فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي أصدقها الميت وان شاء زوجها غيره وأخذ هو صداقتها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت أو تموت هي فيرثها فان ذهبت المرأة الى أهلها قبل أن يلقى عليها ولى زوجها ثوبه كانت أحق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي أبو قيس بن الاسلم الانصارى وترك امرأته كيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن أبي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فأتت كيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق على ولا هو يدخل بي ولا يخلى سبيلي فقال اقعدى في بيتك حتى يأتي أمر الله فيك فانزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) يعنى ميراث

لهم عذابا أليما) وجيء نزلت في طعمة وأصحابه الذين ارتدوا (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) نساء آبائكم (كرها)

وتختلف قيل (ولا تعضلوهن) وهو منصوب عطفًا على أن ترثوا ولأن كيد النفي أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولأن تعضلوهن أو مجزوم بالنهي على الاستئناف فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعزل الحبس والتضييق (لتذهبوا ببعض ما آتيتوهن) من المهر والام متعلقة بتعضلوهن (الأن يأتيين بفاحشة) هي النشوز وايداء الزوج وأهله بالبداء أي إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع (مينة) ويقع الياء مكى وأبو بكر والاستثناء {الجزء الرابع} من أعم عام الظرف ﴿٣٨﴾ والمفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات

الاوقات ان يأتيين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعملة من العلل الا ان يأتيين بفاحشة وكانوا يسيئون معاشره النساء فتقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو النصفه في الميت والنفقة والاجال في القول (فأن كرهتموهن) لقبهجن أو سوء خلقهن (ففسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه) في ذلك الشيء أو في الكره (خيرا كثيرا) ثوابا جزيلاً أو

جبرا (ولا تعضلوهن) لا تحبسوهن من التزوج نزلت هذه الآية في كيبشة بنت معن الانصارية ومحسن بن أبي قيس الانصاري وكانوا يرثون قبل ذلك (لتذهبوا ببعض ما آتيتوهن) مما أعطاهن آباءكم (الا ان يأتيين بفاحشة) بزنا (مينة) بالشهود فاحبسوهن في السجن وقد نسخ الحبس الآن بآية الرجم وقد كانوا يرثون

لقتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتوهن عطف على ان ترثوا ولأن كيد النفي أي ولا تمنعوهن من التزوج وأصل العزل التضييق يقال عضلت الدجاجة بيضها وقيل الخطاب مع الأزواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن أو يختلن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الأزواج ونهاهم عن العزل ﴿الأن يأتيين بفاحشة مينة﴾ كالنشوز وسوء العشرة وعدم العفف والاستثناء من أعم عام الظرف والمفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الاوقات ان يأتيين بفاحشة أو لا تعضلوهن لعملة الا ان يأتيين بفاحشة وقرا ابن كثير وأبو بكر بفاحشة مينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ بالانصاف في الفعل والاجال في القول ﴿فأن كرهتموهن ففسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ أي

نكاح النساء وقيل معناه ان ترثوا أموالهن كرها يعني وهن كارهات ﴿ولا تعضلوهن﴾ أي ولا تمنعوهن من الأزواج وأصل العزل المنع ﴿لتذهبوا ببعض ما آتيتوهن﴾ يعني لتضجر فقتدى ببعض مالها قيل هو خطاب للأزواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امرأة وهو كاره لها ولحببتها ولها عليه مهر فيضارها لتقتدى منه وترد اليه ماساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عزل المرأة ثم قال تعالى ﴿الأن يأتيين بفاحشة مينة﴾ يعني حينئذ يحل لكم اضرارهن ليقدين منكم واختلفوا في الفاحشة المينة فقيل هي النشوز وسوء الخلق وايداء الزوج وأهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني ان المرأة اذا نشزت اوزنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقيل كانت المرأة اذا أصابت فاحشة أخذ منها زوجها ماساق اليها وأخرجها ففسخ الله ذلك بالحدود ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ قيل هو راجع للكلام الذي قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشره بالمعروف هو الاجال في القول والميت والنفقة وقيل هو ان تصنع لها كالحب ان تصنع لك ﴿فأن كرهتموهن﴾ يعني فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فرائقهن ﴿ففسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ قال ابن عباس

نساء آباءهم كما يرثون المال يرثها الابن الا كبر فان كانت امرأة جميلة غنية دخل بها بلا مهر وان لم تكن غنية أو شابة (ربنا) جميلة تركها ولم يدخل بها حتى تقدي نفسها عمالها فنهاهم الله عن ذلك ثم بين الصحبة مع النساء فقال (وعاشروهن) صاحبوهن (بالمعروف) بالاحسان والجميل (فأن كرهتموهن) يعني كرهتم الصحبة معهن (ففسى أن تكرهوا شيئاً) يعني الصحبة معهن (ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) يرزقكم الله

ولدا صالحا والمعنى فان كرهتموهن فلا تفارقوهن لكرهه الانفس وهداهن بما كرهت النفس ما هو اصل في الدين وأدلى الى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر ﴿٣٩﴾ في أسباب الصلاح انما {سورة النساء} صح قوله فمسي أن تكرهوا

جزء للشرط لان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة ففعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل اذا رأى امرأة فأعجبته بهت الذي تحته ورمها بفاحشة حتى يلجئها الى الاقتداء منه بما أعطاها فقبل (وأن أردتم استبدال زوج مكان زوج) أى تطبيق امرأة وزوج أخرى (وآيتهم أحدها من) وأعطيتم احدى الزوجات فالمراد بالزوج الجمع لان الخطاب لجماعة الرجال (قنطارا) مالا عظيما كما مر في آل عمران وقال عمر رضى الله عنه على المنبر لا تقالوا بصدقات النساء فقالت امرأة أنتبع قولك أم قول الله وآيتهم أحدها من قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر تزوجوا على ما شئتم (فلاتأخذوا منه) من القنطار (شيأ تأخذونه بهتانا واثما مينا) أى بينسا والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو برئ منه لانه يبهت عند ذلك أى يتحير وانتصب بهتانا على الحال أى باهتين ممن ولد اصالحا (وأن

فلاتفرقوهن لكرهه انفس فانها قد تكره ما هو اصل لدينا وأكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه ولكن نظركم الى ما هو اصل للدين وأدنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فمسي ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم ﴿وأن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ تطبيق امرأة وتزوج أخرى ﴿وآيتهم احديهن﴾ أى إحدى الزوجات جمع الضمير لانه أراد بالزوج الجنس ﴿قنطارا﴾ مالا كثيرا ﴿فلاتأخذوا منه شيأ﴾ أى من القنطار ﴿أناخذونه بهتانا واثما مينا﴾ استفهام انكار وتوبيخ أى أناخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا أراد امرأة جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الاقتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزويج الجديدة فهو اعن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه

ربما رزق منها ولدا صالحا فجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل في الآية ندب الى امساك المرأة مع الكراهية لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للشواب وأنفق عليها وأحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقب وقيل في معنى الآية انكم ان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتزوج غيره خيرا منه ﴿قوله عز وجل﴾ وأن أردتم استبدال زوج مكان زوج ﴿الخطاب للرجال وأراد بالزوج الزوجة قال المنسرون لما ذكر الله في الآية الاولى مضارة الزوجات اذا أتبن بفاحشة وهى اما النشوز أو الزنايين في هذه الآية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن بنحس الرجل حق المرأة اذا أراد طلاقها واستبدال غيرها ﴿وآيتهم أحدها من قنطارا﴾ يعنى وكان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الآية دليل على جواز المغالاة في المهور روى ان عمر قال على المنبر ألا لاتقالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس أفقه منك يا عمر وفي رواية امرأة أصابت وأمير أخطأ ورجع عن كراهة المغالاة وقد تغالى الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل أن خير المهور أيسرها وأسهاها ﴿فلاتأخذوا منه شيأ﴾ يعنى من القنطار الذى آتيتوهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلاتأخذوا منه شيأ وذلك ان سوء العشرة اما أن يكون من قبل الزوج أو من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج وأراد طلاق المرأة فلا يحل له أن يأخذ شيأ من صداقها وان كان النشوز من قبل المرأة جازله ذلك ﴿أناخذونه﴾ استفهام بمعنى التوبيخ ﴿بهتانا﴾ يعنى ظلما وقيل باطلا ﴿واثما مينا﴾ يعنى أناخذونه مباهتين آثمين فلا تقبلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والمقل ثم قال

أردتم استبدال زوج مكان زوج) بقول ان أردتم ان تزوجوا واحدة وتطلقوا واحدة أو تزوجوا عليها أخرى (وآيتهم أعطيتم أحدها من قنطارا) مهورا (فلاتأخذوا منه) من المهر (شيأ) غصبا (أناخذونه) يعنى المهر (بهتانا) حراما (واثما مينا) ظلما (بينا



وآمين ثم أنكر أخذ المهر بعد الاضياء فقال (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) أى خلا بلا حائل ومنه  
الاضياء والآية حجة لنا في الخلوة الصحيحة انها تؤكد المهر حيث أنكر الاخذ وعلل بذلك (وأخذن منكم ميثاقا غليظا)  
عهدا وثيقا وهو قول الله تعالى فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لاجلهم  
فهو كما أخذهن أو قول {الجزء الرابع} النبي عليه السلام ﴿ ٤٠ ﴾ استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان

وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسرهننا بالظلم ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى  
بعضكم الى بعض ﴾ انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملاسة ودخل بها  
وتقرر المهر ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ عهدا وثيقا وهو حق الصبغة والممازجة  
أوما وثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان أو ما اشار اليه  
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله أخذتموهن بامانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله  
﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ﴾ ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر مادون  
من لانه أریده الصفة وقيل ماصدرية على ارادة المفعول من المصدر ﴿ من النساء ﴾  
بيان ما نكح على الوجهين ﴿ الاما قد سلف ﴾ استثناء من المعنى اللازم للنهي فكأنه  
قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الاما قد سلف أو من اللفظ للمبالغة في التحريم  
والتعميم كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتاب

والمعنى ولا تنكحوا حلائل آباؤكم الاما قد سلف أن أمكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء

تعالى ﴿ وكيف تأخذونه ﴾ كلمة تعجب والمعنى لاى وجه تفعلون مثل هذا الفعل  
وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيأ بذله لزوجه عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه  
التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب في ذلك فقال تعالى ﴿ وقد أفضى  
بعضكم الى بعض ﴾ أصل الاضياء في اللغة الوصول يقال أفضى اليه أى وصل اليه ثم للمفسرين  
في معنى الاضياء في هذه الآية قولان أحدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس  
ومجاهد والسدى واختيار الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعى لان عنده أن الزوج اذا  
طلق قبل المسيس فله أن يرجع بنصف المهر وان خلاها والقول الثانى في معنى الاضياء  
هو أن يخلو بها وان لم يجامعها وقال الكلبي الاضياء أن يكون معها في لحاف واحد جامعها  
أولم يجامعها وهذا القول هو اختيار الفراء ومذهب أبى حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده  
تقرر المهر ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ قيل هو قول العاقدة عند العقد زوجته  
على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امسك بمعروف أو تسريح بإحسان وقيل هى  
كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهى الكلمة التي تستحل بها فروج النساء ويدل على  
ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن  
بامانة الله واستحلتم فروجهن بكلمة الله ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم  
من النساء ﴿ قال المفسرون كان أهل الجاهلية يتزوجون أزواج آبائهم فنهاهم الله

في أيديكم أخذتموهن  
بامانة الله واستحلتم فروجهن  
بكلمة الله ولما نزل لايجل  
لكم ان ترثوا النساء كرها  
قالوا تركنا هذا لانهن  
كرها ولكن نخطبن  
فنكحن برضاهن فقبل  
لهم (ولا تنكحوا ما نكح  
آباؤكم من النساء) وقيل  
المراد بالنكاح الوطء أى  
لا تطؤا ما وطئ آباؤكم وفيه  
تجريم ووطء موطوءة الاب  
بنكاح أو بملك يمين أو بزنا  
كاهو مذهبا وعليه كثير  
من المفسرين ولما قالوا  
كنا نفعل ذلك فكيف  
حال ما كان منا قال (الا  
ما قد سلف) أى لكن  
ما قد سلف فانكم لا تأخذون  
به والاستثناء منقطع عن  
سيويه ثم بين صفة هذا

(وكيف تأخذونه) تستحلونه  
يعنى المهر على وجه التعجب  
(وقد أفضى بعضكم الى  
بعض) يقول وقد اجتمعتم  
في لحاف واحد بالمهر  
والنكاح (وأخذن منكم)  
يقول أخذ الله منكم عند  
النكاح للنساء (ميثاقا غليظا)  
وثيقا امسك بمعروف

أو تسريح بإحسان ثم حرم عليهم نكاح نساء آباؤهم وقد كانوا يتزوجون في الجاهلية نساء آباؤهم فنهاهم الله عن (عن)  
ذلك فقال (ولا تنكحوا) لا تتزوجوا (ما نكح) ما تزوج (آباؤكم من النساء الاما قد سلف) سوى ما قد مضى في الجاهلية

العقد في الحال فقال ( أنه كان فاحشة ) بالغة في القبح ( ومقتا ) وبغضا عند الله وعند المؤمنين وناس منهم يمتقونه من ذوى  
صرواتهم ويسمونهم نكاح المقت وكان المولود ﴿ ٤١ ﴾ عليه يقال له { سورة النساء } الممتى ( وساء سييلا ) وبئس

الطريق طريقا ذلك ولما  
ذكر في أول السورة  
نكاح ما طاب أى حمل  
من النساء وذكر بعض  
ما حرم قبل هذا وهو  
نساء الآباء ذكر المحرمات

الباقيات وهن سبع من  
النسب وسبع من السبب  
وبدا بالنسب فقال ( حرمت  
عليكم أمهاتكم ) والمراد  
تحريم نكاحهن عند البعض  
وقد ذكرنا المختار في شرح  
المنار والجدة من قبل  
الام أو الاب ملحقه بهن  
( وبناتكم ) وبنات الابن  
وبنات البنات ملحقات بهن  
والاصل ان الجمع اذا قوبل  
بالجمع ينقسم الآحاد على  
الآحاد فحرم على كل واحد  
أمه وبنته ( وأخوانكم )  
لاب وأم أولاب أولام  
( وعماتكم ) من الاوجه  
الثلاثة ( وخالاتكم ) كذلك  
( وبنات الاخ ) كذلك  
( وبنات الاخت كذلك )

( أنه ) يعنى تزوج نساء الآباء  
( كان فاحشة ) معصية  
( ومقتا ) بغضا ( وساء سييلا )  
بئس مسلكا نزلت في محسن  
ابن أبي قيس الانصارى  
ثم بين ما حرم عليهم من النساء

منقطع وعناه لكن ما قد سلف فانه لا يؤخذ عليه لأنه مقرر ﴿ أنه كان فاحشة ومقتا ﴾  
علة للنهى أى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم بمقونا عند  
ذوى المروات ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة أبيه المقتى ﴿ وساء سييلا ﴾ سبيل  
من براه ويفعله ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم  
وبنات الاخ وبنات الاخت ﴾ ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم

عن ذلك بهذه الآية روى انه لما توفي أبو قيس وكان من صالحى الانصار خطب  
ابنه قيس امرأة أبيه فقالت انى اتخذت ولدا وانت من صالحى قومك ولكى اتى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأمره فاتته فاخبرته فانزل الله عز وجل ولا تنكحوا  
ما نكح آباؤكم من النساء ﴿ الاما قد سلف ﴾ يعنى الامامضى فى الجاهلية قبل نزول  
التحريم فانه معفو عنه ﴿ أنه كان فاحشة ﴾ انما سماه فاحشة لان زوجة الاب فى  
منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من أفجع المعاصى  
﴿ ومقتا ﴾ يعنى انه يورث المقت من الله وهو أشد الغضب وغاية الخزي والخسارة  
﴿ وساء سييلا ﴾ أى وبئس ذلك طريقا لانه يؤدى الى مقت الله والعرب تسمى ولد الرجل  
من امرأة أبيه مقيتا وكان منهم الأشعث بن قيس وأبو معيط بن أبى عمرو بن أمية ﴿ روى  
البعوى بسنده عن البراء بن عازب قال مر بي خالى ومعه لواء فقلت أين تذهب قال بهثنى النبي  
صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة أبيه برأسه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ حرمت عليكم  
أمهاتكم ﴾ بين الله عز وجل فى هذه الآية المحرمات من النساء بسبب الوصلة اما بسبب  
أونسب (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع  
ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الآية فجملة المحرمات من النساء بنص الكتاب أربعة عشر  
صفا فاما المحرمات بالنسب فقولوه حرمت عليكم أمهاتكم جمع أم واصل أمهات أمات  
وانما زيدت الهاء للتوكيد والام هى الوالدة القريبة ويدخل فى حكمها كل امرأة رجوع  
النسب اليها من جهة الاب أو من جهة الام بدرجة أو بدرجات وهن جميع الجدات  
وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات ﴿ وبناتكم ﴾ والبنات عبارة عن كل أختى رجوع  
نسبها اليك بالولادة بدرجة أو درجات باناث كبنات البنات وان سفلت وكذا بنت الابن  
﴿ وأخواتكم ﴾ جمع أخت وهى عبارة عن كل امرأة شاركتك فى أصلك فتدخل فيه  
الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام ﴿ وعماتكم ﴾ جمع عمة  
وهى كل امرأة شاركت أباك فى أصله وهن جميع أخوات الاب وأخوات آباءه وان  
علون وقد تكون العمه من جهة الام أيضا وهى أخت أبى الام ﴿ وخالاتكم ﴾ جمع خالة  
وهى كل امرأة شاركت الام فى أصلها فيدخل فيه جميع أخوات الام وأخوات أمهاتها  
وقد تكون الخالة من جهة الاب أيضا وهى أخت أم الاب ﴿ وبنات الاخ وبنات الاخت ﴾

بالتزوج فقال ( حرمت عليكم أمهاتكم ) ( قا وخا ٦ نى ) من النسب ( وبناتكم ) من النسب ( وأخواتكم ) من النسب  
من أى وجه يكن ( وعماتكم ) ( أخوات آباءكم ) ( وخالاتكم ) أخوات أمهاتكم ( وبنات الاخ ) من النسب من أى

ما يقصد مهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل في قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وأمهاتكم يعم من ولدتك أو ولدت من ولدك وان علت وبناتكم يتناول من ولدتها أو ولدت من ولدها وان سفلت وأخواتكم الاخوات من الالوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمه كل أنثى ولدها من ولد ذكرا وولدك والحالة كل أنثى ولدها من ولد أنثى ولدتك قريبا أو بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القريبى والبعدى وأممهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ﴿ نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمي المرضعة أما والمرضاة أختا وأمرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذى در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء أخت ابن الرجل وأم أخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتها من النسب بالمصاهرة دون

وهى عبارة عن كل امرأة لا خيك أو لا ختك عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ أو الاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفان فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجليته انه يحرم على الرجل أصوله وفصوله وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل بعده أصل فالاصول هن الامهات والجيدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول أول أصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاختوات وأول فصل من كل أصل بعده أصل هن العمات والحالات وان علون قال العلماء كل امرأة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فخرمتها مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه . الصنف الثانى المحرمات بالسبب وهن سبع الاول والثانى المحرمات بالرضاع وذلك في قوله تعالى ﴿ وأممهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ﴾ كل أنثى اتسبت باللبن اليها فهى أمك وبناتها أختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى أجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة أخرجه فى الصحيحين (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنت حزمة انها لا تحل لى يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وانها ابنة أختى من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة وانما سمي الله تعالى المرضعات أمهات لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع أحكام الامومية من كل وجه فلا يتوارثان ولا تجب على كل واحد منهما نفقة الآخر وغير ذلك من الاحكام وانما ثبتت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما ان يكون ارضاع الصبى فى حال الصغر وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وقوله تعالى وفصاله فى عامين \* عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما نعتى الامماء فى الثدي وكان قبل القطام أخرجه الترمذى

ثم شرع فى السبب فقال ( وأممهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة ) الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة أما للرضيع والمرضاة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولده من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته وأخواته لايه وأم المرضعة جدته وأخماخالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته وأخواته لايه وأمهم ومن ولد لها من غيره فهم اخوته وأخواته لام وأصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب

وجه يكتن ( وبنات الاخت ) من النسب من أى وجه يكتن ( وأممهاتكم ) وحرمت عليكم أممهاتكم أيضا ( اللاتى أرضعنكم ) فى الحولين ( وأخواتكم من الرضاعة )

(وأمهات نسائكم) وهن محرمات بمجرد ﴿٤٣﴾ العقد (وربائبكم) {سورة النساء} سمي ولد المرأة من غير

زوجها ربيبا وربية لانه  
يربهما كما يرب ولده في  
غالب الامر ثم اتسع فيه  
فسيما بذلك وان لم يربهما  
(اللاتي في مجورك) قال  
داود اذا لم تكن في حجره  
لا تحرم قلنا ذكر الحجر  
علي غلبة الحال دون الشرط  
وفأثنته التعليل للتحريم  
وانهن لا احتضانكم لهن أو  
لكونهن بصدد احتضانكم  
كانكم في العقد على بناتهن  
عاقدون على بناتكم (من  
نسائكم اللاتي دخلتم بهن)  
متعلق بربائبكم أي الربية  
من المرأة المدخول بها  
حرام على الرجل حلاله  
اذا لم يدخل بها والدخول  
بهن كسباية عن الجماع  
كقولهم بنى عليها وضرب  
عليها الحجاب أي أدخلتموهن  
الستر والباء للتعدية  
والمس ونحوه يقوم مقام  
الدخول وقد جعل بعض  
العلماء اللاتي دخلتم بهن  
وصفا للنساء المتقدمة  
والمأخوذة وليس كذلك  
لان الوصف الواحد لا يقع  
على موصوفين مختلفي العامل

النسب ﴿ وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في مجورك من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ﴾  
ذكر أول المحرمات النسب ثم محرمات الرضاعة لان لها حجة كحجة النسب ثم محرمات  
المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج. والربائب جمع ربيبة والريب ولد المرأة  
من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مقبول وانما لحقه التاء  
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لارضاعة الاما كان في الحوايين أخرجه مالك في الموطأ  
باطول من هذه وأخرجه أبو داود مختصرا قال قال عدالله بن مسعود لارضاع الاماشد  
اللحم وقال أبو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفضاله ثلاثون شهرا  
وحمله الجمهور على أقل مدة الحلم وأكثر مدة الرضاع لان مدة الحلم داخله فيه وأقله  
سنة أشهر الشرط الثاني ان يوجد خمس رضعات متفرقات روى ذلك عن عائشة  
وبه قال عبدالله بن الزبير واليه ذهب الشافعي وبديل على ذلك ما روى عن عائشة ان النبي صلى  
الله عليه وسلم قال لا تحرم المصبة ولا المصتان أخرجه مسلم (م) عن أم الفضل رضي الله عنها  
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجات وفي رواية ان رجلا من بني  
عاصر بن صعصعة قال يا بني الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن عائشة رضي الله  
عنها قال كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخت بخمس  
معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن قولها توفي  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل انه لم يبايعها نسخ ذلك  
وأجمعوا على ان هذا لا يتلى فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه وذهب جمهور العلماء الى  
ان قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن  
المسيب واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وأبو حنيفة وأحمد  
في إحدى الروايتين عنه والرواية الاخرى كذهب الشافعي واحتج مذهب الجمهور  
بمطلق الآية لانه عمل بعوم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا وأجاب الشافعي  
ومن وافقه في هذه المسئلة بان السنة مبينة للقرآن مفسرة له ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وأمهات  
نسائكم) يعني اذا تزوج الرجل بامرأة حرمت عليه أمها الاصلية وجميع جداتها  
من قبل الاب والام كافي النسب والرضاع أيضا ومذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين  
وكل العلماء ان من تزوج امرأة حرمت عليه أمها بنفس العقد سواء دخل بها أو لم يدخل  
بها وذهب جمع من الصحابة الى ان أم المرأة انما تحرم بالدخول بانبتها وهو قول علي  
وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر الروايات عن ابن عباس والعمل  
اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور وبديل على ذلك ما روى عن عمرو بن  
شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل نكح امرأة  
فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فليكن ابنتها وأيما رجل نكح امرأة فلا يحل له  
ان ينكح أمها دخل بها أو لم يدخل أخرجه الترمذي ﴿ قوله عز وجل ﴾ (وربائبكم اللاتي  
في مجورك من نسائكم اللاتي دخلتم بهن

(اللاتي في مجورك) ربيتم في بيوتكم (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) بأمهاتهن

و مدان النساء الاولى  
مجرورة بالاضافة والثانية  
عن ولا يجوز أن تقول  
صرت بنسائك وهربت  
من نساء زيد الظريفات  
على ان تكون الظريفات  
نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء  
النساء كذا قال الزجاج  
وغيره وهذا أولى مما قاله  
صاحب الكشاف فيه (فإن  
لم تكونوا دخلتم بهن فلا  
جناح عليكم) فلا حرج  
عليكم في أن تتزوجوا  
بناتهن اذ فارقتوهن أو  
متن (وحلائل أبنائكم)  
جمع حليلة وهي الزوجة  
لا لكل واحد منهما محل  
للآخر أو يحل فراش  
الآخر من الحل أو من  
الحلول (الذين من أصابكم)  
دون من تبنيتم فقد تزوج  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
زينب حين فارقتها زيد  
وقال الله تعالى لكيلا  
يكون على المؤمنين حرج  
في أزواج أديعائهم وليس  
هذا في الحرمة عن حليلة  
(فإن لم تكونوا دخلتم  
بهن) بأمهاتهن (فلا جناح  
عليكم) ان تتزوجوا  
بناتهن بعد طلاق أمهاتهن  
(وحلائل أبنائكم) نساء  
أبنائكم (الذين من أصابكم)

لانه صار اسما ومن نسائك متعلق برأبكم والاتي بصلتها صفدا لها مقيدة للفظ والحكم  
باجاع قضية للنظم ولا يجوز تعلقها بالامهات أيضا لان من اذا علقها بالربائب كانت  
ابتدائية فاذ علقها بالامهات لم يحز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائك والكلمة  
الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم اذا جعلتها للاتصال كقوله  
اذا حاولت في أسد فجورا « فإني لست منك ولست مني

على معنى ان أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما  
فقال في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها  
ولا يحل له ان يتزوج أمها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن علي رضي الله تعالى  
عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنساء لان عاملهما  
مختلف وفائدة قوله في مجوزكم تقوية الالة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بأمهاتهن  
وهن في احتضانكم أو بصده قوى الشبه بينهما وبين أولادكم فصارت أحقاء بان تجروها  
مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن علي رضي الله تعالى عنه  
انه جعله شرطا والامهات والربائب يتناولان القرينة والبعدة وقوله دخلتم بهن أي  
دخلتم ممهن السر وهي كناية عن الجماع ويؤثر في حرمة المصاهرة ما ليس بزنا كالوطء  
بشبهة أو ملك يمين وعند أبي حنيفة لمس المنكوحه ونحوه كالدخول \* فإن لم تكونوا  
دخلتم بهن فلا جناح عليكم \* تصریح بعد اشعار دفعا للقياس \* وحلائل أبنائكم \*  
زوجانهم سميت الزوجة حليلة لخلها أو لحلولها مع الزوج \* الذين من أصابكم \* احتراز



فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم \* الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من رجل  
آخر سميت ربيبة لتربيتها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لانفس العمد  
فيحرم على الرجل بنات امرأته وبنات أولادها وان سفلن من النسب والرضاع  
بعد الدخول بالزوجة فلو فارقت زوجته قبل الدخول بها أو ماتت قبل دخوله بها جازله ان  
يتزوج بنتها ولا يجوز له ان يتزوج أمها لان الله تعالى أطلق تحريم الامهات وعلق تحريم البنات  
بالدخول بالام \* قوله عز وجل \* وحلائل أبنائكم \* يعني أزواج أبنائكم واحدها حليلة  
والرجل حليل سمي بذلك لان كل واحد منهما محل لصاحبه وقيل لان كل واحد  
منهما محل حيث محل صاحبه في ازار واحد وقيل لان كل واحد منهما محل ازار  
صاحبه من الحل بفتح الحاء وجلته انه يحرم على الرجل أزواج ابنته وأبناء  
أولاده وان سفلوا من النسب والرضاع وذلك بنفس العقد \* الذين من أصابكم \*  
انما قال من أصابكم احترازا من التبني ليعلم ان زوجه المتبني لا تحرم على الرجل  
الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال الله  
تعالى ادعوهم لأبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجه زيد بن  
حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فانزل الله تعالى وما جعل  
أديعائكم أبناءكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديعائهم \* قوله

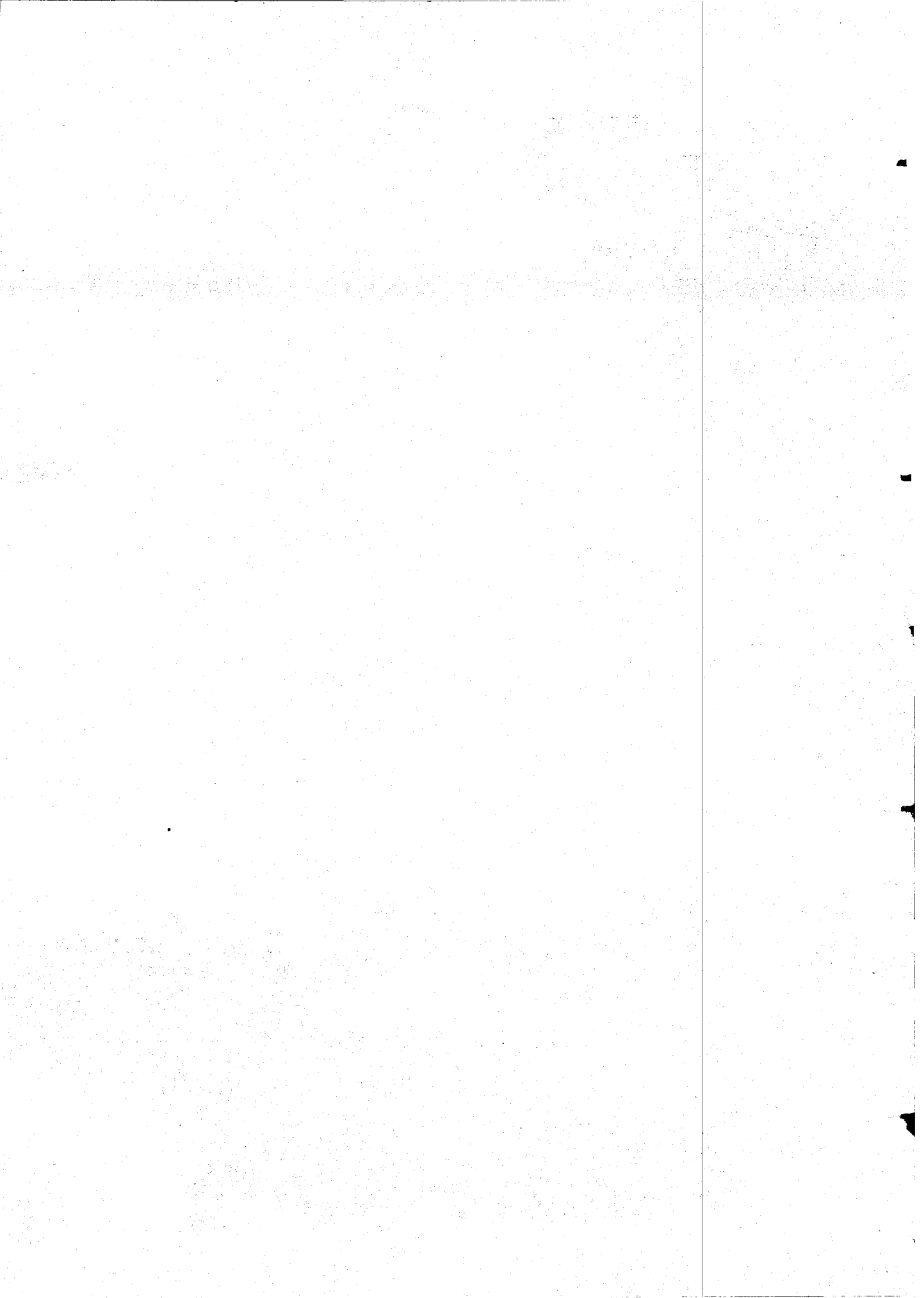
عن المتبنين لا عن أبناء الولد ﴿وأن تجمعوا بين الاختين﴾ في موضع الرفع عطف على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى رضي الله تعالى عنهما حرمتها آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم فرجع على كرم الله وجهه المحرم وعثمان رضي الله عنه التحليل وقوله على أظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ما جمع الحلال والحرام الاغلب الحرام ﴿الا ما قد سلف﴾ استثناء من لازم المعنى أو منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله ﴿ان الله كان عفورا رحيمًا﴾

الابن من الرضاع (وأن  
تجمعوا بين الاختين) أى  
في النكاح وهو في موضع  
الرفع عطف على المحرمات  
أى وحرم عليكم الجمع بين  
الاختين (الاما قد سلف)  
ولكن ما مضى مغفور بدليل  
قوله (أن الله كان عفورا  
رحيمًا) وعن محمد بن  
الحسن رحمه الله ان أهل  
الجاهلية كانوا يعرفون  
هذه المحرمات الا نكاح  
امرأة الاب ونكاح الاختين  
فلذا قال فيها الا ما قد  
سلف

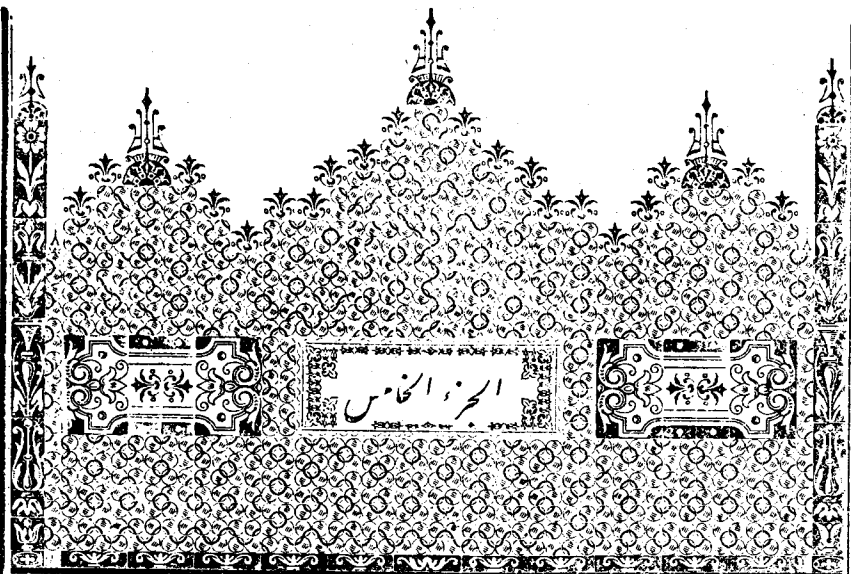
وهم ولد فراشكم (وأن  
تجمعوا بين الاختين)  
بالنكاح حرتين أو أمتين  
(الاما قد سلف) سوى  
ما تقدم مضى في الجاهلية  
(أن الله كان عفورا) فيما  
كان منكم في الجاهلية  
(رحيمًا) فيما يكون منكم  
في الاسلام اذنبتم

عز وجل ﴿وأن تجمعوا بين الاختين﴾ يعنى لا يجوز للرجل أن يجمع بين الاختين في نكاح واحد سواء كانت الاخوة بينهما اخوة نسب أو رضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة أوجه أحدها أن يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج إحدى الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فهنا يحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الاولى طلاقاً بائناً جازمه نكاح أختها الوجه الثاني من صور الجمع بين الاختين هو ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز له ان يجمع بينهما في الوطء فاذا وطئ احدهما حرمت عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع أو هبة أو عتق أو كتابة الوجه الثالث من صور الجمع بين الاختين هو أن يتزوج احدهما ويشترى الاخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلماء الى أنه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الآية يقتضى تحريم الجمع مطلقاً فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول الاول أصح وأولى لما روى قبيصة بن ذؤيب أن رجلاً سأل عثمان عن أختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان أحلتها آية وحرمتها آية فاما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك فخرج من عنده فلقى رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال أما أنا فلو كان لي من الامر شيء لم أجد أحداً فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب أراه على بن أبي طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك أخرجه مالك في الموطأ ﴿قوله عز وجل﴾ (الاما قد سلف) يعنى لكن ما قد مضى فانه مغفور عنه بدليل قوله تعالى ﴿أن الله كان عفورا رحيمًا﴾ وقيل ان فائدة هذا الاستثناء ان نكحة الكفار صحيحة فلو أسلم عن أختين قيل له اختر أيتها شئت ويدل على ذلك ما روى عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال قلت يا رسول الله أنى أسلمت وتحتى أختان قال طلق أيتها شئت أخرجه أبو داود ﴿فروع تتعلق بحكم الآية الاولى﴾ لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالها ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالها أخرجه في الصحيحين قال بعض العلماء في حد ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة أولبن لو كان ذلك بينك وبين المرأة لم يجزلك نكاحها لم يجزلك الجمع بينهما ﴿الفرع الثاني﴾ المحرمات بالنسب سبعة أصناف ذكرت في الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان

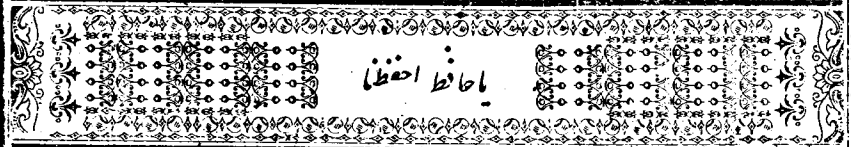
صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات والاخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن أم المرأة وحليلة الابن وزوجة الاب وقد تقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين  الفرع الثالث  التحريم الحاصل بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلوزني بأمرأة لم تحرم عليه أمها ولا بنتها لو أراد أن يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المزني بها على آباء الزاني ولا أبنائه انما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح أو بنكاح فاسد يجب لها به الصداق وتجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري واليه ذهب مالك والشافعي وفقهاء الحجاز وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة يروى ذلك عن عمران ابن حصين وأبي هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن وأهل العراق ولولمس امرأة أجنبية بشهوة أو قبلها بشهوة هل يجعل ذلك كالدخول في إثبات تحريم المصاهرة وكذلك لولمس امرأة بشهوة هل يجعل ذلك كالوطء في تحريم الربيبة فيه قولان أصحهما انه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول أكثر أهل العلم والثاني لا تثبت به كما لا تثبت بالنظر بشهوة







الحرم الخامس



يا حافظ احفظها

والمحصنات من النساء ﴿ ذوات الأزواج أحصنهن التزوج أو الأزواج ﴾ وقرأ الكسائي بكسر الصاد في جميع القرآن لانهن أحصن فزوجهن ﴿ الاماملكت أيمانكم ﴾ يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابن والنكاح مرتفع بالسبي اقول أبي سعيد رضى الله تعالى عنه أصبنا سبأيا يوم أو طاس ولهن أزواج كفار ففكر هنا ان تقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واية عن الفرزدق بقوله وذات حليل أنكحتها رماحنا . حلال لمن بنى بها لم تطلق وقال أبو حنيفة لوسى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الآية والحديث حجة عليه

قوله عز وجل ﴿ والمحصنات ﴾ يعنى وحرمت المحصنات ﴿ من النساء ﴾ وأصل الاحصان فى اللغة المنع والحصان بالقبح المرأة العفيفة ويطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرمة والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد من الاحصان فى قوله والمحصنات ذوات الأزواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة أزواجهن وهذه هى السابعة من النساء التى حرمن بالسبب قال أبو سعيد الخدرى نزلت هذه الآية فى نساء كنى هاجر بن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن أزواجهن فتزوجن بهن المسلمون ثم قدم أزواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى ﴿ الاماملكت أيمانكم ﴾ يعنى السبأيا اللاتي سبين ولهن أزواج فى دار الحرب فيحل للمالكهن وطؤهن بعد الاستبراء لان السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال أبو سعيد الخدرى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى أو طاس فأصابوا

(والمحصنات من النساء) أى ذوات الأزواج لانهن أحصن فزوجهن فزوجهن بالزوج قرأ الكسائي بفتح الصاد هنا وفى سائر القرآن بكسرها وغيره بفتحها فى جميع القرآن (الاماملكت ايمانكم) بالسبي وزوجها فى دار الحرب والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات أى اللاتي لهن أزواج الاماملكتموهن بسبين وأخرجهن بدون أزواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسبي فحل الغنائم بملك اليمين

والمحصنات) ذوات الأزواج (من النساء) حرام عليكم (الاماملكت أيمانكم) من السبأيا فانهن حلال لكم وان كان أزواجهن فى دار الحرب بعدما استبرأتم

بعد الاستبراء (كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد أي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم وعطف (وأحل لكم) على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله ﴿٤٩﴾ أي كتب الله عليكم تحريم {ورة النساء} ذلك وأحل لكم (ما وراء ذلكم) ما سوى المحرمات المذكورة وأحل كوفي غير أبي بكر عطف على حرمت (أن يتنقوا) مفعول له أي بين لكم ما يحل مما يحرم لأن

تبتغوا أو بدل مما وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر (بأموالكم) يعني المهور وفيه دليل على ان النكاح لا يكون الا بمهر وانه يجب وان لم يسم وان غير المال لا يصلح بهر وان القليل لا يصلح مهرا اذا جلبت لاتمد ما لاعادة (محصنين) في حال كونكم محصنين (غير مسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم ففسدوا دينكم ودنياكم ولا فساد أعظم من الجمع بين الحسراتين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المنى

أرحامهن بحیضة (كتاب الله عليكم) في كتاب الله حرام الذي سميت لكم (وأحل لكم ما وراء ذلكم) سوى ما قد بينت لكم تحريمه (أن يتنقوا) تنزجوا (بأموالكم) الى الاربع ويقال ان تشتروا بأموالكم من الاماء ويقال ان يتنقوا بأموالكم ان تطلبوا بأموالكم فروجهن وهي المتعة وقد نسخت الآن (قا وخا ٧ ني) (محصنين) يقول كونوا معهن متزوجين (غير مسافحين) هيرزاني

﴿ كتاب الله عليكم ﴾ مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرى كتب الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل ﴿ وأحل لكم ﴾ عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حرة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطف على حرمت ﴿ ما وراء ذلكم ﴾ ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وحرص عند السنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالها ﴿ أن يتنقوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ﴾ مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان يتنقوا النساء بأموالكم بالصرف في مهورهن أو اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل ارادة ان تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين أو بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المنى فانه الفرض منه

سبايلهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فأزاله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بينهما طلاقا فيحل للمشتري وطؤها وقال عطاء اراد بقوله الا ما ملكت أي ما ملكت ان تكون أمته في نكاح عبده فيجوز له ان يتزعمها منه وقيل اراد بالحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت أي ما ملكت فانه لا عدد عليكم في الجوارى ولا حصر ﴿ كتاب الله عليكم ﴾ يعني حرمت عليكم أمهاتكم وكتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتابا من الله عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما حلل كتابا ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلكم ﴾ يعني وأحل الله لكم ما سوى ذلكم الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الآية يقتضى حل ما سوى المذكورين من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل من السنة بتحريم اصناف أخر سوى ما ذكر من ذلك انه محرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالها ومن ذلك المطلقة لئلا تلحق زوجها الاول حتى تنكح زوجها غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تلحق للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك ان من كان في نكاح حرة لم يجز له أن يتزوج بالامة والتأدير على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة ومن ذلك ان من كان عنده أربع نسوة حرم عليه أن يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتأبيد فهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الآية فعلى هذا يكون قوله تعالى وأحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوصا ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أن يتنقوا بأموالكم ﴾ فيه اشارة تقديره وأحل لكم أن يتنقوا أي طلبوا بأموالكم أي تنكحوا بصدقات أو تشتروا بتمن وفي الآية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشئ فيجوز على القليل والكثير لاطلاق قوله تعالى أن يتنقوا بأموالكم ﴿ محصنين ﴾ يعني متزوجين وقيل متعفين ﴿ غير مسافحين ﴾ يعني غير زانين

فروجهن وهي المتعة وقد نسخت الآن (قا وخا ٧ ني) (محصنين) يقول كونوا معهن متزوجين (غير مسافحين) هيرزاني

﴿ فاستمتع به منهن ﴾ فن تمتع به من المنكوحات أو فاستمتع به منهن من  
جماع أو عقد عليهن ﴿ فآتوهن أجورهن ﴾ مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع

والسفاح الفجور وأصله من السفح وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له  
الاصب النطفة فقط ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فاستمتع به منهن ﴾ اختلفوا في معناه فقال الحسن  
ومجاهد ارادما تمتعتم وتلدتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان أصل الاستمتاع في  
اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع ﴿ فآتوهن أجورهن ﴾ يعني مهورهن  
وانما سمي المهر أجرا لانه بدل المنافع ليس بدل الاعيان كما سمي بدل منافع الدار والدابة  
أجرا وقال قوم المراد من حكم الآية هونكاح المتعة وهوان ينكح امرأة الى مدة  
معلومة بشئ معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانتهى بغير طلاق ويستبرئ رجبها وليس بينهما  
ميراث وكان هذا في ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرمها  
(م) عن سيرة بن معبد الجهني رضى الله عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال  
يا أيها الناس اني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة  
فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا والى هذا ذهب جمهور  
العلماء من الصحابة فمن بعدهم أي ان نكاح المتعة حرام والآية منسوخة واختلفوا في نسخها  
فقتل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سيرة الجهني (ق) عن علي بن أبي طالب  
رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل  
لحوم الجمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومذهب الشافعي  
ان السنة لا تنسخ القرآن فلي هذا يقول ان نسخ هذه الآية قوله تعالى في سورة المؤمنون  
والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين  
والمنكوحه في المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الروايات عن ابن عباس  
رضي الله عنهما في المتعة فروى عندها الآية محكمة وكان يرخص في المتعة قال عمارة سألت  
ابن عباس رضي الله عنهما عن المتعة أسفاح هي أم نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت  
فأهي قل متعة قل الله تعالى ﴿ فاستمتع به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل  
يتوارثان قل لا وروى ان الناس ما ذكروا الاشعار في قتيابن عباس رضي الله عنهما بالمتعة  
قال قاتلهم الله أنما أفتيت باباحتها على الاطلاق لكن قلت انما تحل للمضطر كما تحل الميتلة  
وروى انه رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس رضي الله عنهما  
في قوله ﴿ فاستمتع به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء  
فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب صعد المنبر فحمد الله  
وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام يشككون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها  
لأجد رجلا نكحها الارجته بالحجارة وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث  
قال الشافعي لأعلم في الاسلام شيئا أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة وقال أبو عبيد  
المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول

(فا استمتع به منهن) فما  
نكحته. وه منهن (فآتوهن  
أجورهن) مهورهن لان  
المهر ثواب على البضع فما  
في معنى النساء ومن  
للتبعض أوليان ويرجع  
الضمير اليه على اللفظ في به  
وعلى المعنى في فآتوهن

بلانكاح (فا استمتعتم)  
استمتعتم (به منهن) بعد  
النكاح (فآتوهن)  
فأعطوهن (أجورهن)  
مهورهن كاملة

﴿ فريضة ﴾ حال من الاجور بمعنى مفروضة أوصفة مصدر محذوف أى ابتداء مفروضاً أو مصدر مؤكّد ﴿ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ فيما زاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضى أو فيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فحمت مكة ثم نسخت لما روى انه عليه الصلاة والسلام أباها ثم أصبح يقول يا أيها الناس انى كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء ألا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهى النكاح المؤقت بوقت معلوم سمى بها اذ افترض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتبعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رضى الله عنهما ثم رجع عنه ﴿ أن الله كان عليماً ﴾ بالمصالح ﴿ حكيماً ﴾ فيما شرع من الاحكام

(فريضة) حال من الاجور أى مفروضة أو وضعت موضع ابتداء لان الايتاء مفروض أو مصدره مؤكّد أى فرض ذلك فريضة (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر أو تهبله من كله أو يزيد لها على مقداره أو فيما تراضيا به من مقام أو فراق (أن الله كان عليماً) بالاشياء قبل خلتها (حكيماً) فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى به حفظت الانساب وقيل ان قوله فاستمتعتم نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت

أهل العلم جميعاً من أهل الحجاز والشام والعراق من أصحاب الاثر والرأى وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا غيره قال ابن الجوزى في تفسيره وقد تكلف قوم من مفسرى القرآن فقالوا المراد بهذه الآية نكاح المتعة ثم نسخت بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم أجاز المتعة ثم منع منها فحرمها فكان قوله منسوخاً بقوله وأما الآية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبغوا باموالكم محسنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فاستمتعتم به منهن فانكحتموه على الشرائط التي جرت وهو قوله محسنين غير مسافحين أى عاقدين الزوج وقال ابن جرير الطبرى أولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من تأوله فانكحتموه منهن فجاء معتموهن فآتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقوله تعالى فآتوهن أجورهن بنى مهورهن ﴿ فريضة ﴾ يعنى لازمة وواجبة ﴿ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ﴾ اختلفوا فيه فن حل ما قبله على نكاح المتعة قل أراد انهما اذا عقدا عقداً عقداً الى أجل على مال فاذا تم الاجل فان شاءت المرأة زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقتها وقد تقدم ان ذلك كان جائزاً ثم نسخ وحرم ومن حل الآية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعنى من الابراء من المهر والافتداء والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم ان تهب المرأة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذى لا يجب عليه ﴿ أن الله كان عليماً ﴾ يعنى بما يصلحكم أيها الناس في مناحيكم وغيرها من سائر أموركم ﴿ حكيماً ﴾ يعنى فيما دبر لكم من التدبير وفيما يأمركم به وينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل

فصل في قدر الصداق وما يستحب منه

(فريضة) من الله عليكم ان تعطوا المهر تاماً (ولا جناح عليكم) ولا حرج عليكم (فما تراضيتم به) فيما تراضيتم به فيما تنقصون وتزيدون في المهر بالتراضى (من بعد الفريضة) الاولى التي سميت لها (أن الله كان عليماً) فيما حل لكم المتعة (حكيماً) فيما حرم عليكم المتعة ويقال عليماً باضطراركم الى المتعة حكيماً فيما حرم عليكم المتعة

اعلم انه لا تدبير لكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم أحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً والمستحب ان لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ألا لاتغالوا في صدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بهائى الله

ومن لم يستطع منكم طولاً \* غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة

صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئاً من نسائه ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من اثني عشر أوقية أخرجه الترمذي ولأبي داود نحوه (م) عن أبي سلمة رضي الله عنه قال سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثني عشرة أوقية ونشأ قلت أندري ما اللش قلت لا قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم واختلف العلماء في أقل الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقبله بل كل ما جاز أن يكون ميبعا أو ثمننا جاز أن يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي وأحمدوا بحق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وأبي حنيفة غير أن نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند أبي حنيفة عشرة دراهم والدليل على أن الصداق لا يتقدر ما روى عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصبه ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فلما رأته المرأة انه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله ان لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال فهل عندك من شيء فقال لا والله يا رسول الله فقال اذهب الى أهلك فانظر هل تجد شيئاً فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتماً من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ولكن ازارني هذا قال سهل ما لرداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان ابست لم يكن عليهما من شيء وان لبسته لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرأه النبي صلى الله عليه وسلم مولياً فأمر به فدعى له فلما جاء قال ماذا معك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها قال تقرؤون من ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتها بتمامك من القرآن وفي رواية فقد زوجتكها تعلمها من القرآن وفي رواية فقد أنكحنا كما بتمامك من القرآن أخرجه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي في هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقبل الصداق لانه قال هل تجد شيئاً فهذا يدل على جواز أي شيء كان من المال ثم قال ولو خاتماً من حديد ولا قيمته الا القليل التافه وفيه دليل على أنه يجوز أن يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعي ومنعه أصحاب الرأي \* عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطى في صداق امرأة ملاء كفيه سويقاً أو تمرًا فقد استحل أخرجه أبو داود \* عن عبد الله بن عامر عن أبيه رضي الله عنه ان امرأة من بنى فزارة تزوجت على نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت نعم فاجازها أخرجه الترمذي وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضاب من زيب مهر \* قوله عز وجل \* ومن لم يستطع منكم طولاً \* يعني فضلاً وسعة وإنما سمي النبي طولاً لانه ينال به من المراد ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما يصرف الى المهر والنفقة

(ومن لم يستطع منكم طولاً) فضلاً يقال فلان على طول أي فضل وزيادة وهو ممنول يستطع (ومن لم يستطع منكم طولاً) من لم يجد منكم مالا

(أن ينكح) مفعول الطول  
فانه مصدر فيعمل عمل  
فعله أو بدل من طولاً  
(المحصنات المؤمنات)  
حرائر المسلمات (فما ملكت  
أيمانكم من فتياتكم المؤمنات)  
أى فليتكح مملوكة من الاماء  
المسلمات وقوله من فتياتكم  
أى من فتيات المسلمين  
والمعنى ومن لم يستطع زيادة  
في المال وسعة يباغ بها نكاح  
الحرّة فليتكح امة ونكاح  
الامة الكتابية يجوز عندنا  
والتقييد في النص للاستحباب  
بدليل ان الايمان ليس  
بشروط في الحرائر اتفاقاً  
مع التقييد وقال ابن عباس  
ومما وسع الله على هذه  
الامة نكاح الامة واليهودية  
والنصرانية وان كان هوسراً  
وفيه دليل لنا في مسألة  
الطول (والله أعلم بايمانكم)  
فيه تنبيه على قبول ظاهر  
ايمانهم ودليل على أن  
الايمان هو التصديق دون  
عمل اللسان لان العلم  
بالايمان المسموع لا يختلف  
(أن ينكح المحصنات) الحرائر  
( المؤمنات فما ملكت  
أيمانكم ) فتزوجوا مما  
ملكتم أيمانكم (من فتياتكم  
المؤمنات ) من الولائد  
اللاتي في أيدي المؤمنين  
(والله أعلم بايمانكم) بمسقر  
قلوبكم على الايمان

﴿ أن ينكح المحصنات المؤمنات ﴾ في موضع النصب بطولاً أو بضعل مقدر صفة له أى ومن  
لم يستطع منكم ان يعقل نكاح المحصنات أو من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر  
لقوله ﴿ فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ﴾ يعنى الاماء المؤمنات فظاهر الآية حجة  
للسانفى رضى الله تعالى عنه في تحرّم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صدق حرة ومنع نكاح  
الامة الكتابية مطلقاً وأول أبو حنيفة رجه الله تعالى طول المحصنات بان يملك فراشهن  
على ان النكاح هو الوطء وحل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حل عليه في قوله  
المحصنات المؤمنات ومن أضحنا من حله أيضاً على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر  
على الحرية الكتابية دون المؤمنة حذراً عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحدور في نكاح  
الامة ورق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج ﴿ والله أعلم بايمانكم ﴾ فاكتفوا  
﴿ أن ينكح المحصنات ﴾ يعنى الحرائر ﴿ المؤمنات فما ملكت أيمانكم ﴾ يعنى جارية أخيك  
المؤمن فان الانسان لا يجوز له أن يتزوج بجارية نفسه ﴿ من فتياتكم المؤمنات ﴾ المعنى  
من لم يقدر على مهر الحرية المؤمنة فليزوج الامة المؤمنة والفتيات الجوارى المملوكات جمع  
فتاة يقال للامة فتاة ولعبد فتى وفي الآية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين  
أحدهما ان لا يجد مهر حرة لانه خرت العادة في الاماء بتخفيف مهورهن وتفقهن  
وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشروط الثانى هو خوف العنت على نفسه  
وهو قوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الزنا وهذا  
قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمر بن دينار  
وايه ذهب مالك والشافعى وأحمد وروى عن على والحسن البصرى وابن المسيب  
ومجاهد والزهرى انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسراً وهو مذهب أبى  
حنيفة الا أن يكون في نكاحه حرة والسبب في منع الحر من نكاح الامة الا عند  
خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد  
رقيقاً وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد أعظم من حق  
الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلاً لان للسيد حبسها لخدمته ولان  
مهرها ملك السيد فلا تقدر على هبته من زوجها ولا أن تبرئه منه بخلاف الحرّة  
فهذا السبب منع الله من نكاح الامة الاعلى سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز  
للعبد نكاح الامة وان كان في نكاحه حرة وعند أبى حنيفة لا يجوز له اذا كانت تحتها  
حرة كما يقول في الحر وفي الآية دليل على انه لا يجوز للمسلم حراً كان أو عبداً نكاح  
الامة الكتابية لقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات يفيد جواز نكاح الامة المؤمنة  
دون الكتابية لان فيها نوعين من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة المؤمنة  
لان فيها نقصاً واحداً وهو الرق وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك  
والشافعى وقال أبو حنيفة يجوز التزويج بالامة الكتابية بالاتفاق يجوز وطء الامة  
الكتابية بملك اليمين ﴿ قوله عز وحل ﴾ ﴿ والله أعلم بايمانكم ﴾ قال الزجاج أى عملوا

(بعضكم من بعض) أي لا تستنكفوا من نكاح الاماء فكلكم بنو آدم وهو تحذير عن التمييز بالانساب والتفاخر بالاحساب (فانكحوهن باذن اهلهن) سادتهن وهو { الجزء الخامس } حجة لنا في أن لهن ﴿٥٤﴾ ان يباشرن العتد بانفسهن لانه اعتبر اذن

بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان قرب أمة تفضل الحرة فيه ومن حثكم ان تعتبروا فضل الايمان لافضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنهم عن الاستنكاف منه ويؤيده ﴿بعضكم من بعض﴾ أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام ﴿فانكحوهن باذن اهلهن﴾ يريد أربابهن واعتبار اذنه مطلقا لاشعاره على ان لهن ان يباشرن العقد بأنفسهن حتى يتحجج به الحنفية ﴿وآتوهن أجورهن﴾ أي أدوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره أولى موالى المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدي اليه وقال مالك رضى الله عنه المهر للامة ذهابا الى الظاهر ﴿بالمعروف﴾ بغير مظل واضرار ونقصان ﴿محصنات﴾ عفافهن ﴿غير مسالجات﴾ غير مجاهرات بالسفاح ﴿ولامتخذات أخذان﴾ أخلاء في السر ﴿فاذا أحصن﴾ بالتزويج ووقرا أبو بكر وحجة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد ﴿فإن أتبن بفاحشة﴾ زنا

على الظاهر في الايمان فأنكم متعبدون بما ظهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لا تعرضوا للباطن في الايمان وخذوا بالظاهر فان الله أعلم بايمانكم ﴿بعضكم من بعض﴾ يعني أنكم كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب كانت تتفخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة النسيب فأعلم الله تعالى ان ذلك أمر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وأسنة من التزويج بالاماء فانكم متساوون في النسب الى آدم وقيل ان معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وأنتم مشتركون في ديني وقع لاحدكم الضرورة جازله أن يتزوج بالامة عند خوف الفت وقال ابن عباس يريد أن المؤمنين بعضهم اكفاء بعض ﴿فانكحوهن باذن اهلهن﴾ يعني اخطبوا الاماء الى ساداتهن واتفق العلماء على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة ﴿وآتوهن أجورهن﴾ يعني مهورهن ﴿بالمعروف﴾ يعني من غير مظل ولا ضرار وقيل معناه وآتوهن مهور أمتهن وأجروا على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما أضيف اتياء المهر الى الاماء لانه ممن بضعهن ﴿محصنات﴾ يعني عفافهن ﴿غير مسالجات﴾ يعني غير زانيات ﴿ولامتخذات أخذان﴾ جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل أمر ظاهر وباطن وأكثر ما يستعمل فبين يصاحب بشهوة يتل خدن الرأه وخذنيها يعني حبه الذي يزني بها في السر قال الحسن المسافحة هي التي كل من دماها تبعته وذات الاخذان هي التي تخصص بواحد ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم لاجرم ان الله تعالى أمر دكل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا ﴿فاذا أحصن﴾ قرى بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه أسلمن وقرأ حفص بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن ﴿فإن أتبن بفاحشة﴾

الموالى لا عقدهم وانه ليس للعبد أو للامة أن يتزوج الا باذن المولى (وآتوهن أجورهن بالمعروف) وأدوا اليهن مهورهن بغير مظل واضرار وملاك مهورهن موالى فكان أدائها اليهن أداء الى الموالى لانهن وما في أيديهن مال الموالى والتقدير وآتوا موالىهن فحذف المضاف (محصنات) عفاف حال من المفعول في آتوهن (غير مسالجات) زوان علانية (ولامتخذان أخذان) زوان سرا والاختدان الاخلاء في السر (فاذا أحصن) بالتزويج أحصن كوفي غير حفص (فإن أتبن بفاحشة)

(بعضكم من بعض) أي كلكم أولاد آدم ويقال بعضكم على دين بعض وقيل عنكم بعض (فانكحوهن) يتزوجوا الولائد (باذن اهلهن) مالكيهن (وآتوهن) أعطوهن يعني الولائد (أجورهن) مهورهن (بالمعروف) فوق مهر البغي (محصنات) يقول تزوجوا الولائد كغفات (غير مسالجات) غير معلنات بازن (ولامتخذات أخذان)

فلا يكون لها خليل يزني بها في السر (فاذا أحصن) تزوجن الولائد (فإن أتبن بفاحشة) بزنا (يعني)

زنا (فعلين نصف ماعلى المحصنات) أى الحرائر (من العذاب) من الحد يعنى خمسين جلدة وقوله نصف ماعلى المحصنات يدل على أنه الجلد لا الرجم لان الرجم لا يتنصف ٥٥ وان المحصنات هنا الحرائر (سورة النساء) اللاتى لم تزوجن (ذلك)

أى نكاح الاماء (لمن خشى العنت منكم) لمن خاف الاثم الذى تؤدى اليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستمير لكل مشقة وضرر لا ضرر أعظم من مواقة المآثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الزلزاله لانه سبب الهلاك (وأن تصبروا) فى محل الرفع على الابتداء أى وصبركم عن نكاح الاماء متعفين (خير لكم) لان فيه ارفاق الولد ولانها خراجة ولاجة تهمنة مبتدلة وذلك كله نقصان يرجع الى التاكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وفى الحديث الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (والله غفور) يسترا المحذور (رحيم) يكشف المحذور (يريد الله ليعين لكم) أسله يريد الله أن يعين لكم فزيدت اللام وكدة لارادة التدين كازيدت فى لأبالك لتأكيد

(فعلين) على الولائد (نصف ماعلى المحصنات) الحرائر (من العذاب) الجلد (ذلك) تزوج الولائد خلال (لمن خشى العنت منكم) الزلة

فعلين نصف ماعلى المحصنات \* يعنى الحرائر \* من العذاب \* من الحد كقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف \* ذلك \* أى نكاح الاماء \* لمن خشى العنت منكم \* لمن خاف الوقوع فى الزنا وهو فى الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقة المآثم بأفحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء \* وأن تصبروا خير لكم \* أى وصبركم عن نكاح الاماء متعفين خير لكم قل عليه الصلاة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه \* والله غفور \* لمن لم يصبر \* رحيم \* بأن رخصه \* يريد الله ليعين لكم \*

يعنى بزنا \* فعلين نصف ماعلى المحصنات من العذاب \* يعنى فعلى الاماء اللاتى زنين نصف ماعلى الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد ويجلد العبد للزنا اذا زنى خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم عليه هذا قول أكثر العلماء ويروى عن ابن عباس وقيل طاوس انه لا حد على من لم يتزوج من الممالك اذا زنى لان الله تعالى قال فاذا أحسن والذي لم يتزوج ليس بمحصن وأجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزوج فليس المراد منه ان التزوج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبية على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ماروى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة أحدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فى العجيين \* قوله ولا يثرب عليها أى لا يعيرها ولا يثرب التأبين والتعير والاستقصاء فى اليوم قال الشيخ محي الدين النووى وهذا البيع المأمور به فى الحديث مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود وأهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشئ الثمين بالثمن الخفير وهذا البيع المأمور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيأ ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستغف عند المشتري بان يعفها بنفسه أو بصونها بهيته أو بالاحسان اليها أو بزوجها أو غير ذلك والله أعلم \* ذلك \* اشارة الى نكاح الامة \* لمن خشى العنت منكم \* يعنى الزنا والمعنى ذلك لمن خاف أن تحمله شدة الشبق والغلة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما يعقبه من المشقة وهى شدة العزوبة فأباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحررة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة \* وأن تصبروا \* يعنى عن نكاح الاماء متعفين \* خير لكم \* يعنى كىلا يكون الولد عبدا رقيقا \* والله غفور رحيم \* وهذا كالتوكيد لما تقدم يعنى انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث أباح لكم ما أنتم محتاجون اليه \* قوله عز وجل \* يريد الله ليعين لكم \* اللام فى قوله ليعين معناه أن يعين وقيل معناه يريد انزال

والفجور منكم (وان تصبروا) عن نكاح الولائد (خير لكم) تكون اولادكم احرارا (والله غفور) فيما يكون منكم من الزنا (رحيم) حين رخص عليكم تزوج الولائد عند الضرورة (يريد الله ليعين لكم) ما أحل لكم ويقال ان الصبر عن تزوج الولائد



اضافة الاب والمعنى يريد الله أن بين لكم ماهو خفي عليكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم ( ويهديكم سنن الذين من قبلكم ) وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ( ويتوب عليكم ) ويوفقكم { الجزء الخامس } للتوبة عما كنتم **٥٦** عليه من الخلاف ( والله علم ) بمصالح عباده

( حكيم ) فيما شرع لهم ( والله يريد أن يتوب عليكم ) التكرير للتأكيد والتقرير والتقابل ( ويريد ) الفجرة ( الذين يتبعون الشهوات ) أن تميلوا ميلا عظيما ) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لا تحلالهم الاخوات لاب وبنات الاخ وبنات الاخ فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخاله والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخ فنزلت بقول يريدون ان تكونوا زنا مثلهم

خير لكم من التزوج ( ويهديكم ) بين لكم ( سنن الذين من قبلكم ) من أهل الكتاب وكان عليهم حرام تزوج الولائد ( ويتوب عليكم ) يتجاوز عنكم ما كان منكم في الجاهلية ( والله علم ) باضطراركم الى نكاح الولائد ( حكيم ) حين حرم عليكم نكاحهن الا عند

ما تعبدكم به من الحلال والحرام أو ما خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كافي قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه \* سراويل قيس والوفود شهود

وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له أي يريد الحق لاجله \* ويهديكم سنن الذين من قبلكم \* مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طريقتهم \* ويتوب عليكم \* ويفرركم ذنوبكم أو يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة أو الى ما يكون كفارة لسيئاتكم \* والله علم \* بها \* حكيم في وضئها \* والله يريد ان يتوب عليكم \* كرهة للتأكيد والمباغة \* ويريد الذين يتبعون الشهوات \* يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الاثم لها واما المعاطى لماسوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لالها وقيل الجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت \* أن تميلوا \* عن الحق \* ميلا \* بموافقهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات \* عظيما \* بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير

هذه الآيات من أجل أن بين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح أموركم وقيل بين لكم ما يهربكم منه وقيل بين ان الصبر على نكاح الاماء خير لكم \* ويهديكم \* أي ويرشدكم \* سنن الذين من قبلكم \* أي شرائع من قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم عليه السلام \* ويتوب عليكم \* يعني ويتجاوز عنكم ما أصبتم قبل أن بين لكم ويرجع بكم عن المعصية التي كنتم عليها الى طاعته وقيل لما بين لنا أسرار الشرائع والمصالح وأرشدنا الى طاعته فر بما وقع منا تقصير وتفریط فيما أمر به وبينه فلا جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم \* والله علم \* يعني بمصالح عباده في أمر دينهم ودنياهم \* حكيم \* يعني فيما دبر من أمورهم \* والله يريد أن يتوب عليكم \* قال ابن عباس معناه يريد أن يخرجكم من كل ما يكره الى ما يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم \* ويريد الذين يتبعون الشهوات \* قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم بقولون ان نكاح بنت الاخ من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا أنكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الآية وقيل هم الزناة يريدون أن تكونوا مثلهم \* أن تميلوا \* يعني عن الحق وقصد السبيل بالمعصية \* ميلا عظيما \* يعني باتيانكم ما حرم الله عليكم

الضرورة ( والله يريد أن يتوب عليكم ) ان يتجاوز عنكم حين حرم عليكم الزنا ونكاح الاخوات ( يريد ) من الاب ( ويريد الذين يتبعون الشهوات ) الزنا ونكاح الاخوات من الاب وهم اليهود ( أن تميلوا ميلا عظيما ) ان تخطؤا خطأ عظيما بنكاح الاخوات من الاب لقولهم انه حلال في كتابنا

(يريد الله أن يخفف عنكم) بإحلال نكاح الامة وغيره من الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بمالم تبخه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار و عقود الربا (الا أن تكون تجارة) الا أن ﴿٥٧﴾ تقع تجارة تجارة {سورة النساء} كوفي أي الا أن تكون التجارة

تجارة (عن تراض منكم) صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض بالعقد أو بالتعاطي والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وخص التجارة بالذكر لان أسباب الرزق اكثرها متعلق بها والاية تدل على جواز البيع بالتعاطي وعلى جواز البيع الموقوف اذا وجدت الاجازة لوجود الرضا وعلى نفي خيار المجلس لان فيها اباحة الاكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالفرق عن مكان العقد والتقييده زيادة على النص (ولا تقتلوا أنفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين لان المؤمنين كنفس واحدة أو ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة او معنى القتل أكل الاموال بالباطل فظالم غيره كهلاك نفسه أو لا تتبعوا أهواءها فقتلواها وتركبوا ما يوجب

مستحل لها ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ فلذلك شرع لكم الشرعة الخفيفة السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كأحلال نكاح الامة ﴿وخلق الانسان ضعيفا﴾ لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمان آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبار ما تنهون عنه وأن الله لا يفتقر أن يشركه وأن الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوا يحجز به وما يفعل الله بعذابكم ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ بمالم تبخه الشرع كالغصب والربا والقمار ﴿الا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ استثناء منقطع أي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه أو اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها أغلب وأرفق لذوى المرؤات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه ﴿وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واختموا الاسم

﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ يعني ليسهل عليكم أحكام الشرائع فهو عام في كل أحكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ولم يشقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني اسرائيل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وكاروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة ﴿قوله عز وجل﴾ وخلق الانسان ضعيفا ﴿يعنى في قلة الصبر عن النساء فلا يصبره عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف في أصل الخلق لانه خلق من ماء مهين ﴿قوله عز وجل﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴿يعنى بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك. وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه أكل مال نفسه بالباطل ومال غيره ما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة ﴿قوله عز وجل﴾ الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴿هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس أكل المال بالباطل فكان الاهتمام معنى لكن يحل أكله بالتجارة عن تراض يعنى بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو أن يخبر كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم والافلهما الخيار ما لم يتفرقا لما روى عن ابن عمر

(يريد الله ان يخفف عنكم) ان يهون عليكم

في تزوج الولا تد عند الضرورة (قا وحا ٨ في) (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن أمر النساء (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) بالظلم والغصب وشهادة الزور والحلف الكاذب وغير ذلك (الا أن تكون تجارة) الا ان يترك بعضكم على بعض في الشراء والبيع والمحاكاة (عن تراض) بتراض (منكم ولا تقتلوا أنفسكم) بعضكم بعضا

أى الا ان تكون التجارة أو الجهة تجارة ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ بالبيع كأنفعله جهلة الهند أو بألقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ماروى ان عمرو بن العاص تأوله في التيم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم أو بار تكاب ما يؤدى الى قتلها أو باقتراف ما يذلها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رافة بهم وزجة كالشارايه بقوله ﴿ أن الله كان بكم رحيماً ﴾ أى أسرماً أسروهنى عانى لقرط رخته عليكم معناه انه كان بكم يأمة محمد رحيماً أسر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات ﴿ وعدواناً وظلماً ﴾

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار مالم يفرقا وكانا جميعاً أو يخير أحدهما الآخر فان خير أحدهما الآخر فبأيها على ذلك فقد وجب البيع وان تفرقا بعد ان تباعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع أخرجاه في الصحيحين ﴿ قوله عز وجل ﴾ لا تقتلوا أنفسكم ﴿ أى لا يقتل بعضكم بعضاً وانما قال أنفسكم لانهم أهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع ألا تارجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهى للانسان عن قتل نفسه ﴿ ق ﴾ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ومن تحصى سماناً قتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن قتل نفسه بحديدة فحديده فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً قوله يتردى التردى هو الوقوع من موضع عال الى أسفل ﴿ قوله يتوجأ يقال وجأته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجأ بها أى يضرب بها نفسه ﴿ ق ﴾ عن جندب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وفى رواية قال كان فبين كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فخر بها يده فارقاه الدم حتى مات فقال الله تعالى بدرى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل فى معنى قتل الانسان نفسه أن لا يفعل شيئاً يستحق به القتل مثل أن يقتل فيقتل به فيكون هو الذى تسبب فى قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا أنفسكم باكل المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا أنفسكم بان تعملوا عملاً بما أدى الى قتلها ﴿ أن الله كان بكم رحيماً ﴾ يعنى انه تعالى من رحته بكم نهاكم عن كل شئ تستوجبون به مشقة أو محنة وقيل انه تعالى أمر بنى اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يأمة محمد رحيماً حيث لم يكلفكم تلك التكليف المشقة الصعبة ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ يعنى ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى أقرب المذكورات وقيل انه يعود الى قتل النفس وأكل المال بالباطل لانهما مذكوران فى آية واحدة وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من أول السورة الى هنا ﴿ وعدواناً وظلماً ﴾ يعنى يتجاوز الحد

القتل ( أن الله كان بكم رحيماً ) ولرحته بكم نهيكم على ما فيه صيانة أموالكم وبقاء أبدانكم وقيل معناه انه أمر بنى اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصاً لخطاياهم وكان بكم يأمة محمد رحيماً حيث لم يكلفكم تلك التكليف الصعبة ( ومن يفعل ذلك ) أى القتل أى ومن يقدم على قتل الانفس ( عدواناً وظلماً ) لا خطأ ولا قصاصاً وهما مصدران فى موضع الحال أو مفعول لهما

بغير حق ( أن الله كان بكم رحيماً ) حين حرم عليكم قتل بعضكم بعضاً ( ومن يفعل ذلك ) القتل واستحلال المال ( عدواناً ) اعتداء ( وظلماً ) وجوراً

افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظم النفس بتعريضها للعقبات ﴿ فسوف نصليه نارا ﴾ ندخله اياها \*وقرىء بالتشديد من صلى وبقبح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى اولئك من حيث انه سبب الصلي ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ لا عسرفيه ولا صارف عنه ﴿ أن تجتنبوا كباثر ماتهنون عنه ﴾ كباثر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها \* وقرىء كبير على ارادة الجنس

فيضع الشيء في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون أخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى ﴿ فسوف نصليه نارا ﴾ أي ندخله في الآخرة نارا يصلى فيها ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ أي هينا لانه تعالى قادر على ما يريد ﴿ قوله عز وجل ﴿ أن تجتنبوا كباثر ماتهنون عنه ﴾ اجتناب الشيء المباحة عنه وتركه جانبا والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته ﴿ وقيل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة في الكباثر فمن ذلك ما روى عن أبي بكره قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا انبئكم باكبر الكباثر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين أو الشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فإزال بكره حتى قلنا ليه سكت أخرجاه في الصحيحين (ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكباثر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال ألا انبئكم باكبر الكباثر قول الزور أو قال شهادة الزور (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلان المؤمنات (خ) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم أي قال ان تقتل ولدك مخافة أن يعلم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليلة جارك (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكباثر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفي رواية أن أعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكباثر قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقطع مال امرئ مسلم يمين هو فيها كاذب (ق) عنده رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكباثر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل أب الرجل أو أمه فيسب اباها وأمه وفي رواية من أكبر الكباثر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود أكبر الكباثر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رجة الله والياس من روح الله ﴿ وعن سعيد بن جبيرة رضى الله عنه ان رجلا سأل ابن عباس رضى الله

(فسوف نصليه نارا) ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب (وكان ذلك) أي اصلاؤه النار (على الله يسيرا) سهلا وهذا الوعيد في حق المستحل للتخيد وفي حق غيره ليسان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته (ان تجتنبوا كباثر ماتهنون عنه) (فسوف نصليه) ندخله (نارا) في الآخرة وهذا وعيدله (وكان ذلك) الدخول والعذاب (على الله يسيرا) هينا (ان تجتنبوا) ان تركوا (كباثر ماتهنون عنه) في هذه السورة

﴿ نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ نغفر لكم صغائركم ونمحوها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا أو صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمة بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشرار بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به هنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فالكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن له عن امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتماك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما تفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الاترى انه سبحانه وتعالى عاتب نبيه عليه الصلاة والسلام في كثير من خطراته التي

عنهما عن الكبائر سبع هي قال هي الى السبعمائة اقرب \* وفي رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل شياً منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعاً عن الاسلام أو جاحداً فريضة أو مكذباً بقدره \* وقال علي بن أبي طالب كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب فهو كبيرة \* وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعاً المؤمنين والمؤمنات توابوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مفعول الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات مقدماتها وتوابها التي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة والمسة والقبلة واشباه ذلك (ق) عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمى ويصدق ذلك الفرج أو يكذب لفظ مسلم وقيل الكبائر الشرك وما يؤدى اليه وما دونه فهو من السيئات فقد ثبت بما تقدم من الادلة أن من الذنوب كبائر وصغائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فتعوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما نهون عنه هي كل ذنب عظم قبحه وعظمت عقوبته اما في الدنيا بالحدود واما في الآخرة بالعذاب عليه ﴿ نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ يعنى نسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل لان أصل التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات

نكفر عنكم سيئاتكم) عن ابن مسعود رضى الله عنهما الكبائر كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما نهون عنه وعنه أيضاً الكبائر ثلاث الاشرار بالله واليأس من روح الله والا من من مكر الله وقيل المراد بها أنواع الكفر بدليل قراءة عبد الله كبير ما نهون عنه وهو الكفر (نكفر عنكم سيئاتكم) ذنوبكم دون الكبائر من جماعة الى جماعة ومن جمعة الى جمعة ومن شهر رمضان

(وندخلكم مدخلا) مدخلا مدني وكلاهما بمعنى المكان والمصدر (كريما) حسنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليعين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم ان تجتنبوا كباثر ما تنهون عنه تكفر عنكم ان الله لا يفتقر أن يشرك به ان الله لا يظلم ذرة ومن يعمل سوا أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم وتثبت المعتزلة بالآية على ان الصغائر واجبة المغفرة باجتنب الكباثر وعلى ان الكباثر غير مغفورة باطل لان الكباثر والصغائر في مشيئته تعالى سواء ان شاء عذب عليهما وان شاء عفا عنهما لقوله تعالى ان الله لا يفتقر أن يشرك به ويفقر ما دون ذلك لمن يشاء ﴿٦١﴾ فقد وعد المغفرة لما { سورة النساء } دون الشرك وقرنها بمشيئته

تعالى وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات فهذه الآية تدل على ان الصغائر والكباثر يجوز ان يذهب بالحسنات لان لفظ السيئات ينطلق عليهما ولما كان أخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق تمنى مال الغير وجاهه نهام عن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال بقوله (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما ينبغي لكل من بسط في الرزق أو قبض فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له ولا يحسد أخاه على حظه فالحسد ان تمنى أن يكون ذلك الشيء له ويزول عن صاحبه والغبطة ان تمنى مثل ما لغيره وهو

لم نعدا على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ عليها ﴿٦٢﴾ وندخلكم مدخلا كريما ﴿٦٣﴾ الجنة وما وعد من الثواب أو ادخلا مع كرامة ﴿٦٤﴾ وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو أيضا يحتمل المكان والمصدر ﴿٦٥﴾ ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴿٦٦﴾ من الامور الدنيوية كالجاه والمال فعمل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى الحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضى بما قسم الله له وانه تشبه لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتعنى ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتتمنى ما قدر له

ولا تكفر كبارها الا بالتوبة والاقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تنفش الكباثر وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكباثر أخرجه مسلم ﴿٦٧﴾ قوله عز وجل ﴿٦٨﴾ وندخلكم مدخلا كريما ﴿٦٩﴾ يعنى حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى اذا اجتنبت الكباثر وأتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه ﴿٧٠﴾ قوله عز وجل ﴿٧١﴾ ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴿٧٢﴾ أصل التمنى ارادة الشيء وتشمي حصول ذلك الامر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التمنى تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية وأكثر التمنى تصور ما لا حقيقة له وقيل التمنى عبارة عن ارادة ما يعلم أو يظن أنه لا يكون عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تنزو النساء وانما لنا نصف الميراث فانزل الله تعالى ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وأنزل ان المسلمين والمسلمات وكانت أم سلمة أول طعينة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الانثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش منا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قالت الرجال انا لترجو ان نفضل على النساء

مرخص فيه والاول منهى عنه ولما قال الرجال نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث وقالت النساء يكون وزرنا

الى شهر رمضان (وندخلكم) في الآخرة (مدخلا كريما) حسنا وهي الجنة (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) يقول لا تمن الرجل مال أخيه ودابته وامرأته ولا شيئا من الذي له واسأوا الله من فضله وقولوا اللهم ارزقنا مثله أو خيرا منه مع التفويض ويقال نزلت هذه الآية في أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لقولها لاني لبيت الله كتب علينا ما كتب على الرجال لكي نؤجر كما تؤجر الرجال فهي الله عن ذلك فقال ولا تمنوا ما فضل الله به من الجماعة والجمعة والغزو والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بعضكم يعنى الرجال على بعض يعنى النساء ثم بين ثواب الرجال والنساء

بغير كسب ضائع ومحال ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ بيان لذلك أي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن أجله فاطلبوا الفضل من الله تعالى بالعمل بالاحسنة والتمنى كما قال عليه الصلاة والسلام ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كما مكتسبه ﴿ وأسألوا الله من فضله ﴾ أي لا تمنوا ما للناس وأسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفذ وهو يدل على ان المنهى هو الحسد ولا تمنوا وأسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم ﴿ وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله من فضله وسلمه فسل الذين وشبهه اذا كان أسرا مواجها به وقبل السين واوأفاه بغير همز وحزة في الوقف على أصله والباقون بالهمز ﴿ أن الله كان بكل شيء عليما ﴾ فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روى

في الحسنات في الآخرة فيكون لنا أجرنا على ضعف أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث وقالت النساء انالزجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كالنا في الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية والتمنى على قسمين أحدهما أن يتمنى الانسان أن يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا هو الحسد وهو مذموم لان الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحسد يعترض على الله تعالى فيما فعل وربما اعتقد في نفسه انه أحق بتلك النعمة من ذلك الانسان أيضا فهذا اعتراض على الله أيضا وهو مذموم القسم الثاني أن يتمنى مثل مال غيره ولا يجب أن يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه أيضا قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين أو الدنيا قال الحسن لا تمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدري لعل هلاكك في ذلك المال فيعلم العبد ان الله عز وجل أعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولكن أمنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم أعطني ما يكون صلاحا في ديني ودنياي ومعادي ﴿ قوله عز وجل ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين وقيل هذا الاكساب في الاجر يعني ان الرجال والنساء في الاجر في الآخرة سواء لان الحسنات بعشر أمثالها والسيئات بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وان فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الأزواج وحفظ الفروج ﴿ وأسألوا الله من فضله ﴾ قال ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادة وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل لم يأمر الله عباده بالمسئلة الا ليعطيهم وفيه تنبيه على أن العبد لا يمين شيئا في الدعاء والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء أن يكن رجالا وأن يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وأمرهن أن يسألنه من فضله فإنه أعلم بمصالح عباده ﴿ أن الله كان بكل شيء عليما ﴾ يعني انه

على نصف وزر الرجال كالميراث نزل (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) وليس ذلك على حسب الميراث (وأسألوا الله من فضله) فان خزائنه لا تنفذ ولا تمنوا ما للناس من الفضل (أن الله كان بكل شيء عليما) فالتفضيل منه عن علم بمواضع الاستحقاق قال ابن عيينة لم يأمر بالمسئلة الا ليعطى وفي الحديث من لم يسأل الله من فضله غضب

باكتسابهم فقال (للرجال نصيب) ثواب (مما اكتسبوا) من الخير (ولللنساء نصيب) ثواب (مما اكتسبن) من الخير في بيوتهن (وأسألوا الله من فضله) من توفيقه وعصمته (أن الله كان بكل شيء) من الخير والشر والثواب والعقاب والتوفيق والخذلان (عليما)

عليه وفيه ان الله تعالى ليمسك الخير الكثير ﴿٦٣﴾ عن عبده ويقول لالم سورة النساء أعطى عبدى حتى يسألنى وسلوا

مكى وعلى (ولكل) المضاف  
اليه محذوف تقديره ولكل  
أحد أو لكل مال (جعلنا  
موالى) ورأنا يلوونه ويحجزونه  
(مما ترك الوالدان والاقربون)  
هو صفة مال محذوف أى  
من مال تركه الوالدان أو  
هو متعلق بفعل محذوف  
دل عليه المولى تقديره  
يرثون مما ترك (والذين  
عاقدت أيمانكم) عاقدتهم  
أيديكم وهو مبتدأ ضمن  
معنى الشرط فتوقع خبره  
وهو (فآتوهم نصيبهم) مع  
الفاء عقدت كوفي أى

عقدت عهدهم أيمانكم  
والمراد به عقد الموالاة وهى  
مشروعة والوراثة بها  
ثابتة عند عامة الصحابة  
رضى الله عنهم وهو قولنا  
وتقسيره اذا أسلم رجل  
أو امرأة لا وارث له وليس  
بعرى ولا معتق فيقول  
لآخر وأيتك على ان

ولكل ( يقول ولكل  
واحد ( جعلنا ) منكم  
( مولى ) يعنى الورثة لكى  
يرث ( مما ترك ) ماترك  
( الوالدان ) من المال ( والا  
قربون ) فى الرحم ( والذين  
عقدت أيمانكم ) شروطكم  
( فآتوهم نصيبهم ) أعطوهم  
شروطهم وقد نسخت

ان أم سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا  
رجالا فبزت ﴿٦٣﴾ ولكل جعلنا مولى مما ترك الوالدان والاقربون ﴿٦٣﴾ أى ولكل تركه  
جعلنا ورأنا يلوونها ويحجزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل أو ولكل ميت جعلنا  
ورأنا مما ترك على ان من صلة مولى لانه فى معنى الوارث وفى ترك ضمير كل والوالدان  
والاقربون استئناف مفسر للمولى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم  
كلا يتناول الوالدين أو ولكل قوم جعلنا هم مولى حظ مما ترك الوالدان والاقربون  
على ان جعلنا مولى صفة كل والراجع اليه محذوف على هذا فالجمله من مبتدأ وخبر  
﴿٦٣﴾ والذين عاقدت أيمانكم ﴿٦٣﴾ مولى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال  
حليفه فنسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وعن أبى حنيفة رحمه الله  
تعالى لو أسلم رجل على يدرجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث أو الأزواج  
على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره ﴿٦٣﴾ فآتوهم نصيبهم ﴿٦٣﴾  
أو منصوب بضمير يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه أو معطوف على الوالدين وقوله  
فآتوهم جملة مسبية عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للمولى وقرأ الكوفيون

تعالى عليهم بما يكون صلاحا للسائلين فيقتصر السائل على المجمل فى الطلب فان الله تعالى  
عليهم بما يصلحه فلا يتقى غير الذى قدرله ﴿٦٣﴾ قوله عز وجل ﴿٦٣﴾ ولكل ﴿٦٣﴾ يعنى من  
الرجال والنساء ﴿٦٣﴾ جعلنا مولى ﴿٦٣﴾ يعنى ورثة من بنى عم وأخوة وسائر العصابات  
﴿٦٣﴾ مما ترك ﴿٦٣﴾ يعنى يرثون مما ترك ﴿٦٣﴾ الوالدان والاقربون ﴿٦٣﴾ من ميراثهم فعلى هذا  
الوالدان والاقربون هم الموروثون وقيل معناه ولكل جعلنا مولى أى ورثة مما ترك  
وتكون ما معنى من يعنى من تركهم الميت ثم فسر المولى فقال الوالدان والاقربون  
فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة  
من تركهم وهم والداه واقربوه والقول الاول أصح لانه مروى عن ابن عباس وغيره  
﴿٦٣﴾ والذين عاقدت أيمانكم ﴿٦٣﴾ وقرئ عقدت بغير ألف مع التخفيف والمعاقدة المخالفة  
والمعاهدة والإيمان جمع بين يحتمل أن يراد بها القسم أو اليد أوهما جيعا وذلك انهم  
كانوا اذا تحالفوا أخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد  
والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل فى الجاهلية ويعاقده فيقول دى  
دمك وهدى هدمك وثارى تارك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثى وأرثك  
وتطلب بى وأطلب بك وتمقل عنى وأعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين  
السدس فى مال الآخر وكان الحكم ثابتا فى الجاهلية وابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى  
﴿٦٣﴾ فآتوهم نصيبهم ﴿٦٣﴾ يعنى أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله  
وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية  
فى الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار لما قدموا  
المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا

الآن وقد كانوا يتبنون رجالا وعلما فيجعلون لهم فى مالهم كالبعض ولدهم فنسخ الله ذلك وليس بمنسوخ ان أعطاهم من



الاعلى من الاسفل (أن الله كان على كل شيء شهيدا) أى هو عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وعدو وعيد (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهم آمين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك (بما فضل الله بعضهم على بعض) الضمير فى بعضهم للرجال والنساء يعنى انما كانوا مسيطرين عليهم لسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل والعزم والحزم والرأى والقوة والغزو وكال الصوم والصلاة والتوبة والخلافة والامامة والاذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند أبى حنيفة رحمه الله والشهادة فى الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاق واليهم الاتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم

الثالث نصيبهم (أن الله كان على كل شيء) من أفعالكم (شهيدا) عالما (الرجال قوامون على النساء) مسلطون على أدب النساء

عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى ﴿ أن الله كان على كل شيء شهيدا ﴾ تهديد على منع نصيبهم ﴿ الرجال قوامون على النساء ﴾ يقومون عليهم قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهى وكسبى فقال ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ بسبب تفضيله تعالى

مولى مما ترك الوالدان نسختها ثم قال والذين عاقدت ايمانكم من النصارى والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وفى رواية اخرى عنه قال والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر فنسخ ذلك بسورة الانفال فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم الى ان الآية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلفاء والمراد من قوله فاتوهم نصيبهم يعنى من النصره والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت فى عبدالرحمن بن أبى بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت يتيمة فى حجر أبى بكر الصديق فقراءت والذين عاقدت ايمانكم فقالت لا تقرؤا والذين عقدت ايمانكم انما نزلت فى أبى بكر وابنه عبدالرحمن حين أبى الاسلام فحلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم أمره الله أن يؤتية نصيبه أخرجها أبو داود وعلى هذا فلانسخ أيضا فن قال ان حكم الآية باق انما كانت المعاقدة فى الجاهلية على النصره لا غير الاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ماروى عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف فى الاسلام وأما حلف كان فى الجاهلية لم يزد الاسلام الا شدة أخرجه مسلم قوله عز وجل ﴿ أن الله كان على كل شيء شهيدا ﴾ قال عطاء يريد انه لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ فعلى هذا الشهيد بمعنى الشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشياء وقيل الشهيد هو الشاهد على اخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى الخبر وفيه وعد للطائمين ووعد للعصاة المخالفين ﴿ قوله عز وجل ﴾ الرجال قوامون على النساء ﴿ نزلت فى سعد بن الربيع وكان من النقباء وفى امرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير ويقال امرأته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فظمها فانطلق أبوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتى فظمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل أتانى فانزل الله تعالى هذه الآية فقال ابى صلى الله عليه وسلم أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء أى متسلطون على تأديب النساء والاخذ على أيديهن قال ابن عباس أمر واعلمهن فعلى المرأة ان تطيع زوجها فى طاعة الله والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب فالرجل يقوم بأمر المرأة ويحتمد فى حفظها ولما ثبت القيام للرجال على النساء بين النسب فى ذلك فقال تعالى ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾

(بما فضل الله بعضهم) يعنى الرجال بالعقل والقسمة فى الغنائم والميراث (على بعض) يعنى النساء (يعنى)

الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك  
 خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب  
 الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق ﴿وبما  
 انفقوا من أموالهم﴾ في نكاحهن كالمهر والنفقة روى ان سعد بن الربيع أحد نقباء  
 الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فطمها فانطلق بها أبوها الى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فترت فقال  
 عليه السلام أردنا أمرا أو أراد الله أمرا والذي اراد الله خير ﴿فالصالحات قانتات﴾ مطيعات  
 لله تعالى قانتات بمحقوق الأزواج ﴿حافظات للغيب﴾ لمواجب الغيب أي يحفظن في غيبة  
 الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة أن  
 نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا  
 الآية وقيل لاسرارهم ﴿بما حفظ الله﴾ بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث  
 عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام  
 بحفظهن والذب عنهن \* وقرى بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية  
 لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله سبحانه وتعالى أو طاعته وهو التعفف

يعنى ان الله تعالى فضل الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والدين والولاية  
 والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة  
 ومنها ان الرجل يتزوج بربع نسوة ولا يجوز للمرأة غير زوج واحد ومنها زيادة  
 التعصيب في الميراث والتعصيب في الميراث وبسبب الطلاق والنكاح والرجعة واليه الاتساب  
 فكل هذا يدل على فضل الرجال على النساء \* ثم قال تعالى ﴿وبما انفقوا من أموالهم﴾  
 يعنى وبما أعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن \* عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد  
 لزوجها أخرجه الترمذى ﴿فالصالحات﴾ يعنى المحسنات العاملات بالخير ﴿قانتات﴾  
 أي مطيعات لأزواجهن وقيل مطيعات لله ﴿حافظات للغيب﴾ لفروجهن في غيبة  
 أزواجهن لتلايحق الزوج العار بسبب زناها ولحقق به الولد الذي هو من غيره وقيل  
 معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المرأة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها  
 \* عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله أي النساء خير قال التي تسره اذا نظر  
 اليها وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره أخرجه النسائي \* ورواه البغوى  
 بسند الثعلبي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة اذا نظرت  
 اليها سرتك واذا أمرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال  
 قوامون على النساء الآية \* قوله عز وجل ﴿بما حفظ الله﴾ يعنى بما حفظهن الله حين أوصى  
 بهن الأزواج وأمرهم بإداء المهر والنفقة اليهن (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع أعوج

(وبما انفقوا من أموالهم)  
 وبان نفقتهن عليهم وفيه  
 دليل وجوب نفقتهن عليهم  
 ثم قسمهن على نوعين النوع  
 الاول (فالصالحات قانتات)  
 مطيعات قانتات بما عليهن  
 للأزواج (حافظات للغيب)  
 لمواجب الغيب وهو خلاف  
 الشهادة أي اذا كان الأزواج  
 غير شاهدين لهن حفظن  
 ما يجب عليهن حفظه في حال  
 الغيبة من الفروج والبيوت  
 والاموال وقيل للغيب  
 لاسرارهم (بما حفظ الله)  
 بما حفظهن الله حين  
 أوصى بهن الأزواج بقوله  
 وعاشروهن بالمعروف أو  
 بما حفظهن الله وعصمهن  
 ووقفهن لحفظ الغيب أو  
 بحفظ الله اياهن حيث صيرهن

(وبما انفقوا من أموالهم)  
 يعنى بالمهر والنفقة التي عليهم  
 دونهن (فالصالحات)  
 يقول المحسنات الى أزواجهن  
 (قانتات) مطيعات لله  
 في أزواجهن (حافظات)  
 لانفسهن ومال أزواجهن  
 (للغيب) لغيب أزواجهن  
 (بما حفظ الله) بحفظ الله

كذلك والثاني (واللاتي) { الجزء الخامس } تخافون ﴿٦٦﴾ (نشوزهن) عصيانهن وترفعهن عن طاعة الأزواج

والشفقة على الرجال ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الأزواج من النشز ﴿فمظوهن واهجروهن في المضاجع﴾ في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف أو لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبيت أى لا تباشروهن ﴿واضربوهن﴾ يعنى ضربا غير مبرح ولا شأن والامور الثلاثة مترتبة ينبغي ان يدرج فيها ﴿فإن أظنكم﴾ فلا تبغوا عليهن سييلا ﴿بالتوبخ والايذاء والمعنى فأزبلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فإن التائب من الذنب كمن

وان اعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء وقيل في معنى الآية بما حفظهن الله وعصمهن ووقفهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على أزواجهن حيث أمرهم بالعدل فيهن واما كهن بمعروف أو تسريجهن باحسان ﴿واللاتي تخافون﴾ أى تعلمون وقيل تظنون ﴿نشوزهن﴾ أى شروهن وأصل الشوز الارتفاع ونشوز المرأة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات الشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى أمره اذا أمرها فاذا خالفت هذه الاحوال بان رفعت صوتها عليه أو لم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى أمره اذا أمرها ذلك على نشوزها على زوجها ﴿فمظوهن﴾ يعنى اذا ظهر منهن امارات النشوز فمظوهن بالتحويف بالقول وهو أن يقول لها اتق الله وخافيه فإن لى عليك محقوار جى عمأنت عليه واعلمى أن طاعتى فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ يعنى ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس وهو أن يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزل عنها الى فراش آخر ﴿واضربوهن﴾ يعنى ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعنى ضربا غير مبرح ولا شأن قيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه وقال الشافى الضرب مباح وتركه أفضل ﴿عن عمرو بن الاحوص رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال أفاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أظنكم فلا تبغوا عليهن سييلا أخرجه الترمذى بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية أى اسيرة شبه المرأة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿فإن أظنكم فلا تبغوا عليهن سييلا﴾ أى لا تطبوا عليهن طريقة تتحجون بها عليهن اذا قنن بواجب حكمكم ﴿عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تجبر الا في البيت أخرجه أبو داود ﴿قوله ولا تقبح أى لا تقل قبحك الله (ق) عن عبدالله بن زعمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد أحدكم

والنشز المكان المرتفع والنبوة عن ابن عباس رضى الله عنها هو ان تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع أمره (فمظوهن) خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والمظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطباع النافرة (واهجروهن في المضاجع) في المراقد أى لا تدخلوهن تحت اللحف وهو كناية عن الجماع أو هو ان يوليها ظهره في المضجع لانه لم يقل عن المضاجع (واضربوهن) ضربا غير مبرح أمر بوعظهن اولاً ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجح فيهن الوعظ والهجران (فإن أظنكم) بترك النشوز (فلا تبغوا عليهن سييلا) فزبلوا عنهن التعرض بالاذى وسييلا مفعول تبغوا وهو مبن بيت الامر أى طلبته

اياهن بالتوفيق (واللاتي تخافون) تعلمون (نشوزهن) عصيانهن في المضاجع معكم (فمظوهن) بالملم والقرآن (واهجروهن في المضاجع) حولوا عنهن وجوهكم في الفراش (واضربوهن) ضربا غير

مبرح ولا شأن (فإن أظنكم) في المضاجع (فلا تبغوا) (عليهن سييلا) في الحب (امرأته)

لا ذنب له ﴿ أن الله كان عليا كبيرا ﴾ فاحذروه فإنه اقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم  
امرأته جلد العبد ثم لعله يجامعها أو قال يضاجعها من آخر اليوم ﴿ عن أياس بن عبد الله  
بن أبي ذئب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقال زبرت النساء على أزواجهن فرخص في ضربهن فاطاف بآل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم أخرجه  
أبو داود وأياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال البخاري لا يعرف له صحبة قوله  
زبرت يقال زبرت المرأة على زوجها اذا شررت واجترأت عليه وأطاف بالشيء أحاط به  
ففي هذه الأحاديث دليل على أن الأولى ترك الضرب للنساء فإن احتاج إلى ضربها التأديب  
فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك مفرا ولا يوالى بالضرب على موضع واحد من بدنها  
وليتق الوجه لانه يجمع المحاسن ولا يبلغ بالضرب عشرة أسواط وقيل ينبغي أن يكون  
الضرب بالمندبل واليد ولا يضرب بالسوط والعضا وبالجملة فالتخفيف بأبلغ شيء أول في هذا  
الباب واختلف العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل  
على الجمع إلا أن مجرى الآية يدل على الترتيب قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يعظها  
بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان أبت هجر مضعفها فان أبت ضربها فان لم تنعظ  
بالضرب بعث الحكم وقال آخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز اما عند تحقق  
النشوز فلا بأس بالجمع بين الكل وقيل إن له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها  
فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها أو يضربها ﴿ عن عمر رضي الله  
تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسئل الرجل فيم ضرب امرأته أخرجه أبو داود  
﴿ ق ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل  
امرأته إلى فراشه فابت أن تجي فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح • وفي رواية  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدع امرأته إلى فراشه  
فأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت مهاجرة  
فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح • وفي أخرى حتى ترجع ﴿ عن طلق بن علي  
ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته إلى حاجة فلأنه وان كانت على  
التنور أخرجه الترمذي ﴿ وله عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيها قالتك الله فانما  
هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك الينا ﴿ وله عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان  
أطعتمكم يعني فان رجعت عن النشوز إلى طاعتكم عندهذا التأديب فلا تبغوا عليهن سبيلا  
يعنى فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه  
أزبلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن  
محبتهن فان القلب ليس بأيديهن ﴿ أن الله كان عليا كبيرا ﴾ العلى في صفة الله تعالى معناه

( أن الله كان عليا كبيرا )  
أى ان علت أيديكم عليهن  
فاعلموا أن قدرته عليكم  
أعظم من قدرتكم عليهن  
فاجتنبوا ظلمهن أو ان الله  
كان عليا كبيرا وانكم  
تعصونه على علو شأنه  
وكبريائه سلطانه ثم تتوبون  
فيتوب عليكم فانتم أحق  
بالعفو عن يحنى عليكم اذا  
رجع ثم خاطب الولاة

( أن الله كان عليا ) أعلى كل شيء  
( كبيرا ) أكبر كل شيء  
لم يكلفكم ذلك فلا تكلفوا  
من النساء ما لا طاقة لهن  
به من المحبة

بقوله (وأن خفتم شقاق {الجزء الخامس} بينهما) أصله ﴿٦٨﴾ شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف

أوانه على علوشأته يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فاتم أحق بالعفو عن أزواجكم  
أوانه تعالى ويتكبر ان يظلم أحدا أو ينقص حقه ﴿وأن خفتم شقاق بينهما﴾ خلافا بين  
المرأة وزوجها أضمهما وان لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما وإضافة الشقاق الى  
الظرف اما لاجراءه مجرى المفعول به كقوله ياسارق الليلة والفاعل كقولهم نهارك صائم  
﴿فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها﴾ فابعثوا أيها الحكماء متى اشتبه عليكم حالهما لتبين  
الامر أو اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر  
من أهلها فان الاقارب أعرف ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح وهذا على وجه  
الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للزواج والزوجات واستدل  
به على جواز التحكيم والظاهر ان النصب لاصلاح ذات البين أولتبيين الامر ولايليان  
الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالما ان وجد الصلاح فيه  
﴿أن يريدوا اصلاحا﴾

الرفيع الذي يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلى بالاطلاق الذي يستحق  
جميع صفات المدح والكبر هو المستغنى عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة  
والكبرياء وكبر الشأن الذي يصغر كل أحد لكبريائه وعظمته تعالى والمعنى ان الله متعال  
من أن يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النساء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان  
الله على كبير قادر على ان يتصرف لهن بمن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه  
وكبريائه يقبل توبة العاصي اذا تاب ويفغره فاذا تاب المرأة من نشوزها فالاولى بكم  
أن تقبلوا توبتها وتركوها معاتبها واعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتمكم على من تحت  
أيديكم فاتم أحق بالعفو عن جنى عليكم ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وأن خفتم﴾ يعني وان  
علمتم وتيقنتم وقيل معناه الظن أى ظنتم ﴿شقاق بينهما﴾ يعني بين الزوجين واصل  
الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شقي صاحبه أو يكون أصله  
من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه وذلك انه  
اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يشمل الزوج الصلح ولا الصفح  
ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدى الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولوا وفعلا  
﴿قوله عز وجل﴾ ﴿فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها﴾ اختلفوا في المخاطبين  
بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك هو الامام أو نائبه لان تنفيذ  
الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل أحد من صالحى الامة لان قوله تعالى  
فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض أولى من حمله على البقية فوجب حمله على  
الكل فعلى هذا يجب ان يكون أسرا الامة سواء وجد الامام أو لم يوجد فلصالحين  
أن يبعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها وأيضا فهنا يجرى مجرى دفع الضرر فلكل  
واحد ان يقوم به وقيل هو خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بمثا حكما  
حكما من اهله وحكما من أهلها ﴿أن يريدوا اصلاحا﴾ يعني الحكمين وقيل الزوجين

على سبيل الاتساع كقوله  
بل مكر الليل والنهار وأصله  
بل مكر في الليل والنهار  
والشقاق العداوة والخلاف  
لان كلا منهما يفعل ما يشق  
على صاحبه أو يميل الى  
شق أى ناحية غير شق  
صاحبه والضمير للزوجين  
ولم يجر ذكرهما لجرى  
ذكر ما يدل عليهما والرجال  
والنساء (فابعثوا حكما من  
أهله) رجلا يصلح للحكومة  
والاصلاح بينهما (وحكما  
من أهلها) وانما كان بمث  
الحكمين من أهلها لان  
الاقارب أعرف ببواطن  
الاحوال واطلب للصلاح  
ونفوس الزوجين أسكن  
اليهم فيبرزان ما في ضمائرهما  
من الحب والبغض واردة  
الصحة والفرقة والضمير  
في (أن يريدوا اصلاحا)

(وأن خفتم) علمتم (شقاق  
بينهما) مخالفة بين الرجل  
والمرأة ولم تدر وامن أيهما  
(فابعثوا حكما من اهله) من  
أهل الرجل الى الرجل  
حتى يسمع كلامه ويعلم  
ظالمه أو مظلوما (وحكما  
من أهلها) من أهل المرأة الى  
المرأة حتى يسمع كلامها ويعلم  
ظالمة هي أو مظلومة (أن  
يريدوا) الحكمان (اصلاحا)

للحكيمين وفي ( يوفق الله بينهما ) للزوجين ﴿ ٦٩ ﴾ أى ان { سورة النساء } تصددا صلاح ذات البين

وكانت بينهما صحبة بورك في وسطهما وأوقع الله بحسن سمعها بين الزوجين الالفة والوفاق وألقى في نفوسها المودة والاتفاق أو الضميران للحكيمين أو ان تصددا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقدان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يتم المراد أو الضميران للزوجين أى ان يريد أصلاح ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الالفة وأبد لهما بالاشفاق الوفاق وبالبعضاء المودة (أن الله كان عليما) بارادة الحكيمين (خيرا) بالظالم من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلافا لمالك رحمه الله

بين المرأة والرجل ( يوفق الله بينهما ) بين الحكيمين والمرأة والرجل ( أن الله كان عليما ) بموافقة الحكيمين ونحما لفتما ( خيرا ) بفعل المرأة والرجل نزلت من قوله الرجال قوامون على النساء الى ههنا في بنت محمد بن سلمة بلطمة لطمها زوجها أسعد بن الربيع لقبل عصيانها في المضاجع

يوفق الله بينهما ﴿ الضمير الاول للحكيمين والثاني للزوجين أى ان تصددا الاصلاح أوقع الله بحسن سمعها الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكيمين أى ان تصددا الاصلاح يوفق الله بينهما لتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين أى ان أرادوا الاصلاح وزوال الشقاق أوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من أصل نيته فيما يجره أصلح الله مبتغاه ﴿ أن الله كان عليما خيرا ﴾

﴿ يوفق الله بينهما ﴾ يعنى بالصلاح والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه انه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علام شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال على فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكيمين تدرين ما عليكما عليكما ان رأيكما ان تجعما جمعتما وان رأيكما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما على فيه ولى وقال الرجل اما الفرقة فلا قال على كذبت والله حتى تقر بمثل ماقرت به قال الشافعي والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكيمين والاولى ان يكون واحد من أهله وواحد من أهلها لان اقرارهما اعرف بحالهما من الايجاب واشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين جاز وفائدة الحكيمين ان كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في الإقامة على النكاح أو في المنارقة ثم يجتزمان فيفعلان ما هو الصواب من اتفاق أو طلاق أو خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ أمر يلزم الزوجين دون رضاها واذنهما في ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل أو يفتدى حكم المرأة بشئ من مالها فلا شافعي في ذلك قولان أحدهما انه لا يجوز الا برضاها وليس لحكم الزوج ان يطلق الا بأذنه ولالحكم المرأة ان يختلع بشئ من مالها الا بأذنها وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين قال اما الفرقة فلا فقال له على كذبت حتى تقر بمثل ماقرت به فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاها ومعنى قول على للزوج كذبت أى لست بمنصف في دعواك حيث لم تقر بمثل ماقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثاني انه يجوز بعث الحكيمين دون رضاها ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاها ولحكم الزوجة ان يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادها وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول على للزوج حتى تقر ان رضاها شرط بل معناه ان المرأة للمراضية بما في كتاب الله تعالى فقال الرجل اما الفرقة فلا يعنى ليست الفرقة في كتاب الله فقال له على كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة في كتاب الله بل هى في كتاب الله فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون تارة ذلك بالفراق وتارة بصلاح حالهما في الوصلة ﴿ قوله عز وجل ﴿ أن الله كان عليما خيرا ﴾ يعنى ان الله تعالى يعلم

فظابت من النبي صلى الله عليه وسلم قصاصها من زوجها فنهاها الله عن ذلك

بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق ﴿١﴾ وعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴿٢﴾ صنماً أو غيره أو شيئاً من الأشرار جلياً أو خفياً ﴿٣﴾ وبالوالدين إحساناً ﴿٤﴾ وأحسنوا بهما إحساناً ﴿٥﴾ وبذئ القربى ﴿٦﴾ وبصاحب القرابة ﴿٧﴾ واليتامى والمساكين

كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق ﴿٨﴾ قوله عز وجل ﴿٩﴾ وعبدوا الله ﴿١٠﴾ يعني وحدوه واطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل يأتي به العبد لمجرد الله تعالى ويدخل فيه جميع أعمال القلوب وأعمال الجوارح ﴿١١﴾ ولا تشركوا به شيئاً ﴿١٢﴾ يعني واخلصوا له في العبادة ولا تجملوا له في الربوبية والعبادة شريكاً لان من عبد مع الله غيره أو أراد بعمله غير الله فقد اشرك به ولا يكون مخلصاً (ق) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير أو اسمه ينفور فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشركه به شيئاً فقلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال لا تبشرهم فيتركوا قوله هل تدري ما حق الله على عباده معناه ما يستحقه مما أوجبه وجعله محتماً عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وقوله وما حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقهم عليهم لانهم يستحقون عليه شيئاً ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك على واجب أى متأكد قيامي به \* وقوله أفلا أبشر الناس الخ انما قال لا تبشرهم فيتركوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك أصح لهم وأحرى أن لا يتكلموا على هذه البشارة وبتركوا العمل الذى ترفع لهم به الدرجات فى الجنة ﴿١٣﴾ قوله عز وجل ﴿١٤﴾ وبالوالدين إحساناً ﴿١٥﴾ تقديره واحسنوا بالوالدين احساناً يعنى براهما وعلفا عليهما وانما قرن برالوالدين بعبادته وتوحيده لتأكد حقهما على الولد \* واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى فى تحصيل مرادهما والافتقار عليهما بقدر القدرة (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك قال ثم من قال ثم أمك \* وفى رواية قال أمك ثم أمك ثم أبك ثم أبك ثم أمك ثم أبك ثم أمك ثم أبك \* قوله ثم أبك فيه حذف تقديره ثم برأباك (م) عن رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة ﴿١٦﴾ قوله عز وجل ﴿١٧﴾ وبذئ القربى ﴿١٨﴾ أى واحسنوا الى ذئ القرابة وهو ذوو رحه من قبل أبيه وأمه (ق) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له فى رزقه وينسأله فى أثره فليصل رحه \* قوله ينسأله فى أثره يعنى يؤخر له فى أجله وعمره ﴿١٩﴾ قوله عز وجل ﴿٢٠﴾ واليتامى والمساكين ﴿٢١﴾ أى واحسنوا الى اليتامى وانما أمر

(واعتدوا الله) قيل العبودية أربعة الوفاء بالمهود والرضا بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود (ولا تشركوا به شيئاً) صنماً وغيره ويحتمل المصدر أى اشراكاً (وبالوالدين احساناً) واحسنوا بهما احساناً بالقول والفعل والافتقار عليهما عند الاحتياج (وبذئ القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما (واليتامى والمساكين)

(واعتدوا الله) وحدوا الله (ولا تشركوا به شيئاً) من الاوثان (وبالوالدين احساناً) براهما (وبذئ القربى) أمر بصلة القرابة (واليتامى) أمر بالاحسان الى اليتامى وحفظ أموالهم وغير ذلك (والمساكين) وحث على صدقة المساكين

والجارذى القربى \* اى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب  
أودين \* وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحفظه \* والجار الجنب \* البعيد أو  
الذى لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق  
حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام  
وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب \* والصاحب  
بالجنب \* الرفيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل

بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغير وعدم المشفق والمسكين  
هو الذى ركبته ذل الفاقة والفقر فتمسك لذلك (خ) عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج  
بينهما شياً (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعى على  
الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وأحسبه قال وكالقاتم الذى لا يفتقر وكالصائم الذى  
لا يفطر \* قوله عز وجل \* والجارذى القربى والجار الجنب \* أى وأحسنوا  
الى الجارذى القربى وهو الذى قرب جواره منك والجار الجنب هو الذى بعد جواره  
عنك وقيل الجار ذوالقربى هو القريب والجار الجنب هو الاجنبى الذى ليس بينك  
وبينه قرابة (ق) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه \* وعن عائشة مثله (خ)  
عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله ان لى جارين فالى أيهما أهدى قال  
الى أقربهما بابانك (م) عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا  
ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتماهد جيرانك \* وفى رواية قال أوصانى خليلي  
صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت من جيرانك  
فاصبهم منها بمعرفة (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله  
لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه  
ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل والشُرور (ق) عنه  
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يانساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجاتها  
ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدى اليها فرسن شاة وهو الظلف وأراد به الشئ  
الحقير (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم  
الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان  
يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت \* قوله عز وجل \* والصاحب  
بالجنب \* قال ابن عباس هو الرفيق فى السفر وقيل هي المرأة تكون معك الى  
جنبك وقيل هو الذى يصحبك رجاء نفعك \* عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران  
عند الله تعالى خيرهم لجاره أخرجه الترمذى وقال حديث حسن \* قوله عز وجل

والجارذى القربى) الذى  
قرب جواره (والجار  
الجنب) أى الذى جواره  
بعيد أو الجار القريب  
النسيب والجار الجنب  
الاجنبى (والصاحب  
بالجنب) أى الزوجة عن  
على رضى الله عنه أو الذى  
صحبك بان حصل بجنبك  
اماريفقا فى سفر أو شريكا  
فى تعلم علم أو غيره أو قاعدا  
الى جنبك فى مجلس أو  
(والجارذى القربى)  
جار بينك وبينه قرابته  
ثلاثة حقوق حق القرابة  
وحق الاسلام وحق  
الجوار (والجار الجنب)  
الجار الاجنبى من قوم  
آخرين له حقان حق  
الاسلام وحق الجوار  
(والصاحب بالجنب)  
الرفيق فى سفره حقان  
حق الاسلام وحق الصحبة  
ويقول الصاحب بالجنب  
المرأة فى البيت أمر



بجيبك وقيل المرأة ﴿ وابن السبيل ﴾ المسافر أو الضيف ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ العبيد والاماء ﴿ أن الله لا يحب من كان مختالا ﴾ متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم ﴿ فخورا ﴾ يتفاخر عليهم

﴿ وابن السبيل ﴾ يعنى المسافر المجتاز بك الذى قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف يعربك فتركه وتحسن اليه ﴿ ق ﴾ عن أبى شريح خويلد بن عمرو العدوى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يومه وليته والضيافة ثلاثة أيام فاكان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت زاد فى رواية ولايجل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤتمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤتمه قال يقيم عنده ولا شئ عنده يقريه به \* قوله جائزته يومه وليته الجائزة العطية أى يقري الضيف ثلاثة أيام ثم يعطيه مايجوز به من منهل الى منهل وقيل هو ان يكرم الضيف فاذا سافر أعطاه مايكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع آخر \* وقوله أن يقيم عند أخيه حتى يؤتمه أى يوقعه فى الأثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره ثم بذلك \* قوله عز وجل ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ يعنى الممالك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم ان لا يكلفهم مالا يطيقون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية \* عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سبي الملكة. أخرجه الترمذى \* عن رافع بن مكيث رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة ماء وسوء الخلق شؤم أخرجه أبو داود \* وله عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ﴿ ق ﴾ عن المعرور بن سويد رضى الله عنه قال رأيت أباذر وعليه حلة وعلى غلام حلة مثلها فسأته عن ذلك فذكر انه ساء رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بأمه فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتى هذه من كبر السن قال نعم هم أخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه بما يلبس ولا تكلفوهم ما يعلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه \* قوله عز وجل ﴿ أن الله لا يحب من كان مختالا ﴾ المختال المتكبر العظيم فى نفسه الذى لا يقوم بحقوق الناس ﴿ فخورا ﴾ الفخور هو الذى يقنخر على الناس ويمدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل هو الذى يقنخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لان المختال الفخور يأنف من اقاربه الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن اليهم ولا يولوى بنظره عليهم ولان المختال

مسجد ( وابن السبيل )  
الغريب أو الضيف ( وما  
ملكت أيمانكم ) العبيد  
والاماء ( أن الله لا يحب  
من كان مختالا ) متكبرا  
يأنف عن قرابته وجيرانه  
فلا يلتفت اليهم ( فخورا )  
يمدد مناقبه كبرا فان عدها  
اعترافا كان شكورا

بالاحسان اليها ( وابن  
السبيل ) أمر باكرام  
الضيف والضيف ثلاثة  
أيام حق وما فوق ذلك  
فهو صدقة ( وما ملكت  
أيمانكم ) أمر بالاحسان  
الى الخدم من العبيد والاماء  
( أن الله لا يحب من كان  
مختالا ) فى مشيته ( فخورا )  
ينعم الله بطرا متكبرا على عباد

(الذين يبخلون) نصب على البدل من من كان محتالا فحورا وجمع على معنى من اوعى الدم اورقع على خبر مبتدا محذوف تقديره الذين هم يبخلون (ويأمرون الناس ﴿٧٣﴾ بالبخل) بالبخل جزء {سورة النساء} وعلى وهما القتان كالرشد والرشد

أى يبخلون بذات أيديهم  
وعا في أيدي غيرهم  
فيأمرونهم بان يبخلوا به  
مقتا للسخاء قيل البخل ان  
يأكل بنفسه ولا يؤكل  
غيره والشح ان لا يأكل  
ولا يؤكل والسخاء ان  
يأكل ويؤكل والجود أن  
يؤكل ولا يأكل (ويكتمون  
ما آتاهم الله من فضله)  
ويخفون ما أنعم الله عليهم به  
من المال وسعة الحال وفي  
الحديث اذا أنعم الله على عبده  
نعمة أحب أن يرى نعمته على  
عبده ونبي عامل للرشد  
قصرا حذاء قصره فتم به  
فقال الرجل يا أمير المؤمنين  
ان الكريم يسره ان يرى  
أثر نعمته فاحببت ان أسرك  
بالنظر الى آثار نعمتك  
فاجبته كلامه قيل نزلت في  
شأن اليهود الذين كتموا  
صفة محمد عليه السلام  
(وأعدنا للكافرين عذابا  
مهينا) أى يهانون به في

(الذين يبخلون)  
هم الذين يبخلون بكتان  
صفة محمد ونعته كعب  
وأصحابه (ويأمرون الناس  
بالبخل) بالكتان (ويكتمون  
ما آتاهم الله) بين الله لهم

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴿٧٣﴾ بدل من قوله من كان أو نصب على الهم  
أورقع عليه أى هم الذين أو مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به  
ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ جزءة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين هى  
لغة ﴿٧٣﴾ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴿٧٣﴾ الغنى والعلم فهم أحقاء بكل ملامة ﴿٧٣﴾ واعتدنا  
للكافرين عذابا مهينا ﴿٧٣﴾ وضع الظاهر فيه موضع المضمرة اشعار بان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله  
سبحانه وتعالى ومن كان كافر النعمة فله عذاب يهينه كما هان النعمة بالبخل والاحفاء والآية  
نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصروا لانفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر

هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء (ق)  
عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله  
يوم القيامة الى من جرازاره بطرا (ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل مشى في حلة تجعبه نفسه مر رجل جتته يحتال  
في مشيته اذ خسف الله به فهو يتججل الى يوم القيامة (خ) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء  
خسف به فهو يتججل في الارض الى يوم القيامة (ق) عن أبى هريرة رضى الله  
تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلاء في القدادين  
من أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم \* القدادون هم الفلاحون والحرثون  
وأصحاب الابل والقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس ﴿٧٣﴾ قوله عز وجل  
﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيسان  
صفة محمد صلى الله عليه وسلم فكتموها وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال  
ابن عباس نزلت في كردم بن زيد وحبي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة  
ابن حبيب ونافع بن أبى نافع ويحيى بن عمرو كانوا يأتون رجالا من الانصار  
ويخالطونهم يقولون لهم لانفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرؤن ما يكون  
فانزل الله عز وجل هذه الآية وقيل يحتمل أن يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع  
المال لان البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ماله وامساك المقتنيات وفي  
الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان ذلك أمكن حله على منع  
المال ومنع العلم ﴿٧٣﴾ ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴿٧٣﴾ يعنى اليهود كتموا صفة محمد  
صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء الذين كتموا الغنى وأظهروا  
الفقر وبخلوا بالمال ﴿٧٣﴾ وأعدنا للكافرين ﴿٧٣﴾ يعنى الجاحدين نعمة الله عليهم ﴿٧٣﴾ عذابا  
مهينا ﴿٧٣﴾ يعنى فى الآخرة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذى وقال حديث

فى الكتاب (من فضله) من صفة محمد (قا و خا ١٠ فى) ونتمه (وأعدنا للكافرين) لليهود (عذابا مهينا) يهانون به

في الآخرة (والذين ينفقون أموالهم) معطوف على الذين ينجلون أو على الكافرين (رأء الناس) مفعول له أي للفخار  
 وليقال ما أجدوهم لا ابتغاء وجه الله وهم المنافقون أو مشركو مكة (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له  
 قرينا فساء قرينا) حيث { الجزء الخامس } حاجهم على البخل ﴿ ٧٤ ﴾ والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيدا

لهم بان الشيطان يقرب  
 بهم في النار (وماذا عليهم  
 لو آمنوا بالله واليوم الآخر  
 وأنفقوا مما رزقهم الله)  
 وأي تبعة ووبال عليهم في  
 الايمان والانفاق في سبيل  
 الله والمراد الذم والتوبيخ  
 والافكل منفعة ومصالحة  
 في ذلك وهذا كما يقال لاماق  
 ما شرك لو كنت بارا وقد  
 علم انه لامضرة في البر  
 ولكنه ذم وتوبيخ (وكان  
 الله بهم عليما) وعيدا

(والذين) وهم رؤساء اليهود  
 (ينفقون أموالهم رءاء  
 الناس) سمعة للناس حتى  
 يقولوا انهم على سنة ابراهيم  
 ويتفضلون باموالهم ويعطون  
 (ولا يؤمنون بالله) وبمحمد  
 والقرآن ( ولا باليوم  
 الآخر) بالبعث بعد الموت  
 وبنعيم الجنة (ومن يكن  
 الشيطان له قرينا) معينا  
 في الدنيا (فساء قرينا) بئس  
 القرين له في النار (وماذا  
 عليهم) على اليهود ولم  
 يكن عليهم شيء ( لو آمنوا  
 بالله) وبمحمد والقرآن  
 (واليوم الآخر) بالبعث  
 بعد الموت وبنعيم الجنة

وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والذين ينفقون أموالهم رءاء  
 الناس ﴾ عطف على الذين ينجلون أو الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان  
 البخل والسرف الذي هو الانفاق لاعلى ما ينبغي من حيث انهما طرفا تقريط وافتراط  
 سواء في القبح واستحلاب الذم أو متدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن  
 الشيطان له قرينا ﴿ ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ﴾ ليتجزوا بالانفاق مرضاه  
 وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾  
 تنبيه على ان الشيطان قرينهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين  
 كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون  
 وعيدا لهم بان يقرب بهم الشيطان في النار ﴿ وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر  
 وأنفقوا مما رزقهم الله ﴾ أي وما الذي عليهم أو أي تبعة تحقيق بهم بسبب الايمان والانفاق  
 في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف  
 ماهو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب له لانه يؤدي بهم الى العلم بما فيه  
 من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعى الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب  
 اليه احتياطا فكيف الله تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا وأخبره في الآية الاخرى  
 لان القصد بذكره الى التحضيض ههنا والتعليل ثمه ﴿ وكان الله بهم عليما ﴾ وعيداهم

غريب ﴿ قوله عز وجل ﴾ والذين ينفقون أموالهم رءاء الناس ﴿ يعني للفخار  
 والسمعة وليقال ما سخاهم وما أجدوهم لا يريدون: أنفقوا وجد الله تعالى ﴿ م ﴾ عن أبي  
 هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى  
 أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عهد أشرك معي فيه غيري تركته وشركه نزلت  
 هذه الآية في اليهود وقيل في المنافقين لأن الرياء ضرب من النفاق وقيل نزلت في  
 مشركي مكة المنافقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يؤمنون  
 بالله ولا باليوم الآخر ﴾ يعني ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء  
 الاعمال انه كائن ﴿ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ﴾ يعني من يكن الشيطان  
 صاحبه وخليته فبئس صاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر  
 الشيطان تقريرا لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما سول له الشيطان  
 فبئس العمل عمله وقيل هذا في الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرب  
 مع كل كافر شيطان في سلسلة من النار ثم ونجهم الله تعالى وغيرهم على ترك الايمان  
 فقال تعالى ﴿ وماذا عليهم ﴾ يعني وأي شيء عليهم وأي وبال وتبعة تلحقهم ﴿ لو  
 آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ﴾ أي أي وبال عليهم في الايمان بالله  
 والانفاق في سبيله وابتغاء مرضاته ﴿ وكان الله بهم عليما ﴾ يعني لا يخفى عليه شيء  
 من أعمال هؤلاء الذين ينفقون أموالهم لاجل الرياء والسمعة فبه وعيد وتهديد لهم

(وأنفقوا مما رزقهم الله) أعطاهم الله من المال في سبيل الله (وكان الله بهم) باليهود (وعين  
 يؤمنون وعين لا يؤمن منهم) عليما (قوله)

﴿ أن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب أصغر شئ كالذرة وهى النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفى ذكره ايمان الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه ﴿ وأن تك حسنة ﴾ وان يكن مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لأن ايث الخبر أو لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيهاً بحروف العلة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ﴿ يضاعفها ﴾ يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى

(أن الله لا يظلم مثقال ذرة) هى النملة الصغيرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه أدخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة ذرة (وأن تك حسنة) وان يك مثقال الذرة حسنة وانما أنث ضمير المثقال لكونه مضافاً الى مؤنث حسنة مجازى على كإن التامة وحذفت النون من تكن تخفيفاً لكثرة الاستعمال (يضاعفها) يضاعف ثوابها يضعفها مكى وشامى

أن الله لا يظلم مثقال ذرة) لا يترك من عمل الكافر مثقال ذرة لينفمه فى الآخرة أو يرضى به خصمائه (وأن تك حسنة) للمؤمن المخلص بعد رضاء الخصماء (يضاعفها) من واحدة الى عشرة

وله عز وجل ﴿ أن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وأنفقوا فان الله لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص أحداً من ثواب عمله مثقال ذرة يعنى وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس نملة جراء وقيل الذرة كل جزء من أجزاء الهباء الذى يكون فى الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشياء والمعنى ان الله تعالى لا يظلم أحداً شياً من قليل ولا كثير فخرج الكلام على أصغر شئ يعرفه الناس ﴿ وأن تك حسنة يضاعفها ﴾ يعنى الحسنه بعشر أمثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقى له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبعمائة والى أجر عظيم قال قتادة لان تفضل حسنتى على سيأتى بمثقال ذرة أحب الى من الدنيا وما فيها (م) عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها فى الدنيا ويحجزى بها فى الآخرة وأما الكافر فيعطى بحسنات قد عمل بها فى الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يحجزى بها عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى سيخلص رجلاً من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتكر من هذا شياً أعطاك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول تعالى بل ان لك عندنا حسنة فانه لا يظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه سجلات فقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يتحمل مع اسم الله شئ أخرجه الترمذى (ق) عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله رضى الله عنه صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحمل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض منزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجويد الخيل والركاب فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد منا شدة الله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار وفى رواية فما أنتم =

بأشد منا شدة في الحق فدتبين لكم من المؤمنين يومئذ للجار اذا رأوا انهم قد نجوا في أخوانهم يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحججون فيقال لهم أخرجوا من عرقم فحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد من أمرتنا به فيقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا من أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحد من أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لده أجرا عظيما فيقول الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرجح الراجين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا جميعا فيلقهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كاتخرج الحبة في جبل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصفر وأخضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل علموه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فأرأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ربنا أى شئ أفضل من هذا فيقول رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الآية واردة في الخصوم ويدل عليه ما روى عن عبد الله ابن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى مناد من عند الله الأيمن كان يطلب مظلمة فليجيء الى حقه فليأخذها قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده أو اولده أو زوجته أو أخيه فيأخدمه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء حقوقهم فيقولون أى رب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة انظروا في أعماله الصالحات فأعطوهم منها فان بقى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو أعلم بذلك أعطينا كل ذى حق حقه وبقى له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضمفوها لى لى وأدخلوه بفضل رحمتى الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لده أجرا عظيما أى الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقى طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم اكتبوا له كتابا الى النار أخرجه البغوى بغير سند عن ابن مسعود موقوفا (عليه)

(ويؤت من لدنه أجر عظيما) ويعط صاحبها من عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالمعظم فمن يعرف مقداره مع انه سمي متاع الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة في تخليد مرتكب الكبيرة مع ان له حسنات كثيرة (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (اذا جئنا من كل امة ﴿٧٧﴾ شهيد) يشهد عليهم {سورة النساء} بما فعلوا وهو نبيهم (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) أي أمتك (شهيدا) حال أي شاهدا على من آمن بالكفر وعلى من كفر بالانقياد وعلى من نافق بالانقياد وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبتنا

﴿ويؤت من لدنه﴾ ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل ﴿أجرا عظيما﴾ عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه ﴿فكيف﴾ أي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم ﴿اذا جئنا من كل امة بشهيد﴾ يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشأن ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿على هؤلاء شهيدا﴾ تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك بحجام قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الارض﴾ بيان لحالهم حينئذ أي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر أو الكفرة والمعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى أولم يبعثوا وكانوا

عليه وأسند ابن جرير الطبري عن ابن مسعود فعنى الآية على هذا التأويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للنصم على خصمه بل يأخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبيح له بل يثيب عليها ويضاعفها لذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها أي يجعلها أصعافا كثيرة ﴿ويؤت من لدنه﴾ يعني من عنده ﴿أجرا عظيما﴾ يعني الجنة والمعنى ويعط من عنده أجرا عظيما يعني عوضا من حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال أبو هريرة اذ قال الله عز وجل أجر عظيم فمن يقدر قدره ﴿قوله عز وجل﴾ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ﴿يعني فكيف﴾ يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن عباس يريد بنبيها والمعنى انه يؤتى نبي كل امة يشهد عليها ولها ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿على هؤلاء شهيدا﴾ يعني تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا به بما فعلوا

(ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل قال اني أحب أن أسمعه من غيري قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن قال فالتفت اليه فاذا عيناه تدرقان زاد مسلم شهيدا مادمت فيهم أو قال ما كنت فيهم شك أحدر وانه ﴿قوله عز وجل﴾ يومئذ ﴿يعني يوم القيامة﴾ يود ﴿أي تمنى﴾ الذين كفروا ﴿يعني جحدوا ووجدانية الله تعالى﴾ وعصوا الرسول ﴿يعني فيما أمرهم به من توحيد الله عز وجل﴾ لوتسوى بهم الارض ﴿يعني لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا أن لن يبعثوا لانهم

لا تمك شهيدا من كيان معدلا مصدقا لهم لان أمتهم يشهدون للانبيا على قومهم اذا جحدوا (يومئذ) يوم القيامة (يود) تمنى (الذين كفروا) بالله (وعصوا الرسول) بالاجابة (لوتسوى بهم الارض) أي يصيرون ترابا مع

حالتها تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والامالة وحذف إحدى التاءين من تسوى حزة وعلى تسوى بادغام التاء في السين مدني وشامى (ولا يكتمون الله { الجزء الخامس } حديثاً) ﴿ ٧٨ ﴾ مستأنف أى ولا يقدرُونَ على كتمانهِ

لان جوارحهم تشهد عليهم ولما صنع عبدالرحمن بن عوف طعاما وشرابا ودعا نفرا من الصحابة رضى الله عنهم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فقدموا أحدهم ليصلى بهم المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبدنزل (يا أيها الذين آمنوا) لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى (أى لا تقربوها في هذه الحالة حتى تعلموا ما تقولون) (أى تقرؤن وفيه دليل على أن ردة السكران ليست بزردة لان قراءة سورة الكافرين بطرح اللامات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الايمان وما أمر النبي عليه السلام بالتفريق بينه وبين امرأته ولا بتجديد الايمان ولان الامة اجتمعت

البهائم ( ولا يكتمون الله حديثا ) لم يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين ونزل في أصحاب محمد قبل تحريم الخمر قوله (يا أيها الذين آمنوا) ( بمحمد والقرآن ) لا تقربوا الصلوة ( في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم مع النبي عليه السلام ) ( وأنتم سكارى ) نشاوى ( حتى تعلموا ما تقولون ) ما يقرأ امامكم في الصلاة

هم والارض سواء ﴿ ولا يكتمون الله حديثا ﴾ ولا يقدرُونَ على كتمانهِ لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أى يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكفونهُ بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك حتم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيمتنون ان تسوى بهم الارض . وقرأ نافع وابن عامر تسوى بهم على ان اصله تسوى فادغمت التاء في السين . وقرأ حزة والكيساني تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ أى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم أو جر حتى تنبها وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روى ان عبدالرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فقدم أحدهم ليصلى بهم فقرأ اعد ما تعبدون فنزلت وقيل أراد بالصلاة مواضعها وهى المساجد وليس المراد منه نهى السكران عن قربان الصلاة وانما المراد منه النهى عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السند

انما كانوا في الارض وهى مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تعالى للبهائم والوحوش والطيور والسباع كونى ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو يكون ترابا ﴿ ولا يكتمون الله حديثا ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء ودوا لوتسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستأنف قال سعيد بن جبير سأل رجل ابن عباس فقال انى أجد في القرآن أشياء تختلف على قال هات ما يختلف عليك قل منها قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال يغفر الله تعالى لاهل الاسلام ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء أن يغفر لهم فيحتم على أفواههم وتنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا أن الله لا يكتهم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففى موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفى موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفى موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنوبهم وفى موطن لا يتساءلون وفى موطن يسألون الرجعة وأخرتلك المواطن ان يختم على أفواههم وتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتنون الله حديثا ﴿ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى ﴾ جمع سكران ﴿ حتى تعلموا ما تقولون ﴾ سبب نزول هذه الآية ماروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال صنع لما ابن عوف طعاما

(فدعانا)

وقرى سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى أو مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كجلى على انها صفة الجماعة ﴿ ولا جنبا ﴾ عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر ﴿ الا عابرى سبيل ﴾ متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من أعم الاحوال أى لاتقربوا الصلاة جنبا فى عامة الاحوال الا فى السفر وذلك اذالم يجد الماء وتيمم وشهده تعقبه بذكر التيمم أو صفة لقوله جنبا أى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رضى الله عنه وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه لا يجوز له المرور فى المسجد الا اذا كان

على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره (ولا جنبا) عطف على وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لاتقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا أى ولا تصلوا جنبا والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجنب (الا عابرى سبيل) صفة لقوله جنبا أى لاتقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل أى جنبا مقامين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يقتسبوا كأنه قيل لاتقربوا الصلاة غير مقتسلين

(ولا جنبا) لانتموا المسجد جنبا (الا عابرى سبيل) الامارى الطريق فيما

فدعانا فاكلنا وسقانا خرا قبل تحريم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فزلت لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وأخرجه أبو داود ولفظه ان رجلا من الانصار دعاه وعبدالرحمن بن عوف فسقاها قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فاهمهم على فى المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون فخلط فيها فزلت الآية لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس ان رجلا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل أن تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى الآية فعلى هذا فى المراد بالصلاة قولان أحدهما أنه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الأكثرين والمعنى لاتصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثانى ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لاتقربوا مواضع الصلاة وانتم سكارى وحذف المضاف جائز سائغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز. واعلم ان هذا النهى عن قربان الصلاة فى حالة السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها فى غير أوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعنى لاتقربوا الصلاة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روى عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نعت أحدكم وهو يصلى فليقر حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر ربه فيسب نفسه أخرجه فى الصحيحين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ولا جنبا ﴾ يعنى ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الاجنب وأصل الجنابة البعد سمي الذى اصابته الجنابة جنبا لانه يتجنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبة الناس حتى يقتل ﴿ الا عابرى سبيل ﴾



فيه الماء أو الطريق ﴿حتى تغتسلوا﴾ غايته النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي له ان يتحرز عما يليه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه

العابر ههنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب الآخر واختلف العلماء في معنى قوله الا عابري سبيل على قولين أحدهما أن المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيدهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا محرهم الا في المسجد فرخص لهم لعبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وأنتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه أو للدخول فيه مثل أن يكون قد نام في المسجد فاجنب فيجب الخروج منه أو يكون الماء في المسجد فيدخل اليه أو يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وأنس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني والنعيمي والزهرى واليه ذهب الشافعي وأجد القول الثاني أن المراد من قوله الا عابري سبيل المسافرون والمعنى لا تقربوا الصلاة وأنتم جنب الا أن تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فقيموا فنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا أن يكون في سفر ولا ماء معه فقيم ويصلى الى أن يجد الماء فيغتسل وهذا قول على وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فن جعل عابري السبيل المسافرين منع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب أبي حنيفة وصحح ابن جرير الطبري والواحدى القول الاول وبدل على صحته وجهان أحدهما أن المسافر الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم ههنا فيحتاج الى اضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار شيء الوجه الثاني أن الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد في الآية ويدل عليه ان جميع القراء استحسنوا الوقت على قوله ﴿حتى تغتسلوا﴾ يعنى الى أن تغتسلوا وفيه دليل على أن حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هي الاغتسال

﴿فصل في احكام تتعلق بالآية﴾

اختلف العلماء في العبور في المسجد فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه بعضهم على الاطلاق وهو قول أصحاب الرأي وقال قوم يتيمم للعبور في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد أيضا للجنب فنهى أكثر أهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث في المسجد بحال لما روى عن عائشة رضيت الله تعالى عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شائعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء أن تنزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فأنزل أهل المسجد لحائض ولا جنب أخرجه أبو داود وجوز أحد المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني من أصحاب الشافعي وأجاب أحد عن

(حتى تغتسلوا) الآن تكونوا

مسافرين عادمين الماء متيممين عبر عن التيمم بالمسافر لان غالب حاله عدم الماء وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله وهو مروى عن على بن رضى الله عنه وقال الشافعي رحمه الله لا تقربوا الصلاة أى مواضع الصلاة وهي المساجد ولا جنباً أى ولا تقربوا المسجد جنباً أى عابري سبيل الا مجتازين فيه فيجوز للجنب العبور في المسجد عند الحاجة

لابد لكم (حتى تغتسلوا) من الجنابة

﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ مرضا يخاف معه عن استعمال الماء فإن الواجد له كالتفاد أو مرضا  
عنه عن الوصول إليه ﴿أو على سفر﴾ لا تجدون فيه

حديث عائشة بانه في رواته مجهول وقال عبدالحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل  
أحد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار قال رأيت رجلا من أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنونون اذا توضؤا وصووا الصلاة  
أخرجه سعيد بن منصور في مسنده واحتج لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما روى  
عن أم سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى بأعلى  
صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا حائض أخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب  
أيضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة وبدل على ذلك أيضا ما روى  
عن علي بن أبي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته ثم  
يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ويحجبه وربما قال ولا يحجزه من القرآن شيء  
ليس الجنابة أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي ولفظه كان يقرأ القرآن على كل حال ما  
لم يكن جنباً وقال حديث حسن صحيح \* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض ولا النساء من القرآن شيئاً أخرجه الدارقطني ويجب  
الغسل باحد شيئين بانزال المني وهو الماء الدافق أو بإبلاج الحشفة في الفرج وان  
لم ينزل وبدل على ذلك ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سئل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلبل ولا يذكر اختلاماً قال يغتسل وعن الرجل يرى  
أنه احتلم ولا يجد بللاً قال لا غسل عليه قالت أم سلمة والمرأة ترى ذلك أعليها غسل  
قال نعم أخرجه أبو داود والترمذي (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل  
زاد في رواية وان لم ينزل \* قوله عز وجل ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ جمع مريض  
وأراد به المرض الذي يضر معه اساس الماء مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك  
وان كان على بعض أعضائه جراحة أو به قروح يخاف من استعمال الماء التلث أو زيادة  
الوجع فانه يتيم ويصلى مع وجود الماء وان كان بعض أعضائه صحيحاً وبعضها جريحاً  
غسل الصحيح وتيم للجريح في الوجه واليدين ما روى عن جابر قال خرجنا في سفرنا  
فاصاب رجلاً منا حجر فشججه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في  
التيم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاعتسل فات فلما قدمنا على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم الله ألا سألوا اذا لم يعلموا فانما  
شفاء الى السؤال انما كان يكفيه أن يتيم ويبصر أو قال يعصب شك الراوى على  
جرحه خرقه ثم يمسح عليه ويفسل سائر جسده أخرجه أبو داود والدارقطني ولم  
يجوز أصحاب الرأي الجمع بين الغسل والتيم قالوا اذا كان أكثر أعضائه أو بدنه صحيحاً  
غسل الصحيح ولا يتيم عليه وان كان الاكثر جريحاً اقتصر على التيم والحديث جمل  
أوجب الجمع بين الغسل والتيم \* قوله عز وجل ﴿أو على سفر﴾ يعني أو كنتم

(وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى  
سفر

( وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى )  
جرحى (أو على سفر

﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾ فحدث بخروج الخارج من أحد السيلين واصل الغائط المكان المطمئن من الارض ﴿ أو لامستم النساء ﴾ أو ما ستم بشرتهن بشركتم وبه استدلل الشافعي رحمه الله على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل أو جامعتموهن \* وقرأ أجزاء والكسائي ههنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع أقل من الملامسة

مسافرين وأراد به السفر الطويل والقصير وعدم الماء فانه يتيم ويصلى ولا إعادة عليه لماروي عن أبي ذر رضي الله عنه قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا ذر ابد فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيدني الجنابة فامكث الخمس والست فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو ذر فسكت فقال ثكلتك أمك يا أباذر لامك الويل فدعا بجمارية سوداء فجاءت بهس فيه ماء فسترتي بثوب واستترت بالراحلة فاغتسلت فكانني ألقيت عنى جبلا فقال العنيد الطيب وضوء المسلم ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فامسه جلدك فان ذلك خير أخرجه أبو داود العس قدح من فخار يحمل فيه الماء للوضوء والاعتسال أما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيم ويصلى ثم يعيد اذا وجد الماء وقدر عليه وبه قال الشافعي وقال مالك والاوزاعي لا إعادة عليه وقال أبو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء \* قوله عز وجل ﴿ أو جاء أحد منكم من الغائط ﴾

أو جاء أحد منكم من الغائط أي المطمئن من الارض وكانوا يأتونه لقضاء الحاجة فكفى به عن الحدث (أو لامستم النساء) جامعتموهن كذا عن علي رضي الله عنه وابن عباس

أو جاء أحد منكم من الغائط من مكان حدث (أو لامستم النساء) أو جامعتم النساء

الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث فكنوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا أراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن أعين الناس فسمى الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه \* قوله عز وجل ﴿ أو لامستم النساء ﴾ قرئ هنا وفي سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير ألف واختلف العلماء في معنى الملامسة على قولين أحدهما أنه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه هذا القول ان الله تعالى كفى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل اليه قال ابن عباس أن الله حيي كريم يكنى عن الجماع باللامسة والقول الثاني ان المراد باللمس هنا التقاء البشريتين سواء كان بجماع أو بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حله على الجماع فمجاز والاصل حل الكلام على الحقيقة لا المجاز وأما قراءة من قرأ أو لامستم فالملامسة مفاعلة من اللمس لا تدل على الجماع أيضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي عن بيع الملامسة قال أبو عبيدة في معناها هي أن يقول اذلمت ثوبى أو لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة في غير الجماع لم يدل قوله تعالى أو لامستم النساء على صريح الجماع بل حل على الاصل الموضوع له وهو اللمس باليد =

## فصل في أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل

## المسئلة الاولى

إذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى شيء من بدن المرأة ولا حائل بينهما انتقض وضوءهما وهو قول ابن مسعود وابن عمرو به قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روى الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه قال قبله الرجل لمرأته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امرأته أو جسها بيده فعليه الوضوء أخرجه مالك في الموطأ قال الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحق إذا كان للمس بشهوة انتقض الوضوء وإن لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأته من نساءه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ قال عمرو ومن هي إلا أنت فضحكت أخرجه أبو داود وأجيب عن هذا الحديث بأنه ليس بثابت قال الترمذي أنه لا يصح إسناده بحال وسمعت محمد بن اسمعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عمرو وضعف يحيى بن سعيد القطن هذا الحديث وقال هوشبه لأشئ وفيه ضعف من وجه آخر وهو أن عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن أخت عائشة إنما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وإنما المحفوظ عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة وقال أبو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس إلا أن يحدث الانتشار وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عائشة أنها قالت كنت أنام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فإذا سجد غزني فقبضت رجلي فإذا قام بسطتهما واليوت يومئذ ليس فيها مصابيح أخرجه في الصحيحين وأجاب من أوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بأنه يحتمل أن يكون غززه لها على حائل

## المسئلة الثانية

اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالام والبت والاخت أو أجنبية صغيرة فاصح القولين عنه أنه لا ينتقض الوضوء به والثاني أنه ينتقض الوضوء به ومأخذ القولين عند أصحاب الشافعي التردد بين التعلق بعموم الآية في قوله أو لامستم النساء أو النظر إلى المعنى في النقص باللمس وهو تحريك الشهوة فإن أخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحرم وإن أخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا كان أو امرأة واللامس هو الفاعل للمس وإن لم يقصد المباشرة فأحد القولين أنه ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الآية لأنه لمس وقع بين الرجل والمرأة فينتقض وضوءهما معا والقول الثاني أنه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفرائش فالتسته فوضعت يدي على أخص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك

= لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة أو سنّها أو ظفرها فلا وضوء عليه

### المسئلة الثالثة في الحدث

وهو الخارج من السيلين عينا كان كالبول والغائط أو أثرا كالريح ونحوها فإذا حصل شيء من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضأ أو يتيمم عند عدم الماء لما روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ فقال رجل من أهل حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة قال فساء أو ضراط أخرجه في الصحيحين أما خروج النجاسة من غير السيلين كالفصد والحجامة والرعاف والتي ونحوها فذهب قوم إلى أنه لا وضوء من خروج هذه الأشياء يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس والحسن وابن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي لما روى عن أنس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجة أخرجه الدارقطني وذهب قوم إلى إيجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحق واتفق هؤلاء على أن خروج القليل منه لا ينقض الوضوء. ويبدل على انتقاض الوضوء بخروج هذه الأشياء ما روى عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فتوضأ قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق أنا صببت له وضوؤه أخرجه الترمذي وقال هو أوضح شيء في هذا الباب

### المسئلة الرابعة

من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون أو انغماء أو نوم لما روى عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العيين وكاء السه فمن نام فليتوضأ أخرجه أبو داود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا مفضيا بمحل الحدث إلى الأرض ويبدل على ذلك ما روى عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشاء الأخيرة حتى تحفق رؤسهم ثم يصلون ولا يتوضئون أخرجه أبو داود وذهب قوم إلى أن النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما وبه قال الحسن وإسحق والمزني وذهب قوم إلى أنه لو نام قائما أو قاعدا أو ساجدا وهو في الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي لما روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فإنه إذا اضطجع استرخت مفاضله أخرجه أحمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث

### المسئلة الخامسة

من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه أو غيره فذهب قوم إلى أنه يوجب الوضوء وهو قول عمرو بن عمر وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة رضي الله عنهم وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي (وأحمد)

﴿ فلم تجدوا ماء ﴾ فلم تتمكنوا من استعماله اذ المنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المرخص بالتيمم ما يحدث أو جنب والحال المقتضية له في غالب الامر مرض أو سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجز ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات أو بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجلا فكأنه قيل وان كنتم جنباً مرضى او على سفر أو محدثين جئتم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء ﴿ فتييموا صعيداً طيباً ﴾

(فلم تجدوا ماء) فلم تجدوا ماء على استعماله لعدمه أو بعده أو فقد آلة الوصول اليه أو لمانع من حية أو سبع أو عدو (فتييموا) أدخل في حكم الشرط أربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون وأهل الجنابة والجزء الذي هو الامر بالتيمم متعلق بهم جميعاً فالمرضى اذا عدوا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه والمسافرون اذا عدموه لبعده والمحدثون وأهل الجنابة اذا لم يجدوه لبعض الاسباب فلهم أن يتييموا المستم حزة وعلى (صعيداً) قال الزجاج هو وجه الارض تراباً كان أو غيره وان كان صخر الا تراب عليه لو ضرب التيمم يده ومسح لكان ذلك ظهوره ومن في سورة المائدة لابتداء الغاية للتبعيض (طيباً) طاهراً

(فلم تجدوا ماء فتييموا صعيداً طيباً) فتمدوا الى تراب نظيف

وأحد واسحق غير أن الشافعي قال يتقضى الوضوء اذا لمس بطن الكف والرجل والمرأة في ذلك سواء ويدل على ذلك ما روى عن بسرة بنت صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ولا يبي داود والنسائي نحوه ﴿ وعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ أخرجه ابن ماجه وصححه أحمد وأبو زرعة ﴿ وعن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أفضى بيده الى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء أخرجه أحمد بن حنبل وذهب قوم الى أن مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وأبي الدرداء وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي واحتجوا بما روى عن طلق ابن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل كأنه بدوى فقال يا نبي الله ما ترى في مس الرجل ذكره بعد ما توضأ قال هل هو الا مضغة أو قال بضعة منه أخرجه أبو داود وللترمذي والنسائي نحوه بمعناه وأجاب من أوجب الوضوء على من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قدمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في أول الهجرة وهو بنى المسجد وأبو هريرة رضى الله عنه من آخرهم اسلاماً وقد روى انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث أبي هريرة رضى الله عنه ناسخاً لحديث طلق بن علي وأيضاً فان حديث طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوى عند أهل الحديث ﴿ قوله عز وجل ﴾ فلم تجدوا ماء فتييموا صعيداً طيباً ﴿ اعلم ان التيمم من خصائص هذه الامة خصها الله تعالى به ليسهل عليهم أسباب العبادة ويدل على ذلك ما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً اذا لم نجد الماء أخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفارهم حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقدي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى أبي بكر الصديق فقالوا ألا ترى الى ما صنعت عائشة برسول الله صلى الله عليه وسلم ويا للناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة

فعاينى أبو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يعطن بيده فى حاصرته فلا يجمعنى من التحرك الامكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فانزل الله عز وجل آية التيمم فقيموا فقال أسيد ابن حضير وهو أحد النقباء ماهى بأول بركتكم يا آل أبى بكر قالت عائشة فبعثنا البير الذى كنت عليه فوجدنا القدر تحتة أخرجاه فى الصحيحين قولها بالبيداء البيداء المغازة والقفر وكل صحراء فهى بيضاء وجهها بيد وذات الجيش اسم لموضع وهو على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير أى أترناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء فهو معطوف على ما قبله والمعنى أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فطلبتم الماء لتطهروا به فلم تجدوه يعنى فاعوزكم فلم تجدوه ثم ولا يغيرن لان الحديث مأمور بالتطهر بالماء فاذا أعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعى اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة أخرى وقل ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعى قوله تعالى فلم تجدوا ماء فقدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد فى كل مرة من سبق الطلب وأجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه يحتاج اليه لعطشه أو عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الماء وقوله تعالى فقيموا صعيدا طيبا أصل التيمم فى اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو فى الشرع عبارة عن أعمال مخصوصة عند عدم الماء لتأدية الصلاة واختلفوا فى الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التى ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوى من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التى لا شئ فيها وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال أبو عبيد فى قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق مأخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا تبال أكان فى الموضع تراب او لا لان الصعيد ليس هو التراب إنما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعى فى تفسير الصعيد قال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذى غبار فاما البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب أو مدر يكون له غبار كان الذى خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا كحل ولا زرينخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعى فى تفسير الصعيد وهو القدوة فى اللغة وقوله فى ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفراء وأبو عبيد فى انه التراب وجميع الاقوال فى الصعيد صحيحة فى اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس فى قوله صعيدا هو التراب واختلف أهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعى الى انه يختص بما وقع عليه اسم التراب مما له غبار يملق بالوجه واليدى لان النبى صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو الذى ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت ليس بطيب ولنا أيضا قوله تعالى فى سورة المائدة

فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴿١﴾ أى قعمدوا شيئاً من وجه الارض طاهرا ولذلك  
 قالت الحنفية لو ضرب التيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لا بد ان  
 يتملق باليدشئ من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم مندى من  
 بعضه رجل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبييض واليداسم  
 للعضو الى المنكب وما روى انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه  
 والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق .

فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وكلمة من للتبييض هنا ولا يتأتى ذلك فى الصخر الذى  
 لا تراب عليه وأيضاً فإنه يقال للغبار صعيد لانه مأخوذ من الصعود وهو الارتفاع  
 ولا يكون ذلك فى الصخر وما أشبهه وذهب أبو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل  
 ما هو من جنس الارض كالرمل والحصى والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب  
 يده على صخرة ملساء لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج أبو حنيفة ومن وافقه  
 بظاهر الآية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض فقوله تعالى  
 فتيموا صعيدا طيبا أى اقصدا أرضاً فوجب ان يكون هذا القدر كافياً واجيب عنه  
 بما تقدم من الدليل فى قوله منه وان افضة من تكون للتبييض قالوا ولما روى عن جابر  
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلتلى الارض مسجداً وطهوراً واجيب عنه بان  
 هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة فى تخصيص التراب والمفسر يقضى على  
 المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدى ونحو  
 ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما تصاعد على الارض واجيب عنه بما تقدم من الادلة  
 ﴿٢﴾ قوله عز وجل ﴿٣﴾ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴿٤﴾ الوجه المسوح فى التيمم هو المحدود  
 فى الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب اكثر أهل العلم منهم ابن  
 عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابى حنيفة والشافعى انه يمسح الوجه واليدين  
 الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه  
 ولا يجب ايصال الزاب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى ويفرق اصابعه  
 فيمسح يديه الى المرفقين ويدل على ذلك ما روى عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقى ولم يضعفه  
 وروى الشافعى عن ابراهيم بن محمد عن أبى الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال  
 مسرت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول فسلت عليه فلم يرد على حتى قام الى  
 الجدار فحتمه بعضا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد على  
 هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبدالرحمن بن هرم لم يسمع هذا من ابن الصمة  
 وانما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج فى الصحيحين عن عمير  
 مولى ابن عباس قال دخلنا على أبى جهيم بن الحرث فقال أبوجهيم أقبل رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جبل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد انى صلى الله عليه =

(فامسحوا بوجوهكم وأيديكم)

قيل الباء زائدة

(فامسحوا بوجوهكم)

بالضربة الاولى (وأيديكم)

بالضربة الثانية



وسلم حتى أقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام  
ولابن داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته  
فكان من حديثه يومئذ أن قال مر رجل في سكة من سكك المدينة فلقى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قد خرج من غائط أو بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا  
كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حائط  
ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال  
لم يعنى أن أرد عليك أولاً الا أني لم أكن على طهره وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين  
فهذا أجود ما في هذا الباب فان البيهقي أشار الى صحة اسناده وفيه دليل على الحكيم  
يعنى مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم  
لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حث الجدار  
بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافياً لما كان حثه وذبح الزهري الى انه يمسح اليدين  
الى المنكبين ويدل على ذلك ما روى عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة لفجر فضربوا باكفهم الصعيد ثم مسحوا بوجوههم  
مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا بأيديهم كلها الى  
المنكب والآباط ثم بطون أيديهم أخرجه أبو داود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة  
واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطاء ومكحول  
واليه ذهب الاوزاعي ومالك واحمد واسحق وداود الظاهري واحتجوا بما روى عن عمار  
ابن ياسر قال بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجتنب فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد  
كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك أن تقول  
بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر  
كفيه وباطنهما ووجهه وفي رواية أن تقول هكذا وضرب بيديه الارض فنفض يديه  
فمسح وجهه وكفيه أخرجه في الصحيحين وجملة ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها  
عند بعض أهل اللغة من أطراف الانامل الى الكوع وهذا هو المقطوع في حد السرقة  
وقال أبو اسحق الزجاج حدها من أطراف الانامل الى الكتف فن ذهب الى أن المسح  
في التيمم هو الكف قال ان حد اليد هو المقطوع في حد السرقة ومن ذهب الى ان المسح  
في التيمم الى المنكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها ومن ذهب الى  
ان المسح في التيمم الى المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المفسولة في الوضوء  
هي المسوحة في التيمم فيحمل المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم  
على المقيد الذي في قوله تعالى في آية الوضوء فاعسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأجاب  
من ذهب الى هذا عن حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه  
جميع ما يحصل به التيمم

### فصل في أركان التيمم خمسة

الاول تراب طاهر خالص له غبار يعاق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه  
(غبار)

﴿ أن الله كان عفوا غفورا ﴾ فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم ﴿ ألم تر الى الذين أتوا ﴾ من رؤية البصر أى ألم تنظر اليهم أو القلب وعدى بالى تضمن معنى الانتهاه ﴿ نصيبا من الكتاب ﴾ حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد أحبار اليهود ﴿ يشترون الضلالة ﴾ يختارونها على الهدى أو يستبدلونها به بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التوراة ﴿ ويريدون

( أن الله كان عفوا )  
بالترخيص والتيسر ( غفورا )

عن الخطأ والتقصير  
( ألم تر ) من رؤية القلب  
وعدى ابلى على معنى ألم  
بنته علمك اليهم أو بمعنى  
ألم تنظر اليهم ( الى الذين  
أتوا نصيبا من الكتاب )  
حظا من علم التوراة وهم  
أحبار اليهود ( يشترون  
الضلالة ) يستبدلون بها الهدى  
وهو البقاء على اليهودية  
بعد وضوح الآيات لهم  
على صحة نبوة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وأنه هو  
النبى العربى المبشر به فى  
التوراة والانجيل ( ويريدون

غبار التانى قصد الصميد فلو تعرض لمهب الريح لم يكفه ولو يعمه غيره باذنه مع عجزه جاز وأن كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب الى الوجه واليدى الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح وأكله ان بنوى استباحة الفرض والنقل الخامس مسح الوجه واليدى الى المرفقين بضميرتين والترتيب ولا يصح التيمم للصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتى فرض بتيمم واحد وهو قول على وابن عباس وابن عمرو به قول الشعبي والنخعي وقتادة واليه ذهب مالك والشافعي وأحمد واسحق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز أن يصلى به ماشاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهرى والثورى وأصحاب الرأى واتفقوا على انه يجوز ان يصلى بتيمم واحد ماشاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى أن يدخل وقت الصلاة الاخرى وأن يقرأ القرآن ان كان جنبا ويشترط طلب الماء فى السفر بان يطلبه فى رخله وعند رفقائه وان كان فى صحراء ولا حائل دون نظره نظر حوالبه وان كان دون نظره حائل قريب من تل أو جدار أو نحوه عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الامن طلب ولا يشترط طلب عند أبى حنيفة فان رأى الماء ولا يقدر عليه للمانع من عدو أو سبع يمنعه من الذهاب اليه أو كان الماء فى بئر وليس معه آلة الاستقاء فهو كالعدم فتيمم ويصلى ولا إعادة عليه والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الله كان عفوا ﴾ يعنى يتجاوز عن ذنوب عباده ويعفو ويصفح عنهم ﴿ غفورا ﴾ ستورا على عباده يغفر الذنوب ويستترها وفيه تنبيه على ان الله تعالى رخص لعباده أمر العبادة ويسرها عليهم لان من كانت عادته ان يفقر الذنوب ويعفو عنها كان أولى بان يرخص للعاجزين أمر العبادة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب ﴿ نزلت فى يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت فى رفاعة بن زيد ومالك بن دحشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويأ ألسنتهما وعابه فانزل الله تعالى ألم تر يعنى ألم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين أتوا نصيبا من الكتاب يعنى أعطوا حظا من علم التوراة وذلك أنهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك أتى عن التيمم وقيل انهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها ﴿ يشترون الضلالة ﴾ يعنى يؤثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا وتحصل لهم الرياسة وانما ذكر بلفظ الشراء لانه استبدال شئ بشئ وقيل فيه اضممار يعنى يستبدلون الضلالة بالهدى ﴿ ويريدون ﴾ يعنى اليهود

( أن الله كان عفوا ) متفضلا  
فيما وسع عليكم ( غفورا )  
فيما يكون منكم من التقصير  
( ألم تر ) ألم تخبر فى الكتاب  
( الى ) عن ( الذين أتوا )  
أعطوا ( نصيبا من الكتاب )  
علما بالتوراة ( يشترون  
الضلالة ) يختارون اليهودية  
( ويريدون

أن تضلوا) أنتم أيها المؤمنون (السييل) أي سبيل الحق كما ضلوه (والله أعلم) منكم (بأعدائكم) وقد أخبركم  
 بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنجحوهم في أموركم (وكفى بالله وليا) في النفع (وكفى بالله نصيرا) في الدفع فتقوا  
 بولايته ونصرته دونهم أو لا تسالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم ووليا ونصيرا منصوبان على التمييز  
 أو على الحال (من الذين هادوا) بيان للذين أتوا نصيبا من الكتاب أو بيان لاعداؤكم وما بينهما اعتراض أو يتعلق  
 بقوله نصيرا أي ينصركم {الجزء الخامس} من الذين هادوا كقوله ﴿٩٠﴾ ونصرناه من القوم الذين كذبوا

بآياتنا أو يتعلق بمحذوف  
 تقديره من الذين هادوا  
 قوم يحرفون الكلم قووم  
 مبتدأ ويحرفون صفة له  
 والخبر من الذين هادوا  
 مقدم عليه وحذف  
 الموصوف وهو قوم وأنعم  
 صفته وهو (يحرفون الكلم  
 عن مواضعه) يملونه عنها  
 ويزيلونه لانهم اذا بداه  
 ووضعوا مكانه كما غيره  
 فقد أمالوه عن مواضعه  
 في التوراة التي وضعه الله  
 تعالى فيها وأزالوه عنها  
 مقامه وذلك نحو  
 تحريفهم أسمر ربعة عن  
 موضعه في التوراة بوضعهم  
 آدم طوال مكانه ثم ذكر  
 هنا عن مواضعه وفي المائة  
 من بعد مواضعه فمضى عن  
 مواضعه على ما بينا من ازالته  
 عن مواضعه التي أوجبت  
 حكمة الله وضعه فيها بما  
 اقتضت شهوراتهم من ابدال  
 غيره مكانه ومعنى من بعد  
 مواضعه انه كانت له مواضع هو  
 جدير بان يكون فيها حين  
 حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقارنه والمعنيان متقاربان (ويقولون سمعنا) قولك (وعصينا) (يظهرون)

أن تضلوا ﴿٩٠﴾ أيها المؤمنون ﴿٩١﴾ السبيل ﴿٩٢﴾ سبيل الحق ﴿٩٣﴾ والله أعلم ﴿٩٤﴾ منكم ﴿٩٥﴾ بأعدائكم ﴿٩٦﴾  
 وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم ﴿٩٧﴾ وكفى بالله وليا ﴿٩٨﴾ يلي أمركم  
 ﴿٩٩﴾ وكفى بالله نصيرا ﴿١٠٠﴾ يعنيكم فتقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزا في فاعل كفى لتأكيد  
 الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي ﴿١٠١﴾ من الذين هادوا ويحرفون ﴿١٠٢﴾ بيان للذين أتوا نصيبا فانه  
 محتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض أو بيان لاعداؤكم أو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين  
 هادوا ويحفظكم منهم أو خبر محذوف صفة يحرفون ﴿١٠٣﴾ الكلم عن مواضعه ﴿١٠٤﴾ أي من الذين  
 هادوا قوم يحرفون الكلم أي يملونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بآياته عنها وأثبت  
 غيره فيها أو يؤاونه على ما يشتهون فيملونه عما أنزل الله فيه ﴿١٠٥﴾ قرى الكلم بكسر الكف  
 وسكون اللام جمع كلمة تحفيف كلمة ﴿١٠٦﴾ ويقولون سمعنا ﴿١٠٧﴾ قولك ﴿١٠٨﴾ وعصينا ﴿١٠٩﴾ أمرك

﴿١١٠﴾ أن تضلوا السبيل ﴿١١١﴾ يعني عن السبيل والمعنى انهم يتوصلون الى اضلال المؤمنين  
 والتليس عليهم لكي يجتنبوا الاسلام ﴿١١٢﴾ والله أعلم بأعدائكم ﴿١١٣﴾ يعني انه سبحانه وتعالى  
 أعلم بكنهه ما في قلوب اليهود من العداوة والبغضاء لكم يا مشر المؤمنين فلا تتنجحوهم  
 فانهم أعداؤكم ﴿١١٤﴾ وكفى بالله وليا ﴿١١٥﴾ يعني متوليا أمركم والقائم به ومن كان الله تعالى  
 وليه لم يضره أحد ﴿١١٦﴾ وكفى بالله نصيرا ﴿١١٧﴾ يعني فهو ينصركم عليهم فتقوا بولايته  
 ونصره ﴿١١٨﴾ قوله تماعز وجل ﴿١١٩﴾ من الذين هادوا ﴿١٢٠﴾ قيل هو بيان للذين أتوا نصيبا من  
 الكتاب والتقدير ألم ترالى الذين أتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما  
 قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف  
 تقديره من الذين هادوا قوم ﴿١٢١﴾ يحرفون الكلم ﴿١٢٢﴾ أي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه  
 ﴿١٢٣﴾ عن مواضعه ﴿١٢٤﴾ يعني يغيرون صفة محذوف صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس  
 كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم  
 يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف ألقاء الشبهة الباطلة  
 والتأويلات الناسدة وهو تحريف اللفظ عن معناه الحق الى عن معنى باطل ﴿١٢٥﴾ ويقولون  
 سمعنا وعصينا ﴿١٢٦﴾ يعني سمعنا قولك وعصينا أمرك وذلك انهم كانوا اذا أمرهم النبي  
 صلى الله عليه وسلم بأمر قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا

أن تضلوا السبيل) أن تتركوا دين الاسلام نزلت في اليسع ورافع بن حرملة حبرين من اليهود دعوا عبد الله بن أبي وأصحابه  
 الى دينهما (والله أعلم بأعدائكم) من المنافقين واليهود (وكفى بالله وليا) حافظا (وكفى بالله نصيرا) مانعا (من الذين  
 هادوا) يعني اليهود مالك بن الصيف وأصحابه (يحرفون الكلم عن مواضعه) يغيرون صفة محذوف ونعته بعد بيانه  
 في التوراة ويأتون محمدا (ويقولون سمعنا) قولك يا محمد (وعصينا)

أمرك قيل أسروا به ( واسمع ) قولنا ( غير مسمع ) حال من المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذوو جهين  
يحتمل الهم أي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو أجبت دعوتهم عليه لم اسمع شيئاً فكان صم غير مسمع قالوا  
ذلك اتكالا على ان قولهم لاسمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير حجاب الى ما تدعوا اليه ومعناه غير مسمع جواباً يوافقك  
فكانك لم تسمع شيئاً أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه فسمعتك عنه ناب ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع  
فلان فلانا اذا سبه وكذلك قوله ﴿ ٩١ ﴾ ( وراعنا ) يحتمل { سورة النساء } راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا

ويحتمل سبه كلمة عبرانية  
أو سريانية كانوا يتسابون  
بها وهي راعنا فكانوا  
سخرية بالدين وهزأ  
برسول الله صلى الله عليه  
وسلم يكلمونه بكلام محتمل  
ينوون به الشتم والاهانة  
ويظهرون به التوقير  
والاكرام ( ليا بألسنتهم )  
فتلابها وتحرifa أي يقتلون  
بالسنتهم الحق الى الباطل

﴿ واسمع غير مسمع ﴾ أي مدعوا عليك بلا سمعت بصم أو موت أو اسمع غير حجاب الى  
ماتدعوا اليه أو اسمع غير مسمع كلاماً ترضاه أو اسمع كلاماً غير مسمع ايلا لان اذنك تنبو  
عنه فيكون مفعولاً به أو اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه  
نفاقاً ﴿ وراعنا ﴾ انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك ﴿ ليا بألسنتهم ﴾ فتلابها وصرفاً  
للإكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع  
موضع لاسمعت مكروها أو فتلابها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون  
من السب والتخثير نفاقاً ﴿ وطعنا في الدين ﴾ استهزأ به وسخرية ﴿ ولوانهم قالوا ﴾  
سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ﴿ ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه ﴾ لكان خيرالهم  
وأقوم ﴿ لكان قولهم ذلك خيرالهم وأعدل وانما يجب حذف الفعل بعدل في مثل ذلك  
لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه

يظهرون ذلك القول عنادا واستخفافاً ﴿ واسمع غير مسمع ﴾ هذه كلمة تحتل المدح  
والذم فاما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها وأما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون  
اسمع منا ولا تسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون لاني صلى الله عليه وسلم اسمع ثم  
يقولون في أنفسهم لاسمعت وقيل معناه غير مقبول منك ماتدعوا اليه وقيل معناه غير  
مسمع جواباً يوافقك ولا كلاماً ترضاه ﴿ وراعنا ﴾ أي ويقولون راعنا يريدون  
بذلك نسبتهم الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك أي اصرف سمعك الى كلامنا وانصت  
الى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتبجيل  
والتفخيم ﴿ ليا بألسنتهم ﴾ وطعنا في الدين ﴿ أصله لويلا لانه من لويت الشيء اذا قتلته  
والمعنى انهم يقتلون الحق فيجملونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجملونه من الرعونة  
وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فآظهره الله تعالى  
على خبث ضمائرهم وما في قلوبهم من العداوة والبغضاء ثم قال تعالى ﴿ ولو أنهم قالوا ﴾  
سمعنا وأطعنا ( يعني ولو أنهم قالوا بدل سمعنا وعصينا سمعنا وأطعنا ) ﴿ وأسمع ﴾ يعني  
بدل قولهم لاسمعت ﴿ وانظرنا ﴾ يعني بدل قولهم راعنا أي انظر الينا ﴿ لكان خيرا  
لهم ﴾ يعني عند الله ﴿ وأقوم ﴾ يعني أعدل وأصوب ﴿ ولكن لعنهم الله ﴾ يعني

حيث يضعون راعنا موضع  
انظرنا وغير مسمع موضع  
لاسمعت مكروهاً ويقتلون  
بالسنتهم ما يضمرونه من  
الشم الى ما يظهرونه من  
التوقير نفاقاً ( وطعنا في  
الدين ) هو قولهم لو كان  
نبيا حقا لاخبر بنا نعتد  
فيه ( ولو أنهم قالوا سمعنا  
وأطعنا ) ولم يقولوا وعصينا  
( واسمع ) ولم يلحقوا به غير  
مسمع ( وانظرنا ) مكان  
راعنا ( لكان ) قولهم ذلك

( خيرا لهم ) عند الله ( وأقوم ) وأعدل وأسد

أمرك في السرعه ( واسمع ) منا يا محمد ( غير مسمع ) غير مطاع ( وراعنا ) اسمع منا يا محمد وكان بلغتهم راعنا  
اسمع لاسمعت ( ليا بألسنتهم ) يحرفون ألسنتهم بالشم والتخثير ( وطعنا في الدين ) عيا في الاسلام ( ولو أنهم ) يعني اليهود ( قالوا  
سمعنا ) قولك يا محمد ( وأطعنا ) أمرنا ( واسمع ) منا ( وانظرنا ) انظر الينا ( لكان خيرا لهم ) من السب والتخثير ( وأقوم ) أصوب

(ولكن لعنهم الله بكفرهم) طردهم وأبعدهم عن رحته بسبب اختيارهم الكفر (فلا يؤمنون الا قليلا) منهم قد آمنوا كبد الله بن سلام {الجزء الخامس} وأصحابه والايانا ﴿٩٢﴾ قليلا ضعيفا لا يعبأ به وهو ايمانهم بن

﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم﴾ ولكن خذاهم وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ﴿فلا يؤمنون الا قليلا﴾ أى الايمان قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويحتمل ان يراد بالقلّة العدم كقوله

قليل التشكى للمهم يصيبه كثير الهوى شتى الذوى والمسالك

أوالا قليلا منهم آمنوا أو سيؤمنون ﴿يأياها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على أدبارها﴾ من قبل ان نحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء أو نكسها الى ورائها فى الدنيا أو فى الآخرة وأصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق بمعنى الطمس فى ازالة الصورة ولطلق القلب والتغير ولذلك قيل معناه من قبل ان تغير وجوها فنسلب وجاتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار أو نردها الى حيث جاءت منه وهى اذرع الشام يعنى أجلاء بنى النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل ان نطمس وجوها بان نعفى الابصار عن الاعتبار ونضم الاسماع عن الاصغاء

طردهم وأبعدهم عن رحته ﴿بكفرهم﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿فلا يؤمنون الا قليلا﴾ يعنى فلا يؤمن من اليهود الا نقر قليل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل أراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم ﴿قوله عز وجل﴾ يأياها الذين أتوا الكتاب ﴿خطاب لليهود﴾ آمنوا بما نزلنا ﴿يعنى القرآن﴾ مصدقا لما معكم ﴿يعنى التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم أحبار اليهود عبد الله بن سوريا وكعب بن الأشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلوا فوالله انكم تعلمون ان الذى جتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك وأصروا على الكفر فانزل الله هذه الآية وأمرهم بالايان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى ﴿من قبل ان نطمس وجوها﴾ أصل الطمس ازالة الأثر بالحو وذكروا فى المراد بالطمس ههنا وجهين أحدهما أن يحمل على حقيقته والثانى أن يحمل على مجازة أمان من حله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس يجعلها كخف البعير وقيل نعمها فيكون المراد بالوجه العين ﴿فردها على أدبارها﴾ يعنى نجعلها على هيئة أدبارها وهى الاقفاء وقيل نديرها فيجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما جعل الله هذاعقوبة لهم لما فيه من تشويه الحلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيامة وأما من حل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها يعنى على ضلالها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على أدبارها يعنى بتغيير أحوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى أذرعات واريحاء من أرض الشام من حيث جاؤا وهو اجلاء بنى النضير \* فأن قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم آمنوا ولم يأمنوا فلم يفعل بهم ذلك \* قلت هذا الاشكال

خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا نزل (يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا) يعنى القرآن (مصدق لما معكم) يعنى التوراة (من قبل ان نطمس وجوها) أى نحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنفوفم (فردها على أدبارها) فنجعلها على هيئة أدبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها والقفاء للتسييب وان جعلها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالعنى ان نطمس وجوها فننكس الوجوه الى خلف والاقفاء الى اقدام قيل والمراد بالطمس القلب والتغير كما طمس أموال القبط فقلبا سجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم أى من قبل ان تغير أحوال وجهائهم فنلبسهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم

(ولكن) وليكنهم (لعنهم الله) عذبهم الله بالخزية (بكفرهم) عقوبة لكفرهم (فلا يؤمنون الا قليلا) وهو من أسلم منهم عبد الله بن سلام وأصحابه (يا أيها الذين أتوا

الكتاب) أعطوا علم التوراة بصفة مجدونه ( آمنوا بما نزلنا ) يعنى القرآن (مصدقاً) موافقاً (لما معكم) بالتوحيد (انما)

وصفة مجدونه (من قبل أن نطمس وجوها) ان تغير قلوبكم (فردها على أدبارها) فنردها عن بصر الهدى ونحول وجوههم

صغارهم وأدبارهم) أو نلعنهم كاللعنا أصحاب السبت) أي نخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت والضمير يرجع الى الوجوه ان أريد الوجهاء أو الى الذين أتوا الكتاب على طريقة الالتفات والوعيد كان مع لقسا بان لا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم فان ابن سلام قد سمع الآيه ﴿٩٣﴾ قافلا من الشام فأتى النبي {سورة النساء} صلى الله عليه وسلم مسلما قبل ان يأتي أهله وقل ما كنت أرى ان أصل الى أهلي قبل ان يطمس الله وجهي ولان الله تعالى أو عدهم باحد الامرين بطمس الوجوه أو بلعنهم فان كان الطمس تبدل أحوال رؤسائهم فقد كان أحد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر في اليهود (وكان أمر الله) أي المسأورة به وهو العذاب الذي أوعدها به (مفعولا) كأنها لا محالة فلا بد أن يقع أحد الامرين ان لم يؤمنوا (أن الله لا يغفر أن يشرك به) ان مات عليه (ويغفر ما دون ذلك) أي ما دون الشرك وان كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل ان الشرك مغفور عنه بالتوبة وان وعد غفران ما دونه لمن لم يتب أي لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال النبي عليه السلام من لقي الله تعالى

الى الحق بالطبع وزردها عن الهداية الى الضلالة ﴿ أو نلعنهم كاللعنا أصاب السبت ﴾ أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت أو نمسخهم مثل مسخهم على لسانك كاللعناهم على لسان داود والضمير لأصحاب الوجوه أو للذين على طريقة الالتفات أو للوجوه ان أريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب أو كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة ﴿ وكان أمر الله ﴾ بإيقاع شيء أو وعيده أو ما حكم به وقضاه ﴿ مفعولا ﴾ نافذا أو كأنها يقع لا محالة ما وعدتم به ان لم تؤمنوا ﴿ أن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ لانه ثبت الحكم على خلود عذابه ولانه ذنب لا ينمحي عنه اثره فلا يستمد له مفر بخلاف غيره ﴿ ويغفر ما دون ذلك ﴾ أي ما دون الشرك صغيرا كان أو كبيرا ﴿ لمن يشاء ﴾ تفضلا عليه واحسانا وأول المعتزلة

انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تحيطها وجعله على الحقيقة والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقيين وروى ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآيه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي أهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى ان أصل اليك حتى يحول وجهي الى قفائي وكذلك روى عن كعب الاخبار انه لما سمع هذه الآيه في خلافة عمر بن الخطاب أسلم وقال يارب أسلمت مخافة أن يصيبني وعيد هذه الآيه فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن أحد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه ففات الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسح قبل يوم القيامة وقيل انه تعالى جعل الوعيد بأحد شيئين اما بالطمس أو باللعنة وهو قوله تعالى ﴿ أو نلعنهم كاللعنا أصحاب السبت ﴾ أي نجعلهم قردة كما فعلنا بابائهم وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة والكنائية في ناعنهم تعود الى المخاطبين في قوله تعالى يا أيها الذين أتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد يحتمل أن يكون معناه من قبل أن نطمس وجوها فنردها ونلعن أصحاب الوجوه فيجعل الكناية في قوله أو نلعنهم عن ذكر أصحاب الوجوه اذا كان في الكلام دلالة عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكان أمر الله مفعولا يعني لا بد وأن يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لأمره على معنى انه لا يتمتع عليه شيء يريد أن يفعله وقيل معناه وكان مأمورا لله مفعولا والأمر هنا في موضع المأمور سمي أمرا لانه عن أمره كان ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴿ قال

لا يشرك به شيئا دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتقصيده بقوله (من يشاء) لا يخرج

الى الاقفية) أو نلعنهم) أو نمسخهم) كاللعنا) مسخنا) أصحاب السبت) قردة) (وكان أمر الله مفعولا) كأنها فاسلم بعد نزول هذه الآيه عبد الله بن سلام وأصحابه (أن الله لا يغفر أن يشرك به) ان مات عليه (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) لمن تاب

الفاعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بالدليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل

ابن جرير الطبري معناه يأبىها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون في الآية دلالة على أن اليهودى يسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الآية نزلت في وحشى وأصحابه وذلك لما قتل حجرة رضى الله عنه ورجع الى مكة ندم هو وأصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمننا على ما صنعنا وانه ليس بمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا آيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف أن لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف أن لانكون من أهل المشيئة فنزلت قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لو وحشى أخبرنى كيف قتلت حجرة فلما أخبره قال ويحك غيب وجهك عنى فلحق بالشأم فكان به الى أن مات وقيل لما نزلت قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين أو ثلاثا فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر مادون ذلك لمن يشاء يعنى ويغفر مادون الشرك لمن يشاء من أصحاب الذنوب والآثام ففي الآية دليل على أن صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشيئة ان شاء عفا عنه وأدخله الجنة بمنه وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم أدخله الجنة برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لمادون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة أن يعقر لصاحب كبيرة وعند أهل السنة أن الله تعالى يفعل ما يشاء لامكره له ولا اجر عليه ويدل على ذلك أيضا ما روى عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيرة شهدنا انه من أهل النار حتى نزلت هذه الآية تان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيئا الا عمله غير أنه مشرك قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيئا من الشر الا عمله غير أنه لم يشرك بالله شيئا فقال عمر الله أعلم قال ابن عباس انى لارجوله كما أنه

عن عمومته كقوله الله لطيف بمعباده يرزق من يشاء قال على رضى الله عنه ما فى القرآن آية أحب الى من هذه الآية وجل المعتزلة على التائب باطل لان الكفر مغفوعته بالتوبة لقوله تعالى

قل للذين كفروا أن يتوبوا يغفر لهم ما قد سلف فأدونه أولى أن يغفر بالتوبة والآية سبقت لبيان التفرقة بينهما وذافياً ذكرنا  
(ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً) كذب ﴿٩٥﴾ كذبا عظيماً استحق به {سورة النساء} عذاباً أليماً ونزل فيمن زكى

نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا إن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى (المتر إلى الذين يزكون أنفسهم) ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى (بل الله يزكى من يشاء) اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ونحوه فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (ولا يظلمون) أى الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكية أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يشابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم (قتيلاً) قدر قتيلاً وهو ما يحدث بقتل الاصابع من الوسخ

(ومن يشرك بالله فقد افترى) اختلق على الله (إثماً) كذباً (عظيماً) نزلت في وحشى قاتل حزة عم النبي صلى الله عليه وسلم (المتر) ألم تخبر في الكتاب (الى الذين) عن الذين (يزكون) يبرؤن (أنفسهم)

ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾ ارتكب ما يستحقه منه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق ﴿المتر الى الذين يزكون أنفسهم﴾ يعنى أهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطلاقهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيتهم ما علمنا بالنهار كفر عنا بالليل وما علمنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معانهم من زكى نفسه واثى عليها ﴿بل الله يزكى من يشاء﴾ تبيته على ان تزكيتك تعالى هي المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقيم فعلاً أو قولاً ﴿ولا يظلمون﴾ بالذم أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق ﴿قتيلاً﴾ أدنى ظلم رأضه وهو الخبط

لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عن ﴿عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال ما في القرآن أحب الى من هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب (م) عن جابر رضى الله عنه قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبان قال من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ومن يشرك بالله﴾ يعنى يجعل معه شريكاً غيره ﴿فقد افترى﴾ أى اختلق ﴿إثماً عظيماً﴾ يعنى ذنباً عظيماً غير مغفور ان مات عليه ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿المتر الى الذين يزكون أنفسهم﴾ نزلت في رجال من اليهود أتوا باطلاقهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيتهم ما علمنا بالنهار يكفر عنا بالليل وما علمنا بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقولهم ان يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصالح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلاً قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى فلا تصلح التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكى من يشاء ويدخل في هذا المعنى كل من ذكر نفسه بصالح أو وصفها بزكاء العمل أو زيادة الطاعة والتقوى أو زيادة الزلفى عند الله تعالى فهذه الاشياء لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ومعنى يزكون أنفسهم يزعمون انهم أذكيا لانهم برؤا أنفسهم من الذنوب قال تعالى ردا عليهم ﴿بل الله يزكى من يشاء﴾ فيجمله زاكياً ﴿ولا يظلمون قتيلاً﴾ يعنى ان الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون

من الذنوب يعنى اليهود مجير ابن عمرو ومرحب بن زيد (بل الله يزكى) يرى من الذنوب (من يشاء) من كان أهلاً لذلك (ولا يظلمون قتيلاً) لا ينقص من ذنوبهم قدر قتيلاً وهو الشئ الذى يكون في وسط النواة ويقال هو الوسخ الذى تقتل بين أصبعك



(انظر كيف يفترون على الله الكذب) في زعمهم انهم عند الله اذكاء (وكفى به) بزعمهم هذا (اثامينا) من بين سائر آثامهم (الم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يعني اليهود) (يؤمنون بالجبت) أي الاصنام وكل ما عبدوه من دون الله (والطاغوت)

(انظر) يا محمد (كيف يفترون) يختلقون (على الله الكذب) لقولهم ما نعمل بالنهار من الذنوب يغفره الله لنا بالليل وما نعمل بالليل يغفر بالنهار (وكفى به) بزعمهم هذا بالله بما قالوا (اثامينا) كذبنا (الم تر) ألم تخبر يا محمد (الى الذين) عن الذين (أنوا) أعطوا (نصيبا من الكتاب) علما بالتوراة بنعتك وصفتك وآية الرجم وما يشبهها مالك بن الصيف وأصحابه وكانوا سبعين رجلا (يؤمنون بالجبت) حيي بن أخطب (والطاغوت) كعب بن الاشرف

الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ في زعمهم انهم ابناء الله سبحانه وتعالى وازكيا عنده ﴿وكفى به﴾ بزعمهم هذا وبالافتراء ﴿اثاما مينا﴾ لا يخفى كونه ماثما من بين آثامهم ﴿الم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعو اليه محمد عليه الصلاة والسلام وقيل في حيي بن أخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا الى مكة يخالفون قريشا على محاربة رسول الله صل الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم اليان فلا نؤمن مكرهم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لاخير فيه فقلت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره

من ثواب طاعتهم شيئا والقتيل المقتول وسمى ما يكون في شق النواة قتيلا لكونه على هيئته وقيل القتل هو ما قتله بين أصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشيء الحقير الذي لا قيمة له ﴿انظر﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد الى هؤلاء اليهود ﴿كيف يفترون على الله الكذب﴾ يعني قولهم انهم لا ذنوب لهم وتزكيتهم أنفسهم ﴿وكفى به﴾ أي بذلك الكذب ﴿اثاما مينا﴾ قوله عز وجل ﴿الم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة أحد ليخالفوا قريشا على النبي صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على أبي سفيان فاحسن مشواه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقتل لهم أهل مكة انتم أهل كتاب و محمد صاحب كتاب ولان آمن أن يكون هذا مكرًا منكم فان أردتم أن نخرج معكم فاسجدوا الى هذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليحيي منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنزلق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال أبو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لانعلم فأبنا أهدى سبيلا نحن أم محمد فقال كعب اعرض على دينكم فقال أبو سفيان نحن نخرج للكعبة الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفسك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونظوف به ونحن أهل الحرم و محمد فارق دين آبابه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الاشرف وأصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني سجدوهم للصنمين واختلاف العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله تعالى وقيل هما صنمان كما لا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما لمرضاة قريش وقيل الجبت اسم الاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان

الشیطان ( ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ) وذلك ان حي بن أخطب وكعب بن الاشرف  
اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشاعلى محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل  
الكتاب وأنتم الى محمد أقرب منا ﴿٩٧﴾ وهو أقرب منكم التنا ﴿سورة النساء﴾ فلاننا من مكرم فاسجدوا لآلهتنا

حق نظمتن اليكم ففعلوا  
فهذا ايمانهم بالجيت  
والطاغوت لانهم سجدوا  
للاصنام وأطاعوا ابليس  
عليه اللعنة فيما فعلوا فقال  
أبوسفيان أمحن أهدى  
سبيلا أم محمد فقال كعب  
أنتم أهدى سبيلا ( أولئك  
الذين لعنهم الله ) أبعدهم  
من رحمة ( ومن يلعن الله  
فإن تجرده نصيرا ) يعتد  
بنصره ثم وصف اليهود  
بالنحل والحسد وهما من  
شر الخصال يمتعون مالمهم  
ويتنون مالفيرهم فقال  
( أم لهم نصيب من الملك )  
فام منقطعة ومعنى الهمزة  
الانكار أن يكون لهم  
نصيب من الملك ( فاذا  
لا يؤتون الناس نقيرا ) أى

( ويقولون للذين كفروا )  
كفار مكة ( هؤلاء ) كفار  
مكة ( أهدى ) أصوب ( من  
الذين آمنوا ) ( سبيلا )  
أصوب دينامقدم ومؤخر  
( أولئك الذين لعنهم الله )  
عذبهم الله بالجزية ( ومن  
يلعن الله ) يعذبه فى الدنيا

﴿ ويقولون للذين كفروا ﴾ لاجلهم وفيهم ﴿ هؤلاء ﴾ اشارة اليهم ﴿ أهدى ﴾  
من الذين آمنوا سبيلا ﴿ أقوم ديننا وأرشد طريقنا ﴾ أولئك الذين لعنهم الله ومن  
يلعن الله فلن تجرده نصيرا ﴿ يمنع العذاب عنه بشفاعه أو غيرها ﴾ أم لهم نصيب من الملك ﴿  
أم منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجمد للزعمت اليهود  
من ان الملك سيصير اليهم ﴿ فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ﴾ أى لو كان لهم نصيب من الملك  
فاذا لا يؤتون أحدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة فى ظهر النواة وهذا هو الاغراق فى بيان  
شعهم فانهم تحولوا بالنقير وهم ملوك فاظنك بهم اذا كانوا اقراء اذلاء متفافرين ويجوز ان يكون  
المعنى انكار انهم أوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا  
اذا وقع بعد الواو والقاء للتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا

يعبر فيها ويكلم الناس فيفترون بذلك يقيل الجيت الكاهن والطاغوت الساحر عن قلن  
بن قبيصة عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة  
والطرق من الجيت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة  
هى زجر الطير وذلك ان أهل الجاهلية كان أحدهم اذا خرج لامر زجر طيرا فاذا  
أخذ ذات اليمين مضى فى حاجته واذا أخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك والطرق  
هو ضرب الحجارة والحصى على طريق الكهانة فهوا عنه والطيرة هو أن يتطير بالشيء  
فيرى الشؤم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو ضرب  
الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجيت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يطنى  
الانسان وقيل الجيت هو حي بن أخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان  
وكانا طاغية اليهود ﴿ ويقولون ﴾ يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه ﴿ للذين  
كفروا ﴾ يعنى لكفار قريش ﴿ هؤلاء ﴾ يعنى أنتم يا هؤلاء ﴿ أهدى من الذين آمنوا  
سبيلا ﴾ يعنى طريقا ﴿ أولئك الذين لعنهم الله ﴾ يعنى كعب بن الاشرف وأصحابه ﴿ ومن  
يلعن الله ﴾ يعنى بطرده من رحمة ﴿ فلن تجرده نصيرا ﴾ يعنى ينصره ﴿ قوله عز وجل  
﴿ أم لهم نصيب من الملك ﴾ هذا استفهام انكار يعنى ليس لهم من الملك شيء البتة وذلك  
ان اليهود كانوا يقولون نحن أولى بالملك والنبوة فكيف تتبع العرب فاكذبهم الله تعالى  
وأبطل دعواهم ﴿ فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ﴾ هذا جواب وجزاء لمضمر تقديره  
ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم بالنحل  
فى هذه الآية ووصفهم بالجهل فى الآية المتقدمة ووصفهم بالحسد فى الآية الآتية  
وهذا الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهى حاصلة فيهم والنقير هو النقطة  
التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل فى الشيء الحقير التافه

والآخرة ( فلن تجرده ) يا محمد ( قا وخا ١٣ نى ) ( نصيرا ) مانعا من عذابه ( أم لهم نصيب ) لو كان لليهود نصيب ( من  
الملك فاذا لا يؤتون ) لا يعطون ( الناس ) يعنى محمدا وأصحابه ( نقيرا ) قدر النقير وهو النقرة التي

لو كان لهم نصيب من الملك أى ملك أهل الدنيا أو ملك الله فاذا لا يؤتون أحدا مقدار تقيير لفرط بخلهم والتبذير التفرقة في ظهر النواة وهو مثل في القلعة كالقتيل (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والموؤمنين على انكار الحسد واستقباله وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة ﴿٩٨﴾ والغلبة وازدياد العز والتقدم كل

يوم (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب) أى التوراة (والحكمة) الموعظة والفقہ (وآتيناهم ملكا عظيما) يعنى ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وهذا الزام لهم بما عرفوه من ابتناء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم الذين هم أسلاف محمد عليه السلام وانه ليس بدع أن يؤتبه الله مثل ما أوتى أسلافه (فهم من آمن به) فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) وانكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكروا نبوته

على ظهر النواة (أم يحسدون) بل يحسدون (الناس) يعنى محمداً (على ما آتاهم الله من فضله) على ما أعطاه الله من الكتاب والنبوة وكثرة النساء (فقد آتينا) أعطينا (آل ابراهيم) داود وسليمان (الكتاب والحكمة) العلم والفهم والنبوة (وآتيناهم ملكا عظيما) أكر مناهم بالنبوة والاسلام وأعطيناهم

لا يؤتوا الناس على النصب ﴿ أم يحسدون الناس ﴾ بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كآلهم ورشدهم وبخسهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل فكأن بينهما تجازبا وتلازما ﴿ على ما آتاهم الله من فضله ﴾ يعنى النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم ﴿ فقد آتينا آل ابراهيم ﴾ الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء عمه ﴿ الكتاب والحكمة ﴾ النبوة ﴿ وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ فلا يبعد ان يؤتبه الله مثل ما آتاهم ﴿ فهم ﴾ فمن اليهود ﴿ من آمن به ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بما ذكر من حديث آل ابراهيم ﴿ ومنهم من صد عنه ﴾ أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معنا فن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين

الذى لا قيمة له ﴿ قوله عز وجل ﴾ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴿ أصل الحسد تمنى زوال النعمة عن هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعى في زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهى الحسد والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جازان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان أمة وحده يعنى انه يقوم مقام أمة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لان لفظ الناس جمع وحله على الجمع أولى والمراد بالفضل النبوة لانها أعظم المناصب وأشرف المراتب وقيل حسدوه على ما أحل الله من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم بقوله ﴿ فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة ﴾ يعنى انه قد حصل في أولاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن أمر النبوة والمعنى كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وأنتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالْحِكْمَةُ النبوة ﴿ وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ يعنى فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء فإنه كان لداود مائة امرأة ولسليمان ألف امرأة ثلاثمائة حرة وسبع مائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا تسع نسوة وللم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا نقصا في نبوتهم فلا يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا في نبوته ﴿ فهم ﴾ يعنى من اليهود ﴿ من آمن به ﴾ أى بالنبي صلى الله عليه وسلم وما نزل اليه كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ ومنهم من صد عنه ﴾ أى أعرض عنه

ملك بنى اسرائيل فكان لداود مائة امرأة مهريه ولسليمان سبع مائة سرية وثلاثمائة امرأة مهريه (فهم) (ولم) من اليهود (من آمن به) بكتاب داود وسليمان (ومنهم من صد عنه) كفره

أمره فكذلك لا يوهن كفره هؤلاء أمرك ﴿ وكفى بجهنم سعيراً ﴾ ناراً مسعرة يعذون بها أي إن لم يجلووا بالعقوبة فقد كفاهم ما عدلهم من سعير جهنم ﴿ أن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ﴾ كالبيان والتقرير لذلك ﴿ كما نصبت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ﴾ إن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطاً وإن يزال عنه أثر الاحتراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ﴿ ليدوقوا العذاب ﴾ أي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة للألآلة

ولم يؤمن به ﴿ وكفى بجهنم سعيراً ﴾ يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيراً ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ﴿ هذا وعيد من الله عز وجل للذين أقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما أنزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى أن الذين جحدوا ما أنزلت على رسول محمد من آيات الدالة على توحيدى وصدق رسول محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا أي ندخلهم نارا نشويهم فيها ﴿ كما نصبت جلودهم ﴾ معنى احترقت ﴿ بدلناهم جلودا غيرها ﴾ يعنى غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يدلون جلودا بيضا كما مثال القراطيس وروى ان هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارىء أعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندى تفسيرها بمبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوى بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار في كل يوم سبعين ألف مرة (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه ما بين منكبى الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع (م) عن رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام فأن قلت كيف تعذب جلودك تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الأول في كل مرة وإنما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صفت من خاتمى خاتما غيره فالثانى هو الأول غير ان الصناعة بدلت الصفة وقيل ان العذاب للجملته الحساسة وهى النفس التى عصت فاذا كان كذلك فغير مستحيل ان الله يخلق للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا يحصى لتحترق ويصل إليها اليه وقيل المراد بالجلود السراويل وهو قوله سراويلهم من قطران والمعنى كما نصبت سراويلهم واحترقت بدلناهم سراويل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفي فنائها راحتها وقد أخبر الله عنهم انهم لا يعوتون فيها ولا يخفق عنهم من عذابها ولان الجلد أحد اجزاء الجسم فثبت ان التبديل إنما هو للسراويل وقيل يبديل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدًا وقيل ان الله تعالى يلبس أهل النار جلودا لأنهم لتكون زيادة في عذابهم كما احترق جلد بدلهم جلدا غيره ﴿ قوله عز وجل ﴾ ليدوقوا العذاب ﴿ أى إنما فعلنا بهم ذلك ليجدوا ألم العذاب وكرهه وشدة وانما أتى بلفظ الذوق مع ما ينالهم من عظم العذاب الذى نالوه اخبارا بان احساسهم به في كل حال كأحاسس الذائق في

وأعرض عنه ( وكفى بجهنم سعيراً ) للصادرين ( أن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ) ندخلهم ( نارا ) كما نصبت جلودهم ( احترقت ) بدلناهم جلودا غيرها ( أعدنا تلك الجلود غير محترقة ) بالتبديل والتغيير لتغيير الهيئتين لا لتغيير الاصلين عند أهل الحق خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج ( ليدوقوا العذاب ) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزير أعزك الله أى أملك

( وكفى ) لكعب وأصحابه ( بجهنم سعيراً ) ناراً واقودا ( أن الذين كفروا بآياتنا ) بمحمد والقرآن ( سوف ) وهذا وعيد لهم ( نصليهم ) ندخلهم ( نارا ) فى الآخرة ( كما نصبت ) احترقت ( جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ) جددنا جلودهم ( ليدوقوا العذاب ) لكي

على عزك ( أن الله كان عزيزا ) غالبا بالانتقام لا يتمتع عليه شيء مما يريد به المجرمين ( حكيميا ) فيما يفعل بالكافرين ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدالهم فيها أزواج مطهرة ) من الانجاس والحيض والنفاس ( وندخلهم ظلالا ظليلا ) هوصفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل وهو ما كان طويلا فينانا { الجزء الخامس } لأجوب فيه ودائما ﴿ ١٠٠ ﴾ لا تنسخه الشمس وسجسا لأحرفه

اذراكها فلا محذور ﴿ أن الله كان عزيزا ﴾ لا يتمتع عليه ما يريد ﴿ حكيميا ﴾ يعاقب على وفق حكمته ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدال ﴾ قدم ذكر الكفار ووعدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض ﴿ لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلالا ظليلا ﴾ فينا لأجوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو إشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيد كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم ﴿ أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ﴾ خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة وأبى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أمنعه فلولى على كرم الله وجهه يده وأخذه منه وقع فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضى الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فأمره الله تعالى ان يرده اليه فأمر عليا رضى الله عنه بان يرد ويعتذر اليه وصاد ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في أولاده أبدا

تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس ﴿ أن الله كان عزيزا ﴾ يعنى في انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شيء ولا يتمتع عليه أحد ﴿ حكيميا ﴾ يعنى في تديبه وقضائه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم ﴾ يعنى سوف ندخلهم يوم القيامة ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ يعنى باقين فيها ﴿ أبدال ﴾ يعنى ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع ﴿ لهم فيها ﴾ يعنى في الجنات ﴿ أزواج مطهرة ﴾ يعنى مطهرات من الحيض والنفاس وسائر اقدار الدنيا ﴿ ويدخلهم ظلالا ظليلا ﴾ يعنى كنبنا ذلك الظل لا تنسخه الشمس ولا يؤذي فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة فأن قلت اذا لم يكن في الجنة شمس يؤذى حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل ؟ قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفون وذلك لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة واللذذة فهو كقوله واهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ﴾ قال البغوى نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بنى عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقبله انه مع عثمان فطلب منه رسول الله المفتاح فأبى وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه =

ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة ثم خاطب الولاة بإداء الامانات والحكم بالعدل بقوله ( أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ) وقيل قد دخل في هذا الامر أداء الفرائض التي هي أمانة الله تعالى التي جعلها الانسان وحفظ الحواس التي هي ودائع الله تعالى يجدوا ألم العذاب ( أن الله كان عزيزا ) بالثمة منهم ( حكيميا ) حكم عليهم بتبديل الجلود \* ثم نزل في المؤمنين فقال ( والذين آمنوا ) بمحمد والقرآن وجملة الكتب والرسول ( وعملوا الصالحات ) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم بالاخلاص ( سندخلهم ) في الآخرة ( جنات ) بساتين ( تجري من تحتها ) من تحت شجرها وسورها ( الأنهار ) أنهار الخمر والبن والعسل والماء ( خالدين فيها ) مقبين في الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها ( أبدالهم )

فيها ) في الجنة ( أزواج مطهرة ) من الحيض والادناس ( وندخلهم ظلالا ظليلا ) كنا كنبنا ويقال ظلالا دائما ( المفتاح ) ممدودا \* ثم نزل في شأن المفتاح الذي أخذه النبي صلى الله عليه وسلم من عثمان بن طلحة بأمانة الله فأمر الله رسوله برد الامانة الى أهلها فقال ( أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات ) أن تردوا المفتاح ( الى أهلها ) الى عثمان بن طلحة

المفتاح فلوى على بن أبي طالب يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فأ نزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك فقال له عثمان أكرهت ثم جئت ترفق فقال علي لئدأ نزل الله عز وجل في شأنك قرأنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى أخيه شيبه فالمفتاح والسدانة في أولادهم الى يوم القيامة قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو أعلم انه رسول الله لم أمنعه المفتاح نظر الصحيح ما حكاه أبو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقيلا من عند النجاشي فراقتهما وهاجر متهما فلما رأهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتمكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه أهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح للنبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سؤال العباس السدانة والله أعلم وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قول أبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو حردف اسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى أناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاهد بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الآية من رواية أبي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بأبي أنت وأمي اجعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فأخذ المفتاح ففتح الباب ونزل جبريل بهذه الآية فدعا عثمان ودفعه اليه في هذه الرواية أيضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك فملى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يأمركم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان الله أمره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله أن الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها لولاية أمور المسلمين من الامراء والحكام وغيرهم ويدل على ذلك سياق الآية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ومعنى الآية ان الله يأمركم بولاية الامور ان تؤدوا ما اتتكم عليهم من أمور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الآية عامة في جميع الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات التي يحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة أقسام القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المأمورات وترك المنهيات قال ابن مسعود

(وإذا حكمتم بين الناس) تعظيم (أن تحكموا بالعدل) بالسوية والانصاف وقيل ان عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزء الخامس وسماه منه مفتاح ﴿١٠٢﴾ الكعبة فلما نزلت الآية أمر عليا رضي الله

عنه بان يرده اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فاسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان أبدا (أن الله نعم ما يعظكم به) مانكرة منصوبة موصوفة ببعظكم به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو موصولة مرفوعة المحل صلها ما بعدها أي نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أي نعم ما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل في الحكم وبكسر النون وسكون العين مدنى وأبو عمرو ويقع النون وكسر العين شامى وحزرة وعلى (أن الله كان سميعا) لا قوالكم ولما بصيرا) بأعمالكم ولما

﴿ وأذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ أي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيت بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ﴿ أن الله نعم ما يعظكم به ﴾ أي نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به فماتصوبة موصوفة ببعظكم به أو مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل في الحكومات ﴿ أن الله كان سميعا بصيرا ﴾ باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات

الامانة لازمة في كل شيء حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم وسائر أنواع العبادات القسم الثاني هو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما أنعم الله به عليه من سائر أعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والتميمة ونحو ذلك وأمانة العين غضها عن المحارم وأمانة السمع ان لا يشغله بسماع شيء من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية أمانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والمواري الى أربابها الذين ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها ﴿ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أد الامانة الى من ائتمنت ولا تخن من خانتك أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطغف فيهما ويدخل في ذلك أيضا عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للامة فكل هذه الاشياء من الامانة التي أمر الله عز وجل بأدائها الى أهلها ﴿ وروى البغوي بسنده عن أنس رضي الله عنه قال قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا أمانته ولا دين لمن لا عهد له ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ يعني وان الله يأمركم ان تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان يأخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له وأصل العدل هو المساواة في الاشياء فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمي عدلا قال بعض العلماء ينبغي للقاضي ان يسوى بين الخصمين في خمسة أشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه أن يكون مقصود الحاكم بحكمه أيضا الحق الى مستحقه وان لا يمتزج ذلك بفرض آخر ﴿ م ﴾ عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا ﴿ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم عنده مجلسا امام عادل وأبغض الناس الى الله وأبدهم منه مجلسا امام جائر أخرجه الترمذي ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الله نعم ما يعظكم به ﴿ أي نعم الشيء الذي يعظكم به وهو أداء الامانات والحكم بالعدل ﴿ أن الله كان سميعا بصيرا ﴾ يعني أنه تعالى سمع لما تقولون وبصير بما تفعلون فاذا حكمتم فهو

(وإذا حكمتم بين الناس) بين عثمان بن طلحة وعباس بن عبد المطلب (أن تحكموا بالعدل) ان تردوا المفتاح الى عثمان والسقاية الى العباس (أن الله نعم ما يعظكم) نعم ما يأمركم (به) من رد الامانات والعدل (أن الله

(يسمع)

كان سميعا) بمقالة العباس اعطى المفتاح مع السقاية يا رسول الله (بصيرا) بصنع

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ يريد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية أمراء الناس بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل تنبيها على أن وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله سبحانه وتعالى ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر

يسمع حكمكم وإذا أديتم الأمانة فهو يبصر فعلكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزل قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم الآية قال نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك أنه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل إلى عمار قد أسلم فأمنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فأخذ مال الرجل فقال عمار إنى قد أمته وقد أسلم فقال خالد أبحير على وأنا الأمير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجاز أمان عمار ونهاه أن يحير الثانية على أمير فأنزل الله تعالى أطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وأصل الطاعة الانقياد وهو امثال الأمر فطاعة الله عز وجل امثال أمره فيما أمر والانقياد لذلك الأمر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة أيضا لقوله تعالى وأطيعوا الرسول فأوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء في أولى الأمر الذين أوجب الله طاعتهم بقوله وأولى الأمر منكم يعني وأطيعوا أولى الأمر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال أبو هريرة الأمراء والولاة وهي رواية عن ابن عباس أيضا قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدى الأمانة فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطيع الأمير فقد أطاعنى ومن يعصى الأمير فقد عصانى (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وأكره إلا أن يؤمر بمعصية لله فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (خ) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم أمراء السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس أيضا ووجه هذا القول أن الآية نازلة فيهم وقاله عكرمة أراد بأولى الأمر أبابكر وعمر لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر أخرجه الترمذى وقيل هم جميع الصحابة لما روى عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه رزين في كتابه وروى البغوى بسنده عن الحسن بن أنس رضى الله عنه قال أن رسول الله

أمر لولاة باداء الامانات  
والحكم بالعدل أمر الناس  
بان يطيعوهم بقوله (يا أيها  
الذين آمنوا أطيعوا الله  
وأطيعوا الرسول وأولى  
الأمر منكم) أى الولاة أو  
العلماء لان أمرهم ينفذ

عثمان بن طلحة حيث منع  
المفتاح ثم قال خذ بأمانة الله  
حقى يا رسول الله (يا أيها  
الذين آمنوا) عثمان بن  
طلحة وأصحابه (أطيعوا الله)  
فيماء أمركم (وأطيعوا  
الرسول) فميا أمركم (وأولى  
الأمر منكم) أمراء السرايا



على الامراء (فان تنازعتم في شئ) فان اختلفتم انتم واولوا الامر في شئ من أمور الدين (فردوه الى الله والرسول) أي ارجعوا فيه الى الكتاب {الجزء الخامس} والسنة (أن كنتم تؤمنون ﴿١٠٤﴾ بالله واليوم الآخر) أي ان

الايمان يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الآية على ان طاعة الامراء واجبة اذا وافقوا الحق فاذا خالفوه فلا طاعة لهم لقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وحسب ان مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال لابي حازم أستم أمرتم بطاعته بقوله وأولى الامر منكم فقال أبو حازم أليس قد نزعت الطاعة عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله أي القرآن والرسول في حياته والى أحاديثه بعد وفاته (ذلك) اشارة الى الرد أي الرد الى الكتاب والسنة (خير) عاجلا (وأحسن تأويلا) عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودى خصوصة فدعاه اليهودى الى النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه أنه لا يرتضى ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ليرشوا فاحكما الى النبي عليه السلام فمضى لليهودى فلم يرض المنافق وقال تعالى ويقال العلماء (فان تنازعتم اختلفتم) (في شئ) فردوه

منهم لعلم الذين يستنبطونه منهم ﴿فان تنازعتم﴾ أنتم وأولوا الامر منكم ﴿في شئ﴾ من أمور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات ﴿فردوه﴾ فارجعوا فيه ﴿الى الله﴾ الى كتابه ﴿والرسول﴾ بالسؤال عند في زمانه صلى الله عليه وسلم والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكر والقياس وقالوا انه سبحانه وتعالى أوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ﴿أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ فان الايمان يوجب ذلك ﴿ذلك﴾ أي الرد ﴿خير﴾ لكم ﴿وأحسن تأويلا﴾ عاقبة أو أحسن تأويلا

صلى الله صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابي في أمتي كالمخ في الطعام لا يصلح الطعام الا بالمخ قال الحسن قد ذهب ملحننا فكيف نصلح قال الطبري وأولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاء لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الأئمة والولاء فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجلة أولى الامر من يقوم بشأن المسلمين في أمر دينهم وجميع ما أدى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق ﴿قوله عز وجل﴾ فان تنازعتم في شئ ﴿يعنى اختلفتم في شئ﴾ من أمر دينكم والتنازع اختلاف الآراء وأصله من اتزع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه ﴿فردوه الى الله والرسول﴾ أي ردوا ذلك الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم مادام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فان وجد ذلك الحكم في كتاب الله أخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسيبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله أن يقول لما لا يعلم الله ورسوله أعلم ﴿أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ يعنى افعلوا ذلك الذي أمرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال قال العلماء في الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالا حاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر ﴿ذلك خير﴾ يعنى رد الحكم الى الله ورسوله خير ﴿وأحسن تأويلا﴾ يعنى وأحد عاقبة وقيل معناه ذلك أي ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله أحسن

الى الله ( الى كتاب الله والرسول) وسنة الرسول ( أن كنتم ) اذ كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ( تأويلا ) البعث بعد الموت ( ذلك ) الرد الى كتاب الله وسنة الرسول ( خير ) وأحسن تأويلا ) عاقبة

تجأكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه ١٠٥ ﴿عنه قضى لي رسول الله في سورة النساء على الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه

فقال عمر للمنافق أ كذالك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزل إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق (يريدون) حال من الضمير في يزعمون (أن يتجأكم إلى الطاغوت) أي كعب بن الأشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام أو على التشبيه بالشیطان أو جعل اختيار التجأكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التجأكم إليه تجأكا إلى الشيطان دليل قوله وقد أمر وأن يكفروا به

(الم تر) ألم تجبر يا محمد (إلى الذين) عن الذين (يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك) يعني القرآن (وما أنزل من قبلك) يعني التوراة (يريدون) عند الخصومة (أن يتجأكم

من تأويلكم بلارد ﴿الم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتجأكم إلى الطاغوت﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعا اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم اتجأوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهود ولم يرض المنافق بقضائه وقال تجأكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخصم اليك فقال عمر رضي الله تعالى عنه للمنافق أ كذالك فقال نعم فقال مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الأشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله فسمى بذلك لفرط طغيانه أو للتشبهه بالشیطان أولان التجأكم إليه تجأكم إلى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال ﴿وقد أمروا ان يكفروا به

تأويلا منكم له وأعظم أجرا ﴿قوله عز وجل﴾ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتجأكم إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴿قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق إلى محمد وقال المنافق بل ننطلق إلى كعب بن الأشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فأبى اليهودي أن يتجأوا إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا إلى عمر فأتيا عمر فقال اليهودي اخصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم اليك فقال عمر للمنافق أ كذالك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى أخرج اليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدي كان فاس من اليهود قد أسلموا وفاق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية وكانت قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني النضير قتل به أو أخذت دينه مائة وسق من تمر وإذا قتل رجل من بني النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى دينه ستين وسقا فلما جاء الإسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاخصموا في ذلك فقال بنو النضير كنا أو أنتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا منا وديننا مائة وسق ودينكم ستون وسقا فمن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقتلنا فقهرتمونا على ذلك فالיום نحن أخوة في الدين فلا فضل لكم علينا

إلى الطاغوت) إلى كعب بن الأشرف (قاو خا ١٤ نى) (وقد أمروا) في القرآن (أن يكفروا به) ان يتبرؤا منه

ويريد الشيطان أن يضلهم ( الجزء الخامس ) عن الحق ( ضلالا بعيدا ) ﴿ ١٠٦ ﴾ مستمر الى الموت ( وأذا قيل لهم )

للمناققين ( تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول للتحاكم ) رأيت المناققين يصدون عنك صدودا ( يعرضون عنك الى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضى لهم ) فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون ( اذا أصابهم مصيبة ) من قتل عمر بشرا ( بما قدمت أيديهم ) من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ( ثم جاؤك ) أى أصحاب القتل من المناققين ( يحلفون بالله ) حال

ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴿ وقريء ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم ﴾ وأذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ﴿ وقريء تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اغتباطا ثم ضم اللام لواء الضمير ﴾ رأيت المناققين يصدون عنك صدودا ﴿ هو مصدر أو اسم للمصدر الذى هو الصد والفرق بينه وبين السدانه غير محسوس والسد محسوس ويصدون فى موضع الحال ﴾ فكيف ﴿ يكون حالهم ﴾ اذا أصابهم مصيبة ﴿ كقتل عمر المنافق أو النعمة من الله تعالى ﴾ بما قدمت أيديهم ﴿ من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ﴾ ثم جاؤك ﴿ حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض ﴾ يحلفون بالله ﴿

فقال المناققون منهم نطق الى أبى بردة الكاهن الاسلى وقال المسلمون من الفريقين بل نطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى المناققون وانطلقوا الى أبى بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال أطعموا القممة يعنى الخطر فقالوا لك عشرة أوسق فقال لابل مائة وسق ديتى فأبوا أن يعطوه الا عشرة أوسق وأبى ان يحكم بينهم فانزل الله عز وجل آتى القصاص وأنزل هذه الآية ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الزعم والزعم بضم الزاى وقهها لغتان وأكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذى لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولذلك قيل زعم مطية الكذب والمراد به فى هذه الآية الكذب لان الآية نازلة فى المناققين وظاهر الآية يدل على انها نازلة فى الذين نافقوا من مؤمنى أهل الكتاب ويدل عليه قوله آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكوا الى الطاغوت يعنى كعب بن الأشرف فى قول ابن عباس رضى الله عنهما سماه الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو أبو بردة الكاهن فى قول السدى وقد أمروا أن يكفروا به يعنى بالطاغوت لان الكفر بالطاغوت ايمان بالله عز وجل ﴿ ويريد الشيطان ان يضلهم ﴾ يعنى عن طريق الهدى والحق ﴿ ضلالا بعيدا واذا قيل لهم ﴾ يعنى للمناققين ﴿ تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ﴾ يعنى هلوا الى حكم الله الذى أنزله فى كتابه والى الرسول ليحكم بينكم به ﴿ رأيت المناققين يصدون عنك صدودا ﴾ يعنى يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا وأى اعراض وانما اعراض المناققون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشاش ﴿ قوله عز وجل ﴾ فكيف اذا أصابهم مصيبة ﴿ يعنى فكيف حال هؤلاء المناققين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يعجزون عنها ﴿ بما قدمت أيديهم ﴾ يعنى تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت أيديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هى قتل عمر لذلك المناقق وقيل هى كل مصيبة تصيب المناققين فى الدنيا والآخرة ﴿ ثم جاؤك ﴾ يعنى المناققين حين تصيبهم المصائب يعتذرون اليك ﴿ يحلفون بالله

( ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ) عن الحق والهدى نزلت فى رجل من المناققين يسمى بشر الذى قتله عمر بن الخطاب وكان له خصومة مع رجل من اليهود ( وأذا قيل لهم ) لحاطب بن أبى بلتعة المناقق الذى كان له خصومة مع الزبير بن العوام ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم ( تعالوا الى ما أنزل الله ) الى حكم ما أنزل الله فى القرآن ( والى الرسول ) الى حكم الرسول ( رأيت المناققين ) يعنى حاطب بن أبى بلتعة ( يصدون عنك صدودا ) يعرضون عن حكمك اعراضا مع لى الشدق فقال ( فكيف ) يصنعون على وجه التعجب ( اذا أصابهم مصيبة ) عقوبة ( بما قدمت أيديهم ) بلى الشدق ( ثم جاؤك ) بعد ذلك ( يحلفون بالله ) ( ان )

( ان ) ( اذا أصابهم مصيبة ) عقوبة ( بما قدمت أيديهم ) بلى الشدق ( ثم جاؤك ) بعد ذلك ( يحلفون بالله ) ( ان )

(أن أردنا) ما أردنا بتحاكنا الى غيرك (الاحسانا) لاساءة (وتوفيقا) بين الخصمين ولم نرد مخالفتك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الدم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكمه والعدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر بالنا ان يحكم لهما . ﴿١٠٧﴾ حكمه (أولئك الذين {سورة النساء} يعلم الله ما في قلوبهم) من

النفاق (فأعرض عنهم وعظهم وتل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) فأعرض عن قبول الاعتذار وعظ بالزجر والانتكار وبالغ في وعظهم بالتحذير والانذار أو أعرض عن عقابهم وعظهم في عقابهم وبلغ كنه ما في ضميرك من الوعظ بارتكابهم والبلاغة أن يبلغ بلسانه كنه ما في جناحه وفي أنفسهم يتعلق بقل لهم أي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم

يعني حاطباً حلف بالله (أن أردنا) ما أردنا بلى الشدق (الاحسانا) في الكلام (وتوفيقاً) صواباً (أولئك الذين) يعني الذي لوى شدقه على النبي صلى الله عليه وسلم (يعلم الله ما في قلوبهم) يعني ما في قلبه من النفاق وهو حاطب بن أبي بلتعة ويقال فكيف يصنعون أي أهل مسجد

حال ﴿ أن أردنا الا أحساناً وتوفيقاً ﴾ ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء أصحاب القليل طالين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ﴾ من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب ﴿ فأعرض عنهم ﴾ أي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم وعن قبول معذرتهم ﴿ وعظهم ﴾ بلسانك وكفهم عما هم عليه ﴿ وقل لهم في أنفسهم ﴾ اي في معنى انفسهم أو خاليا بهم فان النصيح في السر انجح ﴿ قولاً بليغاً ﴾ يبلغ منهم ويؤثر فيهم أمره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتعليق الظرف بليغاً على معنى بليغاً في انفسهم مؤثراً فيها ضعيف لان معصوم الصفة

ان أردنا أي ما أردنا بتحاكنا الى غيرك ﴿ الا أحساناً ﴾ يعني في التحاكم الى غيرك لاساءة ﴿ وتوفيقاً ﴾ يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل جاء أولياء المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر بالنا انه يحكم بما حكمه من قتل صاحبنا اهدر الله دم ذلك المنافق ﴿ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ﴾ يعني من النفاق ﴿ فأعرض عنهم ﴾ يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم ﴿ وعظهم ﴾ يعني باللسان والمراد زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتحذيرهم بعذاب الآخرة ﴿ وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴾ يعني بليغاً يؤثر في قلوبهم موقمه وهو التحذير بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم ان أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فأعرض عنهم في الملاء وقل لهم في انفسهم اذا خلوت بهم قولاً بليغاً أي أعلظ لهم في القول خالياً بهم ليس معهم غيرهم مساراً لهم بالنصيحة لانها في السر انجح وقيل هذا الاعراض منسوخ بآية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم في أحسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الایجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اخضرار وقيل أحسن الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه وقيل خيرا الكلام ما شوق أوله الى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا طبق لفظه معناه ولم يكن لفظه الى السمع أسبق من معناه الى القلب

الضرار اذا أصابتهم مصيبة عقوبة بما قدمت أيديهم بنائهم مسجد الضرار ثم جاؤك بعد ذلك يحلفون بالله يعني ثعلبة وحاطباً حلف بالله ان أردنا ما أردنا ببناء المسجد الاحسانا الى المؤمنين وتوفيقاً موافقة في الدين ان نبعث النفاقية وأولئك الذين بنوا مسجد الضرار يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق والخلاف (فأعرض عنهم) اتركهم ولا تعاقبهم في هذه المرة (وعظهم) بلسانك لكي لا يفعلوا مرة أخرى (وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) تقدم اليهم تقديماً وثيقاً في الوعيد ان فعلتم

(وما أرسلنا من رسول) أي رسولاً قط (الايطاع بأذن الله) بتوفيقه في طاعته وتيسيره أو بسبب اذن الله في طاعته وبأنه أمر المبعوث اليهم بان يطيعوه {الجزء الخامس} لانه مؤد عن الله ﴿١٠٨﴾ فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول

فقد اطاع الله (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تأييين من النفاق معتدريين عما ارتكبوا من الشقاق (فاستغفروا الله) من النفاق والشقاق (واستغفروا الله) بالشفاعة لهم (الرسول) العامل في اذظلموا خبران وهو جاؤك والمعنى وتوقع محيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول (اوجدوا الله تواباً) لعلوه نواباً أي تائب عليهم ولم يقلوا واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيماً لشأنه صلى الله عليه وسلم وتعظيماً لاستغفاره وتبنيها على ان شفاعته من اسمه الرسول من الله بمكان (رحيماً) بهم قيل جاء اعرابي بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه

كذا أفعل بكم كذا (وما أرسلنا من رسول الايطاع) ذلك الرسول (بأذن الله) بأمر الله لا يعمل بخلاف أمره ويلوى عليه الشدق برد حكمه (ولو أنهم) يعني أهل مسجد الضرار وحاطباً

لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مداولة المقصود به ﴿وما أرسلنا من رسول الايطاع بأذن الله﴾ بسبب اذنه في طاعته وأمره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكأنه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان أظهر الاسلام كان كافراً مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول للملم يكن الايطاع كان من لم يطع ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافراً مستوجب القتل ﴿ولو أنهم اذظلموا أنفسهم﴾ بالنفاق أو التحاكم الى الطاغوت ﴿جاؤك﴾ بالتوبة تأييين من ذلك وهو خبر ان واذمتعاق به ﴿فاستغفروا الله﴾ بالتوبة والاخلاص ﴿واستغفروا الله﴾ واعتذر واليك حتى انتصبت لهم شفيعاً وانما عدل عن الخطاب ولم يقل واستغفرت لهم لان القياس يقتضي هذا قوله جاؤك تفخيماً لشأنه وتبنيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبار الذنوب ﴿لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ لعلوه قابلاً لتوبتهم متفضلاً عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان تواباً حالاً ورحيماً بدلاً منه وأحالا

وقيل المراد بالقول البليغ في الآية أن يكون حسن الالفاظ حسن المعاني مشتتلاً على الترغيب والترهيب والاعذار والالذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعته في القلوب وأثر في النفوس ﴿قوله عز وجل﴾ وما أرسلنا من رسول الا قال الزجاج لفظه من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما أرسلنا رسولا الا ليطاع بأذن الله ﴿يعني بأمر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بأمر الله لان الله أذن في ذلك وأمر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه أي طاعته تكون بأذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما أرسلنا من رسول الا فرضت طاعته على من أرسلته اليهم وأنت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من أرسلوا اليهم ففيه توبيخ وتقريع للنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت ﴿ولو أنهم اذظلموا أنفسهم﴾ يعني الذين تحاكموا الى الطاغوت ظلموا أنفسهم بالتحاكم اليه ﴿جاؤك﴾ يعني جاؤك تأييين من النفاق والتحاكم الى الطاغوت متصلين مما ارتكبوا من المخافة ﴿فاستغفروا الله﴾ يعني من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك ﴿واستغفروا الله﴾ يعني من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قالوا واستغفروا الله لم يقلوا واستغفرت لهم أجلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيماً له وتعظيماً لاستغفاره وانهم اذا جاؤك فقد جاؤا من خصه الله برسالته وجعله سفيراً بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلماذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة ﴿لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ يعني لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلوا أن الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم ﴿قوله عز وجل﴾

(أذظلموا أنفسهم) بلى الشدق وبناء مسجد الضرار (جاؤك) للتوبة (فاستغفروا الله) فتابوا الى الله (فلا) من صنعهم (واستغفروا الله) دعا لهم الرسول (دعاهم الرسول) لوجدوا الله تواباً (متجاوزاً) (رحيماً) بهم

من الضمير فيه ﴿ فلا وربك ﴾ أي فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لانتظاره لافي قوله  
﴿ لا يؤمنون ﴾ لانها تزداد أيضا في الاثبات كقوله تعالى لا أقسم بهذا البلد ﴿ حتى  
يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام  
ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبير عن اميرضى الله عنه ان رجلا من الانصار  
خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصارى سرح الماء يمر فأبى عليه  
فاختصم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير  
ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمك فتلون وجه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال  
الزبير والله انى لاحسب هذه الآية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك  
فيما شجر بينهم زاد البخارى فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه  
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد أشار على الزبير رأيا أى أراد سعة له  
والانصارى فلما أحفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما أحسب هذه الآية  
نزلت الا في ذلك . قوله في شراج الحرة الشراج مسابيل الماء التي تكون من الجبل وتنزل  
الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء والحرة الارض الحمراء المتلبسة بالحجارة السود  
وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى تغيره وقوله فلما أحفظ أى أغضب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر وهو بفتح الجيم يعنى أصل  
الجدار وقوله فاستوعى له أى استوفى حقه في صريح الحكم وهو ان كان أرضه أقرب  
الى قم الوادى فهو أولى بأول الوادى وحقه تمام السقى فرسول الله صلى الله عليه وسلم  
أذن للزبير فى السقى على وجه المساخمة فلما أبى خصمه ذلك ولم يعترف بما أشار به رسول الله  
صلى الله عليه وسلم من المساخمة لاجله أمر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحل خصمه  
على مراحق فعلى هذا القول تكون الآية مستأنفة لاتعلق لها بما قبلها قال البغوى  
وروى انهما لما خرجا سرا على المقداد فقال لمن كان القضاء قال الانصارى لابن عمته ولوى  
شدقه ففطن له يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم  
يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وائم الله لقد أذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى فدعا موسى  
الى التوبة منه فقال فاقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلا ناسبعين ألفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال  
نابت بن قيس بن شماس أما والله ان الله ليعلم منى الصدق ولو أمرنى محمد صلى الله عليه وسلم  
ان أقتل نفسى لفعلت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الآية فى بشر المنافق واليهودى  
الذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الآية متصلة بما قبلها فلا وربك  
معناه فوربك فعلى هذا تكون لامزيدة لتأكيد معنى القسم وقيل ان لارد لكلام  
سبق كأنه قال ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم

على وب حثامن ترابه على  
رأسه وقال يا رسول الله  
قلت فسمعنا وكان فيما نزل  
عليك ولوانهم اذ ظلموا  
انفسهم الآية وقد ظلمت  
نفسى وجئتك استغفر الله  
من ذنبي فاستغفرلى من ربى  
فهودى من قبره قد غفر لك  
(فلا وربك) أى فوربك  
كقوله فوربك لنسألنهم  
ولا مزيدة لتأكيد معنى  
القسم وجواب القسم  
(لا يؤمنون) أو التقدير فلا  
أى ليس الامر كما يقولون  
ثم قال وربك لا يؤمنون  
(حتى يحكموك فيما شجر  
بينهم) فيما اختلف بينهم  
واختلط ومنه الشجر

بمد التوبة ( فلا وربك )  
أقسم بنفسه وبعم محمد  
( لا يؤمنون ) فى السر  
ولا يستحقون اسم الايمان  
فى السر ( حتى يحكموك )  
حتى يحلوك حاكما ( فيما شجر  
بينهم ) فيما التبس بينهم ويقال  
فيما اختلف بينهم من الحكم

تداخل اغصانه (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا) ضيقا (مما قضيت) أى لا تضيق صدورهم من حكمك أو شكك لان الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له {الجزء الخامس} اليقين ويسلوا ﴿ ١١٠ ﴾ (تسليما) وينقادوا لقضائك انقيادا

و حقيقته سلم نفسه له وأسلمها أى جعلها سالمة له أى خالصة وتسليما مصدر مؤثلا للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمك انقيادا الاشبهة فيه بظاهرهم وباطنهم والمعنى لا يكونوا مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك (ولو أنا كتبنا عليهم) على المناققين أى ولو وقع كتبنا عليهم (أن اقتلوا) ان هى المفردة (أنفسكم) أى تعرضوا للقتل بالجهاد أو ولو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بنى اسرائيل من قتلهم أنفسهم (أو أخرجوا من دياركم) بالهجرة (ما فعلوه) لفاقهم والهاء ضمير أحد مصدرى الفعلين وهو القتل أو الخروج أو ضمير المكتوب للدلالة كتبنا عليه (الاقليل منهم) قليلا شامى على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من اتباع رسول الله عليه السلام

(ثم لا يجدوا في أنفسهم) في قلوبهم (حرجا) شكاً (مما قضيت) بينهم (ويسلوا) تسليماً (يخضعوا لك خضوعاً) (ولو أنا كتبنا عليهم) أو جبننا عليهم كما أوجبنا على بنى اسرائيل (أن اقتلوا أنفسكم

﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ﴾ ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أو شكك من أجله فان الشاك في ضيق من أمره ﴿ ويسلوا تسليما ﴾ وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم ﴾ تعرضوا بالقتل بالجهاد أو اقتلوا كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية أو مفسرة لان كتبنا فى معنى أمرنا ﴿ أو أخرجوا من دياركم ﴾ خروجهم حين استتبوا من عبادة الجبل • وقرأ أبو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك أو أخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع فى نحو قوله تعالى ولا تنسوا الفضل • وقرأ حزة وعاصم بكسرها على الاصل والباقون بضمهما أجرا لهما مجرى الهمة المتصلة بالفعل ﴿ ما فعلوه الا قليل منهم ﴾ الا ناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا أو لاحد مصدرى الفعلين • وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء أو على الافعال قليلا ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به ﴾ من متابعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومطاعته طوعا ورغبة

فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعنى فيما اختلفوا فيه من الامور وأشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس عليهم يقال شجره فى الامر اذا نازعه فيه وأصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه فى بعض واختلط ﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ﴾ يعنى ضيقا مما قضيت وقيل شكاً فيما قضيت بل يرضوا بقضائك ﴿ ويسلوا تسليما ﴾ يعنى وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك فى شئ من أمرك وقيل معناه يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم ﴾ أى فرضنا وأوجبنا عليهم الضمير فى عليهم يعود على المناققين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المناقق وغيره ﴿ أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ﴾ يعنى كما كتبنا على بنى اسرائيل القتل والخروج من مصر ﴿ ما فعلوه الا قليل منهم ﴾ معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذى استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم الله والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذى عاقبنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان من أمتى لرجالا الايمان فى قلوبهم أثبت من الجبال الرواسى ومن قال ان الضمير فى عليهم يعود الى المناققين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعنى رياء وسمعة والمعنى انما كتبنا عليهم الاطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ولو أنا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرئ الا قليلا منهم بالنصب وتقديره الآن يكون قليلا منهم ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به ﴾ يعنى ولو أنهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول

أو أخرجوا من دياركم) من منازلكم صفرا (ما فعلوه) بطيبة النفس (الاقليل منهم) من المخلصين رئيسهم ثابت بن قيس بن (صلى الله

والانقياد لحكمه (لكن خيرا لهم) ﴿١١﴾ في الدارين (وأشد تبتينا) (سورة النساء) لا يمانهم وأبعد عن الاضطراب

فيه (واذا) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا (لا آتيناهم من لدنا أجرا عظيما) أي ثوابا كثيرا لا ينقطع (ولهديناهم صراطا) مفعول ثان (مستقيما) أي لتبنتاهم على الدين الحق (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم

﴿ لكن خيرا لهم ﴾ في عاجلهم وآجلهم ﴿ وأشد تبتينا ﴾ في دينهم لأنه أشد لتحصيل العلم ونفي الشك أو تبتينا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية أيضا مما نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا تسقيان بها النخل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمك فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقتك ثم ارسله الى جارك ﴿ وأذا لا آتيناهم من لدنا أجرا عظيما ﴾ جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لا آتيناهم لان اذا جواب وجزاء ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ يصلون بسلوكة جناب القدس ويقع عليهم أبواب الغيب قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ﴿ ومن بطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق وأعظمهم

صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ﴿ لكن خيرا لهم ﴾ يعني في الدنيا والآخرة وإنما سمي ذلك التكليف وعظا لان أوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا ﴿ وأشد تبتينا ﴾ يعني تحقيقا وتصديقا لا يمانهم والمعنى ان ذلك أقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم ﴿ وأذا لا آتيناهم من لدنا أجرا عظيما ﴾ يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان تؤتيتهم من لدنا أجرا عظيما ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ قال ابن عباس معناه ولا رشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التي تؤدي الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم أولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدى الى الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴿ الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فآناه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونه فقال يا رسول الله ما من مرض ولا وجع غير اني اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم اني اذا ذكرت الآخرة أخاف لأأراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين وانى أخاف ان دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لأأراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل ان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن أسفل منك وكيف نراك فانزل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله يعني في أداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول أي ويطع الرسول في السان التي سنها فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق

صلى الله عليه وسلم والرضا بحكمه ﴿ لكن خيرا لهم ﴾ يعني في الدنيا والآخرة وإنما سمي ذلك التكليف وعظا لان أوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا ﴿ وأشد تبتينا ﴾ يعني تحقيقا وتصديقا لا يمانهم والمعنى ان ذلك أقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم ﴿ وأذا لا آتيناهم من لدنا أجرا عظيما ﴾ يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان تؤتيتهم من لدنا أجرا عظيما ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ قال ابن عباس معناه ولا رشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التي تؤدي الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم أولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المؤدى الى الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴿ الآية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فآناه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونه فقال يا رسول الله ما من مرض ولا وجع غير اني اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم اني اذا ذكرت الآخرة أخاف لأأراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين وانى أخاف ان دخلت الجنة كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لأأراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل ان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن أسفل منك وكيف نراك فانزل الله تعالى هذه الآية ومن يطع الله يعني في أداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول أي ويطع الرسول في السان التي سنها فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق

فذكر الله كرامته فقال ومن يطع الله في الفرائض والرسول في السان (فأولئك) في الجنة (مع الذين أنعم الله) من الله (عليهم



قدرا من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين ﴿ بيان للذين أوحال منه منه أو من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم وهم الانبياء الفاترون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في أعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله سبحانه وتعالى وهو لا امان ان يكونوا بالذين درجة العيان أو واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون امان ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرّفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في أرضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون ﴿ وحسن أدلك رفيقا ﴿ في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز أو الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق اولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير انى اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القالك ثم ذكرت الآخرة فحفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع

في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة ﴿ من النبيين ﴾ يعنى أن المطيعين مع النبيين في الجنة لا تفوتهم رؤية الانبياء في الجنة ومجالستهم لأنهم يكونون في درجاتهم في الجنة لأن ذلك يقتضى التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول ﴿ والصدّيقين ﴾ الصديق الكثير الصدق فعيل من الصدق والصدّيقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذى صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصدّيقين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر فانه هو الذى سمي بالصديق من هذه الامة وهو أفضل أتباع الرسل ﴿ والشهداء ﴾ هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم أحد ﴿ والصالحين ﴾ جمع صالح وهو الذى استوت سريره وعلايته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم والصدّيقين أبو بكر والشهداء عمر وعثمان وعلى وبالصالحين سائر الصحابة ﴿ وحسن أولئك ﴾ يعنى المشار اليهم وهم النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كأنه قال وما أحسن أولئك ﴿ رفيقا ﴾ يعنى في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحته وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد

من النبيين والصدّيقين) كأفاضل صحابة الانبياء والصدّيق المبالغ في صدق ظاهره بالمعاملة وبالطنه بالمراقبة أو الذى يصدق قوله بفعله ( والشهداء ) والذين استشهدوا في سبيل الله ( والصالحين ) ومن صلحت أحوالهم وحسنت أعمالهم ( وحسن أولئك رفيقا ) أى وما أحسن أولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه

من النبيين) محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ( والصدّيقين ) أفاضل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ( والشهداء ) الذين استشهدوا في سبيل الله ( والصالحين ) صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ( وحسن أولئك رفيقا ) مرافقة في الجنة

( ذلك ) مبتدأ خبره ( الفضل من الله ) أو الفضل صفته ومن الله خبره والمعنى ان ما أعطى المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل بهم عليهم أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومراتبهم من الله ( وكفى بالله عليما ) بعباده وعن هو أهل الفضل ودلت ﴿ ١١٣ ﴾ الآية على ان ما فعل { سورة النساء } الله بعباده فهو فضل منه

بمخلاف ما يقوله المعتزلة ( يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ) الحذر والحذر بمعنى وهو التحرز وهما كالأثر والأثر يقال أخذ حذره اذا تيقظ واحترز من الخوف كأنه جعل الحذر آله التي تبقى بها نفسه ويصم بهاروحه والمعنى اخذروا واحتزروا من العدو ( فانفروا ثبات ) فانفروا الى العدو وجاهات متفرقة سرية بعد سرية فالثبات الجماعات واحدا

ثبات ( أو انفروا جميعا ) أي مجتمعين أو مع النبي عليه السلام لان الجمع بدون السمع لا يتم والعقد بدون الوساطة لا ينظم أو انفروا ثبات اذا لم يعم النفي أو انفروا جميعا اذا عم النفي وثبات حال وكذا جميعا

مع النبيين وان أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم أدخل فذاك حين لأراك أبدا فنزلت ﴿ ذلك ﴾ مبتدأ اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم أو الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم ﴿ الفضل ﴾ صفته ﴿ من الله ﴾ خبره أو الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة ﴿ وكفى بالله عليما ﴾ بجزء من اطاعه أو بمقادير الفضل واستحقاق اهله ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾ تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالأثر والأثر وقيل ما يحذره كالحزم والسلاح ﴿ فانفروا ﴾ فانفروا الى الجهاد ﴿ ثبات ﴾ جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تسمية اذا ذكرت متفرقة محاسنه ويجمع أيضا على شين جبرا لما حذف من عجزه ﴿ أو انفروا جميعا ﴾ مجتمعين كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن مقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما أمكن والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا (ق) عن أنس رضي الله عنه ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما أعددت لها قال لاشئ الا أنى أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشئ أشد فرحا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فانا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وارجو ان أكون معهم بحبي اياهم وان لم أعمل بأعمالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ذلك ﴿ اشارة الى ما تقدم ذكره من وصف الثواب ﴿ الفضل من الله ﴾ يعنى الذى أعطى الله المطيعين من الاجر العظيم ﴿ وكفى بالله عليما ﴾ يعنى بجزء من اطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقه لطاعته وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته ويدل عليه ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتقدمنى الله منه بفضل ورحمة لفظ البخارى ولمسلم نحوه ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴿ الحذر احتراز من مخوف والمعنى اخذروا واحتزروا من عدوكم ولا تمكنوه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر هنا السلاح يعنى خذوا سلاحكم وعدتكم اتعال عدوكم وانما سمى السلاح حذرا لان به يتقى ويحذر وقيل معناه اخذروا عدوكم ولقائل أن يقول اذا كان المقدور كاشفا فما ينفع الحذر فالجواب عنه بانه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الامر بأخذ الحذر من قضاء الله وقدره ﴿ فانفروا ثبات ﴾ أى اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية ﴿ أو انفروا جميعا ﴾ يعنى أو اخرجوا جميعا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم

بمخلاف القرآن ( خذوا حذركم ) ( قا وخا ١٥ نى ) من عدوكم ولا تخرجوا متفرقين ( فانفروا ) ولكن اخرجوا ثبات ) جماعات سرية سرية ( أو انفروا جميعا ) أو اخرجوا

واللام في ( وأن منكم لمن ) للابتداء بمنزلة في ان الله لغفور ومن موصولة وفي ( ليطئن ) جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن أفسم بالله ليطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليطئن أي ليشاغلن وليتخلفن عن الجهاد وبطؤ بمعنى أبطأ أي تأخرو ويقال ما بطؤ بك فيتعدى بالباء والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله منكم أي في الظاهر دون الباطن { الجزء الخامس } يعني المنافقين يقولون ﴿ ١١٤ ﴾ لم تقتلون أنفسكم تأبوا حتى يظهر

قبل القوات ﴿ وأن منكم لمن ليطئن ﴾ الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطون منافقوهم تناقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم أو بطؤوا غيرهم كما ثبت ابن أبي ناسا يوم أحد من بطأ متقولا من بطؤ كقتل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليطئن والتقدير وان منكم لمن اقسام بالله ليطئن ﴿ فأن أصابتكم مصيبة ﴾ كقتل وهزيمة ﴿ قال ﴾ أي المبطى ﴿ قد أنعم الله على أذلم أكن معهم شهيدا ﴾ حاضرا في تلك الغزاة فيصيني ما أصابهم ﴿ ولئن أصابكم فضل من الله ﴾ كفتح وغنمة ﴿ يقولون ﴾ أ كده تنبيه على فرط تحسره \* وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من ﴿ كأن لم يكن بينكم وبينه مودة ﴾ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو ﴿ ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ﴾ للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم مجرد المال أو حال من الضمير في يقولون أو داخل في المتقول أي يقول المبطى ﴿ لمن يبطعه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز ياليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا ينصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف \* وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس

﴿ وأن منكم لمن ليطئن ﴾ نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع أهل الايمان في الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لافي حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن ليشاغلن وليتخلفن عن الجهاد وهو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق وكان رأس المنافقين ﴿ فأن أصابتكم مصيبة ﴾ أي قتل وهزيمة ﴿ قال ﴾ يعني هذا المنافق ﴿ قد أنعم الله على ﴾ يعني بالعودة ﴿ أذلم أكن معهم ﴾ يعني مع المؤمنين ﴿ شهيدا ﴾ يعني حاضر الواقعة فيصيني ما أصابهم ﴿ ولئن أصابكم فضل من الله ﴾ أي فتح وغنمة ﴿ يقولون ﴾ يعني هذا المنافق ﴿ كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ﴾ أي معرفة ومودة في الدين والمعنى كأنه ليس من أهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر ﴿ ياليتني كنت معهم ﴾ في تلك الغزوة التي ختم فيها المؤمنون ﴿ فأفوز فوزا عظيما ﴾ أي فأخذ نصيبا وافرا من الغنمة ﴿ قوله عز وجل

الامر ( فأن أصابتكم مصيبة ) قتل أو هزيمة ( قال ) المبطى ( قد أنعم الله على ) اذلم أكن معهم شهيدا ) حاضرا فيصيني مثل ما أصابهم ( ولئن أصابكم فضل من الله ) فتح أو غنمة ( يقولون ) متلهفا على ما فاتته من الغنمة لا طلبا للثوبة ( كان ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي كأنه ( لم يكن ) وبالهاء مكى وحفص ( بينكم ) وبينه مودة ) وهي اعتراض بين الفعل وهو ليقولن وبين مفعوله وهو ( ياليتني ) كنت معهم ) والمعنى كأن لم يتقدم له معكم مودة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن ( فأفوز ) بالنصب لانه جواب التمني ( فوزا عظيما ) فأخذ من الغنمة كلكم مع نبيكم ( وأن منكم ) يامعشر المؤمنين ( لمن ليطئن ) يقول ليشاغلن

عن الخروج في سبيل الله عبد الله بن أبي وينظر ما يصيبكم في السرية ( فأن أصابتكم ) في السرية ( مصيبة ) القتل ( فليقاتل ) والهزيمة والشدة ( قال ) عبد الله بن أبي ( قد أنعم الله ) من الله ( على ) بالجولس ( أذلم أكن معهم ) في تلك السرية ( شهيدا ) حاضرا ( ولئن أصابكم ) في تلك السرية ( فضل ) فتح وغنمة ( من الله ليقولن ) عبد الله بن أبي ( كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ) صلة في الدين ومعرفة في الصحبة مقدم ومؤخر ( ياليتني كنت ) في الغزاة ( معهم فأفوز فوزا عظيما ) فأصيب غنائم كثيرة وحظوا وافر ثم أمرهم بالقتال في سبيل الله وان كانوا

حظا وافرا (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون) يبيعون (الحياة الدنيا بالآخرة) والمراد المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بما أي ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون أو يشترون والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة وعظاوبان يغيرو ا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق جهاده (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) وعد الله المقاتل في سبيل الله ظافرا أو مظفورا به ﴿١١٥﴾ ابتداء الاجر العظيم {سورة النساء} على اجتهاده في اعزاز دين

الله (ومالكم) مبتدأ وخبر وهذا الاستفهام في النفي للتنبية على الاستنباط وفي

الاثبات للانكار (لا تقاتلون في سبيل الله) حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول

مالك قائما والمعنى وأي شئ لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه (والمستضعفين) مجرور

بالعطف على سبيل الله أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين أو منصوب على الاختصاص منه أي

واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين من المستضعفين لان سبيل الله

عام في كل خير وخالص المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه

والمستضعفون هم الذين أسلموا بكمرة وصددهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذابين

مستضعفين يلقون منهم منافقين فقال ( فليقاتل في سبيل الله ) في طاعة الله ( الذين يشرون الحياة

عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في ياليتنى محذوف أي يا قوم وقيل ياطلق للتنبية على الاتساع فأفوز نصب على جواب التنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا أفوز في ذلك الوقت أو العطف على كنت ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذي يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ أي الذين يبيعونها بها أو المني ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطلون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ﴿ ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما ﴾ وعده الاجر العظيم غلب أو غلب ترغيبا في القتال وتكديبا لقولهم قد انعم الله على اذلم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان الجاهد نبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الذين بالظفر والعلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلام الحق واعزاز الدين ﴿ ومالكم ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ لا تقاتلون في سبيل الله ﴾ حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل ﴿ والمستضعفين ﴾ عطف على اسم الله أي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم

﴿ فليقاتل في سبيل الله ﴾ هذا خطاب للمناقق أي فليخلص الايمان وليقاتل في سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين أي فليقاتل المؤمنون في سبيل الله ﴿ الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ﴾ أي يبيعون يقال شريت بمعنى بعته لانه استبدال عوض بعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم في الدنيا بثواب الآخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون الآخرة وثوابها على الدنيا الفانية ﴿ ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب ﴾ أي فيشهد أو يغلب يعني يظفر بعدوه من الكفار ﴿ فسوف نؤتيه ﴾ يعني في كلا الحالتين الشهادة أو الظفر نؤتيه فيهما ﴿ اجرا عظيما ﴾ يعني ثوابا وافرا ﴿ (ق) ﴾ عن أبي هريرة رضى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الاجهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو على ضامن ان أدخله الجنة أو ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجرا وغنمة لفظ مسلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله ﴿ قال المفسرون هذا حاض من الله على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من أيدي الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى ﴿ والمستضعفين

الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ) يختارون الدنيا على الآخرة ويقال نزلت هذه الآية في المخلصين فليقاتل في سبيل الله في طاعة الله الذين يشرون

الحياة الدنيا بالآخرة يبيعون الدنيا بالآخرة ويختارون الآخرة على الدنيا ثم ذكر ثوابهم فقال (ومن يقاتل في سبيل الله) في طاعة الله (فيقتل) يستشهد (أو يغلب) يظفر على العدو (فسوف نؤتيه) نعطيها في كلا الوجهين (أجر عظيم) ثوابا وافرا في الجنة ثم ذكر كراهيتهم القتال في سبيل الله فقال (ومالكم) يا معشر المؤمنين (لا تقاتلون في سبيل الله) في طاعة الله مع اهل مكة (والمستضعفين

الاذى الشديد (من الرجال والنساء والولدان) ذكر الولدان تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وأمهاتهم { الجزء الخامس } ولان المستضعفين ﴿١١٦﴾ كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا

لرجة الله بدعاء صفارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما كنت أنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان (الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة (الظالم أهلها) الظالم وصف للقرية الا انه مسند الى أهلها فاعطى اعراب القرية لانه صفتها وذكر الاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم أهلها (واجعل لنا من لدنك وليا) يتولى أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقى بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد عليه السلام فتولاهم أحسن التولى ونصرهم أقوى

من الرجال والنساء والولدان الصبيان (الذين يقولون بمكة ربنا) ياربنا (أخرجنا من هذه القرية) يعنى مكة

من الاسر وصونهم عن العدو أو على سبيل مجذب المضاف أى وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعنى أبواب الخبر وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار أعظمها وأخصها ﴿من الرجال والنساء والولدان﴾ بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذنين وتمتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتبيينها على تنهاى ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا فى استنزال الرجوة استدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد ﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا نصيرا﴾ فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خيرولى وناصر ففتح مكة على يديه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب ابن اسيد فخامهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هوله كان كالفعل

من الرجال والنساء والولدان ﴿ قال ابن عباس يريد أن قومنا من المؤمنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كان هؤلاء بمكة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان أهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين فى ايديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الآية ومالك لا تقاتلون فى سبيل الله وفى خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله ومالك لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الآية قال كنت أنا وأمى من المستضعفين وفى رواية ابن أبى مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأمى عن عذر الله أنامن الولدان وأمى من النساء فعلى هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم عن عذر الله فى ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير ﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية﴾ يعنى مكة ﴿الظالم أهلها﴾ يعنى الظالم أهلها أنفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا أخرجنا من هذه القرية يعنى مكة الظالم أهلها بالشرك ﴿واجعل لنا من لدنك وليا﴾ يعنى وليا على أمرنا ﴿واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾ يعنى ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خيرولى وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى أمرهم ونصرهم واستنقذهم من ايدى المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن أسيد وكان ابن ثمان عشيرة سنة فكان ينصر المظلومين على الظالمين ويأخذ

(الظالم أهلها) المشرك أهلها (واجعل لنا من لدنك) من عندك (وليا) حافظا يعنون عتاب بن أسيد (واجعل لنا من) للضعيف (لندنك) من عندك (نصيرا) ما نافع استجاب الله دعاءهم وجعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم ناصر وعتابا وليا ثم ذكر قتالهم فى سبيل الله

النصر ولما خرج محمد صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد فأرأوا منه الولاية والنصرة كأرادوا قال ابن عباس رضى الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعز بها من الظلمة ثم رغب الله المؤمنين بانهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلاولى لهم الا الشيطان بقوله (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أى الشيطان (فقاتلوا أولياء الشيطان) أى الكفار (أن كيد الشيطان) أى وساوسه وقيل الكيد السعى في فساد الحال على جهة ﴿١١٧﴾ الاحتيال (كان ضعيفا) {سورة النساء} لانه غرور لا يؤل الى محصول

أو كيده في مقابلة نصر الله  
ضعيف كأن المسلمون  
مكفوفين عن القتال مع الكفار  
ماداموا بمكة وكانوا يتمنون  
أن يؤذن لهم فيه فنزل  
(الم تر الى الذين قيل لهم  
كفوا أيديكم) أى عن القتال  
(وأقيموا الصلوة وآتوا  
الزكوة فلما كتب عليهم  
القتال) أى فرض بالمدينة

يذكر ويؤث على حسب ما عمل فيه ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ فيما يصلون به الى الله سبحانه وتعالى ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ فيما يبلغ بهم الى الشيطان ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ لما ذكر مقصد الفريقين أمر أولياءه ان يقاتلوا أولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ﴿أن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ أى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله سبحانه وتعالى للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا أولياءه فان اعتمادهم على أضعف شئ وأوهنه ﴿الم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾ أى عن القتال ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ واشتغلوا بما امرتم به ﴿فلما كتب عليهم القتال﴾

للضعيف من القوى ﴿قوله عز وجل﴾ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ﴿يعنى في طاعة الله واعلاء كلمته وانتفاء مرضاته﴾ والذين كفروا يقاتلون في سبيل الله الطاغوت ﴿يعنى في طاعة الشيطان﴾ فقاتلوا أولياء الشيطان ﴿أى فقاتلوا أيها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار﴾ أن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴿الكيد السعى في الفساد على جهة الاحتيال ويعنى بكيده ما كاد المؤمنين به من تخوفه وأولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل أولياءه الكفار لما رأى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لأولياء الله وحزبه على أولياء الشيطان وحزبه وادخال كان في قوله ضعيفا تأكيد ضعف كيد الشيطان ﴿قوله عز وجل﴾ الم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴿قال الكلبي نزلت في عبدالرحمن بن عوف الزهرى والمقداد بن الاسود الكندى وقدامة بن مظعون الجمعى وسعد بن أبى وقاص وجاعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلتون من المشركين أذى كثيرا بمكة قبل أن يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله انن لنا في قتالهم فانهم قد آذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا أيديكم فأنى لم أومر بقتالهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعنى قيل لهم كفوا أيديكم عن قتالهم وأدوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد ﴿فلما كتب عليهم القتال﴾ أى فرض عليهم جهاد المشركين أمر وبالخروج الى

فقاتل (الذين آمنوا) محمد  
وأصحابه (يقاتلون في  
سبيل الله والذين كفروا)  
أبوسفيان وأصحابه (يقاتلون  
في سبيل الطاغوت) في  
طاعة الشيطان (فقاتلوا  
أولياء الشيطان) جند الشيطان  
(أن كيد الشيطان) صنع  
الشيطان ومكره (كان  
ضعيفا) بالخذلان لا يخذلهم  
كأخذلهم يوم بدر ثم ذكر  
كراهيتهم للخروج مع النبي  
صلى الله عليه وسلم بالموافاة  
الى بدر الصغرى فقال

(الم تر) ألم تخبر يا محمد (الى الذين) عن الذين (قيل لهم) قلت لهم بمكة لعبدالرحمن بن عوف الزهرى وسعد بن أبى وقاص الزهرى وقدامة بن مظعون الجمعى ومقداد بن الاسود الكندى وطلحة بن عبدالله التيمى (كفوا أيديكم) عن القتل والضرب فأنى لم أومر بالقتال (وأقيموا الصلوة) أعموا الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها ( وآتوا الزكاة) أعطوا زكاة أموالكم ( فلما كتب ) فرض ( عليهم ) بالمدينة (القتال) الجهاد

(إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) يخافون أن يقاتلهم الكفار كما يخافون أن ينزل الله عليهم بأسه لاشكافى الدين ولا رغبة عنه ولكن نفوراعن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت قال الشيخ أبو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لأن ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمره واعتقادا فالمرء مجبول على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالبا وخشية الله من إضافة المصدر الى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير في يخشون أى ويخشون الناس مثل خشية الله أى مشبهين لاهل خشية الله (أوأشد خشية) هو معطوف على الحال أى أوأشد خشية من أهل خشية الله وأوللتخير أى ان قلت خشيتهم الناس كخشية الله فانت مصيب وان قلت انها أشد فانت {الجزء الخامس} مصيب لانه ﴿١١٨﴾ حصل لهم مثلها وزيادة (وقالواربنا

إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه وإذا المفاجأة جواب لما وفريق منهم مبتدأ صفة ويخشون خبره كخشية الله من إضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر أو الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل أهل خشية الله منه ﴿أوأشد خشية﴾ عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فالان لا فعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى أى كخشية الله تعالى أو كخشية أشد خشية منه على الفرض اللهم الان تجعل الخشية ذات خشية كقولهم جدجده على معنى يخشون اناس خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله ﴿وقالواربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب﴾ استزادة فى مدة الكف عن القتال جذرا عن الموت ويحتمل انهم ماتوه هو وابه ولكن قالوه فى انفسهم فحكى الله عنهم ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ سريع التقضى ﴿والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلا﴾ أى ولا تنقصون أدنى شئ من ثوابكم فلا ترغبوا عنه أو من أجلكم المقدرة \* وقرأ ابن كثير

بدر ﴿أذا فريق منهم﴾ يعنى اذا جماعة من الذين سألوأ ان يفرض عليهم الجهاد ﴿يخشون الناس﴾ يعنى يخافون مشركى مكة ﴿كخشية الله أوأشد خشية﴾ أو بمعنى الواو يعنى وأشد خشية ﴿وقالواربنا لم كتبت علينا القتال﴾ يعنى لم فرضت علينا الجهاد ﴿لولا أخرتنا الى أجل قريب﴾ يعنى هالتركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت بآجالنا والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يلىق بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لاعتقادنا ثم انهم تابوا من هذا القول ﴿قل﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿متاع الدنيا قليل﴾ يعنى ان منفعتها والاستمتاع بالدنيا قليل لانه فان زائل ﴿والآخرة﴾ يعنى وثواب الآخرة ﴿خير لمن اتقى﴾ يعنى اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ولا تظلمون قليلا﴾ أى ولا تنقصون من أجوركم قدر قليل (م) عن المستوردين شداد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يحمل أحدكم أصبعه هذه وأشار يعنى بالسبابة فى اليم فليتنظروهم

لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب) هلا ما هلتنا الى الموت فتموت على الفرش وهو سؤال عن وجه الحكمة فى فرض القتال عليهم لاعتراض حكمهم بدليل انهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل أبجيبوا بقوله (قل متاع الدنيا قليل والآخره خير لمن اتقى) متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم والكثير اذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل (ولا تظلمون قليلا) ولا تنقصون أدنى شئ من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وبالياه مكى وحزة وعلى ثم أخبر أن الحذر لا ينبجى من القدر فى سبيل الله (إذا فريق منهم) طائفة منهم طلحة ابن عبدالله (يخشون الناس)

يخافون أهل مكة (كخشية الله) كخوفهم من الله (أوأشد خشية) بل أكثر خوفا (وقالواربنا) ياربنا (لم كتبت) (ترجع)

علينا القتال) قد أوجبت علينا الجهاد فى سبيلك (لولا أخرتنا الى أجل قريب) هل لاعتقنا الى أجل قريب الى الموت (قل) لهم يا محمد (متاع الدنيا) منفعة الدنيا (قليل) فى الآخرة (والآخرة) ثواب الآخرة (خير) أفضل (لمن اتقى) الكفر والشرك والفواحش (ولا تظلمون قليلا) لا ينقص من حسناتهم قدر قليل وهو الشئ الذى يكون فى شق النواة ويقال هو الوسخ الذى يكون بين أصابعك

بقوله (أيما تكونوا يدرككم الموت) مازائدة لتوكيد معنى الشرط في أين (ولو كنتم في بروج) حصون أو قصور (مشيدة) مرفعة (وأن تصبهم حسنة) نعمة من خصب ورخاء (يقولوا هذه من عند الله) نسبوا إلى الله (وأن تصبهم سيئة) بلية من قحط وشدة (يقولوا هذه من عندك) ﴿١١٩﴾ أضافوها اليك وقالوا {سورة النساء} هذه من عندك وما كانت إلا

بشؤمك وذلك أن المنافقين واليهود كانوا إذا أصابهم خير جدوا لله تعالى وإذا أصابهم مكروه نسبوه إلى محمد صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله تعالى بقوله (قل كل من عند الله) والمضاف إليه محذوف أي كل ذلك فهو يبسط الارزاق ويقبضها

وحزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة ﴿أيما تكونوا يدرككم الموت﴾ قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها \* « والشر بالشر عند الله مثلان »

أوعلى أنه كلام مبتدأ وأيما متصل بلا تظلمون ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ في قصور أو حصون مرفعة والبروج في الأصل بيوت على أطراف القصر من تبرزت المرأة إذا ظهرت وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفالها بوصف فاعلمها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر إذا رفعه ﴿وأن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وأن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك﴾ كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية أي أن تصبهم نعمة كخصب نسبوا إلى الله سبحانه وتعالى وإن تصبهم بلية كقحط أضافوها اليك وقالوا إن هي إلا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها ﴿قل كل من عند الله﴾ أي يبسط ويقبض

إذا قلت (أيما تكونوا) يامعشر المؤمنين المخلصين والمنافقين في بر أو بحر سفر أو حضر (يدرككم الموت) فتموتوا (ولو كنتم في بروج مشيدة) في قصور حصينة ثم ذكر مقالة اليهود والمنافقين مازلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا محمد وأصحابه فقال (وأن تصبهم) يعني المنافقين واليهود (حسنة) الخصب ورخص السعر وتتابع السنة بالامطار (يقول هذه من عند الله) لماعلم فينا الخير (وأن تصبهم

ترجع ﴿قوله عز وجل﴾ أيما تكونوا يدرككم الموت ﴿نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلي أحد لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية وقيل نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتب علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى أيما تكونوا يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى أنه لا خلاص لهم من الموت وإذا كان لا بد لهم من الموت كان القتل في سبيل الله وجهاد أعدائه أفضل من الموت على الفراش لأن الجهاد موت تحصل به سعادة الآخرة ثم بين تعالى أنه لا بد لهم من الموت وأنه لا ينجي منه شيء بقوله ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ البروج في كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي المظلية بالشيد وهو الخصب ﴿وأن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله﴾ نزلت في المنافقين واليهود وذلك أن المدينة كانت ذات خير وأرزاق ونعم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود أمسك الله عنهم بعض الامساك فقال المنافقون واليهود مازلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذه الرجل وأصحابه فقال الله تعالى وإن تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة أي خصب في الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني من قبل الله ﴿وأن تصبهم سيئة﴾ أي جذب في الثمار وغلاء في السعر ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ يعني من شؤم محمد وأصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم أحد ومعنى من عندك أنت لذي جلتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا عن المنافقين خاصة ﴿قل﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿كل من عند الله﴾ يعني الحسنة والسيئة والخصب والجذب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فإما الحسنة فإعصام من الله وأما السيئة فإتلاء منه

سيئة (القحط والجذوبة والشدة وغلاء السعر) يقولوا هذه من عندك (يعنون من شؤم محمد وأصحابه) (قل) يا محمد للمنافقين واليهود (كل) من الشدة والنعمة



(فالهؤلاء القوم لا يكادون { الجزء الخامس } يفقهون) يفهمون ﴿١٢٠﴾ (حديثاً) فيعلمون أن الله هو الباسط

حسب ارادته ﴿فالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ يعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلوا الرُّكُل من عند الله سبحانه وتعالى أو حديثاً ما كبهائم لا يفهم لها أو حادثاً من صروف الزمان فيتفكرون فيه فيعملوا أن الباسط والقابض هو الله سبحانه وتعالى ﴿ما أصابك﴾ يا إنسان ﴿من حسنة﴾ من نعمة ﴿فمن الله﴾ أي تقضاً منه فإن كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافي نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ما احديدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولأنت قال ولا أنا ﴿وما أصابك من سيئة﴾ من بلية ﴿فمن نفسك﴾ لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غيران الحسنة احسان وامتنان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضی الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شمع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان

﴿فالهؤلاء القوم﴾ أي فاشأن هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما قالوا لا يكادون يفقهون حديثاً ﴿يعنى لا يفقهون معانى القرآن وان الاشياء كلها من الله عز وجل خيرا وشرها﴾ قوله عز وجل ﴿ما أصابك من حسنة﴾ يعنى من خير ونعمة ﴿فمن الله﴾ يعنى من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك ﴿وما أصابك من سيئة﴾ يعنى من شدة ومكروه ومشقة وأذى ﴿فمن نفسك﴾ يعنى من قبل نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفي الخطاب بهذا الكلام قولان أحدهما انه عام وتقديره ما أصابك أيها الانسان والثاني انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم برىء لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه من حين البعثة فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا أيها النبي اذا طلقتم النساء خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فعنى قوله من نفسك أي عقوبة لذنبك يا ابن آدم كذا قاله قتادة وقال الكلبي ما أصابك من خير فانه هداك له وأعانك عليه وما أصابك من أمر تكرهه فبذنبك عقوبة لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية وقالوا نفي الله السيئة عن نفسه ونسيها الى الانسان بقوله وما أصابك من سيئة من سيئة فمكتسبة ولا تعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في هذه الآية ما يصيب الانسان من النعم والحن وذلك ليس من فعل المبدل لانه لا يقال في الطاعة والمعصية أصابني وانما يقال أصبتها ويقال في النعم والحن أصابني بدليل أنه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو لقوله تعالى اذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بجوسى ومن بعد ولما ذكر الله حسنات الكسب وسيئاته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فبه عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثقال حبة من خردل وهذا قول القدرية وقال بعضهم لو كانت الآية على ما يقول أهل القدر لقال أصابني

القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال (ما أصابك) يا انسان خطايا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبي عليه السلام والمراد غيره (من حسنة) من نعمة واحسان (فمن الله) تفضلا منه وامتنانا (وما أصابك من سيئة) من بلية ومصيبة (فمن نفسك) فمن عندك أي فيما كسبت يدك وما أصابكم من مصيبه فيما كسبت

( من عند الله فالهؤلاء القوم) يعنى المنافقين واليهود (لا يكادون يفقهون حديثاً) قولاً ان النعمة والشدة من الله ثم ذكر بماذا تصيبهم النعمة والشدة فقال ( ما أصابك) يا محمد (من حسنة) من خصب ورخص السعر وتتابع السنة بالامطار (فمن الله) فنعمة الله لك خاطب به محمدا صلى الله عليه وسلم وعن به قومه (وما أصابك من سيئة) من قحط وجدوبة وغلاء السعر (فمن نفسك) فلقبل طهارة نفسك يظهر بك بذلك ويقال ما أصابك من حسنة من قحط وغنمة فن الله فن كرامة وما أصابك من قتل وهزيمة مثل يوم احد فن نفسك

( من )

أيديكم ( وأرسلنا للناس رسولا ) الا مقدرًا حتى نسبوا اليك الشدة أو أرسلنا للناس رسولا فإليك تبليغ الرسالة وليس  
اليك الحسنة والسيئة (وكفى ١٢١ ﴿ بالله شهيدا ) بانك { سورة النساء } رسوله وقيل هذا متصل

بالاول أى لا يكادون يفقهون

حديثا يقولون ما أصابك  
وجعل المعتزلة الحسنة  
والسيئة فى الآية الثانية  
على الطاعة والمعصية  
تعسف بين وقد نادى عليه  
ما أصابك اذ يقال فى الأفعال  
ما أصبت ولأنهم لا يقولون  
الحسنات من الله خلقا  
وايجادا فأن يكون لهم حجة  
فى ذلك وشهيدا تميز  
(من يطع الرسول فقد  
أطاع الله) لأنه لا يأمر  
ولا ينهى إلا بما أمر الله به  
ونهى عنه فكانت طاعته  
فى أوامره ونواهيه طاعة لله

ما أصابك من حسنة من  
فتح وغنمة فمن الله فمن كرامة  
الله وما أصابك من سيئة من  
قتل وهزيمة مثل يوم أحد  
فمن نفسك فبذنب أصحابك  
بتركهم المركز ويقال  
ما أصابك من حسنة ما عملت  
من خير فمن الله توفيقه  
وعونه وما أصابك من  
سيئة ما عملت من شر فمن  
نفسك فمن قبل جنابة  
نفسك خذلانه (وأرسلناك  
للناس) الى الجن والانس  
(رسولا) بالبلاغ (وكفى  
بالله شهيدا) على مقالهم  
ان الحسنة من الله والسيئة  
من شؤم محمد صلى الله عليه

كأترى لاجحة فيهمنا وللمنزلة ﴿ وأرسلناك للناس رسولا ﴾ حال قصد بها التأكيد  
ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها أى رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما  
أرسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله

على حلقة لأشتم الدهر مسلما \* « ولا خارجا من فى زور كلام »

﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ على رسالتك بنصب المعجزات ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾  
لأنه عليه الصلاة والسلام فى الحقيقة مبلغ والأمر هو الله سبحانه وتعالى روى انه عليه الصلاة  
والسلام قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك

من حسنة وما أصبت من سيئة ولم يقل ما أصابك لان العادة جرت بقول الانسان  
أصابني خير أو مكروه وأصبت حسنة أو سيئة وقيل فى معنى الآية ما أصابك من حسنة  
أى النصر والظفر يوم بدر فمن الله أى من فضل الله وما أصابك من سيئة أى من قتل  
وهزيمة يوم أحد فمن نفسك يعنى فبذنب أصحابك وهو مخالفتهم اياك \* فأن قلت كيف  
وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما أصابك من سيئة فمن نفسك  
فأضاف السيئة الى فعل العبد فى هذه الآية \* قلت اما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى  
فى قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة  
السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما أصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك  
عقوبة لك وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى  
واذا مرضت فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل  
ان المرض هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضممار وتقديم وتأخير تقديره  
فالمهولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك  
من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانبارى فى معنى الآية ما أصابك الله  
به من حسنة وما أصابك به من سيئة فالضمان راجعان الى الله تعالى ﴿ قوله عز وجل  
﴿ وأرسلناك للناس رسولا ﴾ يعنى وأرسلناك يا محمد الى كافة الناس رسولا لتبلغهم  
رسالتى وما أرسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة كما قال بعض اليهود بل أنت  
رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ يعنى على ارسالك  
للناس كافة فإني لاجدان يخرج عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا  
على تبليغك ما أرسلت به الى الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة  
والسيئة من الله ﴿ قوله عز وجل ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ سبب نزول  
هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله ومن أحبني فقد  
أحب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصرارى  
عيسى ابن مريم ربا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعنى فيما أمر به ونهى عنه  
فقد أطاع الله يعنى ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لأنه هو أمر بها  
وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على  
المسلمين وقال الشافعى ان كل فريضة فرضها الله فى كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا

وسلم وأصحابه ويقال وكفى بالله شهيدا (قا وخا ١٦ نى) على قولهم ائمتنا بشهيد يشهد بانك رسول الله فلما نزل وما أرسلنا من رسول الا  
يطاع باذن الله قال عبد الله بن أبى يأمرنا محمد ان نطيعه دون الله فنزل فيه (من يطع الرسول) فيما يأمره (فقد أطاع الله) لان الرسول

(ومن تولى) عن الطاعة فاعرض عنه (فأرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتماقيمهم (ويقولون) ويقولون المنافقون إذا أمرتهم بشيء (طاعة) خبر مبتدأ محذوف أى أمرنا وشأننا طاعة (فأذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) زور (الجزء الخامس) وسوى فهو من ﴿١٢٢﴾ البيوتة لانه قضاء الامر وتديره بالليل أو

من أبيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها وبالادغام حجة وأبو عمرو (غير الذى تقول) خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما يتناقفون بما يقولون ويظهرون (والله يكتب ما يبيتون) يشته في صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه) فاعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) في شأنهم فان الله يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى أمر الاسلام (وكفى بالله وكيفا لمن توكل عليه) أفلا يتدبرون القرآن) أفلا

لا يأمر الاما أمر الله (ومن تولى) عن طاعة الرسول (فأرسلناك عليهم حفيظا) كفيلا (ويقولون) يعنى المنافقين عبد الله بن ابي وأصحابه (طاعة) أمرك طاعة يا محمد مر بما شئت تفعله (فأذا برزوا) خرجوا (من عندك بيت) غيرت (طائفة) فريق (منهم)

وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نخذه ربا كما اتخذت النصرارى عيسى ربا فنزلت ﴿ومن تولى﴾ عن طاعته ﴿فأرسلناك عليهم حفيظا﴾ تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها اتما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف ﴿ويقولون﴾ اذا أمرتهم بأمر ﴿طاعة﴾ أى أمرنا طاعة أو منا طاعة واصله النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات ﴿فأذا برزوا من عندك﴾ خرجوا ﴿بيت طائفة منهم غير الذى تقول﴾ أى زورت خلاف ما قلت لها أو ما قلت لك من القبول وضمان الطاعة والتبئيت اما من البيوتة لان الامور تدبر بالليل أو من بيت الشعر أو البيت المبني لانه يسوى ويدبر \* وقرأ أبو عمرو وحجة بيت طائفة بالادغام لقرينهما في المخرج ﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ يشته في صحائفهم للمجازاة أو في جملة ما وحي اليك لتطلع على اسرارهم ﴿فاعرض عنهم﴾ قلل المبالاة بهم أو تجاف عنهم ﴿وتوكل على الله﴾ في الامور كلها سيما في شأنهم ﴿وكفى بالله وكيفا﴾ يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يتأملون في معانيه

بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف تأتيها ولا كان يمكن أداء شئ من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة لله ﴿ومن تولى﴾ أى أعرض عن طاعته ﴿فأرسلناك عليهم حفيظا﴾ يعنى حافظا تحفظ أعمالهم عليهم بل كل أمرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال قوله عز وجل ﴿ويقولون طاعة﴾ نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقك فربنا يأمرك طاعة أى أمرنا وشأننا طاعة ﴿فأذا برزوا من عندك﴾ أى خرجوا من عندك ﴿بيت طائفة منهم غير الذى تقول﴾ التبئيت كل أمر يفعل بالليل يقال هذا أمر ميت اذا دبر بليل وقضى بليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا أمر بالليل غير الذى أعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذى تقول يعنى غير الذى عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبئيت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبئيت في قوله منهم وكلمة من للتبئيت لانه تعالى علم ان منهم من بقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من بصر على النفاق والذكر وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر ﴿والله يكتب﴾ أى يثبت ويحفظ عليهم ﴿ما يبيتون﴾ يعنى ما يزورون ويغيرون ويقدررون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق ﴿فاعرض عنهم﴾ أى لا تماقهم يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلصهم في ضلاتهم فانما متقم منهم وقيل لا تقتر باسلامهم ﴿وتوكل على الله﴾ أى فووض أمرك الى الله في شأنهم فان الله يكفيك أمرهم وينتقم لك منهم ﴿وكفى بالله وكيفا﴾ يعنى ناصر الك عليهم ﴿قوله عز وجل﴾ أفلا يتدبرون القرآن ﴿

من المنافقين (غير الذى تقول) تأمر (والله يكتب) يحفظ عليهم (ما يبيتون) ما يغيرون من أمرك (فاعرض عنهم) (اصل) ولا تماقهم (وتوكل على الله) تق بالله فيما يصلحون (وكفى بالله وكيفا) كفيلا بالصره والدولة لك عليهم (أفلا يتدبرون القرآن)

يتأملون في معانيه ومبانيه والتدبر التأمل والنظر في أدبار الامر وما يؤل اليه في عاقبته ثم استعمل في كل تأمل والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل وهذا رد قول من زعم من الروافض ان القرآن لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والامام المعصوم عليه السلام ١٢٣ و يدل على صحة {سورة النساء} القياس وعلى بطلان التقليد

(ولو كان من عند غير الله) ولو كان من عند غير الله كازعم الكفار (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) أي تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم أو تفاوتاً من حيث البلاغة فكان بعضه بالفاحد الاعجاب وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته أو من حيث المعاني فكان بعضه اخباراً بغيب قد وافق الخبر عنه وبعضه اخباراً مخالفاً للخبر عنه وبعضه دالاً على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دال على معنى فاسد غير ملتزم وأما تعلق الملحمة بآيات يدعو فيها اختلافاً كثيراً من نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فقد تفصي عنها أهل الحق وسجدها مشروحة في كتابنا هذا في مظانها ان شاء الله تعالى (وأذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف) أفلا يتفكرون في القرآن انه يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً وفيما أمرهم

ويتبصرون ما فيه وأصل التدبر النظر في أدبار الشيء ولو كان من عند غير الله أي ولو كان من كلام البشر كآزعم الكفار لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكاً وبعضه يعصب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلية للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح وأذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف

أصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في ادبارها ثم استعمل في كل تفكر وتأمل يقال تدبرت الشيء أي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات قال ابن عباس أفلا يتدبرون القرآن فيفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض ومافيه من المواعظ والذكر والامر والنهي وان أحداً من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة أوجه أحدها فصاحته التي يعجز الخلاق عن الاتيان بمثلها في أسلوبه الثاني اخباره عن الغيوب وهو ما يطع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على أحوال المناقضين وما يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن أحوال الاولين وأخبارهم وما يأتي في المستقبل من أمور الغيب التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً قال ابن عباس يعني تفاوتاً وتناقضاً وفي رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لو وجدوا في اخباره عن الغيب بما يكون وبما قد كان اختلافاً كثيراً لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس كلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مردود ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى أفلا يتفكرون في القرآن فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وان ما يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه قوله عز وجل وأذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف

النبي صلى الله عليه وسلم (ولو كان من عند غير الله) ولو كان هذا القرآن من أحد غير الله (لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) تناقضاً كثيراً لا يشبه بعضه بعضاً ذكر خيانة المناقضين فقال (وأذا جاءهم أمر من الامن) خبر من أمر المسكر أو الفقم أو الغنية أصروا عليه حسداً منهم (أو الخوف) وان جاءهم خبر خوف من المسكر أو القتل أو

هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال والمناقون كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل (أذاعوا به) أفشوه وكانت اذاعتهم مفسدة يقال أذاع السروا ذاع به والضمير يعود الى الامر والى الامن أو الخوف { الجزء الخامس } لان أو تقتضى ﴿ ١٢٤ ﴾ أحدهما (ولوردوه) أى ذلك الخبر

عما يوجب الامن أو الخوف ﴿ اذاعوا به ﴾ أفشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما وحي اليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة اذا عوا به لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة أو لتضمن الاذاعة معنى التحدث ﴿ ولوردوه ﴾ ولوردوا ذلك الخبر ﴿ الى الرسول والى أولى الامر منهم ﴾ الى رأيه ورأى كبار اصحابه البصراء بالامور أو الامراء ﴿ لعلمه ﴾ على أى وجه يذكره ﴿ الذين يستنبطونه منهم ﴾ يستخرجون تدايره بتجارهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المناقنين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولوردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم حتى يسمعه منهم ويعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول والى الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر

أذاعوا به ﴿ وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعث والسرايا فاذا غلبوا أو غلبوا بادر المناقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله تعالى هذه الآية واذا جاءهم بعض المناقنين أمر من الامن يعنى جاءهم خبر بفتح وغنمة أو الخوف يعنى القتل والهزيمة اذا عوا به أى أفشوا ذلك الخبر وأشاعوه بين الناس يقال أذاع السر وأذاع به اذا أشاعه وأظهره قال الشاعر

أذاع به في الناس حتى كأنه \* بعلاء نار أوقدت بنقوب

﴿ ولوردوه ﴾ يعنى الامر الذى يتحدثوا به ﴿ الى الرسول ﴾ يعنى انهم لم يتحدثوا به حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يتحدث به ويظهره ﴿ والى أولى الامر منهم ﴾ يعنى ذوى العقول والرأى والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وقيل هم أمراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر ولان المناقنين كانوا يظهرون الايمان فلذا قال والى أولى الامر منهم ﴿ لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ أى يستخرجون تدايره بذكائهم وفطنتهم وتجارهم ومعرفتهم بأموال الحرب وما ينبت لها ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبت أن يكتم من الامور وما ينبت أن يذاع منها والنبط الماء الذى يخرج من البئر اول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرج من الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبر فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخراجها بجتهاد وفهمه وفي الآية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الآية ولأن هؤلاء المناقنين والمذيعين ردوا الامر من الامن أو الخوف الى الرسول والى أولى الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلوا حقيقة ذلك منهم وانهم أولى بالبحث عنه فانهم

(الى الرسول) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والى أولى الامر منهم) يعنى كبار الصحابة البصراء بالامور أو الذين كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تداير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه منهم) يستخرجون تدايره بفطنتهم وتجارهم ومعرفتهم بأموال الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء أو على خوف واستشعاره فيذيعونه فينشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولوردوه الى الرسول والى أولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعو العلم الذين يستنبطون تدايره كيف يدبرونه وما يتنون ويدرون فيه والنبط الماء الذى يخرج من البئر اول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرج من الرجل

الهزيمة (اذاعوا به) نشوا به (ولوردوه) لو تركوا خبر العسكر (الى الرسول) حتى يخبرهم الرسول (والى أولى الامر منهم) الى ذوى

(الذين يستنبطونه) يتبعونه أى يطلبون الخبر (منهم) من أبى بكر واصحابه (أعلم)

بفضل ذهنه من المعاني

والتدابير فيما يعضل (ولولا فضل الله عليكم) بارسال الرسول (ورجته) بانزال الكتاب (لا تبغتم الشيطان) بالكفر والضلال (الاقبلا) أى الاقبلا منكم تفضل الله عليه بمقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل أو الاتباع قليلا على الندور ﴿ فقاتل في سبيل الله ﴾ ان تبطوا وتركوك وحدك ﴿ لا تكلف الانفسك ﴾ الافل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فقدم الى الجهاد وان لم يساعدك أحد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه عليه الصلاة والسلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج عليه السلام ومعه الاسبعون لم يلو على أحد \* وقرى لا تكلف بالجزم ولا تكلف بالنون على

أعلم بما ينبغي أن يشاع أو يكتم \* قوله عز وجل ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحته ﴾ يعنى ولولا فضل الله عليكم بعبثه محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحته بالتوفيق والهداية ﴿ لا تبغتم الشيطان ﴾ يعنى لبقيتهم على الكفر والضلالة ﴿ الاقبلا ﴾ اختلف العلماء في هذا الاستثناء والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الاقبلا فاخرج بعض المناقبين والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من أمر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبرى وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلم الذين يستنبطونه منهم الاقبلا فعلى هذين القولين فى الآية تقديم وتأخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضمك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به أولى من صرفه الى الشئ البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحته لا تبغتم الشيطان الاقبلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل زيد بن عمرو ابن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايدى \* قوله عز وجل ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف الانفسك ﴾ نزلت فى مواعده رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان بن حرب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدته موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد وذلك فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فقاتل فى سبيل الله يعنى لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الانفسك يعنى لا تكلف فرض غيرك بل جاهد فى سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه وفى الآية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بأمور القتال ومكايده لان الله تعالى أمره بالقتال وحده ولو لم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق فى قتال أهل الردة من

(ولولا فضل الله) من الله (عليكم ورحته) بالتوفيق والعصمة (لا تبغتم الشيطان) كلكم (الاقبلا) منهم لا يفشون الا بالخير ثم أمر نبيه بالجهاد فى سبيل الله الى بدر الصغرى قتال (فقاتل فى سبيل الله) فى طاعة الله (لا تكلف) لا تؤمر بذلك (الانفسك)

أعلم بما ينبغي أن يشاع أو يكتم \* قوله عز وجل ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحته ﴾ يعنى ولولا فضل الله عليكم بعبثه محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحته بالتوفيق والهداية ﴿ لا تبغتم الشيطان ﴾ يعنى لبقيتهم على الكفر والضلالة ﴿ الاقبلا ﴾ اختلف العلماء فى هذا الاستثناء والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الاقبلا فاخرج بعض المناقبين والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من أمر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبرى وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلم الذين يستنبطونه منهم الاقبلا فعلى هذين القولين فى الآية تقديم وتأخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضمك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به أولى من صرفه الى الشئ البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحته لا تبغتم الشيطان الاقبلا منكم وهم قوم آمنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن مثل زيد بن عمرو ابن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايدى \* قوله عز وجل ﴿ فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الانفسك ﴾ نزلت فى مواعده رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان بن حرب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدته موسم بدر الصغرى بعد حرب أحد وذلك فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الآية فقاتل فى سبيل الله يعنى لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الانفسك يعنى لا تكلف فرض غيرك بل جاهد فى سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية على ترك الجهاد والخروج معه وفى الآية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس وأعلمهم بأمور القتال ومكايده لان الله تعالى أمره بالقتال وحده ولو لم يكن أشجع الناس لما أمره بذلك ولقد اقتدى به أبو بكر الصديق فى قتال أهل الردة من

أحد نخرج وحده (وحرص المؤمنين) وما عليك في شأنهم الا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم  
 (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) أي بطشهم وشدتهم وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة  
 مطمعة غير ان الطماع الكريم { الجزء الخامس } اعود من ﴿ ١٢٦ ﴾ انجاز اللثم (والله أشد بأسا) من

قريش (وأشد تنكيلا) تعذبا  
 وهو تميز كبأسا ( من  
 يشفع شفاعه حسنة ) هي  
 الشفاعه في دفع شر أو جلب  
 نفع مع جوازها شرعا (يكن له  
 نصيب منها) من ثواب الشفاعه  
 (ومن يشفع شفاعه سيئة)  
 هي خلاف الشفاعه الحسنه  
 قال ابن عباس رضي الله  
 عنهما مالها مفسر غيري  
 معناه من أمر بالتوحيد  
 وقاتل أهل الكفر وضده  
 السيئة وقال الحسن  
 هو المشي بالصلح وضده  
 النميمه (يكن له كفل منها)  
 نصيب (وكان الله على كل  
 شئ مقيتا) مقتدرا من  
 أقات على الشئ اقتدر  
 عليه أو حفيظا من القوت  
 لانه يمكس النفس ويحفظها

(وحرص) حرض (المؤمنين)  
 على الخروج معك (عسى الله)  
 وعسى من الله واجب (أن  
 يكف) يمنع (بأس) قتال  
 (الذين كفروا) كفار مكة  
 (والله أشد بأسا) عذابا  
 (وأشد تنكيلا) عقوبة ثم  
 ذكر ثواب من آمن وعقوبة  
 من كفر يعني أبابكر وأباجهل  
 فقال (من يشفع شفاعه  
 حسنة) يوحده أو يصلح

بناء الفاعل أي لانكفكك ألافعل نفسك لانا لانكفكك أحدا الانفسك لقوله ﴿ وحرص  
 المؤمنين على القتال ﴾ اذا معك في شأنهم الا التحريض ﴿ عسى الله أن يكف بأس الذين  
 كفروا ﴾ يعني قريشا وقد فعل بان أتى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا ﴿ والله أشد بأسا ﴾  
 من قريش ﴿ وأشد تنكيلا ﴾ تعذبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه ﴿ من يشفع شفاعه  
 حسنة ﴾ راعى بها حق مسلم ودفع بهاعنه ضرا أو جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها  
 الدعاء للمسلم قال صلى الله تعالى عليه وسلم من دعا ل أخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك  
 ولك مثل ذلك ﴿ يكن له نصيب منها ﴾ وهو ثواب الشفاعه والتسبب الى الخير الواقع بها ﴿ ومن  
 يشفع شفاعه سيئة ﴾ يريد بها محرما ﴿ يكن له كفل منها ﴾ نصيب من وزرها مساو لها  
 في القدر ﴿ وكان الله على كل شئ مقيتا ﴾ مقتدرا من أقات على الشئ اذا قدر قال  
 وذى ضعفن كفت الضغن عنه \* وكنت على اساءته مقيتا

بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده ﴿ وحرص  
 المؤمنين ﴾ يعني حرضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شأنهم الا  
 التحريض فحسب لا التعنيف بهم ﴿ عسى الله ﴾ أي لعل الله ﴿ أن يكف بأس  
 الذين كفروا ﴾ يعني لعل الله أن يمنع بأس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك أن  
 أباسفيان بداله عن القتال فلم يخرج الى الموعد ﴿ والله أشد بأسا ﴾ أي أعظم صولة  
 ﴿ وأشد تنكيلا ﴾ يعني وأشد عذابا وعقوبة من غيره ﴿ قوله عز وجل ﴾ من  
 يشفع شفاعه حسنة يكن له نصيب منها ﴿ الشفاعه مأخوذة من الشفع وهو ان يصير  
 الانسان بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى  
 هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الآية هي شفاعه الانسان لغيره ايجلب له  
 بشفاعته نفعا أو يخلصه من بلاء نزل به وقيل هي الاصلاح بين الناس وقيل معنى  
 الآية من بصر شفعا لوتر أصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها  
 أي حظ وافر من أجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته ﴿ ومن يشفع شفاعه سيئة ﴾  
 قيل هي النميمه ونقل الحديث لا يقاع العداوة بين الناس وقيل أراد بالشفاعة السيئة  
 دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المؤمنين ﴿ يكن له كفل ﴾  
 أي ضعف وقيل نصيب ﴿ منها ﴾ أي من وزرها ﴿ وكان الله على كل شئ مقيتا ﴾  
 قال ابن عباس يعني مقتدرا أو مجازيا وأقات على الشئ قدر عليه قال الشاعر  
 وذى ضعفن كفت الشر عنه \* وكنت على اساءته مقيتا

يعنى قادرا على الاساءة اليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء (ق) عن أبي  
 موسى رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فجاء رجل يسأل فاقبل علينا

بين اثنين (يكن له نصيب منها) أجر من الحسنه (ومن يشفع شفاعه سيئة) يشرك أو ينم (يكن له كفل منها) (بوجهه)  
 وزر منها من السيئة (وكان الله على كل شئ) من الحسنه والسيئة (مقيتا) مقتدرا مجازيا ويقال على قوت كل شئ مقتدرا

(وأذحيتم) أي سلم عليكم فان التحية في ديننا بالسلام في الدارين فسلموا على انفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت العرب تقول عند اللقاء حياك الله أي أطال الله حياتك فابدل ذلك بعد الاسلام بالسلام (بتحية) هي تفعلة من حيا يحيي تحية (فحيوا بأحسن منها) أي قولوا وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وزيدوا وبركاته اذا قال ورحمة الله ويقال لكل شيء منتهى ومنتهى السلام وبركاته (أوردوها) أي أجيبوها بمثلها ورد السلام جوابه بمثله ﴿ ١٢٧ ﴾ لان الجيب يرد قول ﴿ سورة النساء ﴾ المسلم وفيه حذف مضاف أي ردوا مثلها والتسليم

سنة والرد فريضة والاحسن فضل وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذكرة العلم والاذان والاقامة وعند أبي يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعماري من غير عزر في حمام أو غيره ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته والماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقبل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وقيل باحسن منها لاهل الملة وأوردوها لاهل الذمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم

اوشهدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه ﴿ وأذحيتم بتحية فحيوا بأحسن منها وأوردوها ﴾ الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاین ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال صلى الله عليه وسلم انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها وحداها لوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها ومنه قيل أول لترديد بين أن يحيي المسلم ببعض التحية وبين أن يحيي تمامها وهذا والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية وأوجب الثواب أو الرد على المنتهب وهو قول قديم للشافعي رضى الله تعالى عنه ﴿ أن الله كان على كل شيء حسيبا ﴾ يحاسبكم على التحية وغيرها ﴿ الله

بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ما شاء \* وفي رواية كان اذا جاءه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا وذكره ﴿ قوله عز وجل ﴿ وأذحيتم بتحية فحيوا بأحسن منها ﴾ التحية تفعلة من حيا وأصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونه خارجا عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا أو في الآخرة والتحية أن يقال حياك الله أي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الآية يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما سلم عليكم به وانما اختيار لفظ السلام على لفظه حياك الله لانه أتم وأحسن وأكمل لان معنى السلام السلامة من الآفات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان في حياته سليما كان أتم وأكمل فلهمذا السبب اختيار لفظ السلام ﴿ أو ردوها ﴾ يعني أوردوا عليه كما سلم عليكم ﴿ أن الله كان على كل شيء حسيبا ﴾ يعني محاسبا ومجازيا والمعنى أنه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله أو باحسن منه مجاز

أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وقوله عليه السلام لا عزار في تسليم اي لا يقال عليك بل عليكم لان كاتبه معه (أن الله كان على كل شيء حسيبا) أي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها (واذحيتم بتحية) اذا سلم عليكم بسلام (فحيوا باحسن منها) فردوها بافضل منها في الزيادة على أهل دينكم وملتكم (أو ردوها) مثل ما سلم عليكم على غير أهل دينكم (ان الله كان على كل شيء) من السلام والرد (حسيبا) مجاز ياوشهد انزلت في قوم بخلوا بالسلام



## ﴿ فصل في فضل السلام والحث عليه ﴾

(ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الإسلام خير قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف \* قوله أى الإسلام خير معناه أى خصال الإسلام خير (م) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم \* عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أىها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح عن أبى أمامة رضى الله عنه قال أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نقضى السلام أخرجه ابن ماجه

## ﴿ فصل في أحكام تتعلق بالسلام ﴾ وفيه مسائل {

## ﴿ المسئلة الاولى في كيفية السلام ﴾

(ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحوونك به فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا عليك السلام ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يتدعى بالسلام أن يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتى بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا فيقول الجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيأتى بواو العطف في قوله وعليكم \* عن عمر ان بن حصين رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون أخرجه الترمذى وأبو داود وقال الترمذى حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول الجيب وعليكم السلام ورحمة الله فيزيده ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فيزيده وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه السلام بمثله ولا يزيد عليه وروى أن رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شياً فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة ويستحب للمسلم أن يرفع صوته بالسلام ليعلم المسلم عليه فيجيبه ويشترط أن يكون الرد على الفور فان أخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد

## ﴿ المسئلة الثانية في حكم السلام ﴾

الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان كانوا جماعة وسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل وأكمل قال القاضى حسين من أصحاب الشافعى ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تسميت العاطس سنة على

( الكفاية )

الكفاية أيضا كالسلام ولودخل على جماعة في بيت أو مجلس أو مسجد وحب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام والامر للوجوب أو يكون ذلك سنة متأكدة لان السلام من شعار أهل الاسلام فيجب اظهاره أويتأكد استحبابه أما الرد على المسلم فقد أجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى وإذا حيتم بتمية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فالامر للوجوب لان في ترك الرد اهانة للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا وجب عليه الرد وإذا كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلورد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وان تركوه كلهم أمموا \* عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم أخرجه أبو داود

### ﴿ المسئلة الثالثة في آداب السلام ﴾

السنة أن يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير \* وفي رواية للبخاري قال يسلم الصغير على الكبير والمر على القاعد والقليل على الكثير وإذا تلاقى رجلان فالتدىء بالسلام هو الأفضل لما روى عن أبي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام أخرجه أبو داود والترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال أولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب أن يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان صفار أن يسلم عليهم لما روى عن أنس أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله أخرجاه في الصحيحين \* وفي رواية لابن داود أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على عثمان يلعبون فسلم عليهم وأما السلام على النساء فان كن جمعا جالسات في مسجد أو موضع فيستحب أن يسلم عليهن اذا لم يخفن على نفسه أو عليهن فتنة لما روى عن أسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا أخرجه أبو داود \* وفي رواية الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود قالوى بيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن واذا مر على امرأة مفردة أجنبية فان كانت جبيلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا تردهى عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وتردهى عليه وحكم النساء مع النساء حكم الرجال مع الرجال في السلام فيسلم بعضهم على بعض

### ﴿ المسئلة الرابعة في الاحوال التي يكره السلام فيها ﴾

فمن ذلك الذي يبول أو يتغوط أو يجماع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا

الله لا اله الا هو ﴿ مبتدأ وخبر أو الله مبتدأ والخبر ﴾ ليجمعنكم الى يوم القيمة ﴿ أى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة أو مفضين اليه أو في يوم القيامة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيام كالطلاب والطلاب وهى قيام الناس من القبور أو للحساب ﴿ لا ريب فيه ﴾ فى اليوم أو فى الجمع فهو حال من اليوم أو صفة للمصدر

لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلا من رجلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عليه فلم يرد عليه أخرجه مسلم قال الترمذى انما يكره اذا كان على الغائط أو البول ويكره التسليم على من فى الحمام وقيل ان كانوا مترين بالمآزر سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلى والمؤذن والتالى فى حال الصلاة والاذان والتلاوة ويكره الابتداء بالسلام فى حال الخطبة لان الجالسين مأمورون بالانصات للخطبة ويكره ان يبدأ المتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلم بنفسه وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء

المسئلة الخامسة فى حكم السلام على اهل

الذمة اليهود والنصارى

اختلف العلماء فيه فذهب أكثرهم الى أنه لا يجوز ابتداءهم بالسلام وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه الى أضيقه أخرجه مسلم واذا سلم يهودى أو نصارى على مسلم فیرد عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن أنس ان يهوديا أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله أعلم سلم يابى الله قال لا ولكن قال كذا وكذا ردوه على فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم نبي الله فقال صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليكم أى عليك ما قلت أخرجه الترمذى فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لاننا نجاب عليهم فى الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه ناس من اليهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت ألم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانما نجاب عليهم ولا يجابون علينا أخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روى عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم أخرجه الترمذى قوله عز وجل ﴿ الله لا اله الا هو ليجمعنكم ﴾ هذه لام القسم تقديره والله الذى لا اله الا هو ليجمعنكم الله فى الموت وفى القبور ﴿ الى يوم القيمة ﴾ يعنى الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية فى منكرى البعث ﴿ لا ريب فيه ﴾

(الله) مبتدأ (لا اله الا هو) خبره أو اعتراض والخبر (ليجمعنكم) ومعناه الله والله ليجمعنكم (الى يوم القيمة) أى ليحشرنكم اليه والقيام كالطلاب والطلاب وهى قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين (لا ريب فيه) هو حال من يوم القيامة والهاء يعود الى اليوم أو صفة لمصدر محذوف أى جمالا ريب فيه والهاء يعوذ

ثم وحد نفسه فقال (الله لا اله الا هو ليجمعنكم) والله ليجمعنكم (الى يوم القيمة) ليوم القيامة فى البعث (لا ريب فيه) لا شك فيه

استفهام بمعنى النفي أى  
 لأحد اصدق مندق في اخباره  
 ووعده ووعيد لا استحالة  
 الكذب عليه لتبجح لكونه  
 اخبارا عن الشئ بخلاف  
 ما هو عليه (فالكلم) مبتدأ  
 وخبر (في المنافقين فئتين)  
 أى مالكم اختلفتم في شأن  
 قوم قد نافقوا نفاقا ظاهرا  
 وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم  
 لم تقطعوا القول بكفرهم  
 وذلك ان قوما من المنافقين  
 استأذنوا رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم في الخروج الى  
 البدر معتلين باجتواء المدينة  
 فلما خرجوا لم يزالوا راحلين  
 مرحلة مرحلة حتى لحقوا  
 بالمشركين فاختلف المسلمون  
 فيهم فقال بعضهم هم كفار  
 وقال بعضهم هم مسلمون  
 وفئتين حال كقولك مالك  
 قائما قال سيويه اذا قلت  
 مالك قائما فمنا لم قلت  
 ونصبه على تأويل أى شئ  
 يستقرك في هذه الحال  
 (والله أركسهم) ردهم الى  
 حكم الكفار

(ومن اصدق من الله حديثا)  
 قولاً ثم نزلت في عشرة  
 نفر من المنافقين الذين  
 ارتدوا عن الاسلام  
 ورجعوا من المدينة الى  
 مكة فقال (فالكلم) يامعشر  
 المؤمنين صرتم (في المنافقين)

﴿ ومن اصدق من الله حديثا ﴾ انكار أن يكون أحدا أكثر صدقا منه فإنه لا يتطرق الكذب  
 الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال ﴿ فالكلم في المنافقين ﴾ فالكلم تفرقتم في أمر المنافقين  
 ﴿ فئتين ﴾ أى فرقتين ولم تنفقا على كفرهم وذلك أن ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى  
 تعالى عليه وسلم في الخروج الى البدر لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة  
 مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم  
 أحد أو في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن أو قوم  
 اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملهاكم كقولك مالك قائما  
 وفي المنافقين حال من فئتين أى متفرقتين فيهم أو من الضمير أى فالكلم تفرقتون فيهم  
 ومعنى الافتراق استفاد من فئتين ﴿ والله أركسهم ﴾

يعنى لاشك في ذلك اليوم انه كائن ﴿ ومن اصدق من الله حديثا ﴾ يعنى لأحد اصدق  
 من الله فإنه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى ان القيامة كأنه لاشك فيها  
 ولا ريب ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فالكلم في المنافقين فئتين ﴾ اختلفوا في سبب نزول  
 هذه الآية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض أصحاب  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقاتلهم يارسول الله فانهم منافقون  
 وقال بعضهم اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام ﴿ ق ﴾ عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال  
 لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد رجع ناس من خرج معه فكان أصحاب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة تقتلهم وقالت فرقة لا تقتلهم فنزلت فالكلم في المنافقين  
 فئتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفى الرجال كائنى الكبر خبث الحديد  
 وقيل نزلت في قوم خرجوا الى المدينة وأسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في الخروج الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا وأتاموا بكرة فاختلف المسلمون  
 فيهم فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا  
 المدينة وأسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتزهرين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اناعلى الذى فارقناك عليه من الايمان ولكننا اجتوبنا بالمدينة  
 واشتقنا الى أرضنا ثم انهم خرجوا في تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم  
 نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذنا معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون  
 قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو  
 ساكت لا ينهى أحدا الفريقين فنزلت هذه الآية وقيل نزلت في قوم أسلموا بكرة ولم يهاجروا  
 وكانوا يظهرون المشركين وقيل نزلت في عبدالله بن أبى بن سلول المنافق لما تكلم في  
 حديث الافك ومعنى الآية فالكلم يامعشر المؤمنين في المنافقين فئتين أى صرتم في أسهم  
 فرقتين فرقة تذب عنهم وفرقة تبانهم وتعاد بهم فسمى الله الفرقة الذين يذبون عنهم وأمر  
 المؤمنين جميعا أن يكون على منهاج واحد في التبان لهم والتبرؤ منهم ثم أخبر عن كفرهم  
 بقوله ﴿ والله أركسهم ﴾ يعنى نكسهم في كفرهم وارتدادهم ورددهم الى أحكام الكفار

الذين ارتدوا عن الاسلام (فئتين) فرقتين فرقة تحل أموالهم ودماهم وفرقة تحرم (والله أركسهم) ردهم الى الشرك

( بما كسبوا ) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردوهم أيضا ولا تحتلفوا في كفرهم ( اريدون ان يهدوا ) ان يجعلوا من جملة المهتدين ( من أضل الله ) من جعله الله ضالاً أو أزيدون أن سموهم مهتدين وقد أظهر الله ضلالهم فيكون تعبير المن سماهم مهتدين والآية تدل على مذهبنا في اثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته ( ومن يضل الله فلن تجده سبيلاً ) طريقاً الى الهداية ( ودوا وتكفرون كما كفروا ) الكاف نفت لمصدر محذوف وما مصدبة أى ودوا لوتكفرون كفرا مثل { الجزء الخامس } كفرهم ( فتكونون ) ﴿ ١٣٢ ﴾ عطف على تكفرون ( سواء )

بما كسبوا ﴿ ﴾ رداهم الى حكم الكفرة أو نكسبهم بان صيرهم للنار وأصل الركب رد الشيء مقلوباً ﴿ ﴾ أزيدون أن تهدوا من أضل الله ﴿ ﴾ ان يجعلوه من المهتدين ﴿ ﴾ ومن يضل الله فلن تجده سبيلاً ﴿ ﴾ الى الهدى ﴿ ﴾ ودوا لوتكفرون كما كفروا ﴿ ﴾ تنو ان تكفروا ككفرهم ﴿ ﴾ فتكونون سواء ﴿ ﴾ فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التثنية لجاز ﴿ ﴾ فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ﴿ ﴾ فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما أمر بسلوكم ﴿ ﴾ فان تولوا ﴿ ﴾ عن الايمان الظاهر بالهجرة أو عن اظهار الدين ﴿ ﴾ فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴿ ﴾ كسائر الكفرة ﴿ ﴾ ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ﴿ ﴾ أى جانبوهم رأساً ولا تقبلوا منهم ولا ية ولا نصرة ﴿ ﴾ الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴿ ﴾

﴿ ﴾ بما كسبوا ﴿ ﴾ أى بسبب ما اكتسبوا من أعمالهم الخبيثة وقيل بما ظهروا من الارتداد بعدما كانوا على النفاق ﴿ ﴾ أزيدون أن تهدوا من أضل الله ﴿ ﴾ هذا خطاب للفتنة التي دافعت عن المنافقين والمعنى أبتغون أيها المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين أضلهم الله عن الهدى ﴿ ﴾ ومن يضل الله ﴿ ﴾ يعنى عن الهدى ﴿ ﴾ فلن تجده سبيلاً ﴿ ﴾ يعنى فلن تجده طريقاً تهديه فيها الى الحق والهدى ﴿ ﴾ قوله عز وجل ﴿ ﴾ ودوا ﴿ ﴾ يعنى تمى أولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر ﴿ ﴾ لوتكفرون ﴿ ﴾ يعنى تكفرون اتم يامعشر المؤمنين ﴿ ﴾ كما كفروا فتكونون سواء ﴿ ﴾ في الكفر ﴿ ﴾ فلا تتخذوا منهم أولياء ﴿ ﴾ يعنى من الكفار منع المؤمنين من موالاتهم ﴿ ﴾ حتى يهاجروا ﴿ ﴾ يعنى يسلموا أو يهاجروا ﴿ ﴾ في سبيل الله ﴿ ﴾ معكم وهى هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة اوجه الاولى هجرة المؤمنين في أول الاسلام من مكة الى المدينة الثانية هجرة المؤمنين وهى الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكي الله عنهم وفي هذه الآية منع المؤمنين من موالاته المنافقين حتى يهاجروا والهجرة الثالثة هجرة المؤمنين ما نهى الله عنه بقوله ﴿ ﴾ فان تولوا ﴿ ﴾ يعنى فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الإقامة على الكفر ﴿ ﴾ فخذوهم ﴿ ﴾ الخطاب للمؤمنين أى خذوهم أيها المؤمنون ﴿ ﴾ واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴿ ﴾ يعنى أين وجدتموهم في الحل والحرم ﴿ ﴾ ولا تتخذوا منهم ولياً ﴿ ﴾ يعنى في هذا الحالة ﴿ ﴾ ولا نصيراً ﴿ ﴾ يعنى ينصركم على اعدائكم لانهم اعداء ثم استثنى الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى ﴿ ﴾ الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴿ ﴾ هذا الاستثناء يرجع

أى مستوين أتم وهم في الكفر ( فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله ) فلا توالوهم حتى يؤمنوا لان الهجرة في سبيل الله بالاسلام ( فان تولوا ) عن الايمان ( فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ) كما كان حكم سائر المشركين ( ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ) وان بدأوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم ( الا الذين يصلون الى قوم ) أى يتهنون اليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاته ( بينكم وبينهم ميثاق )

( بما كسبوا ) بنفاقهم وخبت نياتهم ( أزيدون أن تهدوا ) أن ترشدوا الى دين الله ( من أضل الله ) عن دينه ( ومن يضل الله ) عن دينه ( فلن تجده سبيلاً ) ديناً ولا جهة ( ودوا ) تمنوا ( لوتكفرون ) بحمدوا القرآن ( كما كفروا ) فتكونون معهم ( سواء )

شرعاً في دين الشرك ( فلا تتخذوا منهم أولياء ) في الدين والعدون والنصرة ( حتى يهاجروا ) حتى يؤمنوا مرة أخرى ( الى ) ويهاجروا ( في سبيل الله ) في طاعة الله ( فان تولوا ) عن الايمان والهجرة ( فخذوهم ) فأسروهم ( واقتلوهم ) حيث وجدتموهم في الحل والحرم ( ولا تتخذوا منهم ولياً ) في الدين والعدون والنصرة ( ولا نصيراً ) ما نعتهم استثنى فقال ( الا الذين يصلون ) يرجعون يعنى من العشرة ( الى قوم ) يعنى قوم هلال بن عويمر الاسلمى ( بينكم وبينهم ميثاق ) عهد و صلح

اتقومهم. الاسليون كان  
بينهم وبين رسول الله صلى  
الله عليه وسلم عهد وذلك  
انه واذع قبل خروجه  
الى مكة هلال بن عويمر  
الاسلمى على ان لا يعينه ولا  
يعين عليه وعلى أن من وصل  
الى هلال. والتجأ اليه فله  
من الجوار مثل الذى لهلال  
أى فاقتلوهم الامن اتصل  
بقوم بينكم وبينهم ميثاق  
(أوجاؤكم) عطف على  
صفة قوم أى الا الذين  
يصلون الى قوم معاهدين  
أو قوم ممسكين عن القتال  
لاكم ولا عليكم أو على  
صلة الذين أى الا الذين  
يتصلون بالمعاهدين  
أو الذين لا يقاتلوا نكم  
(حصرت صدورهم)  
حال باضممار قدوا الحصر  
الضيق والانقباض (أن  
يقاتلواكم) عن أن يقاتلواكم  
أى عن قتالكم (أو يقاتلوا  
قومهم) معكم  
(أوجاؤكم) وقد جاؤكم  
يعنى قوم هلال (حصرت  
صدورهم) ضاقت قلوبهم  
من شدة النفقة بسبب العهد  
(أن يقاتلواكم) لقبيل العهد  
(أو يقاتلوا قومهم) لقبيل

استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم أى الا الذين يتصلون ويتنهون الى قوم عاهدوكم  
ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسليون فانه عليه الصلاة والسلام  
وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه  
ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنوبكر بن زيدمنة (أوجاؤكم) عطف  
على الصلاة أى أو الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقاتل قومهم استثنى من المأمور بأخذهم  
وقتلهم من ترك المحاربين فلتحق بالمعاهدين أو أى الرسول وكف عن قتال الفريقين أو على  
صفة قوم وكأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين أو قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول  
أظهر لقوله فان اعتزلوكم «وقرى» بغير العاطف على انه صفة بعد صفة أو بيان ليصلون  
واستئناف (حصرت صدورهم) حال باضممار قد وبدل عليه انه قرى حصرت  
وحصرات أو بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف أى جاؤكم قوما حصرت صدورهم  
وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض  
(أن يقاتلواكم أو يقاتلوا قومهم) أى عن ان أولان أو كراهة

الى القتل لا الى الموالاة لان الموالاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال ومعنى يصلون يتسبون  
اليهم أو يثمنون اليهم أو يدخلون معهم بالخلف والجوار وقال ابن عباس رضى الله عنهما  
يريد الجئون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أى عهدهم الاسليون وذلك ان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمى عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه  
ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجأ اليه فله الجوار مثل ما لهلال وفى  
رواية عن ابن عباس قال أراد بالقوم الذى بينكم وبينهم ميثاق بنى بكر بن زيد مناة كانوا  
فى الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى ان من دخل فى عهد من كان داخلا فى عهدكم فهم  
أيضا داخلون فى عهدكم (أوجاؤكم حصرت صدورهم) يحتمل ان يكون عطف على الذين  
وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين أو يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم  
وقيل يحتمل ان يكون عطف على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم  
عهد أو يصلون الى قوم حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت أى ضاقت  
صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم  
أقاربهم وهم بنو مدلج وكانوا عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا أن لا يقاتلواهم  
(أن يقاتلواكم) يعنى ضاقت صدورهم عن قتالكم لله الذى بينكم وبينهم (أو يقاتلوا  
قومهم) يعنى من آمن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلوا نكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم  
فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال الاسليون وبنو بكر  
نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوى  
عهد فله حكمهم فى حقن الدم وذلك ان الله تعالى أوجب قتال الكفار الامن كان  
مهاددا أو لجأ الى معاهد أو ترك القتال لانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول  
بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين معاهدة

(ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بتقوية قلوبهم وازاله الحصر عنها (فلقاتلوكم) عطف على لسلطهم ودحول اللام لنا كيد (فإن اعتزلوكم) فإن لم يتعرضوا لكم (فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم) أى الانقياد والاستسلام (فاجعل الله لكم عليهم سييلا) طريقا الى القتال { الجزء الخامس } (ستجدون آخرين) يريدون أن يأمنوكم) بالفاق (ويأمنوا

ان يقاتلوكم \* ولو شاء الله لسلطهم عليكم \* بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال  
الرب عنهم \* فلقاتلوكم \* ولم يكفوا عنكم \* فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم \* فإن لم  
يتعرضوا لكم \* والقوا اليكم السلم \* الاستسلام والانقياد \* فاجعل الله لكم عليهم  
سييلا \* فاذن لكم في أخذهم وقتلهم \* ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا  
قومهم \* هم أسد وغطفان وقيل بنو عبدالدار اتوا المدينة واطهروا الاسلام ليأمنوا  
المسلمين فلما رجعوا كفروا \* كما ردوا الى الفتنة \* دعوا الى الكفر أو الى قتال المسلمين  
\* اركسوا فيها \* عادوا اليها وقلبوا فيها اقع قلب \* فإن لم يعتزلوكم وبلقوا اليكم السلم \*  
وينذوا اليكم العهد \* ويكفوا أيديهم \* عن قتالكم

المشركين ومواد عثم في هذه الآية منسوخة بآية السيف وذلك لان الله تعالى لما  
أعز الاسلام واهله أسر ان لا يقبل من مشركى العرب الا الاسلام أو القتل \* ولو  
شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم \* يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف بأس المعاهدين  
وذلك لما ألقى الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى التسلط هنا تقوية  
قلوبهم على قتال المسلمين ولكن كذف الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين  
\* فإن اعتزلوكم \* يعنى فان اعتزلوكم عن قتالكم \* فلم يقاتلوكم \* ويقال فلم يقاتلوكم  
يوم فتح مكة مع قومهم \* والقوا اليكم السلم \* يعنى الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا  
\* فاجعل الله لكم عليهم سييلا \* يعنى بالقتل والقتال قال بعض المفسرين هذا  
منسوخ بآية القتال وهى قوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هى  
غير منسوخة لانا اذا جئناها على المعاهدين فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة \* قوله  
عز وجل \* ستجدون آخرين \* قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اسد وغطفان كانوا  
من حاضرى المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم  
يقول له قومه بماذا آمنت يقول آمنت بهذا القرد والعقرب والخنفساء واذ القوا أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الأمن من الفريقين  
وفى رواية أخرى عن ابن عباس انها نزلت فى بنى عبدالدار وكانوا بهذه الصفة  
\* يريدون ان يأمنوكم \* يعنى يريدون باظهار الايمان ان يأمنوكم فلا تعرضوا لهم  
\* ويأمنوا قومهم \* يعنى باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم \* كلما ردوا الى الفتنة \*  
يعنى كلما دعوا الى الشرك \* اركسوا فيها \* رجعوا الى الشرك وقادوا اليه  
منكوسين على رؤسهم فيه \* فإن لم يعتزلوكم \* يعنى فإن لم يكفوا عن قتالكم حتى  
يسيروا الى مكة \* وبلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم \* أى ولم يلقوا الصلح

قومهم) بالوفاق هم قوم  
من اسد وغطفان كانوا  
اذا اتوا المدينة اسلموا  
وعاهدوا ليأمنوا المسلمين  
فاذا رجعوا الى قومهم  
كفروا ونكثوا عهودهم  
(كلاردوا الى الفتنة) كلا  
دعاهم قومهم الى قتال  
المسلمين (اركسوا فيها)  
قلوبها فيها اقع قلب واشغنه  
وكانوا شرا فيها من كل  
عدو (فإن لم يعتزلوكم)  
فان لم يعتزلوا قتالكم (ويلقوا  
اليكم السلم) عطف على  
لم يعتزلوكم أى وان لم ينقادوا  
لكم بطلب الصلح (ويكفوا  
أيديهم) عطف عليه ايضا

القراية ( ولو شاء الله  
لسلطهم) يعنى قوم هلال  
ابن عويمر (عليكم) يوم فتح  
مكة ( فلقاتلوكم) مع  
قومهم (فإن اعتزلوكم)  
تركوكم (فلم يقاتلوكم) مع  
قومهم يوم فتح مكة (والقوا  
اليكم السلم) خضعوا لكم  
بالصلح والوفاء (فاجعل الله  
لكم عليهم سييلا) حجة بالقتل  
(ستجدون آخرين) من  
غيرهم من غير قوم هلال

أسد وغطفان) يريدون أن يأمنوكم) ان يأمنوا منكم على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم بلا اله الا الله (ويأمنوا قومهم) (ولم)  
من قومهم بالكفر (كلاردوا الى الفتنة) دعوا الى الشرك (أركسوا فيها) رجعوا اليه (فان لم يعتزلوكم) فان لم يتركوكم يوم  
فتح مكة ( وبلقوا اليكم السلم) ولم يخضعوا لكم بالصلح (ويكفوا أيديهم)

حيث ثقتموهم ( حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم ( وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ) حجة واضحة لظهور عدائهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم بالمسلمين أو تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتالهم ( وما كان لمؤمن ) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله ( أن يقتل مؤمنا ) ابتداء من غير قصاص أى ليس المؤمن كالكافر الذى تقدم اباحة دم ( الاخطأ ) الاعلى وجه الخطأ وهو استثناء منقطع بمعنى لكن أى لكن ان وقع خطأ ويحتمل ان يكون صفة لمصدر أى الاقتل خطأ والمعنى من شأن المؤمن ان ينتفى عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمى كافرا فيصيب مسلما ويرمى شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم ولم يكفوا ايديهم عن قتالكم يوم فتح مكة ( فخذوهم ) وأسروهم ( واقتلوهم ) حيث ثقتموهم ( وجدتموهم ) في الحل والحرم ( وأولئك ) جعلنا لهم سلطانا مبينا ) حجة

﴿ فخذوهم واقتلوهم حيث ثقتموهم ﴾ حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض ﴿ وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ﴾ حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عدائهم ووضوح كفرهم وغدرهم وتسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتالهم ﴿ وما كان لمؤمن ﴾ وما صح له وليس من شأنه ﴿ أن يقتل مؤمنا ﴾ بغير حق ﴿ الاخطأ ﴾ فانه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أى لا يقتله في شئ من الاحوال الاحال الخطأ أو لا يقتله لعله الا لخطأ أو على انه صفة مصدر محذوف أى الاقتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع أى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر واخطأ مالا يضامه القصد الى الفعل أو الشخص أو مالا يقصده زهوق الروح غالبا أو مالا يقصده محذور كرمى المسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه أو يكون فعل غير المكلف \* وقرئ خطأ بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهزلة والآية نزلت في عياش ابن ابي ربيعة أخى ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر

ولم يكفوا عن قتالكم ﴿ فخذوهم ﴾ يعنى اسرى ﴿ واقتلوهم حيث ثقتموهم ﴾ يعنى حيث ادر كتموهم ﴿ وأولئك ﴾ يعنى أهل هذه الصفة ﴿ جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ﴾ يعنى حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هى ظهور عدائهم وانكشاف حالهم بالكفر والعداوة ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ﴿ الآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في أطم من أطامها والاطم الحصن فجزعت أمه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنها الحرث وأبي جهل ابني هشام وهما أخوا عياش ابن ابي ربيعة لأمه والله لا يظننى سقف ولا ادوق طعاما ولا شربا حتى تأتياى به فخرجا في طلبه وخرج معهما الحرث بن زيد بن ابي أنسية حتى أتوا المدينة فأتوا عياشا وهو في الاطم فقالوا انزل فان أمك لم يؤؤوها سقف بمدك وقد حلفت لاتأكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شئ يحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع أمه وأوثقوا له المهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة وأوثقوه بنسعة وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدوا به على أمه فلما اتاها قالت لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذى آمنت به ثم تركوه موثوقا في الشمس ماشاء الله فاعطاهم الذى ارادوا فأتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش أهذا الذى كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لألثاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا سلم بعد ذلك وهاجر وأسلم الحرث بن زيد من بعده وهاجر الى رسول صلى الله عليه وسلم ولبس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينما عياش يسير

بينه بالقتل ( وما كان لمؤمن ) ماجاز لمؤمن عياش بن ابي ربيعة ( أن يقتل مؤمنا ) حارث بن زيد ( الاخطأ ) ولا خطأ



(ومن قتل مؤمناً خطأ) صفة مصدر محذوف أى قتلاً خطأ (فحريز رقة) مبتدأ والخبر محذوف أى فعلية تحريز رقة والتحرير الاعتاق والحرو العتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها والرقة النسمة ويعبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك كذا رأساً من الرقيق (مؤمنة) قيل لما أخرج نفساً مؤمنة من جملة الاحياء لزمه أن يدخل نفساً مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كأحيائها من قبل ان الرقيق ملحق بالاموات اذ الرق اثر من آثار الكفر والكفر موت حكماً ومن كان ميتاً فاحيائه ولهذا منع من تصرف الاحرار وهذا مشكل اذ لو كان كذلك لوجب { الجزء الخامس } في الصمد ايضا ١٣٦ لكن يحتمل ان يقال انما وجب

عليه ذلك لان الله تعالى ابقى للقاتل نفساً مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فوجب عليه مثلها رقة مؤمنة (ودية مسلمة الى أهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لافرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال وقدرت رسوالله صلى الله عليه وسلم امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل (الا أن يصدقوا) الا ان يصدقوا عليه بالدية أى يعفو عنه والتقدير فعلية دية في كل حال الا في حال التصديق عليه بها (فأن كان من قوم عدولكم) فان كان المقتول خطأ من

به عياش فقتله ومن قتل مؤمناً خطأ فحريز رقة أى فعلية أو فواجه تحريز رقة والتحرير الاعتاق والحرو العتيق للكريم من اشيم ومنه حرى الوجه لآكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار واللؤم في العبيد والرقة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى أهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر الموارث لقول صحابك بن سفيان الكلابي كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنى ان أورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهى على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله (الا أن يصدقوا) الا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثاً عليه وتبنيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسئلة أى تجب الدية عليه أو يسلمها الى أهله الاحال تصدقهم عليه أو زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل أو الاهل أو الظرف فأن كان من قوم عدولكم وهو مؤمن فحريز رقة مؤمنة أى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين أو في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه

بظهر قباء اذ لقي الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش أى شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله انه كان من أمرى وأمر الحرث ما قد علمت وانى لم أشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً خطأ ومعنى الآية وما كانت لمؤمن ان يقتل مؤمناً لئبته وما كان له سبب جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله الا خطأ استئناف منقطع معناه لكن ان وقع خطأ فحريز رقة وقيل معناه ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً لئبته الا ان يخطئ المؤمن فكفارة خطأ ما ذكر من بدو الخطأ فعل الشيء من غير قصد وتمهيد ومن قتل مؤمناً خطأ فحريز رقة مؤمنة يعنى فعلية اعتاق رقة مؤمنة كفارة ودية مسلمة الى أهله أى وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتل الذين يرثونه (الا أن يصدقوا) يعنى الا أن يتصدق أهل القتل بالدية ويعفو عنه فأن كان يعنى المقتول من قوم عدولكم وهو مؤمن فحريز رقة مؤمنة أرادانه

قوم اعداء لكم أى كفرة فالعدو يطلق على الجمع (وهو مؤمن) أى المقتول مؤمن (فحريز رقة مؤمنة) يعنى اذا اسلم (اذا) الحربى في دار الحرب ولم يهاجر اليها فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤتممة وهى الاسلام ولا تجب الدية لان العصمة المقومة بالدار ولم توجد

(ومن قتل مؤمناً خطأ) بخطأ (فحريز رقة مؤمنة) فعلية عتق رقة مؤمنة بالله ورسوله (ودية مسلمة) كاملة (الى أهله) تؤدى الى أولياء المقتول (الا أن يصدقوا) الا أن يصدقوا أولياء المقتول بالدية على القاتل (فأن كان) المقتول (من قوم عدولكم) حرب لكم (وهو مؤمن) يعنى المقتول (فحريز رقة مؤمنة) فعلى القاتل عتق رقة مؤمنة بالله ورسوله وليس عليه الدية و كان الحارث من قوم كانوا احاربوا رسول الله صلى الله عليه

(وَأَنْ كَانَ) أَيِ الْمَقْتُولِ (مِنْ قَوْمٍ) ﴿١٣٧﴾ بَيْنَكُمْ (بَيْنَ) {سُورَةُ النِّسَاءِ} الْمُسْلِمِينَ (وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ)

عهد) فدية مسلمة إلى أهله  
وتحرير رقبة مؤمنة) أي  
وان كان المقتول ذميا  
فحكمه حكم المسلم وفيه  
دليل على ان دية الذمي  
كدية المسلم وهو قولنا (فن لم  
يجد) رقبة أي لم يملكها  
ولا ما يتوصل به اليها  
(فصيام شهرين) فعليه  
صيام شهرين (متتابعين  
توبة من الله) قبولاً من الله  
ورحمة منه من تاب الله عليه  
اذقبل توبته يعني شرع  
ذلك توبة منه أو فليتب  
توبة فهي نصب على المصدر  
(وكان الله عليماً) بما أمر  
(حكيماً) فيما قدر

(وان كان) المقتول  
(من قوم بينكم وبينهم  
ميثاق) عهد و صلح (فدية  
مسلمة) كاملة (إلى أهله)  
تؤدي إلى أولياء المقتول  
(وتحرير رقبة مؤمنة)  
وعليه عتق رقبة موحدة  
مصدقة بتوحيد الله (فن  
لم يجد) التحرير (فصيام  
شهرين متتابعين) فعليه  
صيام شهرين متواصلين  
لا يفرق في صيامه بين يومين  
(توبة من الله) تجاوزاً  
من الله لقاتل الخطأ أن فعل  
ذلك (وكان الله عليماً) بقاتل  
الخطأ (حكيماً) فيما حكم  
عليه \* ثم نزل في شأن  
مقيس بن صباة قاتل رسول  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم الفهرى بعد أخذ دية أخيه هشام (قا وخا ١٨ في)

فعل قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثه بينه وبينهم ولانهم محاربون ﴿١٣٧﴾ وأن  
كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ﴿١٣٧﴾ أي وان  
كان من قوم كفرة معاهدين أو أهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة  
والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهداً أو كان له وارث مسلم ﴿١٣٧﴾ فن لم يجد ﴿١٣٧﴾ رقبة بان  
لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها ﴿١٣٧﴾ فصيام شهرين متتابعين ﴿١٣٧﴾ فعليه أو فالواجب عليه  
صيام شهرين ﴿١٣٧﴾ توبة ﴿١٣٧﴾ نصب على المفعول له أي شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه  
اذا قبل توبته أو على المصدر أي وتاب الله عليكم توبة أو حال بحذف مضاف أي فعليه  
صيام شهرين ذاتوبة ﴿١٣٧﴾ من الله ﴿١٣٧﴾ صفتها ﴿١٣٧﴾ وكان الله عليماً ﴿١٣٧﴾ بحاله ﴿١٣٧﴾ حكيماً ﴿١٣٧﴾ فيما

اذا كان رجل مسلم في دار الحرب وهو مفرد مع قوم كفار قتلته من لم يعلم باسلامه  
فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه أنه اذا كان المقتول مسلماً في دار الاسلام  
وهو من نسب قوم كفار وأهله الذين يرثونه في دار الحرب وهم حرب للمسلمين  
ففيه الكفارة ولادية لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان  
فيه الكفارة تحرير رقبة مؤمنة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد  
﴿١٣٧﴾ وأن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴿١٣٧﴾ أي عهد ﴿١٣٧﴾ فدية مسلمة إلى أهله وتحرير  
رقبة مؤمنة ﴿١٣٧﴾ يعني أنه اذا كان المقتول كافراً معاهداً أو ذمياً فوجب فيه الدية والكفارة  
﴿١٣٧﴾ فن لم يجد ﴿١٣٧﴾ يعني الرقبة ﴿١٣٧﴾ فصيام شهرين متتابعين ﴿١٣٧﴾ أي فعليه صيام شهرين  
متتابعين بدلا عن الرقبة ﴿١٣٧﴾ توبة من الله ﴿١٣٧﴾ يعني جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ  
﴿١٣٧﴾ وكان الله عليماً ﴿١٣٧﴾ يعني عن قتل خطأ ﴿١٣٧﴾ حكيماً ﴿١٣٧﴾ يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

### فصل في أحكام تتعلق بالآية { وفيه مسائل } المسئلة الاولى في بيان صفة القتل

قال الشافعي القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد وخطأ أما العمد المحض فهو أن يقصد قتل  
انسان بما يقتل به غالباً فقتل به ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أو دية حاله مغلظة في مال  
القاتل وأما شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل بمثله غالباً مثل ان ضربه  
بعضاً خفيفة أو رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه وتجب عليه دية مغلظة على عاقلته  
مؤجلة إلى ثلاث سنين وأما الخطأ المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيئاً آخر فاصابه  
فمات منه فلا قصاص عليه وتجب فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين ومن صور  
قتل الخطأ أيضاً ان يقصد رمي مشرك أو كافر فيصيب مسلماً أو يقصد قتل انسان  
يظنه مشركاً بان كان عليه لباس المشركين أو شعارهم فالصورة الاولى خطأ في الفعل  
والثانية خطأ في القصد

### المسئلة الثانية في حكم الديات

فدية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عمدت الابل فوجب قيمتها من الدراهم أو الدنانير في قول وفي قول  
وسلم الفهرى بعد أخذ دية أخيه هشام (قا وخا ١٨ في)

بدل مقدر وهو الف دينار أو اثنا عشر ألف درهم ويدل على ذلك ما روى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار أو ثمانية آلاف درهم قال وكانت دية أهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيباً فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على أهل الذهب الف دينار وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاة ألفي شاة وعلى أهل الحلال مائتي حلة قال وترك دية أهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية أخرجه أبو داود فذهب قوم الى ان الواجب في الدية مائة من الابل أو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى انها مائة من الابل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي ودية المرأة نصف دية الذكر الحر ودية أهل الذمة والمهد ثلث دية المسلم ان كان كتابياً وان كان مجوسياً فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روى ذلك عن ابن مسعود وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول عمر بن عبدالعزيز وبه قال مالك واحمد والاصل في ذلك ما روى عن عمر بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر أخرجه أبو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل أهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى أخرجه النسائي فمن ذهب الى أن دية أهل الذمة ثلث دية المسلم أجاب عن هذا الحديث بان الاصل في ذلك كان النصف ثم رفعت زمن عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمي فبقيت على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة فوجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفه في بطونها وأولادها وهذا قول عمرو بن زيد بن ثابت وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي لما روى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متمداً دفع الى أولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا أخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفه وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقب بن أوس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم النخ فقال ألا وان قتيل العمد بالسوط والمصا والحجر مائة من الابل أربعون ثنية الى بازل عامها كاهن خلفه وفي رواية أخرى ألا ان كل قتيل خطأ العمد أو شبه العمد قتيل السوط والمصا مائة من الابل فيها أربعون في بطونها وأولادها أخرجه النسائي وذهب قوم الى أن الدية المغلظة أربع وخمسة وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعه واليه ذهب مالك وأحمد وأصحاب الرأي وأما دية الخطأ

أمر في شأنه ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم﴾

فمخفقة وهي اجناس بالاتفاق غير أنهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبدالعزيز وسليمان بن يسار والزهرى وربيعة وبه قال مالك والشافعى وأبدل قوم أبناء اللبون بنات المخاض يروون ذلك عن ابن مسعود وبه قال أجد وأصحاب الرأى والديدة في قتل الخطأ وشبه العمدة على العاقلة وهم العصابات من الذكور ولا يجب على الجاني مناشئ لان النبي صلى الله عليه وسلم أوجها على العاقلة ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين في كتب الفقه ودية أعضاء المرأة على النصف من دية أعضاء الرجل والله اعلم

### ﴿ المسئلة الثالثة في حكم الكفارة ﴾

الكفارة اعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلما أو معاهدا رجلا كان أو امرأة حرا كان أو عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا لرقبة أو قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة أو عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال الشهرين أو نسي النية أو نوى صوما آخر وجب عليه استئناف الشهرين وان افطر يوما بعذر مرض أو سفر هل ينقطع التابع اختلف العلماء فيه فمن قال ينقطع التابع وعليه استئناف الشهرين وهو قول النخعي وأظهر قول الشافعى لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التابع وعليه أن يبني وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والشعبى ولو حاضت المرأة في خلال الشهرين أفطرت ايام الحيض ولا ينقطع التابع فاذا طهرت بنت لانه أمر كتب الله تعالى على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينقل عنه الى الاطعام فيطعم مستين مسكينا ففيه قولان أحدهما انه ينقل الى الاطعام كما في كفارة الظهر والثاني لا ينقل لان الله تعالى لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فندس على الصوم وجعل ذلك عقوبة لقتل الخطأ والله اعلم ﴿ قوله عز وجل ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم ﴾ نزلت في مقيس بن صبابة الكنانى وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أياه هشاما قتيلا في بنى النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فإرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بنى فهر الى بنى النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان تعلموا ان قتله هشام بن صبابة ان تدفعوه الى أخيه مقيس فيقتل منه وان لم تعلموه اذفموا اليه دية قبلتهم الفهرى ذلك فقالوا اسما وطاعة لله ولرسوله ما نعلمه قاتلا ولكننا نؤدى اليه دية فاعطوه مائة من الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال له تقبل دية اخيك لتكون عليك سبة اقل الفهرى الذى معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا من الابل وساق بقيته راجعا الى مكة

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا)  
حال من ضمير القاتل أى  
قاصدا قتله لا يمانه وهو كفر  
أو قتله مستحلا لقتله وهو كفر  
أيضا ( فجزاؤه جهنم )  
(ومن يقتل مؤمنا متعمدا)  
بقتله ( فجزاؤه جهنم )

خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما ﴿لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عدا ولعله اراد به التشديد اذ روى عنه خلافة والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا إما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بنى النجار ولم يظهر قتاله فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديتهم فدفعوا اليه ثم جل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا أو المراد بالخلود الملكة الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم

خالدا فيها) أى ان جازاه قال عليه السلام هي جزاؤه ان جازاه والخلود تقدير ابدته طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الايمان يخالف قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى (وغضب الله عليه ولعنه) أى انتقم منه وطرده من رحته (واعده عذابا عظيما) لا ارتكابه أمرا عظيما وخطبا جسيما في الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم

كافرا وقال في ذلك

قتلت به فهرا وجلت عقله \* سراة بنى النجار أرباب قارع  
وادركت ثأرى واضطجعت موسدا \* وكنت الى الاصنام أول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مؤمنا متعمدا يعنى قاصدا لقتله فجزاؤه جهنم ﴿خالدا فيها﴾ يعنى بكفره وارتداده وهو الذى استثناءه النبي صلى الله عليه وسلم يوم قبح مكة عن أمنه من أهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة ﴿وغضب الله عليه﴾ يعنى لاجل كفره وقتله المؤمن متعمدا ﴿ولعنه﴾ يعنى وطرده عن رحته ﴿واعده عذابا عظيما﴾ اختلف العلماء فى حكم هذه الآية هل هى منسوخة أم لا وهل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة أم لا فروى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ألن قتل مؤمنا متعمدا من توبة قال لا قتلوت عليه الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق الى آخر الآية قال هذه آية مكية نسختها آية مدنية ومن يقتل مؤمنا متعمدا جزاؤه جهنم وفى رواية قال اختلف أهل الكوفة فى قتل المؤمن فرحلت الى ابن عباس فقالت نزلت فى آخر ما نزل ولم ينسخها شئ وفى رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يعنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التى حرم الله واتينا الفواحش فأنزل الله تعالى الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الآية زاد فى رواية فاما من دخل فى الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له أخرجه فى الصحيحين وروى عن علي بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه ناظر ابن عباس فى هذه الآية فقال من أين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاتف الوعيد فيها وقال ابن مسعود انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول أنزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا جزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله اله آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق بستة أشهر أخرجه أبو داود والنسائى وزاد النسائى فى رواية ثمانية اشهر وقال زيد بن ثابت لما نزلت هذه الآية التى فى الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر عجبت من لينا فلبنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فسححت

بقتله (خالدا فيها) بشركه (وغضب الله عليه) بأخذه الدية (ولعنه) بقتله غير قاتل أخيه (واعده عذابا عظيما) شديدا بجرأته على الله ثم نزل فى شأن اسامة بن زيد قاتل مرداس بن نزيك الفزارى وكان مؤمنا فنزل فيه

الينة وأراد بالغلظة هذه الآية التي في سورة النساء وبالينة آية الفرقان وذهب الاكثرون من علماء السلف واختلف الى ان هذه الآية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسخها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوي لان آية الفرقان نزلت قبل آية النساء والمتقدم لا ينسخ المتأخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية التي في النساء ايضا وهي قوله تعالى ان الله لا يفر ان يشرك به ويفر مادون ذلك لمن يشاء واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بان هذه الآية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور في الآية والنسخ لا يدخل الاخبار ولئن سلمنا انه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الآيتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك بان يحمل مطلق آية النساء على تقييد آية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الامن تاب وقال بعضهم ماورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل فهو كما روى عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم ندم وجاء تابا يقال له لك توبة وقيل انه قد روى عن ابن عباس مثله وروى عنه أيضا ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا واما السنة فاروى عن جابر بن عبد الله قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجدتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به شيئا دخل النار اخرجته مسلم (ق) عن عباد بن الصامت رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا بهتانا تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تصونى في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن اصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فامرهم الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك.

### فصل

وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على أن الفاسق يخلد في النار وأجاب علماء السنة بان الآية نزلت في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صباة فتكون الآية على هذا مخصوصة وقيل هذا الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحبل قتل مسلم كان كافرا وهو يخلد في النار بسبب كفره وعن أبي مجاز في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء الله أن يتجاوز عن جزاءه فعل أخرج أبو داود وقيل ان الخلود لا يقتضى التأبيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للأيام خوالد وذلك لطول مكثها للدوام بقاءها واذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله خالد بن فيها أبدا واذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم أن المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية ان الله تعالى يعذب قاتل المؤمن عمدا في النار الى حيث يشاء الله ثم يخرج منه بفضل رحته وكرمه فانه

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذضربتم في سبيل الله ﴾ سافرتهم وذهبتم للغزو ﴿ فتبينوا ﴾ فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتجملوا فيه \* وقرأ حجة والكسائي فتثبتوا في الموضوعين هنا وفي الحجرات من التثبت ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام ﴾ لمن حياكم بحجة الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحجة السلم بغير الالف أى الاستسلام والالتقياد وفسر به السلام

قد ثبت في أحاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جمع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المؤمن عدوا فانا اذا ناب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويفقر مادون ذلك لمن يشاء ولان الكفر أعظم من هذا القتل وتوبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين كفروا أن يتوبوا يغفر لهم ما قد سلف واذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل من القاتل أولى والله أعلم \* قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من بنى مرة بن عوف يقال له مرداس ابن نهيك وكان من أهل فذلهم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه وأقام ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فالجأ غنه الى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاها اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلتوه ارادة مامعه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الآية فقال اسامة استغفر لى يا رسول الله فقال كيف أنت بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فزال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرها حتى وددت أنى لم أكن أسلمت الا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعثق رقبة وروى أبو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا \* وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بنى سليم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتوذنكم فقاموا اليه فقتلوه وأخذوا غنمهم فأتوا بهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعنى اذا سافرتهم الى الجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الامر اذا تأملت قبل الاقدام عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الامر الذى تقدمون عليه ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام ﴾ يعنى التحية يعنى لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعودا فقددها عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما ظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام والالتقياد أى استسلم وانقاد لكم وقال لاله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد أى لا تقولوا

( يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله ) سرتهم في طريق الغزو ( فتبينوا ) فتثبتوا حجة وعلى وهمامن التفضل بمعنى الاستفعال أى اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتجملوا فيه ( ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام ) السلم مدنى وشامى وحجة وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذى هو تحية اهل الاسلام

( يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم ) خرجتم ( في سبيل الله ) في الجهاد ( فتبينوا ) تحققوا حتى يتبين لكم المؤمن من الكافر ( ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام ) لمن اسعكم لاله الا الله محمد رسول الله مع السلام

( لست مؤمنا ) في موضع النصب بالقول وروى ان مرداس بن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقى مرداس لثقتة باسلامه فلما رأى الخليل الجأ غنمه الى منحرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ١٤٣ ﴾ فوجد وجدنا { سورة النساء } شديدا وقال قتلتموه ارادة

ما معه ثم قرأ الآية على اسامة ( يتبتون ) عرض الحياة الدنيا ) تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاذ فهو الذي يدعوك الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه والعرض المال سمي به لسرعة فناءه و يتبتون حال من ضمير الفاعل في تقولوا ( فند الله مغنم كثيرة ) يغنكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له التأخذوا ماله ( كذلك كنتم من قبل ) أول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فصنعت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالستكم والكاف في كذلك خبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها ( فن الله عليكم ) بالاستقامة والاشهار بالايان فافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم ( فتبينوا ) كرر الامر بالتبين ليؤكد عليهم

أيضا ﴿ لست مؤمنا ﴾ وانما فعلت ذلك متعوذا \* وقرئ مؤمنا بالفتح أي مبدولاه الامان ﴿ يتبتون عرض الحياة الدنيا ﴾ تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاذ وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت ﴿ فند الله مغنم ﴾ لكم ﴿ كثيرة ﴾ تغنيكم عن قتل أمثاله ماله ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ أي أول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فصنعت بدماءكم وأموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنكم ﴿ فن الله عليكم ﴾ بالاشتهار بالايان والاستقامة في الدين ﴿ فتبينوا ﴾ وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا

لمن سلم عليكم ﴿ لست مؤمنا ﴾ يعني لست من أهل الايمان فقتلوه بذلك قال العلماء اذا رأى الغزاة في بلد أو قرية أوحى من العرب شعار الاسلام يجب ان يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روى عن عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا أو سرية يقول لهم اذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا أخرجه أبو داود والترمذي وقال أكثر الفقهاء لو قال اليهودي أو النصراني أنا مؤمن لا يحكم بإيمانه لانه يدعي أن الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فند بعض العلماء لا يحكم باسلامه حتى يتبرأ من دينه الذي كان عليه ويعترف انه دين باطل وذلك لان بعض اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب خاصة لأنه رسول الى كافة الخلق فاذا اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذي كان عليه من اليهود أو النصراني باطل صح اسلامه وحكم بحجته قوله عز وجل ﴿ يتبتون عرض الحياة الدنيا ﴾ يعني تطلبون الغنيمة التي هي من حطام الدنيا سرية النفاذ والذهاب وعرض الدنيا منافعا ومتاعها ﴿ فند الله مغنم كثيرة ﴾ أي غنائم كثيرة من رزقه يغنكموها يعنيكم بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن ﴿ كذلك كنتم من قبل ﴾ يعني كما كان هذا الذي ألقى اليكم السلام فقتلتموه لست مؤمنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعني من قبل ان يعز الله دينه كنتم تستخفون أنتم بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تحقروا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين ﴿ فن الله عليكم ﴾ يعني بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم باعلان الاسلام بعد الاختفاء وقيل من عليكم بالتوبة ﴿ فتبينوا ﴾ أي ولا تعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للاصر

( لست مؤمنا ) فقتلتموه ( يتبتون عرض الحياة الدنيا ) تطلبون بذلك ما كان معه من الغنائم ( فند الله مغنم كثيرة ) ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمن ( كذلك كنتم ) في قومكم تأمنون من المؤمنين من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالاله الا الله ( من قبل ) من قبل الهجرة ( فن الله عليكم ) بالهجرة من بين الكافرين ( فتبينوا ) فتثبتوا يقول قفوا حتى لا تقتلوا مؤمنا



( الجزء الخامس { خيرا } فلا تهاقوا ﴿ ١٤٤ ﴾ في القتل وكونوا محترزين

الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ﴿ أن الله كان بما تعملون خيرا ﴾ عالما به وبالغرض منه فلا تهاقوا في القتل واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فديك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخليل الجأ عنه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبروا كبروا ونزل وقال لاله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر رجل في غنمية فاراد قتله فقال لاله الا الله فقتله اسامة وقال ود لوفر بأهله وماله وفيه دليل على صحة ما ان المكروه وان المجتهد قد يخطئ وان خطأ معتق ﴿ لا يستوي القاعدون ﴾ عن الحرب ﴿ من المؤمنين ﴾ في موضع الحال من القاعدین أو من الضمير الذي فيه ﴿ غير أولى الضرر ﴾ بالرفع صفة للقاعدین لانه لم يقصد به قوم باعيانهم أو بدل منه • وقرأ نافع وابن عاصم والكسائي بالنصب على الحال أو الاستثناء • وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين أو بدل منه وعن زين بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير أولى الضرر فقال ابن أم مكتوب وكيف وأنا أعمرى فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوعدت فخذته على فخذي حتى خشيت ان ترصها ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ﴿ والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴾ أى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وقائده تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا

بالتبيين ﴿ أن الله كان بما تعملون خيرا ﴾ يعنى فلا تهاقوا في القتل وكونوا محترزين من ذلك محتاطين فيه ﴿ قوله عز وجل ﴾ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ﴿ الآية ﴾ ( خ ) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال أملى على النبي صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فجاءه ابن أم مكتوم وهو عليها على فقال والله يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمرى فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذته على فخذي فثقلت على حتى خفت ان ترص فخذي ثم سرى عنه فانزل الله عز وجل غير أولى الضرر ﴿ ق ﴾ عن البراء بن عازب رضى الله عنه لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر وفي رواية اخرى لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوحي والكتف فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله أنا ضرير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون

( من المؤمنين )

في سبيل الله بأموالهم ) بنفقة أموالهم ( وأنفسهم

( أن الله كان بما تعملون ) لا يستوي محتاطين في ذلك ( لا يستوي القاعدون ) عن الجهاد ( من المؤمنين غير أولى الضرر ) بالنصب مدنى وشامى وعلى لانه استثناء من القاعدین أو حال منهم وبالجر عن حزة صفة للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدین والضرر المرض أو العاهة من عى أو عرج أو زمانة أو نحوها ( والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ) عطف على القاعدون ونفى التساوى بين المجاهد والقاعد بغير عذر وان كان معلوما توبىخا للقاعد عن الجهاد وتحريكها له عليه ونحوه هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل ( أن الله كان بما تعملون ) من القتل وغيره ( خيرا ) ثم بين ثواب المجاهدين فقال ( لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن الجهاد غير أولى الضرر ) الشدة والضعف بالبدن والبصر مثل عبد الله ابن أم مكتوم وعبد الله ابن جحش الاسدى بخروج أنفسهم ( والمجاهدون

(فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الاولى موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك (درجة) نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضلة كقولك ضربه سوطا ونصب ( وكلا ) أى وكل فريق من القاعدين والمجاهدين لانه مفعول أول لقوله ( وعدا لله ) والثاني (الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة (فضل الله المجاهدين على القاعدين) بغير عذر (أجر عظيم) بغير عذر (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين) بغير الضرر (درجة) فضيلة (وكلا) كلا الفريقين المجاهدين والقاعدين (وعدا لله الحسنى) الجنة بالايمان (فضل الله المجاهدين) بالجهاد (على القاعدين) بغير عذر (أجر عظيم) ثوابا وافرًا فى الجنة (درجات منه) فضائل من الله فى الدرجات

لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته ﴿ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴾ جملة موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض أى بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه والحال بمعنى ذوى درجة ﴿ وكلا ﴾ من القاعدين والمجاهدين ﴿ وعدا لله الحسنى ﴾ المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلص نيهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب ﴿ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجر عظيم ﴾ نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجرا أو المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كأنه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما ﴿ درجات منه من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول وأضافها الى البخارى ومسلم ولم أجدها فى كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدى وفى هذه الآية فضل الجهاد فى سبيل الله والحث عليه فتوله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين. يعنى لا يعدل المخلفون عن الجهاد فى سبيل الله من المؤمنين المجاهدين فى سبيل الله غير اولى الضرر يعنى اولى الزمانة والضعف فى البدن والبصر فانهم يساؤون المجاهدين لان العذر اقدمهم عن الجهاد ( م ) عن جابر رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال رسول صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجلا ما سرت مسير او لا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض ( خ ) عن انس رضى الله عنه قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر ( ح ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها ﴿ وقوله عز وجل ﴾ فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ﴿ يعنى فضيلة فى الآخرة قال ابن عباس أراد بالقاعدين هنا اولى الضرر فضل الله المجاهدين على اولى الضرر درجة لان الجهاد باشر الجهاد بنفسه وماله مع التية وأولو الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فتزلوا عن المجاهدين درجة ﴿ وكلا ﴾ يعنى كلاما من المجاهدين والقاعدين ﴿ وعدا لله الحسنى ﴾ يعنى الجنة بايمانهم ﴿ وفضل الله المجاهدين ﴾ يعنى فى سبيل الله ﴿ على القاعدين ﴾ يعنى الذين لا عذر لهم ولا ضرر ﴿ أجر عظيم ﴾ يعنى ثوابا جزيلًا ثم فسر ذلك الاجرا العظيم فقال تعالى ﴿ درجات منه ﴾ قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة فى الاسلام درجة والجهاد فى الهجرة درجة والقتل فى الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هى سبع وهى التى ذكرها الله فى سورة براءة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيرز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضممر سبعين سنة ( م ) عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضى بالله رباً بالاسلام ديناً وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فتعجب لها أبو سعيد فقال أعدها على يا رسول الله فاعادها عليه ثم

ومغفرة ورجة ) قيل

انتصب اجرا بفضل لانه  
في معنى أجرهم أجرا  
ودرجات ومغفرة ورجة  
بدل من أجرا أو انتصب  
درجات نصب درجة  
كأنه قيل فضلهم تفضيلات  
كقولك ضربه اسواط أي  
ضربات وأجر اعظيما على  
انه حال من التكرة التي  
هي درجات مقدمة عليها  
مغفرة ورجة باضمار  
فعلهما أي وغفر لهم  
ورجهم مغفرة ورجة  
وحاصله ان الله تعالى فضل  
المجاهدين على القاعدين  
بعذر درجة وعلى القاعدين  
بغير عذر بأمر النبي عليه  
السلام اكتفاء بغيرهم  
درجات لان الجهاد فرض  
كفاية ( وكان الله غفورا )  
بتكفير العذر ( رحيم )  
بتوفير الاجر ونزل فيمن  
اسلم ولم يهاجر حين كانت  
الهجرة فريضة وخرج  
مع المشركين الى بدر مرتدا

( ومغفرة ) للذنوب ( ورجة )

من العذاب ( وكان الله  
غفورا ) لمن تاب عن القعود  
وخرج الى الجهاد ( رحيم )  
لمن مات على التوبة ثم  
نزل في شأن النفر الذين  
قتلوا يوم بدر وكانوا  
خمسین رجلا ارتدوا  
عن الاسلام فقتل عامتهم

ومغفرة ورجة \* كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات  
على المصدر كقولك ضربته اسواط واجرا على الحال منها تقدمت عليها لانها  
نكرة ومغفرة ورجة على المصدر باضمار فليهما ككرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيد اجالا  
وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنية والظفر وجيل  
الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منازلهم عند الله  
سبحانه وتعالى وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون  
الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار  
والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الا صغرا الى  
الجهاد الاكبر \* وكان الله غفورا \* للماعسى ان يفرض منهم \* رحيم \* بما وعد لهم

قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض  
قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله ( خ ) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام  
رمضان وحج كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي  
ولده فيها فقالوا أولا نبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة مائة درجة أعداه الله للمجاهدين  
في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سأتم الله فاسأله الفردوس  
الاعلى فانه اوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار  
الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الآية الاولى درجة واحدة وذكر في هذه  
الآية درجات فواجه الحكمة في ذلك قلت أما الدرجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على  
القاعدين بوجود الضرر والعذر وأما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير  
ضرر ولا عذر فضلو اعليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل أن تكون الدرجة الاولى درجة  
المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله أعلم \* قوله تعالى  
\* ومغفرة \* يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها \* ورجة \* يعني رافة بهم \* وكان  
الله غفورا \* يعني لذنوب عباده المؤمنين \* رحيم \* يعني بهم يتفضل عليهم برحته  
ومغفرته \* عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل  
قال قال أيما عبد من عبادى خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتى ضمننت له ان  
أرجعته ارجعته بما اصاب من أجر أو غنيمة وان قبضته غفرت له ورجته أخرجته للنساء

### فصل

اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية فرض العين ان يدخل العدو دار  
قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به  
من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعا عن أنفسهم وعن أهلهم وجيرانهم  
وسواء في ذلك الحر والعبد والغنى والفقير فيجب على الكافة وهو في حق من بعد  
عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو فيجب مساعدتهم

فقتل كافرا ( أن الذين توفيه الملائكة ) يجوز أن يكون ماضيا لقراءة من قرأ توفيه ومضارعا بمعنى توفاهم وحذفت التاء الثانية لاجتماع التامين ﴿ ١٤٧ ﴾ والتوفي قبض { سورة النساء } الروح والملائكة ملك الموت

واعوانه ( ظلمى أنفسهم )  
حال من ضمير المفعول في توفاهم أى في حال ظلمهم انفسهم بالكفر وترك الهجرة ( قالوا ) أى الملائكة للمتوفين ( فيم كنتم ) أى فى أى شئ كنتم فى أمر دينكم ومعناه التوبخ بانهم لم يكونوا فى شئ من الدين ( قالوا كنا مستضعفين ) عاجزين عن الهجرة ( فى الارض ) أرض مكة فاحرجونا كارهين ( قالوا ) أى الملائكة موبخين لهم ( ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ) أرادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التى لاتمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه

فقال ( أن الذين توفيه الملائكة ) قبضتهم الملائكة يوم بدر ( ظلمى أنفسهم ) بالشرك ( قالوا ) قالت لهم الملائكة حين القبض ( فيم كنتم ) ماذا كنتم تصنعون بمكة ( قالوا كنا مستضعفين ) مهورين ذليلين ( فى الارض ) فى أرض مكة فى أيدي

﴿ أن الذين توفيه الملائكة ﴾ يحتمل الماضى والمضارع \* وقرى توفيهم وتوفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها أى يكتفهم من استيفائها فيستوفونها ﴿ ظلمى انفسهم ﴾ فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت فى اناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة ﴿ قالوا ﴾ أى الملائكة توبخناهم ﴿ فيم كنتم ﴾ فى أى شئ كنتم من أمر دينكم ﴿ قالوا كنا مستضعفين فى الارض ﴾ اعتذروا عما ونحوه بضعفهم وعجزهم عن الهجرة أو عن اظهار الدين واعلاء كلمة الله ﴿ لولا ﴾ أى الملائكة تكذبا لهم اوتبختنا ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ الى قطر آخر

على من قرب منهم من المسلمين أو بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالمنزل بهم فلا فرض على الابدن الا على طريق الاختبار ولا يدخل فى هذا الفرض أعنى فرض الكفاية الفقراء والعيبد واذا كان الكفار قارين فى بلادهم فعلى الامام ان لا يخلى كل سنة من غرة يعزوم فيها اما بنفسه أو سراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختبار والمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره لا يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه ان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكافة لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين توفيه الملائكة ظلمى انفسهم ﴿ الآية نزلت فى أناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله تعالى هذه الآية ان الذين توفاهم الملائكة يعنى ملك الموت وأعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض أرواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض أرواح الكفار وقيل أراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفى التوفى هنا قولان أحدهما انه قبض ارواحهم الثانى حشرهم الى النار فعلى القول الثانى يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظلمى انفسهم يعنى بالشرك وقيل بالمقام فى دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام من أحد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه فى الصحيحين وقيل ظلمى انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم ﴿ قالوا فيم كنتم ﴾ سؤال توبخ وتقريع يعنى قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا فى أى الفريقين كنتم فى فريق المسلمين أم فى فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله تعالى اخبارا عنهم ﴿ قالوا كنا مستضعفين ﴾ يعنى عاجزين ﴿ فى الارض ﴾ يعنى فى أرض مكة ﴿ قالوا ﴾ يعنى قال لهم الملائكة ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾ يعنى

الكفار ( قالوا ) قالت لهم الملائكة ( ألم تكن أرض الله ) أرض المدينة ( واسعة ) آمنة ( فتهاجروا فيها ) اليها

وسلم ونصب فتهاجروا على جواب الاستفهام ( فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ) خبران فأولئك ودخول الفاء لما في الذين من الإبهام المشابه بالشرط أو قالوا فيم كنتم والعائد محذوف أي قالوا لهم والآية تدل على ان من لم يتمكن من إقامة دينه في بلد كالحج في الجزء الخامس { وعلم انه } ١٤٨ ﴿ يمكن من إقامته في غيره حقت

عليه المهاجرة وفي الحديث من فريدينه من أرض إلى أرض وان كان شبران الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونيبه محمد صلى الله عليه وسلم (الاستضعفين من الرجال والنساء والولدان) استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين ( لا يستطيعون حيلة ) في الخروج منها فقرهم وعجزهم ( ولا يهتدون سبيلا ) ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين أو للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجل تكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس بشئ بعينه كقوله ولقد أمر على النبي يسبي ( فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ) وعسى وان كان للاطماع فهو من الله واجب لان الكريم اذا أطمع أنجز ( وكان الله عفوا غفورا ) لعبادته قبل أن يخلقهم ( فأولئك ) النفر ( مأواهم )

كافعل المهاجرون إلى المدينة والحبشة ﴿ فأولئك مأواهم جهنم ﴾ لتزكهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبران والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باخمار قد أو الخبر قالوا والعائد محذوف أي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة التي قبلها مستتجة منها ﴿ وساءت مصيرا ﴾ مصيرهم أو جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فريدينه من أرض إلى أرض وان كان شبران الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونيبه محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ الاستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة إليه وذكر الولدان ان اريد به الممالك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا يحص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت ﴿ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ﴾ صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيما وحال منه أو من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما توقفت عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل ﴿ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ﴾ ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايدانا بان ترك الهجرة أمر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه ﴿ وكان الله عفوا غفورا

إلى المدينة وتخرجوا من بين اظهر المشركين فاكتبهم الله في قولهم كنا مستضعفين وأعلمنا بكتبهم ﴿ فالتك ﴾ يعني من هذه صفتهم ﴿ مأواهم ﴾ يعني منزلهم ﴿ جهنم وساءت مصيرا ﴾ يعني بئس المصير مصيرهم إلى جهنم ثم استثنى أهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال تعالى ﴿ الاستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ﴾ يعني لا يقدر على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة ﴿ ولا يهتدون سبيلا ﴾ يعني ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة إلى المدينة ﴿ فأولئك ﴾ يعني المستضعفين واهل الاعذار ﴿ عسى الله أن يعفو عنهم ﴾ يعني يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترج والله تعالى اذا أطمع عبدا وصله ﴿ وكان الله عفوا غفورا ﴾ قال ابن عباس كنت أنا وأبي من عذر الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة ( ق ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة

مصيرهم ( جهنم وساءت مصيرا ) صاروا اليد ثم بين أهل العذر فقال (الاستضعفين من الرجال) الشيوخ ( اللهم ) والضعفاء ( والنساء والولدان ) الصبيان ( لا يستطيعون حيلة ) حيلة الخروج ( ولا يهتدون سبيلا ) لا يعرفون طريقا ( فأولئك عسى الله ) وعسى من الله واجب ( أن يعفو عنهم ) فيما كان منهم ( وكان الله عفوا ) لما كان منهم ( غفورا )

( ومن يهاجر في سبيل الله يجد ﴿ ١٤٩ ﴾ في الارض مراغما كثيرا ﴿ متحولا من الرغام وهو التراب وقيل

ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا ﴿ متحولا من الرغام وهو التراب وقيل  
طريقا يرانم قومه بسلو كه اي يفارقهم على رنم انوفهم وهو ايضا من الرغام ﴿ وسعة ﴿  
في الرزق واطهار الدين ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه  
الموت ﴿ وقري يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي ثم هو يدركه وبالتصبي على  
اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحاً \* « سأترك منزلي لبي تيم »  
﴿ فقد وقع أجره على الله

( كشييرا وسعة )  
في الرزق أو في اظهار الدين  
أو في الصدر لتبدل الخوف  
بالامن ( ومن يخرج من  
بينه مهاجرا ) حال من  
الضمير في يخرج ( الى الله  
ورسوله ) الى حيث أمر الله  
ورسوله ( ثم يدركه الموت )  
قبل بلوغه مهاجرة وهو  
عطف على يخرج ( فقد  
وقع أجره على الله ) أي  
حصل له الاجر بوعده الله  
وهو تأكيد للوعد فلا شيء  
يجب على الله لاحد من

لمن تاب منهم ( ومن يهاجر  
في سبيل الله ) في طاعة الله  
( يجد في الارض ) في أرض  
المدينة ( مراغما ) محولا ومجأ  
( كثيرا وسعة ) في المعيشة  
وأما نزلت هذه الآية  
في اكنم بن صبي ثم نزلت  
في جندع بن ضمرة شيخ  
كان بمكة هاجرا من مكة الى  
المدينة فأدركه الموت  
بالتعميم ثوابه مثل ثواب  
المهاجرين فأت جيدا  
فنزلت فيه ( ومن يخرج  
من بيته ) بمكة ( مهاجرا

اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سابين كسني يوسف ﴿ قوله  
عز وجل ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ﴿ قال الزجاج  
معنى مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض مهاجرا يعني ان المهاجر لقومه والمراغم  
لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب يقال  
رغم أنفه اذا التصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير  
لجعلوا قولهم رغم أنفه كناية عن حصول الذل له ويقال راغمت فلانا بمعنى هجرته  
وعاديته ولم أبال به رغم أنفه ويقوى ذلك قول بعض أهل اللغة هو الخروج من  
بلاد العدو برغم انفه وقيل معناه ان الرجل اذا خرج عن قومه خرج مراغما لهم أي  
مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب والمذهب في الارض وانشد الزجاج في المعنى  
الى بلد غير داني المحل \* بعيد المراغم والمضطرب

فعلى هذا يكون معنى الآية يجد مذهبا يذهب اليه اذا رأى ما يكرهه هذا قول أهل اللغة  
في معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من أرض الى أرض وقال مجاهد  
يجد متخرج حافعا يكره وقيل يجد متقلبا يتقلب اليه وقيل المراغمة والمهاجرة واحدة يقال  
راغمت قومي أي هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه برغهم وقوله وسعة  
يعنى في الرزق وقيل يجدسعة من الضلالة الى الهدى وقيل يجدسعة في الارض التي يهاجر اليها  
قال ابن عباس لما نزلت الآية التي قبل هذه سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض  
يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما أنا ممن استثنى الله عز وجل واني لاجد حيلة  
ولى من المسال ما يبلغنى الى المدينة وابعدها منها والله لا أبيت الليلة بمكة اخرجونى  
فخرج جوابه يحملونه على سير يرحق أتوا به التعميم فأدركه الموت فصفق يمينه على شماله  
ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبا يعك على ما يبعك رسولك ثم مات فبلغ خبره أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لووا في المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك  
المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فأنزل الله عز وجل ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا  
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت ﴿ يعنى قبل بلوغه الى مهاجرة ﴿ فقد وقع أجره  
على الله ﴿ يعنى فقد وجب أجر هجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والفضل  
والكرم لا لوجوب استحقاق ونحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم الآية من قصد فعل  
طاعة من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال

الى الله ( الى طاعة الله ) ( ورسوله ) الى رسوله بالمدينة ( ثم يدركه الموت ) بالتعميم ( فقد وقع أجره ) وجب ثواب هجرته ( على الله

خلقه ( وكان الله غفورا رحيمًا ) قالوا كل هجرة لطلب علم أوجح أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة أو زهد أو ابتغاء رزق ( الجزء الخامس لطيب فهمي هجرة ١٥٠ ) إلى الله ورسوله وان

وكان الله غفورا رحيمًا ﴿ الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت أجره عند الله تعالى بثبوت الامر الواجب والآية الكريمة نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سر برحتو جهًا إلى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايكم على ما يبيع عليه رسولك صلى الله عليه وسلم فأتى فيه ﴿ وأذا ضربتم في الارض ﴾ سافرتم ﴿ فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ﴾ بتصنيف ركعاتها ونفى الجرح فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم أتى في السفر وان عائشة رضيت الله تعالى عنها اعترت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبها أبو حنيفة لقول عمر رضي الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضي الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية الكريمة فان صحافا لاول مؤول بأنه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفى جواز الزيادة فلا حاجة إلى تأويل الآية بانهم ألفوا الرابع فكان مظنة لان يحظر بهالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند أبي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف أي شيئا من الصلاة عند سيديويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش

بعضهم انما يكتب له أجر ذلك القدر الذي عمل وأتى به اما تمام الاجر فلا والقول الاول اصح لان الآية انما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها كاملا ﴿ وكان الله غفورا رحيمًا ﴾ يعني ويعفو الله له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا ضربتم في الارض ﴾ يعني اذا سافرتم فيها ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ أي خرج واثم ﴿ ان تقصروا من الصلاة ﴾ يعني من أربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء وأصل القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء الى أصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص ولم أره لاحد من اهل التفسير واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها أو بعض أركانها ترخيصا ولهذا السبب ذكر وافي تفسير قصر الصلاة المذكورة في الآية قولين احدهما انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثاني ان المراد بالقصر ادخال التخفيف في ادائها وهو ان يكتب بالاياء والاشارة عن الركوع والسجود والقول الاول اصح ويدل عليه لفظة من في قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة من هنالكتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة فثبت بهذا ان تفسير القصر

أدركه الموت في طريقه فقد وقع أجره على الله ( وأذا ضربتم في الارض ) سافرتم فيها فالضرب في الارض هو السفر ( فليس عليكم جناح ) حرج ( أن تقصروا ) في أن تقصروا ( من الصلاة ) من اعداد ركعات الصلاة ففصلوا الرباعية ركعتين وظاهر الآية يقتضى ان القصر رخصة في السفر والا كمال عزيمة كما قال الشافعي رحمه الله لان لا جناح يستعمل في موضع التخفيف والرخصة لافي موضع العزيمة وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الا كمال لقول عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم وأما الآية فكانهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يحظر بهالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفي عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه

وكان الله غفورا ( لما كان منه في الشرك ) رحيمًا ( بما كان منه في الاسلام ) ( وأذا ضربتم )

سافرتم ( في الارض ) في سبيل الله ( فليس عليكم جناح ) مآثم ( أن تقصروا من الصلوة ) من صلاة المقيم ( باسقاط )

{ سورة النساء } ان خستم { ١٥١ } ان خستم ان يفتنكم الذين كفروا

أو أخذ والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روى عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد أمنا فقال

﴿ ان خستم ان يفتنكم الذين كفروا أن الكافرين كانوا لكم عدوا مينا ﴾ شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كالم يعتبر في قوله تعالى فان خستم ان لا يقيموا حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خستم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره

عجت مما عجت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على أنه لا يجوز الاكمال في السفر لان التصديق بما لا يحتمل التملك اسقاط محض لا يحتمل الرد وان كان المتصدق ممن تلتزم طاعته كولى القصاص اذا عاففن تلتزم طاعته أولى ولان حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله ان أردن تحصن اذليه قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم أى لان لا يفتنكم على ان المراد بالآية قصر الاحوال وهو ان يوسى على الدابة عند الخوف أو يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن الكافرين كانوا لكم عدوا مينا) فحجزوا عنهم

باسقاط بعض ركعات الصلاة أولى ﴿ ان خستم ان يفتنكم ﴾ يعنى يفتنكم ويقتلكم في الصلاة ﴿ الذين كفروا ﴾ ذهب داود الظاهري الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة مذهبه بقوله تعالى ان خستم ان يفتنكم الذين كفروا ولان عدم الشرط يقتضى عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الواحد لانه يقتضى نسخ القرآن بخبر الواحد وذهب جمهور أهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ما روى عن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خستم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عجت مما عجت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن أسيد انه قال لابن عمر كيف تقصرون الصلاة واغا قال الله تعالى ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن أخي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا و نحن في ضلال فعلمناه فكان فيما علمنا أن أمرنا أن نصلى ركعتين في السفر أخرجه النسائي وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين أخرجه الترمذى والنسائي وأجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خستم ان كلمة ان تفيد حصول الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خستم يقتضى ان عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الآية ساكنة عن حال الامن فثبتت الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع اذ الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه القرآن فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فافائدة تقيده بحال الخوف قلت انما نزلت الآية على غالب أسفار النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الكافرين كانوا لكم عدوا مينا ﴿ أى ظاهر العداوة فلعلمى هذا رخصت لكم في قصر الصلاة لئلا يجردوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا واغا قال عدوا ولم يقل أعداء لانه يستوى فيه الواحد والجمع

فصل في احكام تتعلق بالآية { وفيه مسائل }

المسئلة الاولى

( أن خستم ) علم ( أن يفتنكم )

أن يقتلكم ( الذين كفروا ) في الصلاة ( أن الكافرين كانوا لكم عدوا مينا ) ظاهر العداوة وهى صلاة الخوف ثم بين كيف يصالحون فقال



في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جائز باجتماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حال السفر فذهب ان اكثر العلماء الى القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلى وابن عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبدالعزيز وقتادة وهو قول مالك وأبي حنيفة ويبدل عليه ماروي عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى وفي رواية اخرى قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر اخرجاه في الصحيحين وذهب قوم الى جواز الاتمام في السفر ولكن القصر افضل يروي ذلك عن عثمان وسعد بن أبي وقاص واليه ذهب الشافعي وأحمد وهو رواية عن مالك أيضا ويبدل على ذلك ماروي البغوي بسند الشافعي عن عائشة قالت كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم وعن عائشة انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله باني انت وأمي وقصرت وأتممت وصمت وأفطرت قال أحسنت يا عائشة وما عاب على اخرجاه النسائي وظاهر القرآن يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة وللفظة لا جناح انما تستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتماً وأجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بان معناه فرضت ركعتين أولاً وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التتميم واقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الاتمام بدليل آخر فوجب المصير اليه ليتمكن الجمع بين الاحاديث ودلائل الشرع

### المسئلة الثانية

اختلف في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هي مقصورة ام غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروي ذلك عن ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله واليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وابو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب الشافعي وأحمد

### المسئلة الثالثة

ذهب الشافعي ومالك وأحمد والجمهور الى انه يجوز القصر في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال ابو حنيفة والثوري يجوز ذلك

### المسئلة الرابعة

اختلف العلماء في مسافة القصر فقال داود واهل الظاهر يجوز القصر في قصر السفر وطويله ويروي ذلك عن انس أيضا وقال عمر وابن دينار قال لي جابر بن زيد اقصر يعرفه وأما عامة أهل العلم فانهم لا يجوزون القصر في السفر القصير واختلفوا في ( حد )

﴿ وأذا كنت فيهم فأقت لهم الصلوة ﴾ تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على أنه تعالى علم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كيفيتها ليأتهم به الأئمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره ﴿ فلتقم طائفة منهم معك ﴾ فاجعلهم طائفتين فلتقم احدهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو ﴿ وليأخذوا أسلحتهم ﴾ أى المصلون حزموا قبل الضمير للطائفة

في حد الطويل الذى يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة أربعة بردوهى ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك وأحمد واسحق وقول الحسن والزهرى قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعى فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فتكون ثمانية وأربعين ميلا بالهاشمى والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون أصبعا معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثورى وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا قصر في أقل من ثلاثة أيام

فصل

قيل قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل عما قبله وتقديره وان خفتم روى عن أبي أيوب الانصارى أنه قال نزل قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألو الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ومثل هذا في القرآن كثير يحى الخبر بتمامه ثم ينسق عليه خبر آخر هو في الظاهر كالتصل به وهو منفصل عنه ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا كنت فيهم فأقت لهم الصلوة ﴿ الآية روى عن ابن عباس وجابر أن المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندماوا أن لا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدما صلاة هى أحب اليهم من آبائهم وامهاتهم يعنى صلاة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فأقت لهم الصلوة فعلمه صلاة الخوف وروى عن أبي عياش المرزوقى في سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة وفي رواية غفلة ولو جلنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى واذا كنت يا محمد في أصحابك وشهدت معهم القتال فأقت لهم الصلوة ﴿ فلتقم طائفة منهم معك ﴾ يعنى اذا حان وقت الصلاة وأقتها لأصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلى بهم ﴿ وليأخذوا أسلحتهم ﴾ اختلفوا في هؤلاء الذين أمرهم الله باخذ السلاح فقيل اراد بهم الذين

( وأذا كنت ) يا محمد ( فيهم )  
 في أصحابك ( فأقت لهم  
 الصلوة ) فاردت أن تقيم  
 الصلاة بهم وبظاهره تعلق  
 أبو يوسف رحمه الله فلا .

يرى صلاة الخوف بعده  
 عليه السلام وقالا الأئمة  
 نواب عن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم في كل عصر  
 فكان الخطاب له متناولا  
 لكل امام كقوله تعالى خذ  
 من أموالهم صدقة تطهرهم  
 دليله فعل الصحابة رضى الله

عنه بعده عليه السلام  
 ( فلتقم طائفة منهم معك )  
 فاجعلهم طائفتين فلتقم  
 احدهما معك فصل بهم  
 وتقوم طائفة تجاه العدو  
 ( وليأخذوا أسلحتهم ) أى  
 الذين تجاه العدو عن ابن  
 عباس رضى الله عنهم وان  
 كان المراد به المصلين فقالوا  
 يأخذون من السلاح مالا  
 يشغلهم عن الصلاة كالسيف

( وأذا كنت فيهم )  
 معهم شهيدا ( فأقت لهم  
 الصلوة ) فأمت لهم في  
 الصلاة فكبروا يكبروا معك  
 ( فلتقم ) فلتكن ( طائفة منهم  
 معك ) في الصلاة ( وليأخذوا  
 أسلحتهم

ظاهرة عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة ( فليكونوا من ورائكم ) أى اذا صلت هذه الطائفة التى معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بازاء العدو ( ولأت طائفة أخرى لم يصلوا ) فى موضع رفع صفة لطائفة ( فليصلوا معك ) أى وتخصر الطائفة الواقفة بازاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية ( وليأخذوا حذرهم ) ما تحرزون به من العدو كالدرع ونحوه ( وأسلحتهم ) جمع سلاح وهو ما يقاتل به واخذ السلاح شرط عند الشافعى رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة ( والذين كفروا لوتقفون عن أسلحتكم وأمتعتكم ) أى تمنوا ان ينالوا منكم فى صلواتكم ( فيميلون عليكم ميلة واحدة ) فيشدون عليكم شدة واحدة

فاذا سجدا ) ركعوا ركعة واحدة ( فليكونوا ) فليرجعوا ( من ورائكم ) الى مصاف أصحابهم بازاء العدو ( ولأت طائفة أخرى ) التى بازاء العدو ( لم يصلوا معك ) الركعة الاولى ( فليصلوا معك ) الركعة الثانية ( وليأخذوا حذرهم ) من عدوهم ( وأسلحتهم ) وليأخذوا سلاحهم معهم ( ووالذين كفروا ) أى الذين كفروا ( يعنى بنى أعمار )

الآخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم ﴿ فاذا سجدا ﴾ يعنى المصلين ﴿ فليكونوا ﴾ أى غير المصلين ﴿ من ورائكم ﴾ يجرسونكم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ومن يصلى معه فقلب المخاطب على الغائب ﴿ ولأت طائفة أخرى لم يصلوا ﴾ لاشتغالهم بالحراسة ﴿ فليصلوا معك ﴾ ظاهره يدل على ان الامام يصلى مرتين بكل طائفة مرة كإفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بظن النخل وان اريد به ان يصلى بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة وينظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين وينهبوا الى وجه العدو وتأتى الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كإفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذات الرقاع وقال أبو حنيفة رحمه الله عنده يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتى الاخرى فتصلى معه ركعة وتم صلواته ثم تعود الى وجه العدو وتأتى الاولى فتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة وتم صلواتها ثم تعود وتؤدى الركعة بقراءة وتم صلواتها ﴿ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان ﴿ والذين كفروا لوتقفون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾ تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلواتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان مالا جله أمره باخذ السلاح

قاموا معه الى الصلاة فانهم يأخذون أسلحتهم فى الصلاة فعلى هذا القول انما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذى به من الى جنبه كالسيف والخبر وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وأمنع للعدو من الاقدام عليهم فان كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير أو يؤذى من الى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل اراد بهم الطائفة الذين بقوا فى وجه العدو فانهم يأخذون أسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل أن يكون أسرا للفرقتين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط ﴿ فاذا سجدا فليكونوا من ورائكم ﴾ يعنى اذا صلى الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعنى فلينصرفوا الى المكان الذى هو فى وجه العدو للحراسة ﴿ ولأت طائفة أخرى لم يصلوا ﴾ يعنى ولأت الطائفة التى كانت فى وجه العدو ﴿ فليصلوا معك الركعة الثانية التى بقيت عليك وتموا بقية صلاتهم ﴾ ﴿ وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ﴾ يعنى ان الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتبقيظ آلة يستعملها الغازى فى دفع العدو ولذلك جعله مأخوذا مع السلاح فان قلت لم ذكر فى أول الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر والاسلحة قلت لان العدو قلا يتبته للمسلمين فى اول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين فى المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثالثة طهر للكفار أن المسلمين فى الصلاة فحينئذ يشهرون الفرصة فى الاقدام على المسلمين فلا جرم أن الله تعالى أمرهم فى هذا الموضوع بزيادة الحذر من الكفار مع أخذ الاسلحة ﴿ والذين كفروا ﴾ يعنى الكفار ﴿ لوتقفون ﴾ يعنى لو وجدوك غافلين ﴿ عن أسلحتكم وأمتعتكم ﴾ يعنى حوائجكم التى بها بلاغكم فى أسفاركم فتسهون عنها ﴿ فيميلون عليكم ميلة واحدة ﴾

حذرهم ) من عدوهم ( وأسلحتهم ) وليأخذوا سلاحهم معهم ( ووالذين كفروا ) الذين كفروا ( يعنى بنى أعمار ) ( لوتقفون ) تخلون متاع الحرب ( وأمتعتكم ) فتسونها ( وأمتعتكم )

يعنى فيصدقونكم ويحملون عليكم حجة واحدة وأنتم مشتغلون بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم فيصيون منكم غرة فيقتلونكم

﴿ فصل في أحكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف ﴾

﴿ وفيه مسائل ﴾ المسئلة الاولى ﴿

قال أبو يوسف والحسن بن زياد من أصحاب أبي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من أصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة وظاهر هذا يدل على ان اقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة اذا تفيد الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب أن يثبت في حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلى ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه انه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك أبو موسى صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة وأجيب عن قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلوة بان هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان سائر امته داخلون في هذا الحكم فهو كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء الا أن يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون امته كقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين ونظير قوله وإذا كنت فيهم خذ من أموالهم صدقة فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم أخذ الزكاة لمن بعده من الأئمة كان كذلك قوله وإذا كنت فيهم وأجيب عن لفظه اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت وأما العدم عند العدم فغير مسلم

﴿ المسئلة الثانية ﴾

قال الخطابي صلاة الخوف أنواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في ايام مختلفة وأشكال متباينة يتخري في ذلك كله ما هو الاحوط للصلاة وأبلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن أنواع صلاة الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام أصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلى بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية أموا لانفسهم وذهبوا الى وجاه العدو فيحرسون وتأتى الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلى بهم الركعة الثانية ويثبت جالساً في التشهد حتى يتموا لانفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روى عن زيد بن رومان عن صالح بن خوات عن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً وأموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته

ثم ثبت جالساً فاتموا لانفسهم ثم سلم بهم أخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن أبي حثمة وقد أخرجاه من رواية أخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بإصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لانه اشد موافقة لظاهر القرآن وأحوط للصلاة وأبلغ في حراسة العدو أما كونه أشد موافقة لظاهر القرآن فان قوله ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونها أحوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من الحي والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا في الصلاة كان أمكن للحراسة والكر والفرو والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى أن الطائفة الاولى تصلى مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم تأتي الطائفة الثانية فتصلى مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون هم بل يذهبون الى وجه العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتي الطائفة الثانية الى موضع الامام فتقضى بقية صلاتها يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب أبي حنيفة ويدل على ذلك ما روى عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فرجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتت ركعتين وأربع سجديات ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين أخرجهما النسائي قال ابو بكر بن السنن سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي أخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرج في الصحيحين اخذ الاوزاعي واشهب المالك وهو جائز عند الشافعي ايضاً ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم الباقية مما وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروایتين ان الطائفة الاولى أدركت أول الصلاة وهي في حكم من خلف الامام وأما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة والمسبوق فيما يقضى كالمفرد في حكم صلاته

### المسئلة الثالثة

فيما اذا كان العدو في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روى عن جابر بن عبد الله

( قال )

﴿ ولا جناح عليكم أن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ﴾ رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر أو مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب ﴿ وخذوا حذركم ﴾ أمرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو

( ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا ) في أن تضعوا ( أسلحتكم وخذوا حذركم ) رخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم جملها بسبب ما يلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لثلاثا يفتلوا فيه هجم عليهم العدو

( فيملون عليكم ) يحملون عليكم ( ميلة واحدة ) حلة واحدة في الصلاة ثم رخصهم في وضع السلاح فقال ( ولا جناح عليكم ) لا حرج عليكم ( أن كان بكم أذى من مطر ) شدة من مطر ( أو كنتم مرضى ) جرحى ( أن تضعوا أسلحتكم ) سلاحكم ( وخذوا حذركم ) من عدوكم

قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصفقنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسيجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسيجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسيجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام صف المؤخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسيجود فسيجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائهم أخرجه مسلم بتمامه وأخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابقة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث أخذ الشافعي ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة

### المسئلة الرابعة

اذا اشتد الحرب والتحم القتال صاوارجالا وركبانا يوثون بالركوع والسيجود الى أي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب أبي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا أمنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور أخر مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله أعلم ﴿ وقوله عز وجل ﴾ ولا جناح عليكم ﴿ أي ولا اثم ولا حرج عليكم ﴾ ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ﴿ قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لان السلاح يشقل حمله في هاتين الحالتين ﴾ وخذوا حذركم ﴿ يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه أمرهم الله بالمحفظ والتحرز والاحتياط لثلاثا يتجروا العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبني أنما رفزلوا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماع ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث المخاري فقال قتلتني الله ان لم اقله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله

الامر بالحذر ليس اتوقع غلبتهم عليهم وانما هو تعبد من الله تعالى ( فاذا قضيت الصلاة ) فرغتم منها ( فاذا كروا الله قياما وعودا على جنوبكم ) أى دوموا على ذكر الله فى جميع الاحوال او فاذا أردتم اداء الصلاة فصلوا قياما ان قدرتم عليه وعودا ان عجزتم عن اقيام ومضطجعين ان عجزتم عن القعود ( فاذا اطمأنتم ) سكنتم بزوال الخوف ( فاقبوا الصلوة ) فاعموا بطائفة واحدة او اذا اقمتم فاعموا ولا تقصروا او اذا اطمأنتم بالصحة فاعموا القيام والركوع والسجود ( ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ) مكتوبا محدودا باوقات

﴿ أن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ﴾ وعدل المؤمن بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله سبحانه وتعالى ﴿ فاذا قضيت الصلوة ﴾ اديتم و فرغتم منها ﴿ فاذا كروا الله قياما وعودا على جنوبكم ﴾ فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال واذا اردتم اداء الصلاة واشتد الخوف فادوها كيف ما امكن قياما مسايقين ومقارعين وعودا مسامين وعلى جنوبكم ممتخين ﴿ فاذا اطمأنتم ﴾ سكنت قلوبكم من الخوف ﴿ فاقبوا الصلوة ﴾ فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها وأتوا بها تامة ﴿ أن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ فرضا محدودا لا يجوز اخراجها عن اوقاتها

عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقل يا محمد من يمنعك منى الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحرث بما شئت فاعوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم به فاكب لوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك منى الآن فقال لاحد فقال أتشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأعطيك سيفك فقال لا ولكن اشهد أن لا أقاتك أبدا ولا أعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لانت خير منى فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث الى أصحابه فقالوا له وبلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد أهويت اليه بالسيف لاضر به فوالله ما أدري من زلخى بين كفتى فنحرت لوجهى وذكر حاله لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادى ففطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادى الى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبدالرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه ان تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم بمعنى من عدوكم ﴿ أن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ﴾ يعنى يهونون به قوله عز وجل ﴿ فاذا قضيت الصلوة ﴾ يعنى فاذا فرغتم من صلاة الخوف ﴿ فاذا كروا الله ﴾ يعنى بالتسبيح والحمد والتهليل والتكبير واثنا على الله فى جميع احوالكم ﴿ قياما وعودا على جنوبكم ﴾ فانما اتم عليه من الخوف جدير بالمواطبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه ( ق ) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله فى كل احيائه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعنى فصلوا لله قياما يعنى فى حال الصحة وعودا فى حال المرض وعلى جنوبكم يعنى فى حال الزمانة والجراح ﴿ فاذا اطمأنتم ﴾ يعنى فاذا اتمتم وسكنت قلوبكم وأصل الطمأنينة سكون القلب ﴿ فاقبوا الصلوة ﴾ يعنى فاعموا أربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين فى أوطانكم فاقبوا الصلاة تامة أربعا من غير قصر وقيل معناه فاقبوا الصلوة بأتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف ﴿ أن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ يعنى فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعنى مكتوبة موقته فى أوقات محددة ( أن الصلوة كانت ) صارت ( على المؤمنين كتابا موقوتا ) مفروضا معلوما فى السفر والحضر للمسافر ركعتان وللمقيم اربع ثم حثهم على ( فلا يجوز )

( على المؤمنين كتابا موقوتا ) مفروضا معلوما فى السفر والحضر للمسافر ركعتان وللمقيم اربع ثم حثهم على ( فلا يجوز )

معلومة (ولا تنهوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (في ابتغاء القوم) في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجية بقوله ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) أى ليس ماتجدون من الألم بالجرح والقتل مختصاً بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه فالكلم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أجدر منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان و من الثواب العظيم في الآخرة ( وكان الله ﷻ ١٤٩ ﷻ عليما ) بما يجد { سورة النساء } المؤمنون من الألم (حكياً)

في تدبير أمورهم روى ان طعمة بن أبيرق أحد بنى ظفر سرق درهما من حارله اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من حرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتست الدرع عند طعمة فلم يوجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم فقالوا ان لم تفعل هلك صاحبنا واقضخ وبرى اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزل (أنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) أى محققاً

طلب أبي سفيان وأصحابه بعد يوم أحد فقالت (ولا

في شئ من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الاداء حال المسايقة والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالابتاء بها كيف مامكن وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا يصلح المحارب حتى يطمئن ولا تنهوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال أن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها و قرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تنهوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليماً بعالمكم وضمائمكم حكياً فيما يأمر وينهى أنا ما أنزلنا اليك الكتاب بالحق

فلا يجوز اخراجها عن أوقاتها على أى حال كان من خوف أو أمن وقيل معناه فرضاً واجباً مقدراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين قوله عز وجل ولا تنهوا في ابتغاء القوم سبب نزول هذه الآية ان أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا من ألم الجراحات فقال الله تعالى ولا تنهوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب أبي سفيان وأصحابه ثم أورد عليهم الحجية في ذلك وألزمهم بها فقال تعالى أن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون يعني ان حصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الوجع وألم الجراح مختصاً بكم بل هم كذلك فاذالم يكن الألم مانعاً لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعاً لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أولى بالصبر منهم لانكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فانتم ايها المؤمنون أولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون يعني وتألمون من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها وكان الله عليماً حكياً يعني انه تعالى لا يأمركم بشئ الا وهو يعلم انه مصلحة لكم قوله عز وجل أنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن أبيرق من بنى ظفر بن الحرث سرق درعاً من جار

تنهوا) لا تجزوا ولا تضعفوا (في ابتغاء القوم) في طلب أبي سفيان وأصحابه (ان تكونوا تألمون) تتوجعون بالجراحة (فانهم يألمون) يتوجعون بالجراحة (كما تألمون) تتوجعون بالجراحة (وترجون من الله) ثوابه وتخافون عذابه (ما لا يرجون) ذلك (وكان الله عليماً) بحراحتكم (حكياً) حكم عليكم ابتغاء القوم ثم بين قصة طعمة بن أبيرق سارق الدرع واليهودي زيد بن سمين الذي رمى بالسرقة فقل (أنا أنزلنا اليك الكتاب) جبريل بالقرآن (بالحق) لبيان



لتحكّم بين الناس ﴿ نزلت في طعمة بن أبي بريق من بني ظفر سرق رعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتفت الدرع عند طعمة فلم تجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وثوبه له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك واقتضخ وبرى اليهودي فهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفعل ﴿ بما أراك الله ﴾ بما عرفك الله وأوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى الى ثلاثة مفاعيل ﴿ ولا تكن للخائنين ﴾ أى لاجلهم والذب عنهم ﴿ خصيما ﴾ للبراء ﴿ واستغفر الله ﴾ مما هممت به ﴿ أن الله كان غفورا رحيما ﴾ لمن يستغفره

(لتحكّم بين الناس بما أراك الله) بما عرفك وأوحى به اليك وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله بما ألهمك بالنظر في اصوله المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد في حقه (ولا تكن للخائنين لاجل الخائنين خصيما) مخاصما أى ولا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر (واستغفر الله) مما هممت به (ان الله كان غفورا رحيما

له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتفت الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه منه فقال اليهودي دفعها الى طعمة بن بن أبي بريق زاد في الكشف وشهد له جماعة من اليهود قال بغوى وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي وان يقطع يده فانزل الله هذه الآية وقيل ان زيد بن السمين أودع الدرع عند طعمة فحجده طعمة فانزل الله هذه الآية انا انزلنا اليك يعنى يا محمد الكتاب يعنى القرآن بالحق يعنى بالصدق وبالامر والنهى والفصل ﴿ لتحكّم بين الناس بما أراك الله ﴾ يعنى بما علمك الله وأوحى اليك وانما سمى العلم اليقيني رؤية لانه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روى عن عمر انه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أراى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لئيبه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجهد رأيه لان الرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وان رأى احدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهى والنص المنزل عليه ﴿ ولا تكن ﴾ يعنى يا محمد ﴿ للخائنين خصيما ﴾ يعنى ولا تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له ﴿ واستغفر الله ﴾ يعنى مما هممت به من معاقبة اليهود وقيل من جدالك عن طعمة ﴿ أن الله كان غفورا ﴾ يعنى لتنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم ﴿ رحيما ﴾ يعنى بعباده المؤمنين

الحق والباطل) لتحكّم بين الناس) بالحق بين طعمة وزيد بن سمين (بما أراك الله) بما علمك الله في القرآن وبين (ولا تكن للخائنين) بالسرقة يعنى طعمة (خصيما) معينا (واستغفر الله) تب الى الله من همك بضرب اليهودي زيد ابن سمين (أن الله كان غفورا رحيما) لمن مات على التوبة ويقال غفورا الذنب الذى هممت رحيما بك

### فصل

وقد تمسك بهذه الآية من برى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لمأمر بالاستغفار والجواب نعم اتمسكوا به من وجوه أحدها

ولا تجادل عن الذين يخونون أنفسهم) يخونون أنفسهم) يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم لان الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة ومن عاونه من قومه وهم يعلمون انه سارق أو ذكر بلفظ الجمع لتناول طعمة وكل من خان خيانتة (أن الله لا يحب من كان خوانا أي خائفاً) وإنما قيل بلفظ المبالغة لانه تعالى عالم من طعمة أنه مفرط في الخيانة وركوب المآثم وروى أن طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات وعن عمر رضي الله عنه انه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده

( ولا تجادل عن الذين يخونون أنفسهم ) بالسرقه ( أن الله لا يحب من كان خوانا ) خائفاً بالسرقه ( أيما ) فاجرا بالحلف الكاذب والبهتان

ولا تجادل عن الذين يخونون أنفسهم) يخونونها فان وبال خيانتهم به ودعها أو جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلماً عليها والضمير لطمعة وامثاله أوله ولقومه فانهم شاركوه في الأثم حين شهدوا على براءته وخصصوا عنه ﴿ أن الله لا يحب من كان خواناً ﴾ مبالغة في الخيانة مصراً عليها ﴿ أيما ﴾ منهم كما فيها روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهى عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصيماً ولم تخصص عن طعمة لما سأله قومه ان يذب عنه وأن يلحق السرقة باليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والامر الالهي فنزلت هذه الآية وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودي بري من السرقة وانما لم صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب انه في الظاهر من المسلمين فامر الله بالاستغفار لهذه القدر الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدر في شهادتهم هم بان يقضى على اليهودي بالسرقة فلما أطلع الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطأ في نفس الامر فأمره الله بالاستغفار منه وان كان معذوراً الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى أمره بالاستغفار لقوم طعمة لذمهم من طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وان يكون لذنوب أمته الوجه الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم أعلى الدرجات ومنصبه أشرف المناصب فلعلى درجته وشرف منصبه وكال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التأويل أوسهوا أو أمر من أمور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كاقيل حسنات الابرار سيئات المقربين وذلك بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم ﴿ قوله عز وجل ولا تجادل عن الذين يخونون أنفسهم ﴾ يعني ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذنب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان من أذنب على ذنب فقد خان نفسه لانه أوقعها في العذاب وحرماها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة أي فلا تخصص الخائن ولا تجادل عنه ﴿ أن الله لا يحب من كان خواناً أيما ﴾ يعني خواناً بسرقة الدرع أيما برمي اليهودي وهو بري وانما قال تعالى خواناً أيما على المبالغة لانه تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القرآن لحق مكة من تداعين دينه ثم دعا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط فلما اصبحوا أخرجوه من مكة فلقى ركباً فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل دعا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا في طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حاله كان كثير الخيانة والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها أخوات ويروى عن عمر انه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكي وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه

في اول مرة ( يستخفون ) يستترون ( من الناس ) حياء منهم وخوفا من ضررهم ( ولا يستخفون من الله )  
ولا يستخفون منه ( وهو معهم ) وهو عالم بهم مطاع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس  
ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم أنهم في حضرة لا ستر ولا غيبة ( اذ يبتون ) يدبرون  
وأصله أن يكون ليلا ( ما { الجزء الخامس { لا يرضى من القول ) ١٦٢ وهو تدبير طعمة أن يرمى بالدرع في

دار زيد ليسرق دونه  
ويحلف أنه لم يسرقها وهو  
دليل على أن الكلام هو المعنى  
القائم بالنفس حيث سمى  
التدبير قولا ( وكان الله  
بما يعملون محيطا ) عالما  
علم احاطة ( ها أنتم هؤلاء )  
ها للتبيين في أنتم وأولاء  
وهم ابتداء وخبر ( جادتم )  
خاصتم وهي جملة مدينة  
لوقوع اولاء خبرا كقولك  
لبعض الاستحياء أنت خاتم  
تجود بمالك أو اولاء اسم  
موصول بمعنى الذين و جادتم  
صلته والمعنى هو أنكم  
خاصتم ( عنهم ) عن طعمة  
وقومه ( في الحياة الدنيا  
فمن يجادل الله عنهم يوم  
القيمة ) فمن يخاصم عنهم  
في الآخرة إذا اخذهم الله  
بعذابه وقرى عنه أى عن  
طعمة ( أم من يكون عليهم  
وكيلا ) حافظا ومحاميا  
من بأس الله وعذابه ( ومن  
يعمل سوء ) ذنبا دون الشرك

ونقب حائطا بها ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله ﴿ يستخفونه من الناس ﴾  
يستترون منهم حياء وخوفا ﴿ ولا يستخفون من الله ﴾ وهو احق بان يستخفى ويخاف  
منه ﴿ وهو معهم ﴾ لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الاترك ما يستخفجه  
ويؤاخذ عليه ﴿ اذ يبتون ﴾ يدبرون ويزورون ﴿ ما لا يرضى من القول ﴾ من رضى البرىء  
والحلف الكاذب وشهادة الزور ﴿ وكان الله بما يعملون محيطا ﴾ لا يفوت عنه شئ  
﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ جادتم عنهم في الحياة الدنيا ﴾ جملة مدينة لوقوع  
اولاء خبرا أو صلة عند من يجعله موصولا ﴿ فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة أم من  
يكون عليهم وكيلا ﴾ محاميا يحميهم من عذاب الله ﴿ ومن يعمل سوءا ﴾ قبيحا سوءا به

بأمر المؤمنين فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في أول مرة ﴿ قوله عز وجل  
﴿ يستخفون من الناس ﴾ يعنى يستترون حياء من الناس يريد بذلك نبى ظفر بن الحرث  
وهم قوم طعمة بن أبيرق ﴿ ولا يستخفون من الله ﴾ يعنى ولا يستترون من الله  
ولا يستخفون منه وأصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء بالاستخفاء على المعنى  
لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم ﴿ وهو معهم ﴾ يعنى والله معهم بالعلم  
والقدرة ولا يخفى عليه شئ من حالهم لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وكفى بذلك  
زجر للانسان عن ارتكاب الذنوب ﴿ اذ يبتون ما لا يرضى من القول ﴾ يعنى  
يضمرون ويقدرن ويزورن في أذهانهم وأصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك  
ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامرال الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة  
ويقبل يمينه لانه سلم ولا يسمع قول اليهودى لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم  
فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهم وما هموا به ﴿ وكان الله بما يعملون محيطا ﴾  
يعنى انه تعالى لا يخفى عليه شئ من أسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى  
عليه خافية ﴿ ها أنتم هؤلاء ﴾ هاللتبنيه يعنى يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين  
كانوا يذوبن عن طعمة وعن قومه ﴿ جادتم عنهم ﴾ يعنى خاصتم عنهم بسبب أنهم  
كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين وأصل الجدال شدة القتال لان كل واحد من الخصمين  
يريد أن يقتل صاحبه عما هو عليه والمعنى هو انكم خاصتمهم و جادتم عن طعمة  
وقومه ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ وقيل هو خطاب لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادتم  
عنه والمعنى هو انكم خاصتم عن طعمة في الحياة الدنيا ﴿ فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ﴾  
يعنى اذا أخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع ﴿ أم من يكون عليهم وكيلا ﴾  
يعنى محافظا ومحاميا عنهم من بأس الله اذا نزل بهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن يعمل سوءا

على البرىء ( يستخفون )  
يستخفون ( من الناس )  
بالسرقة ( ولا يستخفون

من الله ) لا يستخفون من الله ( وهو معهم ) عالم بهم ( اذ يبتون ما لا يرضى من القول ) يقولون ويقولون من القول ( او يظلم )  
ما لا يرضى الله ولا يرضونه مقدم ومؤخر ( وكان الله بما يعملون ) ويقولون ( محيطا ) عالما ( ها أنتم هؤلاء ) أنتم يا قوم طعمة يعنى  
بنى ظفر ( جادتم ) خاصتم ( عنهم ) عن طعمة ( في الحياة الدنيا ) فمن يجادل الله ( يخاصم الله ) عنهم ( عن طعمة ) يوم القيمة  
أم من يكون عليهم ( على طعمة ) ( وكيلا ) كفيلا من عذاب الله ( ومن يعمل سوءا ) سرقة

أويظلم نفسه) بالشرك أو سوء قبحها ﴿ ١٦٣ ﴾ تعدى ضرره الى الغير { سورة النساء } كامل طعمة بقتادة واليهودي

أويظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب (ثم يستغفر الله) يسأل مغفرته (بجد الله غفورا رحيمًا) له وهذا بث طعمة على الاستغفار والتوبة ومن يكسب أثمًا فأنما يكسبه على نفسه لان وبالها عليها (وكان الله عليا حكيمًا) فلا يعاقب بالذنب غير فاعله (ومن يكسب خطيئة صغيرة أو كبيرة أو الأولى ذنب بينه وبين ربه والثاني ذنب في مظالم العباد) ثم يرم به بريئًا (كأرمي طعمة زيدا) (فقد احتمل بهتانًا) كذبا عظيما (وأثمينا) ذنبا ظاهرا وهذا لانه يكسب

(أويظلم نفسه) بالحلف الباطل والبهتان على البري (ثم يستغفر الله) يتب الى الله (بجد الله غفورا) لذنوبه (رحيمًا) حيث قبل توبته (ومن يكسب أثمًا) سرقة ويحلف بالله كاذبا (فأنما يكسبه) عقوبته (على نفسه) وكان الله عليا (يعني بسارق الدرع) (حكيمًا) حكم عليه بالقطع (ومن يكسب خطيئة) سرقة (أو أثمًا) أو يحلف بالله كاذبا (ثم يرم به) بما سرق (بريئًا)

غيره ﴿ أو يظلم نفسه ﴾ بما يختص به ولا تعداه وقبل المراد بالسوء مادون الشرك وبالظلم الشرك وقبل الصغيرة والكبيرة ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ بالتوبة ﴿ بجد الله غفورا ﴾ لذنوبه ﴿ رحيمًا ﴾ متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ﴿ ومن يكسب أثمًا فأنما يكسبه على نفسه ﴾ فلا تعداه وبالها كقوله تعالى وان أسأتم فلها ﴿ وكان الله عليا حكيمًا ﴾ فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ﴿ ومن يكسب خطيئة ﴾ صغيرة أو مالا عمد فيه ﴿ أو أثمًا ﴾ كبيرة أو ما كان عن عمد ﴿ ثم يرم به بريئًا ﴾ كأرمي طعمة زيدا ووجد الضمير لمكان أو ﴿ فقد احتمل بهتانًا وأثمينا ﴾ بسبب رمي البري وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احد همدون

أو يظلم نفسه ﴿ نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قوم الذين جادلوا عنه وقيل هي عامة في كل مسمى ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوءا أو يسيء به غيره كما فعل طعمة بالسرقه من قتادة وأثمًا خص ما تعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايضا للضرر الى الغير أو يظلم نفسه يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوءا أي قبيحا أو يظلم نفسه برميه لبري وقيل السوء كل ما يأتى به الانسان والظلم هو الشرك فادونه ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ يعني من ذنوبه ﴿ بجد الله غفورا رحيمًا ﴾ في هذه الآية دليل على حكمين أحدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر الآية يقتضى ان مجرد الاستغفار كاف وقال بعضهم أنه مقيد بالتوبة لانه لا يرفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب ﴿ ومن يكسب أثمًا ﴾ يعني ومن يعمل ذنبا يأتى به ﴿ فأنما يكسبه على نفسه ﴾ يعني انما يعود وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة أو دفع مضرة فكانه تعالى يقول يا أيها الانسان ان الذنب الذي ارتكبه انما عادت مضرتك عليك فاني منزعه عن الضرر والنفع فاكثرت من الاستغفار ولا تأس من قبول التوبة فاني لغفار لمن تاب وهذه الآية نزلت في طعمة ايضا ﴿ وكان الله عليا ﴾ يعني بسارق الدرع ﴿ حكيمًا ﴾ يعني اذا حكم عليه بالقطع وقيل معناه عليا بما في قلب عبده عند اقامه على التوبة حكيمًا تقتضى حكمته ان يتجاوز عن التائب ويفرله ويقبل توبته ﴿ ومن يكسب خطيئة أو أثمًا ﴾ قيل ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدى الى الغير وقيل ان الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة ﴿ ثم يرم به بريئًا ﴾ يعني ثم يقذف بما جناه بريئًا منه وهو نسبة السرقة الى اليهودي ولم يسرق فأن قلت الخطيئة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به \* قلت معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين بريئا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكنتي باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه أقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريئا ﴿ فقد احتمل بهتانًا ﴾ البهتان من البهت وهو الكذب الذي يتخير في عظمه ﴿ وأثمينا ﴾ يعني ذنبا بينا لانه يكسب الاثم آثم ورميه البري باهت فقد جمع بين الامرين قوله عز وجل

زيد بن سمين (فقد احتمل) فقد أوجب على نفسه (بهتانًا) عقوبة بهتان عظيم (وأثمينا) وعقوبة

الائم آثم وبرى البرى باهت فهو جامع بين الامرين والبهتان كذب يهت من قيل عليه ما لا علم له به (ولو لافضل الله عليك ورجته) أى عصمته ولطفه من الاطلاع على سرهم (لهمت طائفة منهم) من بنى ظفر أو المراد بالطائفة بنو ظفر والضمير فى منهم يعود الى الناس { الجزء الخامس } ( أن يضلوك ) ١٦٤ عن القضاء بالحق وتوخى

مقترف الآخر \* ولولا فضل الله عليك ورجته \* باعلام ما هم عليه بالوحى والضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعه للتعظيم \* لهمت طائفة منهم \* أى من بنى ظفر \* أن يضلوك \* عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه \* وما يضلون الا انفسهم \* لانه ما ازالك عن الحق وعاد وباله عليهم \* وما يضر ونك من شئ \* فان الله سبحانه وتعالى عصمك وما خطر ببالك كان اعتمادك على ظاهر الامر لا ميلا فى الحكم ومن شئ فى موضع النصب على المصدر أى شياً من الضرر \* وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم \* من خفيات الامور \* وأمن أمور الدين والاحكام \* وكان فضل الله عليك عظيما \* اذ لافضل أعظم

\* ولولا فضل الله عليك ورجته \* هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يعنى يا محمد بالنبوة ورجته يعنى بالعصمة وما أوحى اليك من الاطلاع على أسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم \* لهمت طائفة منهم \* يعنى من بنى ظفر وهم قوم طعمة \* أن يضلوك \* يعنى عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل وقيل معناه يخطؤك فى الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سألو النبي صلى الله عليه وسلم أن يدفع عنه وينزهه عن السرقة ويرمى بها اليهودى \* وما يضلون الا انفسهم \* يعنى ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الائم وبشهادتهم له انه برى فهم لما قدموا على ذلك رجع وباله عليهم \* وما يضر ونك من شئ \* يعنى انهم وان سموا فى القاتك فى الباطل فانت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك أن الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضر ونك من شئ فى المستقبل فوعده الله ادامة العصمة وانه لا يضره أحد \* وأنزل الله عليك الكتاب \* يعنى القرآن \* والحكمة \* يعنى القضاء بهما يعنى واوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضر ونك بالقاتك فى الشبهات \* وعلمك ما لم تكن تعلم \* يعنى من احكام الشرع وأمر لدين وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور وأطلعك على ضمائر القلوب وعلمك من احوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم \* وكان فضل الله عليك عظيما \* يعنى ولم يزل فضل الله عليك يا محمد عظيما فاشكره على ما أولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما نزل عليك من كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذى تولاك بفضله وشملك باحسانه وكفاك غائلة من أراذك بسوء ففى هذه الآية تبيينه من الله عز وجل لئيه محمد صلى الله عليه وسلم على ما حباه من أطفاه وما شمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب

طريق العدل مع علمهم بان الجانى صاحبهم (وما يضلون الا انفسهم) لان وباله عليهم (وما يضر ونك من شئ) لانك انما علمت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك ( وأنزل الله عليك الكتاب ) القرآن ( والحكمة ) والسنة ( وعلمك ما لم تكن تعلم ) من أمور الدين والشرائع أو من خفيات الامور وضمائر القلوب ( وكان فضل الله عليك عظيما ) فيما علمك وأنعم عليك

ذنب بين ( ولولا فضل الله عليك ) من الله عليك بالنبوة ( ورجته ) بارسال جبريل اليك ( لهمت ) أضررت ( طائفة منهم ) من قوم طعمة ( أن يضلوك ) ان يخطؤك عن الحكم ( وما يضلون ) عن الحكم ( الا انفسهم ) وما يضر ونك من شئ ( بشئ ) لان مضرت على من شهد بالزور ( وانزل الله عليك الكتاب ) جبريل بالقرآن ( والحكمة ) بين فيه الحلال والحرام

والقضاء ( وعلمك ) بالقرآن من الاحكام والحدود ( ما لم تكن تعلم ) قبل القرآن ( وكان فضل الله عليك عظيما ) بالنبوة ( حقه )

(لاخير في كثير من نجواهم) من تناسجى الناس (الامن امر بصدقة) الانجوى من امر وهو مجرور بذكر من كثير او من نجواهم او منصوب على الانقطاع ﴿ ١٦٥ ﴾ بمعنى ولكن من { سورة النساء } امر بصدقة في نجواهم الخير

من النبوة ﴿ لاخير في كثير من نجواهم ﴾ من متناجيم كقوله تعالى واذم نجوى او من تناجيم كقوله ﴿ الامن امر بصدقة او معروف ﴾ على حذف مضاف أى الانجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة في نجواهم الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا يتكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغائة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسره ﴿ أو اصلاح بين الناس ﴾ أو اصلاح ذات بين ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ﴾ بنى الكلام على الامر ورتب

حقه ﴿ قوله عز وجل ﴾ لاخير في كثير من نجواهم ﴿ يعنى من نجوى قوم طعمة وقيل هى عامة فى جميع ما يتناجى الناس به والنجوى هى الاسرار فى التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك أو جهرا وناجيته ساررته وأصله أن يخلو فى نجوة من الارض وقيل اصله من النجى والمعنى لاخير فى كثير مما يدبرونه ويتناجون فيه ﴿ الامن امر بصدقة ﴾ يعنى الا فى نجوى من امر بصدقة وقيل معناه لاخير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من امر بصدقة وحث عليها ﴿ أو معروف ﴾ يعنى أو امر بطاعة الله وما يجيزه الشرع وأعمال البر كلها معروف لان المقول تعرفها ﴿ أو اصلاح بين الناس ﴾ يعنى الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن الله فيه وأمر به ﴿ عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وان فساد ذات البين هى الخالقة أخرجه الترمذى وأبو داود وقال الترمذى ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هى الخالقة لأقول تحلق بالشعر ولكن تحلق الدين (خ) عن سهل ابن سعد رضى الله عنه ان أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم (ق) عن أم مكتوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذى يصلح بين اثنين او قال بين الناس فيقول خيرا أو يئى خيرا زاد مسلم فى رواية له قالت ولم اسمعه يرخص فى شئ مما يقول الناس الا فى ثلاث يعنى الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ يعنى هذه اشياء التى ذكرت ﴿ ابتغاء مرضات الله ﴾ يعنى طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه وان فعله رياء وسمعت لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات الحديث ﴿ فسوف نؤتيه ﴾ يعنى فى الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ﴿ اجرا عظيما ﴾

(الاخير في كثير من نجواهم) من نجوى قوم طعمة (الا من امر بصدقة) حث على صدقة المساكين (أو معروف) أو قرض لانسان (أو اصلاح بين الناس) بين طعمة وزيد بن سمين اليهودى

(ومن يفعل ذلك) الصدقة والقرض والاصلاح (ابتغاء مرضات الله) طلب رضا الله (فسوف نؤتيه) نعطيه (أجر عظيم) ثوابا وافرا فى الجنة

عمر ووجزة (ومن يشاقق { الجزء الخامس } الرسول من ١٦٦ ﴿ بعد ما تبين له الهدى ) ومن يخالف

الرسول من بعد وضوح  
الدليل وظهور الرشد  
(ويتبع غير سبيل المؤمنين)  
أى السبيل الذى هم عليه  
من الدين الحنيفى وهو دليل  
على ان الاجماع حجة لا تجوز  
مخالفتها كما لا تجوز مخالفة  
الكتاب والسنة لان الله تعالى  
جمع بين اتباع غير سبيل  
المؤمنين وبين مشاققة  
الرسول فى الشرط وجعل  
جزاءه الوعيد الشديد  
فكان اتباعهم واجبا  
كموالاة الرسول  
(نوله ماتولى) نجعله  
واليا لماتولى من الضلال  
ونذعه وما اختاره فى الدنيا  
(ونصله جهنم) فى العقبي  
(وساءت مصيرا) قيل  
هى فى طعمة وارتياده  
(أن الله لا يفتقر أن يشرك به  
(ومن يشاقق) يخالف  
(الرسول) فى التوحيد والحكم  
وهو طعمة (من بعد ما تبين  
له الهدى) التوحيد والحكم  
وهو طعمة (ويتبع) يتخذ  
(غير سبيل) دين  
(المؤمنين) يحتر على دين  
المؤمنين دين أهل مكة  
الشرك (نوله ماتولى) تركه  
الى ما اختار فى الدنيا  
(ونصله جهنم) فى الآخرة  
(وساءت مصيرا) صار اليه

الجزء على الفعل ليدل على انه لما دخل الأمر فى زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل  
فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان  
يكون لطلب مرضاة الله سبحانه وتعالى لان الاعمال بالنيات وان من كل فعل خيارا ياء وسعة  
لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة مافات فى جنبه من  
اعراض الدنيا \* وقرا حجة وأبو عمرو يؤتبه بالياء \* ومن يشاقق الرسول \* يخالفه  
من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر \* من بعد ما تبين له الهدى \*  
ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات \* ويتبع غير سبيل المؤمنين \* غير ما هم  
عليه من اعتقاد أو عمل \* نوله ماتولى \* نجومه والياء لماتولى من الضلال وتخلى بينه  
وبين ما اختاره \* ونصله جهنم \* ونذخله فيها \* وقرى بفتح النون من صلاه \* وساءت  
مصيرا \* جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه سبحانه وتعالى رتب الوعيد الشديد  
على المشاققة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما الحرمة كل واحد منهما واحدا معا والجمع بينهما  
والثانى باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان  
المشاققة محرمة ضم اليها غيرها ولم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم  
واجبا لان ترك اتباع سبيلهم عن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه  
فى مرصاد الافهام الى مبادئ الاحكام \* أن الله لا يفتقر أن يشرك به

لاحد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله \* قوله  
عز وجل \* (ومن يشاقق الرسول) نزلت فى طعمة أيضا وذلك انه لما سرق وظهرت  
عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين  
فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعنى يخالفه فى التوحيد والايان وأصله  
من المشاققة وهى كون كل واحد منهما فى شق غير شق الآخر \* من بعد ما تبين له الهدى \*  
أى وضع له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له  
بما انزل فيه واظهر من سرقة ما يدل على صحة دين الاسلام فساد الرسول صلى الله  
عليه وسلم وأظهر الشقاق ورجع عن الاسلام \* ويتبع غير سبيل المؤمنين \* يعنى  
ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان \* نوله ماتولى \*  
أى نكله فى الآخرة الى ما تولا فى الدنيا وتركه وما اختار لنفسه \* ونصله جهنم \*  
يعنى ونلزمه جهنم وأصله من الصلى وهو لزوم النار وقت الاستدفاء \* وساءت مصيرا \*  
يعنى وبئس المرجع الى النار وروى ان الشافعى سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع  
حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهى قوله تعالى ويتبع غير سبيل  
المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب أن يكون اتباع  
سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى ألحق الوعيد بمن يشاقق  
الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة \* قوله عز وجل  
\* أن الله لا يفتقر أن يشرك به \* نزلت فى طعمة بن أبيرق أيضا لكونه مات مشركا

(وقال)

(أن الله لا يفتقر أن يشرك به) ان مات عليه مثل طعمة

ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴿ كرره للتأكيد أو لقصة طعمة وقيل جاء شيخ إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه ولياً ولم أوقع المعاصي جرءة وماتوهمت طرفة عين اني اعجز الله هرباً وانى لنادم تائب فاترى حالى عند الله سبحانه وتعالى فنزلت ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ عن الحق فان الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد اقترى لانها متصلة بقصة أهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى النبي على الله عز وجل ﴿ أن يدعون من دونه الا انا اناء ﴾ يعنى اللات والعزى ومنات ونحوها كان لكل حى صنم يعبدونه ويسمونه

ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ( مر تفسيره في هذه السورة ) ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ( ان يدعون من دونه ) ما يعبدون من دون الله ( الا اناء ) جمع أتى وهى اللات والعزى ومنات ولم يكن حى من العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أتى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى أصنامهم هن بنات الله

( ويغفر مادون ذلك ) دون الشرك ( لمن يشاء ) لمن كان أهلاً لذلك ( ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ) عن الهدى ( أن يدعون من دونه ) ما يعبد أهل مكة من دون الله ( الا اناء ) اصناماً بلا روح اللات والعزى ومنات

وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية في شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به ولم أتحذ من دونه ولياً ولم أوقع المعاصي جرءة على الله عز وجل وماتوهمت طرفة عين اني اعجز الله هرباً وانى لنادم تائب مستغفر فاحالى عند الله فانزل الله هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التى عملها في حال الشرك ﴿ ويغفر مادون ذلك ﴾ يعنى مادون الشرك ﴿ لمن يشاء ﴾ يعنى لمن يشاء من أهل التوحيد قال العلماء لما أخبر الله انه يغفر الشرك بالايمن والتوبة علمنا انه يغفر مادون الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من أهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة أو الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وأدخله الجنة بفضله ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ يعنى فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فأن قلت لم كررت هذه الآية بلفظ واحد في موضعين من هذه الصورة وما فائدة ذلك قلت فائدة ذلك التأكيد أو لان الآية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر وهو ان الآية المتقدمة نزلت في سبب سرقة طعمة بن أبيرق ونزلت هذه في سبب ارتداده وموته على الشرك ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن يدعون من دونه الا اناء ﴿ نزلت في أهل مكة يعنى ما يعبدون من دون الله الا اناء لان كل من عبد شيئاً فقد دعاه لحاجته وفى قوله اناء أقوال أحدها انهم كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الاناث فيقولون اللات والعزى ومنات قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة أتى بن فلان والقول الثانى اناء يعنى أمواتا قال الحسن كل شىء لا روح فيه كالخجر والخشب هو اناء قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الخجر تعجبني وهذه الدرهم تنفعني ولان الاثى أنزل درجة من الذكر والميت أنزل درجة من الحى كما ان الموات أنزل من الحيوان وقد يطلق اسم الاثى على الجمادات



أشئ بنى فلان وذلك أمالتأنيث اسمائها كما قال

وما ذكر فان يكبر فأشئ \* شديد الازم ليس له ضروس

فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي حيلة وألوانها كانت جادات والجمادات تؤث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولصله تعالى ذكرها بهذا الاسم تبيها على انهم يعبدون ما يسمونه انا ما لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى وهو جمع اشئ كراباب وربى وقرى اشئ على التوحيد وانشأ على انه جمع انيث كخبث وخيث ووشنا بالثقل والتخفيف وهو جمع وثن كأسد وأسد وأسد وانشأ بهما على قلب الواو لضمتهما همزة ﴿ وأن يدعون ﴾ وان يعبدون بعبادتها ﴿ الا شيطانا مريدا ﴾ لانه الذى أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكان طاعته فى ذلك عبادة له والمارد والمريد الذى لا يعلق بخبر واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممد وغلام أسرد وشجرة مرداه التى تناثر ورقها ﴿ لعنه الله ﴾ صفة ثانية للشيطان ﴿ وقال لا تأخذن من عبادك نصيبا مفروضا ﴾ عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقدره من سبحانه وتعالى اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك بنا فى الالوهية غاية المناقات فان الاله يبنى ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهى افطع الضلال الثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك فى الضلال لا يعلق بشئ من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثانى انه ملعون لضلاله فلا تستجيب مطاوعته سوى الضلال والامن والثالث انه فى غاية العداوة والسبى فى اهل اكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء ﴿ ولا ضلنهم ﴾ عن الحق ﴿ ولا منينهم ﴾ الامانى الباطلة كطول الحياة وان لا يبعث ولا عقاب

( الا شيطانا ) لانه

هو الذى أغراهم على عبادة

الاصنام فاطاعوه فجمعت

طاعتهم له عبادة ( مريدا )

خارجا عن الطاعة عاريا عن

الخير ومنه الامر د ( لعنه

الله وقال لا تأخذن ) صفتان

يعنى شيطانا مريدا جامعا

بين لعنة الله وهذا القول

الشنيع ( من عبادك نصيبا

مفروضا ) مقطوعا واجبا

لى من كل ألف تسعمائة

وتسعة وتسعون وواحد

لله ( ولا ضلنهم ) بالدعاء

الى الضلالة والتزيين

ولو سوسة ولو كان انفاذ

الضلالة اليه لاضل الكل

( ولا منينهم ) ولا تقين فى

قلوبهم الامانى الباطلة من

طول الاعمار وبلوغ الامال

( وأن يدعون ) ما يعبدون

( الا شيطانا مريدا ) متمردا

شديدا ( لعنه الله ) طرده الله

من كل خير ( وقال ) ابليس

( لا تأخذن ) لا استولين و

لا استزلن ( من عبادك نصيبا

مفروضا ) حظا معلوما فاطيع

فيه فهو مفروضه مأموره

ويقال من كل ألف

تسعمائة وتسع وتسعون

فى النار ( ولا ضلنهم ) عن

الهدى ( ولا منينهم )

لارجينهم أن لا جنة ولا نار

﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ آذَانَ الْإِنْعَامِ ﴾ يشقونها التحريم ما حل الله وهو عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحار والسواهب وإشارة إلى تحريم كل ما حل ونقص كل ما خلق كاملاً بالفعل أو القوة ﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ عن وجهه وصورته أو صفته ويندرج فيه ما قيل من فقأ عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشى والواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله تعالى التي هي الإسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كالإلوان ويوجب لها من الله سبحانه وتعالى زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقاً لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجلل الرابع حكاية عما ذكره الشيطان نطقاً وإتاه فعلاً ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ بإيثاره ما يدعو إليه على ما أمره الله به ومجاوزته عن طاعة الله سبحانه وتعالى إلى طاعته ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خَسْرًا مَبِينًا ﴾ إذ ضيع رأس ماله

لهم ركوب الأهواء والأهوال الداعية إلى العصيان وقيل امنهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة ﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ آذَانَ الْإِنْعَامِ ﴾ يعني يقطعونها ويشقونها وهي البعيرة وذلك أنهم كانوا يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكراً وحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا سرعى وسول لهم إبليس أن هذا قرينة ﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال، وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وقيل يحتمل أن يحمل هذا التغيير على تغيير أحوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنصصات والمنطفجات للحسن المغيرات خلق الله أخرجه من رواية ابن مسعود ولهما عن أسماء قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الوصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الاختصاص وقطع الآذان حتى إن بعض العلماء حرّمه وكرهه أنس اختصاص الغنم وجوزّه بعض العلماء لأن فيه عرضاً ظاهراً (ق) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال لولا أن رسّول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاخصتنا التبتل هو ترك النكاح والإلتطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاص ويقول إن فيه نماء الخلق أخرجهم مالك في الموطأ ومعناه في ترك الاختصاص نماء الخلق يعني زيادتهم وقال ابن زيد هو الخنثى وهو أن يشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو أن الله تعالى خلق البهائم والأنعام للركوب والأكل فحرموها على أنفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والأحجار لمنفعة للناس فعبدوها من دون الله ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني يتخذها ربا يطيعه فيما أمره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خَسْرًا مَبِينًا ﴾ لأن طاعة الشيطان توصله إلى نار جهنم وهي غاية الخسران بقى في الآية سؤالان الأول قال لا يتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً والنصيب المفروض هو الشيء المقدر

(وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ آذَانَ الْإِنْعَامِ) التبتل القطع والتبتك الكثير والتكرير أي لاجلهم على أن يقطعوا آذان الأنعام وكانوا يشقون آذان الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكراً وحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها (وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ) بفقاً عين الحامي وأغفائه عن الركوب أو بالخصاء وهو مباح في البهائم محظور في بني آدم وبالوشم أو بتغيير الأنساب واستحاقها أو بتغيير الشيب بالسواد أو بالتحريم والتخيل أو بالخنثى أو بتبديل فطرة الله التي هي دين السلام لقوله لا تبديل خلق الله (وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ) وأجاب إلى مادعاه إليه (فقد خسر خسرنا مينا) في الدارين (وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ) فليشقن (آذان الأنعام) وهي البعيرة (وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ) دين الله (وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ) غيبنا (خسرنا مينا) غيبنا يتناهب الدنيا والآخرة

وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار ﴿ يعدمهم ﴾ مالا ينجزه ﴿ ويعتيمهم ﴾ مالا ينالون ﴿ وما يعدمهم الشيطان الاغرورا ﴾ وهو اظهر النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة أو بلسان اوليائه ﴿ أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ﴾ معدلا ومهريا من خاص يحصص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار

(يعدمهم) يوسوس اليهم ان لاجنة ولانار ولا بعث ولا حساب (ويعتيمهم) ما لا ينالون (وما يعدمهم الشيطان الاغرورا) هو ان يرى شيئا يظهر خلافه (أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا) معدلا ومفرا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولم يتبعوا الشيطان في الامر بالكفر (سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار

القليل وقال في موضع آخر لاحتكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب ان كفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا أكثر من المسلمين في العدد لكنهم اقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا أقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسودد والقلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الآخرة وأنشد بعضهم في هذا المعنى فقال

وهم الاقل اذا تعد عشيرة \* والاكثر ان اذا يعد السود

وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ما أراد ورأى الجنة والنار وعلم ان لهذه أهلا ولهذه أهلا قال لا تحذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم أهل النار السؤال الثاني من أين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولا ضلنهم ولا غوينهم ولا منينهم ولا آمنهم وقال في الاعراف ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال في بني اسرائيل لاحتكن ذريته الا قليلا فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها ان ابليس ظن ان تقع منهم هذه الامور التي يريدونها منهم فحصل له ما ظنه وبدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال ابن الانباري المعنى لاحتكبن ولا حرصن في ذلك لأنه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال المناوردي من الجائر أن يكون قد علم ذلك من الملائكة بحجر من الله تعالى ان اكثر اخلاق لا يؤمنون ﴿ وقوله عز وجل ﴾ يعدمهم ويعتيمهم ﴿ يعني الشيطان يعد حزبه وأولياءه ويعتيمهم فوعده وتميته اياهم ما يقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل ما أراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل ان لا يلتفت الى شيء منها فر بما لم يطل عمره ولم يحصل له ما أراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينقص عليه ما هو فيه وقيل يعدمهم ويعتيمهم بان لاجنة ولانار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية ﴿ وما يعدمهم الشيطان الاغرورا ﴾ يعني باطلا وضلالا ﴿ أولئك ﴾ يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا ﴿ مأواهم جهنم ﴾ يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم ﴿ ولا يجدون عنها ﴾ يعني عن جهنم ﴿ محيصا ﴾ يعني مفرا ومعها لا يعني لا يعدلون عنها الى غيرها ولا بدلهم من ورودها واخذها فيها للماذكر وعيد الكفار أتبعه بوعده المؤمنين فقال تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار ﴾ يعني من تحت المساكن والغرف

(يعدمهم) الشيطان ان لاجنة ولانار (ويعتيمهم) يرجيم ان الدنيا لا تقف (وما يعدمهم الشيطان الاغرورا) باطلا وكذبا (أولئك) الكفار (مأواهم) مصيرهم (جهنم) ولا يجدون عنها محيصا) مفرا ومجأ (والذين آمنوا) بمحمد والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (سندخلهم جنات) بساتين (تجري من تحتها) من تحت غرفها ومسكنها (الانهار) أنهار الخمر والماء واللبن والعسل

مؤكد لنفسه والثاني مؤكدا  
 لغيره (ومن أصدق من الله  
 قبيلا) قولاً وهو استفهام  
 بمعنى النفي أي لا أحد أصدق  
 منه وهو تأكيد وفائدة  
 هذه التوكيدات مقابلة  
 مواعيد الشيطان الكاذبة  
 لقرنائه بوعدا لله الصادق  
 لاوليائه (ليس بأمانيتكم)  
 ليس الأمر على شهواتكم  
 وأمانيتكم أيها المشركون  
 أن تنفعلكم الاصنام (ولا  
 أمانى أهل الكتاب) ولا  
 على شهوات اليهود  
 والنصارى حيث قالوا  
 نحن أبناء الله وأحباؤه  
 لن تمسنا النار إلا أيام معدودة  
 (من يعمل سوءاً يجزيه) أي  
 من المشركين وأهل الكتاب  
 (خالد بن قيس) مقيم في الجنة  
 لا يعوتون ولا يخرجون  
 منها (أبداً وعد الله) في جهنم  
 والجنة (حقاً) كأنها صدقا  
 (ومن أصدق من الله قبيلا)  
 وعدا (ليس بأمانيتكم) ليس  
 كما تمنيتهم يامعشر المؤمنين  
 ان لا تؤاخذوا بسوء وعد  
 بعد الايمان (ولا أمانى  
 أهل الكتاب) ولا كما تمنى  
 أهل الكتاب لقولهم  
 ما نعمل بالنهار من الذنوب  
 يفقر بالليل وما نعمل بالليل  
 يفقر بالنهار (من يعمل

خالد بن قيس فيها أبداً وعد الله حقا ﴿ اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكدا لنفسه لان  
 مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعدو الثاني مؤكدا لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل بفسره  
 ما بعده ووعدا لله بقوله سيدخلهم لانه بمعنى ندمهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر  
 ﴿ ومن أصدق من الله قبيلا ﴾ جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية  
 الكاذبة لقرنائه بوعدا لله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ﴿ ليس  
 بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب ﴾ اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيتكم ايها المسلمون  
 ولا بامانى أهل الكتاب واما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى  
 ولكن ما وفر في القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال  
 اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابتنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون  
 نحو اولى بالله منكم نبينا خاتم النبيين وكتابتنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت  
 وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم أي ليس الأمر بامانى المشركين  
 وهو قولهم لاجنة ولانار وقولهم ان كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم  
 واحسن حالا ولا امانى أهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا  
 أو نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال ﴿ من يعمل سوءاً يجزيه ﴾  
 عاجلاً وأجلاً لما روى انها لما نزلت قال أبو بكر رضى الله عنه فنجم مع هذا يارسول الله فقال  
 عليه الصلاة والسلام اما تمحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يارسول الله قال هو

﴿ خالد بن قيس ﴾ يعني في الجنات ﴿ أبداً ﴾ بلانتهاء ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان  
 الممتد الذي لا انقطاع له ولا تجزأ كما تجزأ غيره من الازمنة لانه لا يقال ابد كذا كما يقال  
 زمن كذا وفي قوله خالد بن قيس فيها أبداً دليل على أن الخلود لا يفيد التأبيد والدوام  
 لانه لو أفاد ذلك لزمت التكرار وهو خلاف الاصل فلم من ذلك أن الخلود عبارة  
 عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام الذي  
 لا ينقطع ﴿ قوله عز وجل ﴾ وعد الله حقا ﴿ يعني وعد الله ذلك الذي ذكر وعدا  
 حقا ﴿ ومن أصدق من الله قبيلا ﴾ يعني ليس أحد أصدق من الله وهو توكيد  
 بليغ لقوله وعد الله حقا ﴿ قوله عز وجل ﴾ ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب ﴿  
 الامنية افعولة من التمنية والتنى تقدير شئ في النفس وتصويره فيها والامنية هي  
 الصورة الحاصلة في النفس من معنى الشئ اذا وقع في نفسه وأراده وفي الخطاب بقوله  
 ليس بامانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب قولان أحدهما أنه خطاب للمسلمين وأهل  
 الكتاب اليهود والنصارى وذلك أنهم افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم  
 وكتابتنا قبل كتابكم فمن أولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابتنا  
 يقضى على الكتب وقد آمننا بكتابتكم ولم تؤمنوا بكتابتنا فمن أولى بالله منكم والقول  
 الثاني انه خطاب لمشركي مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب  
 في قولهم لن تمسنا النار الا أيام معدودة والمعنى ليس الأمر بالامانى انما الأمر بالعمل  
 الصالح ﴿ من يعمل سوءاً يجزيه ﴾ قال الضمك يقول ليس لكم ماتميتم وليس

ذاك ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجده لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها أو شيئا منها فان كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر أو اثني لاهل الكتاب ما آمنوا ولكن من عمل سوا يعني شركا فمات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا في حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن بسوء عمله يوم القيامة ولكن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا وهذا هو الكافر فاما المؤمن فله ولي ونصير وقال آخرون هذه الآية في حق كل من عمل سوا من مسلم ونصراني وكافر قال ابن عباس رضى الله عنهما هي عامة في حق كل من عمل سوا يجز به الا أن يتوب قبل ان يموت فيتوب الله عليه وقال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله وأينا من لم يعمل سوا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسبيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده أعشاره وامان كان جزاؤه في الآخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة فيؤتى كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ماروى عن أبي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها أخرجهم مسلم وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوا يجز به ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا قرئت آية أنزلت على قلت بلى يا رسول الله قال فقرأتها فلا اعلم الا انى وجدت انك صامتا في ظهري فتمطأت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشأ نك يا أبا بكر قلت يا رسول الله بأبى انت وأمى وأين لم يعمل سوا وانما الجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتمجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب واما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة أخرجهم الترمذى وقال حديث غريب وفي اسناده مقال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الآية خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر وان قلنا انها في حق كل عامل سوا من مسلم وكافر فانه لاولى لاحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر فالمؤمنون لاولى لهم غير الله وشفاعاة الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع أحد أحدا عن الله وقوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو اثني

بدليل قوله (ولا يجده من دون الله وليا ولا نصيرا) وهذا وعيد للكفار لانه قال بعده (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو اثني النار وبعد دخول النار) ولا يجده من دون الله (من عذاب الله) (وليا) قريبا ينفعه (ولا نصيرا) ما نعامته (ومن يعمل من الصالحات) الطاعات فيما بينه وبين ربه (من ذكر أو اثني) من رجال أو نساء

وهو مؤمن ) فقولوه وهو مؤمن حال ومن الاولى للتبعض والثانية لبيان الاجرام في من يعمل وفيه اشارة الى أن الاعمال ليست من الايمان ( فأولئك يدخلون ﴿ ١٧٣ ﴾ الجنة) يدخلون { سورة النساء } مكي وأبو عمرو وأبو بكر

( ولا يظلمون تقيرا ) قدر

التقير وهو النقرة في ظهر

النواة والراجع في ولا

يظلمون لعمال السوء وعمال

الصالحات جميعا وجازان

يكون ذكره عند أحد

الفرقتين دليلا على ذكره

عند الآخر وقوله من

يعمل سوا يجزبه وقوله ومن

يعمل من الصالحات بعد

ذكرتني أهل الكتاب

كقوله بلي من كسب سيئة

وأحاطت به خطيئته وقوله

والذين آمنوا وعلما

الصالحات عقيب قوله

وقالوا لن نؤمن النار الا

أيام معدودة (ومن أحسن

دينا ممن أسلم وجهه لله )

أخلص نفسه لله وجعلها

سالمة له لا يعرف لها با ولا

معبود اسواه ( وهو محسن )

عامل الحسنات ( واتبع ملة

ابراهيم حنيفا ) مائلا عن

الاديان الباطلة وهو حال

من المتبع أو من ابراهيم

( وهو مؤمن ) وهو مع ذلك

مؤمن مصدق بايمانه

( فأولئك يدخلون الجنة ولا

يظلمون تقيرا ) لا ينقص

من حسناتهم قدر تقير

وهو النقرة التي على ظهر

في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن لليسان أو من الصالحات أي كائنة من ذكر  
أوتى ومن للابتداء ﴿ وهو مؤمن ﴾ حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء  
الثواب المذكور تنبيها على أنه لا اعتداد به دونه فيه ﴿ فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون  
تقيرا ﴾ ينقص شيء من الثواب وإذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لا يزداد  
عقاب العاصي لان المجازي أرحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب \* وقرأ  
ابن كثير وأبو عمرو يدخلون الجنة هنا وفي غافر ومرم بضم الياء وقع الخاء والباقون  
بفتح الياء وضم الخاء ﴿ ومن أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله ﴾ اخلص نفسه لله  
لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على  
ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية ﴿ وهو محسن ﴾ أت بالحسنات تارك للسيئات  
﴿ واتبع ملة ابراهيم ﴾ الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها ﴿ حنيفا ﴾ مائلا

وهو مؤمن ﴿ قال مسروق لما نزلت من يعمل سوا يجز به قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء  
فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم ولفظة  
من في قوله من الصالحات للتبعض لان أحد لا يقدر أن يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا  
عمل بعضها استحق الثواب ﴿ فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون تقيرا ﴾ التقير نقرة في ظهر  
النواة ومنها ثبت النخلة قال ابن عباس يريد لا ينقصون قدر نقرة النواة وهذا على السبيل  
المبالغة في نفي الظلم ووعده بتوفية جزاء أعمالهم من غير نقصان ﴿ قوله عز وجل  
﴿ ومن أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ لما بين الله تعالى ان الجنة لمن  
يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن أحسن  
دينا يعني ومن أحكم ديننا والدين هو المشتمل على كمال العبودية والخضوع والانقياد لله  
عز وجل وهو الذي كان عليه ابراهيم صلى الله عليه وسلم واعلم أن دين الاسلام مبنى  
على أمرين أحدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله أسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع  
له في سره وعلايته وقيل معناه أخلص طاعته لله وقيل فوض أمره الى الله الامر  
الثاني من مباني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعني في عمله الله  
فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات والطاعات وترك السيئات وقال ابن عباس  
في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل لا يشرك به شيئا قال العلماء  
وانما صار دين الاسلام أحسن الاديان لان فيه طاعة الله ورضاه وهما أحسن الاعمال  
وانما خص الوجه بالذكر في قوله أسلم وجهه لله لانه أشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله  
وخضع له فقد انقاد الله جميع الاعضاء لانها تابعة له ﴿ واتبع ملة ابراهيم ﴾ يعني  
دين ابراهيم عليه السلام ﴿ حنيفا ﴾ يعني مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه  
المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كل ما سواه من الاديان باطل وحنيفا يجوز

النواة ( ومن أحسن ديننا ) أحكم ديننا وأحسن قولنا ( ممن أسلم وجهه لله ) أخلص دينه وعمله لله ( وهو محسن )

موحد محسن بالقول والفعل ( واتبع ملة ابراهيم حنيفا )

عن سائر الاديان وهو حال من المتبع أو من الملة أو من ابراهيم ﴿ واتخذ الله ابراهيم خيلا ﴾ اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعد ذكره ولم يضم تفضيما لشأنه وتنصيحا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ودخل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر أو من الخلل وهو الطريق في الرمل فانهما يتوافقان في الطريقة أو من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء به لترغيب في اتباع ملته صلى الله عليه وسلم والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتارمه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاخترت علمانه ببطحاه لينة فملاؤها منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساء الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبرت

ان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للاتباع كما تقول رأيت ركباً قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف ومناسك الحج والختان ونحو ذلك فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم شرع مستقل به وليس الامر كذلك فالجواب \* قلت ان شرع ابراهيم وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلية في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يقفرون بالانتساب اليه وكذا اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته ﴿ قوله عز وجل ﴾ واتخذ الله ابراهيم خيلا ﴾ يعنى صفا والخلة صفا المودة وقيل الخلة الاقتدار والانتقاع فخليل الله المنقطع اليه وسمى ابراهيم خيلا لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمى ابراهيم خيلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وسمى ابراهيم خليل الله لانه أحبه محبة كاملة ليس فيها نقص ولا خلل وأنشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة

قد تخلت مسلك الروح منى \* وبه سمى الخليل خيلا

وقيل الخليل من الخلة بفتح الحاء وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان

(واتخذ الله ابراهيم خيلا) هو في الاصل الخيال وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خالك أو يداخلك خلال منزلك أو يسد خللك كما يسد خلله فالخلة صفا مودة توجب الاختصاص بتخلل الاسرار والمحبة أصفى لانها من حبة القلب وهى جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كقوله والحوادث جمة وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذ خيلا كان جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلها معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى وفى الحديث اتخذ الله ابراهيم خيلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام وقيل أوحى اليه انما اتخذتك خيلا لانك تحب أن تعطى ولا تعطى وفى رواية لانك تعطى الناس ولا تسألهم وفى قوله

مسلم ( واتخذ الله ابراهيم خيلا ) مصافيا

فاستيقظ ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذا فقالت من خليلك  
المصرى فقال بل هو من عند خليلي الله عز وجل فسماء الله خليلا

فيها وسمى ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقره وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد  
هي تمكنه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلة ونصره والثاء عليه فقد اتى  
الله عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجهه امام الناس يقتدى به واختلفوا في السبب  
الذي من اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه  
وسلم أبا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس شدة  
قحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تأتيه من صديق له  
بمصر فبعث ابراهيم غلامه الى خليله الذي بمصر فقال خليله لغلمان ابراهيم لو كان  
ابراهيم يريد انعاء الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل  
على الناس من الشدة فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فرأوا بيطحاء من الرمل سهلة  
فقالوا لو حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس أنا قد جئنا بالميرة فانا نستحي ان نمر  
بهم وابلنا فارغة فلو امن ذلك الرمل الغرائر التي معهم ثم أتوا الى ابراهيم صلى الله  
عليه وسلم فأعلموه وسارة نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فظلمته عيناه فنام  
واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت  
لجأوا بشيء قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي مملوءة بأجود دقيق يكون  
حواري فامرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح  
الطعام فقال يا سارة من أين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصرى فقال هذا  
من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذ الله خليلا وقيل لما أراه الله ملكوت السموات  
والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيدهم ومنعهم من عبادة النجوم والشمس  
والقمر والاوزان وبذل نفسه للالقاء في النيران وبذل ولده للقرابان وماله للضيفان  
اتخذ الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به ويجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل ان  
ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذ الله خليلا  
وقيل لما دخل عليه الملكة فظنهم ضيفا ففهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط  
أن تسموا الله في أوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل أنت خليل الله فن يومئذ  
سمى ابراهيم خليل الله (م) عن أنس رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله  
عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله

### فصل

وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت في  
الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذنا  
خليلا غيري لآخذت أبا بكر خليلا \* وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه  
وسلم لو كنت متخذنا خليلا لآخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله



﴿ولله ما في السموات وما في الارض﴾ خلقا وملايخا من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل  
بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكال قدرته على جازاتهم على  
الاعمال ﴿وكان الله بكل شئ محيطا﴾ احاطة علم وقدرته فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على  
خيرها وشرها ﴿ويستفتونك في النساء﴾ في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عينة  
ابن حصين اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطى الابنة النصف  
والاخذ النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويجوز الغنيمه فقال عليه الصلاة  
والسلام بذلك أمرت ﴿قل الله يفتيك فيهن﴾ يبين لكم حكمه فيهن والافتاء يبين الميهم  
﴿وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ عطف على اسم الله تعالى أو ضميره المستكن في فتيتكم

صاحبكم خليلا أخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم  
وزاد على ابراهيم عليه السلام بالحجة فحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحيده فقد  
جاء في حديث عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا وأنا حبيب الله ولا  
فخر أخرجه الترمذي بأطول منه ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ولله ما في السموات وما في الارض﴾  
قال أهل المعاني لما دعا الله الخلق الى طاعته وعبادته والاقتياد لامره بين سعة ملكه  
ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه  
ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر وأريد به الجنس ذكر بلفظة ما  
﴿وكان الله بكل شئ محيطا﴾ يعني علما علم احاطة وهو العلم بالشئ من كل وجه  
حتى لا يشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه ﴿قوله  
عز وجل﴾ ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيك فيهن﴾ الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما  
نزلت في بنات أم حنيفة وقد تقدمت قصتهن في أول السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون  
في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من سنة  
صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها وفي رواية قالت هي  
اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لدمامتها  
ويكره أن يزوجه غيره فيدخل عليه ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فهام الله  
عن ذلك وأنزل هذه الآية فقال ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شأن النساء  
وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو اظهار ما أشكل من الاحكام الشرعية وكشفه  
وتبينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النساء وذلك انهم كانوا  
لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث قالوا يا رسول الله كيف  
ترث المرأة والصغير فاجابهم بهذه الآية قل الله يفتيك فيهن يعني قل يا محمد الله يفتيك  
في شأن النساء وحالهن ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ يعني يفتيك فيما يتلى عليكم  
والمعنى ان الله يفتيك في النساء بما أنزل في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ  
والعرض منه تعظيم حال هذه الآية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ وأن العدل  
والانصاف في حقوق اليتامى من أعظم الامور عند الله تعالى التي تجب مراعاتها وان المحل بها

(ولله ما في السموات  
وما في الارض) دليل  
على أن اتخاذه خليلا  
لاحتياج الخليل اليه لا  
لاحتياجه تعالى لانه منزلة  
عن ذلك (وكان الله بكل  
شئ محيطا) عالما (و  
يستفتونك في النساء)  
ويسألونك الافتاء في النساء  
والافتاء يبين الميهم (قل الله  
يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم  
في الكتاب)

(ولله ما في السموات  
وما في الارض) من الخلق  
والعجائب كلهم عبيده  
واماؤه (وكان الله بكل  
شئ) من أهل السموات  
والارض (محيطا) علما  
(ويستفتونك في النساء)  
يسألونك في ميراث النساء  
سأله ذلك عينة (قل الله  
يفتيكم) يبين لكم (فيهن)  
في ميراثهن (وما يتلى عليكم  
ويبين ما قرئ عليكم)  
(في الكتاب) في أول

في يتامى النساء) أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب أي القرآن في معنى يتامى يعني قوله وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك أعجبتني زيد وكرمه ﴿ ١٧٧ ﴾ وما يتلى في محل { سورة النساء } الرفع بالعطف على الضمير

في يفتيكم أو على لفظ الله وفي يتامى النساء صلة يتلى أي يتلى عليكم في معانها ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن و الاضافة بمعنى من (اللائي لا تؤتونهن ما كتب لهن) ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالهها فان كانت جيلة تزوجها وأكل المال وان كانت دمية عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون أن تنكحون) أي في ان تنكحون لجمالهن أو عن ان تنكحون لدمامتهن (والمستضعفين من الولدان) أي اليتامى وهو محروور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال

هذه الصورة (في يتامى النساء) في بنات أم حكة (اللائي لا تؤتونهن) لا تعطونهن (ما كتب لهن) ماوجب لهن من الميراث وقد بين الله هذه الآية في أول هذه السورة (وترغبون أن

وساغ للفصل فيكون الاقراء مسندا الى الله سبحانه وتعالى والى ما في القرآن من قوله تعالى يو صيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين مختلفين باعتبارين مختلفين ونظيره اغثناني زيد وعطاؤه أو استئناف معترض لتعظيم المتلو على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى وبين لكم ما يتلى عليكم أو يخفض على القسم كأنه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فهم لاختلاله لفظا ومعنى ﴿ في يتامى النساء ﴾ صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله أي يتلى عليكم في شأنهن والافيدل من فيهن أو صلة أخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلناك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ يتامى بياءين على انه أيامى فقلبت همزته ياء ﴿ اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن ﴾ أي فرض لهن من الميراث ﴿ وترغبون أن تنكحون ﴾ في ان تنكحون أو عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جيلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو تحتل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صفرها ﴿ والمستضعفين من الولدان ﴾ عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كالا يورثون النساء

ظالم ﴿ في يتامى النساء ﴾ قيل معناه في النساء اليتامى وقيل في اليتامى اولاد النساء لان الآية نزلت في يتامى أم حكة ﴿ اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن ﴾ يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة في ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق ﴿ وترغبون أن تنكحون ﴾ يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبهمن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في أموالهن (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالهها ويريد أن ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا أن يقسطوا لهن في اكمال الصداق وأمروا بشكاح من سواهن قالت عائشة رضي الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل يستفتونك في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فيهن لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها اذ ارغبوا فيها الا أن يقسطوا لها ويعطوها حقةها الا وفي من الصداق ﴿ قوله عز وجل ﴾ والمستضعفين من الولدان ﴿ يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار أن تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار أيضا نهباهم الله عن ذلك وأمروهم أن يعطوهم حقتهم من الميراث

تنكحوهن) يعني ترغبون عن نكاحهن ( و قا خا ٢٣ ني ) لقبيل دمامتهن فاعطوا أموالهن لكي ترغبوا في نكاحهن لقبيل مالهن (والمستضعفين من الولدان) وبين لكم ميراث الصبيان

والنساء ( وأن تقوموا لليتامى ) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي أن تقوموا أو منصوب بمعنى ويأمركم { الجزء الخامس } أن تقوموا وهو ﴿ ١٧٨ ﴾ خطاب للأئمة في أن ينظروا

﴿ وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ أيضا عطف عليه أى ويفتيكم أو ما يتلى في أن تقوموا هذا إذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطف على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل أى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للأئمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم أو للقوام بالنصفة في شأنهم ﴿ وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ﴾ وعدلن آثار الخير في ذلك ﴿ وأن امرأة خافت من بعلها ﴾ توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر ﴿ نشوزا ﴾ تجافيا عنها وترفعان صحبتها كراهة لها ومنما لحقوقها ﴿ أو اعراضا ﴾ بان يقل مجالستها ومحدثها ﴿ فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا ﴾ ان يتصالحا بان تحط

﴿ وأن تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ يعنى بالعدل في مهورهن وموارشهن ﴿ وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ﴾ يعنى فيجازيكم عليه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وأن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا ﴾ (ق) عن عائشة رضى الله عنها في قوله عز وجل وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا قالت نزلت في المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له أمسكنى لا تطلقنى ثم تزوج غيرى وأنت في حل من النفقة على والقسمه لى قالت فذلك قوله عز وجل فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصالح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال له رافع بن خديج تزوجها وهى شابة فلما كبرت تزوج عليها امرأة أخرى شابة وآثرها عليها وجفا الأولى فانت ابنة محمد بن مسلمة تشكوز زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فاراد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقنى ودعنى أقوم على أولادى واقسم لى كل شهر من ان شئت وان شئت فلا تقسم لى فقال ان كان يصلح ذلك فهو أحب الى فاقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدكر له ذلك فانزل الله هذه الآية وان امرأة خافت يعنى علمت وقيل ظنت وقيل بل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعنى من زوجها والبعل هو السيد وسمى الزوج بعلا لانه سيد المرأة نشوزا يعنى بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها وأصله من النشز وهو المرتفع من الارض والنشوز قد يكون من الزوجين وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو أن يعرض عن المرأة وهو قوله عز وجل أو اعراضا يعنى بوجهه عنها أو بعث في وجهها أو بترك مضاجعتها أو بسى عشرتها أو يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد من الاعراضى السكوت عن الخير والشر والابناء بل يعرض عنها بوجهه أو يشتغل بغيرها ﴿ فلا جناح عليهما ﴾ يعنى فلا حرج ولا اثم على الزوج والمرأة ﴿ أن يصالحا ﴾ من المصالحة وقوى أن يصالحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح ﴿ بينهما صلحا ﴾ يعنى في القسمه

لهم ويستوفوا لهم حقوقهم (بالقسط) بالعدل في ميراثهم وما نهى (وما تفعلوا من خير) شرط وجوابه (فان الله كان به عليما) أى فيجازيكم عليه (وأن امرأة خافت من بعلها نشوزا) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته والنشوز أن تجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته وان يؤذيها بسبب أو ضرب (أو اعراضا) عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها بسبب كبر سن أو دمامة أو سوء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين الى أخرى أو غير ذلك (فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما) كوفى يصالحا غيرهم أى يتصالحا هو أصله فأبدلت التاء صادوا وأدغمت (صلحا) فى معنى مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمه أو عن بعضها أو نهب له بعض المهر أو كله

(وأن تقوموا لليتامى بالقسط) وبين لكم ان تقوموا بحفظ مال اليتامى بالقسط بالعدل (وما تفعلوا

من خير) من احسان الى هؤلاء (فان الله كان به) وبنياتكم (عليما وأن امرأة) يعنى عميرة (خافت من) (والنفقة) بعلها) علمت من زوجها سعد بن الربيع (نشوزا) ترك مجامعتها (أو اعراضا) ترك محادثتها ومجالستها (فلا جناح عليهما) على الزوج والمرأة (ان يصالحا بينهما) يعنى بين المرأة والزوج (صلحا) معلوما ترضى

أو النفقة (والصلح خير) من الفرقة أو من النشوز أو من الخصومة في كل شيء أو والصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة ﴿ ١٧٩ ﴾ اعتراض كقوله ﴿ سورة النساء ﴾ (وأحضرت الانفس الشح)

أي جعل الشح حاضرهما لا يفتب عنهما أبدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والمراد ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمح بان يقسم لها اذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته وأحضرت يتعدى الى مفعولين والاول الانفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله (وأن تحسنوا) بالاقامة على نساءكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والاعراض وما يؤدى الى الاذى والخصومة (فأن الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خييرا) فيثيبكم عليه وكان عمران الخارجي من آدم بنى امرأة من أجلهم فنظرت اليه وقالت الحمد لله على انى واياك من أهل الجنة قال كيف فقالت لانك رزقت مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنة موعودة للساكرين والصابرين به المرأة عن الروح (والصلح) على رضا المرأة (خير) من الجور والميل (و

له بعض المهر أو القسم أو تهب له شياً تستمليه به \* وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جازان ينصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف أحوال منه أو على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما وهو محذوف \* وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح \* والصلح خير \* من الفرقة وسوء العشرة أو من الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفصيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله \* وأحضرت الانفس الشح \* ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكنة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها \* وأن تحسنوا \* في العشرة \* وتتقوا \* النشوز والاعراض ونقص الحق \* فأن الله كان بما تعملون \* من الاحسان والخصومة \* خييرا \* عليما به وبالقرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب

والنفقة وهو أن يقول الزوج للمرأة انك قد كبرت ودخلت في السن وأنا اريد أن تزوج امرأة جميلة شابة أو ثرا عليك في القسمة ليدلونها رافان رضيت فاقبى وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيا حقها من القسم والنفقة أو يسرحها بأحسن وان أمسكها ووفاهما حقهما مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس رضى الله عنهما فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة جاز وان أنكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها \* والصلح خير \* يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خشيت سودة أن يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وأمسكنى واجعل يومى لعائشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما أن يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فا اصطلحا عليه من شئ فهو جائز أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة \* وأحضرت الانفس الشح \* الشح أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال وأحضرت الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الآية ان كل واحد من الزوجين يشح بنصيبه من الآخر فالمرأة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه اذا كان غيرها أحب اليه منها \* وأن تحسنوا وتتقوا \* هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا أيها الازواج الصعبة والعشرة وتتقوا الله في حق المرأة فانها أمانة عندكم وقيل مضناه وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهة وتتقوا ظلمها والجور عليها \* فأن الله كان بما تعملون خييرا \* يعني فيجازيكم باعمالكم \* قوله عز وجل

أحضرت الانفس الشح ( جبلت الانفس على الشح والشح البخل فتبلى بنصيب زوجها ويقال طمعها يجرها الى ان ترضى (وأن تحسنوا) تسوا بين الشابة والعجوز في القسمة والنفقة (وتتقوا) الجور والميل (فأن الله كان بما تعملون) الجور والميل (خييرا

( ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ) ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة فتمام العدل أن يسوى بينهما بالقسمة والنفقة والمهد والنظر والاقبال والحاملة والمفاكحة وغيرها وقيل معناه أن تعدلوا في المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت أحب اليه ( ولو { الجزء الخامس } حرصتم ) بالغم ١٨٠ في تحري ذلك ( فلا تملوا كل الميل )

فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها يعني ان اجتنب كل الميل في حد اليسر فلا تفرطوا كان فيه وان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبخ وكل نصب على المصدر لان له حكم ما يضاف اليه ( فتدروها كالمعلقة ) وهي التي ليست بذات بل ولا معلقة ( وأن تصلحوا ) بينهن ( وتنفوا ) الجور ( فأن الله كان غفورا رحيما ) يفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم ( وأن يتفرقا ) أي ان لم يصطح الزوجان على شيء وتفرقا بالغلح أو بتطليقه اياها وايضا مهرها ونفقة عدتها ( يغن الله كلا ) كل واحد منهما ( من سعته ) من غناه أي يرزقه زوجا خيرا من زوجته وعيشا ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ) في الحب

الشرط اقامة السبب مقام المسبب ( ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ) لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك ( ولو حرصتم ) أي على تحري ذلك وبالغم فيه ( فلا تملوا كل الميل ) بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله ( فتدروها كالمعلقة ) التي ليست ذات بعل ولا معلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احدهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل ( وأن تصلحوا ) ما كنتم تفسدون من أمورهن ( وتنفوا ) فيما يستقبل من الزمان ( فأن الله كان غفورا رحيما ) يفر لكم ماضي من ميلكم ( وأن يتفرقا ) وقرى وان يتفارقا أي وان يفارق كل منهما صاحبه ( يغن الله كلا ) منهما عن الآخر ببدل اوسلو ( من سعته ) غناه وقدرته

( ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ) يعني ولن تقدرُوا أن تسوا بين النساء في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرُونَ عليه وليس من كسبكم ( ولو حرصتم ) يعني على العدل والتسوية بينهما وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك ( فلا تملوا كل الميل ) يعني الى التي تجوبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منيبن عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل ( عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فإم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط أخرجه الترمذي وعند أبي داود من كانت له امرأتان فال الى احدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك يعني القلب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي ( قوله عز وجل ) فتدروها كالمعلقة ( يعني فتدعوا الاخرى التي لا تملون اليها كالمعلقة لأبما ولا ذات بعل كالشيء المعلق لاهو في السماء ولا على الارض وقيل معناه فتدروها كالمسجونة لاهي مخصصة فتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن اليها ( وأن تصلحوا ) يعني بالعدل في القسم ( وتنفوا ) يعني الجور في القسم ( فأن الله كان غفورا ) يعني لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض ( رحيما ) يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرُونَ عليه ( وأن يتفرقا ) يعني ان لم يصطحوا وأرادا الفرقة ( يغن الله كلا ) من سعته ( يعني من

( ولو حرصتم ) جهدتم ( فلا تملوا ) بالبدن ( كل الميل ) الى الشابة ( فتدروها ) الاخرى يعني المرأة ( فضله ) العجوز ( كالمعلقة ) كالمسجونة لأيم ولا ذات بعل ( وأن تصلحوا وتنفوا ) تسوا وتنفوا الميل والجور ( فأن الله كان غفورا ) لمن تاب من الميل والجور ( رحيما ) على من ماب على التوبة ( وأن يتفرقا ) يعني المرأة والزوج بالطلاق ( يغن الله كلا ) يعني الزوج والمرأة ( من سعته ) من رزقه الزوج بامرأة اخرى والمرأة بزواج آخر

فالسعة الغنى والقدرة  
والواسع الغنى ثم المقتدرين  
غناه و قدرته بقوله ( والله  
ما في السموات وما في الارض  
خلقها والمتملكون عيده  
رقا ) ولقد وصينا الذين  
أوتوا الكتاب ( هوام  
للجنس فيتناول الكتب  
السماوية ( من قبلكم )  
من الامم السالفة وهو  
متعلق بوصينا أو باوتوا  
( وأياكم ) عطف على الذين  
أوتوا ( أن اتقوا الله )  
بأن اتقوا أو تكون  
ان المفسرة لان التوصية  
في معنى القول والمعنى أن  
هذه وصية قديعة مازال  
يوصى الله عنها عباده ولستم  
بها مخصوصين لانهم بالتقوى

( وكان الله واسعا ) لهما  
في التكاح ( حكيميا ) فيما حكم  
عليهما من العدل وكان لاسمه  
ابن ربيع امرأة أخرى شابة  
يعمل اليها فهاه الله عن ذلك  
وأمره بالتسوية بين العجوز  
والشابة ( والله ما في السموات  
من الخزائن ) وما في الارض  
من الخزائن وغير ذلك  
( ولقد وصينا الذين أوتوا  
الكتاب ) اعطوا الكتاب  
( من قبلكم ) يعني أهل  
التوراة في التوراة وأهل

﴿ وكان الله واسعا حكيميا ﴾ مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ﴿ والله ما في السموات  
وما في الارض ﴾ تنبيه على كمال سعته وقدرته ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب  
من قبلكم ﴾ يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا  
أوبأوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص ﴿ وأياكم ﴾ عطف على الذين  
﴿ أن اتقوا الله ﴾ بأن اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية في معنى  
فضله ورزقه والمعنى يعني الزوج بامرأة أخرى والمرأة بزواج آخر وقيل معناه  
يعوض الزوج بما يحب والمرأة بما تحب ويوسع عليها وفي هذا تسوية لكل واحد  
من الزوجين بعد الطلاق ﴿ وكان الله واسعا ﴾ يعني واسع الفضل والرحمة وقيل  
واسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغنى الذي وسع جميع مخلوقاته غناه  
﴿ حكيميا ﴾ يعني فيما أمر به ونهى عنه

### فصل

فيما يتعلق بحكم الآية وجلته ان الرجل اذا كان تحت امرأتان أو أكثر يجب  
عليه التسوية بينهما في القسم فان ترك التسوية بينهما في فعل القسم عصى الله  
عز وجل في ذلك وعليه القضاء للمظلومة والتسوية شرط في البيوتة أما  
في الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو  
كان في نكاحه حرة وأمة قسم للحرة ليلتين وللأمة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة  
على قديمت كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال ان كانت  
الجديدة بكرًا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستأنف القسم ويسوى  
بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي للقديمت ويدل على ذلك ما روى أبو  
قلاية عن أنس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب أقام عندها سبعا وقسم  
واذا تزوج الثيب أقام عندها ثلاثا وقسم قال أبو قلاية ولو شئت لقلت ان أنسا  
رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه في العجيمين واذا سافر الرجل الى سفر  
حاجة جازله أن يحمل معه بعض نسائه بشرط أن يقرع بينهما ولا يجب عليه أن  
يقضى للباقيات عوض مدة سفره وان طال اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين  
ويدل على ذلك ما روى عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد  
سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه أخرجه البخارى مع زيادة  
فيه واذا أراد الرجل سفر نقلة وجب عليه أخذ نسائه معه ﴿ قوله عز وجل  
﴿ والله ما في السموات وما في الارض ﴾ يعني عبيدا وملكا قال أهل المعاني لما  
ذكر الله تعالى انه يغنى من سعته وفضله أشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير  
منه لان من ملك السموات والارض لا تنفى خزائنه ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا  
الكتاب من قبلكم ﴾ يعني من اليهود والنصارى وأصحاب الكتب القديمة ﴿ وأياكم ﴾  
يعني ووصيناكم يا أهل القرآن في كتابكم ﴿ أن اتقوا الله ﴾ أي بان تقوا الله وهو أن

يسعدون عنده ( وأن تكفروا ) عطف على اتقوا لان المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا (فإن لله ما في السموات { الجزء الخامس } وما في الارض } ١٨٢ وكان الله غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم

القول ﴿ وأن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الارض ﴾ على ارادة القول أى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فإن الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كالا يتفجع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرجته لالحاجته ثم قرر ذلك بقوله ﴿ وكان الله غنيا ﴾ عن الخلق وعبادتهم ﴿ جيدا ﴾ في ذاته جد اولم يحمد ﴿ والله ما في السموات وما في الارض ﴾ ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا جيدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه جيدا ﴿ وكفى بالله وكيفا ﴾ راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ﴿ أن يشأ يذهبكم أيها الناس ﴾ يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ﴿ ويأت يا خرين ﴾ ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا

توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا أمره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة أوصى الله بها جميع الامم السالفة في كتبهم ﴿ وأن تكفروا ﴾ يعنى وان تحججوا ما أوصاكم به ﴿ فإن لله ما في السموات وما في الارض ﴾ يعنى فان لله ملائكة في السموات والارض هم أطوع له منكم وقيل معناه ان الله تعالى خالق السموات والارض وما فيهن وما لهن والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك فحق لكل أحد أن يتقيه ويرجوه ﴿ وكان الله غنيا ﴾ يعنى عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم ﴿ جيدا ﴾ يعنى مجودا على نعمه عليهم ﴿ والله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيفا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى شهيدا على ان له فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا \* فأن قلبت ما الفائدة في تكرير قوله تعالى والله ما في السموات وما في الارض \* قلت الفائدة في ذلك ان لكل آية معنى تختص به أما الآية الاولى فمعناها فان لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين أن له ما في السموات وما في الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم وأما الآية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض والمراد انه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي وقيل لما بين ان له ما في السموات وما في الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا جيدا فالمراد منه أنه تعالى هو التنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما في الارض وأما الثالثة فقال تعالى والله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيفا أى فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكريرها تعديدا هو موجب تقواه لتقواه وتطيعوه ولا تمصوه لان التقوى والخشية أصل كل خير ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن يشأ يذهبكم أيها الناس ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد المشركين والمنافقين ﴾ ويأت يا خرين ﴿ بغيركم هم خير منكم وأطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى أنه يهلككم أيها الكفار كما أهلك

(جيدا) مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده أحد وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه لان الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصى وفيه دليل على ان التقوى أصل الخير كله وقوله وان تكفروا وعقيب التقوى دليل على ان المراد الاتقاء عن الشرك ( والله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيفا ) فاتخذوه وكيفا ولا تتكلموا على غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله ( أن يشأ يذهبكم ) يعدمكم ( أيها الناس ويأت يا خرين ) ويوجد انسا آخرين مكانكم او خلقا

( وأن تكفروا ) بالله (فإن لله ما في السموات) من الملائكة جنود (وما في الارض) من الجن والانس وغير ذلك جنود ( وكان الله غنيا ) عن ايمانكم (جيدا ) لمن وحده ويقال مجودا في أفعاله يشكر اليسير ويجزى الجزيل ( والله ما في السموات وما في الارض ) من الخلق

( وكفى بالله وكيفا ) ربا ( أن يشأ يذهبكم ) يهلككم ( أيها الناس ويأت يا خرين ) يخلق خلقا خيرا منكم ( من )

آخرين مكان الانس ﴿ وكان الله على ذلك ﴾ من الاعداد والايحساد ﴿ قديرا ﴾ بليغ القدرة لا يجزه مراد وهذا أيضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف أمره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا ﴿ من كان يريد ثواب الدنيا ﴾ كالمجاهد يجاهد للغنمية ﴿ فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴾ فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كن يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله سبحانه وتعالى لم تخطئه الغنمية وله في الآخرة ما هي في جنبه كاشي أو فعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريد كقوله تعالى من كان يريد حوث الآخرة زده له في حرثه الآية ﴿ وكان الله سميعا بصيرا ﴾ عارفا بالاعراض فيجازى كلابحسب قصده ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ﴾ مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته ﴿ شهد أم الله ﴾ بالحق تقيون شهادتكم لوجه الله سبحانه وتعالى وهو خير بان احوال

من كان قبلكم اذ كفروا به وكذبوا رسله ﴿ وكان الله على ذلك قديرا ﴾ يعنى وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع عليه شئ اراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشياء ﴿ قوله عز وجل ﴾ من كان يريد ثواب الدنيا ﴿ يعنى من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقولون بان الله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بمجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنمية ﴿ فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴾ يعنى الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنمية مخظون في قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا و ثواب الآخرة فلو كانوا عقلاء لطلبوا ثواب الآخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا آتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد وليس له ثواب في الآخرة يجزى به ومن اراد بعمله وجه الله و ثواب الآخرة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يؤتبه من الدنيا ما قدر له ويجزيه في الآخرة خير الجزاء ﴿ وكان الله سميعا ﴾ يعنى لا قوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا ﴿ بصيرا ﴾ يعنى بنياتهم وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا بعمله ومن يطلب الآخرة بعمله ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهد الله ﴿ قال السدى ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صفوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغنى فانزل الله هذه الآية وأمر بالقيام بالقسط مع الغنى والفقير وقيل ان هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن أبيرق فهى خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فأمرهم الله تعالى أن يكونوا قوامين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على

آخرين غير الانس ( وكان الله على ذلك قديرا ) بليغ القدرة ( من كان يريد ثواب الدنيا ) كالمجاهد يريد بجهاده الغنمية ( فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ) فماله يطلب أحد هما دون الآخر والذي يطلبه أخسهما ( وكان الله سميعا ) للاقوال ( بصيرا ) بالافعال وهو وعد ووعد ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ) مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا ( شهداء ) خبر بعد خبر ( الله ) أى تقيون شهادتكم واطوع الله ( وكان الله على ذلك ) على اهلاككم وتخليق غيركم ( قديرا ) من كان يريد ثواب الدنيا ) منفعة الدنيا بعمله الذى افترضه الله عليه ( فعند الله ثواب الدنيا ) فليعمل لله فان ثواب الدنيا ( والآخرة ) بيد الله ( وكان الله سميعا ) لمقاتلكم ( بصيرا ) بأعمالكم ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ) يقول كونوا قوالين بالعدل في الشهادة



لوجه الله (ولو على أنفسكم) ولو كانت الشهادة على أنفسكم والشهادة على نفسه هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق وهذا لان الدعوى والشهادة والاقرار يشترك جميعها في الاخبار عن حق لاحد على أحد غير ان الدعوى اخبار عن حق لنفسه على الغير والاقرار للغير على { الجزء الخامس } نفسه والشهادة للغير ﴿ ١٨٤ ﴾ على الغير (أو الوالدين والاقربين) أي

﴿ ولو على أنفسكم ﴾ ولو كانت الشهادة على أنفسكم بان تقوا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه أو على غيره ﴿ أو الوالدين والاقربين ﴾ ولو كانت على والديكم وأقاربكم ﴿ أن يكن ﴾ أي المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له ﴿ غنيا أو فقيرا ﴾ فلا تمتعوا عن اقامة الشهادة أو لا تجوروا فيها ولا تورجوا ﴿ فإله أولى بهما ﴾ بالفنى والفقير والنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما وألها صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في جهار اجمع للمادل عليه المذكور وهو جنس الفنى والفقير لاله والاولوحد ويشهد عليه انه قرى ﴿ فإله أولى بهم ﴾ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴿ لان تعدلوا عن الحق وكراهة أن تعدلوا من العدل ﴾ وأن تلوا ﴿ ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل قرانافع وابن كثير وأبو بكر وأبو عمرو وعاصم والكسائي باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ أجزاء وابن عسار وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأدبتموها ﴿ أو تعرضوا ﴾

ولو كانت الشهادة على آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم ( أن يكن ) المشهود عليه ( غنيا ) فلا تمتع الشهادة عليه لغناه طلب الرضا ( أو فقيرا ) فلا تمتعها ترجاعا عليه ( فإله أولى بهما ) بالفنى والفقير أى بالنظر لهما والرجة وانما فى الضمير فى بهما وكان حقه أن يوحد لان المعنى ان يكن أحد هذين لانه يرجع الى مادل عليه قوله غنيا أو فقيرا وهو جنس الفنى والفقير كانه قيل فإله أولى بجنس الفنى والفقير أى بالاغنياء الفقراء ( فلا تتبعوا الهوى ) ارادة ( أن تعدلوا ) عن الحق من العدول أو كراهة ان تعدلوا بين الناس من العدل ( وأن تلوا ) بواو واحدة وضم اللام شامى وجزء من لولاية ( أو تعرضوا ) أى وان وليتم اقامة الشهادة أو عرضتم عن اقامتها غيرهما لتلوا بواو بين وسكون اللام من اللى أى وان تلوا ألسنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم ( ولو على أنفسكم أو

أنفسهم وأقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام بمالعة فى القيام بالعدل فى جميع الشهادات واجتناب الجور فيما قال ابن عباس رضى الله عنهما كونوا قوامين بالعدل فى جميع الشهادات على من كانت شهداء الله يعنى أقيموا شهادتكم لوجه الله كما أمرتم فيها بقول الحق فى شهادته ﴿ ولو على أنفسكم ﴾ يعنى ولو كانت الشهادة على أنفسكم أمر الله المبد أن يشهد على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة فى كونه موجبا للحق عليه ﴿ أو الوالدين والاقربين ﴾ يعنى ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوى رحه أو اقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على أنفسكم أو على الوالدين أو الاقارب فاقموا الشهادة عليهم الله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترجوا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى ﴿ أن يكن ﴾ يعنى المشهود عليه ﴿ غنيا أو فقيرا فإله أولى بهما ﴾ يعنى منكم والمعنى كلوا أمرهم الى الله تعالى فهو أعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لان رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعنى فإله أولى بالفنى والفقير ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ يعنى فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله أن تعدلوا عن الحق فى أداء الشهادة وقيل معناه تركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى ﴿ وأن تلوا ﴾ قرى بواو بين ومعناه ان يلوى الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس رضى الله عنهما يلوى لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها ﴿ أو تعرضوا ﴾ يعنى أو يعرض الشاهد عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لو يته حقه اذا دفتته عنه ومطلته به وقيل معناه وأن تلوا عن القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا عنها فتركوها وقيل معناه التعريف والتبديل فى الشهادة من قولهم لويت الشئ اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام يقولون وان تلوا يعنى تيلوا مع أحد الخصمين دون الآخر أو تعرضوا عنه بالكلية وقرى تلوا بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام أيضا ومعناه فلا تلوا أمور المسلمين وتضيعوهم أو تعرضوا عنهم

لوالدين والاقربين) فى الرحم ( أن يكن ) الوالدين ( غنيا أو فقيرا فإله أولى بهما ) ( فان الله ) فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ( ان لا تعدلوا فى الشهادة ) ( وأن تلوا ) ( تلججوا ) ( أو تعرضوا ) لا تقيموا الشهادة عند الحكام

وتعموها (فإن الله كان بما تعملون خيرا) فيجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين (آمنوا) اثبتوا على الايمان ودوموا عليه أو لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض أو للمناققين أي يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا (بالله ورسوله) أي محمدا صلى الله عليه وسلم (والكتاب الذي نزل على رسوله) أي الفرقان (والكتاب الذي أنزل من قبل) أي جنس ما أنزل ﴿ ١٨٥ ﴾ على الانبياء قبله { سورة النساء } من الكتب وبدل عليه قوله

وكتبه نزل وأنزل مكي وشامي وأبو عمرو وعلى البناء للفاعل فيهما وغيرهم وإنما قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل لان الفرقان نزل مفرا فامجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أي ومن يكفر بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالا بعيدا) لان الكفر ببعضه كفر بكله (أن الذين آمنوا) بموسى عليه السلام

عن ادائها ﴿ فإن الله كان بما تعملون خيرا ﴾ فيجازيكم عليه ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ خطاب للمسلمين أو المناققين أو المؤمني أهل الكتاب اذ روى ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انما تؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فترلت ﴿ آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ اثبتوا على الايمان بذلك ودوموا عليه أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم أو آمنوا ايمانا عاما يعي الكتب والرسل فان الايمان ببعض كلاهما والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي أنزل يقع النون والهمزة والزاء والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴾ أي ومن يكفر بشئ من ذلك ﴿ فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ﴿ أن الذين آمنوا ﴾ يعني اليهود آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام

﴿ فإن الله كان بما تعملون خيرا ﴾ يعني انه تعالى يجازي المحسن باحسانه والمسيء بإساءته فيجازيكم بأعمالكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ﴿ قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن أخت عبد الله بن سلام وسلمة بن أخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا أهل الكتاب أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا تؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله وبرسوله محمد والقرآن وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا يعني بمحمد والقرآن وبموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني آمنوا بجميع رسله وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبيسى والانجيل آمنوا بمحمد والقرآن وقيل هو خطاب للمناققين والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم آمنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان لا ينفع من غير مواطاة القلب وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا أيها الذين آمنوا في الماضي والحال آمنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان ﴿ والكتاب الذي نزل على رسوله ﴾ يعني القرآن ﴿ والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ يعني وآمنوا بالقرآن وبجميع الكتب التي أنزلها على انبيائه قبل القرآن فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ قوله عز وجل ﴿ أن الذين آمنوا ﴾

(فإن الله كان بما تعملون) من كتمان الشهادة وأقامتها (خيرا) نزلت في مقيس ابن حبابه كانت عنده شهادة على أبيه (يا أيها الذين آمنوا) يوم الميثاق وكفروا بعد ذلك (آمنوا) اليوم (بالله ورسوله) ويقال ساءهم بأسماء آبائهم يعني يا أبناء الذين آمنوا نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن أخيه ويامين بن

يامين فهؤلاء مؤمنوا أهل التوراة نزل فيهم يا أيها الذين (قاو خا ٢٤ في) آمنوا بموسى والتوراة آمنوا بالله ورسوله محمد (والكتاب الذي نزل على رسوله) محمد يعني القرآن (والكتاب الذي أنزل من قبل) من قبل محمد والقرآن على سائر الانبياء (ومن يكفر بالله وملائكته) أو بملائكته (وكتبه) أو بكتبه (ورسله) أو برسله (واليوم الآخر) أو بالبعث بعد الموت (فقد ضل ضلالا بعيدا) فلما نزلت هذه الآية دخلوا في الاسلام ثم نزل في الذين لم يؤمنوا بمحمد والقرآن فقال (أن الذين آمنوا) بموسى

{ الجزء الخامس { العجل (ثم آمنوا) ﴿ ١٨٦ ﴾ بموسى بعد عودته (ثم كفروا)

﴿ ثم كفروا ﴾ حين عبدوا العجل ﴿ ثم آمنوا ﴾ بعد عودته اليهم ﴿ ثم كفروا ﴾ بعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ ثم ازدادوا كفرا ﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم أو قومًا تكرر منهم الارتداد ثم اصرروا على الكفر وازدادوا تماديا في النفي ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم سبيلا ﴾ اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عمت عن الحق لانهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ﴾ يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر موضع انذرتكم بهم ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾

ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم آمنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم آمنوا بدادو ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم آمنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم آمنوا يعني بألستهم وهو اظهارهم الايمان لتجرى عليهم احكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر وقيل بذنوب أحدثوها في الكفر وقيل هم قوم آمنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لا يكون مؤمنا بالله امانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالايمان ومثل هذا التلاعب بالدين هل تقبل توبته أم لا حتى عن علي بن أبي طالب انه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب أكثر أهل العلم الى أن توبته مقبولة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ﴾ يعني ما أقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعني من كفرهم ﴿ ولا يهديهم سبيلا ﴾ يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما ﴾ يعني أخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان أخبر تهكمابهم وقيل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر أو غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب أى هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل \* تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى ﴿ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾ يعني يتخذون اليهود أولياء وأنصارا وبطانة من دون المؤمنين وذلك

بعيسى عليه السلام ﴿ ثم ازدادوا كفرا ﴾ بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم سبيلا ﴾ الى النجاة أو الى الجنة أو هم المنافقون آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم بثباتهم عليه الى الموت يؤيده قوله (بشر المنافقين) أى أخبرهم ووضع بشر مكانه تهكمابهم ﴿ بأن لهم عذابا أليما ﴾ مؤلما (الذين) نصب على الذم أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين (يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين

(ثم كفروا) بعد موسى (ثم آمنوا) بعزير (ثم كفروا) بعد عزير بالمسيح (ثم ازدادوا كفرا) ثم استقاموا على الكفر بمحمد والقرآن (لم يكن الله ليغفر لهم) ما أقاموا على ذلك (ولا يهديهم سبيلا) ديننا وصوابا وطريق هدى ثم نزل في المنافقين قوله (بشر المنافقين) عبدالله بن أبي وأصحابه ومن يكون الى يوم القيامة منهم (بأن لهم عذابا أليما) وجميعا بخلص وجمعه الى قلوبهم ثم بين صفهم فقال (الذين يتخذون الكافرين) (بعضهم) (أولياء) (في العون والنصرة) (من دون المؤمنين) (المخلصين) (ان)

أيتفون عندهم العزة) كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنعة و النصره ويقولون لا يتم أمر محمد عليه السلام (فأن العزة لله جميعا) ولمن أعزه كالتى عليه السلام والمؤمنين كما قال والله العزة ورسوله وللمؤمنين (وقد نزل عليكم) بفتح النون عاصم وبضمها غيره (في الكتاب) القرآن (أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) حتى يشرعوا في كلام غير الكفر والاستنهزأ بالقرآن والخوض الشروع وان مخففة من الثقيلة أى أنه اذا سمعتم أى نزل عليكم ان الشأن ﴿ ١٨٧ ﴾ كذا والشأن { سورة النساء } ما فادته الجملة بشرطها

وجزائها وأن مع ما في حيزها في موضع الرفع ينزل أو في موضع النصب ينزل والمثلز عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤون به فهى المسلمين عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة (أنكم اذا مثلهم) أى في الوزر اذا مكثتم معهم ولم يردبه التمثيل من كل وجه فان خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء

( أيتفون ) أيتفون  
( عندهم ) عند اليهود  
( العزة ) القدرة والمنعة

في محل الصب أو الرفع على الزم بمعنى اريد الذين أو هم الذين ﴿ ايتفون عندهم العزة ﴾ ايتعززون عموالاتهم ﴿ فأن العزة لله جميعا ﴾ لا يتعززون الا من اعزه الله وقد كتب العزة لا ولياؤه فقال والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب ﴾ يعنى القرآن وقرأ \* عاصم نزل \* وقرأ الباقر نزل على البناء للمفعول والقائم مقام فاعله ﴿ أن اذا سمعتم آيات الله ﴾ وهى المخففة والمعنى انه اذا سمعتم ﴿ يكفر بها ويستنهزأ بها ﴾ حالان من الآيات جئى بهما لتقييد النهى عن المجالسة في قوله ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ الذى هو جزء الشرط بما اذا كان من مجالسه هازنا معاندا غير مرجو ويؤيده الفاية وهذا تذكرا لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فعرض عنهم الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستنهزأ بها ﴿ أنكم اذا مثلهم ﴾ في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم أو الكفر أن رضيتم بذلك أولان

ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم أمره فيوالون اليهود فقال الله تعالى ردا على المنافقين ﴿ ايتفون عندهم العزة ﴾ يعنى يطلبون من اليهود العزة والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿ فأن العزة لله جميعا ﴾ يعنى فان القوة والقدرة والقلبة لله جميعا وهو الذى يعز أولياؤه وأهل طاعته كما قال تعالى والله العزة ورسوله وللمؤمنين ﴿ وقد نزل عليكم ﴾ يا معشر المسلمين ﴿ في الكتاب ﴾ يعنى القرآن ﴿ أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهزأ بها ﴾ قال المفسرون الذى أنزل عليهم فى النهى عن مجالستهم هو قوله تعالى فى سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وهذا أنزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون فى القرآن ويستنهزؤون به فى مجالسهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم فى الاستنهزأ بالقرآن فهى الله المؤمنين عن القعود معهم بقوله ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾ يعنى يأخذوا فى حديث آخر غير الاستنهزأ بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل فى هذه الآية كل محدث فى الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة ﴿ أنكم اذا مثلهم ﴾ يعنى انكم يا أيها الجالسون مع المستنهزئين بآيات الله اذا رضيتم بذلك فاتم وهم فى الكفر سواء قال العلماء وهذا

(فأن العزة) المنعة والقدرة (لله جميعا) وقد نزل عليكم في الكتاب) أمر لكم في القرآن اذا أنتم بمكة (أن اذا سمعتم آيات الله) ذكر محمد والقرآن (يكفر بها) بمحمد والقرآن (ويستهزأ بها) بمحمد والقرآن (فلا تقعدوا) فلا تجلسوا (معهم) في الخوض (حتى يخوضوا في حديث غيره) حتى يكون خوضهم وحديثهم في غير محمد والقرآن (أنكم اذا) اذا جلستم معهم بغير كره (مثلهم) في الخوض

معهم مصيبة (أن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء (الذين) يدل من الذين يتخذون أوصفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم (يربصون بكم) ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو أخفاق (فإن كان لكم قمع من الله) نصرة { الجزء الخامس } وغنية (قالوا) ١٨٨ ﴿ ألم نكن معكم ﴾ مظاهرين

الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأخبار كانوا منافقين ويدل عليه ﴿ أن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾ يعني القاعدين والمقود معهم وإذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لأنه كالمصدر أو الاستثناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى كقوله مثل ما انكم تنطقون ﴿ الذين يربصون بكم ﴾ ينتظرون وقوع امر بكم وهو يدل من الذين يتخذون أوصفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره ﴿ فإن كان لكم قمع من الله قالوا ألم نكن معكم ﴾ مظاهرين لكم فاسموا لنا فيما غتم ﴿ وأن كان للكافرين نصيب ﴾ من الحرب فانها سجال ﴿ قالوا ألم نستحوذ عليكم ﴾ أى قالوا للكفرة ألم تغلبكم وتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذا يستحاذ استحاذاة فجاءت على الاصل ﴿ ونعمكم من المؤمنين ﴾ بان خذلناهم بتخييل ما ضعف به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما أصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيباً لحسة حظهم فانه مقصور على أمر ذنبوى

فاشركونا في الغنية (أون كان للكافرين نصيب) سمي ظفر المسلمين فتحا تعظيماً لشأنهم لانه أمر عظيم تفتح له أبواب السماء وظفر الكافرين نصيباً تحسيساً لحظهم لانه لحظة من الدنيا يصيبنها (قالوا) للكافرين (ألم نستحوذ عليكم) ألم تغلبكم وتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة (ونعمكم من المؤمنين) بان شبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعف قلوبهم به ومرضوا عن قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيباً لنا

يدل على ان من رضى بالكفر فهو كافرو من رضى بتمكراً وخالط أهله كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضى به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطاً له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر فيه أهون من المجالسة مع الرضا وان جلس مع صاحب بدعة أو منكر ولم يخض في بدعته أو منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول أصح ﴿ أن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾ أى انهم اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ الذين يربصون بكم ﴿ نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خيراً أو شريراً ﴿ فإن كان لكم قمع من الله ﴾ أى ظفر على عدوكم وغنية تناولونها منهم ﴿ قالوا ﴾ يعنى المنافقين لكم ﴿ ألم نكن معكم ﴾ يعنى في الوعدة والفتح فاعطونا من الغنية وقيل معناه ألم نكن على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيباً من الغنية ﴿ وأن كان للكافرين نصيب ﴾ أى دولة وظهور على المسلمين ﴿ قالوا ﴾ يعنى المنافقين للكفار ﴿ ألم نستحوذ عليكم ﴾ الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحواذ فلان على فلان أى غلب عليه والمعنى ألم تغلبكم وتمكن منكم ومن قتالكم واسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه ألم تغلبكم على رأيكم ﴿ ونعمكم من المؤمنين ﴾ يعنى من صلاتهم والدخول في دينهم وقيل معناه ألم ندفع المؤمنين بتخديلتهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم وأسرارهم فهاتوا نصيباً مما أصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار فأن قلت لم سمي ظفر المؤمنين قحماً وسمى

والاستهزاء (أن الله جامع المنافقين) منافق أهل المدينة عبدالله بن أبى وأصحابه (والكافرين) كفار أهل مكة أبى جهل وأصحابه وكفار أهل المدينة كعب وأصحابه (في جهنم جميعاً) ثم بين منهم فقال (الذين يربصون بكم) ينتظرون بكم يعنى الدوائر والشدة (فإن كان لكم قمع) نصرة وغنية

(من الله قالوا) يعنى المنافقين للمخلصين (ألم نكن معكم) على دينكم أعطونا من الغنية (وأن كان للكافرين) لليهود (نصيب) ظفر دولة (قالوا) لليهود (ألم نستحوذ عليكم) ألم نقش سر محمد اليكم ونخبركم به (ونعمكم من المؤمنين) من قتال المؤمنين ونخبر عنكم المؤمنين

عما أصبتم (فإنه يحكم بينكم) أيها المؤمنون والمنافقون (يوم القيمة) فدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أي في القيامة بدليل أول الآية كذا عن علي رضي الله عنه أو حجة كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما (أن المنافقين ﴿سورة النساء﴾ أي يفعلون ما يفعل المخادع

من اظهار الايمان واطنان الكفر والمنافق من أظهر الايمان واطن الكفر أو أولياء الله وهم المؤمنون فاضاف خداعهم الى نفسه تشريفا لهم (وهو خداعهم) وهو فاعل بهم ما يفضل المغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الاسفل من النار في العقبي واخلداع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت أخذع منه وقيل يحزيمهم جزاء خداعهم (واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى) متاقلين كراهة أما الغفلة فقد يتلى

(فإنه يحكم بينكم) يأمشر المنافقين واليهود (يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين) للمهود (على المؤمنين سبيلا) دولة دائما (أن المنافقين) عبدالله ابن أبي وأصحابه (بخداعون الله) يكذبون الله في السر والعلانية يظنون انهم يخادعون الله (وهو

سريع الزوال) فإنه يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴿حينئذ أوفى الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول اليقونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينقضي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ﴿أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾ سبق الكلام فيه أول سورة البقرة ﴿وإذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى﴾ متاقلين

ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين أمر عظيم تقم له أبواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين وأما ظفر الكفار فما هو الا حظ دني ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه في الدنيا ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين ﴿فإنه يحكم بينكم يوم القيمة﴾ يعني الفريقين فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين في الدنيا لاجل كرامتهم بل أخر عذابهم الى يوم القيامة ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ فيه قولان أحدهما وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم ان المراد به يوم القيامة بدليل أنه عطف على قوله فإنه يحكم بينكم يوم القيامة روى ان رجلا سأل علي بن أبي طالب عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين غالبية في الدنيا على الكافرين وليس لاحد أن يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بان يحمو دولة المؤمنين بالكلية حتى يستجيبوا ببيضتهم فلا يبقى احد من المؤمنين وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة ويتفرع على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له أن يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمى بدليل هذه الآية ﴿قوله عز وجل﴾ أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴿يعني ياملون الله وهو يحازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون له الاسلام ويبطنون له الكفر وهو خادعهم يعني والله يحازيهم بالمقاب وقيل أنهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين ﴿واذا قاموا الى الصلوة﴾ يعني المنافقين ﴿قاموا كسالى﴾ يعني متاقلين وسبب هذا الكسل أنهم يتعبون بها لانهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها عقابا

خداعهم) يوم القيامة على الصراط حين يقول المؤمنون في السير ارجعوا وارجعوا فالتسوا نورا وقد علموا انهم لا يرجعون (واذا قاموا الى الصلوة) أنوا الى الصلوة (قاموا كسالى)

بالمؤمن وهو جمع كسلان كسكارى فى سكران ( براؤن الناس ) حال أى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمة والمرأة مفاعلة من الرؤية لان المرأتى يريم عمله وهم يرونه استحسانا ( ولا يذكرون الله الا قليلا ) ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين { الجزء الخامس } عن عيون الناس ﴿ ١٩٠ ﴾ أولا يذكرون الله بالتسبيح

والتهليل الا ذكر اقليلا نادرا قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا ( مذنبين ) نصب على الزم أى مردين يعنى ذنبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذنب الذى يذب عن كلالجانبين أى يدفع فلا يقر فى جانب واحد الا أن الذنبه فيها تكرير ليس فى الذنب ( بين ذلك )

بين الكفر والايمان ( لالى هؤلاء ) لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ( ولا الى هؤلاء ) ولا منسوبين الى هؤلاء فيسوا مشركين ( ومن يضل الله فلن تجده سبيلا ) طريقا الى الهدى ( يا أيها الذين آمنوا اتخذوا

اتوا متساقلين ( براؤن الناس ) اذاروا الناس أنوا وصلوا واذالم يروا لم يأتوا ولم يصلوا ( ولا يذكرون الله ) لا يصلون لله ( الا قليلا ) رياء وسمة ( مذنبين بين ذلك ) مترددين بين الكفر والايمان كقر السر

كالمكره على الفعل \* وقرى كسالى بالفتح وهما جمع كسلان ﴿ براؤن الناس ﴾ ليخالوهم مؤمنين والمرأة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة فان المرأتى يرى من رايته عمله وهو يريه استحسانه ﴿ ولا يذكرون الله الا قليلا ﴾ اذ المرأتى لا يفعل الا بحضرة من رايته وهو اقل أحواله أو لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكربالقلب وقيل المراد بالذكرا الصلاة وقيل الذكرا فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم ﴿ مذنبين بين ذلك ﴾ حال من واو براؤن كقوله ولا يذكرون أى براؤنهم غير ذاكرين مذنبين أو واو يذكرون أو منصوب على الزم والمعنى مردين بين الايمان والكفر من الذنبه وهى جعل الشئ مضطربا وأصله الذب بمعنى الطرد \* وقرى بكسر الذال بمعنى يذبون قلوبهم أو دينهم أو يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل \* وقرى بالذال الغير المحجمة بمعنى اخذوا تارة فى دبة وتارة فى دبة وهى الطريقة ﴿ لالى هؤلاء ولا الى هؤلاء ﴾ لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين اولا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ﴿ ومن يضل الله فلن تجده سبيلا ﴾ الى الحق والصواب ونظير قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فلن ينجده من نور ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا

لان الداعى الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والقنور ﴿ براؤن الناس ﴾ يعنى أنهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمة لاجل الدين ولا يرون أنها واجبة عليهم قال قتادة والله اولا الناس ماصلى منافق ﴿ ولا يذكرون الله الا قليلا ﴾ قال ابن عباس انما قل ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمة ولو ارادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن معهم أحد من المؤمنين فلا يصلون واذا كانوا مع المؤمنين يتكفون فعلها ﴿ مذنبين بين ذلك ﴾ يعنى متحيرين مترددين بين الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله عز وجل ﴿ لالى هؤلاء ولا الى هؤلاء ﴾ يعنى ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار ﴿ ومن يضل الله فلن تجده سبيلا ﴾ يعنى طريقا الى الهدى (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعبر الى هذه مرة وإلى هذه مرة قوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة ومعناه المتخيرة المترددة لا تدرى لأى الغنمين تتبع ومعنى تعبر تردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدرى الى أين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين ومرة مع الكافرين أو ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين ﴿ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتخذوا

وايمان العلانية ( لالى هؤلاء ) ليسوا مع المؤمنين فى السر فيجب لهم ما يجب للمؤمنين ( ولا الى هؤلاء ) ( الكافرين ) وليسوا مع اليهود فى العلانية فيجب عليهم ما يجب على اليهود ( ومن يضل الله ) عن دينه وجهته فى السر ( فلن تجده سبيلا ) ديننا ولا جهة فى السر ( يا أيها الذين آمنوا ) بالعلانية يعنى عبدالله بن أبى وأصحابه ( لاتخذوا

الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا (حجة بينة في تعذيبكم) (أن المنافقين في الدرك الاسفل من النار) أي في الطبقة الذي ﴿ ١٩١ ﴾ في قعر جهنم { سورة النساء } والنار سبع دركات سميت بذلك

لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وإنما كان المنافق أشد عذابا من الكافر لأنه آمن بالسيف في الدنيا فاستحق الدرك الاسفل في العقبى تعديلا ولأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله والدرك بسكون الراء كوفي غير الاعشى ويقع الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج أن الاختيار قبح الراء (ولن تجدلهم نصيرا يمنهم من العذاب) (الالذين تابوا) من النفاق وهو استثناء من الضمير المجرور في ولن تجدلهم نصيرا (وأصلحوا) ما أسدوا من اسرارهم وأحوالهم في حال النفاق

(الكافرين) يعني اليهود (أولياء) في التعزز (من دون المؤمنين) (المخلصين) (أتريدون) (يامعشر المنافقين) (أن تجعلوا لله لرسول الله (عليكم سلطانا مبينا) حجة بينة وعذرا بينا بالقتل (أن المنافقين) عبدالله بن أبي وأصحابه (في الدرك الاسفل من النار) في النار لقبل شرورها ومكرهم وخيانتهم مع النبي

الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿ فانه صنع المنافقين ودينتهم فلا تشبهوا بهم ﴾ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴿ حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه ﴿ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴾ وهو الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخذاء للمسلمين واما قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اتهم خان ونحوه فن باب التشديد والتغليظ وإنما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض . وقرأ الكوفيون يسكون الراء وهي لغة كالسطر والسطر والتحريك أوجه لانه يجمع على ادراك ﴿ ولن تجدلهم نصيرا ﴾ يخرجهم منه ﴿ الالذين تابوا ﴾ عن النفاق ﴿ وأصلحوا ﴾ ما أسدوا من اسرارهم وأحوالهم

الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿ لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذنبين بين ذلك نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا توالوا الكفار من دون أهل ملتكم ودينكم فتكونوا كن أوجب له النار من المنافقين والسبب في هذا النهي ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بني النضير وقريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا لاي رسول الله من تتولى فقال المهاجرين ﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾ يعني أتريدون أيما المتخذون الكفار أولياء ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم بين مقرر النار من المنافقين فقال تعالى ﴿ أن المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴾ يعني في الطبقة الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار فان قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر . قلت ان المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوعا آخر من الكفر أخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء أسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين أشد عذابا من الكفار والمنافق من أظهر الايمان وأبطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت أحكامه وأما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اتهم خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فن فعلها فقد تشبه بالمنافقين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولن تجدلهم نصيرا ﴿ يعني ولن تجدل يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرين ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استغنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى ﴿ الالذين تابوا ﴾ يعني من النفاق ﴿ وأصلحوا ﴾ يعني أصلحوا

صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه (ولن تجدلهم نصيرا) مانعا (الالذين تابوا) من النفاق وكفر السر (وأصلحوا) فيما بينهم وبين ربهم



(واعتصموا بالله) ووثقوا به كما يثق المؤمنون بالخلص (وأخلصوا دينهم لله) لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه (فأولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفاقهم في الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما) فيشاركونهم فيه وحذفت الياء في الخط هنا اتباعا للفظ ثم استفهم { الجزء الخامس } مقرر أنه لا يعذب ﴿ ١٩٢ ﴾ المؤمن الشاكر فقال (ما يفعل

في حال النفاق ﴿ واعتصموا بالله ﴾ ووثقوا به وتسكوا بدينه ﴿ وأخلصوا دينهم لله ﴾ لا يريدون بطاعتهم الا وجهه سبحانه وتعالى ﴿ فأولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين ﴾ وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ﴿ فيسا همونهم فيه ﴾ ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وآمنتم ﴿ أبتشني به غيظا أو يدفع به ضرا أو يستجلب به نفعا وهو النفي المتعالي عن النفع والضرر وانما يعاقب المصير بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقي نفسه عنه تخلص من تبعته وانما يقدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم عن النظر فيعرف المنعم فيؤمن به ﴿ وكان الله شاكرا ﴾ مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل ﴿ عليما ﴾ بحق شكركم وايمانكم

الاعمال فعملوا بما أمر الله به وأدوا فرائضه واتهوا عما نهى الله عنه ﴿ واعتصموا بالله ﴾ يعني وتسكوا بهمد الله ووثقوا به ﴿ وأخلصوا دينهم لله ﴾ يعني وأخلصوا بطاعتهم واعمالهم التي علموها لله وأرادوه بها ولم يردوا رياءه ولا سمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى ﴿ فأولئك ﴾ يعني التائبين من النفاق ﴿ مع المؤمنين ﴾ يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من أي من المؤمنين ﴿ وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ﴾ يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ما يفعل الله بعذابكم أن شكرتم وآمنتم ﴿ هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه النفي الذي لا يحتاج الى شيء من ذلك فان عاقب أحدا فانما يعاقبه لامر أو وجه العدل والحكمة فان قم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أقدتم أنفسكم من عذابه قال أهل المعاني فيه تقديم وتأخير تقديره ان آمنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على أصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته أولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما ثم اذا تم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه فآمن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر ﴿ وكان الله شاكرا ﴾ يعني مثيبا عباده المؤمنين موفيا أجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من أعمال عباده واضاف الثواب عليه وقيل لما أمر الله عباده بالشكر سمي الجزاء

شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى

كونه مثيبا على الشكر ﴿ عليما ﴾ يعني بحق

شكركم وايمانكم فيجازيكم

على ذلك

الله بعذابكم أن شكرتم) لله ( وآمنتم ) به فما منصوبة بفعل أي أي شيء يفعل بعذابكم فالإيمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالنعم والنعمة عناد فلذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في حلقه وترفضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر مقدما على الايمان ( وكان الله شاكرا ) يجزئكم على شكركم أو يقبل اليسير من الثواب ( عليما ) عالما بما تصنعون

من المكر والخيانة ( واعتصموا بالله ) تسكوا بتوحيد الله في السر ( وأخلصوا دينهم ) توحيدهم ( لله فأولئك مع المؤمنين ) في السر ويقال في الوعد ويقال من المؤمنين في السر والعلانية ويقال مع المؤمنين في الجنة ( وسوف يؤت الله ) يعطي الله

(المؤمنين) المخلصين (أجرا عظيما) ثوابا وافر في الجنة (ما يفعل الله بعذابكم) ما يصنع الله بعذابكم (أن شكرتم) ان وحدثم في اليسر (وآمنتم) صدقتم بايمانكم في السر (وكان الله شاكرا) يشكر اليسير ويجزي الجزيل (عليما) لمن يشكر ولمن لا يشكر



## الجزء السادس

### ياغيث المتغيثين

﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ﴾ الاجهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روى ان رجلاً ضاف قوماً فلم يظعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فزلت \* وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعاً أى ولكن الظالم يفعل

﴿ قوله عز وجل ﴾ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ﴿ قال أهل المعاني يعنى انه تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به أى ضامن القول يعنى من القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الاجهر من ظلم وقيل هو استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار أحوال الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سبباً لوقوع الناس فى الفسقة ووقوع ذلك الشخص فى الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق منى أو غضب ونحو ذلك وان شوتم جازله ان يشتم بمثله ولا يزيد شيئاً على ذلك ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قاله لافعلى الاول وفى رواية فعلى البادى مهما حتى يعتدى المظلوم أخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو أحداً على أحد الا أن يكون مظلوماً فانه قدأرخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصرى هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع عليه ولكن ليقبل اللهم أعنى عليه اللهم استخرج لى حتى اللهم حل بينى وبين ما يريد ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الآية فى الضيف اذ انزل بقوم فلم يقرؤه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول أساء ضيافتى وقال مقاتل نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وذلك ان رجلاً نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه أبو بكر مراراً ثم رد

( لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) ولا غير الجهر ولكن الجهر أفضح ( الا من ظلم ) الاجهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من سوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم الا من ظلم فانه ان رد عليه مثله فلا يخرج عليه ولين انتصر بعد ظلمه

( لا يحب الله الجهر بالسوء) بالشم ( من القول الا من ظلم ) فقد أذن له بالدعاء ويقال ولا من ظلم

وكان الله سميعا ) لشكوى المظلوم ( عليما ) بظلم الظالم ثم حث على العفو وأن لا يجهر أحد لاحد بسوءه وأن كان على وجه الانتصار بعدما أطلق الجهر. ﴿ ١٩٥ ﴾ به حشا { سورة النساء } على الافضل وذ كر ابداء

الخير واخفاءه تسبيا للفقو فقال ( أن تبدوا خيرا ) مكان جهرا السوء ( أو تخفوه ) فتملوه سرا ثم عطف العفو عليهما فقال ( أو تعفوا عن سوء ) أي تمهوه عن قلوبكم والدليل على ان العفو هو المقصود بذ كر ابداء الخير واخفاءه قوله ( فأ ن الله كان عفوا قديرا ) أي انه لم يزل عفوا عن الآتام مع قدرته على الانتقام فطليكم ان تقتدوا بسنته ( أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ) كاليهود كفروا بعبسى ومحمد عليهما السلام والانجيل و القرآن و كالنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم و القرآن

( وكان الله سميعا ) لدعاء المظلوم ( عليما ) بمقوبة الظالم نزلت في أبي بكر شتمه رجل ( أن تبدوا خيرا ) ان تردوا جوابا حسنا ( أو تخفوه ) ولا تحقروا ( أو تعفوا ) تجاوزوا ( عن سوء ) عن مظلمة ( فأ ن الله كان عفوا )

ما لا يجده الله ﴿ وكان الله سميعا ﴾ لكلام المظلوم ﴿ عليما ﴾ بالظالم ﴿ أن تبدوا خيرا ﴾ طاعة وبراً ﴿ أو تخفوه ﴾ أو تعفوه سرا ﴿ أو تعفوا عن سوء ﴾ لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذ كر ابداء الخير واخفاءه تشييب له ولذلك رتب عليه قوله ﴿ فأ ن الله كان عفوا قديرا ﴾ أي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فاتم أولى بذلك وهو حث للمظلوم على العفو بعدما خص له في الانتصار جلا على مكارم الاخلاق ﴿ أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ﴾ بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ نؤمن ببعض الانبياء ونكفر بعضهم

عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يارسول الله شئتني فلم تقل له شيئا حتى اذا رددت عليه قلت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الآية ﴿ وكان الله سميعا ﴾ يعني لدعاء المظلوم ﴿ عليما ﴾ بما في قلبه فليثق بالله ولا يقل الا الحق ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن تبدوا خيرا ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد من أعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة و قيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء ﴿ أو تخفوه ﴾ يعني تخفوا الخير فلم تظهروه و قيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هم بها ولم يعملها كتبت له واحدة و قيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين أحدهما صدق النية مع الحق والثاني التحلق مع الخلق فالذى يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين أيضا وهما ايصال نفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله تعالى أن تبدوا خيرا أو تخفوه ورفع ضرر عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ أو تعفوا عن سوء ﴾ فيدخل في هاتين الكلمتين جميع أعمال البر وجميع دفع الضرر و قيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا أو تخفوها فتعطوها سرا أو تعفوا عن مظلمة ﴿ فأ ن الله كان عفوا قديرا ﴾ يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا أنتم عن ظلمكم واقعدوا بسنة الله عز وجل يعف عنكم يوم القيامة لانه أهل للتجاوز والعفو عنكم و قيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الذين يكفرون بالله ورسله ﴿ نزلت في اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعبسى والانجيل ومحمد صلى الله عليه وسلم و القرآن و قيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعبسى ومحمد والنصارى آمنوا بعبسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ﴿ ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ يعني ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله

متجاوزا للمظلوم ( قديرا ) بمقوبة الظالم ( أن الذين يكفرون بالله ورسله ) يعني كبا وأصحابه ( ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ) بالنبوة والاسلام ( ويقولون نؤمن ببعض ) ببعض الكتب والرسول ( ونكفر ببعض ) ببعض الكتب

( ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سيلا ) أى دينا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة بينهما ( أولئك هم الكافرون ) هم الكاملون في الكفر لان الكفر بواحد كفر بالكل (حقا) تأكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه ( وأعدنا للكافرين عذابا مهينا ) فى الآخرة ( والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم ) وإنما جاز دخول بين على أحد لانه عام فى الواحد المذكور والمؤنث { الجزء السادس } وتنتهيهما ﴿ ١٩٦ ﴾ وجمها ( أولئك سوف تؤتيهم ) وبالياء حفص

( أجورهم ) أى الثواب الموعود لهم ( وكان الله غفورا ) يستر السيات ( رحيا ) يقبل الحسنات والآية تدل على بطلان قول المعتزلة فى تخليد المرتكب الكبيرة لانه أخبر أن من آمن بالله ورسوله ولم يفرق بين أحد منهم يؤتبه أجره ومتركب الكبيرة ممن آمن بالله ورسوله ولم يفرق بين أحد فى دخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقد صفت الفعل من المغفرة والرجة لانه قال وكان الله غفورا رحيا وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيا فى الأزل ثم صار غفورا رحيا ولما قال فخص وأصحابه للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فأنا بكتاب من السماء جلة كما أتى به موسى عليه السلام نزلت

﴿ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سيلا ﴾ طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله سبحانه وتعالى لا يتم الا بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا أو اجالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل فى الضلال كما قال الله تعالى فاذا بعد الحق الا الضلال ﴿ أولئك هم الكافرون ﴾ هم الكاملون فى الكفر لآخرة بايمانهم هذا ﴿ حقا ﴾ مصدر مؤكد لغيره أو صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا أى يقينا محققا ﴿ وأعدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿ اضدادهم ومقابلوهم وإنما دخل بين على أحد وهو يقتضى متعدد العمومه من حيث انه وقع فى سياق النفي ﴿ أولئك سوف تؤتيهم أجورهم ﴾ الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخره ﴿ قرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء على تلوين الخطاب ﴾ وكان الله غفورا ﴿ لما فرط منهم ﴾ رحيا ﴿ عليهم بتضعيف

﴿ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سيلا ﴾ يعنى بين الايمان ببعض دون البعض يتخذون مذهباً يذهبون اليه ودينا يدينون به ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفتهم ﴿ هم الكافرون حقا ﴾ يعنى يقينا وإنما قال ذلك توكيد الكفرهم لثلاثتهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الانبياء كالكفر بكلهم لان الدليل الذى يدل على نبوة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبياء فلزم الايمان بجميعهم ﴿ وأعدنا ﴾ يعنى وهبنا للكافرين عذابا مهينا ﴿ يعنى يهانون فيه ﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله ﴿ يعنى والذين صدقوا بوحدانية الله ونبوة جميع أنبيائه وان جميع ما جاؤا به من عند الله حق وصدق ﴾ ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿ يعنى من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون ﴾ أولئك ﴿ يعنى من هذه صفتهم ﴾ سوف تؤتيهم أجورهم ﴿ يعنى جزاء ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسوله ﴾ وكان الله غفورا رحيا ﴿ يعنى انه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم انه يتجاوز عن سيئاتهم ويفقرها لهم ويرحمهم فهو كالتغيب لليهود والنصارى فى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم

والرسل ( ويريدون أن يتخذوا بين ذلك ) بين الكفر والايمان ( سيلا ) دينا ( أولئك هم الكافرون ) ( فى حال ) حقا ( البتة ) واعتدنا للكافرين ) لليهود وغيرهم ( عذابا مهينا ) يهانون به ويقال شديدا ( والذين آمنوا بالله ورسوله ) وهو عبدالله بن سلام وأصحابه ( ولم يفرقوا بين أحد منهم ) بين النبيين وبين الله بالنبوة والاسلام ( أولئك سوف تؤتيهم ) نعطيهم ( ثوابهم فى الآخرة ) وكان الله غفورا ) لمن تاب منهم ( رحيا ) لمن مات على التوبة

( يستلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم ) وبالتخفيف مكي وأبو عمرو ( كتابا من السماء ) أي جملة كما نزلت التوراة جملة وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت وقال الحسن ولو سألوهم مسترشدين لاعظام لان انزال القرآن جملة يمكن ( فقد سألو موسى أكبر من ذلك ) هذا ١٩٧ ﴿ جواب ﴾ سورة النساء { شرط مقدر معناه ان

استكبرت ما سألوهم منك  
 استكبرت ما سألوهم منك  
 فقد سألو موسى أكبر  
 من ذلك وانما أسند السؤال  
 اليهم وقد وجد من آياتهم  
 في أيام موسى عليه السلام  
 وهم النقباء السبعون  
 لانهم كانوا على مذهبهم  
 وراضين بسؤالهم ( فقالوا  
 أرنا الله جهرة ) عيانا أي  
 أرنا زه جهرة ( فأخذتهم  
 الصاعقة ) العذاب الهائل  
 أو النار المحرقة ( بظلمهم )  
 على أنفسهم بسؤال شيء  
 في غير موضعه أو بالتحكيم  
 على نبيهم في الآيات وتعنتهم  
 في سؤال الرؤية لا بسؤال  
 الرؤية لانها ممكنة كالانزال  
 القرآن جملة ولو كان ذلك  
 بسبب سؤال الرؤية لكان  
 موسى بذلك أحق فانه قال  
 رب أرني انظر اليك وما  
 أخذته الصاعقة بل أطمعه  
 وقيده بالممكن ولا يطلق  
 بالممكن الا ما هو ممكن الثبوت  
 ثم أحياهم

( يستلك أهل الكتاب )  
 كعب وأصحابه ( أن تنزل عليهم  
 كتابا من السماء ) جملة  
 كالقصة ويقال ان تنزل

حسانتهم ﴿ يستلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ﴾ نزلت في احبار اليهود  
 قالوا أن كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا  
 محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التوراة أو كتابا نغينه حين ينزل أو كتابا الينا  
 باعياننا بانك رسول الله ﴿ فقد سألو موسى أكبر من ذلك ﴾ جواب الشرط مقدر أي  
 ان استكبرت ما سألوهم منك فقد سألو موسى عليه السلام أكبر منه وهذا السؤال  
 وان كان من آياتهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى  
 ان عرفهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوه عليك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم  
 ﴿ فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ عيانا أي ارناه زه جهرة أو مجاهرين معينين له ﴿ فأخذتهم  
 الصاعقة ﴾ نار جات من قبل السماء فاهلكتهم ﴿ بظلمهم ﴾ بسبب ظلمهم وهوتعتهم  
 وسؤالهم ما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا

في حال الكفر ﴿ قوله عز وجل ﴾ يستلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا  
 من السماء ﴿ يعني يسألك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف  
 وفتحاص بن غازوراء من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا  
 فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة وقيل سألو ارسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ان ينزل عليهم كتابا مختصا بهم وقيل سألوهم ان ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى  
 فلان ليشهدا لك بانك رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لا سؤال  
 استرشاد واثقياد والله تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول  
 صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت  
 ﴿ قوله عز وجل ﴾ فقد سألو موسى أكبر من ذلك ﴿ يعني أعظم من الذي سألوك  
 يا محمد ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألو رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا تعظم عليك يا محمد مسألتهم ذلك فانهم  
 من فرط جهلهم واجترأهم على الله لو أتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وانما  
 أسند السؤال الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد  
 هذا السؤال من آياتهم الذين كانوا في أيام موسى عليه السلام لانهم كانوا على  
 مذهبهم وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم في التعنت ﴿ فقالوا ﴾ نعى أسلاف هؤلاء  
 اليهود ﴿ أرنا الله جهرة ﴾ يعني عيانا والمعنى أرناه زه جهرة وذلك ان سبعين  
 من بني اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل فقالوا ذلك وقد  
 تقدمت القصة في سورة البقرة ﴿ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ يعني بسبب ظلمهم

عليهم كتابا فيه خيرهم وشرهم وثوابهم وعقابهم ( فقد سألو موسى أكبر من ذلك ) كما سألوك ( فقالوا أرنا الله جهرة )  
 معانية ( فأخذتهم الصاعقة ) فأحرقتهم النار ( بظلمهم ) بتكذيبهم موسى وجرأتهم على الله

( ثم اتخذوا الجبل ) الها ( من بعدما جاءتهم الينيات ) التوراة والمعجزات التسع ( فعفونا عن ذلك ) تفضلا ولم نستأصلهم ( وآتيناه موسى { الجزء السادس } سلطانا مينا ) ١٩٨ حجة ظاهرة على من خالفه

﴿ ثم اتخذوا الجبل من بعد ما جاءتهم الينيات ﴾ هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضا اوائلهم والينيات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تأت بهم بعد ﴿ فعفونا عن ذلك وآتيناه موسى سلطانا مينا ﴾ تسلط ظاهرا عليهم حين أمرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ﴿ ورفنا فوقهم الطور بميثاقهم ﴾ بسبب ميثاقهم ليقبلوه ﴿ وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ﴾ على لسان موسى والطور مظل عليهم ﴿ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ﴾ على لسان داود عليه الصلاة والسلام ويحتمل ان يراد على لسان موسى وحين طلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسوخ به في زمن داود \* وقرأ ورش عن نافع لا تعدوا على ان أصله لا تعدوا فادغمت التاء في الدال \* وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان ﴿ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾

وسؤالهم الرؤية ﴿ ثم اتخذوا الجبل ﴾ يعني الها وهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هارون حين خرج الى ميقات ربه ﴿ من بعد ما جاءتهم الينيات ﴾ يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهى العصا واليد وقلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرة ﴿ فعفونا عن ذلك ﴾ يعنى عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل عبدة الجبل والمتصود من هذا تسليية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا ولجاجا فانى قد أنزلت التوراة جلة واحدة على موسى وآيته من المعجزات الباهرات والآيات الينيات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا الجبل وكل ذلك يدل على جهلهم وانهم يحبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعاء الى التوبة والمعنى ان أولئك الذين أجزموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا أتم نعت عنكم ﴿ وآتيناه موسى سلطانا مينا ﴾ يعنى حجة واضحة تدل على صدقه وهى المعجزات الباهرات التي أعطاه الله عز وجل لموسى عليه السلام ﴿ قوله عز وجل ﴾ ورفنا فوقهم الطور بميثاقهم ﴿ يعنى ورفنا فوقهم الجبل المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك ان بنى اسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى أظلمهم ليخافوا فلا يثقوا العهد والميثاق ﴿ وقلنا لهم ﴾ يعنى والطور يظلمهم ﴿ ادخلوا الباب سجدا ﴾ فدخلوا ودخلوا وهم يزحفون على استاهمهم ﴿ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ﴾ يعنى وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت الى الملايحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهى عن العمل والكسب في يوم السبت ﴿ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ يعنى وأخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بان يعملوا بما أمرهم الله به وأن يتنوها عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى

( ورفنا فوقهم الطور بميثاقهم ) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه ( وقلنا لهم ) والطور مظل عليهم ( ادخلوا الباب سجدا ) ادخلوا باب ايلياء مطأطئين عند الدخول رؤسكم ( وقلنا لهم لا تعدوا ) لا تجاوزوا الحد تعدوا ورش تعدوا باسكان العين

وتشديد الدال مدنى غير ورش وهما مدغما تعتدوا وهى قراءة أبى الأأنه أدغم التاء في الدال وأبقى العين ساكنة في رواية وفي رواية نقل قمع التاء الى العين ( في السبت ) بأخذ السمك ( وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ) عهدا مؤكدا

( ثم اتخذوا الجبل ) عبدوا الجبل ( من بعدما جاءتهم الينيات ) الامر والنهى ( فعفونا عن ذلك ) تركناهم ولم نستأصلهم ( وآتيناه ) أعطيناه ( موسى سلطانا مينا ) حجة بينة اليد والعصا ( ورفنا فوقهم ) قلنا ( ورفنا ) وحبسنا فوق رؤسهم ( الطور ) الجبل ( بميثاقهم ) بأخذ ميثاقهم ( وقلنا لهم ادخلوا الباب )

باب أريحاء ( سجدا ) ركعا ( وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ) يوم السبت بأخذ الحيطان ( وأخذنا منهم ) ( فبما )

ميثاقا غليظا ) وثيقا في محمد صلى الله عليه وسلم

(فبما نقضهم) أي فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء تعلق بقوله حرمانا عليهم طيبات تقديره حرمانا عليهم طيبات بنقضهم  
 ميثاقهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بديل من قوله فبما نقضهم (ميثاقهم) ومعنى التوكيد تحقيق ان تحريم الطيبات لم يكن  
 الانقض المهدوم اعطف عليه من الكفر ﴿ ١٩٩ ﴾ و قتل { سورة النساء } الانبياء وغير ذلك

( وكفرهم بآيات الله )  
 أي معجزات موسى  
 عليه السلام ( وقتلهم الانبياء )  
 كزكريا ويحيى وغيرهما  
 ( بغير حق ) بغير سبب  
 يستحقون به القتل ( وقولهم  
 قلوبنا غلف ) جمع أغلف  
 أي محجوبة لا يتوصل  
 اليها شيء من الذكر  
 والوعظ ( بل طبع الله عليها  
 بكفرهم ) هورد وانكار  
 لقولهم قلوبنا غلف ( فلا  
 يؤمنون الا قليلا ) كعبدا لله  
 ابن سلام وأصحابه ( وبكفرهم )  
 معطوف على فبما نقضهم  
 أو على ما يليه من قوله بكفرهم  
 وما تكرر منهم الكفر  
 لانهم كفروا بموسى ثم  
 بعيسى ثم بمحمد صلى الله  
 عليه وسلم اعطف بعض  
 كفرهم على بعض ( وقولهم  
 على مريم بهتانا عظيما )  
 هو النسبة الى الزنا

(فبما نقضهم) فبنقضهم (ميثاقهم)  
 فعلنا بهم ما فعلنا ( وكفرهم  
 بآيات الله ) وبكفرهم  
 بمحمد والقرآن ضربت  
 عليهم الجزية ( وقتلهم )  
 وقتلهم ( الانبياء بغير حق )  
 بلا جرم أهلكتناهم

على ذلك وهو قولهم سمعا واطعنا ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ أي فخالقوا ونقضوا  
 فعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان  
 تعلق بحرمانا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله  
 فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا  
 غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره ﴿ وكفرهم  
 بآيات الله ﴾ بالقرآن أو بما جاء في كتابهم ﴿ وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا  
 غلف ﴾ أو عية للعلوم أو في اكنة مما تدعونا اليه ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾  
 فجعلها محجوبة عن العلم وأخذها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظ  
 ﴿ فلا يؤمنون الا قليلا ﴾ منهم كعبدا لله بن سلام أو ايماننا قليلا اذ لا عبرة به لتقصانه  
 ﴿ وبكفرهم ﴾ بعيسى عليه الصلاة والسلام وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب  
 الطبع أو على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع  
 ما قبله ويكون تكرير ذلك الكفر ايدانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى  
 ثم بمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وقولهم على مريم بهتانا عظيما ﴾ يعني نسبتها الى الزنا

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فيسبب نقضهم ميثاقهم  
 لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا ﴿ وكفرهم بآيات الله ﴾ يعني ومجحودهم  
 بآيات الله الدالة على صدق أنبيائه ﴿ وقتلهم الانبياء ﴾ يعني بعد قيام الحجّة والدلالة  
 على صحة نبوتهم ﴿ بغير حق ﴾ يعني بغير استحقاق لذلك القتل ﴿ وقولهم قلوبنا  
 غلف ﴾ يعني وقولهم على قلوبنا أعطية وغشاوة فهي لاتفقه ما تقول جمع أغلف  
 وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا أو عية للعلم فلا حاجة بنا الى ما ندعونا اليه فرد الله  
 عليهم بقوله ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب  
 كفرهم ﴿ فلا يؤمنون الا قليلا ﴾ يعني ايمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه  
 من الانبياء والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبدا لله  
 ابن سلام وأصحابه الذين آمنوا من اليهود ﴿ قوله عز وجل ﴾ وبكفرهم وقولهم  
 على مريم بهتانا عظيما ﴿ يعني حين رموها بالزنا وذلك انهم أنكروا قدرة الله تعالى  
 على خلق الولد من غير أب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو  
 انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هورميها اياها بالزنا وانما  
 سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك  
 فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم ﴿ قوله عز وجل

( وقولهم ) ( قلوبنا غلف ) أو عية لكل علم وهي لاتي كلامك وعلمك ( بل طبع الله عليها ) بل ليس كما قالوا ولكن  
 ختم الله على قلوبهم ( بكفرهم ) بمحمد والقرآن ( فلا يؤمنون ) بمحمد والقرآن ( الا قليلا ) عبدا لله بن سلام وأصحابه  
 ( وبكفرهم ) بعيسى والانجيل ( وقولهم ) ( على مريم بهتانا عظيما ) وهي الفرية جعلناهم خنازيرا



( وقولهم أنا قتلنا المسيح ) سمي مسيحا لان جبريل عليه السلام مسح بالبركة فهو ممسوح اولانه كان يسمع المريض والاكمة والابرس فيبراً فسمي { الجزء السادس } مسيحا بمعنى ٢٠٠ الماسح ( عيسى ابن مريم رسول الله ) هم

﴿ وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﴾ أي بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استهزاء من الله سبحانه وتعالى بمدحه أو وضال الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لكم ﴾ روى ان رهطاً من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسحهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه أيكم يرضى ان يلقى عليه شبهة فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فألقى الله عليه شبهة فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهة فاخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهود بيتا كان هو فيه فاجده وألقى الله عليه شبهة فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله سبحانه وتعالى بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله سبحانه وتعالى وقصدتهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لاقبولهم هذا على حسب حسابهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول أو في الامر على قول من قال لم يقتل أحد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس أو الى

﴿ وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ﴾ ادعت اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعاً ورد عليهم بقوله ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ﴾ وفي قوله رسول الله قولان أحدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني انه من قول الله لاعلى وجه الحكاية عنهم رفع الدرجه عما كانوا يذكرونه من القول القبيح ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولكن شبه لهم ﴿ يعني ألقى شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود في أمر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه انه قال أتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى أولنا قتلناكم جميعاً فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم أنا فخرج اليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فنعم شبه لهم وظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفي رواية أخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح اليك ثلاث مرات وليبيعني بدرهم يسيرة وليأكلن ثمنى فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحاب عيسى فجدد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه ثم اخذوا آخر فجدد

لم يقتلوه رسول الله لكنهم قالوا استهزاء كقول الكفار لرسولنا يا أيها الذي نزل عليه ذكر انك لمجنون ويحتمل ان الله وصفه بالرسول وان لم يقولوا ذلك ( وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ) روى ان رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدي فمسح الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويظهره من حجة اليهود فقال لاصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهة فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله عليه شبهة فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقى الله شبهة على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى وجاز هذا على قوم متعتين حكم الله بانهم لا يؤمنون

( كذلك )

والمجرور وهو لهم كقولك

( وقولهم ) وقولهم ( أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ) أهلك الله صاحبهم طيطانوس ( وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ) ألقى شبه عيسى على طيطانوس فقتلوه بدل عيسى

ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان عمه قتيلا ﴿ وأن الذين اختلفوا فيه ﴾ في شأن عيسى عليه الصلاة والسلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله سبحانه وتعالى رفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال بعضهم صلب الناسوت وصعد اللاهوت ﴿ لني شك منه ﴾ لني تردد والشك كما يطلق على ما لا يرجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل

كذلك فلما أصبح أتى بعض الحواريين الى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلون لي ان أنادى لكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فألقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم ينظرون انه عيسى وقال قتادة ان أعداء الله اليهود زعموا أنهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكرنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهي ولما الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم أنا ياني الله فأخذ ذلك الرجل وقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وقيل ان اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقبيا يحفظه فألقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فأخذ فقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري وأولى الاقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه من أن شبه عيسى ألقى على جميع من كان مع عيسى في البيت حين أحيط به وبهم من غير مسألة عيسى أيهم ذلك ولكن ليخزي الله بذلك اليهود وينقذه بنبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه أرادوه به من قتل وغيره وليتلى الله من أراد ابتلاءه من عباده ويحتمل ان يكون ألقى شبهه على بعض أصحابه بعدما تفرق عنه أصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك فأخذ وقتل وصلب وظن أصحابه واليهود ان الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبهه وخفي أمر عيسى عليهم وكانت حقيقة ذلك الامر عند الله فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴿ وأن الذين اختلفوا فيه ﴾ يعني في قتل عيسى وهم اليهود ﴿ لني شك منه ﴾ يعني من قتله وذلك ان اليهود قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد ألقى الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان اليهود لما حبسوا عيسى وأصحابه في البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجهم اليهم فألقى الله شبه عيسى على ذلك الرجل فأخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وصدقوا صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فأين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فأين المسيح عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جيمما وبعضهم يقول رأيناه قتل وبعضهم يقول رأيناه رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى

خيل اليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه أو مسند الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (وأن الذين اختلفوا فيه) في عيسى يعني اليهود قالوا أن الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا أو اختلف النصارى قالوا له وابن الهوثالث ثلاثة (لني شك منه)

(وأن الذين اختلفوا فيه) في قتله (لني شك منه) من قتله

مالهم به من علم الاتباع الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن وانما وصفوا بالشك وهو ان لا يرجح أحدا الجانبين { الجزء السادس } ثم وصفوا ﴿ ٢٠٢ ﴾ بالظن وهو ان يرجح أحدهما لان المراد

انهم شاكون مالهم به من علم ولكن ان لاحت لهم اشارة فظنوا فذلك وقيل وان الذين اختلفوا فيه أى فى قتله لنى شك منه أى من قتله لانهم كانوا يقولون ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فأين عيسى ( وما قتلاه يقينا ) أى قتلا يقينا أو ما قتلوه متيقنين أو ما قتلوه حقا فيجمل يقينا تأكيدا لقوله وما قتلاه أى حق انشاء قتله حقا ( بل رفعه الله اليه ) الى حيث لاحكم فيه لغير الله أو الى السماء ( وكان الله عزيزا ) فى انتقامه من اليهود ( حكيميا ) فيما دبر من رفعه اليه ( وأن من أهل الكتاب الايؤمنين به قبل موته ) الايؤمنين به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من أهل الكتاب أحدا لا يؤمنين به ونحوه وما من الله الا له مقام معلوم والمعنى وما من اليهود

العلم ولذلك اكده بقوله ﴿ مالهم به من علم الاتباع الظن ﴾ استثناء منقطع أى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما كان أو غيره فيتصل الاستثناء ﴿ وما قتلاه يقينا ﴾ قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح أو متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقول الشاعر  
كذلك نخبر عنها العالما بها \* وقد قتلت بعلى ذلكم يقينا  
من قولهم قتلت الشئ علما ونحوه علما اذا تباع علمك فيه ﴿ بل رفعه الله اليه ﴾ رد وانكار لقتله واثبات لرفعه ﴿ وكان الله عزيزا ﴾ لا يغلب على ما يريد ﴿ حكيميا ﴾ فيما دبر لعيسى عليه الصلاة والسلام لا يعث ﴿ وأن من أهل الكتاب الايؤمنين به قبل موته ﴾ أى وما من أهل الكتاب أحدا لا يؤمنين به بقوله

﴿ مالهم به من علم ﴾ يعنى انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى أو غيره ﴿ الاتباع الظن ﴾ يعنى لكن يتبعون الظن فى قتله ظنا منهم أنه عيسى لاعتنا علم وحقيقة ﴿ وما قتلاه يقينا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما بنى لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء فى قتلاه عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه فى قتله فهو كقول العرب قتلته علما وقلته يقينا يعنى علمه علما تماما وأصل ذلك ان القتل للشئ يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما تماما كاملا انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل ان الهاء فى قتلاه عائدة على عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده تقديره وما قتلوه ﴿ بل رفعه الله اليه ﴾ يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن أرادوا بسوءه وقد تقدم كيف كان رفعه فى سورة آل عمران بما فيه كفاية ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكان الله عزيزا ﴿ يعنى فى اقتداره على من يشاء من عباده ﴿ حكيميا ﴾ يعنى فى انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا يعنى منيعا منتقما من اليهود فسلط عليهم ينظيونس بن اسبسيانوس الرومى قتل منهم مقتلة عظيمة حكيميا حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذا الدعوى الكاذبة ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأن من أهل الكتاب ﴿ يعنى وما من أحد من أهل الكتاب ﴾ الايؤمنين به ﴿ يعنى بعيسى عليه السلام وأنه عبد الله ورسوله وروحه وكلته هذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين وقول عكرمة فى قوله الايؤمنين به يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجز للنبى صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين أولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه أولى ﴿ قبل موته ﴾ اختلف

( مالهم به ) بقتله ( من علم الاتباع الظن ) ولا الظن ( وما قتلوه يقينا ) أى يقينا ما قتلوه ( بل رفعه الله اليه ) الى السماء ( وكان الله عزيزا )

بالنقمة من أعدائه ( حكيميا ) بالنصرة لا وليائه نجى نبيه وأهلك صاحبه ( وأن من ) وما من ( أهل الكتاب ) ( المفسرون ) اليهود والنصارى أحد ( الايؤمنين به ) بعيسى انه لم يكن ساحرا ولا الله ولا ابنه ولا شريكه ( قبل موته ) قبل خروج نفسه

ليؤمنن جلة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى عليه الصلاة والسلام والمعنى مامن اليهود والنصارى أحدا لا يؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولوحين ان تزهر روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم التون لان أحدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتجريض على معالجة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى عليه أفضل الصلاة والسلام والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعا روى انه عليه الصلاة والسلام ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنور مع البقر والذئب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون

والنصارى أحدا لا يؤمنن  
قبل موته بعيسى عليه  
السلام وبأنه عبد الله  
ورسوله يعني اذا عاين قبل  
ان تزهر روحه حين لا ينفعه  
ايمانه لانقطاع وقت التكليف

أو الضميران لعيسى يعني  
وان منهم أحد الا ليؤمنن  
بعيسى قبل موت عيسى  
وهم أهل الكتاب الذين  
يكونون في زمان نزوله  
روى انه ينزل من السماء  
في آخر الزمان فلا يبقى  
أحد من أهل الكتاب  
الا يؤمنن به حتى تكون الملة  
واحدة وهي ملة الاسلام  
أو الضمير في به يرجع  
الى الله أو الى محمد صلى الله  
عليه وسلم والثاني الى الكتابي

بعد نزول عيسى ثم يموت  
بعد كل يهودى يكون  
في زمنهم

المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع فقال ابن عباس وأكثروا المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى ومامن أحد من أهل الكتاب الا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه اذا وقع في اليأس حين لا ينفعه ايمانه سواء احترق أو تردى من شاهق أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات نجاة فقل له أرأيت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهواء فقل له أرأيت ان ضربت عنقه قال يتلجج به لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة باجحتها وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله أنك موسى نبيا فكذبت به فيقول أمنت انه عبد الله ورسوله تقول للنصراني أنك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول أمنت انه عبد الله فأهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من أهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا والمعنى ومامن أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتابين الا آمن بعيسى حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودى ولا نصرانى ولا أحد يعبد غير الله الا آمن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويبل على صحة هذا القول ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن فيكم ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشجناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى

ويدفنون ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا ﴿ فيشهد على اليهود بالكذب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله ﴿ فيظلم من الذين هادوا ﴿ أى فبأى ظلم منهم ﴿ حررنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴿ يعنى ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حررنا

المال فلا يقبله أحد أخرجه في الصحيحين في هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل في آخر الزمان في هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واماما من أمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب يعنى يكسره حقيقة ويبتل ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتله الخنزير \* وقوله ويضع الجزية يعنى لا يقبلها ممن بزلهما من اليهود والنصارى ولا يقبل من أحد الا الاسلام أو القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي اذا بزل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس النسخ هو عيسى عليه السلام بل النسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ أو ان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فدل على ان الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعنى قول من قال ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في آخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ يعنى عند نزوله شرذمة قليلة منهم وأجاب أصحاب هذا القول يعنى الذين يقولون ان ايمان أهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في آخر الزمان بان هذا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الآية وما من أحد من أهل الكتاب أدرك ذلك الوقت الا آمن بعيسى عند نزوله من السماء وصحح الطبري هذا القول وقال عكرمة في معنى الآية وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودى ولا نصرانى حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لا ينفعه ايمانه \* قوله عز وجل ﴿ ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا ﴾ يعنى يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود أنهم كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى أنهم اتخذوه ربا وأشركوا به ويشهدوا على تصديق من صدقهم وآمن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيامة انه قد بلغ رسالة ربه وأقر على نفسه بالعبودية ﴿ قوله عز وجل ﴿ فيظلم من الذين هادوا ﴾ يعنى فبسبب ظلم منهم ﴿ حررنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ يعنى ما حررنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكوبه وذلك الظلم هو ما ذكره من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من أنواع الكفر

( ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا ) يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله ( فيظلم من الذين هادوا حررنا عليهم طيبات أحلت لهم ) وهى ما ذكر في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حررنا كل ذى ظفر الآية والمعنى ما حررنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكوبوه وهو ما عدد قبل هذا ( ويوم القيمة يكون ) عيسى ( عليهم شهيدا ) بالبلاغ ( فيظلم من الذين هادوا ) حررنا عليهم طيبات أحلت لهم ) يقول فيظلمهم

( وبصدهم عن سبيل الله ) وبغتهم ﴿ ٢٠٥ ﴾ عن الايمان ( كثيرا ) ﴿ سورة النساء ﴾ أى خلقا كثيرا أو صدا

كثيرا ( وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه ) كان الربا محرم عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم ﴿ وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة ﴿ واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾ دون من تاب وآمن ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه

والكباير العظيمة مثل قولهم اجعل لنا ألها كما لهم آلهة وكقولهم أرنا الله جهرة وكعادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهى ما ذكره في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية وقال الطبرى في معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نتضوا ميثاقهم الذى واثقوا ربهم به وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلموا ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من المآكل وغيرها التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذى أخبر الله عنهم في كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبني بغوه وحرمت عليهم أشياء بغيهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن الجوزى عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية قال الواحدى فلما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف وهى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم أجد فيه شيئا انتهى اليه فتركته ولقد انصف الواحدى فيما قال فان هذه الآية في غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل \* فأن قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سبق منهم \* قلت جوابه ما تقدم وهو ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرها اجاليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فالله الاشارة بقوله ﴿ وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه ﴾ ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله ﴿ وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ فهذه الاربعة هى الذنوب التى شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة أما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم واما التشديد في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى ﴿ واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾ قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيؤمنون من العذاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ لكن الراسخون في العلم منهم ﴿ يعنى من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من أهل الكتاب ممن تقدم

كثيرا ( وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه ) كان الربا محرم عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم ﴿ وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة ﴿ واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾ دون من تاب وآمن ﴿ لكن الراسخون في العلم منهم ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه

والكباير العظيمة مثل قولهم اجعل لنا ألها كما لهم آلهة وكقولهم أرنا الله جهرة وكعادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم طيبات كانت حلالا لهم وهى ما ذكره في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية وقال الطبرى في معنى الآية فحرمنا على اليهود الذين نتضوا ميثاقهم الذى واثقوا ربهم به وكفروا بآيات الله وقتلوا أنبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلموا ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من المآكل وغيرها التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذى أخبر الله عنهم في كتابه وروى عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبني بغوه وحرمت عليهم أشياء بغيهم وظلمهم ونقل الواحدى وابن الجوزى عن مقاتل قال كان الله حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية قال الواحدى فلما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف وهى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم أجد فيه شيئا انتهى اليه فتركته ولقد انصف الواحدى فيما قال فان هذه الآية في غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في معنى الظلم المذكور في الآية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل \* فأن قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات التى كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سبق منهم \* قلت جوابه ما تقدم وهو ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين في تفسير هذه الآية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرها اجاليا فقال اعلم أن أنواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق أما ظلم الخلق فالله الاشارة بقوله ﴿ وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه ﴾ ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله ﴿ وأكلهم أموال الناس بالباطل ﴾ فهذه الاربعة هى الذنوب التى شدد عليهم بسببها في الدنيا والآخرة أما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم واما التشديد في الآخرة فهو المراد بقوله تعالى ﴿ واعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما ﴾ قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيؤمنون من العذاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ لكن الراسخون في العلم منهم ﴿ يعنى من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من آمن من أهل الكتاب ممن تقدم

﴿ والمؤمنون ﴾ أى منهم أومن المهاجرين والانصار ﴿ يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ﴾ خبر المبتدأ ﴿ والمقيمون الصلوة ﴾ نصب على المدح أن جعل يؤمنون الخبر لا ولئك أو عطف على ما أنزل اليك والمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى يؤمنون بالكتب والانبياء \* وقرأ نافع بالرفع عطفاً على الراسخون أو على الضمير فى يؤمنون أو على انه مبتدأ والخبر أولئك سنؤتيهم ﴿ والمؤتون الزكوة ﴾ رفعه لاحد الاوجه المذكورة

وصفهم وصفهم فى الآيات التى تقدمت فبين فيما تقدم حال كفسار اليهود والجهال منهم وبين فى هذه الآية حال من هداه لدينه منهم وارشده للعمل بما علم فقال لكن الراسخون فى العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون فى العلم الثابتون فى العلم البالقون فيه أولوالبصائر الثابتة والعقول الصافية وهم عبدالله بن سلام وأصحابه الذين اسلموا من أهل الكتاب لانهم رسخوا فى العلم وعرفوا حقيقته فاوصلهم ذلك الى الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والمؤمنون ﴾ يعنى بالله ورسوله ﴿ يؤمنون بما أنزل اليك ﴾ يعنى بالقرآن الذى أنزل اليك ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ يعنى ويؤمنون بسائر الكتب التى أنزلها الله على انبيائه من قبلك يا محمد وفى المراد بالمؤمنين ههنا قولان أحدهما انهم أهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون فى العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثانى انهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستأنف يؤمنون بما أنزل اليك يعنى انهم يصدقون بالقرآن الذى أنزل اليك يا محمد وما أنزل من قبلك ﴿ والمقيمون الصلوة ﴾ اختلف العلماء فى وجه نصبه فحكى عن عائشة وأبان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغى ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه ان فى المحف لحنا سقيميه العرب بألسنتهم فقيل له أفلا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الا انه لفظ صحيح ليس فيه خطأ من كاتب ولا غيره وأجيب عما روى عن عثمان بن عفان وعن عائشة وأبان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتكون فى كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغى ان ينسب هذا اليهم قال ابن الانبارى ماروى عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيئا فاسدا يصلحه غيره ولان القرآن منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت الحن فيه وقال الزمخشري فى الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوع الحن فى خط المحفور بما التفت اليه من لم ينظر فى الكتاب يعنى كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم فى النصب على الاختصاص والمدح من الاقتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه عن أمثلة وشواهدور بما عجب عليه ان السابقين الاولين كانوا أبعد همة فى الغيرة على الاسلام وذنب الطاعن عنه من ان يتروكوا فى كتاب الله عز وجل ثلثة يسدها من بعدهم وخرقا يرفؤه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء فى المقيمون الصلاة أهم الراسخون فى العلم أم غيرهم على قولين أحدهما أنهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمون الصلاة وهم المؤتون الزكوة قالوا

الكتاب (والمؤمنون) أى المؤمنون منهم والمؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء (يؤمنون) خبره (بما أنزل اليك) أى القرآن (وما أنزل من قبلك) أى سائر الكتب (والمقيمون الصلوة) منصوب على المدح لبيان فضل الصلاة وفى مصحف عبدالله والمقيمون وهى قراءة مالك بن دينار وغيره (والمؤمنون) وجلة المؤمنون بما أنزل اليك (من القرآن) وما أنزل من قبلك (على سائر الانبياء) والمقيمون الصلوة) المقيمون الصلوات الخمس

﴿ والمؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية ﴿ أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ﴾ على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح \* وقرأ حزة سيؤتيهم بالياء ﴿ أنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ﴾ جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا والعرب تفعل ذلك في صفة الشئ الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح أو ذم فربما خالفوا بين اعراب أوله وأوسطه احيانا ثم رجعوا بآخره الى اعراب أوله وربما أجرؤا اعراب آخره على اعراب أوسطه وربما أجرؤوا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية

لا يبعدن قومي الذين هم \* سم العمداد وآفة الخزر

النازلين بكل معترك \* والطيون معاقد الازر

وهذا على معنى اذ كرنا الذين وهم طييون ومن هذا المعنى تقول جاني قومك المطعمين وهم المعينون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى الآية والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء لانه لم يخل شرع أحد منهم عن اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني واختاره ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ والمؤمنون الزكوة ﴾ عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم ﴿ والمؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ يعنى والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب والعقاب ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه الاوصاف صفته ﴿ سنؤتيهم أجرا عظيما ﴾ يعنى سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباء أمره ثوابا عظيما وهو الجنة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله أنزل على بشر من شئ من بعد موسى فأ نزل الله هذه الآيات وقيل هو جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء جلة واحدة فاجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال أنا أوحينا اليك يا محمد كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبياء المذكورين في هذه الآية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى أوحى الى هؤلاء الانبياء وأنتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما أنزل الله على أحد من هؤلاء المذكورين كتابا جلة واحدة مثل ما أنزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب جلة واحدة على أحد هؤلاء الانبياء قادحا في نبوته فكذلك لم يكن انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم قال المفسرون وانما بدأ الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه أول نبي بعث بشريعة وأول نذير

( والمؤمنون الزكاة ) مبتدأ  
( والمؤمنون بالله واليوم الآخر ) عطف عليه  
والخبر ( أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما ) وبالياء حزة  
( أنا أوحينا اليك ) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء الذين سلفوا ( كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ) كهود وصالح وشعيب

( والمؤمنون الزكوة ) المؤدون زكاة أموالهم أيضا يقرون بالقرآن وسائر الكتب ( والمؤمنون بالله واليوم الآخر ) بالبعث بعد الموت أيضا يقرون بالقرآن وسائر الكتب وكل هؤلاء يقرون بالقرآن وسائر الكتب ان لم يقربها اليهود ثم بين ثوابهم فقال ( أولئك سنؤتيهم ) سنعطيهم ( أجرا عظيما ) ثوابا وافرا في الجنة ( أنا أوحينا اليك ) ارسلنا اليك جبريل بالقرآن ( كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ) من بعد نوح



وغيرهم ( وأوحينا الى { الجزء السادس } ابراهيم واسماعيل ﴿ ٢٠٨ ﴾ واسحق ويعقوب والاسباط ) أى

من السماء واحتجاج عليهم بان امرء في الوحى كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً ﴾ خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيماً لهم فان ابراهيم أول أولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقيين اشرف الانبياء ومشاهيرهم ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ وقرأ حجة زبوراً بالضم وهو جمع زبر معنى مزبور ﴿ ورسلاً ﴾ نصب بضمير دل عليه أوحينا اليك كأرسلنا أوفسره ﴿ قد قصصناهم عليك من قبل ﴾ أى من قبل هذه السورة أو اليوم

على الشرك وأنزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان أول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض بدعائه وكان أبا البشر كآدم عليها السلام وكان أطول الانبياء عمراً عاش ألف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم تنقص له سن وصبر على أذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال ﴿ وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ﴾ وهم أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر ﴿ وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً ﴾ يعنى وآتينا داود كتاباً مزبوراً يعنى مكتوباً وقيل الزبور بالقبح اسم للكتاب الذى أنزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس وتمجيد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور وتقوم علماء بنى اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التى فى الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس وهم يستمعون لقراءة داود ويتجسون منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك أنس الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن أبى موسى الاشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورأيتنى البارحة وأنا أستمع لقراءة لك لقد أعطيت من مارا من مزامير آل داود قال الحيدى زاد البرقانى قلت والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لقراءتى لحبرتها لك تحبيراً التحير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى فى هذه الآية لان الله أنزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء فى الآية أنه لم ينزل على أحد منهم كتاباً جملة واحدة فلها لم يذكر موسى عليه السلام ﴿ قوله عز وجل ﴾ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ﴿ لما نزلت هذه الآية المتقدمة قالت اليهود مال موسى لم يذكر فانزل الله هذه الآية وفيها ذكر موسى عليه السلام والمعنى وأوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعنى سميناهم فى القرآن وعرفناك أخبارهم والى من بشوا وماورد عليهم من قومهم ﴿ ورسلاً لم نقصصهم عليك ﴾ أى لم نسمهم لك ولم نعرفك أخبارهم قال أهل المعانى الذى نوه الله بذكرهم من الانبياء يدل على تفضيلهم على من

أولاد يعقوب ( وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً ) مصدر بمعنى مفعول سمي به الكتاب المنزل على داود عليه السلام ( ورسلاً ) نصب بضمير فى معنى أوحينا اليك وهو أرسلنا ونبأنا ( قد قصصناهم عليك من قبل ) من قبل هذه السورة ( ورسلاً لم نقصصهم عليك ) سأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً قال كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر أول الرسل آدم و آخرهم نبيكم محمد عليه السلام وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام والآية تدل على ان معرفة الرسل باعيانهم ليست بشرط لصحة الايمان بل من شرطه

( وأوحينا الى ابراهيم ) أرسلنا جبريل أيضاً الى ابراهيم ( واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ) أولاد يعقوب ( وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا ) أعطينا ( داود زبوراً ورسلاً )

قد قصصناهم عليك ) سميناهم لك ( من قبل ) من قبل هذه السورة ( ورسلاً لم نقصصهم عليك ) ( لم يذكر )

ان يؤمن بهم جميعا اذ لو كان معرفة ﴿ ٢٠٩ ﴾ كل واحد منهم { سورة النساء }

شرط القص علينا كل ذلك  
( وكلم الله موسى تكليما )  
أى بلا واسطة ( رسلا  
مبشرين ومنذرين )  
الوجه ان ينصب على  
المدح أى أعنى رسلا  
ويحوز ان يكون بدلا من  
الاول وأن يكون مفعولا  
أى وأرسلنا رسلا واللام  
في (لئلا يكون للناس على الله  
حجة بعد الرسل ) يتعلق  
بمبشرين ومنذرين والمعنى  
ان ارسالهم ازاحة للعلامة  
وتتيمم لالزام الحجة لئلا  
يقولوا لولا أرسلت الينا  
رسولا فيوقفنا من سنة  
الغفلة وينبها بما وجب  
الانتباه له ويعلمنا ماسبيل  
معرفة السمع كالعبادات  
والشرائع أعنى في حق  
مقاديرها وأوقاتها وكيفياتها  
دون أصولها فانها مما يعرف

لم نسبهم لك ( وكلم الله  
موسى تكليما رسلا ) كل  
هؤلاء الرسل أرسلناهم  
( مبشرين ) بالجنة لمن آمن  
بالله ( ومنذرين ) من النار  
لمن لا يؤمن بالله ( لئلا )  
لكي لا ( يكون للناس  
على الله حجة ) يوم القيامة  
( بعد الرسل ) بعد ارسال  
الرسل اليهم لكي لا يقولوا  
لم لم ترسل الينا الرسل

وكلم الله موسى تكليما ﴿ وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله  
محمد صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم ﴿ رسلا مبشرين  
ومنذرين ﴿ نصب على المدح أو باضمار أرسلنا أو على الحال ويكون رسلا موطأ لما بعده كقولك  
صرت يزيد رجلا صالحا ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴿ فيقولوا

لم يذكر ولم يسم ﴿ قوله عز وجل ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴿ يعنى خاطبه مخاطبة من  
غير واسطة لان تأكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام وان موسى عليه السلام سمع  
كلام الله بلا شك لان أفعال المجاز لا تؤثر كالمصادر فلا يقال أراد الخائض يسقط ارادة  
وهذا رد على من يقول ان الله خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفراء  
العرب تسمى كل ما يوصل الى الانسان كلاما بأى طريق وصل لكن لا تحققه بالمصدر  
واذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى  
قد سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبري بسنده من عدة طرق عن  
كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنه كلها قبل كلامه يعنى كلام  
موسى بلسانه فجعل موسى يقول يارب لأفهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنه فقال يارب  
هكذا كلامك قال لو سمعت كلامى يعنى على وجهه لم تك شيأ قال موسى يارب هل في  
خلقك شيأ يشبه كلامك قال لا وأقرب خلقى شها بكلامى أشد ما يسمع الناس من  
الصواعق قال بعض العلماء كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به  
ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة عليه جملة واحدة  
لم يكن قادحا في نبوة من أنزل عليه كتابه متفرقا من الانبياء ﴿ قوله عز وجل  
﴿ رسلا مبشرين ومنذرين ﴿ يعنى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين  
من بعده ومن أولئك النبيين أرسلت رسلا الى خلقى مبشرين من أطاعنى واتبع  
أمرى وصدق رسلى بالثواب الجزيل فى الجنة ومنذرين من عصانى وخالف أمرى  
وكذب رسلى بالعذاب الاليم فى النار وقيل هو جواب عن سؤال اليهود انزال  
الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسول هو ارشاد الخلق الى  
معرفة الله وتوحيده والايان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك وهذا  
المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا  
أولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتاب عليهم لم تكن تعرف شيأ  
من العبادات ولم تألفها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكليف ربما حصل  
فى بعض نفوس العباد نفور من تلك التكليف وتثقل عليهم كما أخبر الله عن قوم  
موسى بقوله تعالى واذتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم  
بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا أحكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال  
القرآن نجوما متفرقة أولى ﴿ قوله عز وجل ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة  
بعد الرسل ﴿ يعنى بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله

لولا ارسلت النار سلا فينينا وبعلمنا ما لم تكن نعي و فيه تبيينه على ان بعثة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الناس ضرورة لتصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كليتها واللام متعلقة بارسلنا أو بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس أو على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها أو صفة ﴿ وكان الله عزيزا ﴾ لا يغيب فيما يريد ﴿ حكيمًا ﴾ فيما دبر من أمر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز ﴿ لكن الله يشهد ﴾ استدراك عن مفهوم ما قبله فكأنه لما اعتنوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا أوحينا اليك قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد أو انهم انكروه ولكن الله بينه ويقرره ﴿ بما أنزل اليك ﴾ من القرآن المجز الدال على نبوتك

بالعقل ( وكان الله عزيزا )  
في العقاب على الانكار  
( حكيمًا ) في بعث الرسل  
للانذار ولما نزل أنا أوحينا  
اليك قالوا ما تشهدك بهذا  
فنزل ( لكن الله يشهد بما  
أنزل اليك ) ومعنى شهادة  
الله بما أنزل اليه اثباته لحيته  
بإظهار المعجزات كما ثبتت  
الدعوى بالبينات اذ الحكيم  
لا يؤيد الكاذب بالمعجزة

في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا ما أرسلت لنا رسولا وما أنزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال تعالى وما كنا مسذيين حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات فأن قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الأدلة التي النظر فيها وصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل

وفي كل شيء له آية • تدل على انه واحد

قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وبعثون الخلق الى النظر في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وسائط بين الله تعالى وخلقهم ومبينون أحكام الله تعالى التي اقتضها على عباده ومبلغون رسالته اليهم ( ق ) عن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتعجبون من غيرة سعد والله لا نا أغير منه والله أغير منى ومن أجل غيرة الله حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا أحد أحب اليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الجنة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم ولا شخص أحب اليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وكان الله عزيزا ﴾ يعنى فى انتقامه ممن خالف أمره وعصى رسله ﴿ حكيمًا ﴾ يعنى فى ارساله الرسل ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل اليك ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم انى والله أعلم انكم لتعلمن انى رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الآية وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رؤساء

( وكان الله عزيزا ) بالنعمة  
لمن لا يجيب رسله ( حكيمًا )  
حكم عليهم اجابة الرسل  
ثم نزل فى أهل مكة لقولهم  
سألنا أهل الكتاب عنك  
فلم يشهد أحد منهم انك  
نبي مرسل ( لكن الله يشهد )  
وان لم يشهد غيره ( بما أنزل  
اليك ) يعنى جبريل بالقرآن

روى انه لما نزل انا أوحينا اليك قالوا ماشهد لك فنزلت ﴿ أنزله بعلمه ﴾ أنزله ملتبساً بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ أو بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه أو بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها ﴿ والملائكة يشهدون ﴾ أيضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعملوا صحة دعوا النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدا ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ أى وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاشتهاد بغيره ﴿ أن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ﴾ لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضلل يكون اغرق في الضلال وأبعد عن الانتقال عنه

مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما أنزل اليك يعنى ان جحديك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما أوحينا اليك وقالوا ما أنزل الله على بشر من شئ فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهدك بالنبوة ويشهد بما أنزل اليك من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا أن القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بانه أنزل عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب أنه أنزل هذا القرآن البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والياتان بمثله فكان ذلك مجزا واطهارا للمجزة شهادة بكون المدعى صادقا لا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهدك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي أنزله عليك ﴿ أنزله بعلمه ﴾ يعنى أنه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما أنزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى أنزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه أنزله وهو عالم بانك أهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عبادته وقيل معناه أنزله بما علم من مصالح عبادته في انزاله عليك ﴿ والملائكة يشهدون ﴾ يعنى يشهدون بان الله أنزله عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشئ شهدت الملائكة بذلك الشئ وقد ثبت ان الله يشهد بانه أنزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ يعنى وحسبك يا محمد أن الله يشهدك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه أحد غيره ففقه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة أهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الذين كفروا ﴿ يعنى جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود ﴾ وصدوا عن سبيل الله ﴿ يعنى منعوهم عن الايمان به بكتمان صفته وألقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد رسولا لآتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما أتى موسى بالتوراة ﴿ قد ضلوا ضلالا بعيدا ﴾ يعنى عن طريق الهدى

( أنزله بعلمه ) أى أنزله وهو عالم بانك أهل لانزاله اليك وانك مبلغه وأنزله بما علم من مصالح العباد وفيه نفي قول المعتزلة في انكار الصفات فانه أثبت لنفسه العلم ( والملائكة يشهدون ) لك بالنبوة ( وكفى بالله شهيدا ) شاهدا وان لم يشهد غيره ( أن الذين كفروا ) بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود ( وصدوا عن سبيل الله ) ومنعوا الناس عن سبيل الحق بقولهم لا عرب انا لانجده في كتابنا ( قد ضلوا ضلالا بعيدا ) عن الرشدي

( أنزله بعلمه ) بامرء ( والملائكة يشهدون ) على ذلك ( وكفى بالله شهيدا ) وان لم يشهد غيره ( أن الذين كفروا ) بمحمد والقرآن ( وصدوا ) الناس ( عن سبيل الله ) عن دين الله وطاعته ( قد ضلوا ضلالا بعيدا ) عن الهدى

(أن الذين كفروا) بالله (وظلموا) محمد عليه السلام بتغيير نعته وانكار نبوته (لم يكن الله ليغفر لهم) ماداموا على الكفر (ولا يهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) وكان تخليدهم في جهنم سهلا عليه والتقدير بعاقبهم خالدين { الجزء السادس } فهو حال مقدرة ﴿ ٢١٢ ﴾ والآيات في قوم علم الله أنهم لا يؤمنون

ويعوتون على الكفر (يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) أي بالاسلام أو هو حال أي محققا فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أي اقصدوا وأشوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان به والتوحيد (وأن تكفروا) فإن لله مافي السموات والارض فلا يضره كفركم (وكان الله عليما) بمن يؤمن ومن يكفر

(أن الذين كفروا) محمد والقرآن (وظلموا) هم الذين أشركوا بالله (لم يكن الله ليغفر لهم) ما قاموا على ذلك (ولا يهديهم طريقا) طريق الهدى (الا طريق جهنم خالدين فيها) مقبين في النار لا يعوتون ولا يخرجون منها (أبدا وكان ذلك) الخلود والعذاب (على الله يسيرا) هينا (يا أيها الناس) يا أهل مكة

﴿ أن الذين كفروا وظلموا ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته أو الناس بصددهم عما فيه صلاحهم وخلصهم أو بأعم من ذلك وعليه يدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذا المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ جرى حكمه السابق ووعدته المحكوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالد في حال مقدرة ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ لا يعسر عليه ولا يستعظمه ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم ﴾ لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزمام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد ﴿ فآمنوا خيرا لكم ﴾ أي ايمانا خيرا لكم أو أشوا أمرا خيرا لكم مما أنتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحدف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه ﴿ وأن تكفروا فإن لله مافي السموات والارض ﴾ يعني وان تكفروا فهو غنى عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا يتنفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله مافي السموات والارض وهو يعلم ما اشتملنا عليه وما تركتنا منه ﴿ وكان الله عليما ﴾

﴿ أن الذين كفروا وظلموا ﴾ يعني كفروا بالله وظلموا محمد صلى الله عليه وسلم بكتمان صفة وظلموا غيرهم بالقاء الشبهة في قلوبهم ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ﴾ يعني لمن علم منهم انهم يعوتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح أفعالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسي والحلاء وفي الآخرة بالنار وهو قوله تعالى ﴿ ولا يهديهم طريقا ﴾ يعني ينجون فيه من النار وقيل ولا يهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون ﴿ الا طريق جهنم ﴾ يعني لكنه تعالى يهديهم الى طريق يؤدي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم أهل لذلك ﴿ خالدين فيها ﴾ يعني في جهنم ﴿ أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ يعني هينا ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الناس ﴿ هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب ﴾ قد جاءكم الرسول ﴿ يعني محمد صلى الله عليه وسلم ﴾ بالحق ﴿ يعني بدین الاسلام الذي ارتضاه الله العباده وقيل جاء بالقرآن الذي هو الحق ﴾ من ربكم ﴿ يعني من عند ربكم ﴾ فآمنوا خيرا لكم ﴿ يعني فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني من الكفر الذي أنتم عليه ﴾ وأن تكفروا ﴿ يعني وان محمدا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم ﴾ فإن لله مافي السموات والارض ﴿ يعني فان الله هو الغني عن ايمانكم لان له مافي السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شيء وانه قادر على ما يشاء ﴿ وكان الله عليما ﴾ يعني

(قد جاءكم الرسول) محمد (بالحق) بالتوحيد والقرآن (من ربكم فآمنوا) ب محمد والقرآن (خيرا لكم) مما (بما يكون) أنتم عليه (وأن تكفروا) ب محمد والقرآن (فإن لله مافي السموات والارض) كلهم عبيده واماؤه (وكان الله عليما) بمن يؤمن

(حيا) لايسوى بينهما في الجزاء (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) لا تجاوزوا الحد فقلت اليهود في حق المسيح عن منزلته حتى قالوا انه ابن الزنا وغلّت النصارى ﴿٢١٣﴾ في رفعه عن { بسورة النساء } مقداره حيث جعلوه ابن

الله (ولا تقولوا على الله الاالحق) وهو تنزيهه عن الشريك والولد (انما المسيح عيسى ابن مريم) لا ابن الله (رسول الله) خير المبتدأ وهو المسيح وعيسى عطف بيان أو

بدل (وكلته) عطف على رسول الله وقيل له كلمة لانه يتدى به كما يتدى بالكلام (ألقاها الى مريم) حال وقدمه مرادة أي أوصلها اليها وحصلها فيها (وروح) معطوف على الخبر أيضا وقيل له روح لانه كان يحيي الموتى كما سمى القرآن روحا بقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا لما أنه يحيي القلوب (منه) أي بتخليقه

وبعن لا يؤمن (حكيا) حكم عليهم ان لا يعبدوا غيره ثم نزل في نصارى أهل نجران النسطورية وهم الذين قالوا عيسى ابن الله واليعقوبية وهم الذين قالوا عيسى هو الله والمرقوسية وهم الذين قالوا ثالث ثلاثة والمكانية وهم الذين قالوا عيسى والرب شريكان فانزل الله

باحوالهم ﴿حكيا﴾ فيما دبر لهم ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ الخطاب للفريقين غلّت اليهود في حط عيسى عليه السلام حتى رموه بأنه ولد من غير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل الخطاب للنصارى خاصة فانه أوفق لقوله ﴿ولا تقولوا على الله الاالحق﴾ يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد ﴿انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلته ألقاها الى مريم﴾ أرسلها اليها وحصلها فيها ﴿وروح منه﴾ وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل

بما يكون منكم لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله ﴿حكيا﴾ يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم ﴿قواه عز وجل﴾ ﴿يا أهل الكتاب﴾ نزلت هذه الآية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما أجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآية أتبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى وأصناف النصارى أربعة اليعقوبية والمكانية والنسطورية والمرقوسية فاما اليعقوبية والمكانية فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد لثلاثة أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانهم يريدون بأقنوم الاب الذات وأقنوم الابن عيسى وأقنوم روح القدس الحياة الحاله فيه فتقديره عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية وألوهية فناسوتيته من قبل الام والوهيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا يقال ان الذي أظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولس تصور دس هذا في دين النصارى ليضلهم بذلك وستأني قصته في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا في التقصير في أمره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشدة وغلّت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا يا أهل الكتاب ﴿لا تغلوا في دينكم﴾ وأصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في أمر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته ﴿ولا تقولوا على الله الاالحق﴾ يعني لا تقولوا ان له شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوه بالحللول والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو في دينهم أرشدهم الى طريق الحق في أمر عيسى عليه السلام فقال تعالى ﴿انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ يقول انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر وأشرك ﴿وكلته﴾ هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير أب ولا واسطة ﴿ألقاها الى مريم﴾ يعني أوصلها الى مريم ﴿وروح منه﴾ يعني انه كسائر

فيهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا) لا تشددوا (في دينكم) فانه ليس بحق (ولا تقولوا على الله الاالحق) الصدق (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلته ألقاها الى مريم) وصار بكلمة من الله مخلوقا (وروح منه) وبأمر منه

وبه أجاب علي بن الحسين  
ابن واقد غلاما نصرانيا كان  
للرشيدي في مجلسه حيث زعم  
ان في كتابكم حجة على ان  
عيسى من الله ( فآمنوا  
بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة )

سمى روحا لانه كان يحيي الاموات أو القلوب ﴿ فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ﴾  
أي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أن أنت قلت للناس اتخذوني  
وأخي الهين من دون الله أو الله ثلاثة ان صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم الاب والابن  
وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة ﴿ انتهوا ﴾  
عن التثليث ﴿ خير لكم ﴾ نصبه لما سبق ﴿ إنما الله له واحد ﴾ أي واحد بالذات لا تعدد فيه  
بوجه ما ﴿ سبحانه أن يكون له ولد ﴾ أي أسبغ تسبعا من ان يكون له ولد فانه  
يكون لمن يعاد له مثل ويتطرق اليه الفناء ﴿ له ما في السموات وما في الارض ﴾

خبر مبتدأ محذوف أي  
ولا تقولوا الآلهة ثلاثة  
( انتهوا ) عن التثليث ( خيرا  
لكم ) والذي يدل عليه  
القرآن التصريح منهم بأن  
الله والمسيح ومريم ثلاثة  
آلهة وان المسيح ولد الله من  
مريم ألا ترى الى قوله أنت  
قلت للناس اتخذوني وأخي  
الهي من دون الله وقالت  
النصارى المسيح ابن الله

الارواح التي خلقها الله تعالى وانما أضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم  
كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني انه تفضل بها وقيل الروح هو الذي  
نفخ فيه جبريل في جيب درع مريم فحمت باذن الله وانما أضافه الى نفسه بقوله منه  
لانه وجد بأمر الله قال بعض المفسرين ان الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها  
في صلب آدم عليه السلام وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد الله أن يخلق  
أرسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها فحمت بعيسى عليه السلام  
وقيل ان الروح والريح مقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل  
عليه السلام وقوله منه يعني ان ذلك انفخ كان بأمره واذنه وقيل أدخل النكرة  
في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح وأي روح من الارواح القدسية العالية  
المطهرة وقوله منه اضافته تلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن  
عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن  
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبده ورسوله  
وكتبه ألقاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان له  
من العمل ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فآمنوا بالله ورسله ﴾ يعني فصدقوا بأهل الكتاب  
بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاؤكم به من عند الله وصدقوا بان  
عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا تجملوه لها ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ولا تقولوا  
ثلاثة ﴾ يعني ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون أب وابن وروح  
القدس وقيل أنهم يقولون ان الله بالجواهر ثلاثة أقانيم وذلك أنهم أبثوا ذاتا موصوفة  
بصفات ثلاثة بدليل أنهم يجوزون على تلك الذات الحلول في عيسى وفي مريم فثبتوا  
ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلماذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة  
﴿ انتهوا خيرا لكم ﴾ يعني يكن الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث  
ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى ﴿ إنما الله له واحد ﴾  
ثم نزه نفسه عن الولد فقال ﴿ سبحانه أن يكون له ولد ﴾ يعني لا ينبغي أن يكون له  
ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزئة وعن صفات الحدوث ﴿ له  
ما في السموات وما في الارض ﴾ يعني انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده

( انتهوا ) عن التثليث ( خيرا  
لكم ) والذي يدل عليه  
القرآن التصريح منهم بأن  
الله والمسيح ومريم ثلاثة  
آلهة وان المسيح ولد الله من  
مريم ألا ترى الى قوله أنت  
قلت للناس اتخذوني وأخي  
الهي من دون الله وقالت  
النصارى المسيح ابن الله  
( إنما الله ) مبتدأ ( أله )  
خبره ( واحد ) توكيد

( سبحانه أن يكون له ولد )  
أسبغ تسبعا من أن يكون له  
ولد ( له ما في السموات وما في  
الارض ) بيان لتنزهه  
مما نسب اليه بمعنى ان كل  
ما فيها خلقه وملكه فكيف  
يكون بعض ملكه جزأ منه  
اذ البنوة والملك لا يجتمعان  
على ان الجزء انما يصح في  
الاجسام وهو يتعالى عن

صار ولدا بالاب ( فآمنوا  
بالله ورسله ) جملة الرسل  
عيسى وغيره ( ولا تقولوا  
ثلاثة ) ولد ووالد زوجة  
( انتهوا ) عن مقالكم وتوبوا  
( خيرا لكم ) من مقالكم

( إنما الله له واحد ) بلا ولد ولا شريك ( سبحانه ) نزه نفسه ( أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض ) ( وملكه )

أن يكون جسما ( وكفى بالله كيلا ) حافظا ومديرا لهما ولما فيهما ومن عجز عن كفاية أمر يحتاج الى ولد يعينه ولما قال وفد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا عيسى نال وأى شيء أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى نزل قوله تعالى ( لن يستنكف المسيح ) أى لن يأتيك ( أن يكون عبد الله ) هو رد على النصارى ( ولا الملائكة ) رد على من يعيدهم من العرب وهو عطف على المسيح ( المقربون ) أى الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم والمعنى ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا وتثبت المعتزلة والقائلون بتفضيل ﴿ ٢١٥ ﴾ الملك على البشر هذه { سورة النساء } الآية وقالوا الارتقاء بما يكون

الى الاعلى يقال فلان لا يستنكف عن خدمتي ولأبوه ولو قال ولا عبده لم يحسن وكان معنى قوله ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا ويدل عليه تخصيص المقربين والجواب اننا سلم تفضيل الثانى على الاول لكن هذا لا يحس ما تنازعنا فيه لان الآية تدل على أن الملائكة المقربين باجمعهم أفضل من عيسى ونحن نسلم بان جميع الملائكة المقربون أفضل من رسول واحد من البشر الى هذا ذهب بعض أهل السنة ولان المراد أن الملائكة مع ما لهم من القدرة الفائقة قدر البشر والعلوم اللوحية وتجردهم عن التولد الازدواجى رأسا لا يستنكفون عن عبادته

ملكاً وخلقاً لا يماثله شيء من ذلك فيتخذها ولداً ﴿ وكفى بالله كيلاً ﴾ تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلاً لآبيه والله سبحانه وتعالى قائم بمحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن عن مخلقه أو يعينه ﴿ لن يستنكف المسيح ﴾ ان يأتيك من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كى لا يرى اثره عليك ﴿ أن يكون عبد الله ﴾ من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام قال عليه السلام وأى شيء أقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ﴿ ولا الملائكة المقربون ﴾ عطف على المسيح أى ولا يستنكف الملائكة المقربون وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما عبيده وملكه فاذا كانا عبيدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولداً وزوجة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهذا بيان لتزيهه مما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع ما فى السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءاً منه لان التجزئة انما تصح فى الاجسام والله تعالى منزّه عن صفات الاعراض والاجسام ﴿ وكفى بالله كيلاً ﴾ يعنى انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غنى عنهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ﴿ وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى أن يكون عبداً لله فنزلت لن يستنكف المسيح يعنى لن يأتيك ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت من كذا واستنكفت منه أى أنفت منه واصله من نكفت الشيء نحيته ونكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن ينقبض ولن يتنحى ولن يأتيك المسيح ان يكون عبداً لله ﴿ ولا الملائكة المقربون ﴾ يعنى ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم

فكيف بمن يتولد من آخر لا يقدر على ما يقدر ولا يعلم ما يعلم وهذا لان شدة البطش وسعة العلوم وغرابة التكون هى التى تورث الحلقاء أمثال النصارى وهم الترفع عن العبودية حيث رأوا المسيح ولد من غير أب وهو يرى الاكاه

عبداً ( وكفى بالله كيلاً ) رب الخلق وشهيدا على ما قال من خبر عيسى ( لن يستنكف المسيح ) لن يأتيك ( أن يكون عبداً لله ) ان يقر بالعبودية لله نزلت هذه الآية فى قوله انه عار على صاحبنا ما تقول يا محمد فانزل الله انه ليس بعار ان يكون عيسى عبداً لله ( ولا الملائكة المقربون ) يقول ولا تأتيك الملائكة المقربون جملة العرش ان يقروا بالعبودية لله



والابرس ويحي الموت وينبى بما يكون ويدخرون في بيوتهم فبرؤه من العبودية فقبل لهم هذه الاوصاف في الملائكة  
أتم منها في المسيح ومع هذا لم يستنكفوا عن العبودية فكيف المسيح والحاصل أن خواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام  
أفضل من خواص الملائكة { الجزء السادس } وهم الرسل منهم ﴿ ٢١٦ ﴾ كجبريل وميكائيل وعزرائيل

ونحوهم وخواص الملائكة  
أفضل من عوام المؤمنين  
من البشر وعوام المؤمنين  
من البشر أفضل من عوام  
الملائكة ودليلنا على تفضيل  
البشر على الملك ابتداء  
أنهم قهروا نوازع الهوى  
في ذات الله تعالى مع أنهم  
جبلوا عليها فضاهت الانبياء  
عليهم السلام الملائكة عليهم  
السلام في العصمة وتفضلوا  
عليهم في قهر البواعث  
النفسانية والدواعي  
الجسدانية فكانت طاعتهم  
أشق لكونها مع الصوارف  
بخلاف طاعة الملائكة  
لأنهم جبلوا عليها فكانت  
أزيدوا بالحدوث (ومن  
يستنكف عن عبادة  
ويستكبر) يترفع ويطلب  
الكبرياء ( فسيحشرهم اليه  
جميعا ) فيجازيمهم على استنكفهم  
واستكبارهم ثم فصل  
فقال ( فأما الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات فيوفهم  
أجورهم ويزيدهم من فضله

ان يكون عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال  
مساقة لرد قول النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف  
أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه  
ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى  
فاعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس  
ولا سرؤس وان اراد به التكبير فغايتته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم  
حول العرش أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء عليهم الصلاة والسلام  
وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ﴿ ومن يستنكف عن  
عبادته ويستكبر ﴾ ومن يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه  
وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبير فانه قد يكون بالاستحقاق ﴿ فسيحشرهم اليه  
جميعا ﴾ فيجازيمهم ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله  
حجلة العرش والكروبيون وأفاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل  
ان يكونوا عبيدا لله لانهم في ملكه ومن حجلة خلقه وقيل لما ادعت النصارى  
في عيسى انه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وبراء  
الاكبة والابرس وغير ذلك من المعجزات أجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي  
وقعت للنصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته لن يستنكف أن يكون عبدا لله  
وكذلك الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا أن يكونوا  
عبيدا لله وقد يستدل بهذه الآية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل  
ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الامن الاذنى الى الاعلى ولا حجة  
لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل  
قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله او أنهم آلهة كما رد على النصارى قولهم  
ان المسيح ابن الله وقاله أيضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني  
كما ان المسيح عبدالله فكذلك الملائكة عبيد الله ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ومن يستنكف  
عن عبادته ويستكبر ﴾ يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويأتمن من التذلل لله والخضوع  
والطاعات من جميع خلقه ﴿ فسيحشرهم اليه جميعا ﴾ يعني فسيبعثهم يوم القيامة  
لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيئا ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
فيوفهم أجورهم ﴾ يعني يوفهم جزاء اعمالهم الصالحات ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾  
يعنى ويزيدهم على ما أعطاهم من الثواب على أعمالهم الصالحة من التضعيف على  
ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

(ومن يستنكف) يأتمن (عن  
عبادته) عن الاقرار بعبوديته  
(ويستكبر) عن الايمان

بالله ( فسيحشرهم اليه ) يوم القيامة ( جميعا ) الكافر والمؤمن ( فأما الذين آمنوا ) بمحمد والقرآن ( وعملوا ) ( وأما الذين )  
الصالحات ( الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ) ( فيوفهم ) ( أجورهم ) ( ثوابهم في الجنة ) ( ويزيدهم من فضله ) كرامته

واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجردون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فن لم يخرج عليه كسائه وجهه ومن ﴿ ٢١٧ ﴾ ﴿ سورة النساء ﴾ به وصحة ذلك لوجهين

أحدهما انه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله تعالى بعد هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني

أن الاحسان الى غيرهم بما فيهم فكان داخل في جملة التكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذب بالحرارة اذا رأى أجور العالمين وبما يصيبه من عذاب الله ( يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم) أي رسوله يهر المنكر بالاعجاز ( وأنزلنا اليكم نوراميا ) قرآنا يستضاء به في ظلمات الحيرة ( فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ) بالله أو بالقرآن

( وأما الذين استنكفوا ) انفوا ( واستكبروا ) عن الايمان بمحمد والقرآن ( فيعذبهم عذابا أليما ) وجيعا ( ولا يجردون لهم من دون الله )

وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجردون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا ﴿ تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فيمشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة أو لمجازاتهم فان ائابة مقابلتهم والاحسان اليهم تمذيب لهم بالغم والحرارة ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورامينا ﴾ عنى بالبرهان المعجزات والنور القرآن أي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين أو رسول الله صلى الله عليه وسلم أو القرآن ﴿ فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به

﴿ وأما الذين استنكفوا واستكبروا ﴾ يعنى الذين أنفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى ﴿ فيعذبهم عذابا أليما ولا يجردون لهم من دون الله ﴾ يعنى من سوى الله لانفسهم ﴿ وليا ﴾ يعنى ينجيهم من عذابه ﴿ ولا نصيرا ﴾ يعنى ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته بقى في الآية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفىهم أجورهم واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه فهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فن لم يخرج عليه كسائه وجهه ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما انه حذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم بما فيهم فكان داخل في جملة التكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فيعذبهم بالحرارة والغم اذا رأوا أجور المطيعين العالمين لله تعالى ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ يا أيها الناس ﴾ خطاب للكافة ﴿ قد جاءكم برهان من ربكم ﴾ يعنى محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرة التى تشهد بصدقه ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولانه تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق ﴿ وأنزلنا اليكم نورامينا ﴾ يعنى القرآن وانما سماه نورا لان به تبين الاحكام كما تبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان فى القلب فسماه نور الهدى المعنى ﴿ فاما الذين آمنوا بالله ﴾ يعنى صدقوا بوحدانية الله وبما أرسل من رسول وأنزل من كتاب ﴿ واعتصموا به ﴾ يعنى بالله فى أن يشتهم على الايمان ويصونهم عن زيغ الشيطان وقيل فى معنى واعتصموا به أى وتمسكوا بالنور وهو القرآن الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه

من عذاب ( وليا ) قريبا ينفهم ( قا و خا ٢٨ نى ) ( ولا نصيرا ) مانما ينعهم من عذاب الله ( يا أيها الناس ) يا أهل مكة ( قد جاءكم برهان من ربكم ) رسول من ربكم محمد صلى الله عليه وسلم ( وأنزلنا اليكم ) الى نبيكم ( نورامينا ) كتابا مينا الحلال والحرام ( فاما الذين آمنوا بالله ) وبمحمد والقرآن ( واعتصموا به ) تمسكوا بتوحيد الله

فسيدخلهم في رحمة منه ﴿ في ثواب قدره بازاء ايمانه وعلمه رحمة منه لا قضاء لحق واجب ﴾  
 ﴿ وفضل ﴾ احسان زائد عليه ﴿ ويهديهم اليه ﴾ الى الله سبحانه وتعالى وقيل الى الموعود  
 ﴿ صراطا مستقيما ﴾ هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة ﴿ يستفتونك ﴾  
 أى في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليها روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله  
 صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى كلاله فكيف أصنع في مالى فنزلت وهى آخر  
 ما نزلت في الاحكام ﴿ قل الله يفتيك في الكلالة ﴾ سبق تفسيرها في أول السورة

وسلم ﴿ فسيدخلهم في رحمة منه ﴾ يعنى فسيدخلهم في رحته التى ينجيهم بها من اليم  
 عذابه قال ابن عباس رضى الله عنهما الرحمة الجنة ﴿ وفضل ﴾ يعنى ما يفضل به عليهم بعد  
 ادخالهم الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ ويهديهم  
 اليه صراطا مستقيما ﴾ يعنى ويوفقهم لاصابة فضله الذى تفضل به عليهم ويسددهم  
 لسلك منتهج من انعم عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذى ارتضاه لعباده وهو  
 دين الاسلام ﴿ قوله عز وجل ﴾ يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة ﴿ نزلت في جابر  
 بن عبد الله الانصارى (ق) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال مرضت فأتانى رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه يعودانى رضى الله عنه ماشين فانغى على فتوضأ النبي  
 صلى الله عليه وسلم ثم صب على من وضوئه فاقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله  
 كيف أصنع في مالى كيف أقتضى في مالى فلم يرد على شياً حتى نزلت آية الميراث يستفتونك  
 قل الله يفتيك في الكلالة وفى رواية فقلت يا رسول الله انما يرثنى كلاله فنزلت آية  
 الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة  
 قال هكذا نزلت وفى رواية للترمذى وكان لى تسع أخوات حين نزلت آية  
 الميراث يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة ولا بى داود قال اشكيت وعندي  
 سبع أخوات فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفع في وجهى فأفقت فقلت  
 يا رسول الله ألا أوصى لآخواتى بالثلثين قال احسن قلت بالشطر قال احسن  
 ثم خرج وتركنى فقال يا جابر لأراك ميتا من وجهك هذا وان الله قد انزل فين  
 الذى لآخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول أنزلت هذه الآية في يستفتونك  
 قل الله يفتيك في الكلالة وروى الطبرى عن قتادة ان الصحابة أهمهم شأن الكلالة فسألوا  
 عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وروى عن ابن سيرين قال نزلت  
 يستفتونك قل الله يفتيك في الكلالة والنبي صلى الله عليه وسلم في مسيره الى جنبه حذيفة  
 بن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير  
 خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجأ ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله  
 انك اما جزان ظننت ان امارتك تحملنى أن أحدثك فيها ما لم أحدثك يومئذ فقال عمر لم أرد

(فسيدخلهم في رحمة منه) أى  
 جنة (وفضل) زيادة النعمة  
 (ويهديهم) ويرشدهم  
 (اليه) الى الله أو الى  
 الفضل أو الى صراطه  
 (صراطا مستقيما) فصرطا  
 حال من المضاف المحذوف  
 (يستفتونك قل الله يفتيك  
 في الكلالة) كان جابر بن  
 عبد الله مريضا فعاده رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم فقال  
 انى كلاله فكيف أصنع في  
 مالى فنزلت

( فسيدخلهم في رحمة  
 منه ) في جنة ( وفضل )  
 كرامة منه مقدم ومؤخر  
 ( ويهديهم اليه صراطا  
 مستقيما ) يثبتهم على طريق  
 مستقيم في الدنيا مقدم  
 ومؤخر يقول يثبتهم في  
 الدنيا على الايمان ويدخلهم  
 في الآخرة الجنة ( يستفتونك )  
 يسألونك يا محمد نزلت  
 هذه الآية في جابر بن عبد الله  
 الانصارى سأل النبي  
 صلى الله عليه وسلم ان لى  
 أختا مالى منها ان ماتت  
 فقال الله يسألونك يا محمد  
 عن ميراث الكلالة ( قل الله  
 يفتيك ) بين لكم ( في الكلالة )  
 في ميراث الكلالة والكلالة  
 ما خلا الوالد والولد ثم

( أن امرؤ هلك ) ارتفع امرؤ بمضمير يفسره الظاهر ومحل ( ليس له ولد ) الرفع على الصفة أى ان هلك امرؤ غيرذى ولد والمراد بالولد الابن وهو مشترك يقع على ﴿ ٢١٩ ﴾ الذكر والانشى { سورة النساء } لان الابن يسقط الاخت

ولانتسقطها البنت ( وله أخت ) أى لاب وأم أو لاب ( فلها نصف ماترك ) أى الميت ( وهو يرثها ) أى الاخ يرث الاخت جميع مالها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقيته بعدها ( أن لم يكن لها ولد ) أى ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فالاب نظيره فى الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلاولى عصبه ذكر والاب وأولى من الاخ ( فان كانتا اثنتين ) أى فان كانت الاختان اثنتين دل على ذلك وله أخت ( فلهما الثلثان ممترك وأن كانوا أخوة ) أى وان كان من يرث بالأخوة والمراد بالأخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة

بين فقال ( أن امرؤ هلك ) مات ( ليس له ولد ) ولاوالد ( وله أخت ) من أبيه وأمه أو من أبيه ( فلها نصف ماترك ) الميت من المال ( وهو يرثها ) ان ماتت

﴿ أن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك ﴾ ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت من الابوين أو أب لانه جعل أخوها عصبه وابن الام لا يكون عصبه والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لكنها لا يرث النصف ﴿ وهو يرثها ﴾ أى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ﴿ أن لم يكن لها ولد ﴾ ذكر ا كان أو اثنى ان اريد يرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تتحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيك فى الكلالة ان فسرت بالميت ﴿ فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان ماترك ﴾ الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه بأثنتين التثنية على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما ﴿ وأن كانوا أخوة ﴾

هذا رجح الله وأما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعنى يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيك فى الكلالة يعنى ان الله هو يخبركم عما سألتكم عنه من أمر الكلالة وقد تقدم فى أول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه أحد الابوين ولا أحد الاولاد ﴿ قوله عز وجل ﴾ ( أن امرؤ هلك ) يعنى مات سمي الموت هلاكا لانه اعدام فى الحقيقة ﴿ ليس له ولد ﴾ يعنى ولاوالد فاكتفى بذكر أحد هما عن الآخر وبدل على المحذوف ان السؤال فى الفتيا كما كان فى الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولاوالد ﴿ وله أخت ﴾ يعنى ولذلك الهالك أخت واراد بالاخت من أبيه وأمه أو من أبيه ﴿ فلها نصف ماترك ﴾ يعنى فلاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت وباقى المال للميت اذالم يكن للميت عصبه وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعى وعند أبى حنيفة وأهل العراق يرد الباقي عليها فاذا كان للميت بنت أخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف الباقي بالتعصيب بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ( وهو يرثها ) أى لم يكن لها ولد ﴿ يعنى ان الاخت اذا ماتت وتركت أختا من الاب والام أو من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا أصل فى جميع العصبات واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه ﴿ فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان ممترك ﴾ أراد بنتين فصاعدا وهوان من مات وترك أختين أو أخوات فلهن الثلثان ممترك الميت ﴿ وأن كانوا أخوة ﴾

( أن لم يكن لها ولد ) ذكر أو اثنى ( فان كانتا اثنتين ) أختين من أب وأم أو أب ( فلهما الثلثان ممترك ) ماترك الميت من المال ( وأن كانوا أخوة

رجالاً ونساء فلذ كر مثل حظ الاثنتين ﴿ أصله وان كانوا أخوة وأخوات فغلب المذكور ﴿ بين الله لكم أن تضلوا ﴾ أي بين الله لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليت وطباعكم لتحتزوا عنه وتحزوا خلفه أو بين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا وقيل لثلاث تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ فهو عالم بمصالح العباد في الحيا والمهمات \* عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً واعطى من الاجر كمن اشترى محرراً وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

﴿ سورة المائة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

(رجالاً ونساء) ذكوراً وإناثاً (فلذ كر) منهم (مثل حظ الاثنتين بين الله لكم) الحق فهو مفعول بين (أن تضلوا) كراهة أن تضلوا والله بكل شيء عليم (يعلم الأشياء بكنهها قبل كونها

وبعد

﴿ سورة المائة مدنية وهي مائة وعشرون آية ﴾

رجالاً ونساء) ذكر أو أنثى من أب وأم أو من أب (فلذ كر مثل حظ) نصيب (الاثنتين بين الله لكم) قسمة الميراث (أن تضلوا) لكي لا تخطئوا في قسمة الموارث (بكل شيء) من قسمة الموارث وغيرها (عليم)

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها المائة وهي كلها مدنية ﴾

(قوله من قرأ سورة النساء الخ) هذا حديث موضوع مفترى على أبي بن كعب رضي الله عنه كما ذكره المحذون كفاية مصححه

رجالاً ونساء فلذ كر مثل حظ الاثنتين ﴿ يعنى وان كان المتروكون من الاخوة رجالاً ونساء فلذ كر منهم نصيب اثنتين من أخواته الاناث ﴿ بين الله لكم أن تضلوا ﴾ يعنى بين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لثلاث تضلوا وقيل معناه كراهية أن تضلوا وقيل بين الله الضلالة لتجتنبوها ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ يعنى من مصالح عباده التي حكم بهامن قسمة الموارث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شيء ﴿ ق ﴾ عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال ان آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان آخر آية نزلت آية الكلاله وفي رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك وروى عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الرباو آخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة أشهر هكذا ذكره البغوى وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي بكر الصديق رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحججة التي أمره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم أرفد النبي صلى الله عليه وسلم بعلى بن أبى طالب فامرأه أن يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معناني أهل منى براءة ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة أبى بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بستة قال البغوى ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيك في الكلاله فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم أكلت لكم دينكم فعاش بعدها أحداً وثمانين يوماً ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها أحدًا وعشرين يوماً وهذا آخر تفسير سورة النساء والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة المائة ﴾

نزلت بالمدينة الاقوله تعالى اليوم أكلت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقراها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال يا أيها الناس ان سورة المائة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها

(فان قلت)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء والمقدّم العهد الموثق قال الخطيب

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم • شدوا العناج وشدوا فوفوه الكريا وأصله الجمع بين الشيتين بحيث يسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله سبحانه وتعالى على عباده والزمها إياهم من التكليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن ان جلنا الامر

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾  
( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ) يقال وفي بالعهد وأوفى به والمقدّم العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه وهى عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف أو ما عقده الله عليكم وما تقدمت بينكم والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجمل ثم عقب

فأن قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فاحلوا حلالها وحرّموا حرامها وكل سور القرآن يجب أن يحل حلالها ويحرم حرامها قلت هو كذلك وإنما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم فاكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة أشهر وان كان لا يجوز الظلم في شئ من جميع اشهر السنة وانما أفرد هذه الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل في غيرها من سور القرآن قال البغوى روى عن ميسرة قال ان الله تعالى أنزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهى قوله والمنخقة والموقودة والمتريدة والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيت وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحسنات من الذين أوتوا الكتاب وغام بيان الطهر في قوله اذا قم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾  
وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ) أنتموا اليهود التي بينكم وبين الله أو بين الناس ويقال أنتموا الفرائض التي أفرضت عليكم مع القبول يوم الميثاق

قوله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ يعنى اليهود قاله الجماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي أمر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة أوفوا بالعقود التي عهدتها اليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين أمرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس رضى الله عنهما هى عقود الايمان وما أخذ على عباده في القرآن فيما حل وحرّم وقيل هى العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصره والمؤازرة على من حاول ظلمه أو بغاه بسوء وذلك هو معنى الخلف الذى كانوا يتماقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول أوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل بل هى العقود التي يتماقدوها الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه

على المشترك بين الوجوب والندب ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام ﴾ تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات أربع واصلتها إلى الأنعام للبيان كقولك ثوب خزو ومعناه البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب واصلتها إلى الأنعام للملازمة التشبيه ﴿ الا ما يتلى عليكم ﴾ الا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة أو الا ما يتلى عليكم تحريره ﴿ غيز محلى الصيد ﴾ حال من الضمير في لكم وقيل من واو أو فوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول

بالتفصيل وهو قوله (أحلت لكم بهيمة الأنعام) والبهيمة كل ذات أربع قوائم في البر والبحر واصلتها إلى الأنعام للبيان وهي بمعنى من كحاشم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية وقيل بهيمة الأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوهما (الا ما يتلى عليكم) آية تحريره وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية (غير محلى الصيد) حال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الأشياء

وفي هذا الكتاب (أحلت لكم بهيمة الأنعام) رخصت عليكم صيد البرية مثل بقر الوحش وحجر الوحش والظباء (الا ما يتلى عليكم) الا ما حرمت عليكم في هذه السورة (غير محلى الصيد) غير مستحلى

والعقود خمس عقد البين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة زاد بعضهم وعقد الخلف قال الطبري وأولى الأقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ان معناه أو فوا أي المؤمنون بعقود الله التي أوجبها عليكم وعقدها فيما أحل وحرمت عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول أولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما أحل لعباده وحرمت عليهم فقال تعالى ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام ﴾ وهو خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذى أربع من الحيوان لكن خص في التعارف بماعدا السباع والضواري من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها أبهت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والأنعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جيع أهل اللغة واختلقوا في معنى الآية فقال الحسن وقتادة بهيمة الأنعام الابل والبقر والغنم والمزعزوعلى هذا القول انما أضاف البهيمة إلى الأنعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة الأنعام وحشها كالظباء وبقر الوحش وحجر الوحش وعلى هذا انما أضاف البهيمة إلى الأنعام ليعرف جنس الأنعام وما أحل منها لانه لو أفردها فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل ويحرم من البهائم فلماذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام وقال ابن عباس رضى الله عنهما هي الاجنة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها اذا ذبحت أو نحررت ذهب أكثر العلماء إلى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روى عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاته امه اخرج الترمذي وابن ماجه وفي رواية أبي داود قال قلنا يا رسول الله نحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها الجنين أن نلقيه أم نأكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة أمه وروى الطبري عن ابن عمر في قوله أحلت لكم بهيمة الأنعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت ان اخرج ميتا آكله قال نعم هو بمنزلة رثتها وكبدها وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال الجنين من بهيمة الأنعام وعنه ان بقرة نحررت فوجد في بطنها جنين فأخذ ابن عباس رضى الله عنهما بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الأنعام وشرط بعضهم الاشعار وعام الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذ تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال أبو حنيفة لا يحل أكل الجنين اذا اخرج ميتا بعد ذكاة الام ﴿ قوله عز وجل ﴿ الا ما يتلى عليكم ﴾ يعني في القرآن تحريره وأراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة إلى آخر الآية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الأنعام ﴿ غير محلى الصيد

﴿ وأنتم حرم ﴾ حال إنما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ﴿ أن الله يحكم ما يريد ﴾ من تحليل وتحريم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ﴾ يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر أي جعل شعارا سمي به أعمال الحج ومواقفه لأنها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله سبحانه وتعالى ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده

لا محلين الصيد ( وأنتم حرم )  
 حال من محلي الصيد كأنه قيل  
 أحلنا لكم بعض الانعام  
 في حال امتناعكم من الصيد  
 وأنتم محرمون لتلايضيق  
 عليكم والحرم جمع حرام  
 وهو المحرم ( أن الله يحكم  
 ما يريد ) من الاحكام وأمن  
 التحليل والتحريم ونزل  
 نهيًا عن تحليل ما حرم  
 ( يا أيها الذين آمنوا  
 لا تحلوا شعائر الله ) جمع  
 شعيرة وهي اسم ما اشعر  
 أي جعل شعارا وعلما  
 للنسك به من مواقف  
 الحج ومرامي لجمار وألطف  
 والمسعى والافعال التي  
 هي علامات الحاج يعرف  
 بهامن الاحرام والطواف  
 والسعي والخلق والنحر

﴿ وأنتم حرم ﴾ يعني أحلت لكم الانعام كلها والوحشية أيضا من الظباء والبقر والحمر وغير محلي صيدها وأنتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم أن يقتل صيدا في حال احرامه ﴿ أن الله يحكم ما يريد ﴾ يعني ان الله يقضى في خلقه ما يشاء من تحليل ما أراد تحليله وتحريم ما أراد تحريمه وفرض ما يشاء أن يفرضه عليهم من أحكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ﴿ نزلت في الحطيم واسمه شريح بن هند بن ضبة البكري أنى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ألا من تدعو الناس فقال الى شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي أمراء لا أقطع أمراء دونهم ولعل أسلم وآتى بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج شريح قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما للرجل بمسلم فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قدلفها بالليل سواق حطم \* ليس براعى ابل ولا غنم  
 ولا يجزار على ظهر وضم \* باتوا نياما وابن هند لم ييم  
 بات يقاسيا غلام كالزلم \* خدج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلدا الهدى فقال المسلمون يا رسول الله هذا الحطم قد خرج حاجا فحل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلدا الهدى فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس رضى الله عنهما هي المناسك كان المشركون يحجون ويهدون فارد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها ان يطعن في صفحة سنن البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة أنها هدى وهو سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روى عن عائشة قالت فقتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فاحرم عليه شيء كأنه حلالا أخرجاه في الصحيحين ( م ) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشمرها في صفحة سننهما الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء أهل بالحج وعند أبي حنيفة لا يجوز اشعار الهدى بل

الصيد ( وأنتم حرم ) أو في  
 الحرم ( أن الله يحكم ما يريد )  
 يقول محل ويحرم ما يريد  
 في الحل والحرم ( يا أيها الذين  
 آمنوا لا تحلوا شعائر الله )  
 لا تستحلوا ترك المناسك



(ولا الشهر الحرام) أى أشهر الحج (واللهدى) وهو ما هدى إلى البيت وتقرب به إلى الله تعالى من النساءك وهو جمع هدية (ولا القلائد) جمع قلادة وهى ما قلده الهدى من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره (ولا آمين البيت الحرام) ولا تحلوا قوما قاصدين للمسجد الحرام وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء أن يتهاون بحرمه الشعائر وأن يحال بينهما وبين المنسكين بها وإن يحدثوا فى أشهر { الجزء السادس } الحج ما يصدون ﴿ ٢٧٤ ﴾ به الناس عن الحج وإن يتعرضوا

﴿ ولا الشهر الحرام ﴾ بالقتال فيه أو بالسبي ﴿ ولا الهدى ﴾ ما هدى إلى الكعبة جمع هدية كجدى فى جمع جدية السرج ﴿ ولا القلائد ﴾ أى ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى أو القلائد انفسها والنهى عن احلالها مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله تعالى ولا يبدن زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلده الهدى من نعل أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾ قاصدين لزيارته ﴿ يتنقون فضلا من ربهم ورضوانا ﴾ أى يشبههم ويرضى عنهم

قال يكره ذلك وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى الآية لا تحلوا شعائر الله هى ان تصيد وأنت محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيئا من فرائضه التى افترض عليكم واجتنبوا نواهيها التى نهى عنها ﴿ ولا الشهر الحرام ﴾ أى ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذى كانت العرب تعظمه وتحرم القتال فى الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقص هذا الحكم بل أكده والمراد بالشهر الحرام هنا ذوات القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر الحرام النسئ قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم فى سوق عكاظ فيقول انى قد أحلك كذا وحرمت كذا يعنى به الاشهر فهى الله عن ذلك وسيأتى تفسير النسئ فى سورة براءة ﴿ ولا الهدى ولا القلائد ﴾ الهدى ما يهدى إلى بيت الله من بعير أو بقرة أو شاة أو غير ذلك مما يتقرب به إلى الله تعالى والقلائد جمع قلادة وهى التى تشد فى عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدى ذوات القلائد قال الشاعر  
حلفت برب مكة والمصلى • وأعتاق هدين مقلدات

فعل هذا القول انما عطف القلائد على الهدى مبالغة فى التوصية بها لانها من أشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدى خصوصا المقلدات منها وقيل أراد أصحاب القلائد وذلك ان العرب فى الجاهلية كانوا اذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم وأبلهم من لحاء شجر الحرم فكانوا يأمنون بذلك فلا يتعرض لهم أحد فهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شئ من شجر الحرم ﴿ ولا آمين البيت الحرام ﴾ يعنى ولا تستحلوا القاصدين إلى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله وعظمها ﴿ يتنقون ﴾ يعنى يطلبون ﴿ فضلا من ربهم ﴾ يعنى الرزق والارباح فى التجارة ﴿ ورضوانا ﴾ يعنى ويطلبون رضا الله عنهم بزعمهم لان الكافر لاحظ له فى الرضوان لكن يظن ان فعله ذلك طلب الرضوان فيجوز أن يوصف به بناء على ظنه وقيل ان المشركين

للهدى بالنصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد فحجاز ان يراد بها ذوات القلائد وهى البدن وتعطف على الهدى للاختصاص لانها اشرف الهدى كقوله وجبريل وميكائيل كأنه قيل والقلائد منها خصوصا وجاز ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى أى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوا كما قال ولا يبدن زينتهن فهى عن ابداء الزينة مبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها (يتنقون) حال من الضمير فى آمين (فضلا من ربهم) أى ثوابا (ورضوانا) وان يرضى عنهم أى لا يتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم

كلها (ولا الشهر الحرام) يقول ولا الغارة فى شهر الحرام (ولا الهدى) يقول ولا أخذ الهدى الذى يهدى إلى البيت (ولا

القلائد) يقول ولا أخذ القلائد التى تقلد بمجى الشهر الحرام (ولا آمين البيت الحرام) يقول ولا (كانوا) الغارة على المتوجهين إلى بيت الله الحرام وهم حجاج اليمامة قوم بكر بن وائل المشرك ونجار شريح بن ضبيعة المشرك (يتنقون فضلا) يطلبون رزقا (من ربهم) بالتجارة (ورضوانا) من ربهم بالحج ويقال يتنقون يطلبون فضلا رزقا بالتجارة ورضوانا من ربهم مقدم

والجلمة في موضع الحال من المستكن في أمين وليست صفة له لانه حامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وقائده استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يتغنون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استأق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ

كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا يبعد أن يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على أنفسهم وقيل كان المشركون يلتصون في حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا

### فصل

اختلف علماء النسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة الى ههنا لان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضى حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمن البيت الحرام يقتضى حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز أن يحج مشرك ولا يأمن بالهدى والقلائد كافر وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والحسن وقادة وأكثر المفسرين قال الشعبي لم ينسخ من سورة المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله ولا آمن البيت الحرام نستخها آية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين ان يمنعوا أحدا أن يحج البيت أو يتعرضوا له من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بهذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شئ سوى القلائد التي كانت في الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدي وذهب جماعة الى انه لا منسوخ في هذه السورة وان هذه الآية محكمة قالوا ما ندبنا الى أن نخيف من يقصد بيته من أهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفصل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا أخذ الهدى من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا غير مقبول والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد أحل قتال أهل الشرك في الاشهر الحرم وغيرها وكذلك أجعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له أمانا من القتل اذ لم يكن قد تقدم له عقد ذمة أو أمان وكذلك أجعوا على منع من قصد البيت حج أو عمرة من المشركين نقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله أعلم \* قوله عز وجل

( واذا حلتم ) خرجتم من الاحرام ( فاصطادوا ) اباحة للأصطياد بعد حظره عليهم بقوله غير محلي الصيد وأنتم حرم ( ولا يجر منكم شئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا ) جرم مثل كسب في تعديته الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنباً نحو كسبه وحرمة ذنباً نحو كسبه اياه وأول المفعولين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وأن صدوكم متعلق بالشئان { الجزء السادس } بمعنى العلة ﴿ ٢٢٦ ﴾ وهو شدة بغض وبسكون النون شامى

وأبو بكر والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه ان صدوكم على الشرط مكي وأبو عمرو ويبدل على الجزاء ما قبله وهو لا يجر منكم ومعنى صدعهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالخاق مكروه بهم ( وتعاونوا على البر والتقوى ) على العفو والاغضاء ( ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ) على الانتقام والتشفي والبر فعل المأمور والتقوى ترك المحظور والاثم ترك المأمور والعدوان فعل المحظور ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى ولكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار

تبتغون على خطاب المؤمنين ﴿ واذا حلتم فاصطادوا ﴾ اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتى بعد الحظر على الاباحة مطلقاً \* وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا واحلتم يقال حل المحرم وأحل ﴿ ولا يجر منكم ﴾ لا يحملنكم أولاً يكسبنكم ﴿ شئان قوم ﴾ شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل \* وقرأ ابن عامر واسماعيل عن نافع وابن عباس عن عاصم بسكون النون وهو أيضاً مصدر كليان أو نعت بمعنى بغض قوم وفلان في النعت أكثر كطشان وسكران ﴿ أن صدوكم عن المسجد الحرام ﴾ لان صدوكم عام الحديبية \* وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اعني عن جوابه لا يجر منكم ﴿ أن تعتدوا ﴾ بالانتقام ثانی مفعولى يجر منكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب \* ومن قرأ يجر منكم بضم الياء جعله منقولاً من المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ﴿ ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾

﴿ واذا حلتم ﴾ بمعنى من احرامكم ﴿ فاصطادوا ﴾ هذا أمر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة احرامه بقوله تعالى غير محلي الصيد وأنتم حرم وأباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حلتم فاصطادوا واواقلنا انه أمر اباحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض معناه أنه قد أجمع لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة ﴿ ولا يجر منكم ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعوكم ﴿ شئان قوم ﴾ يعنى بغض قوم وعداوتهم ﴿ أن صدوكم ﴾ يعنى لان صدوكم عن المسجد الحرام ﴿ والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم ﴿ أن تعتدوا ﴾ عليهم يعنى بالقتل وأخذ المال ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ يعنى ليعن بعضهم بعضاً على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة ﴿ ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ يعنى ولا يعين بعضهم بعضاً على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم المعاصى والعدوان البدعة (م) عن النواس بن سمان رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس

بموؤخر ( واذا حلتم ) خرجتم من الحرم بعد ايام التشريق ( فاصطادوا )

صيد البرية ان شئتم ( ولا يجر منكم ) ولا يحملنكم ( شئان قوم ) بغض أهل مكة ( أن صدوكم ) بان ( واتقوا ) صرفوكم ( عن المسجد الحرام ) عام الحديبية ( أن تعتدوا ) تظلموا على حجاج قوم بكر بن وائل ( وتعاونوا على البر ) على الطاعة ( والتقوى ) ترك المعاصى ( ولا تعاونوا على الاثم ) على المعصية ( والعدوان ) الاعتداء والظلم على حجاج قوم بكر بن وائل

(واتقوا الله أن الله شديد العقاب) لمن ﴿ ٢٢٧ ﴾ عساه وما اتقاه { سورة مائدة } ثم بين ما كان أهل

الجاهلية يأكلونه فقال  
( حرمت عليكم الميتة )  
أي البهيمة التي تموت حتف  
أغها (والدم) أي المسفوح  
وهو السائل (ولحم الخنزير)  
وكله نجس وإنما خص  
اللحم لأنه معظم المقصود  
(وما أهل لغير الله به) أي  
رفع الصوت به لغير الله  
وهو قولهم باسم اللات  
والعزى عند ذبحه  
( والمختقة ) التي ختقوها  
حتى ماتت أو انخقت  
بالشبكة أو غيرها (والموقوذة)  
التي أنخنوها ضربا بعضا  
أو جرح حتى ماتت (والمتردية)  
التي تردت من جبل أو في  
بئر فانت ( والنطيحة )  
المنطوحة وهي التي  
نطحها أخرى فانت

(واتقوا الله) اخشوا الله  
فيما امركم ونهاكم  
(ان الله شديد العقاب) اذا  
عاقب لمن ترك ما امر به ثم بين  
ما حرم عليهم فقال حرمت  
عليكم الميتة يقول حرمت  
عليكم أكل الميتة التي امر  
بذبحها ( والدم ) الدم  
المسفوح ( ولحم الخنزير  
وما أهل لغير الله به ) يقول  
وما ذبح بغير اسم الله متعمدا  
( والمختقة ) وهي التي  
اختنقت بالجبل حتى تموت  
( والموقوذة ) وهي التي  
نطحها صاحبها فتموت

للتشفي والانتقام ﴿ واتقوا الله أن الله شديد العقاب ﴾ فانتقامه أشد ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾ بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية ﴿ والدم ﴾ أي الدم المسفوح لقوله تعالى أو دم مسفوحا وكان أهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ﴿ ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ﴾ أي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه ﴿ والمختقة ﴾ أي التي ماتت بالخنق ﴿ والموقوذة ﴾ المضروبة بنحو خشب أو حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته ﴿ والمتردية ﴾ التي تردت من علو أو في بئر فانت ﴿ والنطيحة ﴾ التي نطحها

﴿ واتقوا الله ﴾ أي واحذروا الله ان تعدوا ما أمركم به أو تجاوزوا الى ما نهاكم عنه ﴿ أن الله شديد العقاب ﴾ يعني لمن خالف أمره ففيه وعيد وتهديد عظيم ﴿ قوله عز وجل ﴾ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴿ بين الله تعالى في أول السورة ما أحل لنا من بهيمة الانعام بقوله أحلت لكم بهيمة الانعام ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقه الروح بما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة أن الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم هو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويهه وتأكله فحرم الله ذلك كله ولحم الخنزير أراد به جميع أجزائه وأعضائه وإنما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة أحكام هذه الثلاثة أشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وما أهل لغير الله به ﴾ يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون أسماء أسنانهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴿ والمختقة ﴾ قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت أكلوها فحرم الله ذلك والمختقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسلب دمها والفرق بينهما ان الميتة تموت بلا سبب أحد والمختقة تموت بسبب الخنق ﴿ والموقوذة ﴾ يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك ﴿ والمتردية ﴾ يعني التي تردى من مكان عال فتموت أو في بئر فتموت والتردى هو السقوط من سطح أو من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم أكلها ويدخل في هذا الحكم اذا رمى بسهمه صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل أو من مكان عال فانت فإنه يحرم أكله لانه لا يعلم هل مات بالتردى أو بالسهم ﴿ والنطيحة ﴾ يعني التي نطحها شاة أخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تأكل ذلك فحرمها الله تعالى لانها في حكم الميتة فاما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت أعني المختقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فاما دخلت عليها لانها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كأنه قال حرمت عليكم الشاة المختقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من أعم ما يأكله الناس والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره • فإن قلت لم أثبت الهاء في النطيحة

تضرب بالخشب حتى تموت (والمتردية) وهي التي تردى من جبل أو من بئر فتموت (والنطيحة) وهي التي نطحها صاحبها فتموت

أخرى فأتت بالنطح والتناء فيها للنقل ﴿ وما أكل السبع ﴾ ﴿ وما أكل منه السبع فأت وهو يدل على أن جوارح الصيد إذا أكلت مما اصطادته لم تحل ﴿ إلا ما ذكركم ﴾ ﴿ إلا ما أدرتكم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع

مع أنها في الأصل منطوحة فعدلوا بها إلى النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة قلت إنما تحذف الهاء من الفعيلة إذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فإذ الميز كالموصوف وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قبيلة بني فلان بالهاء لأنك إن لم تدخل الهاء لم يعرف أرجل هوأم امرأة فعلى هذا إنما دخلت الهاء في النطيحة لأنها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتي فعيلة بالهاء وهي في تأويل مفعول بها تخرج مخرج الأسماء ولا يذهب بها مذهب النعموت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة وأكيلة السبع ومررت بقبيلة بني فلان ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وما أكل السبع ﴾ قال قتادة كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئاً فقتله أو أكل منه أكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويمدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالأسد والذئب والثور والفهد ونحوه وفي الآية محذوف تقديره ﴿ وما أكل السبع منه ﴾ لأن ما أكله السبع فقد فقد فلا حكم له إنما الحكم للباقي منه ﴿ إلا ما ذكركم ﴾ يعني إلا ما أدرتكم وقد بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الأشياء المذكورة والظاهر أن هذا الاستثناء يرجع إلى جميع المحرمات المذكورة في الآية من قوله تعالى والمنخقة إلى ﴿ وما أكل السبع ﴾ وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس والحسن وقتادة قال ابن عباس يقول الله تعالى ما أدرتكم من هذا كله وفيه روح فاذبحوه فهو حلال وقال الكلبي هذا الاستثناء مما أكل السبع خاصة والقول هو الأول وأما كيفية ادراكها فقال أكثر أهل العلم من المفسرين إن أدركت ذكاته بان توجد له عين تطرف أو ذنب يتحرك فأكله جائز قال ابن عباس إذا طرفت بعينها أو ركضت برجلها أو تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض أهل العلم إلى أن السبع إذا جرح فأخرج الحشوة أو قطع الجوف قطعاً تاماً س معه الحياة فلا ذكاة لأن ذلك وإن كان به حركة ورمق إلا أنه قد صار إلى حالة لا يؤثر في حياته الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الأباري لأن معنى التدكية أن يلحقها وفيها بقية تشخب معها الأوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك وإلا فهو كالميتة وأصل الذكاة في اللغة تمام الشيء فالمراد من التدكية تمام قطع الأوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روى عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما نهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة أخرجاه في الصحيحين وأكل الحيوان المقذور عليه قطع المريء والحلقوم وأكله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمريء مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان عند الذبح وأما آله الذبح فكل ما نهر الدم وفري الأوداج من حديد وغيره إلا السن والظفر لما تقدم من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ﴿ قوله

بالنطح (وما أكل السبع) بعضه ومات بجرحه (الإما ذكركم) (الإما أدرتكم) ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح والاستثناء يرجع إلى المنخقة وما بعدها فإنه إذا أدرتها وبها حياة فذبحها وسمي عليها

(وما أكل السبع) وهي فريسته (الإما ذكركم) (الإما أدرتكم) وفيه الروح فذبحتم

حلت (وما ذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها يعظمونها بذلك ويتقربون إليها تسمى الانصاب واحدها نصب أو هوجع والواحد نصاب (وأن تستقسموا بالازلام) في موضع الرفع بالمطف على الميتة أى حرمت عليكم الميتة وكذا ﴿ ٢٢٩ ﴾ وكذا { سورة المائدة } والاستقسام بالازلام وهى

القذاح المعلمة واحدها زلم وزلم كان أحدهم اذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة او نكاحا أو غير ذلك يعمد الى قذاح ثلاثة على واحد منها مكتوب أمرنى ربي وعلى الآخر نهانى والثالث غفل فان خرج الأمر مضى لحاجته وان خرج الناهى أمسك وان خرج الغفل أعاده فعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام قال الزجاج لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج لطلوع نجم كذا وفي شرح التأويلات ردهذا وقال لا يقول المنجم ان نجم كذا يأمر بكذا ونجم كذا ينهى عن كذا كما كان فعل أولئك ولكن المنجم جعل النجوم دلالات وعلامات على أحكام الله تعالى ويجوز ان يجعل الله فى النجوم معانى واعلاما يدرك بها الاحكام ويستخرج بها الاشياء واللائمة فى ذلك انما اللائمة عليه فيما يحكم على الله ويشهد عليه وقبل هو الميسر

والذكاة فى الشرع بقطع الخلقوم والمرى بمحدد وما ذبح على النصب والنصب واحد الانصاب وهى اجمار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قرابة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام أو على أصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هوجع والواحد نصاب ﴿ وأن تستقسموا بالازلام ﴾ أى وحرمت عليكم الاستقسام بالازلام وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقذاح مكتوب على احدها أمرنى ربي وعلى الآخر نهانى ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الأمر مضوا على ذلك وان خرج النهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل أجالوها ثانيا فعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقذاح على الانصاب عز وجل ﴿ وما ذبح على النصب ﴾ يعنى وحرمت ما ذبح على النصب والنصب يحتل أن يكون جموا واحده نصاب وأن يكون واحدا وجمه أنصاب وهو الشئ المنصوب قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست هذه الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هى الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب أو لاجل النصب فهو حرام ﴿ وأن تستقسموا بالازلام ﴾ يعنى وحرمت عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهى القذاح وكانت أزلامهم سبع قذاح مستوية مكتوب على واحد منها أمرنى ربي وعلى واحد نهانى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل أى ليس عليه شئ وكانت العرب فى الجاهلية اذا أرادوا سفرا أو تجارة أو نكاحا أو اختلفوا فى نسب أو أمر قتيل أو تحمل عقل أو غير ذلك من الامور العظام جاؤا الى هبل وكانت أعظم صنم لقريش بمكة و جاؤا بمائة درهم وأعطوها صاحب القذاح حتى يجيلها لهم فان خرج أمرنى ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهانى ربي لم يفعلوه وان أجالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطافهم وان خرج من غيركم كان حلفافهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا فى العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل أجالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليه فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كصاب فارس والروم التى كانوا يقاسرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكماب للجم وهى النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشئ منها ﴿ عن قطن بن قيسه رضى الله عنه عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت أخرجه أبو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخطوقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد

وقسمتهم الجزور على الانصابه

(وما ذبح على النصب) الصنم (وأن تستقسموا بالازلام وهى القذاح التى كانوا يقتسمون بها السهام الناقصة ويقال حرم عليكم الاشتغال بالازلام وهى القذاح التى كانت مكتوبة على جانب أمرنى ربي وعلى جانب آخر نهانى ربي يعملون بها فى أمورهم فنهاهم عن الله

المعلومة ( ذلكم فسق ) الاستقسام بالازلام خروج عن الطاعة ويحتمل أن يعود الى كل محرم في الآية ( اليوم ) ظرف  
ليئس ولم يرد به يوم بعينه { الجزء السادس } وانما معناه الآن ﴿ ٢٣٠ ﴾ وهذا كما تقول أنا اليوم قد كبرت

المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ﴿ ذلكم فسق ﴾ اشارة الى الاستقسام  
وكونه فسق لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله  
سبحانه وتعالى ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به صنم أو الميسر المحرم أو  
الى تناول ما حرم عليهم ﴿ اليوم ﴾ لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر  
وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة  
عرفة حجة الوداع ﴿ يئس الذين كفروا من دينكم ﴾ أى من أبطاله ورجوعكم عنه  
بتحميل هذه الحباث وغيره أو من ان يغلبكم عليه ﴿ فلاتخشوهم ﴾ ان يظهروا عليكم  
﴿ واخشون ﴾ واخلصوا الخشية الى ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم ﴾ بالنصر والاطهار

من دون الله عز وجل وقيل الحبب الكاهن وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي الدرداء  
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكون أو استقسم بالازلام أو تطير طيرة  
ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيمة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ذلكم  
فسق ﴾ يعنى ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الآية لان المعنى حرم عليكم تناول  
كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عائدة  
على الاستقسام بالازلام والاول اصح ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ﴾ يعنى  
يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك أن الكفار كانوا يطعمون في  
أن يعود المسلمون الى دينهم فلما قوى الاسلام أيسوا من ذلك وذلك هو اليوم الذى  
دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار  
من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الآية والنبي  
صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الآن يئس الذين  
كفروا من دينكم فهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الآن قد كبرت وتقول فلان كان  
يزورنا وهو اليوم يحفونا ولم ترد يوما بعينه يعنى وهو الآن يحفونا ولم تقصد به اليوم  
قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا • ويوم نساء ويوم نسر

أراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد ايوم واحدمعين ﴿ فلاتخشوهم ﴾ فلاتخافوا  
الكفار أيها المؤمنون الذين آمنوا ان يظهر واعلى دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم  
﴿ واخشون ﴾ أى وخافوا مخالفة أمرى وأخلصوا الخشية الى ﴿ قوله عز وجل ﴾ اليوم  
اكملت لكم دينكم ﴿ نزلت هذا الآية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله  
عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضاء فكانت لناقة تندق وبركت لثقل الوحى وذلك  
في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة ( ق ) عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى  
عمر الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرأونها لو علينا نزلت معشر

تريدا الآن وقيل اريد يوم  
نزولها وقد نزلت يوم  
الجمعة وكان يوم عرفة  
بعد العصر في حجة الوداع  
( يئس الذين كفروا من  
دينكم ) يئسوا منه أن  
يبطلوه أو يئسوا من دينكم  
أن يقلبوه لان الله تعالى  
وفى بوعده من اظهاره  
على الدين ضكاه  
( فلاتخشوهم ) بعد اظهار  
الدين وزوال الخوف  
من الكفار وانقلابهم  
مغلوبين بعدما كانوا غالبين  
( واخشون ) بغير ياء  
في الوصل والوقف أى  
أخلصوا الى الخشية ( اليوم )  
ظرف لقوله ( اكملت لكم  
دينكم ) بان كفتكم خوف  
عدوكم واظهرتكم عليهم  
كما يقول الملوك اليوم كل  
لنا الملك أى كفيما من كنا  
نخافه أو اكملت لكم ما  
تحتاجون اليه في تكليفكم

ذلك ( ذلكم ) الذى ذكرت  
لكم من المعاصى والحرام  
( فسق ) استعماله فسق  
واستحلاله كفر ( اليوم )  
يوم الحج الاكبر حجة الوداع  
( يئس الذين كفروا )  
كفار مكة ( من دينكم ) ن  
رجوع دينكم الى دينهم بعدما

تركتم دينهم وشرائع دينهم ( فلاتخشوهم ) فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ومخالفتهم ( واخشون ) فى ترك اتباع ( اليهود )  
محدود دينه وموافقهم ( اليوم ) يوم الحج ( اكملت لكم دينكم ) بينت لكم شرائع دينكم من الحلال والحرام والامر والنهى

على الاديان كلها أو بالتخصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين اليهود لا تأخذ بذلك اليوم عيداً قال إمامنا آية الله قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمراني لا علم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة أشار عمر الى أن ذلك اليوم يوم عيد لنا وعن ابن عباس أنه قرأ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنه يهودي فقال لو نزلت هذه الآية علينا لا تأخذناها عيداً فقال ابن عباس رضي الله عنهما فانهما نزلت في يوم عيدين في يوم الجمعة ويوم عرفات أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ذلك اليوم خمسة أعياد يوم الجمعة ويوم عرفات وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للنجوس ولم تجتمع أعياد لاهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروى أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذا اكل فانه لم يكمل شيء الاقص قال صدقت فكانت هذه الآية نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها أحدًا وثمانين يوماً ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة إحدى عشرة من الهجرة \* وأما تفسير الآية فقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم يعني بالفرائض والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى أكملت لكم دينكم أي حيث لم يحج معكم مشرك وخالاً الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اني أظهرت دينكم على الاديان وأمنتكم من عدوكم بان كفيتم ما كنتم تخافونه وقيل اكال الدين لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وأن شريعتهم باقية الى يوم القيامة وقيل اكال الدين لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا الغير هذه الامة وقال ابن الانباري اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله تعالى كان يتعبد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه في وقت آخر فيكون الوقت الاول تاماً في وقته وكذلك الوقت الثاني تاماً في وقته فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم أن العشرين أكمل منها والشرائع التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت التعبد بها فأكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفات ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصاً في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القفال وأختره ان الدين ما كان ناقصاً البتة بل كان أبداً كاملاً كانت الشرائع النازلة من عند الله كافية في ذلك الوقت الا أنه تعالى كان عالماً في أول وقت البعث بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا بصالح فيه لاجرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيل بعد التحتم وأما في آخر زمان البعثه فانزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة فالشرع أبداً كان كاملاً الا أن الاول كمال الى يوم مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلاجل

من تعليم الحلال والحرام  
والتوقيف على شرائع الاسلام  
وقوانين القياس



(وأتمت عليكم نعمتي) بفتح مكة

ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم

(ورضيت لكم الاسلام

دينا) حال اختاره لكم

من بين الاديان واذنكم

بأنه هو الدين المرضي وحده

ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن

يقبل منه (فمن اضطر) متصل

بذكر المحرمات وقوله ذلكم

فسق اعتراض أكد به

معنى التحريم وكذا ما بعده

لان تحريم هذه الخبائث

من جملة الدين الكامل

والنعمة التامة والاسلام

المنعوت بالرضادون غيره

من الملل ومعناه فمن اضطر

الى الميتة أو الى غيرها

(في محصة) جماعة (غير)

حال (متجانف لاثم) مائل

الى اثم اى غير متجاوز

سد الرمق

(وأتمت عليكم نعمتي) منق

ان لا يجتمع معكم بعد هذا

اليوم مشرك بعرفات ومنى

والطواف والسعي بين

الصفاء والمروة (ورضيت

لكم) اخترت لكم (الاسلام

دينا) فمن اضطر أجهد الى

أكل الميتة عند الضرورة

(في محصة) في جماعة (غير

متجانف لاثم) غير متعمد

للعصية ويقال غير متعمد

للاكل بغير ضرورة

الاجتهاد ﴿ وأتمت عليكم نعمتي ﴾ بالهداية والتوفيق أو بإكمال الدين أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ﴿ ورضيت لكم الاسلام ﴾ اخترته لكم ﴿ دينا ﴾ من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير ﴿ فمن اضطر ﴾ متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وجرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات ﴿ في محصة ﴾ جماعة ﴿ غير متجانف لاثم ﴾ غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا

هذا المعنى قال اليوم أكلت لكم دينكم ثم قال تعالى ﴿ وأتمت عليكم نعمتي ﴾ يعنى بإكمال الدين والشريعة لانه لانعمة أتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معنا أنه تعالى أنجز لهم ما وعدهم في قوله ولا تم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة أن دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين ﴿ ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ يعنى واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاسلام لاسمى والانتقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذى أكلته لكم وإنما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة أعلى منها حتى أكل لهم شرائع الدين ومعاله وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم أنزل عليهم هذه الآية ورضيت لكم الاسلام دينا يعنى بالصفة التى هو اليوم بها وهى نهاية الكمال وانتم الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه ﴿ روى البغوى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبرى عن قتادة قال ذكر لنا أنه يمثل لكل أهل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر أصحابه وأهله وبعدهم في الخير حتى يحى الاسلام فيقول يارب أنت السلام وأنا الاسلام فيقول أياك اليوم أقبل وبك اليوم أجزى ﴿ قوله عز وجل ﴾ فمن اضطر في محصة غير متجانف لاثم ﴿ هذه الآية تمام ما تقدم ذكره في المطامع التى حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى أن المحرمات وان كانت محرمة الآنها قد تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره من معنى التحريم لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام الذى هو المرضي عند الله ومعنى الآية فمن اضطر أى أجهد وأصيب بالضر الذى لا يمكنه معه الامتناع من أكل الميتة وهو قوله تعالى في محصة يعنى في جماعة والمحصصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعنى غير مائل الى اثم أو منحرف اليه والمعنى فمن اضطر الى أكل الميتة أو الى غيرها في الجماعة فليأكل كل غير متجانف لاثم وهو أن يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض للعصية في مقصد وهو قول

أو متجاوزا حد الرخصة لقوله غير باع ولا عاد ﴿ فأن الله غفور رحيم ﴾ لا يؤاخذ به بأكله ﴿ يستلونك ماذا أحل لهم ﴾ لما تضمن السؤال معنى القول أو وقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا واعمال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤل ما أحل لهم من المطاعم كأنهم لما تلى عليهم ما حرم عليهم سألو عما أحل لهم ﴿ قل أحل لكم الطيبات ﴾ ما لم تستخبه الطباع السليمة ولم تنفر عنه

فقههاء الحجاز ﴿ فأن الله غفور رحيم ﴾ يعني لمن أكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار ﴿ قوله عز وجل ﴾ يستلونك ماذا أحل لهم ﴿ روى الطبري بسنده عن أبي رافع قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فقال قد أذنالك يا رسول الله قال أجل ولكننا لاندخل بيتا فيه كلب قال أبو رافع فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب ينبع عليها فتركته رجة لها ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فأمرني بقتله فرجعت الى الكلب فقتلته فجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله يستلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع في قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن أبي خيثمة وعويمر ابن ساعدة على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا أحل لنا فنزلت يستلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي وأخرج حديث أبي رافع الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الآية أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي يتفجع بها وهي عن امساك ما لا نفع فيه منها (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسك كلبا فانه ينقص كل يوم من عمله قيراط الا كلب حرث أو ماشية أو مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من أجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائفيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا الخير قال يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاد فماذا يحل لنا فنزلت هذه الآية قال البغوي وهذا القول أصح في سبب نزولها ﴿ وأما التفسير فقوله تعالى يستلونك يعني يسألك أصحابك يا محمد ما الذي أحل لهم أكله من المطاعم والمأكول كأنهم لما تلا عليهم من خبائث المأكول ما تلا سألو عما أحل لهم ﴿ قل أحل لكم الطيبات ﴾ يعني قل لهم يا محمد أحل لكم الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات كل ما تستطيعه العرب وتستلنه من غير أن ورد بتحريمه نص من كتاب أو سنة واعلم أن العبرة في الاستطابة والاسلناد باهل المروءة والاخلاق الجميلة من العرب فان أهل البادية منهم يستطيعون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث

يؤاخذ به بذلك (رحيم) بأباحة المحظور للمعذور (يستلونك) في السؤال معنى القول فلذا وقع بعده (ماذا أحل لهم) كأنه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وانما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوا لان يستلونك بلفظ الغيبة كقولك أقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ وأحل لهم خبره كقولك أي شيء أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كأنهم حين تلى عليهم ما حرم عليهم من خبائث المأكول سألو عما أحل لهم منها فقال (قل أحل لكم الطيبات) أي ما ليس بخبيث منها أو هو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب الله أو سنة أو اجاع أو قياس (فأن الله غفور) ان أكل شعبا (رحيم) حين رخص عليه أكل الميتة عند الضرورة قوتاً ويكره شعبا (يستلونك) يا محمد يعني بذلك زيد بن مهلهل الطائي وعدى بن حاتم الطائي وكانا صيادين (ماذا أحل لهم) من الصيد (قل أحل لكم الطيبات) المذبوحات من الحلال

ومن مفهومه حرم مستخبات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمة ﴿وما علمت﴾ من الجوارح ﴿عطف على الطيات﴾ ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمت وجلة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطيور ﴿مكلمين﴾ معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضرها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه وآثر أولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانصابه على الحال من علمت وفائدتها المبالغة في التعليم ﴿تعلمونهن﴾ حال ثانية أو استئشاف ﴿مما علمكم الله﴾ من الحيل وطرق التأديب فان العلم بها الهام من الله تعالى أو مكتسب

فان الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما يحل ويحرم من الاطعمة ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وما علمت﴾ من الجوارح مكلمين ﴿يعنى﴾ واحل صيد ما علمت من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد في الكلام لانه الباقي عليه ولانهم سألو عن الصيد وقيل ان قوله وما علمت من الجوارح ابتداء كلام خبره فكلوا مما أمسكن عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير اضممار والجوارح جمع جارحة وهى الكواسب من السباع والطيور كالفهد والنمر والكلب والبازى والصقر والعقاب والشاهين والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه وقيل سميت جوارح لانها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى والذين اجترحو السيئات يعنى اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار أى اكتسبتم مكلمين يعنى معلمين والمكلب هو الذى يغرى الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه أكثر احتياجا الى التعليم من غيره من الجوارح ﴿تعلمونهن﴾ يعنى تعلمون الجوارح الاصطياد ﴿مما علمكم الله﴾ يعنى من العلم الذى علمكم الله فى الآية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها أمور منها أنه اذا أشليت على الصيد استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد أمسكت ولم تأكل منه شيئا ومنها ان لا ينفر منه اذا أراده وان يجيبه اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة وأقلها ثلاث مرات فانه يحل قتلها اذا جرحت بارسال صاحبها ﴿ق﴾ عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل مما أمسك عليك الا أن يأكل الكلب فلا تأكل فانى أخاف أن يكون انما أمسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تأكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفى رواية فانك لا تدرى أيها قتل وسألته عن صيد المعراض فقال اذا أصبت بحده فكل واذا أصبت بعرضه فقتل فانه وقيد فلا تأكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به الا اثر سهمك فكل فان وقع فى الماء فلا تأكل

فحذف المضاف أو تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا (من الجوارح) أى الكواسب للصيد من سباع البهائم والطيور كالكلب والفهد والعقاب والصقر والبازى والشاهين وقيل هى من الجراحة ويشترط للحل الجرح (مكلمين) حال من علمت وفائدة هذه الحال مع أنه استغنى عنها يعلم أن يكون من يعلم الجوارح موصوفا بالتكليم والمكلب مؤدب الجوارح ومعلمها مشتق من الكلب لان التأديب فى الكلاب أكثر فاشتق من لفظه لكثرة فى جنسه أولان السبع يسمى كلبا ومنه الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد (تعلمونهن) حال أو استئشاف ولا موضع له وفيه دليل على أن على كل أخذ علما أن لا يأخذه الا من آمنهم دراية فكم من أخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عن لقاء النخارىرأ نامله (مما علمكم الله) من التكليف

(وما علمت من الجوارح) من الكواسب (مكلمين) معلمين وان قرأت بخفض اللام فهم اصحاب الكلاب

بالعقل الذي هو منحة منه سبحانه وتعالى أو بما علمكم الله أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وان يترجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ وهو ما لم تأكل منه لقوله عليه الصلاة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا ﴿ واذكروا اسم الله عليه ﴾ الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله أو لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا دركتم ذكاته ﴿ واتقوا الله ﴾ في محرماته ﴿ أن الله سريع الحساب ﴾ فيؤاخذكم

واختلف العلماء فيما اذا أخذت الكلاب الصيد وأكلت منه شيئاً فذهب أكثر أهل العلم الى تحريمه ويروى ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وهو أصح قولي الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان أكل فلا تأكل فانما أمسك على نفسه ورخص بعضهم في أكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وبه قال مالك لما روى عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان أكل منه أخرجه أبو داود وأما غير المعلم من الجوارح اذا أخذت صيدا أو المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فأخذ وقتل فانه لا يحل الا أن يدركه حيا فيذبجه فيحبل (ق) عن أبي ثعلبة الخشني رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله انا بارض قوم أهل كتاب أفأكل في آيتهم وبارض صيد أصيد بقوسى وبكلبي الذي ليس بعلم وبكلبي المعلم فا يصلح لي قال اما ما ذكرت من آية أهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل ﴿ قوله عز وجل ﴾ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴿ دخلت من في قوله مما للتبعض لانه انما أحل أكل بعد الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر ﴿ واذكروا اسم الله عليه ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعني اذا أرسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي اذا أرسلت كلبك وذكر اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عائدا الى ما علمتم من الجوارح أى سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عائدا الى ما أمسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا دركتم ذكاته وقيل يحتمل أن يكون الضمير عائدا الى الأكل يعنى واذكروا اسم الله عليه عند الأكل فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبحة وعند الأكل وسيأتى بيان هذه المسئلة في سورة الانعام عند قوله ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴿ واتقوا الله ﴾ يعنى واحذروا مخالفة الله يعنى فيما أحل لكم وحرم عليكم ﴿ أن الله سريع الحساب ﴾ يعنى اذا حاسب عباده يوم القيامة فيه تخويف لمن خالف أمره وفعل ما نهاه عنه

(فكلوا مما أمسكن عليكم)  
الامسك على صاحبه ان  
لا يأكل منه فان أكل منه  
لم يأكل اذا كان صيد كلب  
ونحوه فاما صيد البازي  
ونحوه فاكله لا يحرمه وقد  
عرف في موضعه والضمير  
في ( واذكروا اسم الله  
عليه ) يرجع الى ما أمسكن  
على معنى وسموا عليه  
اذا أدركتم ذكاته  
أولى ما علمتم من الجوارح  
أى سموا عليه عند ارساله  
( واتقوا الله ) واحذروا  
مخالفة أمره في هذا كله  
( أن الله سريع الحساب )  
انه محاسبكم على افعالكم

أدبكم الله (فكلوا مما أمسكن  
عليكم) لكم الكلاب المعلمة  
( واذكروا اسم الله عليه )  
على ذبح الصيد ويقال على  
ارسال الكلب عليه  
( واتقوا الله ) اخشوا الله  
في أكل الميتة ( أن الله  
سريع الحساب ) شديد  
العقاب ويقال اذا حاسب

بما حل ودق ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ﴾ يتناول الذبائح وغيرها ويمع الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى على رضى الله تعالى عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم الجوس في ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه الصلاة والسلام

﴿ قوله عز وجل ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات ﴾ انما كرر احلال الطيبات للتأكيد كأنه قال اليوم أحل لكم الطيبات التي سأتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذي انزلت فيه هذه الآية أو اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يسئ الذين كفروا من دينكم اليوم أكلت لكم دينكم ويكون الغرض من ذكر هذا الحكم انه تعالى قال اليوم أكلت لكم دينكم وأنتم عليكم نعمتي فبين انه كما أكل الدين وأنتم النعمة فكذلك أتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الآية المتقدمة ﴿ قوله عز وجل ﴿ وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ﴾ يعني وذبائح أهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم متصرو العرب من بنى تغلب فلا تحل ذبيحتهم روى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال لا تأكل من ذبائح نصارى العرب بنى تغلب فانهم لم يمسكوا بشئ من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود ومذهب الشافعى ان من دخل في دين أهل الكتاب بعد نزول القرآن فانه لا تحل ذبيحته سئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس به ثم قرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهرى والحكم وجاد وهو مذهب أبى حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن أحمد والرواية الاخرى مثل مذهب الشافعى وأجمعوا على تحريم ذبائح الجوس وسائر أهل الشرك من مشركى العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له وأجمعوا على أن المراد بطعام الذين أوتوا الكتاب ذبائحهم خاصة لان ماسوى الذبائح فهمى محملة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد أن صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة ولان ما قبل هذه الآية في بيان حكم الصيد والذبائح فحمل هذه الآية عليه أولى ولان سائر الطعام لا يختلف من تولاه من كتابى أو غيره وانما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودى أو نصرانى على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب أكثر أهل العلم الى انه يحل سئل الشعبي وعطاء عن النصرانى يذبح باسم المسيح فقال يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودى أو النصرانى وذكر غير اسم الله وأنت تسمع فلا تأكل واذا غاب عنك فكل فقد أحله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الآية اقتضت اباحة ذبائح أهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا

ولا يلحقه فيه لبث (اليوم) الآن (أحل لكم الطيبات) كرهه تأكيد للمنة (وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم) أى ذبائحهم لان سائر الاطعمة لا يختص حلها

فسابه سريع (اليوم) يوم الحج (أحل لكم الطيبات) المذبوحات من الاحلال (وطعام الذين) ذبائح الذين (أوتوا الكتاب) أعطوا الكتاب (حل لكم) حلال لكم ما كان حلالا

سواهم سنة أهل الكتاب غيرنا حتى نسأهم ولا آكلى ذبأحهم ﴿١٠٠﴾ وطعامكم حل لهم ﴿١٠١﴾ فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك ﴿١٠٢﴾ والمحصنات من المؤمنات ﴿١٠٣﴾ اى الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى ﴿١٠٤﴾ والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴿١٠٥﴾ وان كن حريبات وقال ابن عباس رضى الله عنهما

ناسخا لقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل أمرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم تأكل ولا وجه للنسخ ﴿١٠٦﴾ قوله عز وجل ﴿١٠٧﴾ وطعامكم حل لهم ﴿١٠٨﴾ يعنى ان ذبأحناهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويجل لكم ان تطعموهم من طعامكم فيحمل الخطاب للمؤمنين على معنى أن التحليل يعود الى اطماننا اياهم لا اليهم لانه لا يتنع أن يحرم الله تعالى أن نطعمهم من ذبأحنا وقيل ان الفائدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين و اباحة الذبأح كانت حاصلة من الجانبين لا جرم ذكر الله تعالى ذلك تنبيهها على التمييز بين النوعين ﴿١٠٩﴾ ثم قال تعالى ﴿١١٠﴾ والمحصنات من المؤمنات ﴿١١١﴾ قال مجاهد هن الحرائر فعلى هذا القول لا تدخل الامة المؤمنة في هذا التحليل ومن أجاز نكاحهن أجازهن بشرطين خوف الفنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لا يحمل نكاح الزانية لانها لم تدخل في هذا التحليل وأباح العلماء نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روى طارق بن شهاب ان رجلا أراد أن يزوج أخته فقالت انى أخشى أن افضحك انى قد بغيت فاتى عمر فذكر ذلك له منها فقال أليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكور وهن الحرائر أو العفائف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين ﴿١١٢﴾ قوله عز وجل ﴿١١٣﴾ والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ﴿١١٤﴾ يعنى وأحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعنى الحرائر من أهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفائف من أهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعى قال لانه اجتمع في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب أبى حنيفة لعوم هذه الآية واختلف العلماء في حكم هذه المسئلة فذهب جمهور الفقهاء الى جواز التزوج بالذميات من اليهود والنصارى روى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه تزوج نائلة بنت الفرافصة على نساءه وهى نصرانية وان طلحة بن عبيدالله تزوج يهودية وروى عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وكان يقول لأعلم شركا أعظم من قولها ان ربها عيسى وأجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه عام خص بهذه الآية فأباح الله تعالى المحصنات من أهل الكتاب وحرم من سواهن من أهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج بالذميات والحريبات من

بالملة (وطعامكم حل لهم) فلا جناح عليكم أن تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم (والمحصنات من المؤمنات) هى الحرائر أو العفائف وليس هذا بشرط لصحة النكاح بل هو للاستحباب لانه يصح نكاح الاماء من المسلمات ونكاح غير العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنتين لفظهم وهو معطوف على الطيبات أو مبتدأ والخبر محذوف أى والمحصنات من المؤمنات حل لكم (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) هن الحرائر الكتابيات أو العفائف (وطعامكم) ذبأحكم (حل لهم) حلال لهم تأكل اليهود وتأكل النصارى ذبيحة المسلمين (والمحصنات) تزويج الحرائر العفائف (من المؤمنات) حل لكم حلال لكم (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) يقول تزويج الحرائر العفائف من أهل

الكتابات ( اذا آتوهن  
أجورهن ) أعطيتوهن  
مهورهن ( محصنين غير  
مسافحين ) متزوجين غير  
زانيين ( ولا متخذى أخذان )  
صدائق والخدم يقع على  
الذكر والاثني ( ومن  
يكفر بالايان ) بشرائع  
الاسلام وما أحل الله وحرم  
( فقط حبط ) بطل ( عمله )  
وهو في الآخرة من الخاسرين  
يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم  
الى الصلوة

الكتاب حلال لكم ( اذا  
آتيتوهن ) ينتم لهن  
( أجورهن ) مهورهن فوق  
مهر بنى ( محصنين ) كونوا  
معهم متزوجين ( غير  
مسافحين ) غير معتلين بالزنا  
( ولا متخذى أخذان ) .  
يقول ولا يكون لها خليل  
يزنى بها في السر ثم نزلت  
في نساء اهل مكة افتخرن  
على نساء المؤمنين فقال  
( ومن يكفر بالايان )  
بالتوحيد ( فقد حبط عمله )  
في الدنيا ( وهو في الآخرة  
من الخاسرين ) من المعبودين  
بذهاب الجنة ودخول النار  
( يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم  
الى الصلوة ) وأنتم على غير  
وضوء فعلمكم كيف تصنعون

لا تحل الحريات ﴿ اذا آتيتوهن أجورهن ﴾ مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتأكيد  
وجوبها والحث على ما هو الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها ﴿ محصنين ﴾ اعفاء بالنكاح  
﴿ غير مسافحين ﴾ غير مجاهرين بالزنا ﴿ ولا متخذى أخذان ﴾ مسرين به والخدم  
الصديق يقع على الذكر والاثني ﴿ ومن يكفر بالايان فقد حبط عمله وهو في الآخرة  
من الخاسرين ﴾ يريد بالايان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه  
﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة ﴾ أى اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت

أهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم وأجاب  
جمهور العلماء بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحريات من أهل الكتاب قال ابن  
عباس من نساء أهل الكتاب من تحمل لنا ومنهن من لا تحمل لنا وقرأ قاتلوا الذين  
لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم أهل  
الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذا آتيتوهن  
أجورهن ﴿ يعنى مهورهن وهو العوض الذى يبذله الزوج للمرأة ﴾ محصنين غير  
مسافحين ﴿ يعنى متعففين بالتزوج غير زانيين ﴾ ولا متخذى أخذان ﴿ يعنى ولا منفردين  
بنبي واحدة قد خادنها وخادته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله  
الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الخدن وأحله على جهة  
الاحصان وهو التزويج بعقد صحيح ﴿ ومن يكفر بالايان ﴾ يعنى ومن يجحد ما  
أمر الله به من توحيد ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله ﴿ فقد  
حبط عمله ﴾ يعنى فقد بطل ثواب عمله الذى كان عمله في الدنيا وخسر في الدنيا  
والآخرة وقيل في معنى الآية ومن يكفر بشرائع الايمان وتكليفه فقد خاب وخسر  
وقال قتادة ذكر لنا أن ناسا من المسلمين قالوا كيف تزوج نساءهم يعنى نساء أهل الكتاب  
وهم على غير ديننا فأ نزل الله تعالى ومن يكفر بالايان فقط حبط عمله وهو في الآخرة  
من الخاسرين وقيل لما أباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا أن الله قدرضى  
أعمالنا لم يبع للمؤمنين تزويجنا فأ نزل الله هذه الآية والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن  
ليس بالذى يخرجن من الكفر وقيل ان أهل الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا  
فضيلة باباحة ذبايحهم ونكاح نسائهم الا أن ذلك غير حاصل لهم في الآخرة لان كل  
من كفر بالله وجمد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الآخرة  
من الخاسرين وقيل ان من أحل ما حرم الله أو حرم ما أحل الله أو جحد بشئ مما  
أنزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم ﴿ وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾  
اذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته  
وصح ايمانه ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة ﴿ يعنى اذا  
أردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أى اذا أردت  
قراءة القرآن فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا تجرت فاتجر في البر أى اذا أردت

القرآن فاستعد بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة أو اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضى الله تعالى عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فملته فقبل مطلق اريد به التقيد والمعنى اذا قم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها ﴿ فاعسلوا وجوهكم ﴾ امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك

فاغسلوا وجوهكم) أى اذا اردتم القيام الى الصلاة كقوله فاذا قرأت القرآن أى اذا أردت ان تقرأ القرآن فبغير عن ارادة الفعل بالفعل لان الفعل مسبب عن الارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملاسة بينهما طلبا للايجاز ونحوه كما تدين تدان عبر عن الفعل الابتدائى الذى هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذى هو مسبب عنه وتقديره وأنتم محدثون عن ابن عباس رضى الله عنهما أو من النوم لانه دليل الحدث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة يتوضئون لكل صلاة وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ فقال ( فاعسلوا وجوهكم

التجارة وهذا القول يقتضى وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية ومذهب داود الظاهري ومذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزئ عدة صلوات بوضوء واحد وأجيب عن ظاهر الآية بان المعنى اذا قم الى الصلاة وأنتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا أحد اختصارات القرآن وهو كثير جدا ولان النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ أخرجاه فى الصحيحين وقيل فى معنى الآية اذا قم الى الصلاة من النوم وقيل هو أمر ندب من قام الى الصلاة أن يجدد لها طهارة وان كان على طهر ويدل عليه ما روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات أخرجه الترمذى وقيل هذا أعلام من الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا ألاتأتيك بوضوء فقال انما أمرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة أخرجه مسلم والقول الاول هو المختار فى معنى الآية وفروض الوضوء المذكورة فى هذه الآية أربعة \* الاول غسل الوجه وهو قوله عز وجل ﴿ فاعسلوا وجوهكم ﴾ واستدل الشافعى على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية وحجته أن الوضوء مأمور به وكل مأمور به يجب أن يكون متويا ولما روى فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والوضوء من الاعمال فيجب أن يكون متويا وانما قلنا ان الوضوء مأمور به وانه من أعمال الدين لقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان أصل النية فى جميع الاعمال التى يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل أبو حنيفة لعدم وجوب النية فى الوضوء بهذه الآية قال ان



وخروجها فاصريدور مع  
الدليل فافيه دليل على  
الخروج فنظرة الى ميسرة  
لان الاعسار علة الانظار  
وبوجود الميسرة تزول  
العلة واو دخلت الميسرة  
فيه لكان منظرا في الحالتين  
مفسرا وموسرا وكذلك  
اتموا الصيام الى الليل لو  
دخل الليل اوجب الوصال  
ومما فيه دليل على الدخول  
قولك حفظت القرآن من  
أوله الى آخره لان الكلام  
مسوق لحفظ القرآن كله  
ومنه قوله تعالى من المسجد  
الحرام الى المسجد الأقصى  
لوقوع العلم بانه عليه السلام  
لا يسرى به الى بيت المقدس  
من غير أن يدخله وقوله  
الى المرافق لا دليل فيه على  
أحد الامرين فاخذ  
الجمهور بالاخطاط فحكموا  
بدخولها في الغسل وأخذ  
زفرودا وبالمتيقن فم يدخلها  
وعن النبي صلى الله عليه  
وسلم انه كان يدير الماء  
على مرفقيه ( وامسحوا  
برؤسكم ) المراد الصاق  
المسح بالرأس و ما مسح  
بعضه ومستوعبه بالمسح  
كلاهما ملصق للمسح برأسه  
فاخذ مالك بالاخطاط  
فاوجب الاستيعاب والشافي  
باليقين فاوجب أقل ما يقع

﴿ وأيديكم الى المرافق ﴾ الجمهور على دخول المرفقين في المسحول ولذلك قيل الى  
بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم أو متعلقة بمحذوف تقديره وأيديكم  
مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان  
مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم أو خروجها  
منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكأن الأيدي متناولة  
لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضى خروجها  
والالم تكن غاية كقوله تعالى فنظرة الى ميسرة وقوله تعالى ثم اتوا الصيام الى الليل لكن لما

النية ليست شرط الصحة الوضوء لان الله تعالى أوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه الآية  
ولم يوجب النية فيها فإيجاب النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ  
القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وأوجب عنه بانا انما أوجبت النية في الوضوء  
بدلالة القرآن وهو قوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وأما حد  
الوجه فمن منابت شعر الرأس الى منتهى الذقن طولاً ومن الاذن الى الاذن عرضاً  
لانه مأخوذ من المواجهة فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب ايصال الماء  
الى ماتحت الحاجبين وأهداب العينين والعذارين والشارب والنفقة وان كانت كثرة  
وأما اللحية فأن كانت كثرة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ماتحتها ويجب  
غسل ماتحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن  
الذقن فيه قولان أحدهما وبه قال أبو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد  
الرأس لا يكون حكمه حكم الرأس في المسح فكذلك حكم الشعر النازل عن حد الوجه  
لا يجب غسله والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه مأخوذ من  
المواجهة فتدخل جميع اللحية في حكم الوجه ﴿ الفرض الثاني قوله عز وجل  
﴿ وأيديكم الى المرافق ﴾ يعني و اغسلوا أيديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من  
الانسان أعلى الذراع وأسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال  
المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وأبي بكر بن داود الظاهري انه  
لا يجب ادخال المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد  
سئل عن قول الله عز وجل فاعسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق فقال الذي أمر به  
أن يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وجهة أصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتها  
الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجاً عنه كما في قوله تعالى ثم اتوا الصيام الى  
الليل ولان الحد لا يدخل في المحدود فوجب أن لا يجب غسل المرفقين في الوضوء  
وجهة الجمهور أن كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى  
أموالكم أي مع أموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث أبي هريرة رضي الله  
عنه انه توضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل اليمنى حتى أشرع في العضد ثم يده  
اليسرى حتى أشرع في العضد ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ  
والجواب عن الحجة المتقدمة أن الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه

عليه اسم المسح واخذنا ببيان النبي عليه السلام وهو ما روى انه مسح على ناصيته وقدرت الناصية بربع الرأس ( وأرجلكم الى الكعبين ) بالنصب شامى ونافع وعلى وحفص والمعنى فاعسوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم على التقديم والتأخير غيرهم ﴿٢٤١﴾ بالجر بالعطف { سورة المائدة } على الرؤس لان الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المنفصلة

تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المنهى عنه فحفظت على المسح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجاء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها مسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وقال في جامع العلوم انها مجرورة للحوار وقد صح ان النبي عليه السلام رأى قوما يمسحون على أرجلهم فقال ويل للاعقاب من النار وعن عطاء والله ما علمت ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وانما أمر بفعل هذه الاعضاء تطهرها من الاوساخ التي تنصل بها لانها تبدو كثيرا والصلاة خدمة الله تعالى والقيام بين يديه متطهرا من الاوساخ أقرب الى التعظيم فكان أكمل في الخدمة كما في الشاهد اذا أراد أن يقوم بين يدي الملك ولهذا قيل ان الاولى ان يصلى

لم تتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطاً ﴿ وامسحوا برؤسكم ﴾ الباء مزيدة وقيل للتبعض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل و بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمن الفعل معنى الاصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاعسوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي رضى الله تعالى عنه اقل ما يقع عليه الاسم اخذاً باليقين وابو حنيفة رضى الله تعالى عنه مسح ربع الرأس لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع وما لك رضى الله عنه مسح كله اخذاً بالاحتياط ﴿ وأرجلكم الى الكعبين ﴾ نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفاً على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الأئمة والتحديد اذا مسح لم يحد وجهه الباقيون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم و حور عين بالجر في قراءة حزة والكسائي وقولهم حجر صب خرب وللحماة باب في ذلك فأنذته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويفسل غسلاً يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه اعاء الى وجوب

الآية لان المرفق من جنس اليد والذم يمكن من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم أمموا الصيام الى الليل لان النهار من غير جنس الليل فلا يدخل فيه ﴿ الفرض الثالث قوله عز وجل ﴾ وامسحوا برؤسكم ﴾ اختلف العلماء في القدر الذي يجب مسحه من الرأس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن أحد الروايات الاخرى عنه انه يجب مسح أكثره وقال ابو حنيفة يجب مسح ربه وفي رواية اخرى عنه انه يجب مسح قدر ثلاثة أصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالرأس وما مسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالرأس فأخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعاب وأخذ الشافعي باليقين فأوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح وأخذ ابو حنيفة ببيان السنة وهو ما روى عن المغيرة بن شعبه أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصرته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقد اناصية بربع رأس ﴿ الفرض الرابع قوله عز وجل ﴾ وأرجلكم الى الكعبين ﴾ اختلف العلماء في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح أو الفسل فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان و يروى ذلك عن قتادة أيضاً و يروى عن أنس انه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالفسل وعن عكرمة قال ليس في الرجلين لغسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبي أنه قال انما هو المسح على الرجلين ألا ترى ان ما كان عليه الفسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح أهمل ومذهب الامامية من الشيعة

الرجل في أحسن ثيابه وان الصلاة متعمماً ( قا و خا ٣١ نى ) أفضل من الصلاة مكشوف الرأس لما ان ذلك أبلغ في التعظيم ( وأرجلكم ) فوق الخفين ( الى الكعبين ) وان قرأت بنصب اللام يرجع الى الفسل

الترتيب \* وقرى بالرفع على وأرجلكم مفسولة

ان الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والائمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصرى ومحمد بن جرير الطبرى المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا الاختلاف القراء في هذا الحرف فقرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم وأرجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون المعنى فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأرجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤوسكم وقال اصحاب هذه القراءة انما امر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرأ ابن كثير وابوعمر وجزء وابوبكر عن عاصم وأرجلكم بكسر اللام عطفا على المسح أما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المفسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور ولا يقدح فيه قول من خالف وأما قراءة الكسر فقد اختلفوا في معناها والجواب عنها فقال أبو حاتم وابن الانبارى وأبو على الكسر عطف على المسح غير ان المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال أبو زيد المسح خفيف الغسل لقول العرب تمسحت لاصلاة بمعنى توضأت لها وهات ما تمسح به للصلاة بمعنى أتوضأ قال أبو حاتم وذلك ان التوضؤ لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمى الغسل مسحاً بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل مسحان الآن مسح الرأس أخف والذي يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديداً ما جاء في المفسول ولم يجئ في المسح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم الغسل وقال جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الرأس في الظاهر والمراد فيها الغسل لانه قد يسق بالشيء على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

يألت بملك قدغدا \* متقلدا سيفاورحما

والمعنى وحاملان الرح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر \* علفتها بنا وما باردا \* يعنى وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤوسكم واغسلوا أرجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطفت الارجل على الرأس في الظاهر اكتفى بقيام الدليل على ان الارجل مفسولة من مفهوم الآية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضوء وأما من جعل كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جمر صب خرب وقال الخرب نمت الجمر للضب وانما أخذ اسمها بالضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل لاجل الضرورة في الشمر أو بصر اليه حيث يحصل الأمن من الالتباس لان الخرب لا يكون نقا للضب بل للجمر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كافي وجوب غسل الرجلين كافي وقوله تعالى وأيديكم الى المرافق والمعنى واغسلوا أرجلكم مع الكعبين وقد تقدم =

== اختلاف العلماء في ذلك عند قوله الى المرافق والكعبان هما العظمان الناتشان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من أهل الفقه واللغة وشذت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعب واحد فكان ينبغي أن يقال وأرجلكم الى الكعاب كما في قوله تعالى وأيديكم الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

فصل

قد تقدم ان الفروض المذكورة في هذه الآية أربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين الى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الآية على وجوب النية في الوضوء فصارت فرضاً خامساً وذهب الشافعي ومالك وأحمد الى وجوب الترتيب في الوضوء وهو أن يغسل الاعضاء في الوضوء على الولاة كما ذكره الله في هذه الآية فيغسل أولاً وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجله فصارت الترتيب فرضاً سادساً وذهب أبو حنيفة الى أن الترتيب في الوضوء غير واجب احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك ان الله تعالى أمر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب أن يقع الفعل مرتباً كما أمر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة الوداع ابداً بما بدأ الله به وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة بمموم اللفظ لا بخصوص السبب ولان أفعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما وردت الامرتية كما ورد في نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضأ منكساً أو غير مرتب فثبت ان ترتيب أفعال الوضوء كما أمر الله تعالى ونص عليه في هذه الآية واجب واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه الآية أيضاً وذلك ان الواو لا توجب الترتيب فاذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك غير جائز وأجيب عنه بأنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه توضأ الامرتياً كما ذكر وبيان الكتاب انما يؤخذ من السنة

فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله

(ق) عن حمران مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن عثمان دعا باناء فافرج على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الاناء فغصن واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثاً ويديه الى المرفقين ثلاثاً ثم مسح برأسه ثم غسل رجله ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري رضي الله عنه قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فافرج منه على يديه ثلاثاً ثم أدخل يده فاستخرجها مضمض واستنشق من كيف واحد فعل ذلك =

= ثلاثاً ثم أدخل يده فاستخرجهما فغسل وجهه ثلاثاً ثم أدخل يده فاستخرجهما فغسل  
 يديه إلى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجهما فمسح برأسه فأقبل بيديه  
 وأدبر ثم غسل رجله إلى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم زاد في رواية بعد قوله فأقبل بيديه وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى  
 قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه عن عبد خير قال أنا على كرم الله  
 وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد إلا ليعطينا فأتى  
 بإناء فيه ماء وطست فأفرغ من الإناء على يمينه فغسل يديه ثلاثاً ثم تمضمض واستنشق  
 ثلاثاً فتمضمض ونثر من كفه يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثاً وغسل يده اليمنى ثلاثاً  
 وغسل الشمال ثلاثاً ثم جعل يده في الإناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله  
 اليمنى ثلاثاً ورجله الشمال ثلاثاً قال من سره أن يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو  
 هذا أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر وابن العاص أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم  
 فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بإناء فغسل كفيه ثلاثاً ثم غسل وجهه  
 ثلاثاً ثم غسل ذراعيه ثلاثاً ثم مسح برأسه فأدخل أصبعيه السبابتين في أذنيه ومسح  
 بإبهاميه على ظاهر أذنيه ثم غسل رجله ثلاثاً ثلاثاً ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على  
 هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو قال ظلم وإساءة أخرجه أبو داود وعن ابن عباس أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما أخرجه الترمذي وصححه  
 (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً لم يغسل  
 عقبه فقال ويل للعقاب من النار (م) عن جابر رضي الله عنه قال أخبرني عمر بن  
 الخطاب أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي صلى الله عليه  
 وسلم فقال ارجع وأحسن وضوءك قال فرجع فتوضأ ثم صلى أخرجه مسلم عن  
 خاله رضي الله عنه عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه  
 وسلم رأى رجلاً يصلى وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمره النبي صلى الله  
 عليه وسلم أن يمسح الوضوء والصلاة أخرجه أبو داود (ق) عن عبد الله بن عمرو  
 ابن العاص رضي الله عنهما قال تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها  
 فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نسمع على أرجلنا فننادنا بأعلى  
 صوتنا ويل للعقاب من النار مرتين أو ثلاثاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم توضأ مرة مرة أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه  
 وسلم توضأ مرتين مرتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال وقد روى عن أبي هريرة  
 رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثاً ثلاثاً (م) عن عقبه بن عامر رضي الله  
 عنه قال كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوتى فروحتها بعشى فأدركت رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قائماً يحدث الناس فأدركت من قوله ما من مسلم يتوضأ فيحسن  
 وضوءه ثم يقوم فيصل ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة فقلت  
 ما أجود هذا فأذا قائل بين يدي يقول التي قبلها أجود فنظرت فإذا عمر قال أتى  
 ( قد رأيتك )

﴿ وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ فَاغْتَسَلُوا ﴿ وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ سبق تفسيره

(وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) فَاغْتَسَلُوا أَبْدَانَكُمْ (وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ) قَالَ الرَّازِيُّ مَضَاهُ وَجَاءَ حَتَّى لَا يَلْزِمُ الْمَرِيضَ وَالْمَسَافِرَ التَّيْمِمَ بِمَا حَدَّثَ (مِنَ الْغَائِطِ) الْمَكَانَ الْمَطْمُتِينَ وَهُوَ كِتَابَةٌ عَنِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) جَامِعَتُمْ (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ

( وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) بِالْمَاءِ أَيْ فَاغْتَسَلُوا بِالْمَاءِ (وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى) مِنَ الْجُدْرَى أَوْ الْجِرَاحَةِ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ (أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) أَوْ تَقَوَّطُمْ أَوْ بَلَّغْتُمْ (أَوْ لَامَسْتُمْ) جَامِعَتُمْ (النِّسَاءَ) فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً (فَلَمْ تَقْدِرُوا عَلَى الْمَاءِ) فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا (فَتَمَسَّحُوا إِلَى تَرَابٍ نَظِيفٍ) فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ بِالضَّرْبَةِ الْأُولَى (وَأَيْدِيكُمْ) بِالضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ (مِنْ التَّرَابِ)

قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتُ أَنْفًا قَالَ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ أَوْ يَسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْأَقْتِحَلَةَ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةَ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ (م) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَيَسْلُ وَجْهَهُ وَخَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلَّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَأَذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلَّ خَطِيئَةٍ كَانَتْ بَطْشَتَا يَدَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ فَذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلَّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ (ق) عَنْ نَعِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَمْرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَرًا مَحْجَلِينَ مِنْ آثَارِ الْوَضُوءِ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَطِيلَ غَرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ فَيَسْلُ وَجْهَهُ فَاسْبِغِ الْوَضُوءَ ثُمَّ غَسِلْ يَدَيْكَ حَتَّى أَسْرَعَ فِي الْعَضْدِ ثُمَّ غَسِلْ يَدَكَ الْيُسْرَى حَتَّى أَسْرَعَ فِي الْعَضْدِ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْكَ حَتَّى أَسْرَعَ فِي السَّاقِ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَكَ الْيُسْرَى حَتَّى أَسْرَعَ فِي السَّاقِ ثُمَّ قَالَ هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ وَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتُمْ الْغَرَّ الْمَحْجَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبَاغِ الْوَضُوءِ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ فَلْيَطْلُ غَرَّتَهُ وَتَحَجِّجْهُ \* وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ سَمِعْتُ خَلِيلِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوَضُوءَ \* عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ تَوَضَّأَ عَلَى طَهْرٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ \* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْلَاحِ لِمَنْ لَا وَضُوءَ لَهُ وَلَا وَضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ \* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ أَيْ اغْتَسَلُوا أَمَّا الْخُرُوجُ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ مِنَ الْجُنَابَةِ وَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ أَمَّا الْخُرُوجُ مِنَ الْمَنَى عَلَى أَيِّ صِفَةٍ كَانَ مِنْ اِحْتِلَامٍ أَوْ غَيْرِهِ أَوْ بِإِلْتِقَاءِ الْخِتَانَيْنِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَنْزَالٌ فَذَا حَصَلَ وَجِبَ النَّسْلُ (ق) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجُنَابَةِ بَدَأَ فَيَسْلُ يَدَيْهِ ثُمَّ يَفْرُغُ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ فَيَسْلُ فَرَجَهُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ يَدْخُلُ أَصَابِعَهُ فِي الْمَاءِ يَخْلُلُ بِهِمَا أَصُولَ شَعْرِهِ ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ غُرَفَاتٍ بِيَدَيْهِ ثُمَّ يَفِيضُ الْمَاءَ عَلَى سَائِرِ جَسَدِهِ أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ فَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ وَأَحْكَامُهُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ النِّسَاءِ وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ مَسْحُ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ بِالصَّعِيدِ وَهُوَ التَّرَابُ \* قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ

ما يريد الله ليكمل عليكم من حرج) في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم (ولكن يريد ليطهركم) بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء (ولتيم نعمته { الجزء السادس } عليكم) ولتيم ﴿ ٢٤٦ ﴾ برخصه انعامه عليكم بزماعه ( لعلكم

تشكرون ) نعمته فيشيكم (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام (وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا) أي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي أخذته على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره قبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان (واتقوا الله) في نقض الميثاق ( ان الله علم بذات الصدور ) بسر أئمة الصدور من الخير والشر وهو وعد ووعد (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله

ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ﴿ ما يريد الله ليكمل عليكم من حرج ﴾ أي ما يريد الامر بالطهارة للصلاة أو الامر بالتيمم تضيقا عليكم ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ لينظفكم أو ليطهركم من الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب أو ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء ففعل يريد في الموضعين محذوف واللام للملة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزية ﴿ ولتيم ﴾ لتيم بشرعه ما هو مطهرة لادبائكم ومكفرة لذنوبكم ﴿ نعمته عليكم ﴾ في الدين أو لتيم برخصه انعامه عليكم بزماعه ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمته والآية مشتقة على سبعة أمور كلها مثنى ظهارتان اصل وبدل والاصل انسان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان اتما مائع وجامد وموجبهما حدث أصغر أو أكبر وان المبيع للعدول الى البدل مرض أو سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم ﴾ بالاسلام ليدرككم المنعم ويرغبكم في شكره ﴿ وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا ﴾ يعني الميثاق الذي أخذته على المسلمين حين بايعهم النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره أو ميثاق ليلة العقبة أو بيعة الرضوان ﴿ واتقوا الله ﴾ في انساء نعمة ونقض ميثاقه ﴿ أن الله علم بذات الصدور ﴾ أي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليلات اعمالكم ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله

﴿ ما يريد الله ليكمل عليكم من حرج ﴾ يعني من ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والتسل والتيمم عند عدم الماء ﴿ ولكن يريد ليطهركم ﴾ يعني من الاحداث والذنوب والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب ﴿ ولتيم نعمته عليكم ﴾ يعني ببيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون اليه من أمر دينكم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ يعني تشكرون نعمة الله عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذكروا نعمت الله عليكم ﴿ يعني ما أنعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والالتقياد لامره وهو الله تعالى ﴿ وميثاقه الذي واثقكم به ﴾ يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون ﴿ اذ قلتم سمعنا واطعنا ﴾ وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما أوجبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي أخذته عليهم في يوم السبت بربكم قالوا بلى ﴿ واتقوا الله ﴾ يعني فيما أخذته عليكم من الميثاق فلا تنقضوه ﴿ أن الله علم بذات الصدور ﴾ يعني ان الله تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير وشر ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ﴿ قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو أن يقوم لله

( ما يريد الله ليكمل عليكم من حرج) من ضيق (ولكن يريد ليطهركم) بالتيمم من الاحداث والجنابة (ولتيم ولكي تيم (نعمته) منته (عليكم) بالتيمم والرخصة (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمته و رخصته (واذكروا نعمة الله) بالايان (وميثاقه) عهده

(الذي واثقكم به) أمركم به يوم الميثاق (اذ قلتم سمعنا) قولك يا ربنا (واطعنا) أمرنا (واتقوا الله) خشوا الله ( بالحق ) فيما أمركم ونهاكم ( أن الله علم بذات الصدور ) بما في القلوب من الوفاء والنقض (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) قول ابن (لله)

شهداء بالقسط) بالعدل ( ولايجر منكم شئنا أن قوم على ألا تعدلوا ) عدى يجرمكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتمدى به كأنه قيل ولايحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى العدل أقرب الى التقوى نهاهم أولا ان تحملهم البغضاء على ترك ﴿ ٢٤٧ ﴾ العدل ثم استأنف { سورة المائدة } فصرح لهم بالامر بالعدل

تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله تعالى هو أقرب للتقوى واذا كان وجوب العدل مع الكفار بهذه الصفة من القوة فالأظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه (واقولوا الله) فيه أمر ونهى (أن الله خير بما تعملون) وعدو وعيد ولذا ذكر بعدها آية الوعد وهو قوله تعالى (وعدا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وعدى تعدي الى مفعولين فالاول الذين آمنوا والثاني محذوف استغنى عنه بالجملة التي هي قوله (لهم مغفرة وأجر عظيم) والوعد وهو قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أى لايفارقونها (يا أيها الذين آمنوا اذكروا

شهداء بالقسط ولايجرمكم شئنا أن قوم على ألا تعدلوا ﴿ عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتمتدوا عليهم بارتكاب ما لايجل ككثرة وقذف وقتل نساء وصية ونقض عهد تشفيا بما في قلوبكم ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ أى العدل أقرب للتقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين أنه يمكن من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين أنه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فإظنك بالعدل مع المؤمنين ﴿ واقولوا الله أن الله خير بما تعملون ﴾ فيجازيكم به وتكرر هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود أو لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نار العيظ ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ انما حذف ثانی مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف بينه وقيل الجملة في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكأنه قال وعدهم هذا القول ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ هذا من عادته تعالى ان يتبع حال أحد الفريقين حال الآخر فانه بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطيب لقلوبهم ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا

بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه ﴿ شهداء بالقسط ﴾ يعنى وتشهدون بالعدل يقول لآصحاب في شهادتك أهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك أهل بغضك وأعداءك أم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل ﴿ ولايجرمكم شئنا أن قوم ﴾ ولايحملنكم بغض قوم ﴿ على ألا تعدلوا ﴾ على ترك العدل فيهم لعداوتهم ﴿ اعدلوا ﴾ أمر الله بالعدل في كل أحد القريب والبعيد والصديق والعدو ﴿ هو أقرب للتقوى ﴾ أى العدل أقرب للتقوى ﴿ واقولوا الله أن الله خير بما تعملون ﴾ يعنى ان الله تعالى خير بجميع أعمالكم مطلع عليها وخير بمن عدل ومن لم يعدل ﴿ قوله عز وجل ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ يعنى علوا بما وآتهم الله به وأوفوا بالعهود التي عاهدكم عليها ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ هذا بيان للوعد كأنه لما تقدم ذكر الوعد فقبل أى شئ هذا الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم واذا وعدهم أنجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ يعنى والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا عما جاءت به الرسل من عنده ﴿ أولئك ﴾ يعنى من هذه صفته ﴿ أصحاب الجحيم ﴾ هذه الآية نص قاطع في أن الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضى الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعنى الملازمة ﴿ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا

بينهم ( هو أقرب للتقوى) العدل أقرب للمتقين الى التقوى ( واقولوا الله ) اخشوا الله في العدل والجور ( أن الله خير بما تعملون ) من العدل والجور ( وعد الله الذين آمنوا ) بمحمد والقرآن ( وعملوا الصالحات ) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم ( لهم مغفرة ) لذنوبهم في الدنيا ( وأجر عظيم ) يعنى ثواب وافر في الجنة ( والذين كفروا ) بالله ( وكذبوا بآياتنا ) بمحمد والقرآن ( أولئك أصحاب الجحيم ) اهل النار ( يا أيها الذين آمنوا ) يعنى محمد وأصحابه ( اذكروا



نعمت الله عليكم ﴿ روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله عليهم كيدهم بان انزل عليهم صلاة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلها عمرو ابن أمية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهو ما بقتله فعمد عمر بن جحاش الى رحي عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فأخبره فخرج عليه السلام وقيل نزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده فأخذ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا أحد أشهدان لا اله الا الله واشهدان محمدا رسول الله فنزلت ﴿ أذمهم قوم أن يسطوا اليكم أيديهم ﴾ بالقتل والاهلاك يقال بسط

نعمت الله عليكم ﴿ يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي أنعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وأمرهم بالشكر عليها فقال تعالى ﴿ اذمهم قوم أن يسطوا اليكم أيديهم ﴾ يعني بالقتل والبطش بكم فصر فهم عنكم وحال بينكم وبين ما أرادوه بكم اختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي أمر الله تعالى أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلاة فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم أن أقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال أفكته به قالوا وددنا أنك فعلت ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه فقال يا محمد أرني سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل بهذا السيف وينظر اليه مرة الى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعند السيف ومضى فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمر الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه الا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم الا الطير تحوم في السماء يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال أحد النفر الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته البصرة رفع رأسه الى السماء وقع عينه فقال الله أكبر الجنة

نعمت الله عليكم أذمهم قوم) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان أبو بكر وعمر والختان يستقرضهم لدية مسلمين قتلها عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهو بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحي عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبريل فأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت الآية اذ طرف للنعمة (أن يسطوا) بان يسطوا (اليكم أيديهم) بالقتل يقال بسط لسانه اليه اذا شتمه ويسط اليه يده اذا بطش به ويسطوا

نعمت الله عليكم) احفظوا منة الله عليكم بدفع بأس العدو عنكم (أذمهم قوم) أراد قوم يعني بني قريظة (أن يسطوا اليكم أيديهم) بالقتل

اليهم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليدها الى المطوش به ( فكف ايديهم عنكم ) فنعها أن تمد اليكم ( واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) ﴿ ٢٤٩ ﴾ فإنه الكافي { سورة المائدة } والدافع والمانع ( ولقد

أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ) هو الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها ولما استقرت بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالسير الى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فأخرجوا اليها وجاهدوا من فيها وانى ناصركم وأمر الله موسى عليه السلام أن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختر النقباء وأخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار

( فكف ) فنع ( ايديهم عنكم ) بالقتل ( واتقوا الله ) اخشوا الله فيما أمركم ( وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله ( ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل ) اقرار بني اسرائيل في التوراة في محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيئا

اليده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه ﴿ فكف ايديهم عنكم ﴾ منعهما ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم ﴿ واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ فإنه الكافي لا يصل الخير ودفع الشر ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ﴾ شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر أمرهم الله بالسير الى اريحاء من أرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون

ورب العالمين ورجع صاحبه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما مودة فانتسبا الى بني عامر فقتلها معا وقدم قومهما الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات وقيل أراد ان يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتيننا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فحلا بعض اليهود بعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الآن فن يظهر منكم على هذا الليت فيطرح عليه صخرة فيرمحنا منه فقال عمر بن جحاش أنا فعمد الى رحي عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة قال وخرج معه علي بن أبي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعل لا تبرح مكانك حتى يخرج اليك أصحابي فن خرج اليك منهم وسألك عنى فقل توجه الى المدينة فقل ذلك حتى تناهوا اليه ثم تبعوه الى المدينة وأنزل الله عز وجل هذه الآية يأبها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم يعني اليهود ان بسطوا اليكم ايديهم يقال بسط يده اليه اذا بطش به وهو اذا مدها الى المطوش به ليقبله ﴿ فكف ايديهم عنكم ﴾ يعني انه تعالى منعهم بما أرادوه بكم ﴿ واتقوا الله ﴾ يعني فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ أمر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لانه هو الكافي عباده جميع أمورهم فاذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم من أرادهم بسوء كما كف أيدي اليهود عنهم لما أرادوا أن يقتلوا بهم وهذه القصة اولى بالصواب لانه عقب الآية بدم اليهود وذكر قبح افعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى ﴿ ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل ﴾ لما ذكر الله في الآية المقدمة بعض غدرات اليهود وما أرادوه من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أتبعه بذكر اسلافهم وما نقضوه من المواثيق والعهود ومعنى الآية ان الله أخذ ميثاقهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وأن يعملوا بما في التوراة من الاحكام والتكاليف ﴿ وبمشائهم اثني عشر نقيبا ﴾ اختلف العلماء في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال

( وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ) رسولا ويقال ( قا و خا ٣٢ في ) ملكا لكل سبط ملك

وقال انى كتبتهم لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانى ناصركم وامر موسى عليه الصلاة والسلام ان يأخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختر منهم النقباء وسار بهم فلما ذنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا أجراما عظيمة وبأساشديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا وبوشع بن نون قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن احوالهم

ذكر القصة في ذلك

قال أصحاب الاخبار والسير ان الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الارض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فأمر الله موسى أن يسير ببني اسرائيل الى الارض المقدسة وقال انى كتبتهم لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصرك عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيباً من كل سبط نقيباً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به فاختر موسى النقباء وسار ببني اسرائيل حتى قربوا من اريحاء وهى مدينة الجبارين فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقبهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وعنق أمه وهى احدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاث ذراع هكذا نقله البغوى وفيه نظر لان آدم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الاحاديث الصحيحة ستين ذراعاً قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب من مائه ويتناول الحوت من قعر البحر ويشويه في عين الشمس ويروى ان الماء لما طبق على الارض من جبل وغيره مابلع ركبتى عوج وقال لنوح عليه السلام اجانى معك في السفينة فقال نوح عليه السلام اخرج عنى يا عدو الله فانى لم أومر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله تعالى على يد موسى عليه السلام وذلك أنه قد اقتلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخاً في فرسخ وجعلها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدد فنقب الصخرة وقورها عنقاره فوقعت في عنقه فصرعته وأقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله قال فلما اتى عوج النقباء أخذهم وجعلهم في حجزته وكان على رأسه حزمة حطب وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظرى الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا أطحنهم برجلى فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا منك وقيل انه جعلهم في كبه وأتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فاخبروهم بما رأيتم وكان عماراً وان عنقود العنب لا يحملها الا خمسة أنفس منهم بينهم فى خشبة ويدخل فى شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة أنفس فرجع النقباء وقال بعضهم لبعض يا قوم انكم اذا أخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولا يقاتلونهم معه اكنتموا عن

بهم فلما ذنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدثوا قومهم وقد نهاهم أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا وبوشع ابن نون وكان من النقباء

(وقال الله أنى معكم) أى ناصركم ومعينكم وتقف هنا لابتداءك بالشرط الداخلى عليه اللام الموطنة للقسم وهو (لئن أقم الصلاة وآيتم الزكاة) وكانتا فريضتين ﴿ ٢٥١ ﴾ عليهن (وآمنتم { سورة المائدة } برسلى) من غير تفريق

بين أحد منهن (وعزرتوهم) وعظمتوهم أو نصرتموهم بان تردوا عنهم أعداءهم والعزرت فى اللغة الرد ويقال عزرت فلانا أى أدبته يعنى فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزجاج (وأقرضتم الله قرضا حسنا) بلا من وقيل هو كل خير واللام فى (لا كفرن عنكم سيأتكم) جواب للقسم وهذا الجواب ساد مسدد جواب القسم والشرط جميعا (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) فن كفر بعد ذلك منكم أى بعد ذلك الشرط للمؤكد المتعلق بالوعد العظيم (فقد ضل سواء

من سبط افرائيم بن يوسف ﴿ وقال الله أنى معكم ﴾ بالنصرة ﴿ لئن أقم الصلاة وآيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتوهم ﴾ أى نصرتموهم وقويتوهم واصله الذب ومنه التعزير ﴿ وأقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول ﴿ لا كفرن عنكم سيأتكم ﴾ جواب للقسم المدلول عليه باللام فى لئن ساد مسد جواب الشرط ﴿ ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ فن كفر بعد ذلك ﴿ بعد ذلك الشرط المؤكد المتعلق به الوعد العظيم ﴾ منكم فقد ضل سواء

بني اسرائيل خيرا القوم واخبروا موسى وهرون بما رأيتم فيريان رأيهما وأخذ بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد والميثاق وأخبر كل رجل سبطه بما رأى الارجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فانهما أوفيا باليهود ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد أخذنا الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ﴿ وقال الله انى معكم ﴾ فيه حذف تقديره وقال للنقباء انى معكم يعنى بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول الاول اولى لان الضمير يعود الى أقرب مذكور فكان عوده الى النقباء اولى ثم ابتداء الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل ﴿ لئن أقم الصلاة ﴾ هذه جملة شرطية والشرط مركب من خمسة أمور وهى قوله لئن أقم الصلاة ﴿ وآيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتوهم وأقرضتم الله قرضا حسنا ﴾ وجزاء الشرط قوله تعالى ﴿ لا كفرن عنكم سيأتكم ﴾ وذلك اشارة الى ازالة العذاب وقوله تعالى ﴿ ولا دخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ اشارة الى ايصال الثواب ومعنى الآية لئن أقم الصلاة المكتوبة وآيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلى يعنى بجميع رسل وانما أخر ذكر الايمان بالرسلى لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة وابتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتوهم يعنى ونصرتموهم واصل التعزير فى اللغة الردع فعنى وعزرتوهم نصرتموهم بان تردوا أعداءهم عنهم وقيل معناه وقرتوهم وعظمتوهم والقول هو الاول وأقرضتم الله قرضا حسنا يعنى به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلأقائده فى تفسير هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال وأقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا حسنا لان مصدر اقراضم الاقراض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه لامن لفظه وذلك ان اقراض بمعنى قرض فكان معنى الكلام وأقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله ابتكم من الارض نباتا اذ كان معناه فنبت نباتا وقوله لا كفرن عنكم سيأتكم يعنى اذا فعلتم ساءر ما أمرتكم به لآحون عنكم سيأتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿ فن كفر بعد ذلك منكم ﴾ يعنى بعد اخذ العهد والميثاق ﴿ فقد ضل سواء

(وقال الله ) لهؤلاء الملوك (أنى معكم) معينكم (لئن أقم الصلاة) أتممت الصلاة التى فرضت عليكم (وآيتم الزكاة) أعطيتم زكاة أموالكم (وآمنتم) أقررتهم وصدقتم (برسلى) الذين يجيئون اليكم (وعزرتوهم) أعنتوهم ونصرتموهم بالسيف على الاعتاء (و) أقرضتم الله قرضا حسنا) صادق من قلوبكم (لا) كفرن

عنكم سيأتكم) لا محسن عليكم ذنوبكم دون الكبار (ولادخلنكم جنات) بساتين (تجري من تحتها) تطرد من تحت شجرها (ومساكنها) (الأنهار) أنهار الماء والبن والخمر والعسل (فن كفر بعد ذلك) بعد أخذ الميثاق والاقاربه (منكم) فقد ضل سواء

السييل ) أخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل أيضا ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم ( فبما نقضهم ميثاقهم ) ما يزيدة لافادة تفخيم الامر ( لعناهم ) طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا أو مسخناهم أو ضربنا عليهم الجزية ( وجعلنا قلوبهم قاسية ) يابسة لارخة فيها ولالين قسية جزءة على أى رديئة من قوتهم درهم قسى أى ردىء ( يحرفون الكلم عن مواضعه ) يفسرونه على غير ما أنزل وهو بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وجهه ( ونسوا حقا ) وتركوا { الجزء السادس } نصيبا جزيلا ﴿ ٢٥٢ ﴾ وقسطا وافية ( مما ذكرناه )

من التوراة يعنى ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت حروفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم عن ابن مسعود رضى الله عنه وقد ينسئ المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ( ولا تزال ) يا محمد ( تطلع على خائنة منهم ) أى هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون

السييل ) فقد ترك قصد طريق الهدى وكفروا الاخسة منهم فبين عقوبة الذين كفروا فقال ( فبما نقضهم ) يقول بنقضهم يعنى الملوك ( ميثاقهم لعناهم ) عذباهم بالجزية ( وجعلنا قلوبهم قاسية )

السييل ﴿ ضللا لاشبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ﴾ طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ لاتنفل عن الآيات والنذر وقرأ جزءة والكسائى قسية وهى اما مبالغة قاسية او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسى اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يس وصلاية وقرئى قسية باتباع القاف لالسين ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله سبحانه وتعالى والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لامن القلوب اذ لا ضمير له فيه ﴿ ونسوا حقا ﴾ وتركوا نصيبا وافية ﴿ مما ذكرناه ﴾ من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل الله عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فنزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم للاروى ان ابن مسعود قال قد ينسئ المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ﴿ ولا تزال تطلع على خائنة منهم ﴾ خائنة منهم

السييل ﴿ يعنى فقد أخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذى شرعه والهدى الذى أمر باتباعه ﴿ قوله عز وجل ﴾ فبما نقضهم ميثاقهم ﴿ أى بسبب نقضهم الميثاق وذلك ان بنى اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين جاؤا من بعد موسى وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه ﴿ لعناهم ﴾ يعنى جازيناهم على ذلك بان أبعدناهم وطردناهم عن رحمتنا وأصل اللعنة الابعاد عن الرحمة ﴿ وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ يعنى غليظة يابسة لالنين لان القسوة خلاف اللين والرقوة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة الايمان بل ايمانهم مشوب بالكفر والنفاق ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ يعنى يغيرون حدود التوراة وأحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة وقيل هو تحريفهم معانى الالفاظ بسوء التأويل ﴿ ونسوا حقا ﴾ مما ذكرناه ﴿ يعنى وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته ﴿ ولا تزال تطلع على خائنة منهم ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب

يابسة بلانور ( يحرفون الكلم عن مواضعه ) يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وبيان الرجم ( محمد ) بعدياته في التوراة ( ونسوا حقا ) تركوا بعضا ( مما ذكرناه ) من التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم واطهار صفته ونعته \* ثم ذكر خيانتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ( ولا تزال ) يا محمد ( تطلع على خائنة ) تعلم خائنة ومعصية ( منهم ) يعنى من بنى

الرسول وهؤلاء يخونونك ويهمون بالفتك بك وقوله على خائنة أى على خيانة أو على فعلته ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة ( الاقليات منهم ) وهم الذين آمنوا منهم ( فاعف عنهم ) بعث على مخالفتهم أو فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم ( واصفح أن الله يحب المحسنين ) ومن في قوله ( ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ﴿ ٢٥٣ ﴾ ميثاقهم ) { سورة المائدة } وهو الايمان بالله والرسول

وأفعال الخير يتعلق بأخذنا أى وأخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم فقدم على الفعل الجار والمجرور وفصل بين الفعل والواو بالجار والمجرور وانما لم يقل من النصارى لانهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء انصر الله وهم

الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية وبعقوبية وملكانية أنصار الشيطان ( فنسوا حظا مما ذكروا به فاعترينا ) فالصقنا وألزمنا من غرى بالثى اذ ألزمه ولصق به ومنه الغراء الذى يلصق به ( بينهم ) بين فرق النصارى المختلفين ( العداوة والبغضاء الى يوم القيمة ) بالاهواء المختلفة

قريظة ( الاقليات منهم ) عبد الله بن سلام وأصحابه ( فاعف عنهم ) ولا تعاقبهم ( واصفح ) اترك ( أن الله يحب المحسنين ) الى الناس

أوفرقة خائنة أو خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والقدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم ﴿ الاقليات منهم ﴾ لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل استثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ ان تابوا وآمنوا او اهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ﴿ ان الله يحب المحسنين ﴾ تمليل الامر بالصفح وحث عليه وتنبه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ﴿ ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم ﴾ اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما أخذنا من قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم أخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا أنفسهم بذلك ادعاء انصر الله سبحانه وتعالى ﴿ فنسوا حظا مما ذكروا به فاعترينا ﴾ فالزمنان من غرى بالثى اذا لصق به ﴿ بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة ﴾

محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خيانتهم التى ظهرت ﴿ الاقليات منهم ﴾ يعنى أنهم لم يخونوا ولم يتقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾ أى فاعف عن زلاتهم يا محمد واصفح عن جرمهم وموآذيتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن أهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية التى نزلت فى سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت فى قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد ففدروا ونقضوا ذلك العهد فآظم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك أنه يجوز ان يعفو عن غدرة فعلوها مالم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من أداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صفات زلاتهم ماداموا باقين على العهد ﴿ ان الله يحب المحسنين ﴾ يعنى اذا عفوت عنهم فانك تحسن والله يحب المحسنين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم ﴿ لما ذكر نقض اليهود الميثاق اتبعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى مثل سبيل اليهودى فنقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به أنفسهم لأن الله تعالى سماهم به أخذنا ميثاقهم يعنى كتبنا عليهم فى الانجيل ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فنسوا حظا مما ذكروا به ﴾ يعنى فتركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فاعترينا ﴾ يعنى فلقينا وأوقعنا ﴿ بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة ﴾

( ومن الذين قالوا انا نصارى ) يعنى نصارى نجران ( أخذنا ميثاقهم ) فى الانجيل باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وبيان صفته وأن لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيئا ( فنسوا حظا ) فتركوا بعضا ( مما ذكروا به ) أمروا به ( فاعترينا ) ألقينا ( بينهم ) بين اليهود والنصارى ويقال بين نصارى أهل نجران النسطورية والبعقوبية والمرقوسية والملكانية ( العداوة ) بالقتل والهلاك ( والبغضاء ) فى القلب ( الى يوم القيمة )

( وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون ) أى فى القيامة بالجزاء والعقاب ( يا أهل الكتاب ) خطاب لليهود والنصارى والكتاب للجنس ( قد جاءكم { الجزء السادس { رسولنا } محمد عليه السلام ﴿ ٢٥٤ ﴾ ) ( بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون

من الكتاب ) من نحو  
صفة رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ومن نحو الرجم  
( ويعفوا عن كثير ) مما  
تخفونه لا يبينه أو يعفو  
عن كثير منكم لا يؤاخذ  
( قد جاءكم من الله نور  
وكتاب مبين ) يريد  
القرآن لكشفه ظلمات  
الشرك والشك ولا بانه  
ما كان خافيا على الناس  
من الحق أولانه ظاهر  
الاعجاز أو النور محمد  
عليه السلام لانه يهتدى به  
كما سمي سراجا ( يهدى  
به الله ) أى بالقرآن  
( من اتبع رضوانه )  
من آمن منهم ( سبل  
السلام ) طرق السلامة  
والنجاة من عذاب الله  
أو سبل الله فالسلام  
السلامة وأواله

وسوف ينبتهم الله ) يخبرهم  
الله ( بما كانوا يصنعون )  
من المخالفة والحيانة  
والكتمان والعداوة  
والبغضاء ( يا أهل الكتاب  
قد جاءكم رسولنا ) محمد  
صلى الله عليه وسلم ( بين لكم  
كثيرا مما كنتم تخفون  
من الكتاب ) من صفة  
محمد صلى الله عليه وسلم ونهته

بين فرق النصارى ومنهم نسطورية ويعقوبية وملكانية أو يهنهم وبين اليهود  
﴿ وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ بالجزاء والعقاب ﴿ يا أهل الكتاب ﴾  
يعنى اليهود والنصارى ووحدا الكتاب لانه للجنس ﴿ قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا  
مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ كعت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم فى التوراة وبشارة  
عيسى عليه الصلاة والسلام باجد صلى الله تعالى عليه وسلم فى الانجيل ﴿ ويعفوا عن كثير ﴾  
مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه فى امر دينى او عن كثير منكم فلا يؤاخذ بجرمه  
﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشرك  
والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم  
يهدى به الله ﴿ وحدا الضمير لان المراد بها واحد او لانهما فى حكم الواحد ﴾ من اتبع  
رضوانه ﴿ من اتبع رضاه بالايمان منهم ﴾ سبل السلام ﴿ طرق السلامة من العذاب

قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسوله وضيعوا فرائضه وعطوا حدوده أتى الله  
العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هى الاهواء المختلفة وفى الهاء والميم من قوله  
تعالى بينهم قولان أحدهما ان المراد بهم اليهود والنصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم  
الى يوم القيامة والقول الثانى ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر الاخرى  
﴿ وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ يعنى ان الله تعالى يخبرهم فى الآخرة باعمالهم  
التي عملوها فى الدنيا فقيه وعيد وتهديد لهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أهل الكتاب ﴿  
يعنى اليهود والنصارى ﴿ قد جاءكم رسولنا ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ بين  
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ يعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر  
كثيرا مما أخفوا وكتبوا من أحكام التوراة والانجيل وذلك انهم أخفوا آية الرجم  
وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين  
ذلك وأظهره وهذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه  
فكان اظهاره ذلك معجزة له ﴿ ويمفوا عن كثير ﴾ يعنى مما يكتبونه فلا يتعرض له  
ولا يؤاخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفائدة فى ذلك انهم يعلمون كون النبي  
صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه وهو معجزة له أيضا فيكون ذلك داعيا لهم  
الى الايمان به ﴿ قد جاءكم من الله نور ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم انما سماه الله  
نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور فى الظلام وقيل النور هو الاسلام ﴿ وكتاب  
مبين ﴾ يعنى القرآن ﴿ يهدى به الله ﴾ يعنى يهدى الله بالكتاب المبين ﴿ من اتبع  
رضوانه ﴾ أى اتبع ما رضيه الله وهو دين الاسلام لانه مدحه وأتى عليه ﴿ سبل السلام ﴾  
قال ابن عباس رضى الله عنه يريد دين الله وهو الاسلام فسبله دينه الذى شرع لعباده  
وبعث به رسله وأمر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة وقيل سبل السلام

والرجم وغير ذلك ( ويعفوا عن كثير ) يترك كثيرا فلا يبين لكم ( قد جاءكم من الله نور ) رسول يعنى محمدا ( وكتاب ) ( دار السلام )  
( مبين ) بالحلل والحرام ( يهدى به ) بمحمد والقرآن ( الله من اتبع رضوانه ) توحيد ( سبل السلام ) دين الاسلام والسلام هو الله

(ويخرجهم من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الاسلام (بأذنه) بإرادته وتوفيقه (ويهديهم الى صراط مستقيم) لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم (معناه بت القول على أن الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصرارى قوم يقولون ذلك أولان مذهبهم يؤدى اليه حيث انهم اعتقدوا انه يخلق ويحيى ويميت (قل فن يملك من الله شيئاً) فن يمنع من قدرته ومشيئته شيئاً (أن أراد ان يهلك **﴿ ٢٥٥ ﴾** المسيح ابن مريم { سورة المائدة } وأمه ومن في الارض جميعاً)

أى ان أراد أن يهلك من دعوه الهام من المسيح وأمه يعنى ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وعطف من في الارض جميعاً على المسيح وأمه ابانة انهما من جنسهم لاتفوت بينهما وبينهم والمعنى ان من اشتمل عليه رحمة الامومية متى يفارقه نقص البشرية ومن لاحت عليه شواهد الحديثية أنى يلىق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما أوجد لم يعدنقص الى الصمدية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء) أى يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من انثى بلا ذكر كما خلق عيسى ويخلق من ذكر من غير أنثى كما خلق حواء من آدم ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم ويخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى مجزة له فلا اعتراض عليه لانه الفعال لما يريد

او سبل الله **﴿** ويخرجهم من الظلمات الى النور **﴾** من انواع الكفر الى الاسلام **﴿** بأذنه **﴾** بإرادته او بتوفيقه **﴿** ويهديهم الى صراط مستقيم **﴾** طريق هو اقرب الطرق الى الله سبحانه وتعالى ومؤدى اليه لا محالة **﴿** لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم **﴾** هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتاً وقالوا لاله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحاً لجهلهم وتفضيحاً لمعتقدهم **﴿** قل فن يملك من الله شيئاً **﴾** فن يمنع من قدرته وإرادته شيئاً **﴿** ان أراد ان يهلك المسيح **﴾** عيسى **﴿** ابن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً **﴾** احتج بذلك على فساد قولهم وتقديره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو معزول عن الالهية **﴿** ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء

دار السلام فيكون من باب حذف المضاف **﴿** ويخرجهم من الظلمات الى النور **﴾** يعنى من ظلمات الكفر الى نور الايمان **﴿** بأذنه **﴾** يعنى بتوفيقه وهدايته **﴿** ويهديهم الى صراط مستقيم **﴾** يعنى دين الاسلام **﴿** قوله عز وجل **﴿** لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم **﴾** قال ابن عباس رضى الله عنهما هؤلاء نصرارى نجران فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب يعقوبية والملكانية من النصرارى لأنهم يقولون فى المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل فى بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لاجرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى **﴿** قل **﴾** يعنى يا محمد لهؤلاء النصرارى الذين يقولون هذه المقالة **﴿** فن يملك **﴾** يعنى يقدر أن يدفع **﴿** من الله شيئاً **﴾** يعنى من امر الله شيئاً **﴿** أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه **﴾** يعنى يعدم المسيح وأمه **﴿** ومن في الارض جميعاً **﴾** ووجه الاحتجاج على النصرارى بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقدرة على دفع أمر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك أمه وغيرها **﴿** ولله ملك السموات والارض وما بينهما **﴾** انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهما لانه أراد ما بين هذين النوعين أو الصنفين من الاشياء فانها ملكه وأهلها عبيده وعيسى وأمه من جملة عبيده **﴿** يخلق ما يشاء **﴾** يعنى من غير اعتراض عليه فيما يخلق لانه خلق آدم من غير أب وأم وخلق عيسى

(ويخرجهم من الظلمات

الى النور) من الكفر الى الايمان (بأذنه) بأمره ويقال بتوفيقه وكرامته (ويهديهم الى صراط مستقيم) يثبتهم على ذلك الدين بعد الاجابة (لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم) وهى مقالة يعقوبية (قل) لهم يا محمد للنصرارى (فن يملك من الله) يقدر أن يمنع من عذاب الله (شيئاً أن أراد أن يهلك) أن يعذب (المسيح بن مريم) وأمه ومن في الارض جميعاً (جميع من عبدها) (ولله ملك السموات والارض) خزائن السموات والارض (وما بينهما) من الخلق والحجاب (يخلق ما يشاء) كما يشاء بأب أو بغير أب



والله على كل شيء قدير) ﴿ ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه سبحانه وتعالى قادر على الاطلاق يتخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او من اثنى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ﴿ اشياع ابنه عزيز والمسيح كاقيل لاشياع ابن الزبير الخبيون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴿ اى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترقتم انه سيعدبكم

من أم بلا أب وخلق سائر الخلق من أب وأم ﴿ والله على كل شيء قدير ﴿ يعنى ان الله تعالى لا يعجزه شيء أراداه فلا اعتراض لاحد من خلقه عليه ﴿ قوله عز وجل ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما ائى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وابن اصر وجرى بن عمرو وشاس بن عدى فكلموه وكلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم نعمته فقالوا ماتخوفنا يا محمد نحن ابناء الله واحباؤه كقوله النصارى فانزل الله عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الآية وسبب هذه المقالة ما حكاه السدى قال أما اليهود فأنهم قالوا ان الله أوحى الى اسرائيل انى أدخل من ولدك النار فيكونون فيها أربعين يوما حتى تظهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادى مناد أن أخرجوا كل محتون من ولد اسرائيل فيخرجون فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار الا أياما معدودات وأما النصارى فان فرقا منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فالما وجه قول اليهود فانهم يعنون انه من عطفه عليهم كآلاب الشفيق على الولد وأما وجه قول النصارى فانهم لما قالوا فى المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكأنهم قالوا نحن ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله وأما النصارى فانهم لما قالوا قول المسيح اذهب الى أبى وأبيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا أبانا الذى فى السماء لتقدسن اسمك فذهبوا الى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا ما أراد المسيح عليه السلام ان سحت هذه المقالة عنه فان تأويلها انه فى بره ورجته وعطفه على عباده الصالحين كآلاب الرحيم لولده وجلة الكلام فى ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانقسام فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى أنتهوا فى تعظيم أنفسهم الى ان قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم ﴿ معناه اذا كان الامر كما تزعمون فلم يعذبكم الله وأتمم قد اقررتم على أنفسكم انه يعذبكم أربعين يوما وهل رأيتم والدا يعذب ولده بالنار وهل تطيب نفس محب أن يعذب

أعزة عليه كالابن على الاب أو اشياع ابنى الله عزير والمسيح كاقيل لاشياع أبى خبيب وهو عبدالله ابن الزبير الخبيون وكما كان يقول رهط مسيلة نحن ابناء الله ويقول اقرباء الملك وحشمه نحن ابناء الملوك أو نحن ابناء رسل الله ( قل فلم يعذبكم بذنوبكم) اى فان صح انكم ابناء لله واحباؤه فلم تعذبون بذنوبكم بالمسخ والنار أياما معدودة على زعمكم وهل يسخ الاب ولده وهل يعذب الوالد ولده بالنار ثم قال رد عليهم

( والله على كل شيء ) من خلق الخلق والثواب لاوليائه والعقاب لاعدائه (قديرو قالت اليهود) يعنى يهود أهل المدينة ( و النصارى ) نصارى أهل نجران ( نحن ابناء الله ) ابناء انبياء الله ( واحباؤه ) على دينه ويقال نحن على دين الله كابنائه واحباؤه ويقال قالوا نحن على الله كابنائه ونحن على دينه ( قل ) يا محمد لليهود ( فلم يعذبكم بذنوبكم ) بعبادتكم الجلى أربعين يوما ان كنتم عليه كابنائه هل رأيتم أباء يعذب ابنه بالنار

(بل أنتم بشر من خلق) أي أنتم خلق ﴿٢٥٧﴾ من خلقه لابنوه {سورة المائدة} { يغفر لمن يشاء } لمن

تاب عن الكفر فضلا  
( ويعذب من يشاء ) من  
مات عليه عدلا ( والله  
ملك السموات والارض  
وما بينهما واليه المصير )  
فيه تبييه على عبودية المسيح  
لان الملك والبنوة متنافيان  
( يا أهل الكتاب قد جاءكم  
رسولنا ) محمد عليه السلام  
( بين لكم ) أي الشرائع  
وحذف لظهوره أو ما  
كنتم تحفون وحذف  
لتقدم ذكره أو لا يقدر  
المبين ويكون المعنى يبذل  
لكم البيان وهو حال  
أي مينا لكم ( على فترة  
من الرسل ) متعلق بجاءكم  
أي جاءكم على حين فتور  
من ارسال الرسل وانقطاع  
من الوحي وكان بين عيسى

(بل أنتم بشر) خلق عبيد (من)

كن (خلق يغفر لمن يشاء)  
لمن تاب من اليهودية  
والنصرانية ( ويعذب  
من يشاء ) من مات على  
اليهودية والنصرانية  
( والله ملك ) خزائن  
( السموات والارض وما  
بينهما ) من الخلق والحجائب  
( واليه المصير ) المرجع  
مصير من آمن ومن لم يؤمن  
( يا أهل الكتاب ) يا أهل  
التوراة والإنجيل ( قد جاءكم

بالنار اياما معدودة ﴿ بل أنتم بشر من خلق ﴾ مما خلق الله تعالى ﴿ يغفر لمن يشاء ﴾  
وهم من آمن به وبرسله ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم  
معاملة سائر الناس لاضرية لكم عنده ﴿ والله ملك السموات والارض وما بينهما ﴾  
كلها سواء في كونها خلقا وملكه ﴿ واليه المصير ﴾ فيجازي المحسن باحسانه والمسيء  
باسائه ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم ﴾ أي الدين وحذف لظهوره  
أو ما كنتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى ويبذل لكم البيان والحجة  
في موضع الحال أي جاءكم رسولنا مينا لكم ﴿ على فترة من الرسل ﴾ متعلق بجاءكم أي  
جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي أو بين حال من الضمير فيه

حبيبه في النار ﴿ بل أنتم بشر من خلق ﴾ يعني بل أنتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بني  
آدم مجزيون بالاساءة والاحسان ﴿ قوله عز وجل ﴾ يغفر لمن يشاء ﴿ يعني لمن تاب  
من اليهودية والنصرانية ﴾ ويعذب من يشاء ﴿ يعني من مات على اليهودية والنصرانية  
وقيل معناه يهدى من يشاء فيغفر له ويميت من يشاء على كفره فيعذبه ﴿ والله  
ملك السموات والارض وما بينهما ﴾ يعني أنه تعالى يملك ذلك لاشريك له في ذلك  
فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء وفيه دليل على أنه  
تعالى لا ولد له لان من يملك السموات والارض يستحيل أن يكون له شبيه من خلقه  
أو شريك في ملكه ﴿ واليه المصير ﴾ يعني الى الله مرجع العباد في الآخرة  
فيجازيهم باعمالهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم  
على فترة من الرسل ﴿ قال ابن عباس رضي الله عنهما قال معاذ بن جبل وسعد بن  
عبادة وعقبة بن وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه  
رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن خزيمة  
ووهب بن يهودا ما قلنا ذلك لكم وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل  
بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله هذه الآية يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني  
محمدنا صلى الله عليه وسلم بين لكم يعني أحكام الدين والشرائع على فترة من الرسل  
قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني على انقطاع من الرسل واختلف العلماء في قدر  
مدة الفترة فروى عن سلمان قال فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستائة  
سنة أخرجه البخاري وقال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم  
ستائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه انها خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن  
السائب خمسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك انها أربعمائة وبضع وثلاثون سنة  
ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال  
وكان بين ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسعة وستون  
سنة وهي الفترة وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أربعة من الرسل فذلك  
قوله إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لأدرى من هو

رسولنا) محمد صلى الله عليه وسلم (بين لكم) (قا و خا ٣٣ نى) ما أمرتم به وما نهيتم عنه (على فترة من الرسل) على انقطاع من الرسل

﴿ أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ﴾ كراهة أن تقولوا ذلك وتعتذروا به ﴿ فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ متعلق بمخدوف أي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ فيقدر على الإرسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبى وعلى الإرسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كان بينهما ستائة أو خمائة وتسع وستون سنة وأربعة أنبياء ثلاثة من بنى إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العيسى وفي الآية امتنان عليهم بأن بعث إليهم حين انظمت آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكون إليه ﴿ وأذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء ﴾ فأرشدكم وشرفكم بهم

فكانت تلك السنون مائة وأربعا وثلاثين سنة نبوة وسأرها فترة قال أبو سليمان الدمشقي والرابع والله أعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبى ضيعه قومه قل الإمام فخر الدين الرازى والفائدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة الرسل هي أن التحريف والتغيير كان قد تطرق إلى الشرائع المتقدمة لتقدم عهدها وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا في أعراض الخلق عن العبادات لأن لهم أن يقولوا الهنا عرفنا أنه لا بد من عبادتك ولكننا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر فذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ﴾ يعنى لثلاث تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا الوقت ﴿ فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ يعنى فقد أرسلت إليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ يعنى أنه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة إليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وأذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إذ كروا عافية الله وقيل معناه اذكروا أيادى الله عنكم وأيامه التى أنعم فيها عليكم قال الطبرى هذا تعريف من الله تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم بتجدي هؤلاء اليهود فى النى وبعدهم عن الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع أياديه وآلائه لديهم سلى بذلك نبية محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم ومعالجتهم فى ذات الله عز وجل ﴿ اذ جعل فيكم أنبياء ﴾ يعنى ان موسى عليه السلام ذكر قومه بنى اسرائيل بأيام الله عندهم وبما أنعم به عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم اذ فضلكم بأن جعل فيكم أنبياء قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وأيضا كان أنبياء بنى اسرائيل من أولاد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وهؤلاء لاشك انهم من أكابر الانبياء وأولاد يعقوب وهم الاسباط أنبياء على قول الاكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وأيضا فان الله تعالى أعلم موسى أنه يبعث من بعده فى بنى اسرائيل أنبياء فانه لم يبعث

ان تقولوا ( ما جاءنا من بشير ولا نذير ) والفاء فى ( فقد جاءكم ) متعلق بمخدوف أى لا تعتذروا فقد جاءكم ( بشير ) للمؤمنين ( ونذير ) للكافرين والمعنى الامتنان عليهم بأن الرسل بعث إليهم حين انظمت آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه وبعده اعظم نعمة من الله وتلزمهم الحجة فلا يعلتوا عذابانه لم يرسل اليهم من بينهم عن غفلتهم ( والله على كل شيء قدير ) فكان قادرا على ارسال محمد عليه السلام ضرورة ( وأذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء ) لانه لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء

( أن تقولوا ) لى لا تقولوا يوم القيامة ( ما جاءنا من بشير ) بالجنة ( ولا نذير ) من النار ( فقد جاءكم ) محمد صلى الله عليه وسلم ( بشير ) بالجنة ( ونذير ) من النار ( والله على كل شيء ) من ارسال الرسل والثواب لمن أجاب الرسل والعقاب لمن لم

يجب الرسل ( قدير ) وأذ قال ( موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمت الله ) عليكم اذ جعل فيكم ( منكم ) ( أنبياء ) فى أمة ( )

( وجعلكم ملوكا ) لانه ملككم ﴿ ٢٥٩ ﴾ بعد فرعون { سورة المائدة } ملكه بعد الجبارة ملكهم

ولان الملوك تكاثروا فيهم  
تكاثر الانبياء وقيل الملك  
من له مسكن واسع فيه  
ماء جار وكانت منازلهم  
واسعة فيها مياه جارية  
وقيل من له بيت وخدم  
ولانهم كانوا مملوكين في  
أيدي القبط فانقذهم الله  
فسمي انقاذهم ملكا ( واناكم  
مالم يؤت أحد من العالمين )  
من فلق البحر واغراق  
العدو وانزال المن والسلوى  
وتظليل الغمام ونحو ذلك  
من الامور العظام أو أراد  
علمي زمانهم ( يا قوم  
ادخلوا الارض المقدسة )  
أي المطهرة أو المباركة  
وهي أرض بيت المقدس  
أو الشام ( التي كتب الله  
لكم ) قسمها لكم أو سماها  
أو كتب في اللوح المحفوظ  
انها مساكن لكم

وجعلكم ملوكا )  
بعدما كنتم ممالك فرعون  
( واناكم ) أعطاكم ( مالم  
يؤت أحد من العالمين )  
علمي زمانكم في التيه  
من المن والسلوى ( يا قوم  
ادخلوا الارض المقدسة )  
وهي دمشق وفلسطين  
وبعض الاردن المطهرة  
( التي كتب الله لكم )  
وهب الله لكم وجعلها  
ميراثا لايكم ابراهيم

ولم يبعث في أمة مابث في بني اسرائيل من الانبياء ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ أي وجعل  
منكم أوفيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى فعلوا بيجي وهموا بقتل  
عيسى عليهما الصلاة والسلام وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم  
مالكين لانفسهم وأمورهم سماهم ملوكا ﴿ واناكم مالم يؤت أحد من العالمين ﴾  
من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد  
بالعالمين علمي زمانهم ﴿ يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ﴾ أرض بيت المقدس سميت بذلك  
لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله. وقيل دمشق وفلسطين  
وبعض الاردن وقيل الشام ﴿ التي كتب الله لكم ﴾ قسمها لكم أو كتب في اللوح  
انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعمتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم

في أمة مابث في بني اسرائيل من الانبياء فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة ظاهرة  
عليهم ﴿ وجعلكم ملوكا ﴾ يعني وجعلكم أحرارا تملكون أنفسكم بعد أن كنتم عبيدا  
في أيدي القبط قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني جعلكم أصحاب خدم وحشم قال  
قنادة كانوا أول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروى عن أبي سعيد الخدري  
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وأمرأة  
ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسأل رجل عبدالله بن عمرو بن العاص  
فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبدالله ألك امرأة تأوى اليها قال نعم قال ألك  
مسكن تسكنه قال نعم قال أنت من الاغنياء قال فان لي خادما قال أنت من الملوك وقال  
الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار  
فهو ملك ﴿ واناكم مالم يؤت أحد من العالمين ﴾ يعني من علمي زمانكم بذكرهم  
مأنعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم وانزال المن والسلوى عليهم  
واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير ذلك من النعم التي أنعم الله  
بها عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ﴿  
لما ذكر موسى قومه ما أنعم الله به عليهم أمرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال يا قوم  
ادخلوا الارض المقدسة يعني المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت  
مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل المقدسة المباركة قال الكلبي سعد ابراهيم صلى الله عليه  
وسلم جبل لبنان فقيل له انظر فما أدرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريرتك والارض  
هي الطور وما حوله وقيل هي اريحاء وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق  
وقيل هي الشام كلها قال كعب الاحبار ووجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله  
في أرضه وبها أكثر عبادته التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم  
مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وأمركم بسكنائها وقيل وهبها لكم \* فأن قلت  
كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقال فانها محرمة عليهم  
وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه أحدها أنها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم

﴿ ولا تتردوا على أدباركم ﴾ ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبارة قيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصرى تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر أو لا تتردوا عن دينكم بالمصيان وعدم الوثوق على الله سبحانه وتعالى ﴿ فتقبلوا خاسرين ﴾ ثواب الدارين ويجوز في فتقبلوا الجزم على العطف والنصب على الجواب ﴿ قالوا يا موسى أن فيها قوما جبارين ﴾ متغلبين لاتأتى مقاومتهم والجبارة فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس على ما يريد ﴿ وأنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فأن يخرجوا منها فأنا داخلون ﴾ اذ لاطاقة لنا بهم

تردهم وعصيانهم الوجه الثانى ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كأنه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوفناذ خلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث ان هذا الوجدان مشروط بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم أربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وكانت مساكن لهم كما وعدهم الله تعالى ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تتردوا على أدباركم ﴿ يعنى ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على أعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا الامر الله الذى أمركم به وان فعلتم خلاف ما أمركم الله به ﴿ فتقبلوا خاسرين ﴾ يعنى فترجعوا خاسرين لانكم رددتم أمر الله ﴿ قوله عز وجل ﴾ قالوا ﴿ يعنى قوم موسى ﴾ يا موسى أن فيها ﴿ يعنى فى الارض المقدسة ﴾ قوما جبارين ﴿ يعنى قوما عاتين لاطاقة لنا بهم ولا قوة لنا بقتالهم وسما أولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا ذوى أجسام عظيمة وأشكال هائلة وهو العالقة بقية قوم عاد وأصل الجبار فى صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد وقيل انه مأخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لاتصل الايدى اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبارة من النخل ﴿ وأنا لن ندخلها ﴾ يعنى أرض الجبارين التى أمرهم الله بدخولها ﴿ حتى يخرجوا منها ﴾ حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من أرضهم ﴿ فأن يخرجوا منها فأنا داخلون ﴾ يعنى اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام ورجعوا اليه وأخبروه خبر القوم وما عاينوه منهم قال لهم موسى لا تخبروا بنى اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثنى عشر لما خرجوا من أرض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا بنى اسرائيل بما رأيتم فلما رجعوا وأخبروا موسى أمرهم أن لا يخبروا بنى اسرائيل بذلك فخالفوا أمره وتقضوا العهد وأخبر كل رجل من النقباء سبطه بما رأى الا يوشع بن نون وكالب فأنهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو اسرائيل بذلك وفشاد ذلك فيهم رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا فى أرض مصر ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل

( ولا تتردوا على أدباركم ) ولا ترجعوا على أعقابكم مدبرين منهزمين من خوف الجبارة جينا أو لا تتردوا على أدباركم فى دينكم ( فتقبلوا خاسرين ) فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة ( قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين ) الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى أجبره عليه وهو العاتى الذى يجبر الناس على ما يريد ( وأنا لن ندخلها ) بالقتال ( حتى يخرجوا منها ) بغير قتال ( فأن يخرجوا منها ) بلا قتال ( فأناداخلون ) بلادهم حينئذ

( ولا تتردوا على أدباركم ) لا ترجعوا الى خلفكم ( فتقبلوا خاسرين ) فترجعوا مغبونين بالعقوبة بأخذ الله المن والسلوى منكم ( قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين ) قتالين ( وأنا لن ندخلها ) أرض الجبارين ( حتى يخرجوا منها فأن يخرجوا منها فأناداخلون ) فيها

قال رجلان) كالب ويوشع (من الذين يخافون) الله ويخشونه كأنه قيل رجلان من المتقين وهو في محل الرفع صفة لرجلان وكذا (أنعم الله عليهما) بالخوف منه (ادخلوا عليهم الباب) أي باب المدينة (فاذا دخلتموه فانكم غالبون) أي انهزموا وكانت الغلبة لكم وانما علما ذلك باخبار موسى عليه السلام (وعلى الله فتوكلوا أن كنتم مؤمنين) اذا الايمان به يقتضى التوكل عليه وهو قطع العائق وترك التلق ٢٦١ ﴿ سورة المائدة ﴾ يا موسى انالن ندخلها) هذا نفي

لدخولهم في المستقبل على وجه

التوكيد (أبدا) تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاوول (ماداموا فيها) بيان للابد (فاذهب أنت وربك) من العلماء من جملة على الظاهر وقال انه كفر منهم وليس كذلك اذلو قالوا ذلك اعتقادا وكفروا به لخاربههم موسى ولم تكن مقاتلة الجبارين اولى من مقاتلة هؤلاء ولكن الوجه فيه ان يقال اذهب أنت وربك يعنيك على قتالك أو وربك أي وسيدك وهو أخوك الاكبر هرون أو لم يرد به حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة كأنهم قالوا أريد قتالهم (فقاتلا انا ههنا قاعدون) ما كثون لانقاتلهم لنصرة دينكم

(قال رجلان من الذين يخافون) اثني عشر رجلا خافوا من الجبارين (أنعم الله عليهما) بيقين الخطرات وهما يوشع بن نون وكالب

﴿ قال رجلان ﴾ كالب ويوشع ﴿ من الذين يخافون ﴾ أي يخافون الله سبحانه وتعالى ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبارة أسلموا سارا الى موسى عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف أي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهده انه قري الذين يخافون بالضم أي الخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة أي من الذين يخوفون من الله عز وجل بالتذكير أو يخوفهم الوعيد ﴿ أنعم الله عليهما ﴾ بالايان والتثيت وهو صفة ثانية لرجلين أو اعتراض ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ باب قريتهم أي باغتهم وضاعطوهم في المضيق وامنموهم من الاصحار ﴿ فاذا دخلتموه فانكم غالبون ﴾ لتعسر الكر عليهم في المضائق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون عليهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم أو معالما من عادة الله سبحانه وتعالى في نصره رسله وما عهدا من صنعه لموسى عليه الصلاة والسلام في قهر أعدائه ﴿ وعلى الله فتوكلوا أن كنتم مؤمنين ﴾ أي مؤمنين به ومصديقين لوعده ﴿ قالوا يا موسى انالن ندخلها أبدا ﴾ نفوا دخولهم على التأكيد والتأييد ﴿ ماداموا فيها ﴾ بدل من ابدا بدل البعض ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ﴾ قالوا ذلك

الرجل من بني اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا رأسا ونصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهما بالانصراف الى مصر خر موسى وهرون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان أخبر الله عنهما بقوله ﴿ قال رجلان من الذين يخافون ﴾ يعني يخافون الله ويراقبونه ﴿ أنعم الله عليهما ﴾ يعني بالهداية والوفاء بالعهد ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ يعني قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لبني اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم ﴿ فاذا دخلتموه فانكم غالبون ﴾ لان الله وعدكم بالنصر وان الله ينجي لكم وعده ﴿ وعلى الله فتوكلوا أن كنتم مؤمنين ﴾ يعني يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم ولا يهولكم عظم اجسامهم فانا قدر ايمانهم فكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما قال ذلك أراد بنو اسرائيل ان يرحوها بالحجارة وعصوا أمرهما وقالوا ما أخبر الله عنهم بقوله تعالى ﴿ قالوا يا موسى انالن ندخلها أبدا ﴾ يعني قال قوم موسى لموسى انالن ندخل مدينة الجبارين أبدا يعني مدة حياتنا ﴿ ماداموا فيها ﴾ يعني مقمين فيها ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ﴾ انما قالوا هذه المقالة لان مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوزون الذهاب والجي

ابن يوفنا) ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون (وعلى الله فتوكلوا) بالنصرة (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) ويقال وقال رجلان من الذين يخافون موسى خافوا من موسى وهما من الجبارين أنعم الله عليهما بالتوحيد لا آية (قالوا يا موسى انالن ندخلها) أرض الجبارين (ابداماداموا فيها فاذهب انت وربك) سيدك هرون (فقاتلا) فأن ربكما يعنيكما كما اغانكما على فرعون وقومه (انا ههنا قاعدون)

فلما عصوه وخالفوه ( قال { الجزء السادس } رب انى لأملك ) ﴿ ٢٦٢ ﴾ لنصرة دينك ( الانفسى وأخى )

استهانته بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك ﴿ قال رب انى لأملك الانفسى وأخى ﴾ قاله شكوى بشه حزنه الى الله وسبحانه وتعالى لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخى من يواخبنى فى الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسى أو على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير فى لا املك أو على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير فى نفسى ﴿ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه أو بالتباعد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم ﴿ قال فانها ﴾ فان الارض المقدسة ﴿ محرمة عليهم ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم

على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وأمر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب أنت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم انما ارادوا بقولهم وربك أخاه هرون لانه كان أكبر من موسى والاصح انهم انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وما قدر والله حق قدره ( خ ) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا لان أكون أنا صاحبه أحب الى مما عدل به أنى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكأنه سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسر قوله عز وجل ﴿ قال ﴾ يعنى موسى عليه السلام ﴿ رب ﴾ أى يارب ﴿ أنى لأملك الانفسى وأخى ﴾ يعنى انى لا املك الانفسى وأخى لا املك الانفسى وقيل معناه لأملك الانفسى ونفس أخى لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لأملك الانفسى وأخى وان كان معه فى طاعته يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا لا اختصاص هرون به ولمزيد الاعتناء باخيه ويحتمل ان يكون معناه وأخى فى الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو أخوه فى الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان فى قوله وأخى ثم قال ﴿ فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ أى افضل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعنى الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لانه لما رأى بنى اسرائيل وما فعلوه من مخالفة امر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب لذلك ودعاء عليهم فاجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام ﴿ قال ﴾ الله عز وجل ﴿ فانها محرمة عليهم ﴾ يعنى فان الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم أبدا

وهو منصوب بالعطف على نفسى أو على اسم ان أى انى لأملك الانفسى وان أخى لا املك الانفسى أو صرفوع بالعطف على محل ان واسمها أو على الضمير فى لا املك وجاز للفصل أى ولا املك أخى الا نفسه أو هو مبتدأ والخبر محذوف أى وأخى كذلك وهذا من البث والشكوى الى الله ورقة القلب التى يمثلها تستجيب الرحمة وتستنزل النصرة وكأنه لم يثق بالرجلين المذكورين كل الوثوق فلم يذكر الا النبي المعصوم أو أراد ومن يواخبنى على دينى ( فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ) فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما وعدنا وتحكم عليهم بما هم أهله وهو فى معنى الدعاء عليهم أو فاعد بيننا وبينهم وخليصنا من صحبتهم كقوله ونجى من القوم الظالمين ( قال فانها ) أى الارض المقدسة ( محرمة عليهم ) لا يدخلونها منتظرون ( قال رب ) قال موسى يارب ( انى لأملك الانفسى وأخى ) يقول لا أقدر الا على نفسى وأخى هرون ( فافرق بيننا ) فأقض بيننا ( وبين القوم الفاسقين ) العاصين ( قال ) الله يا موسى ( فانها محرمة عليهم ) الدخول فيها بعدما ( ولم )

﴿ أربعين سنة يتيهون في الارض ﴾ عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روى ان موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بن بقى من بنى اسرائيل ففتح اريحا و اقام بهما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر أخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله سبحانه وتعالى امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لني اسرائيل واما يتيهون أى يسكرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فرائخ يسرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلمهم من الشمس وعود من نور يطلع بالليل فيضئ لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرن كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهم و عقوبة لهم وانما ما تافيه فات هرون وموسى عليهما السلام بعده بستة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع

ولم يرد تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع فأوحى الله تعالى الى موسى بي حلفت لأحر من عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع وكالب ولا تيههم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التي كانوا يتجسسون فيها سنة ولا لقين جيفهم في هذه القفار وأما أبناؤهم الذين لم يعملوا الشرف فدخلونها فذلك قوله تعالى فأنها يعنى الارض المقدسة محرمة عليهم قال أكثر أهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل أن يكون تحريم تعبد فيجوز أن يكون الله تعالى أمرهم بان يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم ﴿ أربعين سنة ﴾ فن قال ان الكلام تم عند قوله فانها محرمة عليهم قال أربعين سنة يتيهون في الارض فأما الحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا ويدخلها أبناؤهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ يتيهون في الارض ﴿ يعنى يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير واختلنوا في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فرائخ وقيل ستة فرائخ في اثني عشر فرسخا وقيل تسع فرائخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة الف مقاتل وكانوا يرحلون ويسكرون يومهم أجمع فأذا أمسوا اذا هم في الموضع الذي رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لني اسرائيل ما خلا موسى وهرون ويوشع وكالب فان الله تعالى سهل عليه وأعانهم عليه كاسهل على ابراهيم النار وجعلها بردا وسلاما فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في هذا المقدار الصغير من الارض أربعين سنة بحيث لم يخرج منه أحد قلت هذا من باب خوارق العادات وخوارق العادات في أزمان الانبياء غير مستبعدة فان الله على كل شئ قدير وقيل ان فسرنا ذلك التحريم بتعبد زال هذا الاشكال لاحتمال ان الله ما حرم عليهم

وهو تحريم منع لا تحريم  
تعبد كقوله وحرمانا عليه  
المراضع والمراد بقوله  
كتب الله لكم أى بشرط  
أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا  
الجهاد قيل فانها محرمة  
عليهم والمراد فانها محرمة  
عليهم (أربعين سنة) فاذا  
مضى الاربعون كان ما كتب  
فقد سار موسى عليه السلام  
بن بقى من بنى اسرائيل  
وكان يوشع على مقدمته  
ففتحها وأقام فيها ما شاء الله  
ثم قبض وأربعين ظرف  
التحريم والوقف على سنة  
أو ظرف ( يتيهون في  
الارض) أى يسكرون فيها  
متحيرين لا يهتدون طريقا  
أربعين سنة والوقف  
على عليهم وانما عوقبوا  
بالحبس لاختيارهم المكث  
فكانوا مع شدة سيرهم  
يصبحون حيث أمسوا  
ويعسون حيث أصبحوا  
في ستة فرائخ ولما ندّم  
على الدعاء عليهم قيل له

سميتهم فاسقين (أربعين سنة  
يتيهون في الارض) يتحيرون  
في أرض التيه وهى سبع  
فرائخ لا يقدر ان  
يخرجوا ولا يهتدون سبيلا



الخروج من تلك الارض بل امر بالملك أربعين سنة في المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صيدهم ومخالفتهم أمر الله ولما حصل بنو اسرائيل في التيه شكوا الى موسى عليه السلام حالهم فأنزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ما هي قاعة لهم فينشأ الناس منهم فتكون معه على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه أن يسقيهم فأتى بحجر أبيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بمصاه فيخرج منه اثنا عشرة عينا لكل سبط منهم عين وأرسل الله عليهم الغمام يظلمهم في التيه ومات في التيه كل من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا وأختلوا في أن موسى عليه السلام مات في التيه أم خرج منه فقيل ان موسى وهرون ماتا في التيه جميعا

### ❦ قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام ❦

فأما هرون فإنه كان أكبر من موسى بسنة قال السدي أوحى الله عز وجل الى موسى اني متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فإذا بشجرة لم ير مثلها واذا بيت مبني وفيه سرير عليه فراش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت أعجبه وقال يا موسى اني احب أن انام على هذا السرير قال نعم قال اني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال لا تخف اني أكفيك رب هذا البيت فتم قال يا موسى فتم أنت معي فأن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض هرون رفع البيت والسرير الى السماء وهرون عليه وذبحت الشجرة فرجع موسى الى بني اسرائيل وليس هرون معه فقال بنو اسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هرون كان أخي أقتروني أقتله فلما اكثروا عليه قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هرون فنظر اليه وهو بين السماء والارض فصدقه ثم رفع وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون الى الجبل فأت هرون وبقي موسى فقال بنو اسرائيل لموسى أنت قتلته وأذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به علي بنو اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو اسرائيل أنه مات وبرأ الله موسى مما قالوه ثم ان الملائكة جلوه ودفنوه ولم يطلع على موضع قبره أحد الا الرخم فجعله الله أصم أبكم \* واما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحق كان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحجب اليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو وروح اليه ويقول له يا نبي الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله اليك حتى كنت أنت تبدي به وتدكره لي ولا يدكر له شيئاً فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه ففقا عينه فرجع الى ربه فقال ارسلني الى عبد لا يريد الموت فرد الله اليه (عينه)

عنه وقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما عطت يده من شعرة سنة قال  
 أي رب ثم مه قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله أن يدينه من الارض المقدسة رمية بحجر  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لا ريتكم قبره الى جانب الطريق عند  
 الكتيب الاجرو في رواية لمسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال أجب ربك قال فلطم  
 موسى عين ملك الموت ففقأها ثم ذكر معنى ما تقدم قال الشيخ محي الدين النووي قال  
 المازري وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصويره قالوا كيف يجوز على  
 موسى فقأ عين ملك الموت وأجاب عنه العلماء باجوبة أحدها أنه لا يتمتع أن يكون الله  
 قداماً لذو موسى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم والله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء  
 ويمتنعهم بما أراد والثاني أن موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد  
 نفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقأ عينه لأنه قصدها بالفقأ وتؤيده رواية صكه  
 وهذا جواب الامام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي  
 عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بأنه قصدهم فإنه قيل فقد اعترف موسى حين  
 جاءه ثانياً بأنه ملك الموت فالجواب انه أنه في المرة الثانية بعلمه أنه ملك الموت  
 فاستسلمه بخلاف المرة الاولى وأما سؤال موسى الادناء من الارض المقدسة فلشرفها  
 وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبياء وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في  
 المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلماء  
 وأما سؤال موسى الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف أن يكون قبره مشهوراً  
 عندهم فيفتن به الناس والله أعلم قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط  
 من الملائكة يحفرون قبراً لم ير شيئاً أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة  
 والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا العبد الكريم على ربه فقال ان  
 هذا العبد من الله بمنزلة ما رأيت كالיום قط فقالت الملائكة يا صفي الله تحب ان يكون لك  
 قال ووددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك فنزل واضطجع وتوجه الى ربه  
 عز وجل ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل  
 ان ملك الموت أنه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام  
 مائة سنة وعشرين سنة فلما مات موسى عليه السلام انقضت الاربعون سنة وبعث الله  
 يوشع الى بنى اسرائيل فاخبرهم ان الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وتابعوه فتوجه  
 بنى اسرائيل الى أريحا وهي مدينة الجبارين ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة  
 أريحا ستة أشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون وضحوا في الشعب ضجعة واحدة  
 فسقط سور المدينة فدخلوها وقتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت  
 العصابة من بنى اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل من الجبارة يضربونها حتى يقطعونها  
 وكان القتال والفتح يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت  
 فقال اللهم اردد على الشمس وقال للشمس انك في طاعة الله وأنا في طاعة الله وسأل الشمس أن  
 تقف والقمر أن يقف حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس ويريد

في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدوا ثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت كلها لبي اسرائيل وفرق عماله نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فلبياسي من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يدرجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت والجوهر قدغله رجل منهم فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا وهو ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاني من الانبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولم يبن بها ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقفها ولا رجل اشترى غنما او خلفات وهو ينتظر اولادها ففزا فدا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى قمع الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم غلولا فلبياسي من كل قبيلة رجل فلزقت يدرجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعتها فجاءت النار فأكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا أخرجه البخاري ومسلم

شرح غريب هذا الحديث

قوله لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها أي لم يدخل عليها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس انك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا قال الشيخ محي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت الى ورائها وقيل وقتت ولم ترد وقيل بطء حركتها وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال ان الذي حبست عليه الشمس يوشع ابن نون قال القاضي وقد روى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين احدهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوي وقال رواه ثقة والثانية صبحية ليلة الانسراء حين تنظر العير لما أخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في زيادته عن سيرة ابن اسحق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن في جبل افراتيم وكان عمره مائة سنة وستا وعشرين سنة وكان تديره امر بنى اسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة وقيل ان الذي قمع أريحاء هو موسى عليه السلام وكان يوشع بن نون على مقدمته فسار اليهم بمن بقي من بنى اسرائيل فدخلها يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله اليه ولا يعلم أحد قبره وهذا أصح الا قاويل لاتفاق العلماء أن موسى عليه السلام هو الذي قتل عوج بن عنق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم فقال رب اني لأملك الانفسى وأخى الآية فقال الله عز وجل فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى وأناه قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت

(فلاتأس على القوم الفاسقين) فلاتحزن ﴿ ٢٦٧ ﴾ عليهم لانهم فاسقون {سورة المائدة} قيل لم يكن موسى وهرون معهم

في التيه لانه كان عقابا وقد  
سأل موسى ربه ان يفرق  
بينهما وبينهم وقيل كانا  
معهم الا انه كان ذلك روحا  
لهما وسلاما لا عقوبة  
ومات هرون في التيه  
وموسى فيه بعده بسنة  
ومات الثقباء في التيه الا  
كالب ويوشع ثم أمر الله  
تعالى محمدا صلى الله عليه  
وسلم ان يقص على حاسديه  
ما جرى بسبب الحسنه  
ليتركوه ويؤمنوا بقوله  
(واتل عليهم) على أهل  
الكتاب (نبأ ابني آدم)  
من صلبه هابيل وقايل  
أوهما رجلان من بني  
اسرائيل (بالحق) نبأ  
ملتبسا بالصدق موافقلا  
في كتب الاولين أو تلاوة  
ملتبسة بالصدق والصحة  
أو واتل عليهم وأنت محق  
صديق (اذقربا) نصب  
بالنبأ أي قصتهما وحديثهما  
في ذلك الوقت أو بدل من النبأ  
أي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك  
الوقت على تقدير حذف  
المضاف (قربانا) ما يتقرب  
به الى الله من نسكة أو  
صدقة يقال قرب صدقة  
وتقرب بها لان تقرب  
مطواع قرب والمعنى اذقرب  
كل واحد منهما قربانه

﴿ فلاتأس على القوم الفاسقين ﴾ خاطب موسى عليه الصلاة والسلام لمأندم على  
الدعاء عليهم وبين انهم احقوا بذلك لفسقهم ﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم ﴾ قايل  
وهايل اوحى الله سبحانه وتعالى الى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توائم الآخر  
فسخط منه قايل لان توأمه كان اجل فقال لهما آدم قريبا قربانا فن ايكما قبل تزوجها  
فقبل قربان هابيل بانزلت نارفاكلته فازداد قايل سخطا وفعل ما فعل وقيل  
لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني  
اسرائيل ﴿ بالحق ﴾ صفة مصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق احوال من الضمير  
في اتل او من نبأ أي ملتبسا بالصدق موافقلا في كتب الاولين ﴿ اذقربا قربانا ﴾ ظرف

بنايا موسى فكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع المن والسلوى والبقول والتقى موسى  
وعوج فزما موسى في السماء عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طولها عشرة  
فاصاب كعب عوج فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى اياه قبل مصيره في التيه لم يجزع بنو  
اسرائيل لانه كان من أعظم الجبارين وروى عن نون قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع  
وقال وان أهل العلم باخبار الاولين مجمون على ان بلعم بن باعوراء كان ممن أغان الجبارين  
بالدعاء على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وستره قصته في سورة الاعراف  
ان شاء الله تعالى ﴿ وقوله عز وجل ﴾ فلاتأس على القوم الفاسقين يعني لا تحزن عليهم  
لانهم أهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لمأندم موسى على مادعا على قومه أوحى الله  
اليه فلاتأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجاز ان يكون خطابا لمحمد صلى الله  
عليه وسلم أي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصي ومخالفة الرسل ﴿ قوله  
عز وجل ﴾ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ﴿ يعني اذكر لقومك واخبرهم  
خبر ابني آدم وهما هابيل وقايل في قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن  
والضحك ان ابني آدم اللذين قربا القربان ما كانا ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني  
اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في آخر القصة من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه  
من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى  
قال في آخر الآية فبعث الله غرابا يبحث في الارض لان القتال جهل ما يصنع بالمقتول حتى  
تعلم من فعل الغراب بالحق أي اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا  
لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقييح الحسد لان المشركين  
وأهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اذقربا قربانا ﴾ القربان  
اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة أو ذبيحة أو نسك أو غير ذلك مما يتقرب به

﴿ ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قايل هابيل ﴾

ذكر أهل العلم بالاخبار والسير أن حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما  
وجارية فكان جميع ما ولدته أربعين ولدا في عشرين بطنا أولهم قايل وتوأمته  
اقلينا وآخرهم عبدالمغيث وتوأمته أم المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس

( فلاتأس ) فلاتحزن (على القوم الفاسقين واتل عليهم) اقرأ عليهم يا محمد (نبأ) خبر (ابني آدم بالحق) بالقرآن (اذقربا قربانا)

دليله (فتقبل من أحدهما) { الجزء الخامس } قربانه وهو ﴿ ٢٦٨ ﴾ هابيل (ولم يتقبل من الآخر) قربانه

لنبا أوحال منه اوبدل على حذف المضاف اى واتل عليهم نبأهما بنأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى من ذبيحة او غيرها كما كان الحلوان اسم ما يحلى به اى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأقمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جلا سميئا ﴿ فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر ﴾ لانه سخط حكم الله سبحانه وتعالى ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى اخس ما عنده ﴿ قال لأقتلك ﴾ توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك ﴿ قال انما يتقبل الله من المتقين ﴾ فى جوابه اى انما او تبت

لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا واختلوا فى مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمتة اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمتة لبودا فى بطن وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل وأخته فنجده عليهما وحا ولا وصبا ولا طلقا ولم ترد ما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمتة فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر أولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن أخرى وكان الرجل منهم يتزوج أية اخواته شاء غير توأمتة التى ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فكبر قابيل وأخوه هابيل وكان بينهما سنتان فلما بلغوا أمر الله آدم ان يزوج قابيل لبودا أخت هابيل وهابيل اقليما أخت قابيل وكانت اقليما أحسن من لبودا فذكر آدم ذلك لهما فرضى هابيل وسخط قابيل وقال هى أختى وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فقال أبوه آدم انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك وقال ان الله لم يأمرك بهذا وانما هو من رأيك فقال لهما آدم قرب الله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو أحق بها وكانت القرايين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فاكلها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تأكلها الطير والسباع فخر جامن عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام ردى وأضمر فى نفسه لا أبالى أيتقبل منى أم لا لا يتزوج أختى أحد غيرى وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى أحسن كبش فى غنمه فقرب به وأضمر فى نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى ﴿ فتقبل من أحدهما ﴾ يعنى هابيل ﴿ ولم يتقبل من الآخر ﴾ يعنى قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فأضمر لآخيه الحسد الى أن أتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فأتى قابيل هابيل وهو فى غنمه ﴿ قال لأقتلك قال ﴾ قال هابيل ولم تقتلنى قال قابيل لان الله تقبل قربانك ورد قربانى وتريد أن تتكح أختى الحسنة وأنكح اختك الدمية فيتحدث الناس بانك خير منى ويفخر ولدك على ولدى فقال هابيل وما ذنبى ﴿ انما يتقبل الله من المتقين

وهو قابيل روى أنه أوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخرو كانت توأمة قابيل أجل واسمها اقليما فحسده عليها أخوه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل يتزوجها فقيل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فآزاد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وهو قوله ( قال لأقتلك ) أى قال لهابيل ( قال انما يتقبل الله من المتقين ) وتقديره قال لم تقتلنى قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قربانى فقال انما يتقبل الله من المتقين وأنت غير متقى فانما أو تبت من قبل نفسك لانسلاخهما من لباس التقوى لامن قبل وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت قال انى أسمع الله يقول انما يتقبل الله

فتقبل من أحدهما) من هابيل ( ولم يتقبل من الآخر ) من قابيل ( قال ) قابيل لهابيل ( لأقتلك ) يا هابيل ( قال ) لم قال لان الله تقبل قربانك ولم يتقبل قربانى قال هابيل ( انما

( يعنى )

يتقبل الله من المتقين ) من الصادقين بالقول والفعل الزاكية القلوب ولم تكن

من المتقين (لئن بسطت) مددت (الى يدك) ﴿ ٢٦٩ ﴾ لتقتلني { سورة المائدة } ما أنا بباسط (بإمداد) (يدي)

مدنى وأبو عمرو وحفص  
(اليك لاقتلك أنى أخاف  
الله رب العالمين) قيل  
كان أقوى من القتال  
وأبطش منه ولكن تخرج  
عن قتل أخيه واستسلم  
له خوفاً من الله تعالى لان  
الدفع لم يكن مباحاً في ذلك  
الوقت وقيل بل كان ذلك  
واجباً فأن فيه اهلاك نفسه  
ومشاركة للقاتل في أعمه  
وانما معناه ما أنا بباسط  
يدي اليك مبتدئاً كقصدك  
ذلك منى وكان هابيل  
عازماً على مدافعتة اذا قصد  
قتله وانما قتله فتساقط على  
غفلة منه أنى أخاف حجازي  
وأبو عمرو (انى أريد)  
مدنى (ان تبوء) ان تحتمل  
أو ترجع (بأئى) بأثم  
قتلى اذا قتلتنى (وأئمك)  
الذى لاجله لم يتقبل  
قربانك وهو عقوق الاب  
والحسد والحقد وانما أراد  
ذلك لكفره برده قضية  
الله تعالى أو كان ظالماً وجزاء  
الظالم جائز ان يراد  
زاكى القلب (لئن بسطت)  
مددت (الى يدك لتقتلنى)  
ظلاماً (ما أنا بباسط) (بإمداد)  
(يدي اليك لاقتلك) ظلاماً  
(انى أخاف الله رب العالمين)

من قبل نفسك بترك التقوى لان قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى  
حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً لا في ازالته تحظه فان  
ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق ﴿ لئن بسطت الى يدك  
لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين ﴾ قيل كان هابيل  
أقوى منه ولكن تخرج عن قتله واستسلم له خوفاً من الله سبحانه وتعالى لان الدفع لم يجز بعد  
أو تخرجاً لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقبول ولا تكن عبد الله  
القاتل وانما قال ما أنا بباسط في جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأساً  
والتحرز من ان يوصفه ويطلق عليه ولذلك الكدالتى بالبلاء ﴿ انى اريد ان تبوء بأئى وأئمك

يعنى ان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان أحد القربانين مقبولاً  
دون الآخر ولان التقوى من أعمال القلوب وكان قد أضمر في قلبه الحسد  
لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال له انما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها  
من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فأجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل  
أن يكون خطاباً لبني صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين لبني صلى الله عليه وسلم  
انه انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقياً وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخباراً  
عن هابيل ﴿ لئن بسطت الى يدك ﴾ يعنى لئن مددت الى يدك ﴿ لتقتلنى ما أنا  
بباسط يدي اليك لاقتلك ﴾ يعنى ما أنا بمتنصر لنفسي بل استسلم لامر الله وقيل  
معناه ما كنت بمبتدئاً بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس  
ظلماً وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا أراد الرجل ان يقتل رجلاً تركه ولا يمتنع  
منه وقيل ان المقول كان أقوى من القتال وأبطش منه ولكنه تخرج عن قتل أخيه  
فاستسلم له خوفاً من الله فذلك قوله ﴿ أنى أخاف الله رب العالمين ﴾ والمعنى انى أخاف الله  
في بسط يدي اليك ان بسطتها لقتلك ان يعاقبنى على ذلك ﴿ قوله عز وجل اخباراً  
عن هابيل ﴾ انى اريد ان تبوء بأئى وأئمك ﴾ يعنى ترجع بأثم قتلى الى اسم معاصيك  
التي عملتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل انى اريد وارادة القتل والمعصية من  
الغير لا تجوز قلت أجاب ابن الانبارى عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لآخيه هابيل  
لاقتلك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الى يدك الآية فلم يرجع  
فلما رآه هابيل قد صمم على القتل وأخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك  
انى اريد ان تبوء بأئى وأئمك اى اذا قتلتنى ولم يندفع قتلك اياى الا بقتلى اياك  
فحينئذ يلزمك اثم قتلى اذا قتلتنى فكان هذا عدلاً من هابيل واليه أشار الزجاج  
فقال معناه ان قتلتنى فما أنا مرهيد ذلك فهذه الارادة منه بشرط أن يكون قاتلاً له  
والانسان اذا نعى أن يكون اثم دمه على قتله لم يل على ذلك وعلى هذا التأويل قال  
بعضهم معناه انى اريد ان تبوء بعقاب ائى وأئمك فحذف المضاف وما به بأثم به  
بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدى وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الارادة لكنه

بقتلك ظلاماً (انى اريد ان تبوء بأئى) أن تؤخذ بذنبي (وأئمك) ذنبك

{ الجزء السادس } وذلك جزاء ﴿ ٢٧٠ ﴾ الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه ﴿

فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴿ تليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلمك ارادة ان تحمل اثمى لوبسطت اليك يدي واثمك بسط يدك الى ونحوه المستبان ما قالوا فعلى البادى مالم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمى باثم قتل وبأثمك الذى لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد مصيبة اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لاحماله واقعا فايريد ان يكون لك لالى فالمراد بالذات ان لا يكون له لان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة ﴿ فطوعت له نفسه قتل اخيه ﴿ فسهلته له ووسعته من طاعه المرتع اذا اتسع وقرى فطوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعاها الى الاقدام عليه فطاعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله ﴿ فقتله فاصبح من الخاسرين ﴿ دينا ودنيا اذ بقى مدة عمره مطرودا محزوننا قيل قتل هابيل وهوابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه ﴿ روى انه لما قتله تحير في امره ولم يدبر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بنى آدم فبعث الله غرابين فاقتلا فقتل احدهما الآخر فحفره بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليرى لله سبحانه وتعالى اول الغراب

لما علم انه يقتله لاحماله ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلب الثواب فكأنه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة ﴿ فتكون من أصحاب النار ﴿ يعنى الملازمين لها ﴿ وذلك جزاء الظالمين ﴿ يعنى جهنم جزاء من قتل أخاه ظلما ﴿ قوله تعالى ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه ﴿ يعنى زينت له وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من أكبر الكبائر صار ذلك صار قاله عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه هذا القمل فمله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه ﴿ قال ابن جريح لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدركه فقتله فتمثل له ابليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعمله القتل فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف في موضع قتله فقال ابن عباس على جبل نور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدھا الاعظم وكان عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة ﴿ وقوله عز وجل ﴿ فأصبح من الخاسرين ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر دنياه وآخرته أما دنياه فاسخاط والديه وبقى بلا أخ واما آخرته فاسخط ربه وصار الى النار (ق) عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه أول من سن القتل ﴿ قوله عز وجل ﴿ فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه ﴿ قال أصحاب الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء

الذى لقب له دعى ( فتكون من أصحاب النار ) فتصير من أهل النار ( وذلك جزاء الظالمين ) النار جزاء المعتدين بالظلم ( فطوعت له نفسه ) فتابعته نفسه ( قتل أخيه ) على قتل أخيه ( فقتله ) فأصبح من الخاسرين ( فصار من المغبونين بالمعقوبة ) فبعث الله غرابا يبحث في الارض ( يشير التراب

من الارض ليوارى غرابا ميتا ( ليرى قابيل ) كيف يوارى ( يغطي ) سوءة أخيه ( عورة أخيه في التراب ) ( ولم )

وكيف حال من الضمير في يوارى والجملة ثانی مفعولى يرى والمراد بسوءة أخيه جسده الميت فإنه مما يستعجب ان يرى ﴿ قال ياويلتا ﴾ كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى ياويلتى احضرى فهذا اوانك والويل والويله الهلكة ﴿ اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوءة اخى ﴾ لاهتدى الى مثل ما اهتدى اليه وقوله فاوارى عطف على ان اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى ههنا لو عجزت لو اريت وقرى بالسكون على فان اوارى او على تسكين المنصوب تخفيفا ﴿ فاصبح من النادمين ﴾ على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وجهه على رقبته سنة أو أكثر على ما قيل وتلذه للغراب واسوداد لونه وتبرىء ابويه منه اذ روى انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيفا فقال بل قتله ولذلك اسود جسديك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله

ولم يدر ما يصنع به لانه أول ميت من بنى آدم على وجه الارض فقصده السباع لتأكله فحمله قابيل على ظهره في جراب أربعين يوما وقال ابن عباس رضى الله عنهما سنة حتى أروح وأنتن فأراد الله ان يرى قابيل سنته في موتى بنى آدم في الدفن فبعث الله غرابين فاقتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض يعنى يحفرها ويثر ترابها ليريه كيف يوارى سوءة أخيه يعنى ليرى الله أو يرى الغراب قابيل كيف يوارى ويسترجيفه أخيه فلما رأى ذلك قابيل من فعل الغراب ﴿ قال ياويلتا ﴾ أى لزمه الويل وحضره وهى كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية العظيمة وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب علم ان الغراب أكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل أخيه بسبب جهله وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال ياويلتا وفيه اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب ﴿ اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب ﴾ الذى وراى الغراب الآخر ﴿ فاوارى سوءة اخى ﴾ يعنى فاسترجيفته وعورته عن الاعين ﴿ فاصبح من النادمين ﴾ يعنى على جهله على ظهره مدة سنة لاعلى قتله وقيل انه ندم على قتل أخيه لانه لم ينتفع بقتله وسخط عليه أبواه واخوته فندم لاجل ذلك لاجل انه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله فلا جل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبدالله بن حنظب لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة أيام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى أين أخوك هاويل فقال ما أدرى ما كنت عليه رقبيا فقال الله تعالى ان دم أخيك لنا دىنى من الارض فلم تلت أخاك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده أبدا وبرى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وخضت الفواكه واغبرت الارض فقال آدم قد حدث

( قال ياويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب )  
 ( فاوارى ) عطف على  
 اكون ( سوءة اخى فاصبح من النادمين ) على قتله  
 لما تعب فيه من جهله وتحيره في أمره ولم يندم ندم التائبين أو كان الندم توبة لها خاصة أو على جهله لاعلى قتله وروى انه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيفا فقال بل قتله ولذا اسود جسديك فالسودان من ولده وما روى ان آدم رثاه بشعر فلا يصح لان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر ( قال ياويلتى اعجزت ) أضعفت عن الحيلة ( ان اكون مثل هذا الغراب ) فى الحيلة ( فاوارى ) فاغضى ( سوءة اخى ) عورة أخى بالتراب ( فاصبح من النادمين ) فصار نادما على ما لم يوار عورة أخيه ولم يكن نادما على قتله



من أجل ذلك

في الارض حدث فأتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل لما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيف قال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال تغيرت البلاد ومن عليها \* فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذى طعم ولون \* وقل بشاشة الوجه الملحح وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانباء كلهم في النهي سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم مرثيته قال لشيث يابني أنت وصي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرثي الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو أول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فردا المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزه شعرا وزاد فيه أبياتا منها ومالى لأجود بسكب دمع \* وهابيل تضمنه الضريح أرى طول الحياة على غما \* فهل أنا من حياتي مستريح قال الزمخشري وروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال أصحاب الاخبار فلما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدته حواء شيئا وتفسيره هبة الله يعنى انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق في كل ساعة وأنزل عليه حسين صحيفة وصار وصى آدم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لأن من من تراه فأخذ يبدأخته اقليما وهرب بها الى عدن من أرض اليمن فاتاه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد هافانصب أنت نار تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار وكان قابيل لا يعربه أحد الارماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه فقال ابن الاعمى لايه هذا أبوك قابيل فرما بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لايه قتلت أباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت أبي برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما مات قابيل عقلت إحدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه الى الشمس حيث دارت وعليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتاء فهو يعذب بذلك الى يوم القيامة قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من الطبول والزومور والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش حتى أغرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية قابيل أحد وأبقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة \* قوله عز وجل \* من أجل ذلك \* يعنى بسبب ذلك

(من أجل ذلك) بسبب ذلك وبعلمه وذلك اشارة الى القتل المذكور قيل هو متصل بالآية الاولى فيوقف على ذلك أى فاصبح من النادمين لاجل حمله ولاجل قتله وقيل هو مستأنف والوقف على النادمين ومن يتعلق بكتبتنا لابلاد من

(من أجل ذلك) من أجل قتل قابيل هابيل ظلما

كتبنا على بنى اسرائيل بسببه قضينا عليهم وأجل في الاصل مصدر أجل شرا اذا جناه استعمال في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اى من ان جررته اى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اى ابتداء الكتب وانشاؤه من أجل ذلك ﴿ أنه من قتل نفسا بغير نفس ﴾ اى بغير قتل نفس بوجوب الاقتصاص ﴿ أو فساد في الارض ﴾

القتل الذى حصل وقيل الأجل في اللغة الجناية يقال أجل عليهم شرا اى جنى عليهم شرا ﴿ كتبنا ﴾ اى فرضنا وأوجبنا ﴿ على بنى اسرائيل ﴾ فان قلت من أجل ذلك معناه من أجل مامر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بنى اسرائيل وهذا مشكل لانه لامناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بنى اسرائيل قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذى قبله والمعنى فاصبح من النادمين من أجل ذلك اى من أجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروي عن نافع انه كان يقف على قوله من أجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين وأصحاب المعانى على ان قوله من أجل ذلك ابتداء كلام وليس يوقف عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من أجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو اشارة الى مامر ذكره في هذه القصة من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى أنه حصلت له خسارة في الدين والدنيا والآخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى أنه حذر في أنواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقول من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل اى من أجل ذلك الذى ذكرنا في أثناء القصة من أنواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على القاتل فان قلت فعلى هذا تكون شريعة القصاص حكما ثابتا في جميع الامم فما الفائدة بتخصيصه بنى اسرائيل قلت ان وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والمثل الا أن التشديد المذكور ههنا في حق بنى اسرائيل غير ثابت في جميع الاديان والمثل لانه تعالى حكم في هذه الآية بان من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ولا يشك ان المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما أقدم عليه اليهود بالقتل بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بنى اسرائيل في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله أعلم بمراده ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أنه من قتل نفسا ﴾ يعنى قتل نفسا ظلما ﴿ بغير نفس ﴾ يعنى بغير قتل نفس لاعلى وجه الاقتصاص فيقادم قاتل النفس على وجه العدوان المحرم ﴿ أو فساد في الارض ﴾ هو عطف على بغير نفس يعنى وبغير فساد في الارض فيستحق به القتل لان القتل على أسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله

(كتبنا على بنى اسرائيل)  
خصهم بالذكروان اشترك  
الكل في ذلك لان التوراة أول  
كتاب فيه الاحكام ( أنه من  
قتل نفسا) الضمير للشان ومن  
شرطية ( بغير نفس )  
بغير قتل نفس ( أو فساد في  
الارض ) عطف على نفس  
اى بغير فساد في الارض  
وهو الشرك أو قطع الطريق  
وكل فساد يوجب القتل

(كتبنا على بنى اسرائيل)  
أوجبنا على بنى اسرائيل  
في التوراة ( انه من قتل  
نفسا بغير نفس) قتل نفسا  
متمدا ( أو فساد ) شرك  
( في الارض )

( فكانما قتل الناس جميعاً ) أى فى الذنب عن الحسن لان قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب العظيم ولو قتل  
الناس جميعاً لم يزد على ذلك ( ومن أحيائها ) ومن استنقذها من أسباب الهلكة من قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك  
( فكانما أحيى الناس جميعاً ) جعل قتل الواحد كقتل الجميع وكذلك الأحياء ترغيباً وترهيباً لان المتعرض لقتل النفس  
اذا تصور أن قتلها كقتل { الجزء السادس } الناس جميعاً ﴿ ٢٧٤ ﴾ عظم ذلك عليه فبسطه وكذا الذى

أو بغير فساد فيها كالشرك أو قطع الطريق ﴿ فكانما قتل الناس جميعاً ﴾ من حيث أنه هتك  
حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه أو من حيث ان قتل الواحد و قتل الجميع سواء فى  
استجلاب غضب الله سبحانه وتعالى والعذاب العظيم ﴿ ومن أحيائها فكانما أحيى الناس جميعاً ﴾  
أى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكانما فعل  
ذلك بالناس جميعاً والمقصود منه تعظيم قتل النفس وأحيائها فى القلوب ترهيباً عن التعرض لها  
وترغيباً فى المحاماة عليها ﴿ ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثير منهم بعد ذلك فى الأرض  
لم يفسر فون ) أى بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من أجل امثال تلك الجنابة وارسلنا  
اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدهم للامر وتجديداً للعهدكى يتعموا عنها كثير منهم  
يسرفون فى الأرض بالقتل ولا يباليون به وبهذا اتصلت الآية بما قبلها والاسراف التباعد  
عن حد الاعتدال فى الامر ﴿ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾ أى يحاربون

أو فساد فى الأرض ﴿ فكانما قتل الناس جميعاً ﴾ من أحيائها فكانما أحيى الناس جميعاً ﴿  
قال مجاهد من قتل نفساً محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلها بقتل الناس جميعاً ومن سلم  
من قتلها فكانما سلم من قتل الناس جميعاً وقال ابن عباس رضى الله عنهما من قتل نبياً وامام عدل  
فكانما قتل الناس جميعاً ومن شد عضدي أو امام عدل فكانما أحيى الناس جميعاً وقيل معناه  
ان من قتل نفساً محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعاً  
ومن أحيائها يعنى من غرق أو حرق أو وقع فى هلكة فكانما أحيى الناس جميعاً يعنى ان له  
من الثواب مثل ثواب من أحيى الناس جميعاً وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما  
استحل قتل الناس جميعاً لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل  
جميع الناس فقد سلموا منه قال أهل المعاني قوله ومن أحيائها على المجاز لان المحي هو الله تعالى  
فى الحقيقة فيكون المعنى ومن نجها من الهلاك فكانما نجى جميع الناس منه سئل الحسن عن هذا  
الآية أهى لنا كما كانت لنى اسرائيل فقال اى والذى لا اله غيره ما كانت دماء بنى اسرائيل أكرم  
على الله من دمائنا وقوله تعالى ﴿ ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ﴾ يعنى ولقد جاءت بنى اسرائيل  
رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات ﴿ ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك ﴾  
يعنى بعد مجي الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل ﴿ فى الأرض لم يفسر فون ﴾ يعنى  
بالقتل لا يشعرون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وانما قال تعالى ثم ان كثيرا منهم  
لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من كثير ﴿ قوله عز وجل  
﴿ انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى قوم

أراد احياءها اذا تصور ان  
حكمه حكم احياء جميع  
الناس رغب فى احيائها  
( ولقد جاءتهم ) أى بنى  
اسرائيل ( رسلنا ) رسلنا  
أبو عمرو ( بالبينات )  
بالآيات الواضحات ( ثم  
ان كثيرا منهم بعد ذلك )  
بعدهما كتبنا عليهم أو بعد  
مجي الرسل بالآيات ( فى  
الأرض لم يفسر فون ) فى القتل  
لا يباليون بمعصيته ( انما  
جزاء الذين يحاربون الله  
ورسوله ) أى أولياء الله

فكانما قتل الناس جميعاً )  
يقول وجبت عليه النار  
بقتل نفس واحدة  
ظلماً كما لو قتل الناس جميعاً  
( ومن أحيائها ) كف عن  
قتلها ( فكانما أحيى الناس  
جميعاً ) يقول وجبت له  
الجنة بعفو نفس واحدة  
كالوعفا الناس جميعاً ( ولقد  
جاءتهم ) يعنى الى بنى اسرائيل  
( رسلنا بالبينات ) بالامر  
والنهي والسلامات ( ثم  
ان كثيرا منهم ) من بنى

اسرائيل ( بعد ذلك ) بعد الرسل ( فى الأرض لم يفسر فون ) لمشركون ثم نزلت فى قوم هلال بن ( من )  
عومر لانهم قتلوا قوماً من بنى كنانة أرادوا الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا فقتلهم وأخذوا ما كان  
معهم من السلب فبين الله عقوبتهم يعنى قوم هلال وكانوا مشركين فقال ( انما جزاء ) مكافأة ( الذين يحاربون الله  
ورسوله ) يكفرون

من أهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يشأ يقتل وان يشأ يصلب وان يشأ يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك أيضا وقال الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأدع هلال ابن عويمر وهو أبو بردة الأسلمي على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاجم فرقوم من بني كنانة يريدون الإسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في قوم من عريضة وعكل أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وباعوه على الإسلام وهم كذبة فاستوخوا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل (ق) عن أنس بن مالك رضى الله أن ناسا من عكل وعريضة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالإسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن أهل ريف واستوخوا المدينة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بنودوراع وأمرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد الإسلام وقتلوا راعى النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في أثرهم فأمرهم فسمروا أعينهم وقطعوا أيديهم وأرجلهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يبحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين ان ذلك قبل أن تنزل الحدود وفي رواية للبخاري ان ناسا من عريضة اجتوا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا ابل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من يظلمهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمروا أعينهم وتركهم في الحرة يعضون الحجارة زاد في رواية قال أبو قتادة وأى شئ أشد مما صنع هؤلاء ارتدوا عن الإسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية أبي داود ان قوما من عكل أو قال من عريضة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتوا المدينة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وأمرهم ان يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من أول النهار فإرسل في آثارهم فما ارتفع النهار حتى جئ بهم فأمرهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال أبو قتادة فهؤلاء قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية له وأنزل الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا الآية.

في الحديث يقول الله تعالى { الجزء السادس } من أهانلى ﴿ ٢٧٦ ﴾ وليا فقد بارزنى بالمحاربة ( ويسعون في

الارض فسادا ) مفسدين ويجوز أن يكون مفعولا له أى للفساد وخبر جزاء ( ان يقتلوا ) وما عطف عليه وأفاد التشديد الواحد بعد الواحد ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان أفردوا القتل ( أو يصلبوا ) مع القتل ان جموا بين القتل وأخذ المال ( أو تقطع أيديهم وأرجلهم ) ان أخذوا المال ( من خلاف ) حال من الأيدي والأرجل أى مختلفة ( أو ينفوا من الارض ) بالحبس اذ لم يزيدوا على الاخافة

بالله ورسوله ( ويسعون في الارض فسادا ) يعملون في الارض بالمعاصي وهو القتل وأخذ المال ظلما ( أن يقتلوا ) يقول جزاء من قتل ولم يأخذ المال القتل ( أو يصلبوا ) يقول جزاء من قتل وأخذ المال ظلما الصلب ( أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ) اليد اليمنى والرجل اليسرى يقول جزاء من أخذ المال ولم يقتل قطع اليد والرجل ( أو ينفوا من الارض ) أو يحبسوا في السجن حتى يبدو صلاحهم وتظهر توبتهم يقول جزاء من يخوف الناس على الطريق ولم يأخذ المال ولم يقتل

أولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهم تعظيما وأصل الحرب السلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بالصوصية وان كانت في مصر ﴿ ويسعون في الارض فسادا ﴾ أى مفسدين ويجوز نصبه على العلة أو المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون في الارض فسادا ﴿ أن يقتلوا ﴾ أى قصاصا من غير صلب ان أفردوا القتل ﴿ أو يصلبوا ﴾ أى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في أنه يقتل ويصلب أو يصلب حيا ويترك أو يطعن حتى يموت ﴿ أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ﴾ تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ان أخذوا المال ولم يقتلوا ﴿ أو ينفوا من الارض ﴾ ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يمكنون من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النقي بالحبس وأوفى الآية على

قوله انا كنا أهل ضرع يعنى أهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من أهل المدن والريف هو الارض التي فيها زرع وخصب والجمع أرياف قوله استوخو المدينة يعنى انها لم توافق مزاجهم وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه والذود من الأبل ما بين الثلاثة الى العشرة والحرة هى أرض ذات حجارة سود وهى هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة وقوله فسمروا عينهم معناه انه حصى مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب بصرها وقوله وينهى عن المثلة المثلة أن تقطع أطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القليل أن يقطع أنفه وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختاف العلماء في حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمر والمثلة وقيل ان هذه الآية ناسخة لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل أن تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلما من الله تعالى اياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم ان المحاربة لله غير ممكنة وفي معناها للعلماء قولان أحدهما ان المحاربين لله هم المخالفون أمره الخارجون عن طاعته لان كل من خالف أمر انسان فهو حرب له فيكون المعنى مخالفون الله ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثانى معناه يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف ﴿ ويسعون في الارض فسادا ﴾ يعنى بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس وأخذ الاموال وقطع الطريق واختلوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الاوزاعى ومالك والليث بن سعد والشافعى وقال ابو حنيفة المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى ﴿ أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ﴾ وللعلماء في لفظه أو المذكورة في هذه الآية قولان أحدهما انها للتخيير وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد

( وهو )

ولم يأخذ المال ولم يقتل

هذا التفصيل وقيل انه للتخيير والامام خبير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ﴿ ذلك لهم خزي في الدنيا ﴾ ذل وفضيحة ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ لعظم ذنوبهم ﴿ الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ﴾ استثناء مخصوص بما هو حق الله سبحانه وتعالى ويدل عليه قوله تعالى ﴿ فاعلموا ان الله غفور رحيم ﴾ اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لاجوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها

( ذلك ) المذكور ( لهم خزي في الدنيا ) ذل وفضيحة ( ولهم في الآخرة عذاب عظيم ) الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فتسقط عنهم هذه الحدود لاما هو حق العباد ( فاعلموا ان الله غفور رحيم ) ينفر لهم بالتوبة ويرحمهم

السجين ( ذلك ) الذي ذكرت ( لهم خزي ) عذاب ( في الدنيا ) لهم في الآخرة عذاب عظيم شديد أشد مما يكون في الدنيا لمن لم يتب ثم بين عفو لمن تاب فقال ( الا الذين تابوا ) من الكفر والشرك ( من قبل ان تقدروا عليهم ) بالأخذ ( فاعلموا ان الله غفور ) متجاوز ( رحيم ) لمن تاب

وهو ان الامام مخير في أمر المحاربين فان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفي من الارض كما هو ظاهر الآية والقول الثاني ان لفظه أولييان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول أكثر العلماء لان الاحكام تختلف فترتبت هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قطاع الطريق قال اذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا واذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعتم أيديهم وأرجلهم من خلاف واذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا ما نفوا من الارض وهذا قول قتادة والاوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصب حيا ثم يطعن في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل أولا ويصلى عليه ثم يصب واعما يجمع بين القتل والصلب اذا قتل وأخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجرا لغيره عن الاقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الارض المذكور في الآية فقيل ان الامام يطلبهم في كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبدالعزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة وأهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض لان المحبوس لا يرى أحدا من أحبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من الارض في الحقيقة الامن تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول ان عمر بن الخطاب أول من حبس في السجن يعني من هذه الامة وقال احبسه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه الى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى ﴿ ذلك ﴾ يعني الذي ذكر في هذه الآية من الحدود ﴿ لهم ﴾ يعني للمحاربين ﴿ خزي في الدنيا ﴾ أي عذاب وهوان وفضيحة ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينبئ العذاب العظيم عنهم في الآخرة لان المسلم اذا عوقب بجناية في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشيئة ان شاء عذبه بجناته ثم يدخله الجنة وان شاء عفا عنه وأدخله الجنة هذا مذهب أهل السنة ﴿ وقوله عز وجل ﴾ الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ﴿ يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحبهم لله ورسوله ومن السعي في الارض بالفساد من قبل ان تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم عليهم بشئ من العقوبات المذكورة في الآية المتقدمة ﴿ فاعلموا ان الله غفور ﴾ يعني لمن تاب من الشرك ﴿ رحيم ﴾ يعني به اذا

بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة  
المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا  
اليه الوسيلة ﴾ أي ما يتوسلون به الى ثوابه والزلفي منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسيل  
الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة ﴿ وجاهدوا في سبيله ﴾  
بمخاربة أعدائه الظاهرة والباطنة ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ بالوصول الى الله سبحانه وتعالى  
والفوز بكرامته ﴿ ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض ﴾ من صنوف الاموال

رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم أهل التفسير ان المراد بهذا الاستثناء المشرك  
المحارب اذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله تعالى  
في هذه الآية وانه لا يطالب بشيء مما أصاب من مال أو دم قال أبو اسحق جعل الله التوبة  
للكفار تدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا لهم الى الدخول  
في الاسلام فهذا حكم المشرك المحارب اذا آمن وأصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم  
يطالب بشيء بالاجاع واما المسلم المحارب اذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه فقال السدي هو  
كالكافر اذا آمن لم يطالب بشيء الا اذا أصيب عنده مال بعينه فانه يرد على أهله وهذا مذهب مالك  
والاوزاعي غير ان مالك قال يؤخذ بالدم اذا طلب به وليه فأما ما أصاب من الدماء والاموال ولم  
يطلبها أو لياؤها فلا يتبعه الامام بشيء من ذلك وهذا حكم على بن أبي طالب في حارثة بن زيد  
رضي الله عنهما وكان قد خرج محاربا فتاب قبل أن يقدر عليه فامنه على نفسه وكذلك جاء  
رجل من مراد الى أبي موسى الأشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعد ما صلى المكتوبة  
فقال يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان المرادى كنت قد حاربت الله  
ورسوله وسعيت في الارض بالفساد واني قد تبيت من قبل أن يقدر على فقام أبو  
موسى فقال هذا فلان المرادى وانه كان حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا  
وانه قد تاب من قبل أن يقدر عليه فلا يتعرض له أحد الا بخير وقال الشافعي يسقط عنه  
تبوته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه ما كان من حقوق بني آدم من قصاص  
أو مظلمة من مال أو غيره وأما اذا تاب بعد القدرة عليه فظاهر الآية ان التوبة لا تنفعه  
وتقام عليه الحدود وقال الشافعي ويحتمل أن يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة  
﴿ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ أي خافوا الله بترك المنهيات  
﴿ وابتغوا اليه الوسيلة ﴾ يعني واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضى وانما  
قلنا ذلك لان مجامع التكليف محصورة في نوعين لثالث لهما أحد النوعين ترك المنهيات  
واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى بالطاعات واليه الاشارة  
بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر  
\* ان الرجال لهم اليك وسيلة \* أي قربة وقيل معنى الوسيلة المحبة أي تحببوا الى الله  
عز وجل ﴿ وجاهدوا في سبيله ﴾ أي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته ﴿ لعلكم  
تفلحون ﴾ يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل  
مكروه والفوز بكل محبوب ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض

فلا يعذبهم (يا أيها الذين آمنوا)  
اتقوا الله فلا تؤذوا عباد الله  
( وابتغوا اليه الوسيلة )  
هي كل ما يتوسل به أي  
يتقرب من قرابة أو صنعة  
أو غير ذلك فاستعيرت لما  
يتوسل به الى الله تعالى من  
فعل الطاعات وترك السيئات  
( وجاهدوا في سبيله لعلكم  
تفلحون ان الذين كفروا  
لو ان لهم ما في الارض

( يا أيها الذين آمنوا )  
بمحمدا والقرآن ( اتقوا الله )  
فما امركم ( وابتغوا اليه  
الوسيلة ) الدرجة الرفيعة  
ويقال اطلبوا اليه القرب  
في الدرجات بالاعمال  
الصالحات ( وجاهدوا  
في سبيله ) في طاعته ( لعلكم  
تفلحون ) لكي تنجوا من  
السخطة والعذاب وتأمنا  
( ان الذين كفروا ) بمحمدا  
والقرآن ( لو ان لهم ما في  
الارض ) من الاموال

جميعا) من صنوف الاموال (ومثله معه) ﴿٢٧٩﴾ وانفقوها (ليقتدوا به) (سورة المائدة) ليجملوه فدية لانفسهم ولومع ما في

خيزه خبران ووحد الراجع  
في ليققدوا به وقد ذكر  
شيآن لانه أجرى الضمين  
مجرى اسم الاشارة كانه  
قيل ليققدوا بذلك ( من  
عذاب يوم القيامة ماتقبل  
منهم ولهم عذاب أليم )  
فلايسيل لهم الى الهجاة  
بوجه (يريدون) يطلبون  
أويتمنون ( أن يخرجوا  
من النار وماهم بخارجين  
منها ولهم عذاب مقيم )  
دائم (والسارق والسارقة)  
ارتقعا بالابتداء والخبر  
محذوف تقديره وفيما يتلى  
عليكم السارق والسارقة  
أو الخبر (فاقطعوا أيديهما)  
أي يديهما والمراد اليدين  
بدليل قراءة عبد الله من مسعود  
ودخول الفاء لتضمنهما  
معنى الشرط لان المعنى  
والذي سرق والتي سرت  
فاقطعوا أيديهما والاسم  
الموصول يضمن معنى الشرط  
وبدأ بالرجل لان السرقة  
(جميعا ومثله معه) ضعفه معه  
(ليقتدوا به) ليقادوا به  
أنفسهم ( من عذاب يوم  
القيامة ماتقبل منهم ) الفداء  
(ولهم عذاب أليم) وجميع  
(يريدون ان يخرجوا  
من النار) بتحويل حال  
الى حال (وماهم بخارجين  
منها) من النار (ولهم عذاب مقيم) دائم لا يتقطع (والسارق) من الرجال يعنى طعمة (والسارقة) من النساء (فاقطعوا أيديهما)

﴿ جميعا ومثله معه ليققدوا به ﴾ ليجملوه فدية لأنفسهم ﴿ من عذاب يوم القيمة ﴾  
واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد  
الضمير في به والمذكور شيآن اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان  
بين ذلك أولان الواو في ومثله بمعنى مع ﴿ ماتقبل منهم ﴾ جواب او ولو بما في خيزه  
خبران والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لاسبيل لهم الى الخلاص منه ﴿ ولهم  
عذاب أليم ﴾ تصرح بالمقصود منه وكذلك قوله ﴿ يريدون ان يخرجوا من النار  
وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وماهم  
بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾  
جلتان عند سيويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة  
عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي

جميعا ومثله معه ليققدوا به من عذاب يوم القيمة ماتقبل منهم ﴿ يعنى ان الكافر  
لوملك الدنيا ودنيا أخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيامة  
لم يقبل منه ذلك الفداء ﴾ ولهم عذاب أليم ﴿ المقصود من هذا أن العذاب  
لازم للكفار وانه لاسبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه (ق) عن أنس  
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون أهل النار  
عذابا لو كانت لك الدنيا كلها أكنت مفقديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت منك  
أيسر من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة فايت  
الا لشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية البخاري قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أ رأيت  
لو كان لك مل الأرض ذهباً أ كنت تفقدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت  
ما هو أيسر من ذلك أن لا تشرك بي ﴿ يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين  
منها ﴾ فيه وجهان أحدهما انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن  
لا يستطيعون ذلك قيل اذا حلهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدر  
عليه والوجه الثاني أنهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم ﴿ ولهم عذاب مقيم ﴾  
يعنى ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبدا ﴿ قوله عز وجل ﴾ والسارق  
والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴿ قال ابن السائب نزلت في طعمة بن أبيرق وقد منا قصته  
في سورة النساء وانما سمي السارق سارقا لانه يأخذ الشيء الذي ليس له أخذه في خفاء  
ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتداء لانه لم يقصدوا احد بعينه  
انما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين قاله الحسن  
والثعبي والسدي وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا أيانها وانما قال  
أيديهما ولم يقل يديهما لانه أراد يميننا من هذا ويمينا من هذه فجمع فانه ليس للانسان  
الا يمين واحدة وكل شيء موحد من أعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا  
جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور أهل اللغة من رؤس الاصابع الى

منها ) من النار (ولهم عذاب مقيم) دائم لا يتقطع (والسارق) من الرجال يعنى طعمة (والسارقة) من النساء (فاقطعوا أيديهما)



سرت وقرى بالنصب وهو المختار في امثاله لأن الانشاء لا يقع خبرا الا بضمار وتأويل  
والسرقة أخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والمأخوذ ربع  
دينار أو ميساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء  
خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصاييح والمراد  
بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى  
كافي قوله تعالى فقد صفت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليداسم لتسام العضو  
ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسخ لانه عليه الصلاة  
والسلام أتى بسارق فأمر بقطع يمينه منه ﴿جزاء بما كسبنا نكالا من الله﴾  
منصوبان على المفعول له أو المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا ﴿والله عزيز حكيم

من الجراءة وهي في الرجال  
أكثر وأخر الزانى لان  
الزنا ينبعث من الشهوة  
وهي في النساء أوفروقطعت  
اليد لانها آلة السرقة ولم  
تقطع آلة الزنا تفسادا عن  
قطع النسل (جزاء بما كسبنا)  
مفعول له (نكالا من الله)  
أى عقوبة منه وهو يدل  
من جزاء (والله عزيز)  
غالب لا يعارض في حكمه  
(حكيم) فيما حكم من قطع  
يد السارق والسارقة

الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع \* وقوله عز وجل ﴿جزاء بما كسبنا﴾  
يعنى ذلك القطع جزاء على فعلهم ﴿نكالا من الله﴾ يعنى عقوبة من الله ﴿والله  
عزيز﴾ فى انتقامه من عصاه ﴿حكيم﴾ يعنى فيما أوجبه من قطع يد السارق

### فصل فى بيان حكم الآية (وفيه مسائل) المسئلة الاولى

اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فى السرقة (ق) عن عائشة ان قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا من  
يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه الأسامة بن زيد حب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع  
فى حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال أما هلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا  
سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن  
فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها \* وعن عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتمها  
أخرجها النساءى (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال لعن الله السارق يسرق البيضة فقطع يده ويسرق الحبل فقطع يده قال الاعشى  
يرون انه بيض الحديد وان من الحبال ميساوى دراهم أخرجه البخارى ومسلم أما  
السارق الذى يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث  
عهد بالاسلام ولا يعلم أن السرقة حرام فلا قطع عليه

ايانها (جزاء بما كسبنا) عقوبة  
بما سرقا (نكالا من الله)  
شينا من الله لهم (والله  
عزيز) بالنقمة من السارق  
(حكيم) حكم عليهم بالقطع

### المسئلة الثانية

اختلف العلماء فى قدر النصاب الذى يقطع به فذهب أكثر العلماء الى انه ربع دينار  
فان سرق ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار يقطع وهذا قول أبى بكر وعمر وعثمان  
وعلى وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعى والشافعى ويدل عليه ما روى عن عائشة  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق الا فى ربع دينار فصاعدا  
أخرجاه فى الصحيحين وذهب مالك وأحمد واسحق الى انه ثلاثة دراهم أو قيمتها لما روى

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقاً في مجن قيمته ثلاثة دراهم أخرجته الجماعة المجن الترس ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن أبي ليلى لما روى عن أنس قال قطع أبو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجته النسائي وقال الرواية الأولى أصح وذهب قوم إلى أنه لا قطع في أقل من ديناراً وعشرة دراهم يروى ذلك عن ابن مسعود وإليه ذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة لما روى عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قطع في مجن قيمته ديناراً وعشرة دراهم أخرجته أبو داود فإذا سرق نصاباً من المال من حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القلع بسرقته مادون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القلع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر أيضاً عندهم وإليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بالآية فإن قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرقه من حرز أو غير حرز

### المسئلة الثالثة

الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيّم التي يسكنها الناس ويحفظون أمتعتهم فيها فكل حرز وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب أو مغلّق فاما ما كان في غير بناء ولا خيمة فانه ليس بحرز الا أن يكون عنده من يحفظه أما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي وأحمد وقال ابن أبي ليلى والثوري والاوزاعي وأبو حنيفة لا قطع عليه فان سرق شيئاً من غير حرز كثر من بستان لا حارس له أو حيوان في برية ولا راعي له أو متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من أصاب فيه منه من ذى حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشيء منه فعليه غرامة مثله والعقوبة ومن سرق منه شيئاً بعد أن يؤويه الجرين فبلغ عن المجن فعليه القلع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بائنا المجمة وبعدها باه موحدة من تحت ثم نون وهو ما يحمله الانسان في حضنه وقيل هو ما يأخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله وأسفله والجرين موضع التمر الذي يحفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن أبي حسين المكي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في عمر معلق ولا في حريسة الجبل فاذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ عن المجن هكذا رواه مالك منقطعاً وهو رواية من حديث عبد الله بن عمر والمتقدم فان هذا الرواية عن أبي حسين عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء

فمن تاب ﴿ من السراق ﴾ ﴿ من بعد ظلمه ﴾ أي بعد سرقة ﴿ وأصلح ﴾ أمره بالتفصي  
عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها ﴿ فان الله يتوب عليه ان الله عفور رحيم ﴾ يقبل  
توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لأن فيه حق المسروق منه

من يحمل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من  
يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس في الجبل اذا سرق قطع لانه ليس  
بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل أن تصل مأواها  
والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تأوى اليه الماشية بالليل عن جابر ان النبي صلى الله  
عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع أخرجه الترمذي والنسائي

### المسئلة الرابعة

اذا سرق مال له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال  
ابنه أو العبد يسرق من مال سيده أو الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على  
أحد من هؤلاء فيه

### المسئلة الخامسة

اذا سرق أول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله  
اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب أكثرهم الى  
انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق  
بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروي هذا عن أبي بكر وهو قول قتادة  
وبه قال مالك والشافعي لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال في السارق ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي  
بغير سند وذهب قوم الى انه ان سرق بعدما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل  
يحبس وروى عن علي انه قال انى أستحي أن لأدع له بدا يستنجي بها ولا رجلا  
يمشى بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال أحمد وأصحاب الرأي قوله  
عز وجل ﴿ فمن تاب من بعد ظلمه ﴾ يعنى من بعد ما ظلم نفسه بالسرقه ﴿ وأصلح ﴾  
يعنى وأصلح العمل في المستقبل ﴿ فان الله يتوب عليه ﴾ يعنى فان الله يعفوله ويتجاوز  
عنه ﴿ ان الله عفور ﴾ يعنى لمن تاب ﴿ رحيم ﴾ به

### فصل

وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثر  
العلماء لان الحد جزاء على الجنائية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ماضى  
والعزم على تركه في المستقبل عن أبي أمية الخزومي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أتى بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ما اخطاك سرت فقال بلى فاعاد عليه مرتين او ثلاثا ما كل ذلك يعترف فامر به  
فقطع ثم جى به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال

( الرجل )

( فن تاب ) من السرقة  
( من بعد ظلمه ) سرقة  
( وأصلح ) يرد المسروق  
( فان الله يتوب عليه )  
يقبل توبته ( ان الله عفور  
رحيم ) يعفر ذنبه ويرجه

( فن تاب من بعد ظلمه )  
سرقة وقطعه ( وأصلح )  
فيما بينه وبين ربه بالتوبة  
( فان الله يتوب عليه )  
يتجاوز عنه ( ان الله عفور )  
متجاوز ( رحيم ) لمن تاب

( ألم تعلم ) يا محمد وأيا مخاطب ( ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ) من مات على الكفر ( ويفر لمن يشاء ) لمن تاب عن الكفر ( والله على كل شيء ) من التعذيب ﴿ ٢٨٣ ﴾ والمغفرة { سورة المائدة } وغيرهما ( قدس ) قادر وقدم التعذيب

على المغفرة هنا تقدم السرقة على التوبة ( يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ) أى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أى في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاته المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب أى وقع فيه سرعاً فكذلك مسارعهم في الكفر وقوعهم فيه أسرع شئ إذا وجدوا فرصة لم يحطوها ( من الذين قالوا ) تبين لقوله الذين يسارعون في الكفر ( آمناً ) مفعول قالوا ( بافواهم ) متعلق بقالوا أى قالوا بافواهم آمناً ( ولم تؤمن قلوبهم ) في محل النصب

( ألم تعلم ) ألم تخبر يا محمد في القرآن ( أن الله له ملك خزائن السموات والارض يعذب من يشاء ) من كان أهلاً لذلك ( ويفر لمن يشاء ) من كان أهلاً لذلك ( والله على كل شيء ) من الغفران وغيره ( قدس يا أيها الرسول ) يا محمد ( لا يحزنك الذين يسارعون ) يسارعون

﴿ ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض ﴾ الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام اول لكل احد ﴿ يعذب من يشاء ويفر لمن يشاء والله على كل شيء ﴾ قدس ﴿ قدم التعذيب على المغفرة آتياً على ترتيب ما سبق أولان استحقاق التعذيب مقدم أولان المراد به القطع وهو في الدنيا ﴾ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴿ أى صنع الذين يقعون في الكفر سرعاً أى في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة ﴾ من الذين قالوا آمناً بافواهم ولم تؤمن قلوبهم ﴿ أى من المنافقين والبهالة متعلقة بقالوا آمناً والواو تحتل الحال

الرجل أستغفر الله وأتوب اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه أخرجه أبو داود والنسائي بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقياً عنده يجب عليه أن يرده الى صاحبه وتقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يتمتع احدهما بالآخر والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه ألم تعلم أيها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعنى ان الله مديبر أمر ما في السموات والارض ومصرفه وخالق من فيها وما لكه لا يتمتع عليه شئ مما اراده فيها لان ذلك كله في ملكه واليه أمره ﴿ يعذب من يشاء ويفر لمن يشاء ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعذب من يشاء على الصغيرة ويفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويفر لمن يشاء بالتوبة عليه فيتقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضان الى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو انه تعالى أخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء وأراد الاعتراض لاحد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله ﴿ والله على كل شيء ﴾ قدس ﴿ يعنى انه تعالى قادر على تعذيب من أراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من أراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ يا أيها الرسول ﴾ هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشریف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا أيها النبي في مواضع من كتابه وبيأ أيها الرسول في موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وقوله ﴿ لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ يعنى لا تهتم بمولاتهم الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم ﴿ من الذين قالوا آمناً بافواهم ولم تؤمن قلوبهم ﴾ يعنى المنافقين لانهم أظهروا الايمان بالقول وكتبوا الكفر وهذه صفة المنافقين

( في الكفر ) في الولاية مع الكفار في الدنيا والآخرة ( من الذين قالوا آمناً بافواهم ) بالسنتهم قالوا صدقنا بقلوبنا ( ولم تؤمن ) لم تصدق ( قلوبهم ) قلوب المنافقين يعنى عبدالله بن أبى وأصحابه

والعطف ﴿ ومن الذين هادوا ﴾ عطف على من الذين قالوا ﴿ سماعون للكذب ﴾  
 خبر محذوف أي هم سماعون والضمير للفريقين اولذين يسارعون ويجوز  
 ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره أي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما  
 مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول أي قائلون لما يفتريه الاحبار اولعلة  
 والمفعول محذوف أي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه ﴿ سماعون لقوم آخرين  
 لم يأتوك ﴾ أي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجاووا عنك تكبرا وافرطا  
 في البغضاء والمعنى على الوجهين أي مصفون لهم قائلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم  
 وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتأكيد أي  
 سماعون ليكذبوا القوم آخرين

﴿ ومن الذين هادوا ﴾ أي وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين  
 أحدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله ﴿ سماعون للكذب ﴾  
 ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين  
 هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعين للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند  
 قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب أي  
 ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قائلون الكذب أي يسمعون الكذب  
 من رؤسائهم ويقبلونه منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كاتقول لا تسمع من  
 فلان أي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل أن يكذبوا عليك وذلك انهم  
 كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون  
 سمعنا منه كذا وكذا ولم يسموا ذلك منه بل كذبوا عليه ﴿ وقوله عز وجل ﴾ ﴿ سماعون ﴾  
 يعني بني قريظة يعني انهم جواسيس وعيون ﴿ لقوم آخرين ﴾ وهم أهل خير  
 ﴿ لم يأتوك ﴾ يعني أهل خير لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال علماء التفسير ان رجلا وامرأة من اشراف يهود خير زنيا وكانا محصنين  
 وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجهما لغيرهما فقالوا  
 ان هذا الرجل يثير بغضنا على الله عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكن الضرب  
 فاسلوا الى اخوانكم بني قريظة فأنهم جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا  
 رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين اذا أحصنا ما حدما فأن  
 أمركم بالحد فأقبلوا منه وأن أمركم بالرجم فأحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم  
 الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم انكم جيران  
 هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد  
 أحصنا فحجب ان تسألوه عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير اذا والله  
 يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد

على الحال ( ومن الذين هادوا ) معطوف على من الذين قالوا أي من المنافقين واليهود ويرتفع ( سماعون للكذب ) على أنه خبر مبتدأ مضمرة أي هم سماعون والضمير للفريقين أو سماعون مبتدأ وخبره من الذين هادوا وعلى هذا يوقف على قلوبهم وعلى الاول على هادوا ومعنى سماعون للكذب يسمعون منك ليكذبوا عليك بان يسخروا ما سمعوا منك بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير ( سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ) أي سماعون منك لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيون اليلغوهم ما سمعوا منك

( ومن الذين هادوا ) يهود بني قريظة كتب واصحابه ( سماعون للكذب سماعون ) قول الزور ( لقوم آخرين ) لاهل خير ( لم يأتوك ) يعني أهل خير فيما حدث فيهم ولكن سأل عنهم بنو قريظة

وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية اذا أحضنا ما أحدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية الرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن سوريا ووصفه له فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أرمداً أبيض أعور يسكن فداك يقال له ابن سوريا قالوا نعم قال فأبى رجل هو فيكم فقالوا هو أعلم يهودى ببقى على وجه الارض بما أنزل الله على موسى عليه السلام في التوراة قال فأرسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن سوريا قال نعم قال أنت أعلم يهودى قال كذلك يقولون فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود يجعلونه بنى وبينكم قالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن سوريا نأشدتك بالله الذى لا اله الا هو الذى أنزل التوراة على موسى وأخرجكم من مصر وقلق لكم البحر وأنجىكم وأغرق آل فرعون وبالذى ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على المحسن فقال ابن سوريا اللهم نعم والذى ذكرتى به لولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ان كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابكم يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول انه أدخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليهما الرجم فقال ابن سوريا والذى أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله فى التوراة على موسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فما كان اول ما ترخصتم به فى أمر الله تعالى فقال ابن سوريا كنا اذا أخذنا الشريف تركناه واذا أخذنا الضعيف أقننا عليه الحد فكثير الزانى فى أشرفنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجه ثم زنا رجل آخر فى امرأة من قومه فأراد الملك رجه فقام قومه دونه وقالوا والله لا نرجه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد أربعين جلدة بحبل مطلى بقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاق بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن سوريا ما أسرع ما أخبرته وما كنت لما أنينا عليك باهلاً ولكنك كنت غائباً ففكرهنا أن نقتابك فقال لهم ابن سوريا انه قد ناشدنى بالتوراة ولولا خشيت أن ينزل علينا العذاب ما أخبرته فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهما فرجا عند باب المسجد وقال اللهم انى أول من أحيا أمرك اذا ماتوه فانزل الله هذه الآية ( ق ) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم فقالوا نفضمهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام كذبت ان فيها الرجم فانوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع

﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ أى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تمييز وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجراءه فى غير موردہ والجملة صفة اخرى تقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه

يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجا قال فرأيت الرجل ينحني على المرأة يقيها الحجارة وفى رواية اخرى لهما قال أنى النبي صلى الله عليه وسلم برجل وأمرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ماتصنعون بهما قالوا نفحم وجوههما ونخزيهما قال فأتوا بالتوراة فأتلوهما ان كنتم صادقين فجاؤه بها فقال لرجل ممن يرضون أعور اقرأ فقرا حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد ان فيها الرجم ولكننا نتكلمه بيننا فامر بهما فرجا فرأيته ينحني زاد فى رواية اخرى فرجا قريبا من موضع الجنائز تقرب المسجد (م) عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى محم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزانى فى كتابكم قال لا ولولا انك نشدتنى بهذا لم أخبرك بحد الرجم ولكنه كثر فى أشرافنا فكنا اذا أخذنا الشريف تركناه واذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شئ نقيم على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انى اول من أحيا امركا ذاتا ماتوه فامر به فرجم فانزل الله يأبىها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر الى قوله ان أوتيم هذا فنخذه يقول اثوا محمدا فان امركم بالتحميم والجلد فنخذه وان امركم بالرجم فاحذروه فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون فى الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحجم وهو الفحم وقوله ماتجدون فى التوراة فى شأن الرجم قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لزامهم بما يتقدونه فى كتابهم ولعله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى اليه ان الرجم فى التوراة الموجودة فى أيديهم لم يغيروه كما غيروا أشياء منها أو أخبره بذلك من أسلم من أهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما فى حديث ابن عمر المتفق عليه ولذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتبه ﴿ قوله عز وجل ﴿ يحرفون الكلم ﴾ يعنى يغيرون حدود الله التى أوجبها عليهم فى التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون ما يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبرى يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به ﴿ من بعد مواضعه ﴾ يعنى من بعد ان وضعه الله

( يحرفون الكلم من بعد مواضعه ) أى يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع يحرفون صفة تقوم كقوله لم يأتوك أو خبر مبتدأ محذوف أى هم يحرفون والضمير مردود على لفظ الكلم

( يحرفون الكلم ) يغيرون صفة محمذ ونفته والرجم على المحصن والمحصنة اذا زنيا (من بعد مواضعه ) من بعد بيانه فى التوراة

( يقولون ان أوتيتم هذا ) المحرف المزال عن مواضعه ويقولون مثل يحرفون وجاز أن يكون حالا من الضمير في يحرفون ( فخذوه ) واعلموا انه الحق واعملوا به ( وان لم تؤتوه ) واقفناكم محمد بخلافه ( فاحذروا ) فأياكم وياه فهو الباطل روى ان شريف زنى بشريفة بخير ٢٨٧ وهما محصنان { سورة المائدة } وهدما الرجم في التوراة ففكر هو ارجهما

لشرفهما فبعثوا رهطاً منهم ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان أمركم بالجلد والتعميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا تقبلوا فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به (ومن يرد الله فتنته) ضلالتة وهو حجة على من يقول يرد الله الايمان ولا يريد الكفر ( فلن تملك له من الله شيئاً ) قطع رجاء محمد صلى الله عليه وسلم عن ايمان هؤلاء ( أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ) عن الكفر لعلمه منهم اختيار الكفر وهو حجة لنا عليهم

( يقولون ) يعنى الرؤساء للسفلة ويقال المنافقون عبدالله بن أبي واحبائه ( أن أوتيتم هذا ) ان أمركم محمد صلى الله عليه وسلم بالجلد ( فخذوه ) فاقبلوا منه واعملوا به ( وأن لم تؤتوه ) ان لم يأمركم بالجلد محمد وأمركم بالرجم ( فاحذروا ) يعنى ان لم يكن يوافقكم على ماتطلبون وأمركم بغيره فاحذروا

اواستثاف لاموضع له اوفى موضع الرفع خبر المحذوف اى هم يحرفون وكذلك يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه \* اى ان أوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به \* وان لم تؤتوه \* بل افتناكم محمد بخلافه \* فاحذروا \* اى احذروا قبول ما افتناكم به روى ان شريفان خير زنى بشريفة وكانا محصنين ففكر هو ارجهما فامرهم بالرجم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا قامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن سوريا حكما بينه وبينهم وقاله انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر ل موسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوشبوا عليه فقال خفت ان كذبت ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجا عند باب المسجد \* ومن يرد الله فتنته \* ضلالتة او فضيخته \* فلن تملك له من الله شيئاً \* فلن تستطيع له من الله شيئاً في دفعها \* أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم \* من الكفر وهو كاترى نص على فساد

مواضعه وفرض فروضه وأحل حلاله وحرم حرامه فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعها انهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب وأما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم جمعوا بين الامرين يعنى انهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب في قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة الى التأويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب بالكلية \* وقوله عز وجل \* يقولون \* يعنى اليهود \* ان أوتيتم هذا فخذوه \* يعنى أن افتناكم محمد بالجلد والتعميم فاقبلوا منه \* وان لم تؤتوه فاحذروا \* يعنى وان لم يفتكم بذلك وأفتناكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه \* ومن يرد الله فتنته \* يعنى كفره وضلالتة \* فلن تملك له من الله شيئاً \* يعنى فلن تقدر على دفع أمر الله فيه \* أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم \* قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ان يخاص نيأهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفي هذه الآية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشرك والشرك ولو فعل ذلك لآمن

ولا تقبلوا منه قال الله عز وجل ( ومن يرد الله فتنته ) يعنى كفره وشركه ويقال فضيخته ويقال اختباره ( فلن تملك له من الله ) من عذاب الله ( شيئاً أولئك ) يعنى اليهود والمنافقين ( الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ) من المكر والخيانة والاصرار على الكفر



أيضا (لهم في الدنيا خزي) للمنافقين فضيحة ولليهود جزية (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أي التخليد في النار (سماعون للكذب) كرر للتأكيد { الجزء السادس } هم سماعون ﴿ ٢٨٨ ﴾ ومثله (أكلون للسحت) وهو كل ما لا يحل

كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وفي الحديث هو الرشوة في الحكم وكانوا يأخذون الرشاة على الاحكام وتحليل الحرام وبالتفصيل مكي وبصري وعلى (فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه أهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم بينهم وقيل نسخ التخيير بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا) فلن يقدرُوا على الاضرار بك لان الله تعالى

(لهم في الدنيا خزي) عذاب بالقتل والاجلاء (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) أعظم مما يكون لهم في الدنيا (سماعون) قوالون (للكذب أكلون للسحت) للرشوة والحرام بتغيير حكم الله (فان جاؤك) يا محمد يعني بني قريظة والنضير ويقال أهل خيبر (فاحكم بينهم) بين بني قريظة والنضير بالرجم ويقال بين أهل خيبر (أو أعرض عنهم) أنت بالخيار (وأن تعرض عنهم) ولا تحكم بينهم (فلن يضروك شيئا)

قول المعتزلة ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استأقف بقوله ومن الذين والأفلاقيين ﴿ سماعون للكذب ﴾ كرهه للتأكيد ﴿ أكلون للسحت ﴾ أي الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابوعمر والكسائي ويعقوب في المواضع الثمثة بضمين وهما الفتان كالعناق والعناق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر ﴿ فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴾ تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا لزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والآية ليست في أهل الذمة وعندنا حنيفة يجب مطلقا ﴿ وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ﴾ بان يعادوك

وهذه الآية من أشد الآيات على القدرية ﴿ لهم في الدنيا خزي ﴾ يعني للمنافقين واليهود أما خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك أستارهم باظهار نفاقهم وكفرهم وأما خزي اليهود فباخذ الجزية والقتل والسبي والاجلاء من أرض الحجاز الى غيرها ﴿ ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود ﴿ قوله عز وجل ﴾ سماعون للكذب أكلون للسحت ﴿ نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرانه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم منهم اذا أتاه أحدهم برشوة حملها في كفه ثم يريها اياه ويتكلم بماجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهي السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشى والسحت كله حرام تحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا تكون له بركة ولا آخذة مروهة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم \* عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشى في الحكم أخرجه الترمذي وأخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمر بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحاكم اذا رشوته ليحق لك باطلا أو يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فن شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يندفع بها ظلما فاهدى بها اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فتمال الاخذ على الحكم كفر قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فالتكهم الكافرون ﴿ قوله عز وجل ﴾ فان جاؤك ﴿ يعني اليهود ﴾ فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا ﴿ خير الله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدى نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير

( قتل )

لن ينقصوك شيئا

لا عرضك عنهم فان الله سبحانه وتعالى يعصمك من الناس ﴿ وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾  
أى بالعدل الذى أمر الله به ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ فيحفظهم ويعظم شأنهم

قتل أحدهما الآخر قال ابن زيد كان حي بن أخطب قد جعل للنضيرى ديتين والقرظى دية واحدة لأنه كان من بنى النضير فقالت قريظة لانرضى بحكم حي وتحاكم الى محمد فأنزل الله هذه الآية يخبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى الحكم بينهم

فصل

اختلف علماء التفسير فى حكم هذه الآية على قولين أحدهما انها منسوخة وذلك أن أهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء أعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما أنزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدى والقول الثانى انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شأوا حكموا بينهم وان شأوا أعرضوا عنهم وهذا القول مروى عن الحسن والشعبى والنخعى والزهرى وبه قال أحد لانه لامنافاة بين الآيتين أما قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ففيه تخيير بين الحكم والاعراض وأما قوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازى ومذهب الشافعى انه يجب على حاكم المسلمين أن يحكم بين أهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان فى امضاء حكم الاسلام صفارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم أن يحكم بينهم بل يتخير فى ذلك وهذا التخيير المذكور فى هذه الآية مخصوص بالمعاهدين وأما اذا تحاكم مسلم وذمى وجب على الحاكم الحكم بينهم لايختلف القول فيه لانه لايجوز للمسلم الانقياد لحكم أهل الذمة والله أعلم ﴿ وقوله عز وجل ﴾ ﴿ وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ﴾ يعنى بالعدل والاحتياط ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ يعنى العادلين فيما ولوا وحكموا فيه ﴿ م ﴾ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا هذان من أحاديث الصفات فن العلماء من قال فيه وفى أمثاله تؤمن بها ولا نتكلم فى تأويلها ولا نعرف معناها لكن نقتدان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا مذهب جاهير السلف وطوائف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتأويل يليق بها وهذا قول أكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضى عياض المراد بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين مأخوذة من اليمين وقوله وكلتا يديه يمين مبنى على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى الله عن ذلك فانها مستحيلة فى حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو وضم اللام المحففة هكذا ذكره الشيخ محيى الدين النووى

يعصمك من الناس ( وان  
حكمت فاحكم بينهم بالقسط )  
بالعدل ( ان الله يحب  
المقسطين ) العادلين  
وان حكمت فاحكم بينهم بين  
بنى قريظة والنضير ويقال  
بين اهل خير ( بالقسط )  
بالرجم ( ان الله يحب المقسطين )  
العادلين بكتاب الله العادلين

{ الجزء السادس } وعندهم التوراة ﴿ ٢٩٠ ﴾ فيها حكم الله ) تعجيب من تحكيمهم

( وكيف يحكمونك لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به فيها حكم الله حال من التوراة وهي مبتدأ وخبره عندهم ) ثم يتولون من بعد ذلك ) عطف على يحكمونك أي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يعرضون به ( وما أولئك بالمؤمنين ) بك أو بكتابتهم كما يدعون ( انا أنزلنا التوراة فيها هدى ) يهدى للحق ( ونور ) بين ما استنبه من الاحكام ( يحكم بها النبيون الذين أسلموا ) انتقادوا والحكم الله في التوراة وهو صفة أجريت للنبيين على سبيل المدح وأريد باجرائها التعريض باليهود لأنهم بعداء من ملأه الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم ( للذين هادوا ) تابوا من الكفر واللام يتعلق بحكم بالرجم ( وكيف يحكمونك ) على وجه التعجيب في الرج ( وعندهم التوراة فيها ) في التوراة ( حكم الله ) يعني الرج ( ثم يتولون من بعد ذلك ) من بعد البيان في التوراة والقرآن ( وما أولئك بالمؤمنين ) بالتوراة

﴿ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ﴾ تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال أن الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كومة ودودة ﴿ ثم يتولون من بعد ذلك ﴾ ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابتهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب ﴿ وما أولئك بالمؤمنين ﴾ بكتابتهم لا عرضهم عنه أو لا وعيا بواقفه ثانيا أوبك وبه ﴿ انا أنزلنا التوراة فيها هدى ﴾ يهدى الى الحق ﴿ ونور ﴾ يكشف عما استنبه من الاحكام ﴿ يحكم بها النبيون ﴾ يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به ﴿ الذين أسلموا ﴾ صفة أجريت على النبيين مدحهم وتوبيخا بشأن المسلمين وتعريضاً باليهود وأنهم يعزل عن دين الانبياء عليهم الصلاة والسلام وافتاء هديهم ﴿ للذين هادوا ﴾ متعلق بانزل

في شرح مسلم قال ومعناه وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة ﴿ هذا تعجيب من الله تعالى لنبية محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يمجدون نبوته طلبا للرخصة لاجرم أن الله تعالى أظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين ثم أعرضوا عن حكمه وفي الآية تقرير لليهود والمعنى وكيف يحملونك حكما بينهم ويعرضون بحكمك وعندهم التوراة ﴿ فيها حكم الله ﴾ يعني الرج الذي تجاكو اليك من أجله ﴿ ثم يتولون من بعد ذلك ﴾ يعني ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم ﴿ وما أولئك ﴾ يعني اليهود ﴿ بالمؤمنين ﴾ يعني بكتابتهم كما يزعمون وقيل معناه وما أولئك بالمصدقين لك ﴿ قوله عز وجل ﴾ انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴿ سبب نزول هذه الآية استفاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مينة حجة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومينة ما تجاكو فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول على بيان أحكام التوحيد والتبوت والمعاد ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾ أراد بالنبيين الذين بعثوا بموسى عليه السلام وذلك ان الله بعث في بني اسرائيل الوفا من الانبياء وليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة وأحكامها ومعنى أسلموا أي انتقادوا لأمر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لأنهم بعدوا عن الاسلام الذي هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهرى وعكرمة وقتادة والسدى يحتمل أن يكون المراد

( انا أنزلنا التوراة على موسى (فيها) في التوراة (هدى) من الضلالة (ونور) بيان الرج (بحكم بها) بالتوراة (النبيون) (بالتبيين) الذين أسلموا ) الذين كانوا مسلمين من لدن موسى الى عيسى وبينهما الف نبي بين الذين أسلموا (للذين هادوا ) الآباء الذين

معطوفان على النبيون أى  
الزهاد والعلماء ( بما  
استحفظوا ) استودعوا قيل  
ويحوز أن يكون بدلا من  
بها في يحكم بها ( من كتاب  
الله ) من النبيين والضمير في  
استحفظوا الانبياء والريائيون  
والاحبار جميعا ويكون  
الاستحفاظ من الله أى  
كلفهم الله حفظه أول للريائيون  
والاحبار ويكون الاستحفاظ  
من الانبياء ( وكانواعليه  
شهداء ) رقباء لثلا يبدل  
( فلا تخشوا الناس ) نهى  
للحكام عن خشيتهم غير الله  
في حكوماتهم وامضائها  
على خلاف ما أمر وابه من  
العدل خشية سلطان ظالم  
أو خيفة أذية أحد  
( واخشون ) في مخالفة  
أمرى وبالياه فيهما سهل  
واقفه أبو عمرو في الوصل  
هادوا ( والريائيون )  
يقول وكان يحكم بها  
الريائيون العلماء واصحاب  
الصوامع دون الأنبياء  
( والاحبار ) سائر العلماء  
( بما استحفظوا من كتاب الله )  
بما عملوا ودعوا من كتاب الله  
( وكانوا عليه ) على الرجم  
( شهداء فلا تخشوا الناس )  
في اظهار صفة مجد ونمته  
والرجم ( واخشون )

أو يحكم أى يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين أنبياءهم ﴿ والريائيون  
والاحبار ﴾ زهادهم وعلماءهم السالكون طريقة أنبيائهم عطف على النبيون ﴿ بما  
استحفظوا من كتاب الله ﴾ بسبب أمر الله إياهم بأن يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف  
والراجع الى ما حذف ومن النبيين ﴿ وكانوا عليه شهداء ﴾ رقباء لا يتركون ان يغيروا  
أوشهداء بينون ما يخفى منه كإفعل ابن صوريا ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ نهى

بالنبيين الذين أسلوا هو محمد صلى الله عليه وسلم واتخاذ كره بلفظ الجمع تعظيما وتشريفا له  
صلى الله عليه وسلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم  
في التوراة قال ابن الانبارى هذا رد على اليهود والنصارى لأن الانبياء عليهم السلام  
ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى متقادين لأمره ونهيه  
للاذين هادوا يعنى لليهود يعنى يحكم بالتوراة لهم وفيما بينهم ويحملهم على أحكامها كما  
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعلهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم  
على ما أرادوه من الجلد وقال الزجاج وجائز أن يكون المعنى على التقديم والتأخير على  
معنى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلوا  
﴿ والريائيون والاحبار ﴾ أما الريائيون فتقدم تفسيره في سورة آل عمران وأما  
الاحبار فقال ابن عباس هم الفقهاء وقيل هم العلماء الاحبار واحده حبر يقع الحاء  
وكسرهما لغتان وقاله الفراء انما هو حبر بكسر الحاء وانما سمي به لمكان الحبر الذي يكتب به  
وذلك لانه صاحب كتاب وقال أبو عبيد انما هو حبر يقع الحاء والحبر العالم لما سبق من  
أثر علومه في قلوب الناس وافعاله الحسنة التي يقتدى بها وجهه أحبار ومنه كعب الاحبار  
وقيل الحبر الاثر المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره  
وسيره أى جباله وبهاؤه وانما سمي العالم حبرا لما عليه من أثر جبال العلم وهل  
فرق بين الريائيين والاحبار أم لافيه خلاف قبيل لافرق والريائيون والاحبار  
يعنى واحدهم العلماء والفقهاء وقيل الريائيون أعلى درجة من الاحبار لأن الله  
تعالى قدمهم في الذكر على الاحبار وقيل الريائيون هم الولاة والحكام والاحبار هم  
العلماء وقيل الريائيون علماء النصارى والاحبار علماء اليهود ومعنى الآية يحكم بالحكام  
التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الريائيون والاحبار ﴿ وقوله عز وجل ﴾ ﴿ بما  
استحفظوا من كتاب الله ﴾ يعنى بما استودعوا من كتاب الله وقيل هو ان يحفظوا  
كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو أن يحفظوه فلا يضيعوا أحكامه وشرائعه وقد أخذ الله  
على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في  
صدورهم ويندسونه بألسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه  
فاذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه ﴿ وكانوا عليه شهداء ﴾ يعنى ان هؤلاء النبيين  
والريائيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون أنه حق وصدق  
وأنه من عند الله ﴿ فلا تخشوا الناس واخشون ﴾ هذا خطاب للحكام اليهود والذين

للحكام أن يخشوا غير الله في حكوماتهم ويدهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير  
 ولا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها ﴿ثمنا قليلا﴾ هو الرشوة والجاه  
 ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ مستهينا به منكره ﴿فأولئك هم الكافرون﴾ لاستهانتهم  
 به وعمردهم بأن حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون فكفرهم  
 لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز أن يكون كل واحدة  
 من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها أو لطائفة

كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا أحدا من الناس في اظهار  
 صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعني في كتمان ذلك ﴿ولا تشتروا  
 بآياتي ثمنا قليلا﴾ يعني ولا تستبدلوا بآيات الله وأحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة  
 في الاحكام والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما هيتمت عن تغيير الاحكام لاجل  
 خوف الناس كذلك أمها كم عن التغيير والتبديل لأجل الطمع في المال والجاه وأخذ  
 الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾  
 يعني أن اليهود لما انكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير  
 واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم  
 والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآيات الثلاث وهي قوله ومن لم يحكم  
 بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم  
 يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث  
 نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة لا يقال  
 انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول ما روى  
 عن البراء بن عازب قال أنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم  
 الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم  
 الفاسقون في الكفار كلها أخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما أنزل الله  
 فأولئك هم الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث في اليهود خاصة قريظة  
 والنضير أخرجه أبو داود وقال مجاهد في هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما أنزل الله  
 رد الكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به فقد  
 كفر ومن أقربه ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس أيضا واختيار الزجاج  
 لانه قال من زعم ان حكما من أحكام الله تعالى التي أتت بها الانبياء باطل فهو كافر وقال  
 طاوس قلت لابن عباس أ كافر من لم يحكم بما أنزل الله فقال به كفر وليس بكفر ينقل  
 عن الملة مكن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روى عن  
 عطاء قال هو كفر دون الكفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث  
 عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر  
 وظلم وفسق واليه ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله

( ولا تشتروا بآياتي ) ولا

تستبدلوا بآيات الله  
 وأحكامه (ثمنا قليلا) وهو  
 الرشوة وابتغاء الجاه  
 ورضا الناس (ومن لم يحكم  
 بما أنزل الله ) مستهينا به  
 ( فأولئك هم الكافرون )  
 قال ابن عباس رضى الله  
 عنهما من لم يحكم جاحدا  
 فهو كافر وان لم يكن جاحدا  
 فهو فاسق ظالم وقال ابن  
 مسعود رضى الله عنه هو  
 عام في اليهود وغيرهم

في كتمانها ( ولا تشتروا بآياتي )  
 بكتمان صفة النبي صلى الله  
 عليه وسلم ونعته وآية الرجم  
 ( ثمنا قليلا ) عرضا يسيرا  
 من المأكلة ( ومن لم يحكم  
 بما أنزل الله ) يقول ومن  
 لم يبين ما بين الله في التوراة  
 من صفة محمد ونعته وآية  
 الرجم ( فأولئك هم الكافرون )  
 بالله والرسول والكتاب

(وكتبنا عليهم فيها) وفرضنا على ﴿ ٢٩٣ ﴾ اليهود في التوراة {سورة المائدة} (أن النفس) مأخوذة

(بالنفس) مقتولة بها اذا  
قتلها بغير حق (والعين)  
مفقوأة (بالعين والانتف)  
مجدوع (بالانتف والاذن)  
مقطوعة (بالاذن والسن)  
مقلوعة (بالسن والجروح  
قصاص) أي ذات قصاص  
وهو المقاصة ومعناه ما يمكن  
فيه القصاص والافحكومة  
عدل وعن ابن عباس  
رضي الله عنهما كانوا  
لا يقتلون الرجل بالمرأة  
فزلت وقوله أن النفس  
بالنفس بدل على أن المسلم  
يقتل بالذمي والرجل  
بالمرأة والحربا لعبد نصب  
نافع وعاصم وحزة  
المعطوفات كلها للعطف  
على ما علمت فيها أن ورفعها على  
العطف على محل أن النفس لان

(وكتبنا عليهم) فرضنا  
على بني إسرائيل (فيها)  
في التوراة ( أن النفس  
بالنفس) عمداء وفاء (والعين  
بالعين) عمداء وفاء (والانتف

كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى  
﴿ وكتبنا عليهم ﴾ وفرضنا على اليهود ﴿ فيها ﴾ في التوراة ﴿ أن النفس بالنفس ﴾ أي  
ان النفس تقتل بالنفس ﴿ والعين بالعين والانتف بالانتف والاذن بالاذن والسن بالسن ﴾  
رفعها الكسائي على أنها جمل معطوفة على أن وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل  
وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتابة والقراءة تقعان على الجمل  
كالقول أو مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوأة بالعين والانتف مجدوعة بالانتف  
والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن أو على أن المرفوع منها معطوف على  
المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والجرور  
حال ميبنة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن وفي اذنيه باسكان الذال حيث وقع  
﴿ والجروح قصاص ﴾ أي ذات قصاص وقرأ الكسائي ايضا بالرفع وواقفه ابن كثير

ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره وأما من خفي عليه النص أو أخطأ في التأويل فلا يدخل  
في هذا الوعيد والله أعلم بمراده ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴿  
يعنى وفرضنا على بني إسرائيل في التوراة أن نفس القاتل بنفس المقتول وفاقا فيقتل به  
وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على الزاني المحصن الرجم واخبر ان اليهود بدلوه  
وغيروه وأخبر أيضا ان في التوراة ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا  
الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير على بني قريظة فكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة  
ادوا اليهم نصف الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير ادوا اليهم الدية كاملة فغيروا  
حكم الله الذي أنزله في التوراة قال ابن عباس أخبر الله بحكمه في التوراة وهو أن  
النفس بالنفس والعين بالعين والانتف بالانتف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح  
قصاص قال فالهم يخالفون فيقتلون النفس بالنفس ويفقون العين بالعين ومعنى الآية  
ان قاتل النفس يقتل بها اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعي أنه لا يقتل مسلم بكافر لما صح  
من حديث علي بن أبي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر الحديث  
أخرجاه في الصحيحين ﴿ وقوله عز وجل ﴾ والعين بالعين ﴿ يعنى تقفأ بها ﴿ والانتف  
بالانتف ﴿ يعنى يمدح به ﴿ والاذن بالاذن ﴿ يعنى تقطع بها ﴿ والسن بالسن ﴿  
يعنى تقلع بها وأما سائر الاطراف والاعضاء فيجرحى فيها القصاص كذلك ﴿ وقوله  
عز وجل ﴿ والجروح قصاص ﴾ يعنى فيما يمكن ان يقتص منه وهذا تعميم بعد  
التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانتف والاذن فخص هذه الاربعة  
بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه  
كاليد والرجل والذكر والاثنين وغيرها وأما ما لا يمكن القصاص فيه كرض في الح  
أو كسر في عظم أو جراحة في بطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك وفيه  
الارش والحكومة واعلم ان هذه الآية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا في التوراة  
فن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة في شرعنا

بالانتف) عمداء وفاء (والاذن بالاذن) عمداء وفاء (والسن بالسن) عمداء وفاء (والجروح قصاص) حكومة عدل

والسحت ( فن تصدق )  
 من أصحاب الحق ( به )  
 بالقصاص وعفائه ( فهو  
 كفارة له ) فالتصدق به  
 كفارة للمتصدق باحسانه  
 قال عليه السلام من تصدق  
 بدم فما دونه كان كفارة  
 له من يوم ولدته أمه  
 ( ومن لم يحكم بما أنزل الله  
 فأولئك هم الظالمون )  
 بالامتناع عن ذلك ( ووقفنا )  
 معنى قفيت الشيء بالشيء  
 جعلته في أثره كأنه جعل  
 في قفاه يقال قفاه يقفوه إذا  
 تبعه ( على آثارهم ) على  
 آثار النبيين الذين أسلموا  
 ( يعيسى ابن مريم مصدقا )  
 هو حال من عيسى ( لما بين  
 يديه من التوراة

وأبو عمرو وابن عامر على أنه اجال للحكم بعد التفصيل \* فن تصدق \* من المستحقين  
 \* به \* بالقصاص أي فن عفا عنه \* فهو \* فالتصدق \* كفارة له \* للتصدق  
 يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ \* فهو كفارة له أي فالتصدق  
 كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء \* ومن لم يحكم بما أنزل الله \*  
 من القصاص وغيره \* فأولئك هم الظالمون ووقفنا على آثارهم \* أي وأنبتناهم على  
 آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون \* يعيسى ابن  
 مريم \* مفعول ثان عدى إليه الفعل بالباء \* مصدقا لما بين يديه من التوراة

ومن أنكروه قال انها ليست بحجة علينا وأصل هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه  
 وآله وسلم وأمه بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء عليهم السلام  
 فنقل عن أصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وعن أحمد في احدي الروايتين  
 عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة  
 كتبهم المبذلة ونقل أربابها واختار ابن الحاجب من المتأخرين هذا المذهب وهو  
 انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعثة متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام  
 الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه قيد الوحي وهو الحق والا لم يبق للزراع معنى  
 اذ لا ينكر أحد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما أوحى اليه سواء  
 كان من شريعة من قبله أم لا وذهبت الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو  
 اختيار الأمامي من المتأخرين واحتج الاولون لصحة مذهبهم بأن الاجماع منعقد على  
 صحة الاستدلال بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة  
 من تقدم لانه مذكور في التوراة ومكتوب على نبي اسرائيل ولولا أنا متعبدون  
 بشريعة من قبلنا لما صح هذا الاستدلال \* وقوله عز وجل \* فن تصدق به \*  
 يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني \* فهو كفارة له \* في هاهله قولان أحدهما  
 ان الهاء في له كناية عن المجروح وولى المقتول وذلك أن المجروح أو ولى المقتول  
 اذ تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو  
 ابن العاص والحسن ويدل عليه ما روى عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يقول ما من رجل يصاب بشيء من جسده فيتصدق به الارفعه الله به درجة  
 وحط عنه به خطيئة أخرجه الترمذي وعن أنس قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 رفع اليه شيء فيه قصاص الأمر فيه بالعفو أخرجه أبو داود والنسائي والقول الثاني  
 ان الضمير في قوله له يعود الى الجراح والقاتل يعني ان الجاني عليه اذا عفا عن الجاني كان  
 ذلك العفو كفارة لذنوب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد  
 ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما أجر العافي فعلى الله تعالى \* وقوله عز وجل  
 \* ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون \* يعني لانفسهم حيث لم يحكموا  
 بما أنزل الله عز وجل \* قوله عز وجل \* ووقفنا على آثارهم \* يعني وعقبنا على آثار  
 النبيين الذين أسلموا \* يعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة \* يعني ان عيسى

( فن تصدق به ) بالجراحة  
 على الجراح ( فهو كفارة له )  
 للجرح ويقال للجراح  
 ( ومن لم يحكم بما أنزل الله )  
 يقول ومن لم يبين ما بين الله  
 في القرآن ولم يعمل به  
 ( فأولئك هم الظالمون )  
 الضارون لأنفسهم في  
 العقوبة ( ووقفنا ) اتبعنا  
 واردفنا ( على آثارهم )  
 يعيسى بن مريم مصدقا )  
 موافقا ( لما بين يديه من  
 التوراة ) بالتوحيد وبعض

وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصداقا لما بين يديه من التوراة ( أى وآتيناه الانجيل ثابتا فيه هدى ونور ومصداقا فنصب مصداقا بالعطف على ثابت الذي تعلق به فيه وقام مقامه فيه وارتفع هدى ونور بثابت الذي قام مقامه فيه ( وهدى وموعظة ) انتصبا على الحال ﴿ ٢٩٥ ﴾ أى هاديا ﴿ سورة المائدة ﴾ و واعظا ( للمتقين ) لانهم

ينتفعون به ( وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ) وقلنا لهم احكموا بوجبه فاللام لام الامر وأصله الكسر وانما سكن استقلا لفحمة وكسرة وقحمة وليحكم بكسر اللام وقح الميم حزة على انها لام كي أى وقضنا ليؤمنوا وليحكم ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون )

الخارجون عن الطاعة قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يجوز أن يحمل على الجحود في الثلاث فيكون كافرا ظلما فاسقا لان الفاسق المطلق والظالم المطلق هو الكافر وقيل ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم في حكمه فاسق في فعله ( وأنزلنا اليك الكتاب ) أى القرآن

الشرائع ( وآتيناه ) أعطيناه ( الانجيل فيه ) فى الانجيل ( هدى ) من الضلالة ( ونور ) بيان الرجم ( ومصداقا ) موافقا ( لما بين يديه من التوراة ) بالتوحيد والرجم ( وهدى )

وآتيناه الانجيل ﴿ وقرىء بفتح الهمزة ﴾ فيه هدى ونور ﴿ فى موضع النصب بالحال ﴾ ومصداقا لما بين يديه من التوراة ﴿ عطف عليه وكذا قوله ﴾ وهدى وموعظة للمتقين ﴿ ويجوز نصبها على المفعول له عطفًا على محذوف أو تعلقًا به وعطف ﴿ وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ﴾ عليه فى قراءة حزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف أى وآتيناه ليحكم بما أنزل الله وقرىء وأن ليحكم على أن موصولة بالامر كقوله أمرتك بأن قم أى وامرنا بأن ليحكم ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على أن الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وجعلها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر ﴿ وأنزلنا اليك الكتاب

عليه السلام كان مصداقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها ﴿ وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ﴾ يعنى فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة ﴿ ومصداقا لما بين يديه من التوراة ﴾ هذا ليس بتكرار للاول لان فى الاول الاخبار بان عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة وفى الثانى الاخبار بان الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وأنه ليس بتكرار ﴿ وهدى وموعظة للمتقين ﴾ انما قال وهدى مرة أخرى لان الانجيل يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لأهداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأما كون الانجيل موعظة فلما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ قوله عز وجل ﴿ وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ﴾ قال أهل المعانى قوله وليحكم يحتمل وجهين أحدهما أن يكون المعنى وقلنا ليحكم أهل الانجيل فيكون هذا اخبارا بما فرض عليهم فى وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقضينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثانى أن يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه أمر للنصارى بالحكم بما فى كتابهم وهو الانجيل \* فان قلت فعلى هذا الوجه كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما فى الانجيل بعد نزول القرآن \* قلت أن المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره فى الانجيل ووجوب التصديق بنبوته موجود فاذا آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما فى الانجيل وقوله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ يعنى فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأنزلنا اليك الكتاب ﴿ الخطاب للنبي

من الضلالة ( وموعظة ) نميا ( للمتقين ) الكفر والشرك والفواحش ( وليحكم أهل الانجيل ) ولكي يبين أهل الانجيل ( بما أنزل الله فيه ) بما بين الله فى الانجيل من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونتمته والرجم ( ومن لم يحكم بما أنزل الله ) يقول ( ومن لم يبين ما بين الله فى الانجيل ) فأولئك هم الفاسقون ( هم العاصون الكافرون ) ( وأنزلنا اليك الكتاب )



فحرف التعريف فيه للمهد ( بالحق ) بسبب الحق واثباته وتبيين الصواب من الخطأ ( مصدقا ) حال من الكتاب ( لما بين يديه ) لما تقدمه نزولا وانما قيل لما قبل الشيء هوبين يديه لان ماتاخر عنه يكون وراءه وخلفه فا تقدم عليه يكون قدامه وبين يديه ( من الكتاب ) المراد به جنس الكتب المنزلة لان القرآن مصدق لجميع كتب الله فكان حرف التعريف فيه للجنس ومعنى تصديقه الكتب موافقتها في التوحيد والعبادة وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون ( ومهيمن عليه ) { الجزء السادس } وشاهدا ﴿ ٢٩٦ ﴾ لانه يشهد له بالحقه والنبات ( فاحكم

بينهم بما أنزل الله )  
 أي بما في القرآن  
 ( ولا تتبع أهواءهم  
 عما جاءك من الحق ) نهى  
 أن يحكم بما حروفه وبدلوه  
 اعتمادا على قولهم ضمن  
 ولا تتبع معنى ولا تتعرف  
 فلذا عدى بمن فكانه قيل  
 ولا تتعرف عما جاءك من  
 الحق متبعا أهواءهم أو  
 التقدير عادلا عما جاءك  
 ( لكل جعلنا منكم ) أيها  
 الناس ( شرعة ) شرعة  
 ( ومنها جا ) وطريقا  
 واضحا واستدل به من قال  
 ان شرعة من قبلنا لانزلنا  
 ذكر الله انزال التوراة على  
 موسى عليه السلام ثم انزال  
 الانجيل على عيسى عليه  
 السلام ثم انزال القرآن  
 على محمد صلى الله عليه وسلم  
 وبين انه ليس للسمع  
 فحسب بل للحكم به فقال في  
 الاول يحكم بها النبيون  
 وفي الثاني وليحكم أهل  
 الانجيل وفي الثالث  
 فاحكم بينهم بما أنزل الله

بالحق ﴿ اى القرآن ﴾ مصدقا لما بين يديه من الكتاب ﴿ من جنس الكتب المنزلة فاللام  
 الاولى للمهد والثانية للجنس ﴾ ومهيمن عليه ﴿ ورقب على سائر الكتب بحفظه عن التغير ويشهد  
 لها بالحقه والنبات وقرئ على بنية المفهول اى هومن عليه وحفوظ من التعريف والحفاظ  
 له هو الله سبحانه وتعالى والحفاظ في كل عصر ﴾ فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴿ أى بما أنزل الله  
 اليك ﴾ ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴿ بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فمن صلة  
 لا تتبع لتضمنه معنى لا تتعرف أو حال من فاعله أى لا تتبع أهواءهم مائلا عما جاءك  
 ﴿ لكل جعلنا منكم ﴾ أيها الناس ﴿ شرعة ﴾ شرعة وهى الطريق الى الماء شبه  
 بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين ﴿ ومنها جا ﴾  
 وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضع واستدل به على أنا غير متعبدين

صلى الله عليه وسلم يعنى وأزلنا اليك يا محمد القرآن ﴿ بالحق ﴾ يعنى بالصدق الذى  
 لا شك فيه انه من عند الله ﴿ مصدقا لما بين يديه من الكتاب ﴾ يعنى انه يصدق جميع  
 الكتب التى أنزلها الله على أنبيائه ﴿ ومهيمن عليه ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما  
 يعنى شاهدا على الكتب التى قبله ومنه قول حسان

ان الكتاب مهين لنبينا \* والحق يعرفه ذو الالباب

يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهينا على الكتب  
 التى قبله لانه الكتاب الذى لا ينسخ ولا يتغير ولا يبدل واذا كان القرآن كذلك كانت  
 شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حقا وصدقا وقيل المهين  
 الأمين وانما كان القرآن أمينا على الكتب التى قبله فيما أخبر أهل الكتب عن كتبهم  
 فأن قالوا ذلك في القرآن فقد صدقوا والافلا ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ﴾ يعنى  
 اذا ترفع أهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذى أنزل الله اليك ﴿ ولا تتبع  
 أهواءهم ﴾ يعنى ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تأخذ  
 بأهوائهم في جلد المحسن ﴿ عما جاءك من الحق ﴾ يعنى ولا تتعرف عن الحق الذى  
 جاءك من عند الله متبعا أهواءهم وقوله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق وان  
 كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبع  
 أهواءهم قط ﴿ وقوله عن وجل ﴾ لكل جعلنا منكم شرعة ومنها جا ﴿ الخطاب

جبريل بالكتاب يعنى القرآن ( بالحق ) لبيان الحق والباطل ( مصدقا ) موافقا بالتوحيد وبعض الشرائع ( فى )  
 ( لما بين يديه ) لما قبله من الكتاب يعنى الكتب ( ومهيمن عليه ) شهيد اعلى الكتب كلها ويقال على الرجم ويقال أمين اعلى الكتب  
 ( فاحكم بينهم ) بين بنى قريظة والنضير وأهل خيبر ( بما أنزل الله ) بما بين الله لك في القرآن ( ولا تتبع أهواءهم ) في الجلد وترك  
 الرجم ( عما جاءك من الحق ) بعدما جاءك من البيان ( لكل جعلنا منكم شرعة ) لكل نبي منكم بيناه شرعة ( ومنها جا ) فرائض

بالشرائع المتقدمة ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ﴿ ولكن ليلوكم فيما آتاكم ﴾ من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر

في قوله منكم الامة الثلاثة امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين بديل ان الله عز وجل قال قبل هذه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفنا على آثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعنى لكل امة شرعية فالتوراة شرعية والانجيل شرعية والقرآن شرعية والدين واحد وهو التوحيد وأصل الشريعة من الشرع وهو البيان والاطهار فعنى شرع بين وأوضح وقيل هو من الشروع فى الشئ والشرعية فى كلام العرب المشرعة التى يشرعها الناس فيشربون ويسقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح وقال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارتان عن معنى واحد والتكرير للتأكيد والمراد بهما الدين وقال آخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة هى التى أمر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدى الى الشريعة قال ابن عباس فى قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيل او قال قتادة سبيل او سنة فالسنن مختلفة للتوراة شرعية والانجيل شرعية والقرآن شرعية يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من بطيعة من يعصيه والدين الذى لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذى جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال على بن أبى طالب الايمان منذ بعث آدم عليه السلام شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم شرعية ومنهاج قال العلماء وردت آيات دالة على عدم التباين فى طريقة الانبياء والرسل منها قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوح الى قوله أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت آيات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الآية وهى قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهى دالة على أصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل من عند الله ولم يختلفوا فيه وأما الآيات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات فحائز أن يتعبد الله عباده فى كل وقت بما يشاء فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات والله أعلم بأسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان شرح من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يدل على أن كل رسول جاء بشرعية خاصة فلا يلزم امة رسول الاقتداء بشرعية رسول آخر ثم قال تعالى ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾ يعنى جماعة متفقة على شرعية واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه ﴿ ولكن ليلوكم ﴾ يعنى ولكن أراد أن يختبركم ﴿ فيما آتاكم ﴾

(ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) جماعة متفقة على شرعية واحدة (ولكن) أراد (ليلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر (فما آتاكم) من الشرائع المختلفة فتعبد كل أمة بما اقتضته الحكمة

وسننا (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) لجمعكم على شرعية واحدة (ولكن ليلوكم) ليختبركم (فما آتاكم) أعطاكم من الكتاب والسنن والفرائض فيقول أن فرضته عليكم ولا يدخل فى قلوبكم شئ من التوهم

(فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وسابقوا نحوها قبل الفوات بالوقاة والمراد بالخيرات كل ما أمر الله تعالى به (الى الله مرجعكم) استئناف في معنى التعليل { الجزء السادس } لاستباق الخيرات ﴿ ٢٩٨ ﴾ (جما) حال من الضمير المجرور

والعامل المصدر المضاف  
لانه في تقدير اليه ترجعون  
( فينبئكم بما كنتم فيه  
تختلفون ) فيخبركم بما  
لا تشكون معه من الجزاء  
الفاصل بين محكمكم ومبطلكم  
وعاملكم ومفرطكم في العمل  
( وأن احكم ) معطوف  
على بالحق أي أنزلنا اليك  
الكتاب بالحق وبان  
احكم ( بينهم بما أنزل الله  
ولا تتبع أهواءهم واحذرهم  
أن يفتنوك ) أي يصرفوك  
أوهو مفعول له أي مخافة  
ان يفتنوك وانما حذره  
وهو رسول مأمون لقطع  
أطماع القوم ( عن بعض  
ما أنزل الله اليك

وقرن هل تعملون بها مدعين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية  
أم تزيفون عن الحق وتقرطون في العمل ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ فابتدروها انتهازا  
للفرصة وحياسة لفضل السبق والتقدم ﴿ الى الله مرجعكم جميعا ﴾ استئناف فيه  
تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعد للمبادرين والمقصرين ﴿ فينبئكم بما كنتم فيه  
تختلفون ﴾ بالجزء الفاصل بين الحق والمبطل والعامل والمقصر ﴿ وأن احكم بينهم  
بما أنزل الله ﴾ عطف على الكتاب أي أنزلنا اليك الكتاب والحكم أو على الحق  
أي أنزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وأمرنا ان احكم ﴿ ولا  
تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ﴾ أي ان يضلوك  
ويصرفوك عنه وان بصلته بدل منهم بدل الاشتغال أي احذرهم فتنهم أو مفعول له  
أي احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد  
لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا  
اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فتحاكم اليك فنقض لنا عليهم ونحن

يعنى من الشرائع المختلفة هل تعملون بها أم لا فيتين بذلك المطيع من العاصي  
والموافق من المخالف ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه  
وسلم يعنى فبادروا يا أمة محمد بالاعمال الصالحات التي تقربكم الى الله تعالى ﴿ الى الله  
مرجعكم جميعا ﴾ يعنى المطيع والعاصي والموافق والمخالف ﴿ فينبئكم بما كنتم فيه  
تختلفون ﴾ يعنى فيخبركم في الآخرة بما كنتم فيه تختلفون من أمور الدين والدنيا والمعنى  
فيخبركم في الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل بين الحق والمبطل والطائع والعاصي  
بالثواب والعقاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ﴿ قال ابن  
عباس رضى الله عنهما ان كعب بن أسيد وعبد الله بن صور ياوشاس بن قيس قال بعضهم لبعض  
اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود  
وأشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعناك اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا  
خصومة فتحاكم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وأن احكم بينهم بما أنزل الله يعنى احكم بينهم يا محمد  
بالحكم الذي أنزل الله في كتابه ﴿ ولا تتبع أهواءهم ﴾ يعنى فيما أمروك به قال العلماء  
ليس في هذه الآية تكرار لما تقدم وانما أنزلت في حكمين مختلفين أما الآية الاولى  
فنزلت في شأن رجم المحصن وان اليهود طلبوا منه أن يجلدوه وهذه الآية نزلت  
في شأن الدماء والديات حين تحاكموا اليه في أمر قاتل كان بينهم قال بعض العلماء  
هذه الآية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ﴿ قوله عز وجل  
﴿ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ﴾ يعنى واحذر يا محمد هؤلاء  
اليهود الذين جاؤا اليك أن يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك

( فاستبقوا الخيرات )  
فاسبقوا يا أمة محمد صلى الله  
عليه وسلم الامم في السنن  
والفرائض والصالحات  
ويقال بادروا بالطاعات  
يا أمة محمد صلى الله عليه  
وسلم ( الى الله مرجعكم  
جميعا ) جميع الامم ( فينبئكم )  
فيخبركم ( بما كنتم فيه )  
في الدين والشرائع  
( تختلفون ) تختلفون  
( وأن احكم ) واحكم  
( بينهم ) بين بنى قريظة

والنضير وأهل خيبر ( بما أنزل الله ) بما بين الله في القرآن ( ولا تتبع أهواءهم ) بالجلد وترك ( العمل )  
الرجم ( واحذرهم ) ولا تأمنهم ( أن يفتنوك ) لكي لا يصرفوك ( عن بعض ما أنزل الله اليك ) في القرآن

فأن تولوا) عن الحكم بما أنزل الله اليك وأرادوا غيره ( فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ) أي بذنب التولي عن حكم الله وإرادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم ﴿ ٢٩٩ ﴾ موضع ذلك وهذا { سورة المائدة } الإيهام لتعظيم التولي وفيه

تعظيم الذنوب فإن الذنوب بعضها مهلك فكيف بكلها ( وأن كثيرا من الناس لفاسقون ) لخارجون عن أمر الله ( أفحكم الجاهلية يبغون ) يطلبون وبالثناء شامى يخاطب بنى النضير في تقاضلهم على بنى قريظة وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزل وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وناصب أفحكم يبغون ( ومن أحسن ) مبتدأ وخبره وهو استفهام في معنى النفي أي لأحد أحسن ( من الله حكما ) هو تمييز واللام في ( لقوم يوقنون ) للبيان كاللام

من الرجم ( فأن تولوا ) عن الرجم وعمما حكمت بينهم من القصاص ( فاعلم ) فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ان يعذبهم ( ببعض ذنوبهم ) بكل ذنوبهم ( وإن كثيرا من الناس ) من أهل

نؤمن بك ونصدقك فأبى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ﴿ فأن تولوا ﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿ فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾ يعني ذنب التولي عن حكم الله سبحانه وتعالى فعب عنه بذلك تشبها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا عظمه واحد منها معدود من جلتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيرة قول لبيد تراكم أمكنة اذالم أرضها \* « او يرتبط بعض النفوس جامها »

﴿ وأن كثيرا من الناس لفاسقون ﴾ لمترددون في الكفر ومعتدون فيه ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متبعة الهوى وقبل نزلت في بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى « وقرى برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلوة في قوله تعالى أهدنا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر « وقرى أفحكم الجاهلية أي يبغون كما حكاه الجاهلية يحكم بحسب شهرتهم « وقرأ ابن عامر تبغون بالثناء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون « ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾

العمل ببعض ما أنزل الله اليك في كتابه واتباع أهوائهم ﴿ فأن تولوا ﴾ يعني فان أعرضا عن الايمان بك والرضا بالحكم بما أنزل الله عليك ﴿ فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾ يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وإنما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلد وأخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم الى الآخرة ﴿ وان كثيرا من الناس لفاسقون ﴾ يعني اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ يعني أفحكم الجاهلية يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الاحكام وتحريفهم اياها عمما أمر الله به وقال مقاتل كانت بين بنى النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير اخواننا أبونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا أعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا أخذوا منا مائة وأربعين وسقا وأرش جراحتنا على النصف من جراحتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أحكم ان دم القرظي وفاء من دم النضيرى ودم النضيرى وفاء من دم القرظي ليس لاحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة فغضبت بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك ما نألف في وضعنا وتصغيرنا فانزل الله أفحكم الجاهلية يبغون وقرى بالثناء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد أفحكم الجاهلية تبغون ﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ يعني أي حكم أحسن

الكتاب ( لفاسقون ) لنا قاضون كافرون ( أفحكم الجاهلية يبغون ) أفحكمهم في الجاهلية يطلبون عندك في القرآن يا محمد ( ومن أحسن من الله حكما ) قضاء ( لقوم يوقنون )

أي عندهم واللام لليان كما في قوله تعالى هيت لك أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا أحسن حكما من الله سبحانه وتعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ فلا تعمدوا عليهم ولا تعاشرهم معاشره الاحباب ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ اعاء الى علة النهي أي فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجاعهم على مضادتكم ﴿ومن يتولهم منكم فانه منهم﴾ أي ومن والاهم منكم فانه من جلتهم وهذا التشديد في وجوب مجابتهم كما قال عليه الصلاة والسلام لا تترعى ناراهما أولان الموالى لهم كانوا منافقين ﴿أن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾

من حكم الله ان كنتم موقنين ان لكم ربا والله عدل في أحكامه ﴿قوله عز وجل﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴿اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم فقتل قوم نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لى أولياء من اليهود كثير عددهم شديدة شوكتهم وانى أبرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى الا الله ورسوله فقال عبدالله بن أبي لكنى لأبرأ من ولاية اليهود فانى أخاف الدوائر ولا بدلى منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذن أقبل فانزل الله هذه الآية وقال السدى لما كانت وقعة أحد اشتد الامر على طائفة من الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا ألحق بفلان اليهودى وآخذ منه أمانا انى أخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا ألحق بفلان النصرانى من أهل الشام وآخذ منه أمانا فانزل الله هذه الآية ينهاهم عن موالاته اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في أبى لباية بن عبد المنذر لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بنى قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل أصبعه في حلقه اشار الى انه الذبح وانه يقتلكم فانزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فبى الله المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وأعوانا على أهل الايمان بالله ورسوله وأخبر انه من اتخذهم أنصارا وأعوانا وحلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين منه برآء ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ يعنى ان بعض اليهود أنصار لبعض على المؤمنين وان النصرانى كذلك يدواحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم ﴿ومن يتولهم منكم فانه منهم﴾ يعنى ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى مولى أحدا الا هو راض به وبدينه واذا رضيه ورضى دينه صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام ﴿أن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾

يتبينون ان لا عدل من الله ولا أحسن حكما منه وقال أبو على معنى لقوم عند قوم لان اللام وعند يتقاربان في المعنى ونزل نهيا عن موالاته أعداء الدين (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) أي لاتتخذوهم أولياء ينصروهم وتستنصروهم وتؤاخونهم وتعاشرهم ومعاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله (بعضهم أولياء بعض) وكلهم أعداء المؤمنين وفيه دليل على ان الكفر كله ملة واحدة (ومن يتولهم منكم فانه منهم) وهذا تعليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين (أن الله لا يهدي القوم الظالمين) لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم

يصدقون بالقرآن (يا أيها الذين آمنوا) بمحمد والقرآن (لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء) في العون والنصرة (بعضهم أولياء بعض) يقول بعضهم على دين بعض في السر والعلانية وولى بعض (ومن يتولهم) في العون والنصرة (منكم) يا معشر المؤمنين (فانه

الذين في قلوبهم مرض )  
 نفاق ( يسارعون ) حال  
 أو مفعول ثانٍ لاجتماع  
 ان يكون فترى من رؤية  
 العين أو القلب ( فيهم ) في  
 معاوتهم على المسلمين  
 وموالاتهم ( يقولون )  
 أى فى أنفسهم لقوله على  
 ما أسروا ( نخشى أن  
 تصيينا دائرة ) أى حادثة  
 تدور بالحال التى يكونون  
 عليها ( فعسى الله أن يأتي  
 بالفتح ) لرسول الله صلى الله  
 عليه وسلم على أعدائه  
 واظهار المسلمين ( أو أمر  
 من عنده ) أى يؤمر النبى  
 عليه السلام باظهار أسرار

( فترى ) يا محمد ( الذين  
 فى قلوبهم مرض ) شك  
 ونفاق يعنى عبدالله بن أبى  
 وأصحابه ( يسارعون فيهم )  
 يسارعون فيهم فى ولايتهم  
 ( يقولون ) يقول بعضهم  
 لبعض ( نخشى أن تصيينا  
 دائرة ) شدة فلذلك تتخذهم  
 أولياء ( فعسى الله ) وعسى  
 من الله واجب ( أن يأتي  
 بالفتح ) فتح مكة والنصرة  
 لمحمد صلى الله عليه وسلم  
 وأصحابه ( أو أمر من عنده )  
 أو عذاب على بنى قريظة  
 والنضير بالقتل والاجلاء

أى الذين ظلموا انفسهم بموالات الكفار أو المؤمنين بموالاتهم ﴿ فترى  
 الذين فى قلوبهم مرض ﴾ يعنى ابن أبى واضرابه ﴿ يسارعون فيهم ﴾  
 أى فى موالاتهم ومعاوتهم ﴿ يقولون نخشى أن تصيينا دائرة ﴾ يتسذرون بانهم  
 يحافون ان تصيينهم دائرة من الدوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روى ان  
 عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لى موالى من اليهود  
 كثير اعددهم وانى ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم وأوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى  
 رجل اخاف الدوائر لابرأ من ولاية موالى فنزلت ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح ﴾  
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين ﴿ أو أمر من  
 عنده ﴾ يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء أو الامر باظهار اسرار المناققين

يعنى ان الله لا يوفق من وضع الولاية فى غير موضعها فتولى اليهود والنصارى مع علمه  
 بعد اوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روى ان أبى موسى الاشعري قال قلت لعمر بن  
 الخطاب ان لى كاتبنا نصرانيا فقال مالك وله قاتلك الله ألا اتخذت حنيفا يعنى مسلما  
 اما سمعت قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء  
 بعضهم أولياء بعض قلت له دينه ولى كتابته فقال لا أكرمهم اذا أهانهم الله ولا  
 أعزهم اذا أذلمهم الله ولا أدنيهم اذا أبعدهم الله قلت انه لا يتم أمر البصرة الابن فقال  
 مات النصرانى والسلام يعنى هب انه مات فاتصنع بعده فاتعمله بدموته فاعمله الآن  
 واستغن عنه بغيره من المسلمين ﴿ قوله عز وجل ﴾ فترى الذين فى قلوبهم مرض ﴿  
 يعنى فترى يا محمد الذين فى قلوبهم شك ونفاق ﴾ يسارعون فيهم ﴿ يعنى يسارعون  
 فى مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا أهل ثروة ويسار فكانوا يفتشونهم  
 ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت فى عبدالله بن أبى المناقق وفى أصحابه من المناققين  
 ﴿ يقولون ﴾ يعنى المناققين ﴿ نخشى أن تصيينا دائرة ﴾ الدائرة من دوائر الدهر  
 كالدولة التى تدور والمعنى يقول المناققون انما نخالط اليهود لاننا نخشى أن يدور علينا  
 الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة فى الحرب والقحط والجذب والحوادث  
 المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل  
 محمد ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ﴾ قال المفسرون عسى من الله واجب  
 لان الكريم اذا أطمع فى خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له والمعنى  
 فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على أعدائه واظهار دينه على  
 الاديان كلها واظهار المسلمين على أعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل  
 الله ذلك بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل أراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قري  
 اليهود مثل خير وفدك ونحوهما من بلادهم أو أمر من عنده يعنى انه تعالى يقطع  
 أصل اليهود من أرض الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس  
 فيه فعل البتة كما أتى فى قلوبهم الرعب فاحلوا ديارهم وخربوها بأيديهم ورحلوا الى

المنافقين وقتلهم (فيصبحوا) أي المنافقون (على ما أسروا في أنفسهم) من النفاق (نادمين) خبر فيصبحوا (ويقول الذين آمنوا) أي يقول بعضهم بعض عند ذلك ويقول بصري عطف على أن يأتي يقول بغيروا وشامى وحجازى على أنه جواب قائل يقول فاذا يقول المؤمنون { الجزء السادس } حينئذ قيل ﴿ ٣٠٢ ﴾ يقول الذين آمنوا (أهؤلاء الذين أقسموا

بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم) أي أفسموا لكم بإغلاظ الايمان أنهم أولياؤكم ومعاضدكم على الكفار وجهد أيمانهم مصدر في تقدير الحال أي مجتهدين في توكيد أيمانهم (حبطت أعمالهم) ضاعت أعمالهم التي عملوها رياء وسمعة لا إيماناً وعقيدة وهذا من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال لهم ونجسها من سوء حالهم (فأصبحوا خاسرين) في الدنيا والعقبى لفوات المعونة ودوام العقوبة (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) من يرجع منكم عن دين الاسلام الى ما كان عليه من الكفر يرتد مدنى وشامى

وقتلهم ﴿ فيصبحوا ﴾ أي هؤلاء المنافقون ﴿ على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾ على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فضلاً عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ﴿ ويقول الذين آمنوا ﴾ بالرفع قراءة عاصم وحزة والكسائي على أنه كلام متبداً ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر صرفوا بغيروا وعلى انه جواب قائل يقول فاذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابى عمرو ويقوب عطفاً على ان يأتي باعتبار المعنى كأنه قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا أو بوجهه بدلا من اسم الله داخل في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث أو على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتي بالفتح ويقول المؤمنون فان الاتيان بما يوجهه كالاتيان به ﴿ أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم أنهم لمعكم ﴾ بقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين وتجباً بيمان الله سبحانه وتعالى عليهم من الاخلاص أو يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكي الله تعالى عنهم وان قولتم للنصر نكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك صاغ كونها معرفة أو على المصدر لانه بمعنى أقسموا ﴿ حبطت اعمالهم فأصبحوا خاسرين ﴾ اما من جملة المقول أو من قول الله سبحانه وتعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبطت اعمالهم وما اخسرهم ﴿ يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾ قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام

الشام ﴿ قوله عز وجل ﴾ فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴿ يعنى فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الاخبار الى اليهود ﴿ ويقول الذين آمنوا ﴾ يعنى ويقول الذين آمنوا في وقت اظهار الله تعالى نفاق المنافقين ﴿ أهؤلاء الذين أفسموا بالله جهد ايمانهم أنهم لمعكم ﴾ وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما اظهروا الميل الى موالاته اليهود والنصارى ويقولون ان المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انهم لمعنا ومن أنصارتنا والآن كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في ايمانهم الباطلة ﴿ حبطت أعمالهم ﴾ أى بطل كل خير عملوه لاجل ما اظهروا من النفاق وموالاته اليهود ﴿ فأصبحوا خاسرين ﴾ يعنى انهم خسروا في الدنيا باقتضاحهم وخسروا في الآخرة باحباط ثواب أعمالهم وحصولها بالعذاب الدائم المقيم ﴿ قوله عز وجل ﴾ يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴿ يعنى من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان فيختار

من عنده (فيصبحوا) فيصيروا يعنى المنافقين (على ما أسروا في أنفسهم) من ولاية اليهود (نادمين) بعدما اقتضوا (ويقول الذين آمنوا) المخلصون للمنافقين عبد الله ابن أبى وأصحابه (أهؤلاء) يعنى المنافقين (الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم) شدة ايمانهم اذا حلف الرجل بالله فقد جهد بعينه (أهم) يعنى المنافقين (لمعكم)

مع المخلصين على دينكم في السر (حبطت أعمالهم) بطلت حسناتهم في الدنيا (فأصبحوا خاسرين) فصاروا مغبونين بالعقوبة (يأيها الذين آمنوا) أسدو غطفان وناس من كندة ومراد (من يرتد منكم عن دينه) بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم

والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في أواخر عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث فرق بنوا مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غدها واخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في أواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقة للمتقين فحاربه أبو بكر رضى الله عنه بجند من المسلمين وقتله الوحشى قاتل حزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد أبي بكر رضى الله عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قره بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض قوم سجاح بنت المنذر المنتبهة زوجة مسيلة وكندة قوم الاشعث

اما اليهودية أو النصرانية أو غير ذلك من أصناف الكفر فلن يضر الله شياً وانما ضر نفسه برجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوم اسير رجوعوا عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سيأتى بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي بيته وقتله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغدواتي خبر قتله في آخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقة للمتقين وستأتى قصة قتلة فيما بعد وبنو اسد وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة أبي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزارى وغطفان قوم قره بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض قوم سجاح بنت المنذر المنتبهة التي زوجت



ابن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله سبحانه وتعالى امرهم على يده وفي اماره عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصروا الى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴿ قيل هم أهل اليمن لما روى انه عليه الصلاة والسلام اشار الى أبي موسى الاشعري وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه

نفسها من مسيلة الكذاب وكندة قوم الاشعب بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله أمرهم على يدي بكر الصديق رضى الله عنه وفرقة واحدة ارتدت في خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعنى بقوله تعالى ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ فقال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد جماعة العرب كما تقدم تفصيله الأهل المدينة وأهل مكة وأهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومعنوا الزكاة هم أبو بكر بقتالهم وكره ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه الا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا أو قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها وقال أنس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بيدا من الخروج على أثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم جدهناه عليه في الانتهاء وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال أهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرب النفاق ونزل بابي بكر ما نزل بالرجال الراسيات لها ضها وبعث أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير الى بنى حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلة الكذاب فاهلك الله مسيلة على يد وحشى غلام مطعم بن عدى الذي قتل حزة فكان وحشى يقول قتلت خيرا الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام أراد بذلك وحشى أنه في حال الجاهلية قتل حزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم أبي موسى الاشعري روى عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتي الله

(فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) يرضى أعمالهم ويثني عليهم بها ويطيعونه ويؤثرون رضاه وفيه دليل نبوته عليه السلام حيث أخبرهم بما لم يكن فكان واثبات خلافة الصديق لانه جاهد المرتدين وفي صحة خلافته وخلافة عمر رضى الله عنهما وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه لو كان الايمان معلقا بالثريا لئلا رجال من أبناء فارس والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم

(فسوف يأتي) يجيء (الله بقوم)

يعنى أهل اليمن (يحبهم) الله (ويحبونه) أى يحبون الله

(أذلة) جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ﴿ ٣٠٥ ﴾ ذلل ومن { سورة المائدة } زعم أنه من الذل الذي

هو ضد الصعوبة فقد سها لان ذلولا لا يجمع على أذلة قال الجوهرى الذل ضد العز ورجل ذليل بين الذل وقوم أذلاء وأذلة والذل بالكسر اللين وهو ضد الصعوبة يقال دابة

ذلول ودواب ذلل ( على المؤمنين) ولم يقل للمؤمنين لتضمن الذل معنى الخو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع ( أعزة على الكافرين ) أشداء عليهم والعزاز الارض الصلبة فهم مع المؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيدته ومع الكافرين كالسبع على فريسته ( يجاهدون في سبيل الله ) يقاتلون الكفار وهو صفة لقوم كيجهم وأعزة وأذلة ( ولا يخافون لومة لائم ) الواو يحتمل أن تكون للحال أى يجاهدون وسالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا والين لليهود فأذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون

( أذلة ) رحمة مشفقة

( على المؤمنين ) مع

المؤمنين ( أعزة ) أشدة

( ولا يخافون لومة لائم ) ملامة لائم

﴿ أذلة على المؤمنين ﴾ عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لاذلول فان جمعه ذليل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف والحنو أو للتنبية على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم أو للمقابلة ﴿ أعزة على الكافرين ﴾ شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرى بالنصب على الحال ﴿ يجاهدون في سبيل الله ﴾ صفة اخرى لقوم أو حال من الضمير في أعزة ﴿ ولا يخافون لومة لائم ﴾ عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب

بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم هذا يعني أبا موسى الأشعري أخرجه الحاكم في المستدرک وقيل هم أهل اليمن (ق) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا كم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدى نزلت في الإنصار لانهم هم الذين نصرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوه على اظهار الدين وقيل هم أحياء من أهل اليمن الفان من النعم وخسة آف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في خلافة عمرو على هذا التقدير تكون هذه الآية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية مجزة وأما معنى الحجة فيقال أحببت فلانا بمعنى جعلت قلبى معرضا بأن يحبه والحجة ارادة ما تراه أو تظنه خيرا ومحمد الله تعالى المبدانعامه عليه وتوفيقه وهدايتة الى طاعته والعمل بما يرضى به عنه وأن يشبه أحسن الثواب على طاعته وأن يثنى عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وأن لا يفعل ما يوجب سخطه وعقوبته وأن يتحجب اليه بما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه وقوله تعالى ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ هذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى

ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعنى انهم ارقاء رجاء لاهل دينهم واخوانهم من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل اراد لين جانبهم لاخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم أشداء أقوىاء غلظاء على اعدائهم الكافرين قال على بن ابى طالب أذلة على المؤمنين يعنى أهل رقة على أهل دينهم أعزة على الكافرين أهل غلظة على من خالفهم في دينهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيدته وهم فى الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانبارى أننى الله على المؤمنين بانهم يتواضعون للمؤمنين اذا لقوهم ويعنفون الكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة كأنه قال راحين للمؤمنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما اتى بلفظة على حتى يدل على علو منصبهم وفضلهم وشرفهم لالاجل كونهم ذليلين فى انفسهم بل ذلك التذلل لاجل انهم ضموا الى علو منصبهم فضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله أعزة على الكافرين يعنى أنهم أشداء أقوىاء فى انفسهم وعلى اعدائهم ﴿ يجاهدون فى سبيل الله ﴾ يعنى أنهم ينصرون دين الله ﴿ ولا يخافون لومة لائم ﴾ يعنى لا يخافون عدل عادل

(على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله) (قا و خا ٣٩ نى) أى عاطفين فى طاعة الله ( ولا يخافون لومة لائم ) ملامة لائم

شيأ مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فبما هداهم الله لا يخافون لومة لائم وأن تكون للعطف أي من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين لا تزعمهم لومة لائم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التكثير مبالغة كأنه قيل لا يخافون شيئاً قط من لوم واحد من اللوام (ذلك) إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة { الجزء السادس } والعزوة والمجاهدة ﴿ ٣٠٦ ﴾ وانتفاء خوف اللومة

(فضل الله يؤتية من يشاء والله واسع) كثير الفواضل (عليم) بمن هو من أهلها عقب النبي عن موالاته من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) وانما يفيد اختصاصهم بالموالات ولم يجمع الولي وان كان المذكور جماعة تنبها على أن الولاية لله أصل ولغيره تبع ولو قيل انما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع وحمل (الذين يقيمون الصلاة) الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين أو النصب على المدح (ويؤتون الزكاة) والواو في (وهم راكعون) للحال أي يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة قيل انها نزلت

(ذلك) الذي ذكرت من الحب والامر وغير ذلك (فضل الله) من الله تعالى (يؤتية) يعطيه

في دينه أو حال بمعنى أنهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئاً يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تكثير لائم مبالغة ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الاوصاف ﴿ فضل الله يؤتية من يشاء ﴾ يحسنه ويوفق له ﴿ والله واسع ﴾ كثير الفضل ﴿ عليم ﴾ بمن هو اهله ﴿ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ لما نهى عن موالات الكفرة ذكر عقبيه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله ولم يقل أولياؤكم للتنبية على أن الولاية لله سبحانه وتعالى على الاصله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وللمؤمنين على التبع ﴿ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ﴾ صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى الاسم أو بدل منه ويجوز نصبه ورفع على المدح ﴿ وهم راكعون ﴾

في نصرهم الدين وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فينبأ الله تعالى في هذه الآية ان من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصره لدين الله بيده أو بلسانه لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين ايمانهم لله تعالى (ق) عن عبادة بن الصامت قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في السر واليسر والمنشط والمكره وعلى أن لا تنازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال تعالى ﴿ ذلك فضل الله يؤتية من يشاء ﴾ ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من وصفهم بحب الله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم ﴿ والله واسع عليم ﴾ يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه ﴿ قوله عز وجل ﴾ انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴿ قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالات اليهود وقال أو إلى الله ورسوله والمؤمنين يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك أنه جاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير قد هجرنا وفارقونا وأقسموا أن لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربنا ورسوله نبيا وبالؤمنين أرباءا وقيل الآية عامة في حق جميع المؤمنين لان المؤمنين بعضهم أولياء بعض فلي هذا يكون قوله تعالى ﴿ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ﴾

(من يشاء) من كان أهلاً لذلك (والله واسع) جواد يعطيه (عليم) لمن يعطى ثم نزل في عبد الله بن سلام (صفة)

وأصحابه اسد وأسيدو ثعلبة بن قيس وغيرهم بعدما جفاهم اليهود فقال (انما وليكم الله) حافظكم وناصركم ومؤنسكم الله ( ورسوله والذين آمنوا ) أبو بكر وأصحابه ( الذين يقيمون الصلاة ) الصلوات الخمس ( ويؤتون الزكاة ) يعطون زكاة أموالهم ( وهم راكعون ) يصلون الصلوات الخمس في الجماعة مع النبي صلى الله عليه وسلم

في على رضى الله عنه حين سأله سائل ﴿ ٣٠٧ ﴾ وهو راعع { سورة المائدة } في صلاته فطرح له خاتمه

كأنه كان مرجاني خضره  
فلم يتكلف خلعه كثير  
عمل يفسد صلاته وورد  
بلفظ الجمع وان كان  
السبب فيه واحدا ترغيبا  
للناس في مثل فعله لينالوا  
مثل ثوابه والآية تدل  
على جواز الصدقة في الصلاة  
وعلى ان الفعل القليل  
لا يفسد الصلاة ( ومن  
يتول الله ورسوله والذين  
آمنوا ) يتخذهم وليا أو يكن  
وليا ( فأخرب الله هم  
الغالبون ) من إقامة الظاهر  
مقام الضمير أي فانهم  
هم الغالبون أو المراد

حزب الله الرسول والمؤمنون  
أى ومن يتولهم فقد تولى  
خرب الله واعتضد  
بمن لا يغالب وأصل الحرب  
القوم يجتمعون لأمر  
حزبهم أى أصابهم وروى  
أن رفاعة بن زيد وسويد  
بن الحرث قد أظهما الاسلام  
ثم ناقضا وكان رجال من  
المسلمين يوادونهما فنزل  
( يا أيها الذين آمنوا  
لا تتخذوا الذين اتخذوا  
دينكم هزوا ولعبا ) يعنى

( ومن يتول الله ورسوله  
والذين آمنوا ) بأبكر  
وأصحابه في العون  
والنصرة (فإن حرب الله)  
جند الله (هم الغالبون)

( ولعبا ) ضحكة وباطلا

متحشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون أى يؤتون  
الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الاحسان ومسارة اليه وانها  
نزلت في على رضى الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راعع في صلاته فطرح  
له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق  
للتصرف فيها والظاهر ما ذكرناه مع ان جل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر  
وان صح انه نزل فيه فعله جي بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيتدرجوا  
فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وان صدقة  
التطوع تسمى زكاة ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ ومن يتخذهم اولياء  
﴿ فان حزب الله هم الغالبون ﴾ أى فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمهر  
تنبيها على البرهان عليه فكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله  
هم الغالبون وتبويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن  
يوالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم  
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا

صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين  
لان المنافقين كانوا يدعون انهم مؤمنين الا أنهم لم يكونوا يداومون على فعل  
الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بانهم يقيمون الصلاة يعنى بأتمام ركوعها وسجودها  
في مواقيتها ويؤتون الزكاة يعنى ويؤدون زكاة أموالهم اذا وجبت عليهم أما قوله  
تعالى وهم راععون فعلى هذا التفسير فيه وجوه أحدها ان المراد من الركوع هنا  
الخشوع والمعنى ان المؤمنين يصلون ويذكرون وهم منقادون خاضعون لأوامر الله  
ونواهيه الوجه الثانى أن يكون المراد منه ان من شأتم إقامة الصلاة وإتاء الزكاة  
وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الآية نزلت وهم  
ركوع وقيل نزلت في شخص معين وهو على بن أبى طالب قال السدى مر بعل سائل  
وهو راعع في المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها  
والقول بالعموم أولى وان كان قد وافق وقت نزولها صدقة على بن أبى طالب وهو  
راعع ويدل على ذلك ما روى عن عبد الملك بن سليمان قال سألت أبا جعفر محمد بن  
على الباقر عن هذه الآية أعما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون  
فقلت ان ناسا يقولون هو على فقال على من الذين آمنوا ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن  
يتول الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ يعنى ومن يتول القيام بطاعة الله ونصر رسوله  
والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتى بعدهم ﴿ فان حزب الله ﴾  
يعنى أنصار دين الله ﴿ هم الغالبون ﴾ لأن الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة  
أصحاب الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لأمر حزبه  
يعنى أهمه ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا ﴿

على أعدائهم يعنى محمدا وأصحابه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا) سخرية (ولعبا) ضحكة وباطلا

من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ﴿ نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث أظهر الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهى عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا إيماء إلى العلة وتبيينها على أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاته جد بل المعادة والبغضاء وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار على قراءة من جرهم وهم أبو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم أهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على أن النهى عن موالاته من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين ﴿ واتقوا الله ﴾ بترك المنهاهي ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ لأن الايمان حقا يقتضى ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيدته ﴿ واذا ناديتم الى الصلوة اتخذواها هزوا ولعبا ﴾ أى اتخذوا الصلوة او المنادة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روى ان نصرايا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام قطاير شررها في البيت فاحرقه واهله

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهر الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هو اظهارهم الإسلام بأستنهم قولاً وهم مع ذلك يبطنون الكفر ويسرونه ﴿ من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ﴾ يعنى اليهود ﴿ والكفار ﴾ يعنى عبدة الاصنام وانما فصل بين أهل الكتاب والكفار وان كان أهل الكتاب من الكفار لان كفر المشركين من عبدة الاصنام أغلظ وأخش من كفر أهل الكتاب ﴿ أولياء ﴾ يعنى لا تتخذوهم أولياء والمعنى ان أهل الكتاب والكفار اتخذوا دينكم يامعشر المؤمنين هزوا وسخرية فلا تتخذوهم أئمة أولياء وأنصارا ﴿ واتقوا الله ان كنتم مؤمنين ﴾ يعنى مؤمنين حقا لأن المؤمن يأبى موالاته أعداء الله عز وجل ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ﴿ قال الكلبي كان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نادى الى الصلوة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لاقاموا وصلوا لاصلوا ويضحكون على طريق الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية وقال السدي نزلت هذه الآية في رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا سمع المؤذن يقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل أن الكفار والمناققين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد أبدعت شيئا لم يسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فأن كنت تدعى النبوة فقد خالفت الانبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الانبياء فن أبين لك صياح كصياح العير

اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم ايامهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والمنابذة ( من الذين أتوا الكتاب ) من لبيان ( من قبلكم والكفار ) أى المشركين وهو عطف على الذين المنصوبة والكفار بصري وعلى عطف على الذين المجرورة أى من الذين أتوا الكتاب من قبكم ومن الكفار ( أولياء ) واتقوا الله ( في موالاته الكفار ) ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يابى موالاته أعداء الدين ( واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها ) أى الصلوة أو المنادة ( هزوا ولعبا ) ( من الذين أتوا ) اعطوا ( الكتاب من قبلكم ) يعنى اليهود والنصارى ( والكفار ) وسائر الكفار ( أولياء ) فى العون والنصرة ( واتقوا الله ) واخشوا الله فى ولايتهم ( ان كنتم ) اذ كنتم ( مؤمنين ) واذا ناديتهم الى الصلوة بالاذان والاقامة ( اتخذوها هزوا ) سخرية ( ولعبا ) ضحكة وباطلا

ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) لان لعلمهم وهزومهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنهم لا عقل لهم وفيه دليل على ثبوت الان ينص الكتاب بالمانم وحده ﴿٣٠٩﴾ (قل يا اهل الكتاب { سورة المائدة } هل تنقمون منا الا ان آمننا بالله وما

أزل الينا وما أنزل من قبل) يعني هل تعيون منا وتكفرون الا الايمان بالله وبالكتب المنزلة كلها (وان أكثركم فاسقون) وهو عطف على الجور رأى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وما أنزل وبان أكثركم فاسقون والمعنى أعادتمونا لانا اعتقدنا توحيد الله وصدق أنبيائه وفسقكم لمخالفتكم ليا في ذلك ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أى وما تنقمون منا الا الايمان بالله مع انكم

(ذلك) الاستهزاء بانهم قوم لا يعقلون (أمر الله ولا يعلمون توحيد الله ولا دين الله نزلت هذه الآية في رجل من اليهود كان يسخر باذان بلال فاحرقه الله بالنار (قل) يا محمد لليهود (يا أهل الكتاب هل تنقمون منا) تطعنون علينا وتعيوننا (الا أن آمننا بالله) الالقبيل ايماننا بالله وحده لاشريك له (وما أنزل الينا) يعنى القرآن (وما أنزل من قبل) وبما أنزل من قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن من جلة الكتب والرسل (وأن أكثركم) كلكم (فاسقون) كافرون

﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ فأن السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا ﴾ هل تنكفرون منا وتعيونون يقال نقم منه كذا اذا أنكروه وانتقم اذا كافأه وقرىء تنقمون بفتح القاف وهى لغة ﴿ الا أن آمننا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل ﴾ الايمان بالكتب المنزلة كلها ﴿ وان أكثركم فاسقون ﴾ عطف على أن آمننا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة أى ما تنكفرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه أو كان الاصل واعتقاد ان أكثركم فاسقون فمحذوف المضاف أو على ما أى وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما أنزل وبان أكثركم فاسقون أو على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا أن آهنا لقللة انصافكم وفسقكم أو نصب باضمار فعل يدل عليه هل تنقمون أى ولا تنقمون ان أكثركم فاسقون أو رفع على الابتداء والخبر محذوف أى وفسقكم ثابت معلوم عندهم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب لليهود سأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يؤمن به • فقال اومن بالله وما أنزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون • فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لانعلم ديننا

فأفجع هذا الصوت وما أسمع هذا الامر فأنزل الله عز وجل ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله الآية وأنزل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعباً ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ يعنى ان هزومهم ولعبهم من أفعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل يا أهل الكتاب ﴿ الخطاب للعبى صلى الله عليه وسلم يعنى قل يا محمد اهؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا ولعباً ﴿ هل تنقمون منا ﴾ يعنى هل تكفرون منا أو تعيون علينا ﴿ الا أن آمننا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل ﴾ وهذا على سبيل التعجب من فعل أهل الكتاب والمعنى هل تجدون علينا فى الدين الا الايمان بالله وبما أنزل الينا وبما أنزل على جميع الأنبياء من قبل وهذا ليس بما ينكر أو ينقم منه وهذا كما قال بعضهم ولاعب فيهم غير أن سيوفهم • بن فلول من قراع الكتاب

يعنى انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ورافع بن ابي رابع وعازوراء وزيد وخاله وازار بن ابي ازار وأشيع فسألوه عن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الآية فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله لا نؤمن بمن آمن به فأنزل الله هذه الآية وقيل انهم قالوا والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً فى الدنيا والآخرة منكم ولادينا شراً من دينكم فأنزل الله هذه الآية قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمننا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا ﴿ وان أكثركم فاسقون ﴾

ثم نزلت فى مقاتلهم وما نعلم أهل دين من الاديان أقل حظاً من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال الله

فاسقون ( قل هل أتيتكم بالاحسان ولكنها وضعت اليهم وكان اليهود يزعمون ان المسلمين مستوجبون للعقوبة فقبل لهم ) من لعنه الله ( شر عقوبة في الحقيقة من أهل الاسلام في زعمكم وذلك اشارة الى المتقدم أي الايمان أي بشر مما نتمتم من ايماننا ثواباً أي جزاء ولا بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك أو دين من لعنه الله ) وغضب عليه وجعل منهم القردة ) يعني أصحاب السبت ( والخنازير ) أي كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام أو كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير ( وعبد الطاغوت ) أي الجمل أو الشيطان لان عبادتهم

شرا من دينكم ﴿ قل هل أتيتكم بشر من ذلك ﴾ أي من ذلك المنقوم ﴿ مثوبة عند الله ﴾ جزء ثابت عند الله سبحانه وتعالى والمثوبة مختصة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله \* تحية بينهم ضرب وجيع \* ونصبها على التمييز من بشر ﴿ من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ بدل من بشر على حذف مضاف أي بشر من أهل ذلك من لعنه الله أو بشر من ذلك دين من لعنه الله أو خبر مبتدأ محذوف أي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحته وسخط عليهم بكفرهم وانهم ساكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسح بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار أهل مائدة عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير ﴿ وعبد الطاغوت ﴾

يعنى انما كرهتم ايماننا ونقمتموه علينا مع علمكم بانا على الحق بسب فسقم واقامتم على الدين الباطل لحب الرياسة وأخذ الاموال بالباطل وانما قال أكثركم لان الله علم ان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وبرسوله ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ قل هل أتيتكم بشر من ذلك ﴾ هذا جواب لليهود لما قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل أخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا من ايماننا بالله وبما أنزل علينا ﴿ مثوبة عند الله ﴾ يعني جزاء فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لانها في معنى الثواب فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله \* تحية بينهم ضرب وجيع \* ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم والمعنى قل هل أتيتكم بشر من أهل ذلك الدين مثوبة فان قلت هذا يقتضى ان الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم ان الامر ليس كذلك فا جوابه قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فان اليهود حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقال لهم هب أن الأمر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسح صورته شر من ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ من لعنه الله ﴾ معناه هل أتيتكم بمن لعنه الله أو هو من لعنه الله ومعنى لعنه الله أبعده وطرده عن رحته ﴿ وغضب عليه ﴾ يعني وانقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من العصاة ﴿ وجعل منهم القردة والخنازير ﴾ يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس رضی الله عنهما ان المسوخين كلاهما أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسح القردة كان في أصحاب السبت من اليهود ومسح الخنازير كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عبر المسلمون اليهود وقالوا انهم يا اخوان القردة والخنازير واقترضوا بذلك ﴿ وعبد الطاغوت ﴾ يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من أطاع الشيطان فيما سوله

( قل ) يا محمد لليهود ( هل أتيتكم ) أخبركم ( بشر من ذلك ) مما قلتم لحمدوا أصحابه ( مثوبة عند الله ) من له عقوبة عند الله ( من لعنه الله ) عذبه الله بالجزية ( وغضب عليه ) سخط عليه ( وجعل منهم القردة ) في زمن داود

النبي صلى الله عليه وسلم ( والخنازير ) في زمن عيسى بعداً كلهم من المائدة ( وعبد الطاغوت ) الكهان ( والطاغوت ) والشياطين وان قرأت وعبد الطاغوت بضم الباء يقول وجعلهم عباد الشيطان الاصنام والكهان

العجل بتزيين الشيطان وهو عطف على صلة من كانه قبل ومن عبد الطاغوت وعبد الطاغوت حزة جعله اسما موضوعا للمبالغة كقولهم رجل حذر وفطن ﴿ ٣١١ ﴾ للبلغ { سورة المائدة } في الحذر والفطنة وهو

معطوف على القردة  
والخنازير أى جعل الله  
منهم عبد الطاغوت (أولئك)  
المسوخون الملعونون (شر  
مكانا) جعلت الشرارة للمكان  
وهى لاهله للمبالغة (واضل  
عن سواء السبيل ) عن  
قصد الطريق الموصل  
الى الجنة ونزل فى ناس  
من اليهود كانوا يدخلون  
على النبي صلى الله تعالى  
عليه وسلم ويظهرون له  
الايان نفاقا (واذا جاؤكم  
قالوا آمنا وقد دخلوا  
بالكفر وهم قد خرجوا  
به ) الباء للحال أى دخلوا  
كافرين وخرجوا كافرين  
وتقديره ملتبسين بالكفر  
وكذلك قد دخلوا وهم  
قد خرجوا ولذا دخلت  
قد تقرىب بالماضى من الحال  
وهو متعلق بقالوا آمنا  
أى قالوا ذلك وهذه حالهم  
(والله أعلم بما كانوا يكتمون)  
من النفاق ( وترى كثيرا  
منهم ) من اليهود  
( يسارعون

عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للفعل ورفع الطاغوت وعبد  
بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا أى فيهم أو بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت  
أو عبد على انه نعت كفظن ويقظ أو عبدة أو عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او  
ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر  
عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من طاعوه فى معصية الله  
تعالى ﴿ أولئك ﴾ أى الملعونون ﴿ شر مكانا ﴾ جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ  
فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا ﴿ واصل عن سواء السبيل ﴾ قصد الطريق  
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد من صيغى التفضيل الزيادة مطلقا  
لإبالضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال ﴿ واذا جاؤكم قالوا آمنا ﴾ نزلت فى يهود  
نافقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو فى عامة المنافقين ﴿ وقد دخلوا بالكفر وهم قد  
خرجوا به ﴾ أى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثرو فيهم ما سمعوا منك والجلتان حالان  
من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلى دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقرىب الماضى  
من الحال ليصح ان يقع حالا فادت ايضا لما فيها من التوقع ان اماراة النفاق كانت لائمة عليهم  
وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يظنه ولذلك قال ﴿ والله أعلم بما كانوا يكتمون ﴾ أى من  
لكفر ووفيه وعيد لهم ﴿ وترى كثيرا منهم ﴾ أى من اليهود أو من المنافقين ﴿ يسارعون فى الآثم ﴾

والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والاحبار وجلته ان كل  
من أطاع أحدا فى معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت ﴿ أولئك ﴾ يعنى الملعونين  
والمغضوب عليهم والمسوخين ﴿ شر مكانا ﴾ يعنى من غيرهم ونسب الشر الى  
المكان والمراد به أهله فهو من باب الكناية وقيل أراد ان مكانهم سقر ولا مكان أشد  
شرا منه ﴿ وأضل عن سواء السبيل ﴾ يعنى واخطأ عن قصد طريق الحق ﴿ قوله  
عز وجل ﴾ ﴿ واذا جاؤكم قالوا آمنا ﴾ قال قتادة نزلت فى أناس من اليهود  
دخلوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبروه انهم مؤمنون راضون بالذى  
جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكان هؤلاء يظهرن الايمان وهم فى ذلك  
مناققون فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بحالهم وشأنهم ﴿ وقد دخلوا  
بالكفر وهم قد خرجوا به ﴾ يعنى انهم دخلوا كافرين وخرجوا كما دخلوا  
كافرين لم يتعلق بقلوبهم شىء من الايمان فهم كافرون فى حالتى الدخول والخروج  
﴿ والله أعلم بما كانوا يكتمون ﴾ يعنى من الكفر الذى فى قلوبهم ﴿ قوله عز وجل  
﴿ وترى كثيرا منهم ﴾ الخطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى وترى يا محمد كثيرا من اليهود  
وكلمة من محتمل أن تكون للتبويض ولعل ان هذه الافعال المذكورة فى هذه الآية ما كان  
يفعلها كل اليهود فلذا قال تعالى وترى كثيرا منهم ﴿ يسارعون ﴾ المسارعة فى الشىء  
المبادرة اليه بسرعة لكن لفظه المسارعة انما تستعمل فى الخير ومنه قوله تعالى

( أولئك شر مكانا )  
صنعا فى الدنيا ومنزلا  
فى الآخرة ( وأضل  
عن سواء السبيل ) عن قصد  
طريق الهدى ( واذا جاؤكم )

يعنى سفلة اليهود ويقال المنافقون (قالوا آمناك) وبصفتك ونعتك انه فى كتابنا (وقد دخلوا بالكفر) بكفر السر (وهم  
قد خرجوا به) بكفر السر (والله أعلم بما كانوا يكتمون) من الكفر (وترى كثيرا منهم) يا محمد يعنى من اليهود (يسارعون



أى الحرام وقيل الكذب لقوله تعالى عن قولهم الاثم ﴿ والعدوان ﴾ الظلم ومجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم ﴿ واكلمهم السمحة ﴾ أى الحرام خصه بالذكر للمبالغة ﴿ لبئس ما كانوا يعملون ﴾ لبئس شيئاً عملوه ﴿ لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلمهم السمحة ﴾ تخصيص لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض ﴿ لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ أبلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروى وتجرب اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواجهة المعصية لأن النفس تستلذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديراً ببلغ الذم ﴿ وقالت اليهود يدالله مغلولة ﴾ أى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يدوغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جادالحى بسط اليدين بوابل • شكرت نداء تلاعه ووجهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله

الى غيرهم والمسارة في الثبى الشروع فيه بسرعة (وأكلهم السمحة) الحرام (لبئس ما كانوا يعملون) لبئس شيئاً عملوه (لولا) هلاوه وتحضيض (ينهاهم الربانيون والاحبار) عن قولهم الاثم وأكلهم السمحة لبئس ما كانوا يصنعون (هذاذم للعلماء والاول للعامة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هي أشد آية في القرآن حيث أنزل تارك النهي عن المنكر منزلة مرتكب المنكر في الوعيد) وقالت اليهود يدالله مغلولة

في الاثم) يبادرون في المعصية والشرك (والعدوان) الظلم والاعتداء على الناس (واكلهم السمحة) الرشوة الحرام وفي تغيير الحكم (لبئس ما كانوا يعملون) من المعصية والاعتداء (لولا ينهاهم) هلا ينهاهم (الربانيون) أصحاب الصوامع (والاحبار) العلماء (عن قولهم الاثم) الشرك (وأكلهم السمحة) الرشوة والحرام (لبئس ما كانوا يصنعون) في تركهم ذلك (وقالت اليهود) يعنى فمخاص بن غاز وراه اليهودى (يدالله مغلولة) محبوسة

يسارعون في الخيرات وضدها الجملة وتقال في الشر في الاغلب وانما ذكرت لفظة المسارعة في قوله يسارعون ﴿ في الاثم والعدوان وأكلهم السمحة ﴾ لفائدة وهي انهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحته العدوان واكل السمحة فلهذا ذكر الله العدوان واكل السمحة بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموه من التوراة والعدوان ما زادوا فيها والسمحة هو الرشوا وما كانوا يأكلونه من غير وجهه ﴿ لبئس ما كانوا يعملون ﴾ يعنى لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهم مسارعتم الى الاثم والعدوان وأكلهم السمحة ﴿ قوله عزوجل ﴿ لولا ﴾ يعنى هلا وهى هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ ﴿ ينهاهم الربانيون والاحبار ﴾ قال الحسن الربانيون علماء أهل الانجيل والاحبار علماء أهل التوراة وقال غيره كلهم من اليهود لانه متصل بذكرهم ﴿ عن قولهم الاثم ﴾ يعنى الكذب ﴿ وأكلهم السمحة ﴾ والمعنى هلا نهى الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم وأكلهم السمحة ﴿ لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ يعنى الاحبار والبرهان اذ لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل على ان تارك النهي عن المنكر منزلة مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما ما في القرآن أشد توبيخاً من هذه الآية وقال الضمك ما في القرآن آية أخوف عندي منها ﴿ قوله عزوجل ﴿ وقالت اليهود يدالله مغلولة ﴾ نزلت هذه الآية في فمخاص اليهودى قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا أكثر الناس أموالاً وأخصبهم ناحية فلما عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كذب عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فمخاص يدالله مغلولة يعنى محبوسة مقبوضة عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وما قال هذه المقالة الخبيثة فمخاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله

أغلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطان) روى ان اليهود لعنهم الله لما كذبوا محمد عليه السلام كعب الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من أكثر ﴿ ٣١٣ ﴾ الناس ما لعنوا { سورة المائدة } ذلك قال فخص يد الله

مغلولة ورضى بقوله الآخرون فاشتر كوا فيه وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد المتكلم به إثبات بدو لاغل ولا بسط حتى انه يستعمل في ملك يعطى ويمنع بالإشارة من غير استعمال اليد ولو أعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما أبسط يده بالنوال وقد استعمل حيث لا تصح اليد يقال بسط البأس كفيه في صدرى فجعل للبأس الذى هو من المعانى كفان ومن لم ينظر في علم البيان يخير في تأويل أمثال هذه الآية وقوله غلت أيديهم دعاء عليهم بالبخل ومن ثمة كانوا أبخل خلق الله أو تغل في جهنم فهم كأنها غلت وانما نبت اليد في بل يدها مبسوطان وهى مفردة في يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره أبلغ وأدل على إثبات غاية السخاء وهو نقي البخل عنه فغاية ما يبذله السخى أن يعطيه بيديه

فقير ونحن أغنياء ﴿ غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾ دعاء عليهم بالبخل والتكدر أو بالفقر والمسكنة أو بغل الأيدي حقيقة يغفلون أسارى في الدنيا ومسيحين الى النار في الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابر ﴿ بل يدها مبسوطان ﴾ ثنى اليد مبالغة في الرد ونقي البخل عند تعالى وإثباتا بغاية الجود فان غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطيه بيديه وتبنيها على منح الدنيا لاجرم ان الله تعالى أشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى اخبار اعنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعنى نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يهذبنا الا بقدر ما يبره قسمه وذلك قدر ما عبد أبأونا البخل والقول الاول أصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لئيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب ان اليد آلة لكل الاعمال لا سيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فاطلقوا اسم السبب على المسبب وأسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخل مقبوض اليد ﴿ قوله عز وجل ﴾ غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴿ يعنى أمسكت أيديهم عن كل خير وطرردوا عن رحمة الله قال الزجاج رد الله عليهم فقال أنا الجواد الكريم وهم البخلاء وأيديهم هى المغلولة المسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علنا الله كيف ندعو عليهم فقال غلت أيديهم أى في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة أى شدت أيديهم الى أعناقهم وطررحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنتهم أنهم مسخوفا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الآخرة لهم عذاب النار ﴿ قوله عز وجل ﴾ بل يدها مبسوطان ﴿ يعنى انه تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهذا جواب لليهود ورد عليهم ما افتروه واختلفوه على الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم وأما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونعمرها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكنتا يديه يمين والقول الثانى قول جمهور المتكلمين وأهل التأويل فانهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهى معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي يد أشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولى الأيدي والابصار فسروه بذوى القوى والعقول ويقال لا يملك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضعة في يد فلان أى في ملكه ومنه قوله تعالى الذى بيده عقدة النكاح أى يملك ذلك أما الجارحة فتنتفى في صفة الله عز وجل لان العقل دل على انه يتمتع

عن البسط ( غلت أيديهم ) أمسكت أيديهم ( قا و خا . ٤٠ نى ) عن الخير والنفقة في الخير ( ولعنوا بما قالوا ) عذبوا بالجزية بما قالوا ( بل يدها مبسوطان ) مفتوحتان على البر والفاجر

والآخرة وعلى ما يعطى الاستدراج وما يعطى للاكرام \* ينفق كيف يشاء \* تأكيد

أن تكون يدالله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء والاباضن  
تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فانتفع بذلك أن تكون يدالله  
بمعنى الجارحة وأما سائر المعاني التي فسرت اليد بها فحاصلة لان أكثر العلماء  
من المتكلمين زعموا أن اليد في حق الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا  
اشكالان أحدهما ان اليد اذا فسرت بمعنى القدرة فقدرته الله واحدة ونص القرآن  
ناطق بأثبت اليمين في قوله تعالى بل يدها مبسوطة وان واجب عن هذا الاشكال  
بان اليهود لما جمعوا قولهم يدالله مغالوة كناية عن البخل أحيوا على وفق كلامهم  
فقال بل يدها مبسوطة ان أي ليس الامر على ما وصفه من البخل بل هو جواد كريم  
على سبيل الكمال فان من أعطى بيديه فقد أعطى على اكمل الوجوه الاشكال  
الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق بتشبيه اليد ونعم الله غير محصورة  
ولامعدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجيب عن هذا الاشكال  
بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة لانها  
لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع  
فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف النعمة أوجب أصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا  
ان الله تعالى أخبر عن آدم انه خلقه بيديه ولو كان ههنا خلقه لآدم بقدرته أو  
بنعمته أو بملكه لم يكن لخصوصية آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون  
بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبون في نعمه فلما خص الله آدم عليه السلام بقوله تعالى لما  
خلقت بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين  
الرازي عن أبي الحسن الأشعري قولا ان اليد صفة قائمة بذات الله وهي صفة سوى  
القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذي يدل عليه انه تعالى جعل وقوع  
خلق آدم بيديه على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة  
امتنع كون آدم مصطفي بذلك لان ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من اثبات  
صفة أخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء هذا آخر  
كلامه وأجيب عن قولهم ان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين  
أنواع كثيرة بان الاسم اذا نفي لا يؤدي في كلام العرب الاعن اثنين باعيا نهما دون  
الجمع ولا يؤدي عن الجنس ايضا قالوا وخطأ في كلام العرب ان يقال ما أكثر الدرهمين  
في أيدي الناس بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم لان الدرهم اذا نفي لا يؤدي في كلام العرب  
الاعن اثنين باعيا نهما ولكن الواحد يؤدي عن جنسه كما تقول العرب ما أكثر الدرهم في أيدي  
الناس بمعنى ما أكثر الدراهم في أيديهم لان الواحد يؤدي عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال  
ان اليد صفة لله تعالى تليق بحاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا  
كبيرا \* ينفق كيف يشاء \* يعني انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتدر

(ينفق كيف يشاء) تأكيد  
لوصف بالسحاء ودلالة  
على أنه لا ينفق الا على  
مقتضى الحكمة

( ينفق ) يعطى ( كيف  
يشاء ) ان شاء وسع  
وان شاء قتر

(وليزيدن كثيرا منهم) من اليهود ﴿٣١٥﴾ ﴿ما أنزل اليك من ربك﴾ {سورة المائدة} طغيانا وكفرا) أي يزدادون

عند نزول القرآن لحسدتهم  
تاديا في الجحود وكفرا  
بآيات الله وهذا من اضافة  
الفعل الى السبب كما قال  
فزادتهم رجسا الى رجسهم  
(وألقينا بينهم العداوة  
والبغضاء الى يوم القيمة)  
فكلهم أبدا مختلفة  
وقلوبهم شتى لا يقع  
بينهم اتفاق ولا تعاضد  
(كلما أوقدوا نار الحرب  
أطفأها الله) كلما ارادوا  
محاربة أحد غلبوا وقهروا  
لم يقم لهم نصر من الله على  
أحد قط وقد أتاهم الاسلام  
وهم في ملك الجوس وقيل  
كلما حاربوا رسول الله  
صلى الله عليه وسلم نصر  
عليهم عن قيادة لالتقى  
يهوديا في بلدا لا وقد وجدته  
من أذل الناس

(وليزيدن كثيرا منهم)  
والله ليزيدن كثيرا منهم  
كفارهم (ما أنزل اليك)  
بما أنزل اليك (من ربك)  
يعني القرآن (طغيانا)  
تاديا (وكفرا) ثباتا على  
الكفر (وألقينا) اشلينا  
واغرينا (بينهم) بين  
اليهود والنصارى (العداوة)  
في القتل والهلاك (والبغضاء)  
في القلب (الي يوم القيمة)  
كلما أوقدوا نار الحرب  
كلما اجتمعوا على قتل محمد  
تمردا (أطفأها الله) فرق الله  
جهم وخالف. كلتهم

لذلك أي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى  
حكيمته لا على تعاقب سمة وضيق في ذات يد ولا يجوز جملة حالا من الهاء للفصل  
بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذلا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما  
لذلك والآية نزلت في فحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كلف الله عن اليهود ما  
بسط عليهم من السمة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم واشرك فيه  
الآخرون لانهم رضوا بقوله ﴿وليزيدن كثيرا منهم﴾ ما أنزل اليك من ربك طغيانا  
وكفرا ﴿أي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن  
كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاسحاء ﴿وألقينا بينهم العداوة  
والبغضاء الى يوم القيمة﴾ فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق افواههم ﴿كلما أوقدوا  
نارا للحرب أطفأها الله﴾ كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واثارة شر  
عليه ردهم الله سبحانه وتعالى بان اوقع بينهم منازعة كلف بهاعنه شرهم أو كلما ارادوا حرب  
احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بختصر ثم افسدوا  
فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم الجوس ثم افسدوا فسلط

على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما فعله (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه ان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق أنفق عليك وقال بد الله مالا لا تنفيضا  
نفقة سماء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده  
وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض هذا الحديث أيضا أحد أحاديث  
الصفات فيجب الايمان به وامراره كاجاء من غير تشبيه ولا تكيف ﴿قوله عز وجل  
﴿وليزيدن كثيرا منهم﴾ ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ﴿يعني كما نزلت عليك  
آية من القرآن كفروا بها فزادوا شدة في كفرهم وطغيانا مع طغيانهم والمراد بالكثير  
علماء اليهود وقيل اقامتهم على كفرهم زيادة منهم فيه ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء  
الى يوم القيمة﴾ يعني ألقينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وقيل ألقى ذلك بين طوائف  
اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة فان بعض  
اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرق كالمكانية  
والنسطورية واليعقوبية والمارونية فأن قلت فهذا المعنى أيضا حاصل بين فرق المسلمين  
فكيف يكون ذلك عيا على اليهود والنصارى حتى يذموا به ﴿قلت هذه البدع التي حصلت  
في المسلمين انما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين أما  
في الصدر الاول فلم يكن شيء من ذلك حاصل بينهم فحسن جعل ذلك عيا على اليهود  
والنصارى في ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿كلما  
أوقدوا نار الحرب أطفأها الله﴾ يعني كلما أفسد اليهود وخالفوا حكم الله يبعث الله عليهم  
من يهلكهم أفسدوا فبعث الله عليهم بختصر البابل ثم أفسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي  
ثم أفسدوا فسلط الله عليهم الجوس وهم الفرس ثم أفسدوا فسلط الله عليهم مغولة فبعث الله

( ويسعون في الارض فسادا ) ويجهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر النبي عليه السلام من كتبهم ( والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا ) برسول الله عليه السلام وبما جاء به مع ما عدنا من سيئاتهم ( واتقوا ) أي وقروا ايمانهم بالتقوى ( لكفرنا عنهم { الجزء السادس } سيئاتهم ) ولم نؤاخذهم ﴿ ٣١٦ ﴾ بها ( ولا دخلناهم جنات

النعيم ) مع المسلمين ( ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ) أي أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وما أنزل اليهم من رجم ) من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها أنزلت اليهم وقيل هو القرآن ( لا كلوا من فوقهم ) يعني الثمار من فوق رؤسهم ( ومن تحت أرجلهم )

عليهم المسلمين وللحرب صلة أو قدوا أو صفة نارا ﴿ ويسعون في الارض فسادا ﴾ أي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم ﴿ والله لا يحب المفسدين ﴾ فلا يجازيهم الاثرا ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا ﴾ بمحمد صلى الله تعالى عليه ولم يوجبا جاءه ﴿ واتقوا ﴾ ما عدنا من معاصيهم ونحوه ﴿ لكفرنا عنهم سيئاتهم ﴾ التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ﴿ ولا دخلناهم جنات النعيم ﴾ وجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ﴾ باذاعة ما فيها من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام باحكامها ﴿ وما أنزل اليهم من ربه ﴾ يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث أنهم مكلفون بالايمان بها كالمنزلة اليهم أو القرآن ﴿ لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾

المسلمين فلا تنزل اليهود في ذلة أبدا وقال مجاهد معنى الآية كما مكروا مكرًا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفأها الله تعالى وقال السدي كلما أجمعوا أمرهم على شيء ليفسدوا به أمر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلا أو قدوا نارا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم أطفأها الله وأخذناهم وقذف في قلوبهم الرعب وقهرهم ونصرنيه ودينه ﴿ ويسعون في الارض فسادا ﴾ يعني ويجهدون في دفع الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالكر والكيد والحيل وليس يقدررون على غير ذلك ﴿ والله لا يحب المفسدين ﴾ يعني ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لالتقى اليهود ببلدة الاوجدتهم من أذل الناس فيها وهم أبغض خلق الله اليه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولو أن أهل الكتاب آمنوا ﴿ يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما جاء به ﴿ واتقوا ﴾ يعني اليهودية والنصرانية ﴿ لكفرنا عنهم سيئاتهم ﴾ يعني لحونا عنهم ذنوبهم التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله ﴿ ولا دخلناهم جنات النعيم ﴾ يعني مع المسلمين بالقيامة ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ﴾ يعني أقاموا أحكامهما بحدودهما وعملوا بما فيها من الوفاء بالمهود والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعمته وصفته موجودان فيهما فان قلت كيف يأمر أهل الكتاب باقامة التوراة والانجيل مع انهما نسحا وبديلا قلت انما أمرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته وهذا غير منسوخ لانه موافق لما في القرآن ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما أنزل اليهم من ربه ﴿ فيه قولان أحدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل كتاب شعيا وكتاب ارميا وزبور داود وفي هذه الكتب أيضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيكون المراد باقامة هذه الكتب الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما أنزل اليهم من ربه هو القرآن لانهم مأمورون بالايمان به فكأنه نزل اليهم من ربه ﴿ لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾

( ويسعون في الارض فسادا ) يسعون في الارض بالفساد بتعويق الناس عن محمد والدعوة الى غير الله ( والله لا يحب المفسدين ) اليهود ودينهم ( ولو ان أهل الكتاب ) اليهود والنصارى ( آمنوا ) بمحمد والقرآن ( واتقوا ) تابوا من اليهودية والنصرانية ( لكفرنا عنهم سيئاتهم ) ذنوبهم في اليهودية والنصرانية ( ولا دخلناهم جنات النعيم ) في الآخرة ( ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ) اقروا بما في التوراة والانجيل

ويبنوا ذلك يعني صفة محمد ونعمته ( وما أنزل اليهم من ربه ) وبينوا ما بين لهم ربه في التوراة ( يعني ) والانجيل ويقال أقر واجملة الكتب والرسول من ربه ( لا كلوا من فوقهم ) بالمطر ( ومن تحت أرجلهم ) بالنبات

يعني الزروع وهذه عبارة عن التوسعة كقولهم فلان في النعمة من فرقة الى قدمه ودلت الآية على ان العمل بطاعة الله تعالى سبب لسعة الرزق وهو كقوله تعالى ولو ان ﴿ ٣١٧ ﴾ أهل القرى آمنوا ﴿سورة المائدة﴾ واتقوا لفتحنا عليهم بركات من

السماء والارض ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا الآيات وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها ام في عداوة رسول الله عليه السلام وقيل هي الطائفة المؤمنة

وهم عبدالله بن سلام وأصحابه وثمانية واربعون من النصارى ( وكثير منهم ساء ما يعملون ) فيه معنى التجب كأنه قيل وكثير منهم مأسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه وغيرهم ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ) جميع ما أنزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف أن ينالك مكروه

والتجار ( منهم ) من أهل الكتاب ( أمة مقتصدة ) جماعة عادلة مستقيمة يعني عبدالله بن سلام وأصحابه وبحيرا الراهب وأصحابه والنجاشي وأصحابه وسلمان الفارسي وأصحابه ( وكثير منهم ساء ما يعملون ) بشس

لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض أو يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع أو يرزقهم الجنان البانعة الثمار فيجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم للقصور القرض ولو انهم آمنوا واتقوا ما اسروا به لوسع عليهم وجعل لهم خيرا دارين ﴿ منهم أمة مقتصدة ﴾ عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته ﴿ وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ أى بشس ما يعملونه وفيه معنى التجب أى مأسوأ عملهم وهو المعاندة ومحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ﴾ جميع ما أنزل اليك غير مراقب احد أو لا خائف مكروها

يعنى أن اليهود لمأصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم أصابهم الله بالقطع والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مقلولة فاخبر الله انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلب تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه لانزلت عليهم المطر وأخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم ﴿ منهم أمة مقتصدة ﴾ أى عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير وأصله من القصدلان من عرف مقصودا طلبه من غير اعوجاج عنه والمراد بالامة المقتصدة من آمن من أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه والنجاشي وأصحابه الذين أسلوا ﴿ وكثير منهم ﴾ يعنى من أهل الكتاب الذين أقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود ﴿ ساء ما يعملون ﴾ يعنى بشس ما يعملون من اقامتهم على كفرهم قال ابن عباس رضى الله عنهما عملا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ﴿ الآية روى عن الحسن أن الله تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فأنزل هذه الآية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤن به ويقولون تريد أن نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فأنزل الله هذه الآية وأمره بأن يقول لهم يا أهل الكتاب لستم على شئ الآية وقيل نزلت هذه الآية في أمر الجهاد وذلك ان المناققين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم من كراهية بعضهم له فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص وما سأل عنه اليهود ومعنى الآية يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك مجاها به ولا تراقبن

ما يصنعون من كتمان صفة محمدا ونبوته منهم كعب بن الاشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وسعيد بن عمرو وأبو ياسر وجدى ابن أخطب ( يا أيها الرسول ) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم ( بلغ ما أنزل اليك من ربك ) من سب آلهتهم وعيب دينهم والقتل معهم

(وأن لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك (فابلغت رسالته) رسالته مدني وشامي وأبو بكر أي فلم تبلغ اذا ما كلفت من أداء الرسالة ولم تؤد منها {الجزء السادس} شيئاً قط وذلك ان بعضها ﴿٣١٨﴾ ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد

بعضها فكانك أغفلت أداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لكونها في حكم شيء واحد لدخولها تحت خطاب واحد والشئ الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنابه غير مؤمن قالت المحمدي لعنهم الله تعالى هذا كلام لا يفيد وهو كقولك لفلانك كل هذا الطعام فان لم تأكله فانك ما أكلته قلنا هذا أمر بتبليغ الرسالة في المستقبل أي بلغ ما أنزل اليك من ربك في المستقبل فان لم تفعل أي ان لم تبلغ الرسالة في المستقبل فكانك لم تبلغ رسالة أصلا أو بلغ ما أنزل اليك من ربك الآن ولا تنتظر به كثرة الشوك والعمدة فان لم تبلغ كنت كمن لم يبلغ أصلا أو بلغ ذلك غير خائف أحدا فان لم تبلغ على هذا الوصف فكانك لم تبلغ الرسالة أصلا ثم قال مشجما له في التبليغ (والله يعصمك من الناس) يحفظك منهم قتلا فلم يقدر عليه وان شجع في وجهه يوم أحد وكسرت ربايعته أو نزلت بعدما أصابه ما أصابه والناس الكفار بدليل

﴿وأن لم تفعل﴾ وان تبلغ جميعه كما أمرتك ﴿فابلغت رسالته﴾ فابلغت رسالته ﴿فأدريت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما أدى منها كترك بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة يتقضى به أوفكا أنك ما بلغت شيئا منها كقوله فكا ما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب ووقرا نافع وابن عامر وأبو بكر رسالته بالجمع وكسر التاء ﴿والله يعصمك من الناس﴾ عدة وضمان من الله سبحانه وتعالى بعصمة روحه صلى الله تعالى عليه وسلم من تعرض أحدا ولا تترك شيئا مما أنزل اليك من ربك وأن أخفيت شيئا من ذلك في وقت من الاوقات فابلغت رسالته وهو قوله تعالى ﴿وان لم تفعل فابلغت رسالته﴾ وقرئ رسالته قال ابن عباس رضى الله عنهما يعني ان كتمت آية مما أنزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئا مما أنزل الله اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيئا مما أوحى اليه روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزل اليه فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك أخرجه في الصحيحين بزيادة فيه ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿والله يعصمك من الناس﴾ يعني يحفظك يا محمد ويعتصمك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت أليس قد شجع رأسه وكسرت ربايعته يوم أحد وقد أودى بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر عليه أحد أراد بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روى عن جابر انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاء فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفترق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فطلق بها سيفه ونتماعه نومة فأذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوننا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط على سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلنا فقال من يعتصمك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية أخرى قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فأذا أتيننا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخرطه فقال تخافني فقال لا فقال من يعتصمك مني قال الله فتهده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه في الصحيحين وزاد البخاري في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابي يجرسنى الليلة قال فيبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن أبي وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاءك فقال وقع

والله عوة الى الاسلام (وان لم تفعل) ما أمرت (فابلغت رسالته) كما ينبغي (والله يعصمك) (في)

من الناس) من اليهود وغيرهم

قوله ( أن الله لا يهدي القوم الكافرين ) لا يمكنهم مما يريدون مما يريدون أنزاله بك من الهلاك ( قل يا أهل الكتاب لستم على شيء ) على دين يعتد به حتى يسمى شيئاً لبطلانه ( حتى تقيموا التوربة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ) يعني القرآن ( وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ) اضافة زيادة الكفر والطغيان الى القرآن بطريق التسبيب ( فلأتأس على القوم الكافرين ) فلا تتأسف عليهم فأن ضرر ذلك يعود اليهم لا اليك

( أن الله لا يهدي القوم الكافرين ) لا يرشد الى دينه من لم يكن أهلا لدينه ( قل يا محمد يا أهل الكتاب ) يعني اليهود والنصارى ( لستم على شيء ) من دين الله ( حتى تقيموا التوربة والانجيل ) حتى تقرروا بما في التوراة والانجيل ( وما أنزل اليكم من ربكم ) من جملة الكتب والرسول ( وليزيدن كثيرا منهم ) كفارهم ( ما أنزل اليك ) بما أنزل اليك ( من ربك ) يعني القرآن ( طغيانا ) تماديا ( وكفرا ) الكفر ( فلأتأس على القوم الكافرين )

الاعادى وازاحة لمعاذيره \* أن الله لا يهدي القوم الكافرين \* لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعثني الله برسائه فضقت بهاذرا فوحي الله تعالى الى ان لم تبلغ رسالتى عذبتك وضمن لي العصمة فقيوت وعن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة آدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمتني الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما نزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاقا عنهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه \* قل يا أهل الكتاب لستم على شيء \* أى دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئاً لانه باطل \* حتى تقيموا التوربة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم \* ومن اقامتها الايمان بحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها أمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها ومالم ينسخ من فروعها \* وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلأتأس على القوم الكافرين \* فلأتحزن عليهم لزيادة طغيانهم

في نفسى خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنت أحرصه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم أيها الناس انصرفوا فقد عصمتني الله أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الآية نزلت بعدما شجر رأسه في يوم أحد لان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا \* قوله عز وجل \* أن الله لا يهدي القوم الكافرين \* قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم اعناه لا يرشد من كذبك وأعرض عنك وقال ابن جرير الطبرى معناه ان الله لا يوفق للرشد من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجمعا جئت به من عند الله ولم ينته الى أمر الله وطاعته فيما فرض عليه وأوجب \* قوله عز وجل \* قل يا أهل الكتاب لستم على شيء \* يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين الحق المرتضى عند الله ولستم على شيء مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم به عيسى يا معشر النصارى فأنكم أحدثتم وغيرتم قال ابن عباس رضى الله عنهما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد ألسنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم أحدثتم وجمدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتبتم منها ما أمرتم أن تبنوه للناس فأنا بريء من احداثكم قالوا فأنا نأخذ بما في أيدينا فأنا على الحق والهدى ولا نؤمن لك ولا تتبعك فأنا نزل الله قل يا أهل الكتاب لستم على شيء \* حتى تقيموا التوربة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم \* الآية وقد تقدم معنى اقامة التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيها وهو الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفسير ما أنزل اليكم من ربكم \* وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا \* قوله عز وجل \* فلأتأس على القوم الكافرين \*



وكفرهم بما بلغه اليهم فلما ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخاطهم وفي المؤمنين مندوحة لك  
عنهم ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ﴾ سبق تفسيره في  
سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية فيه التأخير عما  
في حيزان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون  
كذلك كقوله

فمن يك امسى بالمدينة رحله \* « فاني وقيار بها الغريب »

وقوله

والافاعلموا انا وانتم \* بغاة ما يقينا في شقاق

أى فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع  
ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب علمهم ان صح منهم الايمان والعمل  
الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما  
وخبران مقدر دل عليه ما بعده كقوله.

نحن بما عندنا وانتم بما \* عندك راض والرأى مختلف

ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف  
عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبران معاً فيجتمع عليه عاملان ولا على  
الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل  
ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك

يعنى فلا تخزن يا محمد على هؤلاء الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فأما يعود ضرر  
ذلك الكفر عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون  
والنصارى ﴿ لما بين الله عز وجل ان أهل الكتاب ليسوا على شئ مالم يؤمنوا بين  
في هذه الآية ان هذا الحكم عام في كل أهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة  
ولا منقبة الا اذا آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا يرضاه الله ومن العمل الصالح  
الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الآية  
في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون ظاهر الاعراب يقتضى ان يقال والصابئين  
وكذا قراءة أبي بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرأ الجمهور بالرفع  
ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كأنه قيل  
ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا  
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف  
الصابئين على من قبلهم هي ان الصابئين أشد الفرق المذكورة في هذه الآية ضلالا  
فكأنه قال كل هؤلاء الفرق اذا آمنوا وأنوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى  
الصابئون فأنهم اذا آمنوا كانوا أيضا كذلك وإنما سموا صابئين لانهم صبوا عن  
الاديان كلها بمعنى خرجوا لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم  
يتبعوا ما جاءت به الرسل من عند الله \* فان قلت قد قال الله تعالى في أول الآية

( أن الذين آمنوا ) بالسنتهم  
وهم المنافقون ودل عليه  
قوله لا يحزنك الذين  
يسارعون في الكفر من  
الذين قالوا آمنا بافواههم  
ولم تؤمن قلوبهم ( والذين هادوا  
والصابئون والنصارى )  
قال سيبويه وجميع البصريين  
ارتفع الصابئون بالابتداء  
وخبره محذوف والنية به  
التأخير عما في حيزان من  
اسمها وخبرها كأنه قيل  
ان الذين آمنوا والذين  
هادوا والنصارى

فلا تخزن على هلاكهم  
في الكفران لم يؤمنوا  
( أن الذين آمنوا )  
بعسى وبجملة الانبياء  
والكتب وما تولى ذلك  
فلا خوف عليهم ولا هم  
يحزنون ( والذين هادوا )  
تهودوا ( والصابئون ) يعنى  
قوما من النصارى هم ألين  
قولا من النصارى ( و  
النصارى ) نصارى أهل  
نجران وغيرهم

( من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) والصابئون كذلك أى من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم فقدم وحذف الخبر كقوله «فن يك أسمى بالمدينة رحله» فأنى وقيارها الغريب «أى فأنى لغريب وقيار كذلك ودل اللام على أنه خبران ولا يرتفع بالعطف على محل ان واسمها لان ذالا يصح قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان وانما يجوز ان زيدا منطلق وعمرو والصابئون مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كالا محل لاتي عطفت عليها وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيابة عليهم ان صح منهم ﴿ ٣٢١ ﴾ الايمان { سورة مائدة } فما الظن بغيرهم ومحل من آمن

الرفع على الابتداء وخبره  
فلا خوف عليهم والفاء  
لتضمن المبتدأ معنى الشرط  
ثم الجملة كما هي خبران  
والراجع الى اسم ان محذوف  
تقديره من آمن منهم  
( لقد أخذنا ميثاق بنى  
اسرائيل ) بالتوحيد  
( وأرسلنا اليهم رسلا )  
ليقفوه على ما يأتون وما  
يذرون في دينهم ( كلما  
جاءهم رسول ) جملة  
شرطية وقعت صفة لرسلا  
والراجع محذوف أى  
رسول منهم ( بما لا تهوى  
أنفسهم ) بما يخالف  
هواهم ويضاد شهواتهم من  
مشاق التكليف والعمل  
بالشرائع وجواب الشرط  
محذوف دل عليه ( فريقا  
كذبوا

كاجوز بالياء جوز بالواو ﴿ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ﴾ في محل  
الرفع بالابتداء وخبره ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ والجملة خبران أو خبر  
المبتدأ كما هو الراجع محذوف أى من آمن منهم أو انصب على البدل من اسم ان وما  
عطف عليه وقرىء والصابئين وهو الظاهر والصابئون بقلب الهمزة ياء والصابون  
بحذفها من صبابا بدل الهمزة الفا أو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم  
يتبعوا شرعا ولا عقلا ﴿ لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا ﴾ ليذكروهم  
وليبينوا لهم امر دينهم ﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ﴾ بما يخالف هواهم  
من الشرائع ومشاق التكليف ﴿ فريقا كذبوا

ان الذين آمنوا ثم قال في آخر الآية من آمن فما فائدة هذا التكرار قلت فأنته ان  
المنافقين كانوا يظهرن الاسلام ويزعمون انهم مؤمنون في هذا التكرار اخراجهم  
من قبيل المؤمنين فيكون معنى ان الذين آمنوا أى بالسنتم لا بقلوبهم ثم قال من آمن  
يعنى من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة أخرى وهى ان الايمان  
يدخل تحته أقسام كثيرة وأشرفها الايمان بالله واليوم الآخر ففائدة التكرار التنبيه  
على أن أشرف أقسام الايمان هذان القسمان وفي قوله ﴿ من آمن بالله ﴾ حذف  
تقديره من آمن بالله ﴿ واليوم الآخر ﴾ منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما  
عند السامعين ﴿ وعمل صالحا ﴾ يعنى وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذى يراد به  
وجه الله تعالى ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ قوله عز وجل  
﴿ لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل ﴾ يعنى أخذنا العهود عليهم فى التوراة بأن يعملوا  
بما فيها من التوحيد والعمل بما أمرناهم به والاتقاء عما نهيناهم عنه ﴿ وأرسلنا اليهم  
رسلا ﴾ يعنى لبيان الشرائع والاحكام ﴿ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ﴾ يعنى  
بما يخالفهم أهواءهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع ﴿ فريقا كذبوا ﴾

(من آمن) يعنى من اليهود  
والصابئين والنصارى ( بالله واليوم  
والصالحين من الصابئة والنصارى من النصرانية ) وعمل صالحا ( خالصا فيما بينه وبين ربه ) ( فلا خوف عليهم ) فيما يستقبلهم  
من العذاب ( ولا هم يحزنون ) على ما خلفوا من خلفهم ويقال فلا خوف عليهم اذا خاف الناس ولا هم يحزنون اذا حزن  
الناس ويقال فلا خوف عليهم اذا ذبح الموت ولا هم يحزنون اذا أطبقت النار ( لقد أخذنا ميثاق ) اقرار ( بنى اسرائيل )  
فى التوراة فى محمد صلى الله عليه وسلم وأن لا يشركوا بالله ( وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ) بما لا يوافق  
قلوبهم ودينهم اليهودية ( فريقا كذبوا )

وفريقا يقتلون) كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلمهم وقال يقتلون بلافظ المضارع على حكاية الحال الماضية استفضاء للقتل وتنبهها على ان القتل من شأنهم وانتصب فريقا وفريقا على انه مفعول كذبوا ويقتلون وقيل التكذيب مشترك بين اليهود والنصارى والقتل مختص باليهود فنهفم قتلوا زكريا { الجزء السادس } ويحيى (وحسبوا ﴿ ٣٢٢ ﴾ أن لا تكون) حجة وعلى أبو عمر وعلى

وفريقا يقتلون ﴿ جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف أى رسلا منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما حيى يقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفضاء للقتل وتنبهها على ان ذلك من ديدهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي ﴿ وحسبوا أن لا تكون فتنة ﴾ أى وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمر وحجة والكسائى ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان أن هى المخففة من الثقلية واصله انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشأن وادخل فعل الحسبان عليها وهى للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان أو أن بما فى حيزها ساد مسد مفعوليه ﴿ فعموا ﴾ عن الدين أو الدلائل والهدى ﴿ وصموا ﴾ عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ﴿ ثم تاب الله عليهم أى ثم تابوا فتاب الله عليهم ﴿ ثم عموا وصموا ﴾ كرهة اخرى وقرئ بالضم فيهما

يعنى من الرسل الذين جاءتهم ﴿ وفريقا يقتلون ﴾ يعنى من الرسل فكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراءة على الله عز وجل ومخالفة لامرہ ﴿ قوله عز وجل ﴿ وحسبوا ﴾ يعنى وظن هؤلاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء ﴿ أن لا تكون فتنة ﴾ يعنى ان لا يعذبهم الله ولا يتلهم بذلك الفعل الذى فعلوه وانما جعلهم على هذا الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقته فلهدا السبب حسبوا أن لا يكون فعلهم ذلك فتنة يتلون بها وقيل انما قدموا على ذلك لاعتقادهم أن آباءهم وأسلافهم يدفعون عنهم العذاب فى الآخرة ﴿ فعموا وصموا ﴾ يعنى أنهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعه وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق الى قلوبهم وسبب ذلك شدة جهلهم وقوة كفرهم واعراضهم عن قبول الحق قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل فى زمن موسى عليه السلام ﴿ ثم تاب الله عليهم ﴾ يعنى انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم ﴿ ثم عموا وصموا ﴾ يعنى فى زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام لانهم كذبوا عيسى وقتلوا زكريا ويحيى وقيل ان العمى والصمم الاول كان بعد موسى ثم تاب الله عليهم يعنى ببعثة عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا يعنى بسبب الكفر بمحمد

أن أن مخففة من الثقلية أصله أنه لا تكون فخفت ان وحذف ضمير الشأن ونزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم فلذا دخل فعل الحسبان على ان التى هى للتحقيق ( فتنة ) بلاء وعذاب أى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله عذاب بقتل الانبياء وتكذيب الرسل وسد ما يشتمل عليه صلة ان وأن من المسند والمسنود اليه مسد مفعولى حسب ( فعموا وصموا ) فلم يعملوا بما رأوا ولا بما سمعوا وفعموا عن الرشد وصموا عن الوعظ ( ثم تاب الله عليهم ) رزقهم التوبة ( ثم عموا وصموا )

يقول كذبوا فريقا عيسى ومحمد صلوات الله عليهما ( وفريقا يقتلون ) يقول وفريقا قتلوا زكريا ويحيى ( وحسبوا أن لا تكون فتنة ) بلية ويقال ان لا تضسد

قلوبهم بقتل الانبياء وتكذيبهم ( فعموا ) عن الهدى ( وصموا ) عن الحق فى القلب وكفروا ( صلى الله ) بالله ثم آمنوا وتابوا من الكفر ( ثم تاب الله عليهم ) تجاوز الله عنهم ( ثم عموا ) عن الهدى أيضا ( وصموا ) عن الحق

كثير منهم ) هو بدل من الضمير أى الواو وهو بدل البعض من الكل أو هو خبر مبتدأ محذوف أى أولئك كثير منهم ( والله بصير بما يعملون ) فيحجازهم بحسب ﴿ ٣٢٣ ﴾ أعمالهم ( لقد { سورة المائدة } كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن

مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ) لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في أنه عبد مروبوب ليكون حجة على النصارى ( انه من يشرك بالله ) في عبادته غير الله ( فقد حرم الله عليه الجنة ) التى هى دار الموحدين أى حرمة دخولها ومنعه منه ( ومأواه النار ) أى مرجعه ( وما للظالمين ) أى الكافرين ( من أنصار ) وهو من كلام الله تعالى أو من كلام عيسى عليه السلام ( لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ) أى ثالث ثلاثة وكفروا ( كثير منهم ) وماتوا على ذلك ( والله بصير بما يعملون ) فى الكفر من قتل الانبياء وتكذيبهم ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مسيح ) ( ثلاثه ) أى ثالث ثلاثة وهو المسيح بن مريم ) وهو مقالة النسطورية ( وقال المسيح ) ابن مريم ( يابنى اسرائيل اعبدوا الله ) وحدوا الله ( ربي وربكم ) انه من يشرك بالله ) ويمت عليه ( فقد حرم الله عليه

على ان الله عما هم وصممهم أى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية أعمى وأصم ﴿ كثير منهم ﴾ بدل من الضمير أوفاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث أو خبر مبتدأ محذوف أى العمى والصمم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر فى مثله ممتنع ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ فيحجازهم وفق أعمالهم ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ أى انى عبد مروبوب مثلكم فاعبدوا خالتي وخالقكم ﴿ انه من يشرك بالله ﴾ أى فى عبادته أو فيما يختص به من الصفات والافعال ﴿ فقد حرم الله عليه الجنة ﴾ يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من الحرم فانهار دار الموحدين ﴿ ومأواه النار ﴾ فانها المعدة للمشركين ﴿ وما للظالمين من انصار ﴾ أى ومالهم احد يتصرهم من النار فوضع الظاهر موضع الضمير تسميلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون تمام كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأن يكون من كلام الله تعالى نبيه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى صلى الله تعالى عليه وسلم وتقربا اليه وهو معاديتهم بذلك ومخاصمهم فيه فافظنك بغيره ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ﴾ أى احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله

صلى الله عليه وسلم ﴿ كثير منهم ﴾ من اليهود لان بعضهم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبدالله بن سلام وأصحابه ﴿ والله بصير بما يعملون ﴾ يعنى من قتل الانبياء وتكذيب الرسل ﴿ قوله عز وجل ﴾ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ﴿ لما حكى الله عن اليهود ما حكا من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبياء وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع فى الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ﴾ وهذا قول يعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله جل وعلا حل فى ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ﴿ وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ يعنى وقد كان المسيح قال هذا لبني اسرائيل عند مبثته اليهم وهذا تنبيه على ماهو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره فى العبودية والاقرار لله بالرؤية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه ﴿ انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ﴾ يعنى انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعنى اذا مات على شركه ﴿ ومأواه النار ﴾ يعنى انه يصير الى النار فى الآخرة ﴿ وما للظالمين ﴾ يعنى وما للمشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك ﴿ من انصار ﴾ يعنى مالهم من أنصار ينصرونهم ويمنونهم من العذاب يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ﴿ وهذا قول المرقسية والنسطورية من النصارى وتفسير

الجنة) ان يدخلها ( ومأواه ) مصيره ( النار وما للظالمين ) للمشركين ( من أنصار ) من مانع مما يراد بهم ( لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ) وهى مقالة المرقسية يقول أبوابان

آلهة والاشكال انه تعالى قال في الآية الاولى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال في الثانية لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة { الجزء السادس } والجواب ان بعض ❦ ٣٢٤ ❦ النصارى كانوا يقولون كان المسيح

بعينه هو الله لان الله ربما يتجلى في بعض الازمان في شخص قبيح في ذلك الوقت في شخص عيسى ولهذا كان يظهر من شخص عيسى أفعال لا يقدر عليها الا الله وبعضهم ذهبوا الى آلهة ثلاثة الله ومريم والمسيح وانه ولد الله من مريم ومن في قوله ( وما من اله الا اله واحد ) للاستغراق أى وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لانى له وهو الله وحده لا شريك له وفي قوله ( وان لم يتنوها عما يقولون ليسن الذين كفروا منهم ) لبيان كالتى في فاجتنبوا الرجس من الاوثان ولم يقل ليسنهم لان في اقامة الظاهر مقام المخبر تكرر الشهادة عليهم بالكفر أو للتبعض أى ليسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية (عذاب أليم) نوع شديد الالم من العذاب وروح القدس (وما من اله)

النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول يعقوبية القائلين بالاتحاد ❦ وما من اله الا اله واحد ❦ وما في الموجودات ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق ❦ وان لم يتنوها عما يقولون ❦ ولم يوحدوا ❦ ليسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ❦ أى ليسن الذين بقوا منهم على الكفر أو ليسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقبه قول النصارى طريقان أحدهما وهو قول أكثر المفسرين انهم أرادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله وبين ذلك قوله تعالى للمسيح أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمحار تقديره ان الله أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة آلهة قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يردبه انه ثالث ثلاثة آلهة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله تعالى في سورة المجادلة ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثانى ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون انه جوهر واحد ثلاثة اقانيم أب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وأثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة التى هى كلام الله اختلطت بمجد عيسى اختلاط الماء باللبن وزعموا ان الاب اله والا بن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا ترى في الدنيا مقالة أشد فسادا ولا أظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا اخبرنا عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثلاث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة آلهة فذلك لازم لهم وانما يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله فقد جعلوه ثالث ثلاثة وقولهم بعد هذا هو اله واحد فيه مناقضة لما قالوا أولا فهذا بيان فساد قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى ❦ وما من اله الا اله واحد ❦ يعنى انه ليس في الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لانى له ولا شريك له ولا ولد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى ❦ وان لم يتنوها عما يقولون ❦ يعنى وان لم يتنوا النصارى عن هذه المقالة الخبيثة ❦ ليسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ❦ يعنى ليصين الذين أقاموا على

لاهل السموات والارض ( الا اله واحد ) لا ولده ولا شريك له ( وان لم يتنوها عما يقولون ) يقول وان لم ( هذا ) يتوبوا من مقالاتهم يعنى اليهود والنصارى ( ليسن ) ليصين ( الذين كفروا منهم عذاب أليم ) وجميع مخلص وجعه الى قلوبهم

( أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ) الايتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تجيب من اصرارهم ( والله غفور رحيم ) ﴿ ٣٢٥ ﴾ يغفر لهم ولأهل سورة المائدة ان تابوا ولغيرهم ( ما المسيح

ابن مريم الرسول ) فيه نفي الالهوية عنه ( قدخلت من قبله الرسل ) صفة لرسول أى ماهو الرسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وبراؤه الاكبر والابرض واحياؤه الموتى لم يكن منه لانه ليس الهابل الله أبرأ الاكبر والابرض وأحيا الموتى على يده كما أحيا العصا وجعلها حية تسمى على يدموسى وخلقته من غير ذكر كخلق آدم من غير ذكر وأنثى ( وأمه صديقة ) أى ومأمة أيضا الاكبر بعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم ووقع اسم الصديقة عليها لقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه ثم أبعدهما عما نسب اليهما بقوله ( كانا يأكلان الطعام ) لان من احتاج الى الاغذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقض لم يكن الا جسما مركبا من لحم وعظم وعروق وأعصاب وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف كغيره من الاجسام ( انظر

بقوله ﴿ أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ﴾ أى فلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائفة ويستغفرونه بالتوحيد والتزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد ﴿ والله غفور رحيم ﴾ يغفر لهم وينعمهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تجيب من اصرارهم ﴿ ما المسيح ابن مريم الرسول ﴾ قدخلت من قبله الرسل ﴿ أى ماهو الرسول كالرسل قبله خصه الله سبحانه وتعالى بالآيات كما خصهم بها فان أحي الموتى على يده فقد أحي العصا وجعلها حية تسمى على يد موسى عليه السلام وهو عجب وان خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم وهو أغرب ﴿ وأمه صديقة ﴾ كسائر النساء اللاتي يلازم من الصدق أو يصدقن الانبياء ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ ويفترقان اليه افتقار الحيوانات بين اول اقصى مالهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصها وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعى الربوبية لهما مع امثال هذه الاداة الظاهرة فقال ﴿ انظر

هذا القول الخبيث وهذا الدين الذى ليس بمرضى عذاب وجيع فى الآخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من سيئون ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى ﴿ أفلا يتوبون الى الله ﴾ يعنى من قولهم بالثلث ﴿ ويستغفرونه ﴾ وهذا استفهام يعنى الامراى توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لمن استغفره وتاب اليه ﴿ رحيم ﴾ به وبسائر خلقه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ما المسيح ابن مريم الرسول قدخلت من قبله الرسل ﴿ يعنى المسيح رسول من الله عز وجل ليس باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا آلهة وقد أتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدقه كما أن الذين من قبله أتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم ﴿ وأمه صديقة ﴾ يعنى انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانهما صدقت بآيات ربها وكتبه ﴿ وقوله عز وجل ﴾ كانا يأكلان الطعام ﴿ فيه احتجاج على فساد قول النصارى بالهية المسيح يعنى ان المسيح وأمه مريم كانا بشريين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بنى آدم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الابوه وقيل معناه انه لو كان آلهما كما يزعمون لدفع عن نفسه ألم الجوع وألم العطش ولم يوجد ذلك فكيف يكون الها وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من أكل وشرب لا بد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى أظهر ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى ﴿ انظر ﴾ اخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى انظر

( أفلا يتوبون الى الله )

من مقالاتهم ( ويستغفرونه ) يوحدونه ( والله غفور ) لمن تاب وآمن ( رحيم ) لمن مات على التوبة ( ما المسيح ابن مريم الرسول ) مرسل ( قدخلت ) قدمضت ( من قبله الرسل ) وأمه صديقة ( شبهة ) ( كانا يأكلان الطعام ) كانا عبدان يأكلان الطعام ( انظر ) يا محمد

كيف نبين لهم الآيات ) أى الاعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم ( ثم انظر أنى يؤفكون ) كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله بعد هذا البيان وهذا تعجب من الله تعالى فى ذهابهم عن الفرق بين الرب والمربوب ( قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا ) هو عيسى عليه السلام أى شىء لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلاء والمصائب فى النفس والاموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب لان كل ما يستطيعه البشر من المضار { الجزء السادس } والمنافع ﴿ ٣٢٦ ﴾ فيخيلقه تعالى فكأنه لا يملك منه

كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴿ كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وهم لتفاوت ما بين المجيبين أى ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها عجب ﴾ قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا ﴿ يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام وهو وان ملك ذلك تجديك الله سبحانه وتعالى اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلاء والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه رأسا وتبنيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة يقبل المجانسة والمشاركة فيمزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التعرز عنه اهم من تحجى النفع ﴿ والله هو السميع العليم ﴾ بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فاشرا ﴿ قل يا اهل الكتاب لاتقلوا فى دينكم غير الحق ﴾ أى غلوا باطلا فترفعوا عيسى عليه الصلاة والسلام الى ان تدعوا له الالوهية أو تضعوه فترفعوا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قدضلوا من قبل ﴾ يعنى اسلافهم وأئمتهم الذين قدضلوا

يا محمد ﴿ كيف نبين لهم الآيات ﴾ يعنى الدالة على بطلان قولهم ﴿ ثم انظر أنى يؤفكون ﴾ أى كيف يصرفون عن استماع الحق وقبوله ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا ﴿ يعنى لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلاء والمصائب فى النفس والاموال ولا يقدر أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لان تعبدون من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون الها ﴿ والله هو السميع العليم ﴾ يعنى انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما فى ضمائركم ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل يا اهل الكتاب لاتقلوا فى دينكم ﴿ الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفى الافراط والتفريط فمجاوزة الحدوا التقصير مذمومان فى الدين ﴿ غير الحق ﴾ يعنى لا تقلوا فى دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق فى دينهم ثم غلوا فى الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا فى عيسى عليه السلام اما غلوا اليهود فالتقصير فى حقه حتى نسبوه الى غير رشدة واما غلوا النصارى فمجاوزة الحد فى حقه حتى جعلوه الههم وكلا الغلوين مذموم ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قدضلوا من قبل ﴾

شىء وهذا دليل قاطع على أن أمره منافع للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شىء لا يخرج مقدور عن قدرته ( والله هو السميع ) متعلق بآتبعون أى أى أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذى يسمع ما تقولونه ويعلم ما تعتقدونه ( قل يا اهل الكتاب لاتقلوا فى دينكم ) الغلو مجاوزة الحد فقلوا النصارى رفعه فوق قدره باستحقاق الالوهية وغلوا اليهود وضعه عن استحقاق النبوة ( غير الحق ) صفة لمصدر محذوف أى غلوا غير الحق يعنى غلوا باطلا ( ولا تتبعوا أهواء قوم قدضلوا من قبل ) أى أسلافكم وأئمتكم الذين ( كيف نبين لهم الآيات ) العلامات بان عيسى ومريم لم يكونا بالهين ( ثم انظر )

يا محمد ( انى يؤفكون ) كيف يصرفون بالكذب ( قل ) لهم يا محمد ( اتعبدون من دون الله ) الاصنام ( مالا يملك لكم ضرا ) مالا يقدر لكم على دفع الضر فى الدنيا وفى الآخرة ( ولا نفعا ) يقول ولا أجر النفع فى الدنيا والآخرة ( والله هو السميع ) لمقاتلكم فى عيسى وأمه ( العليم ) يعقوبتكم ( قل يا اهل الكتاب ) يعنى أهل نجران ( لاتقلوا فى دينكم ) لاتشددوا فى دينكم ( غير الحق ) فانه ليس بحق ( ولا تتبعوا أهواء قوم ) دين قوم ومقالة قوم ( قدضلوا ) عن الهدى ( من قبل ) من قبلكم وهم

كانوا على الضلال قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيرا) ممن تابعهم (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه وبعثوا عليه (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) ﴿٣٢٧﴾ قيل ان ﴿سورة المائدة﴾ أهل ايلة لما اعتدوا في السبت

قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذابا لم تمذبه أحدا من العالمين والعنهم كالغنت أصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ أي ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسوخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر ارادوا فعله وتهيئوا له ولا يتنهون عنه

الرؤساء السيد والعاقب (وأضلوا كثيرا) عن الحق والهدى (وضلوا عن سواء السبيل) عن قصد طريق الهدى (لعن) مسخ (الذين

قبل بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في شريعتهم ﴿وأضلوا كثيرا﴾ شايهم على بدعهم وضلالهم ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد بعثه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبوه وبعثوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم﴾ أي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان أهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم الله على لسان داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ أي ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسوخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثل منكر فعلوه أو عن منكر ارادوا فعله وتهيئوا له ولا يتنهون عنه

الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن الا ودمه وقال أبو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريد الخاطب في قوله ولا تتبعوا اهواء قوم لليهود والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله أهواء قوم قد ضلوا من قبل فبين الله تعالى انهم كانوا على ضلالة ﴿وأضلوا كثيرا﴾ يعني من اتبعهم على ضلاتهم واهوائهم ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ يعني واخطؤا عن قصد طريق الحق ﴿قوله عز وجل﴾ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود ﴿قال أكثر المفسرين﴾ هم أصحاب السبت لما اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم قردة فمسخوا قردة وستأتي قصتهم في سورة الاعراف ﴿وعيسى بن مريم﴾ يعني وعلى لسان عيسى بن مريم وهم كفار أصحاب المائدة لما أكلوا منها وادخروا ولم يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتي قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفخرون بأبائهم ويقولون نحن من أولاد الانبياء عليهم السلام فأخبر الله تعالى بانهم ملعونون على السنة الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما من يكفر به ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ يعني ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر وقيل معناه لا يتناهون عن

كفروا من بني إسرائيل على لسان داود) بدعاء داود صاروا قردة (وعيسى بن مريم) وبدعاء عيسى بن مريم صاروا خنازير (ذلك) اللعنة (بما عصوا) في السبت وأكل المائدة (وكانوا يعتدون) بقتل الانبياء واستحلال المعاصي (كانوا لا يتناهون) لا يتوبون (عن منكر) عن قبيح (فعلوه)



بل يصرون عليه يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ثم عجب من سوء فعلهم مؤكداً لذلك بالقسم بقوله (لبئس ما كانوا { الجزء السادس } يفعلون) وفيه ﴿ ٣٢٨ ﴾ دليل على أن ترك النهي عن المنكر من

من قولهم تنهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع ﴿ لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ تعجب من سوء فعلهم مؤكداً بالقسم ﴿ ترى كثيراً منهم ﴾ من اهل الكتاب ﴿ يتولون الذين كفروا ﴾ يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين ﴿ لبئس ما قدمت لهم انفسهم ﴾ أى لبئس شيئاً قدموه ليردوا عليه يوم القيامة ﴿ ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴾ هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود في العذاب أو علة الذم والمخصوص محذوف أى لبئس شيئاً ذلك لان كسبهم السخط والخلود ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي

معاودة منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه ﴿ لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ اللام في لبئس لام القسم أى اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعنى من ارتكاب المعاصى والعدوان عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل انه كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأسرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد في رواية أو ليضربن الله قلوب بعضهم ببعض ثم يلعنكم كاللعنهم أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى عند فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصى نهتهم علماءهم فماتت بنوهم فجالسواهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال لا والذي نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا قال الترمذى هذا الحديث حسن غريب قوله أ كيله وشريبه وقعيده هو المأكل والمشرب والمقاعد فعمل بمعنى فاعل وقوله لتأطرنه الاطراف العطف يعنى لتعطفن وتتردنه الى الحق الذى خالفه والقصر القهر على الشئ ﴿ قوله عز وجل ﴾ ترى كثيراً منهم ﴾ يعنى من اليهود مثل كعب بن الاشرف وأصحابه ﴿ يتولون الذين كفروا ﴾ يعنى يوالون المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليحيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ترى كثيراً من المنافقين يتولون اليهود ﴿ لبئس ما قدمت لهم انفسهم ﴾ يعنى ببئس ما قدموا من العمل لمعادهم فى الآخرة ﴿ أن سخط الله عليهم ﴾ يعنى بما فعلوا من موالاة الكفار ﴿ وفي العذاب هم خالدون ﴾ يعنى فى الآخرة ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي ﴾ يعنى ولو كان

العظامم فياحسرة على المسلمين فى اعراضهم عنه ( ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ) هم منافقوا أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم ( لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم ) لبئس شيئاً قدموه لانفسهم سخط الله عليهم أى موجب سخط الله ( وفي العذاب هم خالدون ) أى فى جهنم ( ولو كانوا يؤمنون بالله ) ايماناً خالصاً بلا نفاق ( والنبي ) أى محمد صلى الله عليه وسلم

لبئس ما كانوا يفعلون ) أى ما كانوا يفعلون من المعصية والاعتداء ( ترى كثيراً منهم ) من المنافقين ( يتولون ) فى العون والنصرة ( الذين كفروا ) كعبا وأصحابه ويقال ترى كثيراً منهم من اليهودية كعبا وأصحابه يتولون الذين كفروا كفار أهل مكة اباسفيان واصحابه ( لبئس ما قدمت لهم انفسهم ) فى اليهودية والنفاق ( ان سخط ) بأن

سخط ( الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ) لا يعوتون ولا يخرجون ( ولو كانوا ) يعنى المنافقين ( هؤلاء ) ( يؤمنون بالله ) يصدقون بايمانهم بالله ( والنبي ) محمد صلى الله عليه وسلم

( وما أنزل إليه ) يعنى القرآن ( ما اتخذوهم أولياء ) ما اتخذوا المشركين أولياء يعنى ان موالاته المشركين تدل على نفاقهم ( ولكن كثيرا منهم فاسقون ) مستقرون في كفرهم ونفاقهم أو معناه ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله وبجوسى وما أنزل إليه يعنى التوراة ما اتخذوا المشركين أولياء كالم بوالهم المسلمون ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم فلا دين لهم أصلا ( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ) هو مفعول ثان لتجدن وعداوة تمييز ( والذين أشركوا ) عطف عليهم ( وتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ) اللام تتعلق بعداوة ومودعة وصف اليهود بشدة الشكينة ﴿ ٣٢٩ ﴾ والنصارى { سورة المائدة } بلين العريكة وجعل اليهود

قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين ونبه على تقدم قدمهم فيها بتقدمهم على المشركين

( وما أنزل إليه ) يعنى القرآن ( ما اتخذوهم ) يعنى اليهود ( أولياء )

في العون والنصرة ( ولكن كثيرا منهم ) من أهل الكتاب ( فاسقون ) منافقون ويقال ولو كانوا يعنى اليهود يؤمنون بالله يقرون بتوحيد الله والنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه يعنى القرآن ما اتخذوهم يعنى ابا سفيان واصحابه أولياء في العون والنصرة ( ولكن كثيرا منهم ) من أهل الكتاب فاسقون كافرون ثم بين عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال ( لتجدن ) يا محمد ( أشد الناس عداوة )

يعنى بينهم وان كانت الآية في المناقنين فالمراد بينا عليه السلام ﴿ وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ﴾ اذا لايمان يمنع ذلك ﴿ ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴾ خارجون عن دينهم أو مقردون في نفاقهم ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ لشدة شكيتهم وتضاعف كفرهم وانهما كهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ﴿ وتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ﴾ لبلن جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم

هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله وصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث الى كافة الخلق ﴿ وما أنزل إليه ﴾ يعنى يؤمنون بالقرآن الذى أنزل إليه من ربه ﴿ ما اتخذوهم أولياء ﴾ يعنى ما اتخذوا الكفار أنصارا وأعوانا من دون المؤمنين ﴿ ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴾ يعنى ولكن أكثرهم خارجون عن طاعة الله وأمره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبدالله بن سلام واصحابه ﴿ قوله عز وجل ﴾ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴿ اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد انك لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين أشركوا وصف الله شدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجملهم قرناء المشركين عبدة الاصنام في العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين ﴿ وتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ﴾ ووصف بلين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق قال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم اىصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين بأى طريق كان مثل القتل ونهب المال أو بأبواب المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فأن الايذاء في مذهبهم حرام فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره وأما النصارى فأن فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فإنه

واقبح قولاً ( للذين آمنوا ) محمد واصحابه ( قا و خا ٤٢ نى ) ( اليهود ) يعنى يهود بنى قريظة والنضير وفدك وخيبر ( والذين أشركوا ) واشد الذين أشركوا مشركواهل مكة ( وتجدن ) يا محمد ( أقربهم مودة ) صلواته والذين آمنوا ) محمد واصحابه ( الذين قالوا انا نصارى ) يعنى النجاشى واصحابه وكانوا اثنين وثلاثين رجلا ويقال اربعون رجلا ثمان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية نفر من ربه بن الشام بحير الراهب واصحابه ابرهة واشرف وادريس وعميم

( قوله شكيتهم يقال فلان شديد الشكينة اذا كان لا يتقاد لاحد واصل معنى الشكينة الجديدة التى توضع في فراس فارس فانه اذا كان حرونا جعلت غليظة شديدة لتضبطه فلذا استعير للخمسة والانفة الخ من الشهاب

على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ﴿ ذلك بان منهم قسيسين  
ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴾ عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون  
كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات  
محمودة وان كانت من كافر

لا يحسد أحدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى ﴿ ذلك  
بأن منهم ﴾ يعني من النصارى ﴿ قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴾ ولم يرد به  
كل النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الآية نزلت فيمن آمن  
من النصارى مثل النجاشي وأصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع  
قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوافق به بين  
الفتين يعني العربية والرومية وأما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه  
رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية  
ابتدعوها قلت انما مدحهم الله في مقابلة ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين  
ولا يلزم من هذا القدر أن يكون مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من آمن منهم بمحمد  
صلى الله عليه وسلم فوصفهم بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فآمنوا به واتبعوه فان قلت كفر النصارى اشدا وغلظ من كفر اليهود وأقبح فان  
النصارى ينازعون في الالهيات فيدعون ان الله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات  
فيقرون ببعض النبيين ويتكبرون بعضهم والاول اقبح فلم ذم اليهود ومدح النصارى  
\* قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس بمدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة  
عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود ومدح النصارى الذين آمنوا منهم  
واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقبل نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه أحيمرة  
وأصحابه الذين أسلموا معه

### ذكر قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية

قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من المفسرين في قوله ولتجدن أقربهم مودة للذين  
آمَنوا الذين قالوا انا نصارى ان قريشا اتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت  
كل قبيلة على من آمن منهم فأذوهم وعذبوهم فافتتن من أفتتن منهم وعصم الله من شاء  
منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه أبى طالب فلما رأى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ما نزل بأصحابه ولم يقدر أن يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد  
أمر أصحابه بالخروج الى أرض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده  
أحد فاخرجوا اليه حتى يحمل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها أحد عشر رجلا وأربع  
نسوة سراوهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
والزبير بن العوام وعبدالله بن مسعود وعبدالرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة  
وامرأته سهيلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وأبو سلمة بن عبد الاسد وزوجته

( ذلك بان منهم قسيسين  
ورهبانا ) أى علماء وعبادا  
( وأنهم لا يستكبرون )  
على سهولة مأخذ النصارى  
وقرب مودتهم للمؤمنين  
بان منهم قسيسين ورهبانا  
وان فيهم تواضعا واستكانة  
واليهود على خلاف ذلك  
وفيه دليل على أن العلم  
أنفع شئ وأهداء الى  
الخير وان كان علم القسيسين  
وكذا علم الآخرة  
وان كان في راهب  
والبراءة من الكبروان  
كانت في نصراني

وتام ودريدوا عن ( ذلك )  
المودة ( بأن منهم قسيسين )  
متعبدين مخلقة اوساط  
رؤسهم ( ورهبانا ) اصحاب  
الصوامع علماءهم ( وأنهم  
لا يستكبرون ) عن الايمان  
بمحمد والقرآن

أم سلمة بنت أمية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلي بنت أبي خيثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة بنصف دينار الى أرض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر الى أرض الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وجماعة يهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل اليه عمرو وقال له أيها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش واحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحيينا ان تأتيك ونخبرك خبرهم وان قومهم يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فامرهم فاحضروا فلما أتوا باب النجاشي قالوا يستأذن أولياء الله فقال أئذنوا لهم فرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألا ترى انا قد صدقتك انهم لم يحويك بتحيتك التي تحيا بها فقال لهم الملك مامنكم ان تحيوني بتحيتي فقالوا له انا حينئذ نخيأ أهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه فقال جعفر بن أبي طالب يقول هو عبدالله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ النجاشي عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤا فقرأ جعفر سورة مريم وهناك قسيسون وراهبان وسائر النصارى فمرفوا ماقرأ فانحدرت دموعهم ماعرفوا من الحق فأنزل الله فيهم ذلك بأن منهم قسيسين وراهبانا وانهم لا يستكبرون الى آخر الآيتين فقال النجاشي لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم سيوم بارضى يعني أنكم آمنون فرجع عمرو وأصحابه خائبين وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا أمره وقهر أعداءه وذلك في سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن أمية الضمري أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت قدهاجرت مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشي جارية يقال لها ابرهة الى أم حبيبة يخبرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطبها فسرت بذلك وأعطت الجارية أوضاحا كانت لها وأذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق مبلغه أربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فأرسل اليها بجميع الصداق على يد جاريته ابرهة فلما جاءت بالدينارين ووهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها وقالت ان الملك أمرني ان لا أخدمك شيئا وقالت أنا صاحبة دهن الملك وشيابه وقد صدقت بحمد صلى الله عليه وسلم وآمنت به وحاجتي اليك ان تقرئني مني السلام قالت نعم فقالت قد أمر الملك نساءه أن يبعثن اليك بما عندهن من دهن وعود وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا يتكره قالت أم حبيبة فخرجنا الى المدينة  
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصر خيبر فخرج من خرج اليه من قدم من الحبشة  
وأقت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسألني  
عن النجاشي وقرأت عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم عليها السلام وأنزل الله عز وجل عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين  
عاديتهم منهم مودة يعني أباسفيان وذلك بتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة  
ولما بلغ أباسفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قال ذلك الفحل  
لا يجتمع أنفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر وأصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم  
ابنه أزهى في ستين رجلا من أصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني أشهد انك رسول الله  
صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت  
اليك ابني أزهى وان شئت ان آتيك بنفسى فملت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا  
في سفينة في أثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافي جعفر وأصحابه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخير ووافي مع جعفر سبعون رجلا عليهم الثياب الصوف  
منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم سورة يس الى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما  
كان ينزل على عيسى عليه السلام فأنزل الله هذه الآية فيهم وهي قوله وتجدن أقربهم  
مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم  
السبعون وكانوا من أصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلا أربعين من نصارى  
نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميين من أهل  
الشام وقال قتادة نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق

مجاهده عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به

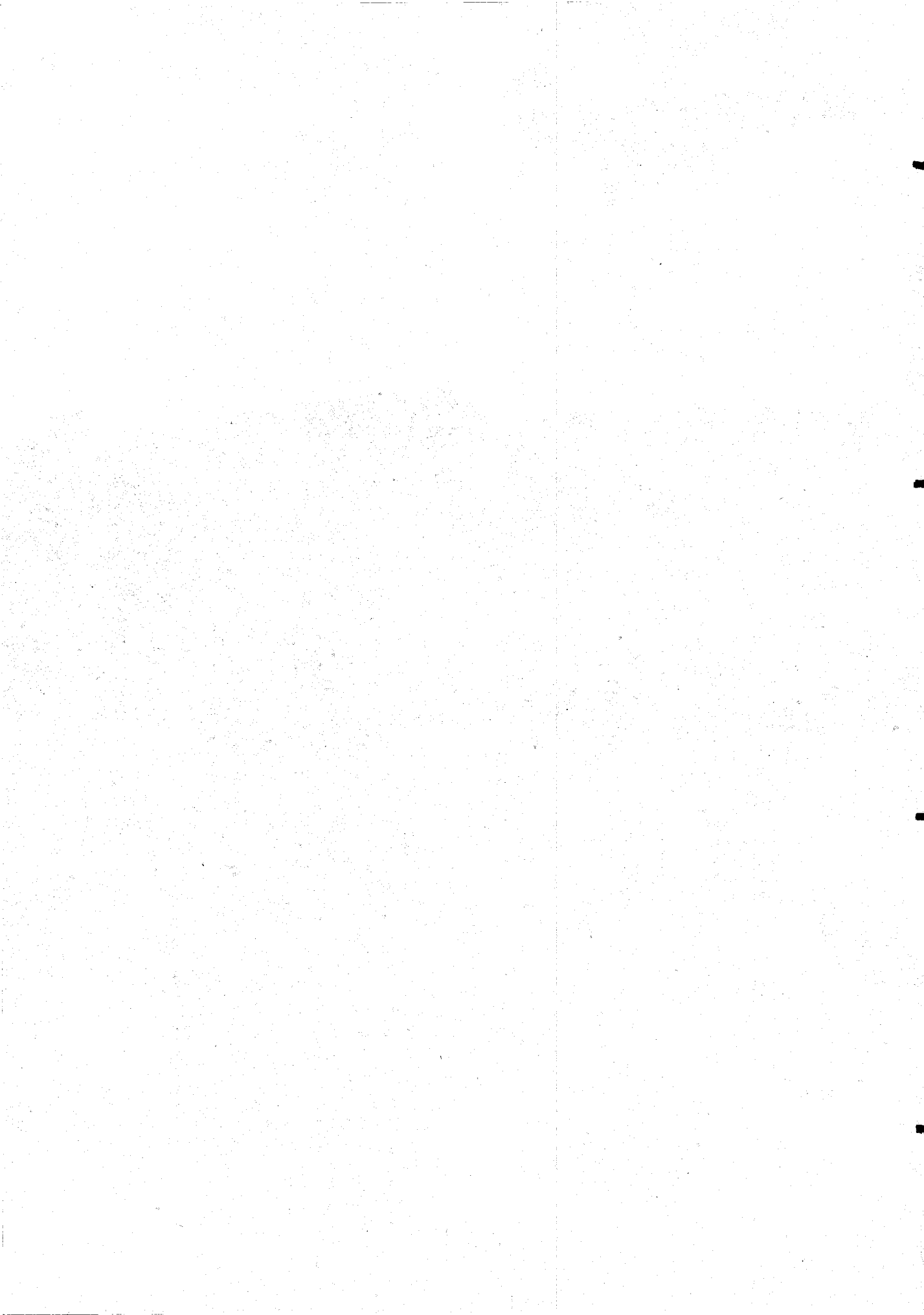
وصدقوه فآمنوا بالله عليهم بقوله وتجدن أقربهم مودة للذين

آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين

ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني

لا يتعظمون عن الايمان

والاذعان للحق



( واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ) وصفهم بركة القلوب وانهم سيكون عند استماع القرآن كما روى عن النجاشي انه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يقرؤنه عليهم هل في كتابكم ذكر مرهم قال جعفر فيه سورة تنسب الى مرهم فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مرهم وقرأ سورة طه الى قوله هل آتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا تفيض من الدمع تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يتلئ الاناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء أو قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كأنها تفيض بانفسها أي تسيل من أجل البكاء ومن في مما عرفوا الابتداء الغاية على أن فيض الدمع ابتداء ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله ومن من الحق لتبين الموصول الذي هو ما عرفوا أو للتبويض على أنهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله وقرؤا القرآن وأحاطوا بالسنة (يقولون) حال من ضمير الفاعل في عرفوا (ربنا آمنة) بمحمد صلى الله عليه وسلم والمراد انشاء الايمان والدخول ( واذا سمعوا ما أنزل

### الحرم السابع

#### سبحانك ما عرفك كحق معرفتك

﴿ واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ﴾ عطف على لا يستكبرون وهو بيان لركة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأييمهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة وأجعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بانفسها ﴿ مما عرفوا من الحق ﴾ من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا أو للتبويض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله ﴿ يقولون ربنا آمنة ﴾

﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا سمعوا ما أنزل الى الرسل ﴿ يعني واذا سمعوا القرآن الذي أنزل الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ترى أعينهم تفيض من الدمع ﴾ يقال فاض الاناء اذا امتلأ حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله تعالى بسبل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القرآن قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد النجاشي وأصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب سورة مرهم قال فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة ﴿ مما عرفوا من الحق ﴾ يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق ﴿ يقولون ﴾ يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشي ﴿ ربنا آمنة ﴾ يعني بالقرآن وشهدنا انه حق

الى الرسول) قراءة ما أنزل الى الرسول من جعفر بن أبي طالب ( ترى أعينهم تفيض ) تسيل ( وصدق ) ( من الدمع مما عرفوا من الحق ) من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته في كتابهم ( يقولون ربنا ) ياربنا ( آمنة ) بك وبكتابك وبرسولك محمد

فيه) فاكتبنا مع الشاهدين) مع أمة محمد عليه السلام الذين هم الشهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكركم في الانجيل كذلك (ومالنا لا نؤمن بالله) انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجه وهو الطمع في انعام الله عليهم ﴿٣٣٥﴾ بصحبة الصالحين { سورة المائدة } وقيل لما رجعوا الى قومهم

لاموهم فاجابوهم بذلك ومالنا مبتدأ وخبر ولا تؤمن حال أى غير مؤمنين كقولك مالك قاعاً (وما جاءنا) وما جاءنا (من الحق) يعنى محمد عليه السلام والقرآن (ونطمع) حال من ضمير الفاعل فى تؤمن والتقدير ونحن نطمع (أن يدخلنا الجنة) مع القوم الصالحين (الانبياء والمؤمنين) فأنا بهم الله بما قالوا) أى بقولهم ربنا آمننا وتصديقهم لذلك (جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) وفيه دليل على أن الاقرار داخل فى الايمان كما هو مذهب الفقهاء وتعلقت الكرامة فى أن الايمان مجرد القول بقوله بما قالوا لكن الثناء بفيض الدع فى السباق وبالاحسان فى السياق يدفع ذلك وأنى يكون

(فاكتبنا مع الشاهدين) فاجعلنا من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين آمنوا فلامهم قومهم بذلك فقالوا (وما لنا لا نؤمن

بذلك أو بمحمد صلى الله عليه وسلم) فاكتبنا مع الشاهدين ﴿ من الذين شهدوا بانه حق أو بذوته أو من امة الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة ﴾ ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴿ استقهم انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانحراط مع الصالحين والدخول فى مداخلهم أو جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن من حال من الضمير والعامل ما فى اللام من معنى الفعل أى وأى شىء حصل لنا غير مؤمنين بالله أى بوحدانيته فأنهم كانوا مثلثين أ وبكتابه ورسوله فأن الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكرة توطئة وتعظيما وطمع عطف على تؤمن أو خبر محذوف والواو للحال أى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيداً بها وتؤمن ﴿ فأنا بهم الله بما قالوا ﴾ أى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان أى معتقده ﴿ جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ الذين احسنوا النظر والعمل أو الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والآيات الاربع روى انها نزلت فى انجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بكتابه فقرأ ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت فى ثلاثين أو سبعين رجلا من قومه وفدوا

وصدق ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ يعنى مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون بالحق ﴿ ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ﴾ قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم وقيل ان اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فاجابوهم بهذا الجواب ومعنى الآية ومالنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ ونطمع ﴾ يعنى ونرجو بذلك الايمان ﴿ أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ يعنى مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ فأنا بهم الله بما قالوا ﴿ يعنى بالتوحيد الذى قاله وانما علق الثواب وهو قوله تعالى ﴿ جنات تجري من تحتها الانهار ﴾ بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة والبكاء المؤذنان بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقى الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سألو ايعنى قولهم فاكتبنا مع الشاهدين ﴿ خالدين فيها ﴾ يعنى فى الجنات ﴿ وذلك جزاء المحسنين ﴾ يعنى المؤمنين الموحدون

بالله وما جاءنا من الحق) يقول وما جاءنا من الحق من الكتاب والرسول (ونطمع أن يدخلنا ربنا) فى الآخرة الجنة (مع القوم الصالحين) مع صالحى امة محمد صلى الله عليه وسلم (فأنا بهم الله) فأوجب الله لهم (بما قالوا) تجو حيدهم بالطوع (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) أنهار المساء واللبن والخمر والعسل (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (وذلك) الذى ذكرت (جزء المحسنين) الموحدون ويقال المحسنين بالقول والفعل



مجرد القول ايماناً وقد قال الله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين نفى الايمان عنهم مع قولهم آمنا بالله لعدم التصديق بالقلب وقال أهل المعرفة الموجود منهم ثلاثة أشياء البكاء على الجفاء والدعاء على العطاء والرضا بالقضاء فن ادعى المعرفة ولم يكن فيه هذه الثلاثة فليس بصادق في دعواه (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) هذا أثر الرد في حق الاعداء والاول أثر القبول للاولياء ونزل في جماعة من الصحابة رضى الله عنهم حلفوا ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقوموا الليل ويصوموا النهار ويسبحوا في الارض ويحجوا منذا كبرهم ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا { الجزء السابع } النساء والطيب ﴿ ٣٣٦ ﴾ ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم )

على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾ عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لأن القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جما بين الترغيب والترهيب ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ أى مطاب ولذمنه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهيبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهى عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد

مطاب ولذمن الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أولاً تقولوا حرمانا على أنفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا روى

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذو وكان يحبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلوى يحب الحلواء وعن الحسن انه دعى الى طعام ومعه فرقد السبجى وأصحابه فتعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذو وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فرقد ترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السم يعميه مسلم وعنه انه قيل

المخلصين في ايمانهم ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ لماذا ذكر الله عز وجل الوعد لمؤمنى أهل الكتاب وما أعد لهم من الجنات ذكر الوعيد لمن أقام منهم على كفره وتكذيبه وأطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴿ أولئك أصحاب الجحيم ﴾ قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ﴾ قال علماء التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوماً ووصف القيامة الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحى وهم أبو بكر وعلى بن أبى طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمرو وأبوذر الغفارى وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسى ومعتل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على انهم يترهبون ويلبسون المسوح ويحجون منذا كبرهم ويصومون الدهر ويقومون الليل ولا ينامون على الفرش ولا يأكلون اللحم والودك ولا يقربون النساء ولا الطيب ويسبحون في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أحق ما باغنى عن زوجك وأصحابه فكرهت ان تكذبى وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد أخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أبدأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله

له فلان لا يأكل الفالوذو ويقول لا أرى شكره فقال أعي شرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد (وما)

(والذين كفروا) بالله (وكذبوا بآياتنا) محمداً والقرآن (أولئك أصحاب الجحيم) أهل النار (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) نزلت هذه الآية في عشرة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو بكر الصديق وعمر وعلى وعبدالله بن مسعود وعثمان بن مظعون والجمحى ومقداد بن الاسود الكندى وسالم مولى أبى حذيفة بن عتبة وسلمان الفارسى وأبوذر وعمار بن ياسر توافقتوا في بيت عثمان بن مظعون ان لا يأكلوا ولا يشربوا الاقوتاً ولا أووا بيتاً ولا يأتوا النساء ولا يأكلون لحماً ولا دسماً وان يحجوا أنفسهم فنهاهم الله عن ذلك ونزلت فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم من الطعام والشراب والجماع

الله سبحانه وتعالى يجعل الحلال حراما فقال ﴿ ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين ﴾ ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لأصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش وان لا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسبحوا في الارض ويجبوا ماذا كيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم أومر بذلك ان لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطروا اكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت ﴿ وكلا مما رزقكم الله حلالا طيبا ﴾ أى كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا وما رزقكم الله حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا وحلالا حال من الموصول

ومأردنا الاخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم أومر بذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطروا اكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا فاني لست أمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة أمتي الصوم وورهابيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا وأقربوا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشد الله عليهم فتلك بقاياهم في الديار والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الآية يأياها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم يعني الطيبات اللذيذات التي تشبهها النفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشرب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغي ان تجتنب الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شيء أحله الله فقد كفر أما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تقويت حق الغير ففضيلة لا يمنع منها بل أمور بها ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تعتدوا ﴾ يعني ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا أنفسكم فسمى جب المذاكير اعتداء وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف في الطيبات ﴿ أن الله لا يحب المعتدين ﴾ يعني المجاوزين الحلال الى الحرام ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكلا مما رزقكم الله حلالا طيبا ﴾ يعني وكلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذي رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارك قال عبدالله بن المبارك الحلال ما أخذته من وجهه والطيب ما غدى وانى فاما الجامد كالطين والتراب وما

البارد أكبر من نعمته عليه في الفالوذ ( ولا تعتدوا ) ولا تجاوزوا الحد الذي حد عليكم في تحليل أو تحريم أو ولا تعتدوا حدود ما حل لكم الى ما حرم عليكم أو ولا تسرفوا في تناول الطيبات ( إن الله لا يحب المعتدين ) حدوده ( وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ) حلالا حال مما رزقكم الله ( ولا تعتدوا ) بقطع المذاكير ( إن الله لا يحب المعتدين ) من الحلال الى الحرام في المثلة ( وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ) من الطعام والشراب

( و اتقوا الله ) توكيداً للتوصية بما أمر به وزاده توكيداً بقوله ( الذى أنتم به مؤمنون ) لان الايمان به يوجب التقوى فيما أمر به ونهى ( لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ) اللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم وهون يحلف على شئ برى أنه { الجزء السابع } كذلك وليس كما ظن ٣٣٨ وكانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن أنه قرينة فلما نزلت تلك الآية قالوا فكيف أيماننا فنزلت وعند الشافعى رحمه الله ما جرى على اللسان بلا قصد ( ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ) أى بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالتخفيف كوفى غير حفص والمقد العزم على الوطء وذال يتصور فى الماضى فلا كفارة فى الغموس وعند الشافعى رحمه الله القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنتم فحذف وقت المؤاخذه لانه كان معلوما عندهم أو بنكت ما عقدتم فحذف المضاف

أوالعائد المحذوف أو صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لولم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الخلال فائدة زائدة ﴿ و اتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ﴾ هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعى رحمه الله وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وفى أيمانكم صلة يؤاخذكم أو اللغو لانه مصدر أو حال منه ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ بما وثقت الأيمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنتم أو بنكت ما عقدتم فحذف اللعلم به \* قرا حزة والكسائى وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر فى رواية ابن ذكوان عاقدتم

لا يغذى فمكروه الاعلى وجه التداوى وعن ابن عباس ان رجالاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى اذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتى فحرمت على اللحم فانزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ﴿ وله عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل ﴾ وله عن أبى هريرة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تجبه فنهش منها قالت عائشة ما كان الذراع أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجيد اللحم الاغبوا وكان يجعل اليه الذراع لانه أعجلها فنجباً أخرجه الترمذى ﴿ قوله عز وجل ﴾ و اتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ﴿ هذان تأكيداً للصيغة بما أمر الله تعالى به وزاد التأكيد بقوله الذى أنتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء الى ما أمر الله به وعما نهى عنه وفى الآية دليل على أن الله عز وجل قد تكفل برزق كل أحد من عباده فانه تعالى لولم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب أن لا يبالغ فى الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على ما وعده الله وتكفل به فانه تعالى أكرم من أن يخلف الوعد ﴿ قوله عز وجل ﴾ لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ﴿ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع يا أيها الذى حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله عز وجل هذه الآية لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم وقد تقدم تفسير اللغو فى الايمان فى سورة البقرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴿ يعنى ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق ولست بأخوذ بلفظ قوله \* اذالم تعمد عاقدات العزائم وفى الآية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنتم فحذفه لانه معلوم عند

تلك الآية قالوا فكيف أيماننا فنزلت وعند الشافعى رحمه الله ما جرى على اللسان بلا قصد ( ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ) أى بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالتخفيف كوفى غير حفص والمقد العزم على الوطء وذال يتصور فى الماضى فلا كفارة فى الغموس وعند الشافعى رحمه الله القصد بالقلب ويمين الغموس مقصودة فكانت معقودة فكانت الكفارة فيها مشروعة والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنتم فحذف وقت المؤاخذه لانه كان معلوما عندهم أو بنكت ما عقدتم فحذف المضاف

( و اتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ) فى المثلة وتحريم ما أحل الله لكم ( لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ) بكفارة أيمانكم باللغو ( ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ) بضمير قلوبكم

( قوله والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنتم ) المراد بالمؤاخذه المؤاخذه فى الدنيا وهى الأثم والكفارة لان فيها عقوبة لا فى الآخرة حتى يردان المؤاخذه ليست فى وقت الحنث فالوجه هو الثانى وتعقيد الايمان شامل للغموس عند الشافعية وفيه كفارة عندهم واما عندنا فلا كفارة ولا حنث فيقدر اذا حنتم فكان التقديرين اشارة الى المذهبين وقراءة التخفيف ظاهرة انتهى كفاية

(فكفارته) أى وكفارة نكثه أو فكفارة ﴿ ٣٣٩ ﴾ معقود { سورة المائدة } الايمان والكفارة الفعلة

وهو من فاعل بمعنى فعل ﴿ فكفارته ﴾ فكفارة نكثه أى الفعلة التى تذهب أتمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير ﴿ اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ من اقصدته فى النوع أو القدر وهو مدلكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لأنه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من أوسط ما تطعمون أو الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون \* وقرئ أهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها فى الاحوال الثلاثة كالانف وهو جمع أهل كاليسالى فى جمع ليل والاراضى فى جمع ارض وقيل هو جمع اهلاة ﴿ أو كسوتهم ﴾ عطف على اطعام أو من أوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قبص أو رداء أو ازاره وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة فى قدوة أو كسوتهم بمعنى أو كمثل ما تطعمون أهليكم اسرافا كان أو تقتيرا تؤاسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الأوسط والكاف فى محل الرفع وتقديره أو اطعامهم كسوتهم ﴿ أو تحرير رقبة ﴾ أو اعتاق انسان وشرط الشافعى رحمه الله فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى أو ايجاب

السامع ﴿ فكفارته ﴾ يعنى فكفارة أيمانكم التى عقدتموها اذا حنثتم ﴿ اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ﴾ يعنى من أقصد ذلك لان من الناس من يسرف فى اطعام أهله ومنهم من يقتصر عليهم فامر الله بالعدل فى أداء الكفارة وقيل أراد بالوسط فى القيمة فلا يكون غالبا من أعلى الموجود ولا خسيسا من أدنى الموجود بل الوسط فى القيمة وقيل أراد بالوسط الافضل قال ابن عباس كل شئ فى كتاب الله أوسط فهو أفضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون أهليكم وأفضله ﴿ أو كسوتهم ﴾ هو معطوف على محل أوسط أى كاتطعمون المساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم فكذلك فاكسوتهم من أوسط الكسوة ﴿ أو تحرير رقبة ﴾ يعنى عتق رقبة والمراد جلة الشخص

فصل فى بيان حكم الآية { وفيه مسائل } المسئلة الاولى

فى بيان الكفارة وهى أربعة أنواع النوع الاول من الكفارة الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا فى قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مدمن الطعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادى من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمرو زيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطاء والحسن واليه ذهب مالك والشافعى ويروى عن عمرو على وعائشة انه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال أهل العراق وقال أبو حنيفة ان أطمع من الخنطة فنصف صاع وان أطمع من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال أحمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدمن البر أو نصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط

أو كسوة عشرة مساكين بقدر ما يوارى به عورتهم ملحفة أو قميصا أو ازارا (أو تحرير رقبة) كيفما

أحدى الخصال الثلاث مطلقا ونجيز المكلف في التعيين ﴿ فن لم يجز ﴾ أى واحدا منها ﴿ فصيام ثلاثة أيام ﴾ فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط فيه أبو حنيفة رجاء الله التابع لانه قرى ثلاثة ايام متابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا

الاطعام تملك الطعام للمساكين فلو عشاها وغداها لم يجزه وقال أبو حنيفة يجزيه ذلك ولا يجوز اخراج القيمة في الكفارة كالدرهم والدنانير وقال أبو حنيفة يجوز ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز في الكفارة بل يجب اخراج الحب وجوزة أبو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد في عشرة أيام ﴿ النوع الثاني ﴾ من الكفارات الكسوة واختلف العلماء في قدرها فذهب قوم الى أنه يكسوك مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازارا أو رداء أو قميص او عمامة أو سراويل أو كساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد وعطاء وطاوس واليه ذهب الشافعي وقال مالك يجب أن يكسوك مسكين ما تجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمرأة ثوبين درعا ونخارا وقال أحمد للرجل ثوبا والمرأة ثوبين درعا ونخارا وهو أدنى ما يجزى في الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص وازار ورداء وقال أبو موسى الاشعري يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالمحففة ﴿ النوع الثالث ﴾ من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب في جميع الكفارات وأجاز أبو حنيفة والثوري اعتاق الرقبة الكافرة في جميع الكفارات الا كفارة القتل فان الله قيد الرقبة بالايمان في كفارة القتل ومذهب الشافعي ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد في الكفارة بالاجاع يشترط أن تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو أعتق في الكفارة مكاتباً وأم لداً وعبدا اشتراه بشرط العتق أو اشتري قريبه الذي يمتق عليه فكل هؤلاء لا يجزى في اعتاق الكفارة وجوز أصحاب الرأي عتق المكاتب في الكفارة اذ لم يؤد من نجوم الكتابة شيأ وجوزوا عتق القريب في الكفارة ويشترط أن تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضرب بالعمل فلا يجزى مقطوع اليد أو الرجل ولا الاعمى ولا الزمن ولا المجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والاتف لان هذه العيوب كلها لا تضرب بالعمل وعند أبي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز فيجوز عتق مقطوع احدى اليدين ولا يجوز عتق مقطوع الاذنين في الكفارة ﴿ النوع الرابع ﴾ من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى ﴿ فن لم يجز ﴾ يعنى الكفارة ﴿ فصيام ثلاثة أيام ﴾ يعنى فاذا عجز من لزمته كفارة اليمين عن الاطعام أو الكسوة أو العتق وجب عليه صيام ثلاثة أيام وهو قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام يعنى فعليه صيام ثلاثة أيام قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله يوم وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده هذا القدر جازله الصيام وقال أبو حنيفة يجوز له الصيام اذا لم يكن عنده من المال ما يجب فيه الزكاة فحمل من لازكاة عليه عادما وقال الحسن اذ لم يجز درهمين صام وقال سعيد بن جبیر

على المقيد في كفارة القتل ومعنى أو التخيير وإيجاب احدى الكفارات الثلاث ( فن لم يجز ) أحدا هما ( فصيام ثلاثة أيام ) متتابعة لقراءة أبي وابن مسعود يكون ( فن لم يجز ) من هؤلاء الثلاثة شيئاً ( فصيام ثلاثة أيام ) تابعا

ولم ترو سنة ذلك أي المذكور ﴿ كفارة أيمانكم إذا حلقتم ﴾ وحنتم ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ بان تضنوا بها ولا تبدلونها لكل أمر أو بان تبروا فيها

ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التابع في الصيام عن كفارة اليمين على قولين أحدهما انه يجب التابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وطاوس وعطاء وقتادة وهو مذهب أبي حنيفة وأحد وأحد قولي الشافعي والقول الثاني لا يجب التابع في كفارة اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتابع أفضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثاني للشافعي

### المسئلة الثانية

كلمة أو للتخيير بين الاطعام والكسوة والعق فان شاء أطم وان شاء كسا وان شاء أعقق فأبها أخذ المكفر فقد أصاب وخرج عن المهدة

### المسئلة الثالثة

لا يجوز صرف شيء من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلوصرف الى ذمي أو عبد او غني لا يجزيه وجوز أبو حنيفة صرفها الى أهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى أهل الذمة لا يجوز

### المسئلة الرابعة

اختلفوا في تقديم الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روى عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على عين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خيرا أخرجه الترمذي (ق) عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانها ان أتتك عن مسألة وكلت اليها وان أتتك من غير مسألة أعنت عليها واذا حلفت على عيني فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا أن الشافعي قال ان كفر بالصوم قبل الحنث لا يجوز لانه بدني انما يجوز بالطعام أو الكسوة أو العتق وقال أبو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث \* قوله عز وجل ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام أو الكسوة أو العتق أو الصوم عند الجز \* كفارة أيمانكم اذا حلقتم \* يعني وحنتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين انما تجب بالحنث بعد اليمين وفيه اشارة الى أن تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ يعني قللوا أيمانكم فقيه النبي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر \* قليل الأيا حافظ ليمينه \* وصفه بانه لا يحلف وقيل في معنى الآية واحفظوا أيمانكم عن الحنث اذا حلقتم لثلاثا تجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب أو فعل مكروه فان حلف على ذلك فالفضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روى عن أبي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله لأحلف على عيني

كذلك ( ذلك ) المذكور  
( كفارة أيمانكم اذا حلقتم )  
( وحنتم )  
ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة لا تجب بنفس الخلف ولذا لم يجز التكفير قبل الحنث ( واحفظوا أيمانكم ) فبروا فيها ولا تخنثوا اذا لم يكن الحنث خيرا أو ولا تحلفوا أصلا

ذلك الذي ذكرت ( كفارة أيمانكم اذا حلقتم ) ثم حنتم ( واحفظوا أيمانكم ) لفظا أيمانكم وكفارة أيمانكم

(كذلك) مثل ذلك البيان (بين الله لكم آياته) اعلام شريمته وأحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر) أى القمار (والانصاب) الاصنام لانها تنصب فتعبد (والازلام) وهى القداح التى مررت (رجس) {الجزء السابع} نجس أو خبيث ﴿ ٣٤٢ ﴾ مستقدر (من عمل الشيطان) لانه

ما استطعم ولم يفت بها خير وأوبان تكفروها اذا حنتم ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك البيان ﴿ بين الله لكم آياته ﴾ اعلام شرائعه ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمته التعليم أو نعمة الواجب شكرها فأن مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه ﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب ﴾ أى الاصنام التى نصبت للعبادة ﴿ والازلام ﴾ سبق تفسيرها فى أول السورة ﴿ رجس ﴾ قدر تعاف عنه العقول وافرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف أو لمضاف محذوف كأنه قال انما تعاطى الخمر والميسر ﴿ من عمل الشيطان ﴾ لانه مسبب عن تسويله وتزيينه ﴿ فاجتنبوه ﴾ الضمير للرجس أو لما ذكر أو للتعاطى ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه سبحانه وتعالى اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنها بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شربحت أو غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم فقال تعالى ﴿ انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر

يحمل عليه فكان عمله والضمير فى ( فاجتنبوه ) يرجع الى الرجس أو الى عمل الشيطان أو الى المذكور أو الى المضاف المحذوف كأنه قيل انما تعاطى الخمر والميسر ولذا قاله رجس (لعلكم تفلحون) أكد تحريم الخمر والميسر من وجوه حيث صدر الجملة بانما وقرنها بعبادة الاصنام ومنه الحديث شارب الخمر كعابد الوثن وجعلهما رجسا من عمل الشيطان ولا يأتى منه الا الشر البحت وأمر بالاجتناب وجعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلا حاكم الا ارتكاب خسارا (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر

فأرى غيرها خيرا منها الا كفرت عن عيني وأيت الذى هو خير أخرجاه فى الصحيحين ﴿ قوله عز وجل ﴾ كذلك بين الله لكم آياته ﴿ يعنى كابين لكم ككفارة أيمانكم اذا حنتم كذلك بين لكم جميع ما تحتاجون اليه فى أمر دينكم ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ يعنى نعمته التى أنعم بها عليكم أن بين لكم آياته ومعالم شريمته ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس ﴿ لما انزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله فى هذه الآية ان الخمر والميسر غير داخلين فى جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خسر العقل وغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما فى سورة البقرة والانصاب هى الحجارة التى كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والازلام هى القداح التى كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك والرجس فى اللغة الشئ الخبيث المستقدر ﴿ من عمل الشيطان ﴾ يعنى من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها وليس المراد انها من عمل يديه ﴿ فاجتنبوه ﴾ يعنى كونوا جانبا منه والضمير فى قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لأنه اسم جامع للكل كأنه قال ان هذه الاربعة الاشياء كلها رجس فاجتنبوه ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ يعنى لكى تدركوا الفلاح اذا اجتنبت هذه المحرمات التى هى رجس ﴿ قوله عز وجل ﴾ انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ﴿ اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية

( كذلك ) هكذا ( بين الله لكم آياته ) أمره ونهيه كابين ككفارة اليمين ( لعلكم تشكرون ) لكى تشكروا وبيانه فى الامر والنهى ( يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر ) الذى خسر العقل

( والميسر ) القمار كله ( والانصاب ) عبادة الاوثان ( والازلام ) استعمال القداح ( رجس من عمل الشيطان ) حرام ( فروى ) بأمر الشيطان ووسوسته ( فاجتنبوه ) فاتركوه ( لعلكم تفلحون ) لكى تنجوا من السخطة والذباب وتأمروا فى الآخرة ( انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر ) اذا صرتم تشاوى ( والميسر ) وهو القمار اذا ذهب مالكم

ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴿١﴾ وإنما خصهما بإعادة الذكر وشرح ما فيها من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشراة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كما بد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث

فروي أبو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة البقرة يستلونك عن الخمر والميسر قل فيها ثم كبير الآية فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في سورة النساء يأبها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فدعى عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت الآية التي في المائدة انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فدعى عمر فقرئت عليه فقال انتبهنا انتبهنا أخرجه الترمذي من طريقين وقال رواية أبي ميسرة هذه أصح وأخرجه أبو داود والنسائي وروى مصعب بن سعيد عن أبيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعا فاشربنا وذلك قبل أن تحرم زاد حتى انتبهنا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن أفضل منكم فقال سعد بن أبي وقاص المهاجرون خير منكم فأخذ رجل من الانصار لحي جل فضرب به أنف سعد ففزره فأبى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فنزلت هذه الآية يأبها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى ثلموا وبعث بعضهم بعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه وحيته فيقول فعل بي هذا فلان أخي وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن فأنزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الآية يأبها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وأما تفسير الآية فقوله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر يعني انما يريد لكم الشيطان شرب الخمر والقمار بالقمار وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما أفضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب إيقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها وأما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليا ينظر الى ماله في بدغيره فيورثه ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم ما فيه والله أعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان في إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما مفساد تتعلق بامر الدين وهي قوله تعالى ﴿٢﴾ ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ﴿٣﴾ لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة. فأقول لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الآية

ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ( وعن الصلاة ) ذكر ما يتولد منهما من الوبال وهو وقوع التعادى والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر وما يؤدى الى اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وخص الصلاة من بين الذكر لزيادة درجتها كأنه قال وعن الصلاة خصوصا وانما جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام أولا ثم أفردهما آخر الان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر وظهار ان ذلك جميعا من أعمال أهل الشرك فكانه لامباينة بين عابد الصنم وشارب الخمر والمقامر ثم أفردهما بالذكر ليعلم انهما

( ويصدكم عن ذكر الله ) يقول ويصدكم الخمر عن طاعة الله ( وعن الصلاة ) يقول يصدكم عن الصلاة



بمقصود بالذکر ( فهل أنتم منتهون ) من أبلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلى عليكم ما فيه من أنواع الصوارف والزواجر فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون { الجزء السابع } أم أنتم على ما كنتم ﴿ ٣٤٤ ﴾ عليه كان لم توعظوا ولم تنزجروا

﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ﴾  
 وكونوا حذرين خاشعين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ( فأن توليتهم ) عن ذلك ( فاعلموا ) أنما على رسولنا البلاغ المبين ( أى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليتكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتموه ونزل فيمن تعاطى شيئا من الخمر والميسر قبل التحريم ( ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا ) أى الخمس ( فهل أنتم منتهون ) أفلا تنهون ( وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) فى تحريم الخمر ( واحذروا ) فى تحليلها وشربها ( فأن توليتهم ) عن طاعتها فى تحريم الخمر ( فاعلموا أنما على رسولنا ) محمد ( البلاغ ) التبليغ عن الله ( المبين ) بلفظة تعلمونها ثم نزل فى رجال من المهاجرين والانصار لقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون حال الذين ماتوا منا على شرب الخمر قبل التحريم فأنزل الله فيهم

على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من أنواع الصوارف وقال ﴿ فهل أنتم منتهون ﴾ أي انا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الا عذار قد انقطعت ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ فيما أمر به ﴿ واحذروا ﴾ ما نها عنه أو مخالفتها ﴿ فأن توليتهم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ أى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول صلى الله عليه وسلم بتوليتكم فاما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ﴿ ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴾ مما لم يحرم عليهم لقوله الاولى ثم أفرد الخمر والميسر فى هذه الآية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا والمقصود نهيم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لتأكيد تحريم الخمر والميسر فلما كان المقصود من الآية النهى عن شرب الخمر والميسر لاجرم أفردهما بالذكر فى آخر الآية والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ فهل أنتم منتهون ﴿ لفظه استفهام ومعناه الامر أى انتهوا وهذا من أبلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر وأظهر فحيمهما للمخاطب كأنه قيل قد تلى عليكم ما فيه من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم منتهون مع هذه الامور أم أنتم على ما كنتم عليه كأنكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفى هذه الآية دليل على تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وعدد أنواع المفساد الحاصلة بهما ووعد بالفلاح عند اجتنابها وقال فهل أنتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب أسكر فهو حرام أخرجه فى الصحيحين وزاد الترمذى وأبو داود ما أسكر الفرق منه فله الكف منه حرام الفرق بالتحريك انا يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم يقبل له صلاة أربعين صباحا فأن تاب تاب الله عليه فأن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فأن تاب تاب الله عليه فأن عاد لن يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فأن تاب تاب الله عليه فأن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فأن تاب لم يتب عليه وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا أبا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد أهل النار أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وأخرجه النسائى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه أخرجه أبو داود ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴿ يعنى فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴾ واحذروا ﴿ أى واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به ونهاكم عنه ﴾ فأن توليتهم يعنى فأن أعرضتم عما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ وهذا وعيد وتهديد لمن أعرض عن أمر الله ونهيه كأنه قال فاعلموا انكم بسبب توليتكم وأعرضكم قد استحققت العذاب والسخط ﴿ قوله عز وجل ﴾ ليس على الذين آمنوا وعلوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴿ الآية عن البراء بن عازب قال مات

( ليس على الذين آمنوا ) بمحمد والقرآن ( وعلوا الصالحات ) فيما بينهم وبين ربهم ( جناح ) ما تم ( فيما طعموا ) ( ناس )

شربوا من الخمر وأكلوا  
 من مال القمار قبل تحريمهما  
 ( إذا ما اتقوا ) الشرك  
 ( وآمنوا ) بالله ( وعملوا  
 الصالحات ) بعد الايمان  
 ( ثم اتقوا ) الخمر والميسر  
 بعد التحريم ( وآمنوا )  
 بتحريمهما ( ثم اتقوا )  
 سائر المحرمات أو الاول  
 عن الشرك والثاني عن  
 المحرمات والثالث عن الشهات  
 ( وأحسنوا ) الى الناس  
 ( والله يحب المحسنين )  
 ولما اتلاه الله بالصييد  
 عام الحديدية وهم محرمون  
 وكثر عندهم حتى كان  
 يغشاهم في رحالهم فيستمكنون  
 من صيده أخذوا بأيديهم  
 وطمنا برماحهم نزل  
 شربوا وهذا فيمن شرب  
 من الاحياء والاموات  
 قبل التحريم ( اذا ما اتقوا )  
 الكفر والشرك والفواحش  
 ( وآمنوا ) بحمد القرآن  
 ( وعملوا الصالحات ) فيما  
 بينهم وبين ربهم ( ثم اتقوا )  
 يعني الاحياء تحليل الخمر  
 بعد تحريمها ( وآمنوا )  
 بتحريمها ( ثم اتقوا ) شربها  
 ( وأحسنوا ) تركوا  
 شربها ( والله يحب المحسنين )  
 في ترك شربها وهذا فيمن  
 شرب من الاحياء قبل البيان  
 ثم نزل في تحريم الصييد

﴿ اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أي اتقوا المحرم وابتوا على الايمان والاعمال  
 الصالحة ﴿ ثم اتقوا ﴾ ما حرم عليهم بعد كالحجر ﴿ وآمنوا ﴾ بتحريمه ﴿ ثم اتقوا ﴾  
 ثم استمروا وابتوا على اتقاء المعاصي ﴿ وأحسنوا ﴾ وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا  
 بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف ياخواننا الذين  
 ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت وبجمل ان يكون هذا التكرير  
 باعتبار الاوقات الثلاثة أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان  
 بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان  
 في الكرة الثالثة اشاره الى ما قاله عليه الصلاة والسلام في تفسيره أو باعتبار المراتب  
 الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى فانه يذنب ان يترك المحرمات توقيها  
 من العقاب والشهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس  
 عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ فلا يؤاخذهم

ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر فلما نزل تحريم الخمر قال  
 ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال  
 فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية أخرجه الترمذي  
 وقال حديث حسن صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالوا يا رسول الله أرأيت  
 الذين ماتوا وهم يشربون الخمر لما نزل تحريم الخمر فنزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا  
 الصالحات جناح فيما طعموا الآية أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الآية  
 ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي لا حرج ولا اثم عليهم فيما  
 شربوا من الخمر وأكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم قال ابن قتبية يقال  
 لم أطمع خبزنا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر

فأن شئت حرمت النساء سواكم \* وأن شئت لم أطمع نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم ﴿ اذا ما اتقوا ﴾ يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله  
 عليهم ﴿ وآمنوا ﴾ يعني بالله ورسوله ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ أي وازدادوا من  
 عمل الصالحات ﴿ ثم اتقوا وآمنوا ﴾ يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا  
 تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لا جناح عليه والثانية  
 خطاب لمن بقي بعد التحريم أمرها باتقائها والايمان بتحريمها ﴿ ثم اتقوا ﴾ يعني ما حرم  
 عليهم في المستقبل ﴿ وأحسنوا ﴾ يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى  
 وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه وقيل ان المقصود من  
 التكرير التأكيد والمبالغة في الحث على الايمان والتقوى وضم الاحسان اليهما ثم قال  
 تعالى ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال  
 الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان  
 لان هذه المقامات من أشرف الدرجات وأعلاها (م) عن عبدالله بن مسعود رضي الله

بشيء وفيه دليل ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار الله محبوبا ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ﴾ نزلت في عام الحديبية ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بأيديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في شيء للتشبيه على انه ليس من العظام التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو أشد منه ﴿ ليعلم الله ﴾ من يخافه بالقيس ليميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه عن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره أو تعلق العلم ﴿ فن اعتدى بعد ذلك ﴾ بعد ذلك الابتلاء بالصيد ﴿ فله عذاب اليم ﴾ فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جأشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس أميل اليه وأحرص عليه

عنه قال لما نزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى آخر الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لى أنت منهم ومعناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين آمنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء من الصيد ﴿ نزلت هذه الآية عام الحديبية وكانوا محرمين فأبتلاهم الله بالصيد فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا بأخذها وصيدها فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله الآية اللام في ليلونكم لام القسم أى ليخبرن طاعتكم من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المخبر بشيء من الصيد يعنى بصيد البر دون البحر وقيل أراد الصيد في حالة الاحرام دون الاحلال وانما قال بشيء من الصيد ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تزل عندها أقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل كما ابتلى أصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يصطادوا شيئا في حالة الابتلاء ولم يعصم أصحاب السبت فسخوا قرده وخنازير ﴿ قوله عز وجل ﴾ تناله أيديكم ﴾ يعنى افرخ والبيض وما لا يقدر أن يفر من صغار الصيد ﴿ ورماحكم ﴾ يعنى كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها وقال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تناله أيديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يتلى الله به عباده في احرامهم حتى لو شاؤا نالوه بأيديهم فهاهم الله أن يقربوه ﴿ ليعلم الله ﴾ أى ليرى الله فانه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المخبر وقيل معناه يظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم أولياء الله ﴿ من يخافه بالقيس ﴾ يعنى من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حالة الاحرام شيئا بعد النهى ﴿ فن اعتدى بعد ذلك ﴾ يعنى فساد في حالة الاحرام بعد النهى ﴿ فله عذاب اليم ﴾ يعنى في الدنيا قال ابن عباس رضى الله عنهما هو أن يوجع ظهره وبطنه جلدوا وتسلب ثيابه

( وهذا )

ليلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم) ومعنى يبلو يختبر وهو من الله لاظهار ما علم من العبد على ما علم لالعلم ما لم يعلم ومن للتبويض اذ لا يحرم كل صيد أو لبيان الجنس ( ليعلم الله من يخافه بالقيس ) ليعلم الله خوف الخائف منه بالامتناع عن الاصطياد موجودا كما كان يعلم قبل وجوده انه يوجد ليشبه على عمله لا على علمه فيه ( فن اعتدى ) فساد ( بعد ذلك ) الابتلاء ( فله عذاب اليم ) قلل في قوله بشيء من الصيد ليعلم انه ليس من الفتن العظام وتناله صفة ثلثي

عام الحديبية فقال ( يا أيها الذين آمنوا ) بمحمد والقرآن ( ليلونكم الله بشيء من الصيد ) يقول ليختبرنكم بصيد البر ( تناله أيديكم ) الى فراخه وبيضه ( ورماحكم ) الى الوحش عام الحديبية ( ليعلم الله ) لكي يرى الله ( من يخافه بالقيس ) فيترك الصيد ( فن اعتدى ) متعمدا ( بعد ذلك ) بعدما حكم عليه بالجزاء وبين ( فله عذاب اليم ) ضرب وجميع يلا ظهره وبطنه

الصيد ) أي المصيد إذ القتل انما يكون فيه ( وأنتم حرم ) أي محرمون جمع حرام كروح حرام كروح في جميع روح في محل النصب على الحال من ضمير الفاعل في تقتلوا ( ومن قتله منكم متعمدا ) حال من ضمير الفاعل أي ذاكرا لآحرامه أو علما أن ما يقتله مما يحرم قتله عليه فإن قتله ناسيا لآحرامه أورى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فهو مخطئ وانما شرط التعمد في الآية مع أن محظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطأ لان مورد الآية فيمن تعمد فتدروى أنه عن لهم في عمرة الحديدية جار وحش فحمل عليه أبو اليسر فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولان الاصل فعل المتعمد والخطأ ملحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة

ضربا وجيما ( يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ) ( أو في الحرم ) ( ومن قتله منكم متعمدا ) نزلت هذه الآية في أبي اليسر بن عمرو قتل صيدا متعمدا بقتله ناسيا لآحرامه فأنزل الله فيه ومن قتله منكم متعمدا بقتله ناسيا

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴾ أي محرمون جمع حرام كروح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام خس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية أخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغى حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني أو لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ﴿ ومن قتله منكم متعمدا ﴾ ذاكرا لآحرامه علما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فأن اتلاف العمد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه لان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عن لهم في عمرة الحديدية جار وحش فطعنه أبو اليسر

وهذا قول أكثر المفسرين في معنى هذه الآية لانه قد سمي الجلد عذابا وهو قوله وليس شهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴿ قوله عز وجل ﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴿ جمع حرام أي لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون بالحج والعمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال أحرم إذا عقد الاحرام وأحرم إذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالآية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الآية في أبي اليسر شد على جار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له مادام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا أو لم يكن فيجب قول الشافعي وقال أبو حنيفة هو كل حيوان متوحش سواء كان مأكولا أو لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سباعا أو نمرا أو نحو ذلك واستثنى الشارع خس فواسق فاجاز قتلهم (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خس من الدواب ليس على الحرم في قتلهم جناح الغراب والحداة والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية خس لا جناح على من قتلهم في الحرم والاحرام (ق) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خس من الدواب كلهن فواسق يقتلن في الحرم الغراب والحداة والعقرب والفأرة والكلب العقور ولمسلم خس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية النسائي قال خس يقتلهم الحرم الحية والمقرب والفأرة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يؤكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على أشياء بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وبعضها طير لا يدخل في معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخيث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب أصحاب الرأي الى وجوب الجزاء في كل ما لا يؤكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب فلو وجبوا فيه كفارة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن قتله منكم متعمدا ﴿ قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع نسيان الاحرام فعليه الجزاء

برحمه فقتله فنزات ﴿ فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾ برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويمقوب بمعنى فعلية أى فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فأن متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها وانما تكون صفة وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كافي قولهم مثل لا يقول كذا والمعنى فعلية ان يجزى مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء أو فعلية ان يجزى جزاء يماثل ما قتل وجزاءه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي رحمه الله والقيمة عند ابي حنيفة رحمه الله وقال يقوم الصيد حيث صيد فأن بلغت القيمة ثمن هدى تخير بين ان يهدى ما قيمته قيمته وبين ان يشتري به اطعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ تخير بين الاطعام

بالخطأ (فجزاء مثل ما قتل) كوفي أى فعلية جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو قيمة الصيد يقوم حيث صيد فأن بلغت قيمته ثمن هدى خير بين أن يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين أن يشتري بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وعند محمد والشافعي رحمه الله تعالى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم فكما صر فجزاء مثل على الاضافة غيرهم وأصله فجزاء مثل ما قتل أى فعلية ان يجزى مثل ما قتل ثم أضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد ثم من ضرب زيد (من النعم) حال من الضمير في قتل اذا المقتول يكون من النعم

أما اذا تعدد قتل الصيد ذا كرا لاحرامه فلا جزاء عليه لانه أعظم من أن يكون له كفارة وقال ابن عباس رضى الله عنهما والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعدد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء أما اذا قتل الصيد خطأ بان قصد غيره بالرمد فاصابه فهو كالعمد في وجوب الجزاء وهو مذهب جمهور المفسرين والفقهاء قال الزهري نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ يعنى أخقت الخطى بالعمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لأرى في الخطأ شياً وهذا قول شاذ لا يؤخذ به ﴿ فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴾ يعنى فعلية جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والشبه واحد واختلفوا في هذا المماثلة أهى بالخلقة أم بالقيمة والذى عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم أن المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الآية يدل على ذلك وما المثل له فالقيمة وقال أبو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا النزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورة فوجب أن يكون في سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الاعلى معنى واحد وأجيب عنه بان حقيقة المماثلة أمر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم تكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء بالضرورة ووجه الشافعي ومن وافقه في اعتبار المماثلة بالخلقة أن الصحابة حكموا في بلدان شتى وأزمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامه بدنة وهى لاتساوى بدنة وحكموا في حمار الوحش ببقرة وهو لا يساوى بقرة وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على أنهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة فيجب في الضبي شاة وفي الارنب سخل وفي الضب سخل وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمامة وكل ماعب وهدر كالفواخت والقمرى وذوات الاطواق شاة وما سواها من الطير ففيه القيمة في المكان الذى أصيب فيه وروى عن عثمان وابن عباس رضى الله عنهما حكما في حمار الحرم بشاة وروى عن عمرانه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة \* قوله عز وجل

لا حرامه (فجزاء مثل ما قتل من النعم)

أوصفة لجزاء (يحكم به) مثل ما قتل (ذوا عدل منكم) حكمان عادلان من المسلمين وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة ولان المثل المطلق في الكتاب والسنة والاجماع مقيد بالصورة والمعنى أو بالمعنى لا بالصورة أو بالصورة بلا معنى ولان القيمة أريدت فيما لا مثل له صورة اجاعا فلم يبق غيرها مرادا اذ لا عوم للمشترك فان قلت قوله من النعم بنا في تفسير المثل بالقيمة قلت من أوجب القيمة خيرين أن يشتري بها هديا أو طعاما أو يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان من النعم بيانا للهدى المشتري بالقيمة في أحد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه ﴿ ٣٤٩٩ ﴾ فقد جرى { سورة المائدة } بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية

بين ان يجزى بالهدى أو يكفر بالطعام أو الصوم انما يستقيم اذا قوم ونظر بعد التقويم أى الثلاثة يختار فاما اذا عدل الى النظر وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الطعام والصيام ففيه نوب عما في الآية ألا ترى الى قوله أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صيما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم (هديا) حال من الهاء في به أى يحكم به في حال الهدى (بالغ الكعبة) صفة الهديا لان اضافته غير حقيقة ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصديق به فيحسب شئت وعند الشافعي

والصوم واللفظ الاول أوفق ﴿ يحكم به ذوا عدل منكم ﴾ صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره أو منه اذا أضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج الى المماثلة في الخلق والهيئة اليهما فان الانواع تشابه كثيرا وقري ذوا عدل على ارادة الجنس أو الامام ﴿ هديا ﴾ حال من الهاء في به أو من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة أو بدل من مثل باعتبار محله أو لفظه فبين نصبه ﴿ بالغ الكعبة ﴾ وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصديق به ثمه وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء ﴿ أو كفارة ﴾ عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فحجر محذوف ﴿ طعام مساكين ﴾ عطف بيان أو بدل مندأ وخبر محذوف أى هي طعام \* وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للثنتين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي أو ان يكفر بالطعام مساكين ما يساوى قيمة الهدى من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدا ﴿ أو عدل ﴾ يعنى يحكم به ذوا عدل منكم ﴿ يعنى يحكم بالجزاء في قتل الصيد جلان صالحان عدلان من أهل ملتكم ودينكم وينبى أن يكونا قهين فينظران الى أشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء اعرابي الى ابى بكر الصديق فقال انى أصبت من الصيد كذا وكذا فسأل أبو بكر أبى بن كعب فقال الاعرابى انى أتيتك أسألك وأنت تسأل غيرك فقال أبو بكر وما أنكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتقنا على شئ امرناك به ﴿ قوله عز وجل ﴾ هديا بالغ الكعبة ﴿ يعنى ان الكفارة هدى يساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمى كل بيت مرتفع كعبة وانما أريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها ملاقيها لها انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدى بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة انه يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدى الى الكعبة ﴿ أو كفارة طعام مساكين أو عدل ﴾

رحمه الله في الحرم (أو كفارة) معطوف على جزاء (طعام) بدل من كفارة أو خبر مبتدأ محذوف أى هي طعام أو كفارة طعام على الاضافة مدنى وشامى وهذه الاضافة لتبيين المضاف كأنه قيل أو كفارة من طعام (مساكين) كاتقول خاتم من فضة (أو عدل) وقري بكسر العين قال الفراء العدل ما عادل الشئ من غير جنسه كالصوم والاطعام والعدل مثله من جنسه ومنه عدلا الحبل يقال عدلى غلام عدل غلامك بالكسر اذا كان من جنسه فان أريدان قيمته كقيمه ولم يكن من جنسه قيل هو عدل غلامك بالفتح يحكم به ذوا عدل منكم) يقومه عليه حكمان (هديا) فيشتري به هديا (بالغ الكعبة) يبلغ به الكعبة أو كفارة طعام مساكين) يقول او يقوم عليه بالدرهم والدرهم بالطعام فيطعم به مساكين أهل مكة (أو عدل

( ذلك ) اشارة الى الطعام ( صياما ) تمييزا نحو لي مثل رجلان والخياري في ذلك الى القاتل وعند محمد رحمه الله الى الحكمين ( ليدوق وبال امره ) متعلق بقوله فجزاء أي ففعله ان يجازى أو يكفر ليدوق سوء عقاب عاقبة هتكه لحرمه الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه أخذنا وبلا أي ثقيل شديدا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمر ( عفا الله عما سلف ) لكم من الصيد قبل التحريم ( ومن عاد ) الى قتل الصيد بعد التحريم أو في ذلك الاحرام ( فينتقم الله منه ) بالجزاء وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه

ذلك صياما ) يقول ان لم يجد الطعام يقوم عليه مكان نصف صاع صوم يوم ( ليدوق وبال امره ) عقوبة امره ( عفا الله عما سلف ) قبل التحريم ( ومن عاد ) بعدما حكم عليه وضرب ضربا وجيبا في الدنيا ( فينتقم الله منه ) فيترك حتى ينتقم الله

ذلك صياما \* أو مساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للفعول وقرئ بكسر اللين وهو ما عدل بالشئ في المقدار كعدلى الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييزا للعدن \* ليدوق وبال امره \* متعلق بمحذوف أي ففعله الجزء أو الطعام أو الصوم ليدوق ثقل فعله وسوء عاقبه بهتكه لحرمه الاحرام أو الثقل الشديد على مخالفة أمر الله واصل الوبيل الثقل ومنه الطعام الوبيل \* عفا الله عما سلف \* من قتل الصيد محرما في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة \* ومن عاد \* الى مثل هذا \* فينتقم الله منه \* فهو ينتقم الله

ذلك صياما \* ذهب الشافعي ومالك وأبو حنيفة الى ان كلمة أو في هذه الآية للتخيير وقال أحد وزفر من أصحاب أبي حنيفة انها لترتيب وهما روايتان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الشافعي اذا قتل صيداله مثل فهو بخير بين ثلاثة أشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء قوم المثل دراهم والدراهم طعاما ثم يتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مدمن الطعام يوما وقال أبو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن أحمد روايتان كالتولين وأصل هذه المسئلة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فمنع الشافعي مقدر بالمد وعند أبي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقهاء الى أن الخيار في تعيين أحد هذه الثلاثة الاشياء الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله أوجب عليه أحد هذه الثلاثة على التخيير فوجب أن يكون هو الخير بين أيها شاء وقال محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة أول للترتيب قال ان لم يجد الهدى اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد ثم يجمل القيمة طعاما فيصدق به أو يصوم وقال أبو حنيفة لا يجب المثل من النعم بل يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شئ من النعم وان شاء الى الطعام فيصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر أو صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم فقال جمهور الفقهاء يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثن مكة لأنه لا يصرف بها \* قوله عز وجل \* ليدوق وبال امره \* يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشئ الثقيل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمي الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لان فيه تنقيصا للمال وهو ثقيل على النفس وكذا الصوم أيضا ثقيل على النفس لأن فيه انهالك البدن \* عفا الله عما سلف \* يعني قبل التحريم \* ومن عاد \* يعني الى قتل الصيد مرة ثانية \* فينتقم الله منه \* يعني في الآخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء في المرة الثانية والثالثة فأذا تكرر من المحرم قتل الصيد تكرر عليه الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما والنخعي وداود الظاهري أنه اذا قتل الصيد مرة ثانية فلا جزاء عليه لأنه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتل قبله شيئا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه ويقال له

( والله عزيز ) بالزوال الاحكام ﴿ ٣٥١ ﴾ ( ذوانتقام ) لمن { سورة المائدة } جاوز حدود الاسلام

( أحل لكم صيد البحر )  
مصيدات البحر ما يؤكل وما يطعم  
لا يؤكل ( وطعامه ) وما يطعم  
من صيده والمعنى أحل لكم  
الانتفاع بجميع ما يصاد  
في البحر وأحل لكم أكل  
المأكول منه وهو السمك  
وحده ( متاعكم )  
مفعول له أي أحل لكم  
تمتعا لكم ( وللسيارة )  
وللمسافرين والمعنى أحل  
لكم طعامه تمتعا لتأثركم  
ياكلون طريا ولسيارتكم  
يتزودونه قديدا كما تزود  
موسى عليه السلام الحوت  
في مسيره الى الخضر  
( وحرم عليكم صيد البر )  
ما صيد فيه وهو ما يفرخ  
فيه وان كان يعيش في الماء  
في بعض الاوقات كالبط  
فانه برى لانه يتولد في البر  
والبحر له مرعى كالناس  
متجر ( مادتم حرما ) محرمين

منه ( والله عزيز ) بالنقمة  
( ذوانتقام ) ذو عقوبة  
( أحل لكم صيد البحر )  
نزلت في قوم من بني مدلج  
كانوا أهل صيد البحر سألوا  
النبي صلى الله عليه وسلم  
عن طعام البحر وما حسر  
البحر عنه فأمر الله أحل  
لكم صيد البحر ( وطعامه )  
يعنى ما حسر عنه الماء والقاه ( متاعكم )  
( وحرم عليكم صيد البر ) مادتم حرما

منه وليس فيه ما يمنع الكفارة عن العائد كما حكى عن ابن عباس وشرح ﴿ والله  
عزيز ذوانتقام ﴾ ممن اصر على عصيانه ﴿ أحل لكم صيد البحر ﴾ ما صيد منه مما  
لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الظهور ماؤه الحل  
ميتته وقال أبو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر  
﴿ وطعامه ﴾ ما قذفه أو نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله ﴿ متاعكم ﴾  
تمتعا لكم نصب على الغرض ﴿ وللسيارة ﴾ أي ولسيارتكم يتزودونه قديدا ﴿ وحرم  
عليكم صيد البر ﴾ أي ما صيد فيه أو الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم أيضا ما صاده  
الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال  
لكم ما لم تصطادوه أو يصد لكم ﴿ مادتم حرما ﴾ أي محرمين ﴿ وقرى بكسر الدال

اذ ذهب فينتقم الله منك وان قال لم أقتل قبله شيئا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه  
ولكن يملأ ظهره وصدرة ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيدوج  
وهو واد بالطائف ﴿ والله عزيز ذوانتقام ﴾ يعنى ممن عصاه واذا ألتف المحرم شيئا من  
الصيد الذى لا مثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام فقيه القيمة فيقوم ثم  
يشترى بقيمته طعاما ويتصدق به على محايج الحرم أو يصوم عن كل مد يوما ﴿ قوله  
عز وجل ﴾ أحل لكم صيد البحر وطعامه ﴿ المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد  
بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فأما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به  
الى الساحل يروى ذلك عن أبي بكر وعمر بن الخطاب وسعيد بن المسيب والسدى ويروى عن  
طريه وطعامه ما حله يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدى ويروى عن  
ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد كالقولين وجلة حيوان الماء على قسمين سمك وغير سمك  
فأما السمك فجميعه حلال على اختلاف أجناسه وأنواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
في البحر هو الظهور ماؤه الحل ميتته أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى ولا فرق بين  
أن يموت بسبب أو بغير سبب فيحل أكله وقال أبو حنيفة لا يحل إلا أن يموت بسبب  
وما عدا السمك قسمان قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل أكلهما  
وقال سفيان أرجو أن لا يكون بالسرطان بأس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد  
البحر فيحل أكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم أكله  
في حال الاحرام فان أصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة تمره وعنه وعن ابن  
عباس رضى الله عنهم قبضة من طعام وكذلك طير الماء فهو من صيد البر أيضا وقال أحمد  
يؤكل كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح قال لأن التمساح يفترس ويأكل الناس وقال  
ابن أبي ليلي ومالك يباح كل ما في البحر وذهب جماعة الى ان ماله نظير من البر يؤكل  
فيؤكل نظيره من حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه ولا يؤكل ما لا يؤكل نظيره في البر  
مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل أكله ﴿ قوله عز وجل ﴾ متاعكم وللسيارة ﴿  
يعنى ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه ﴿ قوله عز وجل ﴾ وحرم عليكم  
صيد البر مادتم حرما ﴿ ذكر الله عز وجل تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع

يعنى ما حسر عنه الماء والقاه ( متاعكم ) منفعة لكم ( وللسيارة ) ماري طريق المالح ( وحرم عليكم صيد البر ) مادتم حرما



من دام يدام ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه ﴿البيت الحرام﴾ عطف بيان على جهة المدح أو المفاول الثاني

من هذه السورة أحدها في أول السورة وهو قوله غير محل الصيد وأنتم حرم والثاني قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم والثالث هذه الآية وحرم عليكم صيد البر مادتم حرم ما كل ذلك لتأكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلاف العلماء هل يجوز للمحرم أن يأكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول طائفة واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روى عن الصعب بن جثامة الليثي انه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء أو بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ما في وجهه من الكراهة قال أنا لم نرده عليك إلا أنا حرم أخرجاه في الصحيحين وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز للمحرم أن يأكل لحم الصيد اذ لم يصده بنفسه ولا صيده ولا بأشارته ولا اعان عليه وهذا قول عمر وعثمان وأبي هريرة رضي الله عنهم وبه قال عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد وأصحاب الرأي ويدل عليه ما روى عن ابى قتادة الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمامنا والقوم محرمون وأنا غير محرم عام الحديبية فأبصروا حمارا وحشيا وأنا مشغول أخصفت نملا فلم يؤذنوا لي وأحبوا لو أني أبصرته فالتفت فأبصرتة فقلت الى الفرسان فاسرجه ثم ركبت ونسيت السوط والرح فقلت لهم ناولوني السوط والرح قالوا لا والله لانعينك عليه فغضبت ونزلت فاخذتهما ثم ركبت فشدت على الحمار فقترته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه يأكلون ثم انهم شكوا في أكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبأت العضد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال هل معكم منه شيء فقلت نعم فناولته العضد فأكل منها وهو محرم وزاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هي طعمة أطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار اليها قالوا لا قال كلوا ما بقي من لحمها أخرجاه في الصحيحين وأجاب أصحاب هذا المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بأنه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لأنه ظن انه انما صيد لأجله والمحرم لا يأكل ما صيد لأجله ﴿واتقوا الله﴾ يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله ﴿الذي إليه تحشرون﴾ يعني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم ﴿قوله عز وجل﴾ جعل الله الكعبة البيت الحرام ﴿جعل بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لأرتفاعه عن الارض وسمى البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمة وحرم أن يصطاد عنده وان يخلى خلاه

(واتقوا الله) في الاصطيد  
في الحرم أو في الاحرام  
(الذي إليه تحشرون)  
تبعثون فيجازيكم على أعمالكم  
(جعل الله الكعبة) أي  
صير (البيت الحرام)  
أو في الحرم (واتقوا الله)  
اخشوا الله (الذي إليه  
تحشرون) فيما حرم  
عليكم من الصيد في الاحرام  
والحرم (جعل الله الكعبة  
البيت الحرام)

بدل أو عطف بيان (قياماً) مفعول ثانٍ أو جعل بمعنى خلق وقياماً حال (للناس) أي انتعاشهم في أمر دينهم وهو ضال إلى أغراضهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم ﴿ ٣٥٣ ﴾ وعمرتهم { سورة المائدة }

﴿ قياماً للناس ﴾ انتعاشهم أي سبب انتعاشهم في أمر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه إليه الحجاج والعمار أو ما يقوم به أمر دينهم وديناهم وقرأ ابن عامر قياماً على أنه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر أو الحال ﴿ والشهر الحرام والهدى والقلائد ﴾ سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدي فيه الحج وهو ذوالحجة وهو المناسب لقربانها وقيل الجنس ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى الجعل أو إلى ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الأحرام وغيره ﴿ تعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ﴾ فإنه شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكامل علمه ﴿ وأن الله بكل شيء عليم ﴾ تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق

وأن يعضد شجره وأراد بالبيت الحرام جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال إن هذا البلد حرمة الله تعالى يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بجرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاه ﴿ قوله عز وجل ﴾ قياماً للناس ﴿ أصله قواماً لأنه سبب لقوام مصالح الناس في أمر دينهم وديناهم وآخرتهم أما في أمر الدين فإنه به يقوم الحج وتم المناسك وأما في أمر الدنيا فإنه تجبي إليه ثمرات كل شيء ويأمنون فيه من النهب والغارة نلوا لقي الرجل قاتل أبيه أو ابنه في الحرم لم يهجه وأما في أمر الآخرة فإن البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده أسباباً لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سبباً لحصول هذه الأشياء كانت سبباً لقيام الناس ﴿ والشهر الحرام ﴾ يعني وجعل الشهر الحرام قياماً للناس وأراد بالشهر الحرام الأشهر الحرم الأربعة وهي ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل الأشهر الحرم يأمنون فيها من القتال وذلك أن العرب كان يقتل بعضهم بعضاً ويغير بعضهم على بعض وكانوا إذا دخلت الأشهر الحرم أمسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يأمنون في الأشهر الحرم فكانت سبباً لقيام مصالح الناس ﴿ والهدى والقلائد ﴾ يعني وكذلك جعل الهدى والقلائد سبباً لقيام مصالح الناس وذلك أنهم كانوا يأمنون بسوق الهدى إلى البيت الحرام على أنفسهم وكذلك كانوا يأمنون إذا قلدوا أنفسهم من لحاء شجر الحرم فلا يتعرض لهم أحد ﴿ ذلك تعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ﴾ يعني أنه تعالى علم في الأزل بمصالح العباد وما يحتاجون إليه فجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد يأمنون بها لأنه يعلم مصالح العباد كما يعلم ما في السموات وما في الأرض لأنه تعالى علم جميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو قوله عز وجل ﴿ وأن الله بكل شيء عليم ﴾ يعني أنه تعالى لا تخفى

قياماً) أمنا وقواماً (للناس) في العبادة (والشهر الحرام) أمنا (والهدى) وهو الذي يهدي إلى البيت أمنا للرفقة التي الهدى فيها (والقلائد) أمنا وهي التي عليها قلادة من لحى شجر الحرم جعلها الله أمناً للرفقة التي هي

فيها (ذلك) الذي ذكرت (تعلموا) لكي تعلموا (وفاً خا ٤٥ نى) (إن الله يعلم ما في السموات) (بصالح ما في السموات) (وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم) (من صلاحها ومن صلاح أهلها) (عليم)

ما في السموات وما في الاض وكيف لا يعلم وهو بكل شئ عليم (اعلموا أن الله شديد العقاب) لمن استخف بالحرم والاحرام (وأن الله غفور) لأنهم من عظم المشاعر العظام (رحيم) بالجاني المتجنيء الى البلد الحرام (ما على الرسول الا البلاغ) تشديد في ايجاب القيام بما أمر به {الجزء السابع} وان الرسول قد فرغ ٣٥٤ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم

﴿ اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ﴾ وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها أول من أصر عليه ولمن أقلع عند ﴿ ما على الرسول الا البلاغ ﴾ تشديد في ايجاب القيام بما أمر أي الرسول أتى بما أمر به من التبليغ ولم يبق لكم عذرا في التفريط ﴿ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ﴾ حكم عام في نفي المساواة عند الله سبحانه وتعالى بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في مصالح العمل وحلال المال ﴿ ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾ فأن العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فأن المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال ﴿ فاتقوا الله يا أولى الابواب ﴾ أي فاتقوه في تحرى الخبيث وان كثرت آثاره والطيب وان قل ﴿ لعلمكم تفحون ﴾ راجعين ان تبلفوا الفلاح روى انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فهو عنه وان كانوا مشركين

عليه خافية ﴿ اعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ يعني لمن انتهك محارمه واستحلها ﴿ وأن الله غفور رحيم ﴾ يعني لمن تاب وآمن ولما ذكر الله أنواع رحته بعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجاء والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحته وانه غفور رحيم ﴿ قوله عز وجل ﴿ ما على الرسول الا البلاغ ﴾ يعني ليس على رسولنا الذي أرسلناه اليكم الا تبليغ ما أرسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج في الآية تشديد عظيم في ايجاب القيام بما أمر الله وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت الحججة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر في التفريط ﴿ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ يعني أنه تعالى لا يخفى عليه شئ من أحوالكم ظاهرا وباطنا ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ﴾ يعني الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يتبدل الرديء والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح ﴿ ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾ يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان أهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وأبقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزي روى جابر ابن عبدالله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتي فهل ينفضني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت في شرح بن ضبة البكري وحجاج بن بكر وقد تقدمت القصة في أول السورة ﴿ فاتقوا الله ﴾ يعني فيما أمركم به أو نهاكم عنه ولا تتدوه ﴿ يا أولى الابواب ﴾ يعني يا ذوى العقول السليمة ﴿ لعلمكم تفحون ﴾ قوله عز وجل

الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط ( والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ) فلا يخفى عليه نفاقكم ووفائكم ( قل لا يستوي الخبيث والطيب ) لما أخبر أنه يعلم ما تبدون وما يكتمون ذكر أنه لا يستوي خبيثهم وطيبهم بل يميز بينهما فيعاقب الخبيث أي الكافر ويثيب الطيب أي المسلم ( ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله ) وآثر والطيب وان قل على الخبيث وان كثرت وقيل هو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وجيد الناس ورد فيهم (يا أولى الابواب) أي العقول الخالصة ( لعلمكم تفحون ) كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء احتماها

اعلموا أن الله شديد العقاب لمن استحل ما حرم الله (وان الله غفور) متجاوز (رحيم) لمن تاب (ما على الرسول الا البلاغ) عن الله (والله يعلم ما تبدون) تظهرون من الخير والشر وما تكتمون من الخير والشر ويقال والله يعلم ما تبدون

تظهرون فيما بينكم وما تكتمون تسرون بعضكم عن بعض باخذ مال شرح (قل) يا محمد لاهل السرح ( يا أيها ) الذي ساق شرح (لا يستوي الخبيث) الحرام مال شرح (والطيب) الحلال الذي ساق شرح (ولو أعجبك كثرة الخبيث) الحرام (فاتقوا الله) فاخشوا الله في أخذ الحرام (يا أولى الابواب) يا أهل اللب والعقل (لعلمكم تفحون) لكي تنجوا من السخطة

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكن تسؤنكم ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكن تسؤنكم ﴾ اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروى عن أنس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعنا مثلها قط فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم حين زاعت الشمس فصلى الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها أمور اعظاما ثم قال من أحب أن يسألني عن شيء فليسأل فلا تسألوني عن شيء الا أخبرتكم به مادمت في مقامى فأكثر الناس البكاء وأكثر أن يقولوا سلاما فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من أبي فقال أبوك حذافة ثم أكثر أن يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام ديننا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت على الجنة والنار أنفا في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر قال ابن شهاب فأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت بابن قط أعق منك أمنت أن تكون أمك قارفت بعض ما تقارف اهل الجاهلية فتفضمها على أعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو ألحقني بعبد أسود للحقته زاد في رواية أخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكن تسؤنكم أخرجه في الصحيحين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي فأنزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكن تسؤنكم كلها وقيل نزلت هذه الآية في شأن الحج عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال لما نزلت والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكن تسؤنكم أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما لا تسألوا عن أشياء قال هي البخيرة والوصيلة والسابعة والحام الأترى انه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بخيرة ولا كذا ولا كذا وقال عكرمة انهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ومعنى الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء جمع شيء ان تبدلكن أي تظهر لكم وتبين لكم

فتزل ( يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ) قال الخليل وسيبويه وجهور البصريين أصله شيئا يهزتين بينهما الف وهى فعلا من لفظ شيء وهزتها الثانية للتأنيث ولذا لم تنصرف كحراء وهى مفردة لفظا جمع معنى ولما استثقلت الهمزان المجتمعتان قدمت الاولى التى هى لام الكلمة فجمعت قبل الشين فصار وزنها الفعاه وجملة الشرطية والمطووفة عليها أى قوله ( ان تبدلكن تسؤنكم ) والعذاب ( يا أيها الذين آمنوا ) نزلت في حارث بن يزيد سأل النبي صلى الله عليه وسلم حين نزل والله على الناس حج البيت فقال أفي كل عام يا رسول الله فنهاه الله عن ذلك وقال يا أيها الذين آمنوا ( لا تسألوا ) نبيكم ( عن أشياء ) قد عفا الله عنكم ( ان تبدلكن ) تؤمرنكم ( تسؤنكم ) ساءكم

وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلکم ﴿ الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تعلمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كقدمتين تنجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقلة لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افغلاء حذف لامه جمع لشيء على ان اصله شئ كهيئ أو شئتي كصديق فحذف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كيت وابتات ويرده منع صرفه ﴿ عفا الله عنها ﴾ صفة أخرى أى عن اشياء عفا الله عنها لم يكلف بها اذ روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقه بن مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعت فأتركونى ما تركتكم فنزلت أو استثناف أى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا لمثلها ﴿ والله غفور حلیم ﴾ لا يعاجلكم بعقوبة ما فرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعينهم فقال لا أسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل ابن أبي فقال في النار وقال آخر من أبى فقال حذفه

وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلکم ( صفة لاشياء أى وان تسألوا عن هذه التكليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم تبدلکم تلك التكليف التي تسوؤكم أى تعلمكم وتشق عليكم وتؤمرون

فتعرضون أنفسكم لغضب الله بالتفريط فيها ( عفا الله عنها ) عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها ( والله غفور حلیم ) لا يعاقبكم الا بعد

ذلك ( وان تسألوا عنها ) عن الاشياء التي قد عفا الله عنها ( حين ينزل القرآن ) جبريل بالقرآن ( تبدلکم ) تؤمر لكم ( عفا الله عنها ) عن مسألتكم ( والله غفور ) لمن تاب ( حلیم ) عن جهلكم

تسوؤكم يعنى ان أمرتم بالعمل بها فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يؤمر به فلا يقدر عليه فيسوءه ذلك ومن سأل عن نسه لم يأمن أن يلحقه النبي صلى الله عليه وسلم بغير أبيه فيقتضه ويسوءه ذلك ﴿ وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلکم ﴾ معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهى أو حكم وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سأتم عنه فحينئذ يبدى لكم ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن في عدد هؤلاء دليل على عدة التي ليست ذات قرء ولا حامل فسألوا عنها أنزل الله عز وجل جوابهم في قوله واللائى يئسن من المحيض من نسائكم الآية ﴿ عفا الله عنها ﴾ يعنى عن مسألتكم عن الاشياء التي سأتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤخذكم بها ولم يعاقبكم عليها ﴿ والله غفور ﴾ يعنى لمن تاب منكم ﴿ حلیم ﴾ فلا يعجل بعقوبتكم وقال عطاء غفور يعنى لما كان في الجاهلية حلیم يعنى عن عقابكم منذ آنتم وصدقتم وقال بعض العلماء الاشياء التي يجوز السؤال عنها هي ما يترتب عليها أمر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز السؤال عنه ( ق ) عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسئلته ( ق ) عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أنه كتب الى معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات أخرجه ابوداود الاغلوطات صعب المسائل

الانذار والضمير في ( قدسألها ) لا يرجع الى أشياء حتى يعدى بمن بل يرجع الى المسئلة التي دلت عليها لا تسئلوا أى قدسأل  
 هذه المسئلة ( قوم من قبلكم ) من الاولين ( ثم أصحوا بها ) صاروا بسببها ( كافرين ) كما عرف في بنى اسرائيل  
 ( ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ) كان أهل الجاهلية اذا نجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحجروا  
 اذنها أى شقوها وامتتعوها من ركوبها وذبحها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت  
 من سفري أو برأت من مرضى فناقى شائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا  
 قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وكانت الشاة اذا ولدت سبعة أبطن فان كان السابع ذكرا أكله الرجال  
 وان كان أنثى أرسلت في الغنم وكذا ﴿ ٣٥٧ ﴾ ان كان ذكرا ﴿ سورة المائدة ﴾ وأنثى وقالوا وصلت أختها

فألوصيلة بمعنى الواصلة  
 واذا نجت من صلب الفحل  
 عشرة أبطن قالوا قد حى  
 ظهره فلا يركب ولا يحمل  
 عليه ولا يمنع من ماء  
 ولا مرعى ومعنى ما جعل  
 ما شرع ذلك ولا أمر به

وكان يدعى لغيره فنزلت ﴿ قدسألها قوم ﴾ الضمير للمسئلة التي دل عليها تسألوا  
 ولذلك لم يعد بمن أو لاشياء بحدف الجار ﴿ من قبلكم ﴾ متعلق بسألها وليس  
 صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجنة ولا حالا منها ولا خبرا عنها  
 ﴿ ثم أصحوا بها كافرين ﴾ أى بسببها حيث لم يأتمروا بها سألوا جمودا ﴿ ما جعل الله  
 من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ﴾ رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية

التي نزل فيها أقدم العلماء ويؤيد ذلك قول أبي هريرة رضى الله عنه شرار الناس الذين  
 يسألون عن شرار المسائل كي يفلطوا بها العلماء وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم عن أشياء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه  
 وما سكت عنه فهو مما قد عفا عنه فلا تنكفوا ﴿ وعن أبي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحدودا فلا تتعدوها وحرم  
 أشياء فلا تقربوها وترك أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان أخرجهما  
 في جامع الاصول ولم يعزهما الى الكتب الستة ثم قال تعالى ﴿ قدسألها قوم من قبلكم ثم  
 أصحوا بها كافرين ﴾ قال المفسرون يعنى قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها فأصحوا بها  
 كافرين وقوم موسى قالوا أرنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالاعليم وقوم عيسى  
 سألوا نزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها كأنه تعالى يقول ان أولئك سألوا فلما أعطوا  
 سؤلهم كفروا به فلا تسئلوا أنتم شيئا فلمكن ان أعطيتهم سؤلكم ساء كم ذلك ﴿ قوله  
 عز وجل ﴿ ما جعل الله ﴾ أى ما أنزل الله ولا حكم به ولا شرعه ولا أمر به ﴿ من  
 بحيرة ﴾ البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته اذا شق اذنها فهي فعيلة بمعنى  
 مفعولة ﴿ ولا سائبة ﴾ يعنى المسيبة المخلاة ﴿ ولا وصيلة ﴾ الوصيلة الشاة وكانت العرب  
 في الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا وأنثى قالوا وصلت أختها ﴿ ولا حام ﴾ الحام هو الفحل

( قدسألها قوم من قبلكم )  
 بينهم اشيا ( ثم أصحوا )  
 بها كافرين ) فلما بين لهم  
 بينهم صاروا بها كافرين  
 ( ما جعل الله من بحيرة  
 ولا سائبة ولا وصيلة  
 ولا حام ) يقول ما حرم الله  
 بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة  
 ولا حاماً فأما البحيرة فن  
 الابل كانوا اذا نجت  
 الناقة خمسة أبطن نظروا  
 في البطن الخامس فان  
 كانت سقبا والسقب الذكر  
 نحروه فأكله الرجال والنساء  
 جميعا وان كانت أنثى شقوا  
 اذنها فتلك البحيرة وكان

لبنها ومنافقها للرجال خاصة دون النساء حتى تموت فأدامت اشترك في أكلها الرجال والنساء وأما السائبة فكان الرجل يسب  
 من ماله ما يشاء من الحيوان وغيره فيجئ به الى السدنة والسدنة خزنة آلهم فيدفعه اليهم فيقبضونه منه فيطعمون منه  
 أبناء السبيل الرجال دون النساء ويطعمون منه لآلهم الذكور دون الاناث حتى تموت ان كان حيوانا فأدامت اشترك  
 فيه الرجال والنساء وأما الوصيلة فهي الشاة كانت اذا ولدت سبعة أبطن عمدوا الى البطن السابع فأذا كان ذكرا ذبحوه  
 فأكله الرجال والنساء جميعا وان كان أنثى لم تنفع النساء منها بشئ حتى تموت فأدامت كان الرجال والنساء  
 يأكلونها جميعا وان كان ذكرا أو أنثى ببطن واحد قيل وصلت أختها فيتركها مع اخوتها فلا يذبحان وكانا لرجال دون  
 النساء حتى تموت فأذا ماتا اشترك في أكلهما الرجال والنساء وأما الحام فهو الفحل اذا ركب ولد ولده قبل حى ظهره فيترك  
 ولا يحمل عليه شئ ولا يركب ولا يمنع من ماء ولا رعى واما ابل أنها يضرب فيها لم يخل بينه وبينها فأذا دركه  
 الهرم أو مات أكله الرجال والنساء جميعا فذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام

وهو انهم اذا نتجت الناقة خسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها  
 وخلوا سيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقى سائبة  
 ويحملها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة اثنى فهمى لهم واذا ولدت  
 ذكرا فهو لا لهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الاثنى اخاها فلا يذبح لها الذكر  
 واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى  
 وقالوا قد حى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول

من الابل يحمى ظهره فلا يركب ولا يتفعبه قال ابن عباس رضى الله عنهما في بيان هذه  
 الاوصاف البهيرة هي الناقة اذا ولدت خسة ابطن لم يركبها ولم يجزوا وبرها ولم  
 يمنعوا الماء والكلاء ثم نظروا الى خامس ولدها فان كان ذكرا حرموه وأكله الرجال  
 والنساء وان كانت اثنى شقوا اذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت  
 منافعها للرجال خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة اذا تابعت  
 اثنى عشرة سنة انا سبيت فلم يركب ظهرها ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها الاضيف  
 فما نتجت بعد ذلك من اثنى شق اذنها ثم سبيت مع أمها ويفعل بها كما يفعل بأماها وقيل  
 السائبة البعير الذى يسبب لا لهتهم وذلك ان الرجل من أهل الجاهلية كان اذا مرض  
 أو غاب له قريب نذر فقال ان شفانى الله أو شفى الله مريضى أو قدم غائبي فناقنى هذه  
 سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يركبها أحد فهمى بمنزلة البهيرة  
 والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا  
 ذبحوه وأكل منه الرجال والنساء وان كانت اثنى تركوها فى الغنم وان كانت ولدت  
 ذكرا واثنى قالوا وصلت آخاها واستحيوا الذكر فلم يذبحوه من أجل الاثنى والحامى  
 هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا نتج من صلبه عشرة ابطن قالوا حى  
 ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات أكله الرجال  
 والنساء (ق) عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال البهيرة التى يمنع درها للطواغيت  
 فلا يحملها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لا لهتهم لا يحمل عليها شئ قال  
 أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر بن الخزاعي يجر قصبه فى النار  
 ولمسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف  
 أخابنى كعب وهو يجر قصبه فى النار (خ) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه وهو أول من سبب  
 السوائب القصب بضم القاف وسكون الصاد الممثلة الامعاء كانت الجاهلية تفعل هذا  
 فى جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أبطل ذلك بقوله ما جعل الله  
 من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام يعنى ما يجر الله من بحيرة ولا سبب من سائبة ولا  
 وصل من وصيلة ولا حامى من حام ولا اذن فيه ولا أمر به ولكنكم انتم تعلمون ذلك من عند أنفسكم  
 (خ) عن ابن مسعود رضى الله عنه ان اهل الاسلام لا يسيبون وان أهل الجاهلية كانوا

(ولكن الذين كفروا) يتحريمهم ما حرموا (يفترون على الله الكذب) في نسبتهم هذا التحريم اليه (وأكثرهم لا يعقلون) ان الله لم يحرم ذلك وهم عوامهم (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول) أى هلموا الى حكم الله ورسوله بان هذه الاشياء غير محرمة (قالوا احسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) أى كافينا ذلك حسبنا مبتدأ والخبر ما وجدنا وما معنى الذى والوا فى (أولو كان آباؤهم) للحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) أى الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدى وانما يعرف اهتداؤه بالحجة (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) انتصب انفسكم بعلينكم وهو من اسماء الافعال أى الزموا اصلاح انفسكم ﴿ ٣٥٩ ﴾ والكاف والميم { سورة مائدة } فى عليكم فى موضع جر لان

اسم الفصل هو الجار والمجرور لاعلى وحدها (لا يضركم) رفع على الاستثناف أو جزم على جواب الامر واتماضت الراء اتباعاً لضمة الضاد (من ضل اذا هتديتم) كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على أهل العناد من الكفرة يتقنون دخولهم فى الاسلام فليل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها لا يضركم الضلال من دينكم اذا كنتم مهتدين وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان تركهما

واحد وهو البجيرة ومن مزيدة ﴿ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ﴾ يتحريم ذلك ونسبته الى الله سبحانه وتعالى ﴿ وأكثرهم لا يعقلون ﴾ أى الحلال من الحرام والمبعض من المحرم أو الأمر من الناهى ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ بيان لتصور عقلم وانما كهم فى التقليد وان لا سند لهم سواء ﴿ أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾ الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال أى احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح عن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴾ أى احفظوها والزموا صلاحها والجار مع المجرور جعل اسماً للزموا ولذلك نصب انفسكم \* وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿ لا يضركم من ضل اذا هتديتم ﴾ لا يضركم الضلال

يسيون \* قوله عز وجل ﴿ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ﴾ يعنى لقولهم ان الله أمرنا بها ﴿ وأكثرهم لا يعقلون ﴾ أراد بالاكتر الاتباع يعنى ان الاتباع لا تمقل أن هذا كذب واقتداء من الرؤساء على الله عز وجل ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ﴾ يعنى واذا قيل لهؤلاء الذين بجزوا البحار وفضلوا هذه الاشياء أضافوها الى الله كذباً تعالوا الى ما أنزل الله يعنى فى كتابه والى الرسول يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم الذى أنزل عليه كتابه ليعين لكم كذب ما تضيفونه الى الله ويبين لكم الشرائع والاحكام وان الذى تعلقونه ليس بشئ ﴿ قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ يعنى قد اكتفينا بما أخذنا عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله ردا عليهم ﴿ أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾ يعنى انما يصح الاقتداء بالعالم المهتدى الذى يبنى قوله على الحجة والبرهان والدليل وان آباءهم ما كانوا كذلك فيصح اقتداؤهم بهم \* قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا هتديتم ﴾ قال بعض العلماء هذا امر من الله تعالى ومعناه احفظوا انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصى لانك اذا قلت عليك زيداً معناه ازم زيداً وقيل معناه عليكم انفسكم فاحفظوها واعملوا فى خلاصها

(ولكن الذين كفروا) يعنى عمرو بن لحي وأصحابه (يفترون) يختلقون (على الله الكذب) فى تحريمها (وأكثرهم) كلهم (لا يعقلون) أمر الله وتحليله وتحريمه (واذا قيل لهم) قال لهم النبي

صلى الله عليه وسلم لمشركى اهل مكة (تعالوا الى ما أنزل الله) الى تحليل ما بين الله فى القرآن (والى الرسول) والى ما بين لكم الرسول من التحليل (قالوا احسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) من التحريم (أولو كان آباؤهم) وقد كان آباؤهم (لا يعلمون شيئاً) من التوحيد والدين (ولا يهتدون) لسنة نبي ويقال أو ليس كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً من الدين ولا يهتدون لسنة النبي فكيف هم يقتدون بهم (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) اقبلوا على انفسكم (لا يضركم من ضل) لالة من ضل (اذا هتديتم) الى الايمان وبيتم



إذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكم منكراً واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت أباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والحزم على الجواب أو النهي لكنه ضمت الراء اتباعاً لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ

من عذاب الله عز وجل وانظروا لها ما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل إذا هتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر إذا كنتم مهتدين وأطعم الله عز وجل فيما أمركم به ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الآية في أهل الكتاب اليهود والنصارى يعني عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل لما قبلت الجزية من أهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الآية وقيل ان المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم أنفسكم واجتهدوا في صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين إذا كنتم أتم مهتدين فإن قلت هل يدل ظاهر هذه الآية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي عليه أكثر الناس ان المطيع لربه عز وجل لا يكون مؤاخذاً بذنوب أصحاب المعاصي فأما وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فثبت بدليل الكتاب والسنة \* عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال أيها الناس انكم تقرؤون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هتديتم ولا تضعونها موضعها ولا تدرن ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه أبو داود وزاد فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرن على أن يغيروا ولا يغيروا الا يوشك أن يعمهم الله بعقاب وقال قوم في معنى الآية عليكم أنفسكم إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانها عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال ان القرآن نزل منه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه آى وقع تأويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه آى وقع تأويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسبر ومنه آى يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه آى يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار فادامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة لم تلبسوا شيئا ولم يذق بعضكم بأس بعض فامر بالمعروف وانها عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم وأهواؤكم والبستم شيئا وأذيق بعضكم بأس بعض فامر نفسه فمئذ ذلك جاء تأويل هذه الآية وقيل لابن عمر لوجست في هذه الايام فلم تأمر ولم تنه فان الله يقول عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هتديتم فقال ابن عمر انها

لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الصاد وضمها من ضاره يضره ويضوره ﴿ الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ وعد ووعد للفرقيين وتنبه على ان احدا

مع القدرة عليهما لا يجوز  
( الى الله مرجعكم جميعا )  
رجوعكم ( فينبئكم بما  
كنتم تعملون ) ثم يحزيكم  
على اعمالكم روى أنه خرج  
بديل مولى عمرو بن العاص  
وكان من المهاجرين مع  
عدى وتيم وكان نصرانيين  
الى الشام فرض بديل  
وكتب كتابا فيه مامعه  
وطرحه في متاعه ولم يخبر  
به صاحبيه واوصى اليهما  
بان يدفعا متاعه الى اهله  
ومات ففتشا متاعه فأخذوا  
اناء من فضة فأصاب أهل  
بديل الصيحة فطالباها  
بالاناء فجدوا فرفروا الى  
رسول الله صلى الله

ضلاتهم ( الى الله مرجعكم )  
بعد الموت ( جميعا فينبئكم )  
يخبركم ( بما كنتم تعملون )  
وتقولون من الخير والشر  
نزلت هذه الآية من قوله  
عليكم أنفسكم الى ههنا  
في مشركي أهل مكة حين  
قبل النبي صلى الله عليه وسلم  
من أهل الكتاب الجزية  
ولم يقبل منهم وقد بينت  
قصة هذا في سورة البقرة

ليست لي ولا لأصحابي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا ليبلغ الشاهد الغائب فكنا  
نحن اليهود وأنت الغائب ولكن هذه الآية لاقوام يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل  
منهم وعن أبي أمية الشعباني قال آتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف نصنع بهذه الآية قال  
آية آية قلت يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال أما والله  
لقد سألت عنها خير أسأت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتمروا بالمعروف  
وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحاططا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وانجاب كل ذي  
رأى رأيه فذلك خاصة نفسك ودع العوام فان من ورائكم أيام الصبر فمن صبر فربن قبض على  
الجمل للعامل فيهن مثل أجر خسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي رواية قيل يا رسول الله  
أجر خسين رجلا منا أو منهم قال لا بل أجر خسين منكم أخرجه الترمذي وقال  
حديث حسن غريب وقيل في معنى الآية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيها  
لا يضره من ضل وقال ابن عباس رضي الله عنهما قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا  
اهتديتم يقول اذا ما العبد اطاعني فيما أمرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل  
بعده اذا عمل بما أمرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب من أصحاب الالهواء  
فذكر شيئا من أمره فقلت له ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه يا أيها الذين  
آمَنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مؤمن في الماضي ولا مؤمن  
فيما بقي الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الآية لا يضركم من كفر بالله وحاد  
عن قصد السبيل من أهل الكتاب اذا اهتديتم أنتم قال سعيد بن جبيرة نزلت هذه الآية  
في أهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا سلم قالوا له سفهت آباءك وضلتهم وفعلت وفعلت  
وكان ينبغي لك أن تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا عليكم  
أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبري وأولى هذه الاقوال وأصح التأويلات  
عندنا في هذه الآية ما روى عن أبي بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله وأداء ما لزم  
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى يقول وتعاونوا  
على البر والتقوى ومن التعاون على البر والتقوى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر  
والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبدالله بن المبارك هذه الآية أوكد آية  
في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان الله تعالى قال عليكم أنفسكم يعني أهل  
دينكم بان يعظ بعضهم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والمكروهات والذي  
يؤكد ذلك أن معنى قوله عليكم أنفسكم أي احفظوا أنفسكم وهذا أمر بأن نحفظ أنفسنا  
ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴿ الى الله  
مرجعكم جميعا ﴾ يعني في الآخرة الطائع والعاصي والضال والمهتدي ﴿ فينبئكم بما  
كنتم تعملون ﴾ يعني فيخبركم باعمالكم ويحزيكم عليها ﴿ قوله عز وجل

لا يؤاخذ بذنب غيره ﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ﴾ أي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية و اضافتها الى الظرف على الاتساع ووقرى شهادة

﴿ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ﴾ سبب نزول هذه الآية ما روى أن تميم بن أوس الدارى وعد بن بدءا خرجا من المدينة في تجارة الى الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع وألقاه في متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك فلما اشتد وجعه أوصى الى تميم وعدى وأمرهما أن يدفعا متاعه الى أهله أذا رجعا الى المدينة ومات بديل فقتل متاعه فوجداه في أهله من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فقباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرا الى المدينة فدفعوا المتاع الى أهل البيت فقتسوه فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجاء أهل البيت الى تميم وعدى فقالوا هل باع صاحبنا شيئا من متاعه قالوا لا قالوا فهل أجزت تجارة قالوا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق شيئا على نفسه قالوا لا قالوا انا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا اياه من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة قالوا لا ندرى انما أوصى الينا بشيء وأمرنا أن ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاخصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأصر على الانكار وحلفا فأزل الله هذه الآية هذا قول المفسرين وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن تميم الدارى في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت قال تميم برى الناس منها غيرى وغير عدى بن بدءا وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما قبل الاسلام فأتيا الى الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبنى سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو أعظم تجارته ففرض فأوصى اليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله قال تميم ولما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بالثب درهم ثم اقتسمناه أنا وعدى فلما أينا أهله دفعنا اليهم ما كان معنا وفقد الجام فسألونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا ولادفع الينا غيره قال تميم فلما سلمت بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة تأتمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأدبت اليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم ان عند صاحبي مثلها فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البيعة فلم يجدوا فأمرهم ان يستخلفوه بما يعظم على أهل دينه فخلف فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت الى قوله أو يخافوا ان ترد أيمان بعد أيمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدى قال الترمذى هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح وقد روى عن ابن عباس شئ من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بنى سهم مع تميم الدارى وعدى بن بدءا فأتى السهمى بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة فحلفا بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقبل اشتريناه من تميم وعدى فقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وان الجام لصاحبه قال وفيهم نزلت هذه الآية

عليه وسلم فنزل ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم )  
 ( يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم ) عليكم بالشهادة فيما يكون بينكم في السفر والحضر

إذا حضر أحدكم الموت  
 حين الوصية اثنان (ارتفع  
 اثنان لانه خبر المبتدأ وهو  
 شهادة بتقدير شهادة  
 بينكم شهادة اثنان أو لانه  
 فاعل شهادة بينكم أى  
 فيما فرض عليكم ان يشهد  
 اثنان واتسع في بين فأضيف  
 اليه المصدر واذا حضر  
 ظرف للشهادة وحين  
 الوصية بدل منه وفي ابداله  
 منه دليل على وجوب الوصية  
 لان حضور الموت من  
 الامور الكائنة وحين  
 الوصية بدل منه فيدل  
 على وجود الوصية ولو  
 وجدت بدون الاختيار  
 لسقط الابتلاء فنقل الى  
 الوجوب وحضور الموت  
 مشاركته وظهور أمارات  
 بلوغ الاجل ( ذوا عدل )  
 صفة لاثنين ( منكم ) من  
 أقاربكم لانهم أعلم بحوال  
 الميت ( أو آخران ) عطف  
 على اثنان ( من غيركم )  
 ( إذا حضر أحدكم  
 الموت حين الوصية )  
 عند وصية الميت ( اثنان )  
 فليشهد شاهدان ( ذوا  
 عدل منكم ) من احراركم  
 حران ويقال من قومكم  
 ( أو آخران من غيركم )  
 من غير أهل دينكم ويقال  
 من غير قومكم ثم ذكر  
 السفر وترك الحضرة فقال

بالنصب والتوين على ليقم ﴿ إذا حضر أحدكم الموت ﴾ إذا شارفه وظهرت امارته  
 وهو ظرف للشهادة ﴿ حين الوصية ﴾ بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية  
 مما ينبغي ان لا يتهاون فيه أو ظرف حضر ﴿ اثنان ﴾ فاعل شهادة ويجوز ان  
 يكون خبرها على حذف المضاف ﴿ ذوا عدل منكم ﴾ أى من أقاربكم أو من المسلمين  
 وهما صفتان لاثنان ﴿ أو آخران من غيركم ﴾ عطف على اثنان ومن فسر الغير بأهل  
 يأيا الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت أخرجه الترمذى وقال حديث  
 حسن غريب وأخرج هذه الرواية الاخيرة البخارى في صحيحه فأما التفسير فقوله تعالى  
 يأيا الذين آمنوا شهادة بينكم يعنى ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج اليها عند وقوع  
 التنازع والتشاجر ﴿ إذا حضر أحدكم الموت ﴾ يعنى اذا قارب وقت  
 حضور الموت ﴿ حين الوصية اثنان ﴾ لفظه خبر ومعناه الامر يعنى ليشهد اثنان منكم عند  
 حضور الموت وأردتم الوصية ﴿ ذوا عدل منكم ﴾ يعنى من أهل دينكم وملتكم يامعشر  
 المؤمنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية  
 الموصى وقيل هما الوصيان لان الآية نزلت فيهما ولانه قال تعالى فيقسمان بالله والشاهد  
 لا يلزمه يمين وجعل الوصى اثنين تأكيداً فلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك  
 شهدت وصية فلان بمعنى حضرت ﴿ أو آخران من غيركم ﴾ يعنى من غير أهل دينكم  
 وملتكم وهذا قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير  
 والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح وأكثر المفسرين وقيل معناه من غير عشيرتكم  
 وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال ابراهيم النخعي وجاعة  
 هى منسوخة كانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا  
 شهيدين من رجالكم لان اجماع الامة على ان شهادة الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار  
 وأهل الذمة لا تجوز بطريق الاولى وذهب قوم الى أنها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن  
 عباس وأبي موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال أحد  
 ابن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلمين يشهدان على وصيته وهو في أرض غربة فليشهد كافرين  
 أو ذميين أو من أى دين كانا لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بأرض غربة  
 لم يجد مسلماً يشهد وصيته فليشهد كافرين على أى دين كانا من أهل الكتاب أو من  
 عبدة الاصنام فشهادتهم جائزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم بحال الاعلى  
 وصيته في سفر لا يجد فيه مسلماً عن الشعبي ان رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاً  
 هذه ولم يجد أحداً من المسلمين حضر يشهده على وصيته فاشهد رجلين من أهل الكتاب  
 فقدا الكوفة فاتيا أباً موسى فاخبراه وقد ما بتركته ووصيته فقال أبو موسى هذا أمر  
 لم يكن بعد الذى كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد العصر بالله  
 ما خانا ولا كذبا ولا بدلاً ولا كتماً ولا غيراً وانها لو وصية الرجل وتركته فامضى شهادتهما  
 أخرجه أبو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعنى من عشيرتكم وحكيم أو آخران

من الاجنب (أن أتم ضربتم في الارض) سافرتم فيها وأتم فاعل فعل يفسره الظاهر (فأصابتكم مصيبة الموت) أو منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل منسوخ إذ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وإنما جازت في أول الاسلام لقلة المسلمين (تحبسونهما) تقفونهما للحلف هو استئناف { الجزء السابع } كلام أو صفة لقوله ﴿ ٣٦٤ ﴾ أو آخران من غيركم أي أو آخران

من غيركم محبوسان وان أتم ضربتم في الارض فأصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف (من بعد الصلوة) من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن رحه الله بعد العصر أو الظاهر لان أهل الحجاز كانوا يقدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدى وعم فاستخلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا اننا اشتريناه من عيم وعدي (فيقسمان بالله) فيحلفان به

الذمة جملة منسوخ فان شهادته على المسلم لا تسمع اجاعا ﴿ أن أتم ضربتم في الارض ﴾ أي سافرتم فيها ﴿ فأصابتكم مصيبة الموت ﴾ أي قاربتم الاجل ﴿ تحبسونهما ﴾ تقفونهما وتصبرونهما صفة لا آخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله أو آخران من غيركم اعتراض فائدة الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تذر كما في السفر فن ذيركم أو استشف كأنه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما ﴿ من بعد الصلوة ﴾ صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل أي صلاة كانت ﴿ فيقسمان بالله

من غيركم من غير عشيرتكم وحكيم وان الآية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهرى وعكرمة وقاوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من الاحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة غير ان أبا حنيفة آجاز شهادة أهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الآية محكمة بان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من آجاز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في أول الآية يأبأ الذين آمنوا فم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قل بعده ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم فم بذلك انه مان غير المؤمنين ولان الآية دالة على وجوب الحلف على هذين الشاهدين وأجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لا يجب عليه عين ولان الميت اذا كان في أرض غربة ولم يجد مسلما يشهد له على وصيته ضاع ماله وربما كان عليه ديون أو عنده ودية فيضعب ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتج الى الشهاد من حضر من أهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتفقد وصيته فهذا كالمضطر الذي أبيع له أكل الميتة في حال الاضطرار والضرورات قد تبخ شيئا من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قل ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدولا فشهادتهم غير مقبولة في حال من الاحوال ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان أتم ضربتم في الارض ﴿ يعني ان أتم سافرتم في الارض ﴿ فأصابتكم مصيبة الموت ﴾ يعني نزل بكم أسباب الموت فأوصيتهم اليهما ودفعت ما لكم اليهما ﴿ تحبسونهما ﴾ يعني ان اتهمهما بهن الورثة وادعوا عليهما بخيانة فالحكم فيهن أن يوقوهما ﴿ من بعد الصلوة ﴾ يعني من بعد صلاة العصر لان جميع أهل الاديان يعظمون ذلك الوقت ويحترمون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة أهل دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر ﴿ فيقسمان بالله ﴾ يعني فيحلفان بالله قال الشافعي الايتان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان في بيت المقدس

(ان أتم ضربتم) سرتم وسافرتم (في الارض فأصابتكم مصيبة الموت) نزلت هذه الآية في ثلاثة نفر اصطحبوا في التجارة الى البلد بلد الشام فمات أحدهم بالبليد يقال له بديل ابن أبي مارية مولى عمرو ابن العاص وكان مسلما فأوصى صاحبيه عدى بن

بداء وعيم بن أوس الداري وكان نصرانيين فحاننا في الوصية فقال الله لأولياء الميت (تحبسونهما) يعني (فمنذ) النصرانيين (من بعد الصلوة) صلاة العصر (فيقسمان بالله) فيحلفان به

( أن ارتبتم ) شككتكم في أمانتهما وهو اعتراض بين يقسمان وجوابه وهو ( لا نشترى ) وجواب الشرط محذوف  
اغنى عنه معنى الكلام والتقدير ان ارتبتم في شأنهما فحلفوهما ( به ) بالله أو بالقسم ( ثمنا ) عوضا من الدنيا ( ولو كان ) أى المقسم  
له ( ذاقربى ) أى لا تخلف بالله كاذبين ﴿ ٣٦٥ ﴾ لاجل المال ولو كان {سورة المائدة} من نقسم له قريبا منا ( ولانكتم  
شهادة الله ) أى الشهادة

التى أمر الله بحفظها وتعظيمها  
( انا اذا ) ان كتمنا ( لمن  
الآئمين ) وقيل ان أريد  
بهما الشاهدان فقد نسخ  
تحليف الشاهدين وان  
أريد الوصيان فلم ينسخ  
تحليفهما ( فان عثر ) فان  
اطلع ( على انهما استحقا اثما )

فعالما أوجب اثما واستوجبا  
أن يقال انهما لمن الآئمين  
( فأخران ) فشاهدان  
آخران ( يقومان مقامهما  
من الذين استحق عليهم )  
أى من الذين استحق عليهم  
الاثم ومعناه من الذين  
حنى عليهم وهم أهل الميت  
وعشيرته وفي قصة بديل

( ان ارتبتم ) أن  
شككتكم يا أولياء الميت  
ان المال أكثر مما أتيا به  
( لا نشترى به ) وليقولا  
لا نشترى باليمين ( ثمنا )  
عوضا يسيرا من الدنيا  
( ولو كان ذى قربى )  
ولو كان الميت ذا قرابة  
منافى الرحم ( ولانكتم  
شهادة الله ) وليقولا لانكتم  
شهادة الله عندنا اذا سئلنا  
( انا ) ان كتمنا ( اذا )

ان ارتبتم ﴿ ان ارتاب الوارث منكم ﴾ لا نشترى به ثمنا ﴿ مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض  
يفيدا اختصاص القسم بحال الارتباب والمعنى لا نستبدل بالقسم أو بالله عرضا من الدنيا أى  
لا تخلف بالله كاذبا لطمع ﴿ ولو كان ذاقربى ﴾ ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه  
أيضا محذوف أى لا نشترى ﴿ ولانكتم شهادة الله ﴾ أى الشهادة التى امرنا باقامتها وعن  
الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتداء الله بالمدعى حذف حرف القسم وتعويض حرف  
الاستهزام منه وروى عنه بغيره كقوله لهم الله لأفعلن ﴿ أنا اذا لمن الآئمين ﴾ أى  
ان كتمنا . وقرئ بالآئمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها  
﴿ فان عثر ﴾ فان اطلع ﴿ على انهما استحقا اثما ﴾ أى فعلا ماوجب اثما كتحريف  
﴿ فأخران ﴾ فشاهدان آخران ﴿ يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم ﴾ من الذين

فعند الصخرة وفي سائر البلاد في أشرف المساجد وأعظمها بها ﴿ ان ارتبتم ﴾ يعنى ان  
شككتكم أيها الورثة في قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا اذا كانا كافرين أما  
اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد المسلم غير مشروع ﴿ لا نشترى به  
ثمنا ﴾ يعنى لا نبيع عهد الله بشئ من الدنيا ولا تخلف بالله كاذبين لاجل عوض  
نأخذة أو حق نجده ﴿ ولو كان ذاقربى ﴾ يعنى ولو كان المشهود له ذاقربا منا  
وانما خص القربى بالذكر لان الميل اليهم أكثر من غيرهم ﴿ ولانكتم شهادة الله ﴾  
انما أضاف الشهادة اليه لانه أمر باقامتها ونهى عن كتمانها ﴿ أنا اذا لمن الآئمين ﴾ يعنى  
ان كتمنا الشهادة أو خنا فيها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
صلاة العصر ودعا تيميا وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذى لا اله الا هو انهما لم يخونا  
شئاً مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فحلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيلهما ثم ظهر  
الاناء بعد ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما وجد الاناء بمكة فقوالوا اشتريناه من تميم  
وعدى وقيل لما طال المدة أظهوروه فبلغ ذلك نبى سهم فاتوهما في ذلك فقالا انا كنا  
اشتريناه منه فقالوا لهما ألم نزعنا ان صاحبنا لم يبيع شئاً من متاعه قالوا لم يكن عندنا بينة  
فكرهنا أن نقر لكم به فكتناه لذلك فرعوهما الى النبي صلى الله عليه وسلم  
﴿ فان عثر ﴾ يعنى فان اطلع وظهور العثور الهجوم على أمر لم يهجم عليه  
غيره وكل من اطلع على أمر كان قد خفى عليه قيل له قد عثر عليه ﴿ على انهما استحقا  
اثما ﴾ يعنى الوصيين ومعنى الآية فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين  
كانا استوجبا الاثم بسبب خيانتهم وأيمانتهما الكاذبة ﴿ فأخران ﴾ يعنى من أولياء  
الميت وأقربائه ﴿ يقومان مقامهما ﴾ يعنى مقام الوصيين في اليمين ﴿ من الذين استحق عليهم ﴾

حينئذ ( لمن الآئمين ) العاصين فتيبين بعدما حلفا خيانتهم وعلم بذلك أولياء الميت فقال الله ( فان عثر ) فان اطلع ( على  
انهما ) يعنى النصرانيين ( استحقا ) استوجبا ( اثما ) خيانة ( فأخران ) أوليان من أولياء الميت وهما عمرو بن العاص ومطلب بن أبى  
وداعة ( يقومان مقامهما ) مقام النصرانيين ( من الذين استحق عليهم ) الخيانة يعنى النصرانيين ويقال من الذين استكتم ائمال منهما يعنى

انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه انا صاحبهما وان شهادتهما أحق من شهادتهما  
(الاوليان) الاحقان { الجزء السابع } بالشهادة لقرايتهما ﴿ ٣٦٦ ﴾ أو معرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان

كأنه قيل ومن هما فقيل  
الاوليان أو هما بدل من  
الضمير في يقومان أو من  
آخران استحق عليهم  
الاوليان حفص أى  
من الورثة الذين استحق  
عليهم الاوليان من بينهم  
بالشهادة أن مجرد وهما  
للقيام بالشهادة ويظهروا  
بهما كذب الكاذبين الاولين  
حزة وأبو بكر على انه  
وصف للذين استحق  
عليهم مجرور أو منصوب  
على المدح وسموا أوليين  
لانهم كانوا أوليين في الذكر  
في قوله شهادة بينكم  
( فيقسمان بالله لشهادتنا  
أحق من شهادتهما ) أى  
ليمننا احق بالقبول من  
عين هذين الوصيين  
الخائنين ( وما اعتدينا )  
وما تجاوزنا الحق في يمننا  
( انا اذا لمن الظالمين ) أى

جنى عليهم وهم الورثة \* وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان ﴿ الاوليان ﴾  
الاحقان بالشهادة لقرايتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف أى هما الاوليان أو خبر  
آخران أو مبتدأ خبره آخران أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان \* وقرأ حزة ويعقوب  
وأبو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين أو بدل منه أى من الاولين الذين استحق  
عليهم \* وقرئ الاولين على التثنية وانصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان  
﴿ فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ﴾ اصدق منهما وأولى بان تقبل ﴿ وما  
اعتدينا ﴾ أى وما تجاوزنا فيها الحق ﴿ انا اذا لمن الظالمين ﴾ الواضعين الباطل  
موضع الحق أو الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحضر اذا اراد الوصية  
ينبغي ان يشهد عدلين من ذوى نسبه أو دينه على وصيته أو يوصى اليهما احتياطاً فان  
لم يجدهما بان كان في سفر فأخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتباب اقسما على  
صدق ما يقولان بالتغليب في الوقت فان اطلع على أنهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران  
من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض  
يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة لما ظهر خيانة  
الوصيين فان تصديق الوصى باليمين لامانته أو لتغير الدعوى اذ روى ان تيمما الدارى  
وعدى بن بهاء خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن  
العاص وكان مسلماً فلما قدموا الشام مرض بديل فدون مامعه في صحيفة وطرحتها  
في متاعه ولم يخبرهما به وأوصى اليهما بأن يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذوا  
منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب اهله الصحيفة فطالبا اليها  
بالاناء فجدوا فترافعوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت يأبىها الذين آمنوا  
الآية فحلفهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلي  
سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فأناهم بنوسهم في ذلك فقلا قد اشتريناه منه ولكن  
لم يكن لنا عليه بئنه فكرهنا أن نقر به فرفعهوهما الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

من اولياء الميت (الاوليان)  
بالمال مقدم ومؤخر  
( فيقسمان بالله ) فيحلفان  
بالله أى وليا الميت ان المال  
أكثر مما اتياه ( لشهادتنا )  
شهادة المسلمين ( أحق )  
أصدق ( من شهادتهما )  
شهادة النصرانيين ( وما  
اعتدينا ) وليقولا وما

يعنى من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الخالفين  
وبان كذبتهم يقوم اثنان آخران من الذين جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته  
﴿ الاوليان ﴾ يعنى باصرالميت وهم أهله وعشيرته ﴿ فيقسمان بالله ﴾ يعنى فيحلفان  
بالله ﴿ لشهادتنا أحق من شهادتهما ﴾ يعنى أيماننا أحق وأصدق من أيمانها  
﴿ وما اعتدينا ﴾ يعنى فى أيماننا وقولنا ان شهادتنا أحق من شهادتهما ﴿ انا اذا لمن  
الظالمين ﴾ ولما نزلت هذه الآية قام عمرو بن العاص والمطلب بن أبى وداعة السهميان  
وهما من أهل الميت وحلفا بالله بعد العصر ودفعا الاناء اليهما وانما ردت اليمين على  
أولياء الميت لان الوصيين ادعيا ان الميت باعهما الاناء وأنكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا  
أن الوصى اذا أخذ شيئاً من مال الميت وقال انه أوصى له به وأنكر ذلك الورثة ردت

ان حلفنا كاذبين (ذلك) الذي مر ذكره من بيان الحكم (أدنى) أقرب (أن يأتوا) أى الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها) كما حلوا بها بلا خيانة فيها (أو يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم) أى تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيقتضوا بظهور كذبهم (واتقوا الله) ﴿٣٦٧﴾ في الخيانة {سورة المائدة} واليمين الكاذبة (واسمعوا) سمع قبول واجابة (والله

لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن الطاعة فان قلت مامعنى أو هنا قلت معناه ذلك أقرب من أن يؤدوا الشهادة بالحق والصدق امالله أو لخوف العار والاقتضاح برد الايمان وقد احتج به من يرى رد اليمين على المدعى والجواب ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين

انهما قد اختلفا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فانكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهما الشراء (يوم) منصوب باذكروا أو احذروا (بجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبت) ما الذى أجبتكم أممكم حين دعوتهم الى الايمان وهذا السؤال توبخ لمن أنكرهم

الكاذبين (ذلك أدنى) اخرى واجدر (أن يأتوا بالشهادة) يعنى النصرانيين (على وجهها) كما كانت (أو يخافوا) أو يخافا النصرانيان (أن ترد

فزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبى رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ﴿ذلك﴾ أى الحكم الذى تقدم أو تحليف الشاهد ﴿أدنى﴾ ان يأتوا بالشهادة على وجهها ﴿على نحو ما حلوا بها من غير تحريف وخيانة فيها﴾ أو يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ﴿أى ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيقتضوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يع الشهود كلهم﴾ واتقوا الله واسمعوا ﴿ما توصون به سمع اجابة﴾ والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴿أى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين أى لا يهديهم الى حجة أو الى طريق الجنة فقله تعالى ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ ظرفه وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال أو مفعول واسمعوا على حذف المضاف أى واسمعوا خبر يوم جمعهم أو منصوب باضمار اذ كر ﴿فيقول﴾ أى للرسول ﴿ماذا أجبت﴾ أى اجابة اجبت على ان ماذا فى موضع المصدر أو بأى شئ

اليمين عليه ولما أسلم تمم الدارى بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله أنا أخذت الاناء فانا أتوب الى الله وأستغفره ﴿قوله عز وجل﴾ ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ﴿يعنى ذلك الذى حكما به من رد اليمين على أولياء الميت بعد ايمانهم أدنى أى أجدر وأحرى أن يأتوا بالشهادة على وجهها يعنى أن يأتى الوصيان وسائر الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها﴾ أو يخافوا أن ترد ايمان بعد ايمانهم ﴿أى وأقرب أن يخاف الوصيان ان ترد الايمان على أولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيقتضوا ويغرموا فر بما لا يحلفون كاذبين اذا حلفوا هذا الحكم﴾ واتقوا الله ﴿يعنى وخافوا الله أن تحلفوا أيمانا كاذبة أو تخونوا أمانة﴾ واسمعوا ﴿يعنى المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة﴾ والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴿يعنى والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد وتخويف ووعد لمن خالف حكم الله تعالى أو خان أمانته أو حلف أيمانا كاذبة وهذه الآية الكريمة من أصعب ما فى القرآن من الآيات نظما واعرابا وحكما والله أعلم بأسرار كتابه ﴿قوله عز وجل﴾ يوم يجمع الله الرسل ﴿قال الزجاج هى متصلة بما قبلها تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدى القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل أى لا يهديهم الى الجنة فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة ﴿فيقول ماذا أجبت﴾ يعنى فيقول الله تبارك وتعالى للرسول ماذا أجبتكم أممكم

(أيمان) أيمانها (بعد ايمانهم) بعد شهادة الرجلين المسلمين فلا يكتان (واتقوا الله) اخشوا الله فى أمانته (واسمعوا) ماتؤمنون به وأطيعوا الله (والله لا يهدى القوم الفاسقين) لا يرشد المعاصين الكاذبين الكافرين الى دينه وحبته من لم يكن أهلا لذلك (يوم يجمع الله الرسل) وهو يوم القيامة (فيقول لهم فى بعض المواطن فى وقت الدهشة) ماذا أجبتكم



اجتمت فحذف الجار وهذا السؤال التوبيخ قومهم كما ان سؤال المؤودة لتوبيخ الواثد  
ولذلك ﴿ قالوا لا علم لنا ﴾ أى لا علم لنا بما كنت تعلمه ﴿ أنك أنت علام الغيوب ﴾  
فتعلم ما تعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلم مما ضمروا في قلوبهم وفيه التسكى منهم  
وردا لمرالى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك أو لا علم لنا بما احدثوا  
بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك أنت أى انك  
انت الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص أو النداء \* وقرأ أبو بكر  
وحزة الغيوب بكسر العين حيث وقع ﴿ اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك

وما الذى رد عليكم قومكم حين دعوتهم في دار الدنيا الى توحيدى وطاعتى وفائدة  
هذا السؤال توبيخ أمم الانبياء الذين كذبوهم ﴿ قالوا ﴾ يعنى الرسل ﴿ لا علم لنا ﴾  
قال ابن عباس رضى الله عنهما معنى لا علم لنا كعلمك فيهم لانك تعلم ما ضمروا وما اظهروا  
ونحن لانعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم أنفذ من علمنا وأبلغ فعلى هذا القول انما نفوا  
العلم عن أنفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وقال في رواية  
أخرى معنى لا علم لنا الا علم أنت أعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معنى  
لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا عن أمر أنت أعلم به منا وقيل معنى لا حقيقة  
لعلمنا بما قبه أمرهم لانا كنا نعلم ما كان من أفعالهم وأقوالهم وقت حياتنا ولانعلم  
ما كان منهم بعد وفاتنا ولانعلم ما أحدثوا من بعدنا ومنه ما أخبر الله عن عيسى  
عليه السلام بقوله وكنت عليه شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب  
عليهم ومنه ماروى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على  
الحوض رجال من صاحبى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلا قولن أى رب أصحابى  
فيقال لى انك لا تدري ما أحدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سبحان لمن بدل بعدى أخرجاه  
في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة أهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن  
مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم  
يشهدون على أممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال في حق الانبياء  
لا يجزئهم الفزع الاكبر وذكرا الامام فخر الدين الرازى وجها آخر وهو ان الرسل  
عليهم السلام لما علموا ان الله تعالى عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا  
ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فقرأوا أن الادب في السكوت وفي تفويض الامر  
الى الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا ﴿ أنك أنت علام الغيوب ﴾ يعنى انك تعلم ما غاب  
عنا من بواطن الامور ونحن نعلم ما نشاهد ولانعلم ما في البواطن وقيل معنى انك  
لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذى سألتنا عنه ليس يخاف عليك لانك أنت  
علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها ليس تخفى عليه خافية وبناء فعال  
بناء الكثير ودلت الآية على جواز اطلاق العلم على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق  
عليه ﴿ قوله عز وجل ﴾ اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك ﴿ قال

وماذا منسوب باجبت  
نصب المصدر على معنى  
أى اجابة اجبت ( قالوا  
لا علم لنا ) باخلاص قومنا  
دليله ( أنك أنت علام  
الغيوب ) أو ما أحدثوا  
بعدنا دليله كنت أنت  
الرقيب عليهم أو قالوا  
ذلك تأدبا أى علمنا ساقط  
مع علمك ومنعور به فكانه  
لا علم لنا ( اذ قال الله ) بدل  
من يوم يجمع ( يا عيسى  
ابن مريم اذكر نعمتى عليك

ماذا أجابكم القوم ) قالوا  
من شدة المسئلة وهول ذلك  
الموطن ( لا علم لنا انك  
انت علام الغيوب ) بما  
غاب عنا من اجابة القوم  
ثم يحییون بعد ذلك فيشهدون  
على قومهم بالبلاغ ( اذ  
قال الله ) قد قال الله ( يا  
عيسى ابن مريم اذكر نعمتى )  
احفظ متى ( عليك )

وعلى والدتك) حيث طهرتها واصطفيتها ﴿٣٦٩﴾ على نساء العالمين والعامل {سورة المائدة} في ( اذأيدتك ) أى

قويتك نعمتى (روح القدس)  
بجبريل عليه السلام أيده  
لثبت الحجنة عليهم  
أوبالكلام الذى يحيا به  
الدين واضافه الى القدس  
لانه سبب الطهر من  
أوصام الآثام دليله  
( تكلم الناس فى المهد )  
حال أى تكلمهم طفلا  
اعجازا ( وكهلا ) تبليغا  
( واذعلمتكم ) مطوف  
على اذأيدتك ونحوه  
واذتخلق واذتخرج واذ  
كفقت واذ أوحيت  
( الكتاب ) الخط  
( والحكمة ) الكلام المحكم  
الصواب ( والتورية  
والانجيل

بالنبوة ) وعلى والدتك)  
بالاسلام والعبادة ( اذ  
أيدتك ) اعنتك ( بروح  
القدس ) بجبريل المطهر  
لقنتك واغانك فى تكلم  
الناس ( تكلم الناس  
فى المهد ) فى الحجر والسير  
بأنى عبد الله ومسيحه  
( وكهلا ) واغانك بعد  
ثلاثين سنة بأنى رسول الله  
اليكم ( واذعلمتكم الكتاب )  
كتب الانبياء ويقال الخط  
بالقلم ( والحكمة ) حكمة  
الحكماء ويقال الحلال

وعلى والدتك ﴿٣٦٩﴾ بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى أصحاب الجنة والمعنى أنه سبحانه وتعالى  
يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعيد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتم طائفة  
وسمواهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة أو نصبوا ضمرا ذكر ﴿ اذأيدتك ﴾ قويتك  
وهو ظرف لنعمتى أو حال منه وقرئ أيدتك ﴿ روح القدس ﴾ بجبريل عليه الصلاة والسلام  
او بالكلام الذى يحيا به الدين أو النفس حياة ابدية ويطهر من الآثام ويؤيده قوله  
﴿ تكلم الناس فى المهدو كهلا ﴾ أى كأننا فى المهدو كهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولة والكهولة  
على سواء والمعنى الحاق حاله فى الطفولة بحال الكهولة فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على أنه  
سينزل فإنه رفع قبل ان يتكلم ﴿ واذ علمتكم الكتاب والحكمة والتورية والانجيل

بعضهم ان اذ قال الله تعالى يا عيسى صلما ذا أجبتى ولما كان المراد بقوله للرسل  
ماذا أجبتى توبخ الامم المكذبة ومن تورد منهم على الله وكان أشد الامم احتياجا  
وافتقارا الى التوبيخ والملامة النصرارى الذين يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام  
ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم فى انبيائهم بالتكذيب لهم وطعن هؤلاء  
النصارى تعدى الى جلال الله تعالى حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة  
والولد ذكر الله فى هذه الآية أنواع نعمه على عيسى عليه السلام التى تدل على أنه  
عبد وليس باله والفائدة فى ذكر هذه الحكاية تبيينه النصرارى على قبح مقالاتهم وفساد  
اعتقادهم وتوكيد الحججة عليهم وقيل فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيامة ما خص الله  
عيسى عليه السلام به من الكرامة وقيل موضع اذ رفع بالابتداء على القطع ومعناه  
اذ ذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضى دون المستقبل  
لانه ورد على سبيل حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى بن مريم اذ  
نعمتى عليك لفظه واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه فى هذه الآية  
والمراد من ذكرها شكرها ﴿ وعلى والدتك ﴾ يعنى بنعمته على مريم عليها السلام  
انه تعالى أنبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفها على نساء العالمين ثم ذكر نعمه على  
عيسى عليه السلام فقال تعالى ﴿ اذأيدتك بروح القدس ﴾ يعنى بجبريل عليه السلام  
لان القدس هو الله تعالى وأضافه اليه على سبيل التشرىف والتعظيم كإضافة بيت الله  
وناقة الله وقيل أراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف باختلاف الماهية  
فمنها روح طاهرة مقدسة نورانية ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية فنخص الله عيسى  
بالروح المقدسة الطاهرة النورانية المشرقة ﴿ تكلم الناس فى المهد ﴾ يعنى تكلمهم  
طفلا فى حال الصغر ﴿ وكهلا ﴾ يعنى وفى حالة الكهولة من غير أن يتفاوت كلامك  
فى هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة ليست لاحد قبله قال ابن عباس  
رضى الله عنهما أرسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فكثرت رسالته ثلاثين  
شهرا ثم رفعه الله اليه ﴿ واذ علمتكم الكتاب والحكمة ﴾ يعنى الكتابة وهى الخط  
والحكمة الفهم والاطلاع على أسرار العلوم ﴿ والتورية والانجيل ﴾ أى وعلمتكم التوراة

والحرام ( والتورية ) وعلمتكم ( قا و خا ٤٧ نى ) التورية فى بطن أمك ( والانجيل ) بعد

واذتخلق (تقدر (من الطين كهية الطير) هيئة مثل هيئة الطير (باذنى) بتسهلي (فتنفخ فيها) الضمير لكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه وكذا الضمير في (تكون طيرا {الجزء السابع} باذنى) وعطف (وتبرى) ٣٧٠ الاكه والابرص باذنى) على تخلق

واذتخلق من الطين كهية الطير باذنى فتنفخ فيها تكون طيرا باذنى وتبرى الاكه والابرص باذنى واذا تخرج الموتى باذنى ﴿ سبق تفسيره في سورة آل عمران ﴿ وقرأ نافع ويعقوب طائراً ويحتمل الافراد والجمع كالباقر ﴿ واذا كفت بنى اسرائيل عنك ﴾ يعنى اليهود حين هموا بقتله (اذجتهم بالينات) ظرف لكفت ﴿ فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر ميين ﴿ أى ما هذا الذى جئت به الا سحر ﴿ وقرأ حزة والكسائى الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ واذا أوحيت الى الحواريين ﴿ أى أمرتهم على السنة التى أنزلتها على موسى والانجيل الذى أنزلته عليك ﴿ واذتخلق من الطين كهية الطير باذنى ﴿ يعنى واذا تجمل وتصور من الطين كصورة الطير باذنى ﴿ فتنفخ فيها ﴿ ذكر هنا فيها وفي سورة آل عمران فيه فالضمير في قوله فيها يعود الى الهيئة بمحلها مصدرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون فى الهيئة انما يكون فى المهيأى الهيئة ويجوز أن يعود الضمير الى الطير لانها مؤنثة قال الله تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم صافات وأما الضمير المذكور فى آل عمران فى قوله فيه فيعود الى الكاف يعنى فى ذلك الشئ المماثل لهية الطير ﴿ فتكون طيرا باذنى ﴿ وانما كرر قوله باذنى تأكيداً لكون ذلك الخلق واقعا بقدره الله تعالى وتخليقه لا بقدره عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شياً انما خالق الاشياء كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواء وانما كان الخلق لهذا الطير مجزة لعيسى عليه السلام أكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى ﴿ وتبرى الاكه والابرص باذنى ﴿ يعنى وتشفى الاكه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر ﴿ واذا تخرج الموتى ﴿ يعنى من قبورهم أحياء ﴿ باذنى ﴿ تفعل ذلك كله بدعائك والفاعل لهذه الاشياء كلها فى الحقيقة هو الله تعالى لانه هو المبرى للاكه والابرص وهو محي الموتى وهو على كل شئ قدير وانما كانت هذه الاشياء معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله تعالى وقدرته وقوله تعالى ﴿ واذا كفت بنى اسرائيل عنك ﴾ يعنى واذا كرر نعمتى عليك اذ كفت وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين أرادوا قتلك ﴿ اذجتهم بالينات ﴿ يعنى بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التى ذكرت فى هذه الآية وذلك ان عيسى عليه السلام لما أتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعهم الى السماء ﴿ فقال الذين كفروا منهم ﴿ يعنى فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات ﴿ ان هذا الا سحر ميين ﴿ يعنى ما جاءهم به عيسى عليه السلام من المعجزات ﴿ قوله عز وجل ﴿ واذا أوحيت الى الحواريين ﴿ يعنى ألهمتهم وقذفت

(واذا تخرج الموتى) من القبور أحياء (باذنى) قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (واذا كفت بنى اسرائيل عنك) أى اليهود حين هموا بقتله (اذجتهم) ظرف لكفت (بالينات) فقال الذين كفروا منهم (ان هذا الا سحر ميين) ساحر حزة وعلى (واذا أوحيت) ألهمت (الى الحواريين) الخواص خروجك (واذتخلق) تصور (من الطين كهية الطير) شبه الطير وهو الخفاش (باذنى) بأمرى (فتنفخ فيها) كنفخ النائم (تكون طيرا) فتصير طيرا تطير بين السماء والارض (باذنى) بأمرى واراذنى (وتبرى) تصح (الاكه) الذى يولد أعمى (والابرص باذنى) بأمرى واراذنى وقدرتى (واذا

تخرج) تحي (الموتى باذنى) بارادتى واحياتى (واذا كفت) منعت (بنى اسرائيل عنك) اذ هموا (فى) بقتلك (اذجتهم) حيث جتتهم (بالينات) بالأمر والنهى والمجائب التى أريتهم (فقال الذين كفروا منهم) من بنى اسرائيل (ان هذا) ما هذا الذى يرينا عيسى (الاسحر ميين) ظاهر وان قرأت ساحر ميين أرادوا به عيسى (واذا أوحيت الى الحواريين) ألهمت الحواريين القصارين وهم

أوالاصفياء (ان آمنوا) أى آمنوا (بى وبرسولى قالوا آمنوا واشهد باننا مسلمون) أى اشهد باننا مخلصون من اسم وجهه  
(اذ قال الحواريون) أى اذكروا اذ ﴿٣٧١﴾ (يا عيسى) نصب (ابن مريم) { سورة المائدة } على اتباع حر كته حركة

الابن نحو يازيد بن عمرو  
(هل يستطيع ربك)  
هل يفعل أو هل يطيعك  
ربك أن سأله فاستطاع  
وأطاع بمعنى كاستجاب  
وأجاب هل تستطيع  
ربك على أى هل تستطيع  
سؤال ربك فحذف المضاف  
والمعنى هل تسأله ذلك  
من غير صارف يصرّفك  
عن سؤاله (أن ينزل علينا)  
ينزل مكي وبصرى  
(مائدة من السماء) هى  
الخوان اذا كان عليه الطعام  
من مائه اذا أعطاه كأنها  
تميد من تقدم اليها (قال  
اتقوا الله) فى اقتراح  
الآيات بعد ظهور المعجزات  
(ان كنتم مؤمنين) اذا الايمان  
اثنا عشر رجلا (ان  
آمنوا بى وبرسولى)  
عيسى (قالوا آمننا) بك  
وبرسولك عيسى (واشهد)  
أنت يا عيسى وشهد بعضهم  
على بعض (باننا مسلمون)  
مخلصون بالعبادة والتوحيد  
(اذ قال الحواريون)  
الاصفياء يعنى شمعون الصفي  
(يا عيسى ابن مريم) يقول  
لك قومك (هل يستطيع  
ربك) هل يفعل ربك

رسلى ﴿ان آمنوا بى وبرسولى﴾ يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون مفسرة  
﴿قالوا آمنوا واشهد باننا مسلمون﴾ مخلصون ﴿اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم﴾  
منصوب باذكر أو ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم  
﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ لم يكن بعد عن تحقيق  
واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لاعلى ما  
تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك أى هل يحبيك واستطاع بمعنى أطاع  
كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى هل تستطيع ربك أى سؤال ربك والمعنى هل  
تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد المائه يميد اذا  
تحرك أو من مائه اذا أعطاه كأنها تميد من تقدم اليها ونظيرها قولهم شجرة مطعمة  
﴿قال اتقوا الله﴾ من أمثال هذا السؤال ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ بكمال قدرته وصحة

فى قلوبهم فهو وحى الهام كأوحى الى أم موسى والى النحل والحواريون هم أصحاب  
عيسى وخواصه ﴿ان آمنوا بى وبرسولى﴾ يعنى عيسى عليه السلام ﴿قالوا آمننا  
وأشهد باننا مسلمون﴾ لما وفقهم الله للايمان قالوا آمننا وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام  
لان الايمان من أعمال القلوب والاسلام والانقياد والخضوع فى الظاهر والمعنى انهم  
آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم ﴿قوله عز وجل﴾ اذ قال الحواريون يا عيسى ابن  
مريم هل يستطيع ربك ﴿قال المفسرون هذا على الجواز ولا يجوز لاحد أن يتوهم  
على الحواريين انهم شكوا فى قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع  
أن تقوم معى مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك  
وهل يخف ان تقوم معى فكذلك معنى الآية لان الحواريين كانوا مؤمنين عارفين بالله عز  
وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال ابراهيم  
عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى ولاشك ان مشاهدة هذه الآية العظيمة تورث مزيد  
الطمأنينة فى القلب ولهذا السبب قالوا وطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقال  
غاط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة فى قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه  
المقالة فرد الله عليهم عند غلظتهم بقوله اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعنى اتقوا الله ان تشكوا  
فى قدرة الله عز وجل والقول الاول أصح وقيل فى معنى الآية هل يقبل ربك دعاءك  
ويعطيك باجابة دعائك وسؤالك انزال المائدة فقد ورد الآثار من أطاع الله أطاعه كل  
شئ ﴿ان ينزل علينا مائدة من السماء﴾ المائدة الخوان الذى عليه الطعام ولا يسمى مائدة  
ان لم يكن عليه طعام انما يقال خوان أو طبق وأصلها من ماد يميد اذا تحرك كأنها تميد بما  
عليها من الطعام ﴿قال﴾ يعنى عيسى جيبا للحواريين ﴿اتقوا الله ان كنتم مؤمنين﴾  
يعنى اتقوا الله فى هذا السؤال ان كنتم مؤمنين لانه سؤال تعنت وقيل أمرهم بالتقوى

وان قرأت بالتاء ونصب الباء تقول هل تستطيع ان تدعور بك (أن ينزل علينا مائدة) طاعانا (من السماء قال) عيسى لشمعون  
قل لهم (اتقوا الله) (اخشوا الله) (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) موقنين فلعلكم تتركون شكرها فيعذبكم فقال لهم ذلك شمعون

يوجب التقوى ( قالوا تريد أن تأكل منها ) ببركا ( وتطمئن قلوبنا ) ونزداد يقينا كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قاي ( ونعلم أن { الجزء السابع } قد صدقتنا ) ﴿ ٣٧٢ ﴾ أي نعم صدقت عيانا كما علمناه

استدلالا (ونكون عليها من الشاهدين ) بما عاينا لمن بعدنا ولما كان السؤال لزيادة العلم لا لتعنت (قال عيسى ابن مريم اللهم ) أصله يا الله فحذف يا وعوض منه الميم ( ربنا ) نداء ثان ( أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا ) أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذته النصرارى عيدا والعيد السرور العائد ولذا

يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا ( لاولنا وآخرنا ) بدل من لنا بتكرير العادل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم أول المتقدمين منا والاتباع ( وآية منك ) على صحة نبوتى ثم أكد ذلك

( قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ) بما ترينا من الحجاب ( ونعلم ) ونستيقن ( أن قد صدقتنا ) ما تقول ( ونكون عليها من الشاهدين ) اذار جئنا الى قومنا ( قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا

نبوتى أو صدقتم في دعائكم الايمان ﴿ قالوا نريد أن نأكل منها ﴾ تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهوان يمتنعوا بالاكل منها ﴿ وتطمئن قلوبنا ﴾ بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته سبحانه وتعالى ﴿ ونعلم ان قد صدقتنا ﴾ في ادعاء النبوة أو ان الله يجيب دعوتنا ﴿ ونكون عليها من الشاهدين ﴾ اذا استشهدتنا أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر ﴿ قال عيسى ابن مريم ﴾ لما رأى أن لهم غرضا صحيحا في ذلك أو انهم لا يقلمون عنه فأراد الزامهم الحججة بكمالها ﴿ اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا ﴾ أي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الأمر ﴿ لاولنا وآخرنا ﴾ بدل من لنا باعادة العامل أي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذته النصرارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولنا وآخرنا بمعنى الامة او الطائفة ﴿ وآية ﴾ عطف على عيدا ﴿ منك ﴾ صفة لها أي آية كائنته منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى

ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسألوه شيأ لم يسأله أحد من الامم قبلكم ففهمهم عن اقتراح الآية بعد الايمان ﴿ قالوا نريد أن نأكل منها ﴾ يعنى قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المائدة علينا لاننا نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا وقيل معناه نريد أن نأكل منها للتبرك بها بالأكل حاجة ﴿ وتطمئن قلوبنا ﴾ يعنى وتسكن قلوبنا ونستيقن قدرة الله تعالى لاننا وان علمنا قدرة الله بالدليل فاذا شاهدنا نزول المائدة ازداد اليقين وقويت الطمأنينة ﴿ ونعلم ان قد صدقتنا ﴾ يعنى ونزداد ايمانا ويقينا بانك رسول الله ﴿ ونكون عليها من الشاهدين ﴾ يعنى لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك عليها من الشاهدين عند بنى اسرائيل اذار جئنا اليهم فلما قالوا ذلك أمرهم عيسى أن يصوموا ثلاثين يوما وقال لهم انكم اذا صتمت ذلك وأفطرتم فلا تسألون الله شيأ الا أعطاكم ففعلوا ذلك وسألوا نزول المائدة فعند ذلك ﴿ قال عيسى بن مريم اللهم ﴾ قيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطأ أطراف رأسه وبكى ثم دعا فقال اللهم ﴿ ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا ﴾ يعنى عائدة من الله علينا وجمعة وبرهانا والعيد يوم السرور وأصله من عاد يعود اذا رجع والمعنى تتخذ ذلك اليوم الذى تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه ونصلى فيه نحن ومن بجى من بعدنا فنزلت في يوم الاحد فاتخذته النصرارى عيدا وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه يأكل منها أول الناس كإيأكل آخرهم ﴿ وآية منك ﴾ أي وتكون المائدة دالة على قدرتك ووحدانيتك وجمعة بصدق رسولك

مائدة من السماء ) طعاما من السماء ويقال بركة الطعام وكان معهم شئ من الطعام ( تكون لنا عيدا لاولنا ) ( ورزقنا ) لاهل زماننا ( وآخرنا ) ولمن خلفنا لكي نعبدك فيها وكان يوم الاحد ( وآية منك ) لمن آمن وجمعة

بقوله ( وارزقنا وأنت خير الرازقين ) ﴿ ٣٧٣ ﴾ وأعطنا { سورة المائدة } ما سألناك وأنت خير المعطين

( قال الله أنى منزلها عليكم )  
بالتشديد مدنى وشامى  
وعاصم وعدا لانزال وشرط  
عليهم شرطا بقوله ( فن  
يكفر بعد منكم ) بعد أنزلها  
منكم ( فأنى أعذبه عذابا )  
أى تعذبا كالسلام بمعنى  
التسليم والضمير فى ( لا أعذبه )  
للمصدر ولو أريد بالعذاب  
ما يعذب به لم يكن بد  
من الباء ( أحدا من العالمين )  
عن الحسن أن المائدة لم  
تنزل ولو نزلت لكانت  
عيدا الى يوم القيامة لقوله  
وأخرنا والصحيح أنها  
نزلت فعن وهب نزلت  
مائدة منكوسة تطير بها  
الملائكة عليها كل طعام  
الا للحم وقيل كانوا يجدون  
عليها ماشاؤا وقيل كانت  
تنزل حيث كانوا بكرة

على من كفر ( وارزقنا )  
أعطنا ما سألناك ( وأنت  
خير الرازقين ) أفضل  
المطعمين ( قال الله ) عيسى  
قل لهم ( أنى منزلها عليكم )  
ما سألتهم ( فن يكفر بعد )  
بعد النزول والاكل ( منكم )  
فأنى أعذبه عذابا لا أعذبه  
أحدا من العالمين ( عالمى  
زمانهم اسخه خنزيرا  
قأنوا بعد النزول والاكل  
هذا سحر مبین كذب بين  
قال عيسى ان تعذبهم على

﴿ وارزقنا ﴾ المائدة أو الشكر عليها ﴿ وأنت خير الرازقين ﴾ أى خير من يرزق لانه  
خالق الرزق ومعطيه بلا عوض ﴿ قال الله أنى منزلها عليكم ﴾ اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع  
وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد ﴿ فن يكفر بعد منكم فأنى أعذبه عذابا ﴾ أى تعذبا ويجوز  
ان يحمل مفعولا به على السعة ﴿ لا أعذبه ﴾ الضمير للمصدر وللعذاب ان اريد به ما يعذب به  
على حذف حرف الجر ﴿ أحدا من العالمين ﴾ أى من عالمى زمانهم أو العالمين مطلقا  
فأنهم مسخوا قردة وخنزير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة

﴿ وارزقنا ﴾ أى ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة ﴿ وأنت  
خير الرازقين ﴾ بمعنى وأنت خير من تفضل ورزق ﴿ قال الله ﴾ عز وجل مجيبا لعيسى ﴿ أنى  
منزلها عليكم ﴾ يعنى المائدة ﴿ فن يكفر بعد منكم ﴾ يعنى بعد نزول المائدة ﴿ فأنى أعذبه عذابا ﴾  
يعنى جنسا من العذاب ﴿ لا أعذبه أحدا من العالمين ﴾ يعنى من عالمى زمانهم فجدوا وكفروا  
بعد نزول المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز أن يكون هذا العذاب مجلا  
فى الدنيا ويجوز أن يكون مؤخرا الى الآخرة قال عبدالله بن عمران أشد الناس عذابا  
يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واختلف العلماء فى نزول  
المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله لما أوعدهم على كفرهم بالعذاب  
بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستغفوا وقالوا لا نريد هافم تنزل عليهم فعلى  
هذا القول يكون معنى قوله تعالى انى منزلها عليكم ان سألتهم نزولها والصحيح الذى عليه  
جمهور العلماء والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال انى منزلها عليكم وهذا وعدم من الله  
بانزالها ولا خلف فى خبره ووعده ولما روى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وأمروا أن لا يخنونوا ولا يدخروا لغد  
فخننوا وادخروا ورفعوا الغد فمسخوا قردة وخنزير أخرجه الترمذى وقال قدروى  
عن عمار من غير طريق موقوفا وهو أصح وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان عيسى عليه السلام  
قال لهم صوبوا ثلاثين يوما ثم أسألوا الله ما شئتم يعطيكوه فصاموا فلما فرغوا قالوا  
يا عيسى انالو عملنا عملا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة  
يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فاكل منها آخر  
الناس كما أكل أولهم وقال سلمان الفارسى لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا  
وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة جراء بين غماتين  
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهى توى اليهم منقضة حتى سقطت  
بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها  
رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شئ لم ينظروا مثله ولم يجدوا ريحاً طيب  
من ريحه فقل عيسى عليه السلام ليقم أحسنكم عملا فليكشف عنها ويسم الله فقال شمعون الصفا  
رأس الحواريين أنت أولى بذلك مناقم عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى صلاة طويلة  
وبكى بكاء كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية

هذه المائدة التى استحقوا عليها الهلاك فأثم عبادك وان تعفر لهم تب عليهم وتجاوز عنهم فأنت العزيز بالنعمة لمن

جرء بن غماتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه الصلاة والسلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رجة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فأذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله سبحانه وتعالى بقدرته كلوا مما سألتهم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال يا سمكة احي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاه النبي طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقيرا لا غنى مدة عمره ولا مريض إلا برى ولم يمرض أبدا ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أن يجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى أنزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا

ليس فيها شوك ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما ترون طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء اخترعه الله بقدرته العالية كلوا مما سألتهم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقالوا ياروح الله كن أول من يأكل منها فقال عيسى معاذ الله إن آكل منها يأكل من مائة من سألها فحافوا أن يأكلوا منها فعدوا أهل الفاقة والمرضى والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الشقاء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها وهم شباع وإذا السمكة بحالها حين أنزلت ثم طارت المائدة صعدوا وهم ينظرون إليها حتى توارت ولم يأكل منها مريض أو زمن أو مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى وندم من لم يأكل منها وقيل مكثت أربعين صباحا تنزل ضحى فإذا نزلت اجتمع إليها الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يأكلون منها ولا تنزل منصوبة يؤكل منها حتى يفي النبي فإذا فاه النبي طارت وهم ينظرون إليها حتى تتوارى عنهم وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لا تنزل فأوحى الله عز وجل إلى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء فمطم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها وقالوا ترون المائدة حقا تنزل من السماء فأوحى الله عز وجل إلى عيسى

لا يريد فلم ينزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضرب به الله لمقترحي المعجزات وعن بعد الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فأنها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا ففعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه الصلاة والسلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فليقلعوا عن السؤال والحوافيه فسأل لاجل اقتراحهم فين الله سبحانه وتعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فأن السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحمته ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا ﴿ واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ﴾ يريد به توبيح الكفرة وتبكيتهم

وعشيا (واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله) الجمهور على أن هذا السؤال يكون في يوم القيامة دليله سياق الآية وسبقها وقيل خاطبه به حين رفعه الى السماء دليله

لم يتب الحكيم بالمغفرة لمن تاب مقدم ومؤخر (واذا قال الله) يقول الله يوم القيامة (يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس) في الدنيا (اتخذوني وأمي الهين من دون الله

عليه السلام اني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبتة عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم ثم أصبحوا خنازير يسعون في الطرق يأكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما رأى الناس ذلك فرعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عيسى عليه السلام يدعوهم باسمائهم فيشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا وقال كعب أنزلت المائدة منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شيء الا اللحم وقال ابن عباس رضى الله عنهما أنزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليا خبز بروبقل وقال وهب بن منبه أنزل الله أقرصة من شعير وحيثانا فكان القوم يأكلون ويخرجون ثم يجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كلن والسلوى لبني اسرائيل وقال الكلبي ومقاتل أنزل الله سمكا وخسة أرغفة فأكلوا منها ماشاء الله والناس ألف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر أعينكم فمن أراد الله به خيرا أثبتته ومن أراد فنتته رجع الى كفره ففسخوا خنازير وليس فيهم صبي ولا امرأة فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ ﴿ قوله عز وجل ﴿ واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ﴾ الآية اختلف المفسرون في وقت هذا القول فقال السدي قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السماء بدليل ان حرف اذ يكون للماضي وقال سائر المفسرين انما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة وبدليل قوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وذلك يوم القيامة وأجيب عن حرف اذ بانها قد تجيء بمعنى اذا كقولها ولو ترى اذ فرعوا يعني اذا فرعوا وقال الراجز

ثم جزاك الله عنى اذ جزى \* جنات عدن في السموات العلى



ومن دون الله صفة لالهين أو صلاة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه أن عبادة الله سبحانه وتعالى مع عبادة غيره كعبادة فن عبده مع عبادتهما فكانه عبدهما ولم يعبد به أو القصور فأنهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعوا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكأنه قيل اتخذوني وأمي آلهين متوصلين بنا الى الله سبحانه وتعالى ﴿ قال سبحانه ﴾ أي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ﴿ ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ ما ينبغي لي ان أقول قولاً لا يحق لي ان أقوله ﴿ ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنه ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات

ولفظ الآية في قوله أنت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتبريح لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقلها فما وجه هذا السؤال له مع علم الله بأنه لم يقله قلت وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم في ادعائهم ذلك عليه وانه أمرهم به فهو كما يقول القائل لا آخر أفعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما أراد تعظيم ذلك الفعل فنفي عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما زعمت وادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذوني وأمي الهين من دون الله قلت ان النصارى لما ادعت في عيسى عليه السلام انه الدور أو ان مريم ولدته لهم بهذه المقالة على سبيل التبعية وقوله تعالى اخباراً عن عيسى عليه السلام ﴿ قال سبحانه ﴾ يعني تنزيها لك عن النقائص وبراءة لك من العيوب قال أبو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من أصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيباً لله تعالى سبحانه ﴿ ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ أي كيف أقول هذا الكلام ولست بأهل المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان هل وقع ذلك منه أم لا فقال ﴿ ان كنت قلته فقد علمته ﴾ أسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم قال ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ يعني تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم ما أخفي ولا أعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في دار الآخرة وقيل معناه تعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشيء يقال نفس الشيء وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا أعلم معلومك وانما ذكر

لفظاً (قال سبحانه) من أن يكون لك شريك (ما يكون لي) ما ينبغي لي (أن أقول ما ليس لي بحق) أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله (ان كنت قلته) ان كنت قلته فقد علمته (ان صح اني قلته فيما مضى فقد علمته والمعنى اني لأحتاج الى الاعتذار لانك تعلم اني لم أقله ولو قلته علمته لانك (تعلم ما في نفسي) ذاتي (ولا أعلم ما في نفسك) ذاتك نفس الشيء ذاته وهويته والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك

قال يقول عيسى (سبحانك) تنزهه (ما يكون) يقول ما كان ينبغي وما يجوز (لي أن أقول) لهم (ما ليس لي بحق) بجائز (ان كنت قلته) لهم (فقد علمته تعلم ما في نفسي) ما كان مني لهم من الامر وانتهى (ولا أعلم ما في نفسك) ما كان منك لهم من الخلدان

( انك أنت علام الغيوب )

تقرير للجملتين معالان  
ما انطوت عليه النفوس  
من جملة الغيوب ولان  
ما يعلم علام الغيوب لا ينتهي  
اليه علم أحد ( ما قلت لهم  
الا ما أمرتني به ) أى ما  
أمرتهم الا بما أمرتني به  
ثم فسر ما أمر به فقال ( أن  
اعبدوا الله ربي وربكم )  
فان مفسرة بمعنى أى  
( وكنت عليهم شهيدا )  
رقيبا ( ما دمت فيهم ) مدة  
كوفى فيهم ( فلما توفيتني  
كنت أنت الرقيب عليهم )  
الحفيظ ( وأنت على كل  
شئ شهيد ) من قولى وفعلى  
وقولهم وفعلمهم ( ان تعذبهم  
فانهم عبادك وان تغفر لهم

﴿ انك أنت علام الغيوب ﴾ تقرير للجملتين باعتبار منظوقه ومفهومه ﴿ ما قلت لهم  
الا ما أمرتني به ﴾ تصریح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ( أن اعبدوا الله  
ربي وربكم ﴾ عطفت بيان للضمير في به أو بدل منه وليس من شرط البدل جواز  
طرح البدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع أو خبر مضمرة أو مفعوله مثل هو  
أو اعنى ولا يجوز ابداله من ما أمرتني به فأن المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان  
تكون ان مفسرة لان الامر مستند الى الله سبحانه وتعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم  
والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكان مثل ما أمرتهم  
الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ﴾ أى  
رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتدوه أو مشاهدا لحوالهم من كفر وايمان  
﴿ فلما توفيتني ﴾ بالرفع الى السماء لقوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى والتوفى  
اخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم  
تمت فى منامها ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ المراقب لحوالهم فتمنع من اردت  
عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبية عليها بارسال الرسل وانزال الآيات  
﴿ وأنت على كل شئ شهيد ﴾ مطلع عليه مراقبه ﴿ ان تعذبهم فأنهم عبادك ﴾  
أى ان تعذبهم فأنك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه  
وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك ﴿ وان تغفر لهم

والتوفيق ) انك أنت  
علام الغيوب ) ما غاب  
عن العباد ( ما قلت لهم )  
فى الدنيا ( الا ما أمرتني  
به أن اعبدوا الله ) وحدثوا الله  
وأطيعوه ( ربي وربكم )  
هو ربي وربكم ( وكنت  
عليهم شهيدا ) بالبلاغ  
( ما دمت فيهم ) ما كنت  
فيهم ( فلما توفيتني ) رفعتني  
من بينهم ( كنت أنت الرقيب  
عليهم ) الحفيظ والشهيد عليهم  
( وأنت على كل شئ )  
من مقالتى ومقالتهم  
( شهيد ) علم قال عيسى  
( ان تعذبهم فأنهم عبادك  
وان تغفر لهم

هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال ﴿ انك أنت  
علام الغيوب ﴾ يعنى انك تعلم ما كان وما سيكون وهذا تأكيد لما تقدم من قوله  
تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ﴿ قوله عز وجل اخبارا عن عيسى  
﴿ ما قلت لهم الا ما أمرتني به ﴾ يعنى ما قلت لهم الا قولا أمرتني به ﴿ أن اعبدوا الله ﴾  
يعنى قلت لهم اعبدوا الله ﴿ ربي وربكم ﴾ يعنى وحدوه ولا تشركوا به شياً ﴿ وكنت  
عليهم شهيدا ما دمت فيهم ﴾ يعنى وكنت أشهد ما يفعلون وأحضره ما دمت مقيما  
فيهم ﴿ فلما توفيتني ﴾ يعنى فلما رفعتني الى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت ﴿ كنت  
أنت الرقيب عليهم ﴾ يعنى الحفيظ عليهم المراقب لحوالهم وأحوالهم والرقيب الحافظ  
الذى لا يغيب عنه شئ ﴿ وأنت على كل شئ شهيد ﴾ يعنى أنت شهدت مقالتى التى  
قلتها لهم وأنت الشهيد عليهم بعدما رفعتنى اليك لأتخفى عليك خافية فعلى هذا الشهيدنا  
بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز الشهيدنا بمعنى العليم يعنى أنت العالم بكل شئ  
فلا يعزب عن علمك شئ ﴿ قوله عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام ﴾ ان  
تعذبهم ﴿ يعنى ان تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بان تمتهم على كفرهم  
﴿ فانهم عبادك ﴾ لا يقدرون على دفع ضرر نزل بهم ولا جلب نفع لانفسهم وأنت  
العدل فيهم لانك أوضحت لهم طريق الحق فرجعوا عنه وكفروا ﴿ وان تغفر لهم ﴾  
يعنى لمن تاب من كفره منهم بان تهديه الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك

ومنهم من أقام على الكفر فقال في جلتهم ان تعذبهم أي ان تعذب من كفر منهم فانهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لا يأتك مكذبين لا يبيأك وأنت العادل في ذلك فانهم قد كفروا بعد وجوب الحجية عليهم وان تغفر لهم أي لمن أطلع منهم وآمن فذلك تفضل منك وأنت عزيز لا يتمتع عليك ماتريد حكيم في ذلك أو عزيز قوى قادر على الثواب حكيم لا يعاقب الا عن حكمة وصواب ( قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ) برقع اليوم والاضافة على انه خبر هذا أي يقول الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين فيه صدقهم المستمر في دنياهم وآخرتهم والجملة من المتبدا والخبر في محل النصب على المفعولية كما تقول قال زيد عمر ومنطلق وبالنصب نافع على الظرف أي قال الله هذا لعيسى عليه السلام يوم ينفع الصادقين صدقهم وهو يوم

فأنك أنت العزيز الحكيم قد فسرتها في التقديم ( قال الله ) سيقول الله ( هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ) والمؤمنين ايمانهم والمبلغين

فأنك أنت العزيز الحكيم ﴿ فلا عجز ولا استقبح فأنت القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع التردد والتعليق بأن ﴿ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾ وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف ليقال وخبر هذا محذوف أو ظرف مستتر وقع

﴿ فأنك أنت العزيز ﴾ يعني في الانتقام ممن تريد الانتقام منه لا يتمتع عليك ماتريده ﴿ الحكيم ﴾ في أفعالها وهذا التفسير انما يصح على قول السدي لانه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السماء قبل يوم القيامة أما على قول جمهور المفسرين ان هذا السؤال انما يقع يوم القيامة في قوله وان تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم أشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه بان الله تعالى لا يغفر لمن يموت على الشرك والجواب عن هذا الاشكال من وجوه أحدها انه ليس هذا على طريق طلب المغفرة واو كان كذلك لقال فأنك أنت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله وتقويضه الى صراجه فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته أن يغفر للكفار لكنه تعالى أخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به الوجه الثاني قيل معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع عن كفره الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى أنت قلت للناس اتخذوني وأبي الهين من دون الله لم يقع لعيسى الا ان النصراري حكمت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز أن يسأل له المغفرة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ( م ) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني الآية وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فأسأله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فأسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في أمتك ولانسوهك عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم أخرجه النسائي ﴿ قوله عز وجل ﴾ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴿ اتفق جمهور العلماء على أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الآخرة لانه يوم الأثابة والجزاء وما تقدم من صدقهم في الدنيا يتبين نفعه يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة قال قتادة متكلمان لا يخطئان يوم القيامة عيسى عليه السلام لانه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم الا ما أمرتني به الآية

القيامه (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم) بالسعي المشكور (ورضوانه) بالجزاء الموفور (ذلك الفوز العظيم) لانه باق بخلاف ﴿ ٣٧٩ ﴾ الفوز في الدنيا فهو { سورة المائدة } غير باق (لله ملك السموات

والارض وما فيهن) عظم  
نفسه عما قالت النصرارى  
ان معه الها آخر ( وهو  
على كل شىء قدير) من المنع  
والاعطاء والايجاد  
والافناء نسألها ان يوفقنا لرضائه  
ويجعلنا من الفائزين  
بجنته وصلى الله على سيدنا  
محمد وآله وسلم  
﴿ سورة الانعام مكية ﴾

خبرا والمعنى هذا الذي مرهون من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع وقيل انه خبر  
ولكن بنى على الفتح لضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد  
بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف ﴿ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار  
خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ﴾ بيان للنفع ﴿ لله  
ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شىء قدير ﴾ تنبيه على كذب النصرارى  
وفساد دعواهم في المسيح وأمه وانما لم يقل ومن فيهن تعليلا للعقلاء وقال وما فيهن  
اتباعا لهم غير أولى العقل في غاية التصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية  
واهانة لهم وتبليها على المجانسة المنافية للالهوية ولان ما يطلق متابولا للاجناس  
كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى  
من الاجر عشر حسنات ومضى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد  
كل يهودى ونصرانى تنفس في الدنيا

﴿ سورة الانعام مكية غيرست آيات أو ثلاث آيات ﴾

﴿ من قوله قل تعالوا وبنى ﴾

( لهم جنات ) بساتين  
( تجري من تحتها ) من  
تحت شجرها وسررها  
( الأنهار ) أنهار الماء  
واللبن والخمر والعسل  
( خالدين فيها ) مقيمين  
في الجنة لا يموتون فيها  
ولا يخرجون منها ( أبدا  
رضى الله عنهم ) بأيمانهم  
وعلمهم ( ورضوا عنه )  
بالثواب والكرامة ( ذلك )  
الذى ذكرت من أخلود  
والرضوان ( الفوز العظيم )  
النجاة الوافرة فازوا بالجنة وبرضوانه  
ونجوا من عذاب النار  
( لله ملك السموات  
والارض ) خزائن السموات  
والارض خزائن السموات  
المطر والارض النبات  
والثمار وغير ذلك ( وما  
فيهن ) من الخلق والعجائب

فكان صادقا في الدنيا والآخرة فينفعه صدقته وأما المتكلم الآخر فابليس فانه يقوم  
فيقول وقال الشيطان لما قاضى الامر الآية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال  
عطاء هو يوم من أيام الدنيا لان الآخرة دار جزاء لادار عمل وذهب في هذا القول  
الى ظاهر الآية من ان الصدق النافع انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب  
السدى حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع الى السماء  
والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم فقال  
تعالى ﴿ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ﴾ فهذا اشارة الى  
ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذى لا انقطاع له ولا انتهاء ﴿ رضى الله عنهم ﴾ يعنى  
بطاعتهم له ﴿ ورضوا عنه ﴾ يعنى بما أعطاهم من ثوابه وجزىل كرامته ﴿ ذلك ﴾  
اشارة الى ما ذكره من ثوابهم ﴿ الفوز العظيم ﴾ يعنى انهم فازوا بالجنة وبرضوانه  
عنهم ونجوا من النار ﴿ لله ملك السموات والارض وما فيهن ﴾ عظم الله عز وجل  
نفسه عما قال فيه النصرارى يعنى ان الذى له ملك السموات والارض هو الذى يستحق  
الالهية لاما قالت النصرارى من الهية المسيح وأمه لانهما من جلة من في السموات  
والارض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب لسؤال مضمرة في الكلام كأنه لما وعد  
الصادقين بالثواب العظيم قيل من يعطيهم ذلك قال الذى له ملك السموات والارض  
ومن فيهن ﴿ وهو على كل شىء قدير ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الانعام ﴾

( وهو على كل شىء ) من خلق السموات والارض والثواب والعقاب ( قدير ) فأجدوا الذى خلق السموات والارض  
﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الانعام وهى مكية ﴾

مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض ﴿ أخبر بانه سبحانه وتعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام جدا ولم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار

فصل في ذكر نزولها

روى مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقناة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون ألف ملك وروى أبو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال هي مكية نزلت جملة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غيرت آيات منها فانها مدينيات وهي قوله تعالى قل تعالوا أتت ما حرم ربكم عليكم الى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ الى آخر الآيتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد آيتين وهما قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وقناة أنها قالاهي مكية الايتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخاقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربى العظيم سبحان ربى العظيم وخر ساجدا قال البغوى وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الانعام صلى عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره وذكره بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات والارض ﴾ قال كعب الاحبار هذه الآية أول آية في التوراة وآخر آية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية وفي رواية عنه ان آخر آية في التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس رضى الله عنهما افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختمه بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعليم لعباده كيف يحمدونه أى قولوا الحمد لله وقال أهل المعانى لفظه خبر ومعناه الامر أى اجدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه أبلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولوقيل اجدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير سورة فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذى خلق السموات والارض

بسم الله الرحمن الرحيم

( الحمد لله ) تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستعناء أى الحمد له وان لم تحمدوه ( الذى خلق السموات والارض ) جمع السموات لانها طباق بعضها فوق بعض والارض وان كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله

نزلت جملة واحدة غير خمس آيات منها مدينيات قل تعالوا أتت ما حرم ربكم الى آخر الثلاثة وقوله وما قدروا الله الى آخره وقوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا الى آخر الآية هؤلاء خمس آيات نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وعشرون وكلماتها ثلاثة آلاف وخمسون وحروفها اثنا عشر ألفا وأربعمائة واثنان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى ( الحمد لله ) يقول الشكر والالوهية لله

( الذى خلق السموات ) فى يومين يوم الاحد ويوم الاثنين ( والارض ) فى يومين يوم الثلاثاء والاربعاء ( أى )

(وجعل الظلمات والنور) والى مفعولين ان كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انما لوفيه ردقول الثنوية بقدّم النور والظلمة وأفرد ﴿ ٣٨١ ﴾ النور لارادة { سورة الانعام } الجنس ولان ظلمة كل

شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضوع المظلم يخالف كل واحد منها صاحبه والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات وقدام الظلمات لقوله عليه السلام خلق الله خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطأ ضل (ثم الذين كفروا) بعد هذا البيان (بربهم يعدلون) يساؤون به الا وان تقول عدلت هذا بنا أي ساويته به والباء في ربهم صلة للعدل لا للكفر أو ثم الذين كفروا برهم يعدلون عنه أي يعرضون عنه فتكون الباء صلة للكفر وصلة يعدلون أي عنه محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلقه لأنه ما خلقه الا انعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته أو على خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا و صلة يعدلون محذوفة أي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيجدون والمعنى أن الكفار يعدلون أي اجدوا الله الذي خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ جعل هنا بمعنى الخلق أي وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل والنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر والنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل والنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطأ ضل ذكره البغوي بغير سند ﴿ ثم الذين كفروا برهم يعدلون ﴾ يعني والذين كفروا بعد هذا البيان برهم يشركون وأصل العدل مساواة الشيء بالشيء والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله برهم بمعنى عن أي عن ربهم يعدلون وينحرفون من العدول عن الشيء وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا برهم يعدلون دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى تعجب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك أن تقول لرجل أكرمك وأحسنك اليك وأنت تشكرني وتجد احسانى اليك فتقول ذلك

والحركات وقدامها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمات بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجع الظلمات لكثرة أسبابها والاجرام الحاملة لها أولان المراد بالظلمة الضلال والنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقدمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف الغم حتى لا يتعلق به الجعل ﴿ ثم الذين كفروا برهم يعدلون ﴾ عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله سبحانه وتعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون برهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء أسبابا لتكونهم وتعيشهم فن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر أو على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا و صلة يعدلون محذوفة أي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيجدون والمعنى أن الكفار يعدلون

أي اجدوا الله الذي خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ جعل هنا بمعنى الخلق أي وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل والنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر والنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل والنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطأ ضل ذكره البغوي بغير سند ﴿ ثم الذين كفروا برهم يعدلون ﴾ يعني والذين كفروا بعد هذا البيان برهم يشركون وأصل العدل مساواة الشيء بالشيء والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعدون الحجارة مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله برهم بمعنى عن أي عن ربهم يعدلون وينحرفون من العدول عن الشيء وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا برهم يعدلون دليل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى تعجب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك أن تقول لرجل أكرمك وأحسنك اليك وأنت تشكرني وتجد احسانى اليك فتقول ذلك

(وجعل الظلمات والنور) خاق الكفر والايمان أو الليل والنهار (ثم الذين كفروا) كفار مكة (بربهم يعدلون) به الاضنام هو الذي خلقكم من طين من آدم وآدم من طين.

بربهم الاوثان أى يسوونها به سبحانه وتعالى ﴿ هو الذى خلقكم من طين ﴾ أى ابتداء خلقكم منه فإنه المادة الاولى وان آدم الذى هو أصل البشر خلق منه أو خلق أباكم فحذف المضاف ﴿ ثم قضى أجلا ﴾ أجل الموت ﴿ وأجل مسمى عنده ﴾ أجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث فأن الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجلتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقي ولمن يأتي وأجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بأنه مسمى أى مثبت معين لا يقبل التغيير وأخبر عنه

منكر عليه ومتجبا من فعله ﴿ قوله عز وجل ﴾ هو الذى خلقكم من طين ﴾ يعنى انه تعالى خلق آدم من طين ولما خاطب ذريته بذلك لانه أصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث وقالوا من يحيى العظام وهى رميم أعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال السدى لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم بعث جبريل الى الارض ليأتيه بقبضة منها فقتلت الارض انى أعوذ بالله منك أن تقبض منى فرجع ولم يأخذ منها شيأ فقتل يارب عاذت بك فبعث الله ميكائيل فاستعادت فرجع فبعث الله ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أخالب أمره وأخذ من وجه الارض فحاطت الحراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بنى آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الارض ولم ترجهما لاجرم أجعل أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك ﴿ عن أبى موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخليث والطيب أخرجه أبو داود والترمذى وأما قوله عز وجل ﴿ ثم قضى أجلا ﴾ وأجل مسمى عنده ﴿ فاختلف العلماء فى معنى ذلك فقال الحسن وقادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثانى من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ ويروى نحو ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لكل أحد أجلا من أجل الى الموت وأجل من الموت الى البعث فان كان الرجل براتقيا وصولا للرحم زيدله من أجل البعث الى أجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر وزيد فى أجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبیر الاجل الاول أجل الدنيا والاجل الثانى أجل الآخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص والاجل الثانى هو أجل القيامة وهو أيضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه الا الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعنى النوم يقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانبساء وأجل مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم

(هو الذى خلقكم من طين) من لا ابتداء الغاية أى ابتداء خلق أصلكم يعنى آدم منه (ثم قضى أجلا) أى حكم أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة أو الاول ما بين أن يخلق الى أن يموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو البرزخ أو الاول النوم والثانى الموت أو الثانى هو الاول وتقديره وهو أجل مسمى أى معلوم وأجل مسمى مبتدأ والخبر عنده وقدم المبتدأ وان كان نكرة والخبر ظرفا وحقه التأخير لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة

(ثم قضى اجلا) خلق الدنيا وجعل أجلها الى الفناء وخلق الخلق وجعل آجالهم الى الموت (وأجل مسمى عنده) أجل الآخرة مع ما عند الله بلاموت ولا فناء

(ثم أنتم تمترون) تشكون من المرية أو تجادلون ﴿٣٨٣﴾ من المرء ومعنى { سورة الانعام }

ثم استبعاد أن يعتروا فيه  
بعدهما ثبت أنه محييم  
وميتهم وبعثهم (وهو الله)  
متدا وخبر (في السموات  
وفي الارض) متعلق بمعنى  
اسم الله كانه قيل وهو العبود  
فيهما كقوله وهو الذي  
في السماء اله وفي الارض اله  
أوهو المعروف بالالهة  
فيهما أو هو الذي يقال له  
الله فيهما والاول تقرير  
على أنه مشتق وغيره على أنه  
غير مشتق (يعلم سر كم  
وجهر كم) خبر بعد خبر  
أو كلام مبتدأ أي وهو  
يعلم سر كم وجهر كم  
(يعلم ماتكسبون) من  
الخير والشر ويشب عليه  
ويعاقب ومن في (وما  
تأتيهم من آية) للاستفراق  
وفي (من آيات ربهم)  
للتبعض أي وما يظهر لهم  
دليل قط من الادلة التي  
يجب فيها النظر والاعتبار

(ثم أنتم) يأهل مكة (تمترون)  
تشكون بالله وبالبعث  
بعده الموت (وهو الله  
في السموات) وهو اله  
من في السموات (وفي الارض)  
واله من في الارض (يعلم  
سر كم وجهر كم) يقول  
يعلم السر والعالانية منكم  
(يعلم ماتكسبون) ما  
تعملون من الخير والشر

بأنه عند الله لا مدخل لغيره فيه يعلم ولا قدرة ولا ان المقصود بيانه ﴿ثم أنتم تمترون﴾  
استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصواتهم ومحبيهم الى آجالهم فأن  
من قدر على خلق المواد وجمعها وايداع الحيات فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على  
جمع تلك المواد وحياتها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء  
الشك واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع ﴿وهو الله﴾ الضمير لله سبحانه وتعالى والله  
خبره ﴿في السموات وفي الارض﴾ متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما الا غير كقوله  
سبحانه وتعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله أو بقوله ﴿يعلم سر كم وجهر كم﴾  
والجملته خبر ثان أو هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك  
رमित الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه أو ظرف مستقر وقع خبرا  
بمعنى انه سبحانه وتعالى لكامل علمه بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سر كم وجهر كم بيان وتقرير له  
وليس متعلق المصدر لان صلته لا تقدم عليه ﴿ويعلم ماتكسبون﴾ من خير أو شر  
فيثب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس  
وبالمكتسب اعمال الجوارح ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ من الاولى من بدة للاستفراق  
والثانية للتبعض أي وما يظهر لهم دليل قط من الادلة أو مجزئة من المعجزات أو آية من

قضى أجل يعني قدر مدة لا عماركم تنهون اليها وهو أجل مسمى عنده يعني ان ذلك  
الاجل عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه  
غيره ﴿ثم أنتم تمترون﴾ يعني ثم أنتم تشكون في البعث ﴿قوله عز وجل﴾ وهو الله  
في السموات وفي الارض ﴿يعنى وهو اله السموات واله الارض وقيل معناه وهو المعبود  
في السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير الطبري معناه وهو الله في السموات  
﴿يعلم سر كم وجهر كم﴾ في الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتأخير تقديره وهو الله  
يعلم سر كم وجهر كم في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات  
وفي الارض لاشريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان في ضميره فهو من أعمال  
القلوب وبالجهر ما يظهره الانسان فهو من أعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفى عليه  
خافية في السموات ولا في الارض ﴿ويعلم ماتكسبون﴾ يعني من خير أو شر بقي  
في الآية سؤال وهو ان الكسب اما أن يكون من أعمال القلوب وهو المسمى بالسر أو من  
أعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالافعال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر  
فقوله ويعلم ماتكسبون يقتضى عطف الشيء على نفسه وذلك غير جائز فاما معنى ذلك  
وأجيب عنه بأنه يجب حل قوله ويعلم ماتكسبون على ما استتمه الانسان على فعله  
وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا  
المال كسب فلان أي مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب والالزام عطف الشيء  
على نفسه ذكره الامام فخر الدين ﴿وما تأتيهم﴾ يعني لاهل مكة ﴿من آية من  
آيات ربهم﴾ يعني من المعجزات الباهرات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وما تأتيهم) يعني اهل مكة (من آية من آيات ربهم) مثل انكساف الشمس وانشقاق القمر والنجوم



( الا كانوا معرضين ) تاركين للنظر لا يلتفتون اليه لقلة خوفهم وتدبرهم في العواقب ( فقد كذبوا ) مردود على كلام مخدوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا ( بالحق لما جاءهم ) أي بما هو أعظم آية أو كبرها وهو القرآن الذي تحذوا به فجزوا عنه ( فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن ) أي أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزؤن وهو القرآن { الجزء السابع } أي أخباره ﴿ ٣٨٤ ﴾ وأحواله يعني سيعلمون بأى شئ استهزؤا

وذلك عند ارسال المذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وعلاؤ كنه ( ألم يروا ) يعني المكذبين ( كم أهلكنا من قبلهم من قرن ) هومدة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون ( مكناهم ) في موضع جرسفة لقرون وجمع على المعنى ( في الارض مالم نمكن لكم ) التمكين في البلاد اعطاء المكنة

آيات القرآن ﴿ الا كانوا عنها معرضين ﴾ تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه ﴿ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم أو كالدليل عليه على معنى انهم لما عرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو أعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء ﴿ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزؤن ﴾ أي سيظهر لهم ما كانوا يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة أو عند ظهور الاسلام وارتفاع أمره ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ أي من أهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن أهل عصر فيه نبى أو فائق في العلم قلت المدة وأكثر واشتقاقه من قرنت ﴿ مكناهم في الارض ﴾ جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها أو اعطينا هم من القوى والآلات ما يتمكنون بها من انواع التصرف فيها ﴿ مالم نمكن لكم ﴾ مالم نجعل لكم من السعة وطول المقام

مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالآيات آيات القرآن ﴿ الا كانوا عنها معرضين ﴾ يعني الا كانوا الهاتار كين وبها مكذبين ﴿ فقد كذبوا بالحق ﴾ يعني بآيات القرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنى به من المعجزات ﴿ لما جاءهم ﴾ يعني لما جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به ﴿ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزؤن ﴾ يعني فسوف يأتيهم أخبار استهزأهم اذا عذبوا في الآخرة ﴿ قوله عز وجل ﴿ ألم يروا ﴾ الخطاب لكفار مكة يعني ألم يروا هؤلاء المكذبون بآياتي ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون الخالية والقرن الامة من الناس وأهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم في الوجود في ذلك الزمان وقيل سمى قرنا لانه زمان بزمان وأمة بامة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل أربعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبدالله بن بشر المازنى انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن أهله الذين وجدوا فيه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني أصحابي وتابعيهم وتابعي التابعين ﴿ مكناهم في الارض مالم نمكن لكم ﴾ يعني اعطيناهم مالم نمطكم بأهل مكة وقيل أمددناهم في العمر والبسطة في الاجسام

( الا كانوا عنها ) عن الآية ( معرضين ) مكذبين بها ( فقد كذبوا ) يعني اهل مكة ( بالحق ) بالقرآن والآية ( لما جاءهم ) محمد صلى الله عليه وسلم بهما ( فسوف ) يعني اهل مكة ( يأتهم انباء ما كانوا به يستهزؤن ) خبر استهزأهم وعقوبة استهزأهم يوم يلد ويوم أحد ويوم الاحزاب ( ألم يروا ) ألم يخبر أهل مكة في القرآن ( كم أهلكنا من قبلهم )

من القرن ) من الامم الخالية ( مكناهم ) ملكناهم وأمهلناهم ( في الارض مالم نمكن لكم ) ( والسعة ) مالم نملككم ونهلكم يا أهل مكة

اختلف في القرن هل هو زمان معين او أهل زمان مخصوص واختار بعضهم انه حقيقة فيهما واختلف ايضا في تعيين الزمان فقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة وقيل ثمانون وقيل سبعون وقيل ستون وقيل ثلاثون وقيل عشرون وقيل المقدار الاوسط في اعمار أهل كل زمان مختصرا من الشهاب مصححه

والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما عطينا عاد وعود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال ولا سمعهم بسبب الدنيا ( وأرسلنا السماء المطرد عليهم ﴿ ٣٨٥ ﴾ مدرارا ) كثيرا { سورة الانعام } وهو حال من السماء ( وجعلنا

الانهار تجري من تحتهم ) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا في الخصب بين الانهار والثمار وسقيا الغيث المدرار ( فاهلكناهم بذنوبهم ) ولم يغن ذلك عنهم شيئا ( وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ) بدلا منهم ( ولو نزلنا عليك كتابا مكتوبا ( في قرطاس ) في ورق ( فملسوه بأيديهم ) هوللتا كيد لئلا يقولوا

سكرت أبصارنا و من المحتج عليهم العمى ( لقال الذين كفروا ان هذا الاسحرمين ) تمتاوعنادا للحق بعد ظهوره ( وقالوا لولا ) هلا ( أنزل عليه ) على النبي صلى الله عليه وسلم ( ملك ) يكلمنا انه نبي فقال الله ( ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر )

( وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ) مطرا دائما ديريا كلما احتاجوا اليه ( وجعلنا الانهار تجري من تحتهم ) من تحت بسايتهم وزر وعهم وشجرهم ( فاهلكناهم بذنوبهم ) بتكذيبهم الانبياء ( وأنشأنا ) خلقنا ( من بعدهم قرنا ) قوما ( آخرين ) خيرا منهم ( ولو نزلنا عليك كتابا ) لو نزلنا جبريل عليك بالقرآن

يأهل مكة أو ملم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب ﴿ وأرسلنا السماء عليهم ﴾ أى المطر أو السحاب أو المظلة فان مبدأ المطر منها ﴿ مدرارا ﴾ مغزارا ﴿ وجعلنا الانهار تجري من تحتهم ﴾ فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار ﴿ فاهلكناهم بذنوبهم ﴾ أى لم يغز ذلك عنهم شيئا ﴿ وأنشأنا ﴾ وأحدثنا ﴿ من بعدهم قرنا آخرين ﴾ بدلا منهم والمعنى انه سبحانه وتعالى كما قدر على ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ﴾ مكتوبا في ورق ﴿ فملسوه بأيديهم ﴾ فسوه وتخصيص اللبس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقيده باليدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحس كقوله وانما لسننا السماء ﴿ لقال الذين كفروا ان هذا الاسحرمين ﴾ تمتاوعنادا ﴿ وقالوا لولا انزل عليه ملك ﴾ هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ﴿ ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ﴾

والسعة في الارزاق مثل اعطاء قوم نوح و عاد و ثمود وغيرهم ﴿ وأرسلنا السماء عليهم مدرارا ﴾ مفعال من الدر يعنى وأرسلنا المطر متتابعا في اوقات الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك لتزوله منها ﴿ وجعلنا الانهار تجري من تحتهم ﴾ يعنى وفجر نالهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين ﴿ فاهلكناهم بذنوبهم ﴾ يعنى بسبب ذنوبهم وكفرهم ﴿ وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴾ يعنى وخلقنا من بعدهم اولئك أهل قرن آخرين وفي هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السالفة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع اهلكناهم لما كفروا وطفوا وظلموا فكيف حال من هو اضعف منهم وأقل عددا و عددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ﴾ الآية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبدالله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعها أربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله تعالى هذه الآية ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس يعنى من عندى يعنى مكتوبا في قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التى يكتب فيها ﴿ فملسوه بأيديهم ﴾ يعنى فعاينوه ومسوه بأيديهم وانما ذكر اللبس ولم يذكر المعاينة لانه ابلغ في انقاع العلم بالشيء من الرؤية لان المرئيات قد يدخلها التخيلات كالسحر ونحوه بخلاف المسوس ﴿ لقال الذين كفروا ان هذا الاسحرمين ﴾ يعنى لو أنزلنا عليهم كتابا كاسألوا لما آمنوا به ولقالوا هذا سحرمين كقالوا في انشقاق القمر وانه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي بهم ﴿ وقالوا ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ لولا ﴾ يعنى هلا ﴿ أنزل عليه ﴾ يعنى على محمد ﴿ ملك ﴾ يعنى نراه عيانا ﴿ ولو أنزلنا منك لقضى الامر ﴾ يعنى لفرغ الامر

جملة ( في قرطاس ) في صحيفة ( قا و خا ٤٩ نى ) سألك عبد الله بن أبي أمية الخزومي وأصحابه ( فملسوه بأيديهم ) فأخذوه وقرؤه ( لقال الذين كفروا ) يعنى عبد الله بن أبي أمية الخزومي ( أن هذا ) ما هذا ( الاسحرمين ) كذب بين ( وقالوا ) يعنى عبد الله بن أبي أمية الخزومي ( لولا انزل عليه ملك ) هلا انزل عليه ملك فيشهد له بما يقول ( ولو أنزلنا ملكا ) كما سألوك ( لقضى الامر ) نزل بمناهم

لقضى امره لا يمشرون) لا يمشرون بعد نزوله طرفه عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعدما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانتظار جعل عدم الانتظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة { الجزء السابع } ( و لوجعلناه ﴿ ٣٨٦ ﴾ ملكا ) و لوجعلنا الرسول ملكا كما

اقترحوا لانهم كانوا يقولون تارة اولاً أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة ( لجعلناه رجلاً ) لارسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يتقون مع رؤية الملائكة في صورهم ( وللبسنا عليهم ما يلبسون ) وغلطنا وأشكنا عليهم من أمره اذا كان سيئه كسبيك يا محمد فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم وألبسته اذا أشبهته وأشكته عليهم ثم سلى نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه بقوله ( ولقد استهزى برسلى من قبلك

جواب لقولهم و بيان لما هو المانع مما اقترحوه واخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله قد جرت بذلك فيمن قبلهم ﴿ ثم لا ينظرون ﴾ بعد نزوله طرفه عين ﴿ و لوجعلناه ملكا لجعلناه رجلاً ولبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ جواب ثان ان جعل الرباء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى و لوجعلنا قرينك ملكا يعاينونه أو الرسول ملكا لمثلنا رجلاً كما مثل جبرائيل عليه السلام في صورة دحية الكلبى فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما آهم كذلك الافراد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوتهم القدسية ولبسنا جواب محذوف أى و لوجعلناه رجلاً لبسنا أى خلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرى لبسنا بلام ولبسنا بالتشديد للمبالغة ﴿ ولقد استهزى برسلى من قبلك ﴾

ولوجب العذاب وهذه سنة الله في الكفار انهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا به ﴿ ثم لا ينظرون ﴾ يعنى انهم لا يعملون ولا يؤخرون طرفه عين بل يجعل لهم العذاب ﴿ و لوجعلناه ملكا لجعلناه رجلاً ﴾ يعنى لو أرسلنا اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك ان البشر لا يستطيعون ان ينظروا الى الملائكة في صورهم التى خلقوا عليها ولونظر الى الملك ناظر لصقع عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تأتى الانبياء في صورة الانس كما جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبى وكما جاء الملكان الى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة الى ابراهيم ولوط عليهما السلام ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التى خلق عليها صعق لذلك وعشى عليه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولبسنا عليهم ما يلبسون ﴿ يقان لبست الامر على القوم اذا أشبهته عليهم وجعلته مشكلاً ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الآية وغلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أملك هو أم آدمى وقيل في معنى الآية اننا لوجعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشر افعود المسئلة بحالها اننا لانرغى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التليس وانما كان تليساً لانهم يظنون أنه ملك وليس بملك أو يظنون انه بشر وليس هو بشر أو انما كان فعلهم تليساً لانهم لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولورأوا الملك رجلاً للحقهم من اللبس مثل ما حق بضعفهم فيكون اللبس تقية من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال واللبس على الضعفاء ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد استهزى برسلى من قبلك ﴿ يعنى كما استهزأ بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله

وقبض ارواحهم ويقال لفرغ من هلاكهم ( ثم لا ينظرون ) لا يؤجلون ( و لوجعلناه ) يعنى الرسول ( ملكا لجعلناه رجلاً ) في صورة رجل آدمى حتى يقدرُوا أن ينظروا اليه

( ولبسنا عليهم ) على الملائكة ( ما يلبسون ) مثل ما يلبسون من الثياب ويقال ولبسنا عليهم خلطنا عليهم ( عليه ) صورة الملك ما يلبسون كما يخلطون على انفسهم صفة محمد ونعته ( ولقد استهزى برسلى من قبلك ) استهزأ بهم قومهم كما استهزأ بك

فحق بالذين سخر وامنهم ما كانوا يستهزؤن ) فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث اهلكوا من أجل استهزائهم ومنهم متعلق بسخره كقوله فيسخررون منهم والضمير للرسول والذالك بكسورة عند أبي عمرو وعاصم لاتقاء الساكنين وضمها غيرهما التباع لضم التاء ﴿ ٣٨٧ ﴾ (قل سيروا { سورة الانعام } في الارض ثم انظروا كيف

كان عاقبة المكذبين) والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسبيا عن السير في فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ومعنى سيروا في الارض ثم انظروا اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك ثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن ما في السموات والارض) من استفهام وما بمعنى الذي في موضع الرفع على الابتداء ولن خبره (قل لله) تقرير لهم أي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرن ان تضيقوا منه شيأ الى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أصل كتب أوجب ولكن لا يجوز الاجراء على ظاهره اذ لا يجب على الله شيأ للعبد فالمراد به انه وعد ذلك وعدا مؤكدا قومك (فحق) فوجب ونزل ودار (بالذين سخروا منهم) من الكفار (ما

تسليية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يرى من قومه ﴿ فحق بالذين سخر وامنهم ما كانوا يستهزؤن ﴾ فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله أو فنزل بهم وبال استهزائهم ﴿ قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا وان السيرمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين ﴿ قل لمن ما في السموات والارض ﴾ خلقوا ملكا وهو سؤال تبيكت ﴿ قل لله ﴾ تقرير لهم وتبنيه على انه الملتزم للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾ التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب

عليه وسلم وتسليية له عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له أسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله ﴿ فحق ﴾ أي فنزل وقيل أحاط وقيل حل ﴿ بالذين سخرروا منهم ما كانوا يستهزؤن ﴾ والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النعمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بانبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم ﴿ قل سيروا في الارض ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سيروا في الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام ﴿ ثم انظروا ﴾ فلي القول الاول يكون النظر نظر فكرة وعبرة وهو بالبصرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى آثار الامم الخالية والقرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى ﴿ كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الامم الخالية ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل لمن ما في السموات والارض قل لله ﴿ هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين العادلين بربهم لمن ملك ما في السموات والارض فان أجاوبك والافا خبرهم ان ذلك لله الذي قهر كل شيأ وملك كل شيأ واستعبد كل شيأ لا للانسان التي تعبدونها أنتم فأنها موت لا تملك شيأ ولا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا وانما أمره بالجواب عقب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد و أكد في الحجية ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه في سائر مخلوقاته أردفه بكمال رحته واحسانه اليهم فقال تعالى ﴿ كتب على نفسه الرحمة ﴾ يعني انه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطف منه للمتولين عنه الى الاقبال عليه واخباره بانه رحيم بعباده وانه لا يجمل بالعقوبة بل بقبول التوبة والانابة ممن تاب وأتاب (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله

كانوا يستهزؤن عقوبة استهزائهم (قل) يا محمد لاهل مكة (سيروا) سافروا (في الارض ثم انظروا) وتفكروا (كيف كان عاقبة المكذبين) كيف صار آخر أمر المكذبين بالله والرسول (قل) يا محمد لاهل مكة (لمن ما في السموات والارض) من الخلق فان أجاوبك والالا (قل لله) خلق السموات والارض (كتب على نفسه الرحمة) أوجب على نفسه الرحمة لامة محمد صلى الله عليه وسلم

وهو منجزه لاحالة  
 وذكر النفس للاختصاص  
 ورفع الوسائط ثم أوعدهم  
 على اغفالهم النظر واشراكهم  
 به من لا يقدر على خلق  
 شيء بقوله (ليجمعنكم الى  
 يوم القيمة) فيجازيكم على  
 اشراككم (لاريب فيه)  
 في اليوم أو في الجمع (الذين  
 خسروا أنفسهم) نصب  
 على الذم أي أريد الذين  
 خسروا أنفسهم باختيارهم  
 الكفر (فهم لا يؤمنون)  
 وقال الاخفش الذين بدل  
 من كم في ليجمعنكم أي  
 ليجمعن هؤلاء المشركين  
 الذين خسروا أنفسهم  
 والوجه هو الاول لان  
 سيويه قال لا يجوز مررت  
 بي المسكين ولا بك المسكين  
 فتحيل المسكين بدلا من الياء  
 أو الكاف لانهما في غاية  
 الوضوح فلا يحتاجان  
 بتأخير العذاب (ليجمعنكم)  
 والله ليجمعنكم (الى يوم  
 القيمة) ليوم القيامة  
 (لاريب فيه) لاشك فيه  
 (الذين خسروا) غبنوا  
 (أنفسهم) ومنزلهم  
 وخدمهم وازواجهم في الجنة  
 (فهم لا يؤمنون) بحمد  
 والقرآن ونزل في مقاتلهم  
 في محمد عليه السلام ارجع  
 الى ديننا حتى تغنيك  
 نزوجك ونمرك ونملكك

والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم  
 واغفالهم النظر أي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم  
 أو في يوم القيامة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فأن من رحته بثه  
 اياكم وانعامه عليكم ﴿ لاريب فيه ﴾ في اليوم أو الجمع ﴿ الذين خسروا انفسهم ﴾  
 بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم  
 أو رفع على الخبر أي وأنتم الذين أو على الابتداء والخبر ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾ والفاء للدلالة  
 على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرتهم فأن ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك  
 في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان

صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي  
 تغلب غضبي وفي البخارى ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي  
 فهو مكتوب عنده فوق العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله  
 الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاد البخارى على العرش ثم  
 اتفقا ان رحمتي تغلب غضبي (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فاسلك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الارض جزءا  
 واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه  
 زاد البخارى في رواية له ولويلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم يأس من الجنة  
 ولويلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب لم يأن من العذاب ولمسلم ان الله مائة رحمة  
 أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتماطفون وبها يتراحمون  
 وبها تعطف الوجش على ولدها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة  
 (م) عن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق  
 يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها  
 في الارض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا  
 كان يوم القيامة كلها بهذه الرحمة (ق) عن عمر رضى الله عنه قال قدم على رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي تبتي اذ وجدت صبيا في السبي أخذته فالصقته  
 ببطنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها  
 في النار قلنا لا والله وهي تقدر أن لا تطرحه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أرجم عباده  
 من هذه المرأة بولدها ﴿ قوله عز وجل ﴾ ليجمعنكم ﴿ اللام في قوله ليجمعنكم لام القسم  
 تقديره والله ليجمعنكم ﴿ الى يوم القيمة ﴾ يعنى في يوم القيامة وقيل معناه في قبوركم  
 الى يوم القيامة ﴿ لاريب فيه ﴾ أي لاشك في انه آت ﴿ الذين خسروا أنفسهم ﴾  
 يعنى بالشرك بالله أو غبنوا أنفسهم بتخاذم الاصنام فرفضوا أنفسهم لسخط الله وأليم عقابه  
 فكانوا كمن خسروا شيئا وأصل الخسار الفين يقال خسرت الرجل اذا غبن في بيعه ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾

الى البدل والتفسير (وله) عطف على الله (ماسكن في الليل والنهار) من السكني حتى يتناول الساكن والمتحرك أو من السكوت ومعناه ماسكن وتحرك فيهما ﴿ ٣٨٩ ﴾ فاكنتي باحد الضدين { سورة الانعام } عن الآخر كقوله تقيكم

الحرأى الحر والبرد و ذكر  
السكون لانه أكثر من  
الحركة وهو احتياج على  
المشركين لانهم لم يتكروا  
أنه خالق الكل ومدبره  
(وهو السميع العليم) يسمع  
كل مسموع ويعلم كل معلوم  
فلا يخفى عليه شئ مما يشتمل  
عليه الملوان ( قل  
أغير الله أنخذ وليا )  
ناصر او معبودا وهو مفعول  
ثان لاتخذ والاول غير وانما  
أدخل همزة الاستفهام  
على مفعول أنخذ لا عليه  
لان الانكار في أنخذ غير الله  
وليا في أنخذ الولي فكان  
أحق بالتقديم ( فاطر  
السموات والارض ) الجبر  
صفة لله أي مخترعها وعن  
ابن عباس رضى الله عنهما  
ما عرفت معنى الفاطر حتى  
اختصم الى اعرابيان في  
بئر فقال أحدهما أنا فطرتهما  
أي ابتدأها ( وهو يطعم  
ولا يطعم ) وهو يرزق  
ولا يرزق أي المنافع كلها  
من عنده ولا يجوز عليه  
الانتفاع ( قل انى أمرت  
أن أكون أول من أسلم )  
على أنفسنا ( وله ماسكن

﴿ وله ﴾ عطف على الله ﴿ ماسكن في الليل والنار ﴾ من السكني وتعديته بفي كما في قوله تعالى  
وسكنت في مساكن الذين ظلموا انفسهم \* والمعنى ما اشتلأ عليه أو من السكون أى ماسكن  
فيها أو تحرك فاكنتي باحد الضدين عن الآخر ﴿ وهو السميع ﴾ لكل مسموع  
﴿ العليم ﴾ بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على  
اقوالهم وفعالهم ﴿ قل أغير الله أنخذوليا ﴾ انكار لاتخاذ غير الله وليا لاتخاذ  
الولى فلذلك قدم وأولى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك  
﴿ فاطر السموات والارض ﴾ مبدعها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت  
معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما أنا فطرتهما أى ابتدأتها  
وجره على الصفة لله فإنه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطره وقرئ بالرفع والنصب  
على المدح ﴿ وهو يطعم ولا يطعم ﴾ يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة  
الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى  
كيف اشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية  
وبنائهما للفاعل على ان الثانى من اطعم بمعنى استطعم أو على معنى انه يطعم تارة  
ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط ﴿ قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ﴾

يعنى لما سبق عليهم القضاء بالخسران فهو الذى حملهم على الامتناع من الايمان  
﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وله ماسكن في الليل والنهار ﴾ يعنى وله ما استقر وقيل  
ماسكن ومتحرك فاكنتي بذكر أحدهما عن الآخر وقيل انما خص السكون بالذكر  
لان النعمة فيه أكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن  
الليل والنهار فيكون المراد منه جميع ما حصل فى الارض من الدواب والحيوانات والطيور  
وغير ذلك مما فى البر والبحر وهذا يفيد الحصر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى  
لا لغيره ﴿ وهو السميع ﴾ لا قوالهم وأصواتهم ﴿ العليم ﴾ بسراثرهم وأحوالهم ﴿ قوله  
عز وجل ﴾ ﴿ قل أغير الله أنخذوليا ﴾ قال مقاتل لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
الى دين أباه أنزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد أغير الله أنخذ وليا يعنى ربا ومعبودا  
وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه الانكار أى لا أنخذ غير الله وليا ﴿ فاطر السموات  
والارض ﴾ أى خالق السموات والارض ومبدعها ومبتدئها ﴿ وهو يطعم ولا يطعم ﴾  
يعنى وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالذى عن الخلق وباحتياج الخلق  
اليه لان من كان من صفة أن يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم لاستغناؤه سبحانه  
وتعالى عن الاطعام فهو غنى عن الخلق ومن كان كذلك وجب أن يتخذ ربا وناصر  
ووليا ومعبودا ﴿ قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ﴾ يعنى من هذه الامة والاسلام

فى الليل والنهار) ما استقر فى وطنه فى الليل والنهار (وهو السميع) لمقاتلهم (العليم) بعه وبتهم وبارزاق الخلق (قل) يا محمد لهم  
(أغير الله أنخذوليا) أعبد ربا (فاطر السموات) خالق السموات (والارض وهو يطعم) يرزق العباد (ولا يطعم) لا يرزق ويقا  
لايعان على التزويق (قل) يا محمد لكفار مكة (انى أمرت أن أكون أول من أسلم) أول من يكون

لان النبي سابق أمته في الاسلام كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (ولا تكونن من المشركين) وقيل لي لا تكونن من المشركين ولو عطف على ما قبله لفظا لقل وأن لا أكون والمعنى أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك (قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) أي اني أخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة ان عصيت ربي فالشرط معترض بين الفاعل والمفعول به محذوف الجواب (من يصرف عنه) { الجزء السابع } العذاب (يومئذ فقد ﴿ ٣٩٠ ﴾ رجه) الله الرحمة العظمى وهي

النجاة من يصرف حزة وعلى وأبو بكر أي من يصرف الله عنه العذاب ( وذلك الفوز المبين ) النجاة الظاهرة ( وان يمسك الله بضر ) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه ( فلا كاشف له الا هو ) فلا قادر على كشفه الا هو ( وان يمسك بخير ) من غنى أو صحة ( فهو على كل شيء قدير ) فهو قادر على ادامته وازالته.

لان النبي صلى الله عليه وسلم سابق امته في الدين ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل ﴿ قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة ﴿ من يصرف عنه يومئذ ﴾ أي يصرف العذاب عنه • وقرأ حزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله سبحانه وتعالى • وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف أو يومئذ محذوف المضاف ﴿ فقد رجه ﴾ نجاهه وأنعم عليه ﴿ وذلك الفوز المبين ﴾ أي الصبر أو الرحم ﴿ وان يمسك الله بضر ﴾ بلية كرض وفقر ﴿ فلا كاشف له ﴾ فلا قادر على كشفه ﴿ الا هو ﴾ وان يمسك بخير ﴿ بنعمة كصحة وغنى ﴾ فهو على كل شيء قدير ﴿ فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه

بمعنى الاستسلام يعني أمرت أن أستسلم لامر الله وأتقاد الى طاعته ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ يعني وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين ﴿ قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى عبادة غيري ان ربي أمرني أن أكون أول من أسلم ونهاني عن عبادة شيء سواه وانى أخاف ان عصيت ربي فعبدت شيئا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة ﴿ من يصرف عنه ﴾ يعني العذاب ﴿ يومئذ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ فقد رجه ﴾ يعني بان انجاه من العذاب ومن أنجاه من العذاب فقد رجه وأنا له الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة من صرف العذاب لثلاثتهم انه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب عنه ﴿ وذلك الفوز المبين ﴾ يعني أن صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلح المبين ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأن يمسك الله بضر ﴿ يعني بشدة وبلية والضراسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكروه وغير ذلك مما هو في معناه ﴿ فلا كاشف له الا هو ﴾ يعني فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل ﴿ وأن يمسك بخير ﴾ يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك ﴿ فهو على كل شيء قدير ﴾ يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على أن يمسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه لا يقدر على ذلك الا هو فاتخذه وليا وناصره ومعينا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل أحد

على الاسلام ويقال أول من أخلص بالعبادة والتوحيد لله من أهل زمانه ( ولا تكونن من المشركين ) مع المشركين على دينهم ( قل ) يا محمد ( اني أخاف ) اعلم ( ان عصيت ربي ) وعبدت غيره ورجعت الى دينكم ( عذاب يوم عظيم ) عذابا عظيما في يوم عظيم ( من يصرف عنه ) العذاب ( يومئذ ) يوم القيامة ( فقد رجه )

عصمه وغفر له ( وذلك ) القرآن ( الفوز المبين ) النجاة الوافرة ( وان يمسك الله ) ( والمعنى )

يصبك الله بضر ) بشدة وفقر ( فلا كاشف له ) فلا رافع له ( الا هو ) وان يمسك ) يصبك بخير ) بنعمة وغنى ( فهو على كل شيء ) من الشدة والفقر والنعمة والغنى ( قدير

كقوله فلا راد لفضله ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ تصوير تمهره وعلوه بالغلبة والقدرة ﴿ وهو الحكيم ﴾ في أمره وتدييره ﴿ الخبير ﴾ بالعباد وخفايا احوالهم ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة ﴾ نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سألتنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة

( وهو القاهر ) مبتدأ وخبر  
أي الغالب المقتدر ( فوق عباده )  
خال عليهم بالقدرة والقهر بلوغ المراد يمنع غيره عن بلوغه  
( وهو الحكيم ) في تنفيذ مراده ( الخبير ) باهل القهر  
من عباده ( قل أي شيء أكبر شهادة )  
أي شيء مبتدأ وأكبر خبره وشهادة تمييز  
وأي كلمة يراد بها بعض ما تضاف اليه فاذا كانت استفهاما كان جوابها مسمى باسم ما أضيفت اليه وقوله

وهو القاهر ( الغالب ) فوق عباده ( على عباده ) وهو الحكيم في أمره وقضائه ( الخبير ) بخلقه وابعالهم ثم نزلت في مقاتلهم للنبي صلى الله عليه وسلم اثنا بشهيد يشهد انك نبي ( قل ) يا محمد لهم ( أي شيء أكبر ) أعدل وأرضى ( شهادة ) فإن أجابوك والا

والمعنى وان يمسك الله بضر أيها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسك بخير أيها الانسان فهو على كل شيء قدير من دفع الضر وايصال الخير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استغثت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف أخرجه الترمذي زاد في رزين تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه وان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا أو مثله بطوله في مسند أحد بن حنبل ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهو القاهر فوق عباده ﴿ يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مهوورون تحت قدرته والقاهر والقهار معناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغمر ويحزن ويفقر ويميت ويدل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه رد تدييره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله تعالى لانه القادر والقاهر الذي لا يعجزه شيء أرادته ومعنى فوق عباده هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم به من الاقتدار والقهر الذي لا يقدر أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وإنما قال فوق عباده لانه تعالى وصن نفسه بقهره اياهم ومن صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه فعنى الكلام اذا والله الغالب عباده المذلل لهم العالي عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تدر به الله عز وجل ﴿ وهو الحكيم ﴾ يعني في أمره وتدييره عباده ﴿ الخبير ﴾ يعني باعمالهم وما يصلحهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل أي شيء أكبر شهادة ﴿ قال الكلبي أني أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أرنا من يشهد انك رسول الله فانا لانرى أحدا يصدقك ولقد سألتنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل يعني يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحجدون نبوتك من قومك أي شيء أكبر شهادة يعني أعظم شهادة



( قل الله ) جواب أى الله  
أكبر شهادة فالله متشداً  
والخير محذوف فيكون  
دليلاً على أنه يجوز اطلاق  
اسم الشيء على الله تعالى  
وهذا لان الشيء اسم  
للموجود ولا يطلق على  
المعدوم والله تعالى موجود  
فيكون شيئاً ولذا نقول الله  
تعالى شيء لا كالأشياء ثم  
ابتدأ ( شهيد بيني وبينكم )  
أى هو شهيد بيني وبينكم  
وجوز أن يكون الجواب  
الله شهيد بيني وبينكم لانه  
إذا كان الله شهيداً بينه  
وبينهم فأكبر شئ شهادة  
شهيد ( وأوحى الى هذا  
القرآن لانذركم به ومن  
بلغ ) أى ومن بلغه القرآن  
الى قيام الساعة فى الحديث  
من بلغه القرآن فكأنما  
رأى محمد صلى الله عليه وسلم  
ومن فى محل النصب بالمطف  
على كم والمراد به أهل مكة  
والعائد اليه محذوف أى  
ومن بلغه وفاعل بلغ ضمير  
القرآن

( قل الله شهيد بيني وبينكم )  
بأنى رسوله وهذا القرآن كلامه  
( وأوحى الى هذه القرآن )  
أنزل الى جبريل بهذا القرآن  
( لانذركم به ) لاخوفكم بالقرآن  
( ومن بلغ ) اليه خير القرآن  
فإنذاره

( قل الله ) أى الله أكبر شهادة ثم ابتدأ ( شهيد بيني وبينكم ) أى هو شهيد بيني وبينكم  
ويجوز أن يكون الله شهيداً والجواب لانه سبحانه وتعالى اذا كان الشهيد كان أكبر شئ  
شهادة ( وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ) أى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن  
ذكر البشارة ( ومن بلغ ) عطف على ضمير المخاطبين أى لانذركم به يا أهل مكة وسائر من  
بلغه من الاسود والاحمر أو من الثقلين أو لانذركم به أيها الموجودون ومن بلغه الى  
يوم القيامة وفيه دليل على ان أحكام القرآن نعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم

فانهم أجابوك والا ( قل ) أنت يا محمد ( الله شهيد بيني وبينكم ) قال مجاهد  
أمر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسأل قريشاً أى شئ أكبر شهادة ثم أمر أن يخبرهم  
فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعنى يشهدلى بالحق وعليكم بالباطل الذى تقولونه والحاصل  
انهم طلبوا شاهداً مقبول القول يشهدله بالنبوة فينبى الله تعالى بهذه الآية ان أكبر  
الأشياء شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهدله بالنبوة وهو المراد بقوله ( وأوحى الى  
هذا القرآن لانذركم به ) يعنى ان الله عز وجل يشهدلى بالنبوة لانه أوحى الى هذا  
القرآن وهو معجزة لانكم أنتم الفقهاء البلغاء وأصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته  
فكان معجزاً واذا كان معجزاً كان نزوله على شهادة من الله بأنى رسوله وهو المراد بقوله  
لانذركم به يعنى أوحى الى هذا القرآن لاخوفكم به واحذركم مخالفة أمر الله عز وجل  
( ومن بلغ ) يعنى وأنذر من بلغه القرآن ممن يأتى بعدى الى يوم القيامة من العرب  
والعجم وغيرهم من سائر الأمم فكل من بلغ اليه القرآن وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم  
نذير له قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم  
وكله وقال أنس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى  
كسرى وقبصر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل ( خ ) عن عبدالله بن عمرو  
ابن العاص رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عنى ولو آية وحدثوا  
عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ( شرح ما يتعلق  
بهذا الحديث ) فيه الأمر بالبلغ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الى من بعده من قرآن  
وسنته وقوله وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج الحرج الضيق والاثم ومعنى الحديث  
انه مهما قلتم عن بنى اسرائيل فانهم كانوا فى حال أكثر مما قلتم وأوسع وليس هذا فيه  
إباحة الكذب والاختبار عن بنى اسرائيل لكن معناه الرخصة فى الحديث عنهم على  
بعض البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل لانه أمر قد تعذر بعد المسافة وطول المدة ( عن  
ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه  
كما سمعه قرب مبلغ أو عجله من سامع أخرجه الترمذى ( وله عن زيد بن ثابت قال سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه  
غيره قرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس  
رضى الله عنهما قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم أخرجه أبو داود موقوفاً

(أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) استفهام انكار وتبكي (قل لا أشهد) بما تشهدون وكرر (قل) سوكتاً  
 (انما هو الواحد) ما كافة لان عن العمل ﴿ ٣٩٣ ﴾ وهو مبتدأ { سورة الانعام } والله خبره وواحد صفة

أو بمعنى الذي في محل النصب  
 بان وهو مبتدأ والله خبره  
 والجملة صلة الذي وواحد  
 خبران وهذا الوجه أوقع  
 (وانتي بري بما تشهدون)  
 به (الذين آيناهم الكتاب)  
 يعني اليهود والنصارى  
 والكتاب التوراة والانجيل  
 (يعرفونه) أي رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم بحليته  
 ونعته الثابت في الكتابين  
 ( كما يعرفون أبناءهم )  
 بحلالهم ونعوتهم وهذا  
 استشهاد لاهل مكة بمعرفة  
 أهل الكتاب به وبحجة  
 نبوته ثم قال (الذين خسروا  
 أنفسهم) من المشركين  
 ومن أهل الكتاب  
 الجاحدين (فهم لا يؤمنون)

(أنكم) يا أهل مكة  
 (لتشهدون أن مع الله  
 آلهة أخرى) يعني الاصنام  
 تقولون انها بنات الله فان  
 شهدوا على ذلك (قل لا أشهد)  
 معكم (قل) يا محمد (انما  
 هو الواحد) انما الاله  
 واحد (وانتي بري بما  
 تشهدون) به من الاصنام  
 في العبادة (الذين آيناهم  
 الكتاب) أعطيناهم علم  
 التوراة يعني عبد الله بن سلام  
 وأصحابه (يعرفونه) يعرفون  
 محمداً بصفته ونعته (كما  
 يعرفون أبناءهم) يعني  
 الغلمان (الذين خسروا

وانه لا يؤخذ بها من لم تبلغه ﴿ أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ﴾ تقرير  
 لهم مع انكار واستبعاد ﴿ قل لا أشهد ﴾ بما تشهدون ﴿ قل انما هو اله واحد ﴾  
 أي بل اشهد ان لا اله الا هو ﴿ وانتي بري بما تشهدون ﴾ يعني الاصنام ﴿ الذين  
 آيناهم الكتاب يعرفونه ﴾ أي يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة  
 في التوراة والانجيل ﴿ كما يعرفون أبناءهم ﴾ بحلالهم ﴿ الذين خسروا أنفسهم ﴾  
 من أهل الكتاب والمشركين ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾ لتضييعهم ما به يكتسب الايمان

﴿ قوله عز وجل ﴾ أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ﴿ يعني قل يا محمد لهؤلاء  
 المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا الهة غيري انكم أهل المشركون لتشهدون  
 أن مع الله آلهة أخرى يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها وانما قال أخرى لان الجمع  
 يلحظه التأنيث كما قال تعالى والله الاسماء الحسنى فبال القرون الاولى ولم يقل الاول  
 ولا الاولين ﴿ قل لا أشهد ﴾ يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا أشهد بما تشهدون به  
 أن مع الله آلهة أخرى بل أجدد ذلك وأنكره ﴿ قل انما هو اله واحد ﴾ يعني  
 قل لهم انما الله الواحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك أشهد ﴿ وانتي بري بما  
 تشهدون ﴾ يعني وأنا بريء من كل شيء تعبدونه سوى الله وفي هذه الآية دليل على  
 اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه لان كلمة آتافيد الحصر ولفظة الواحد  
 صريح في التوحيد وفي الشرك ثبت بذلك ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبرؤ  
 من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لكل من أسلم أن يأتي بالشهادتين وبرأ من  
 كل دين خالف الاسلام لقوله تعالى وانتي بري بما تشهدون ﴿ قوله عز وجل ﴾ الذين  
 آيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴿ المراد بالذين أتوا الكتاب علماء اليهود  
 والنصارى الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أسألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك  
 لما قالوا لاني صلى الله عليه وسلم انما أسألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك  
 عندهم ذكروا أنكروا معرفته بين الله عز وجل ان شهادته له كافية على صحة نبوته وبين  
 في هذه الآية أنهم يعرفونه وأنهم كذبوا في قولهم أنهم لا يعرفونه وروي ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل  
 أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين آيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون  
 أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفتني حين رأيتك كما عرفت  
 ابني ولأننا أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابي فقال عمر وكيف ذلك قال أشهد أنه  
 رسول الله حتماً ولا أدري ما يصنع النساء ﴿ قوله عز وجل ﴾ الذين خسروا أنفسهم ﴿  
 يعني أهلكتوا أنفسهم وغبنوها وأبقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه  
 وسلم وفي الذين خسروا أنفسهم قولان أحدهما انه صفة للذين الاولى ويكون المقصود  
 من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم ويحجدون نبوته وهم  
 كفار أهل الكتابين ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾

أنفسهم) غبنوا أنفسهم بندهاب (قا و خا ٥٠ ني) الدنيا والآخرة يعني كتب بن الاشرف وأصحابه (فهم لا يؤمنون)

به (ومن اظلم) استفهام يقتضن معنى النفي أى واحد أظلم لنفسه والظلم وضع الشيء في غير موضعه واشتمه اتحاد المخلوق بمعبودا  
(من افترى) اختلق (على الله) الجزء الخامس (كذبا) فيصفه ﴿٣٩٤﴾ بحالا يليق به (أو كذب بآياته) بالقرآن

والمعجزات (انه) ان الامر  
والشان (لا يفلح الظالمون)  
جمعوا بين أمرين باطلين  
فكذبوا على الله مالا حجة  
عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة  
الله وسوا القرآن والمعجزات  
سحرا (ويوم نحشرمهم)  
هو مفعول به والتقدير  
واذ كرو يوم نحشرمهم (جميعا)  
حال من ضمير المفعول (ثم  
نقول للذين أشركوا)  
مع الله غيره توبيخا وبالياء  
فيهاية قوب (أين شركاؤكم)  
آلهتم التي جعلتموها  
شركاء الله (الذين كنتم  
تزعون) أى تزعونهم  
شركاء فحذف المفعولان  
(ثم لم تكن) وبالياء حزة  
وعلى (فتنتهم) كفرهم  
(الأن قالوا)

بمحمد والقرآن (ومن  
أظلم) اجراً (من افترى)  
اختلق (على الله كذبا)  
فأشركه بالهة شتى  
(أو كذب بآياته) بمحمد  
والقرآن (أنه لا يفلح)  
لا ينجو ولا يأمن (الظالمون)  
الكافرون والمشركون من  
عذاب الله (ويوم نحشرمهم  
جميعا) كافة الناس يوم القيامة  
(ثم نقول للذين أشركوا)  
بالله الآلهة (أين شركاؤكم)

﴿ ومن أظلم من افترى على الله كذبا ﴾ كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفاؤنا عند الله  
﴿ أو كذب بآياته ﴾ كان كذبوا بالقرآن والمعجزات وسحرا وانما ذكر أو وهم  
قد جمعوا بين الأمرين تبييناً على ان كلامهم ما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على انفس  
﴿ انه ﴾ ضمير الشأن ﴿ لا يفلح الظالمون ﴾ فضلا من لا احد اظلم منه ﴿ ويوم  
نحشرمهم جميعا ﴾ منصوب بمضمرة تهويلا للأمر ﴿ ثم نقول للذين أشركوا أين  
شركاؤكم ﴾ أى آلهتم التي جعلتموها شركاء لله \* وقرأ يعقوب يحشرمهم ويقول بالياء  
﴿ الذين كنتم تزعون ﴾ أى تزعونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام  
التوبيخ واعلمه بحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علاوا بها الرجاء  
فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفوهم فكأنهم غيب عنهم ﴿ ثم لم تكن فتنتهم  
الا أن قالوا ﴾ أى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا  
بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب أولانهم  
قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عمرو حص من حصم لم تكن بالياء وفتنتهم بل رفع

يعنى به والقول الثانى أنه كلام مبتدأ ولا تعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله  
عليه وسلم وذكر وفى معنى الخسار وجهين أحدهما انه الهلاك الدائم الذى حصل لهم بسبب  
كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثانى انه جعل لكل واحد من بنى آدم  
منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله المؤمنين منازل الكفار التي فى الجنة  
وجعل للكفار منازل المؤمنين التي فى النار فذلك هو الخسار ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن أظلم  
من افترى على الله كذبا ﴾ يعنى ومن أشد عنادا وأخطأ فعلا وأعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا  
فزعم ان له شريكا من خلقه والها يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة الاصنام وأدعى  
ان له صاحبة وولدا كما قالت النصارى ﴿ أو كذب بآياته ﴾ يعنى كذب بحجته واعلام  
أدلته التي أعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبياء وقيل معناه أو كذب بآيات  
القرآن الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أنه لا يفلح الظالمون ﴾ يعنى انه لا ينجح  
القائلون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل ﴿ ويوم نحشرمهم جميعا ﴾ أى اذكر  
يوم نحشرا العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة ﴿ ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم  
الذين كنتم تزعون ﴾ يعنى انها تشفع لكم عند ربكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ثم لم تكن  
فتنتهم ﴾ يعنى قولهم وجوابهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معذرتهم والفتنة التجربة  
فلما كان سؤالهم تجربة لاظهار ما فى قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج فى قوله ثم لم تكن  
فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتن بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه  
فيقال لم تكن فتنته الا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنا بمحبة الاصنام ثم لما رأوا  
العذاب تبرؤا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الأن تبرؤا  
منها وهو قوله عز وجل ﴿ الأن قالوا

آلهتم (الذين كنتم تزعون) تعبدون وتقولون انهم شفعاؤكم (ثم لم تكن فتنتهم) عذرهم وجوابهم (الان قالوا) لا توليهم (ولله)

والله ربنا ما كنا مشركين) يعني ثم لم تكن مائة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وفانزلوا عليه الا الجحود والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من الدين بأوثم لم يكن جوابهم الا أن قالوا فسمى فتنه لانه كذب وبرفع الفتنة مكي وشامى وحنص فن قرأ نكبن بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم نكنو أن قالوا الخبر أى لم تكن فتنهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أى لم يكن فتنهم الا قولهم ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة جعل على المقالة ربنا حزة وعلى على النداء أى ياربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم) بقولهم ما كنا **﴿٣٩٥﴾** مشركين قال مجاهد {سورة الانعام} اذا جع الله الخلاق ورأى

المشركون سعة رحمة الله  
وشفاعة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم للمؤمنين  
قال بعضهم لبعض تعالوا نكنتم  
الشرك لعلنا ننجو مع أهل  
التوحيد فاذا قال لهم الله  
أين شركاؤكم الذين  
كنتم تزعمون قالوا والله  
ربنا ما كنا مشركين  
فيحتم الله على أفواههم  
فتشهد عليهم جوارحهم  
(وضل عنهم) وغاب عنهم  
(ما كانوا يفترون) الهية  
وشفاعة) ومنهم من يستمع  
اليك) حين تتلو القرآن  
روى أنه اجتمع أبو سفيان  
والوليد والنضر واطراهم  
يستمعون تلاوة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فقالوا  
للنضر ما تقول محمد فقال  
والله ما أدري ما يقول  
محمد الا انه يحرك لسانه  
ويقول أساطير الاولين  
مثل ما حدثكم عن القرون  
الماضية فقال أبو سفيان انى  
لأراه حقا فقال أبو جهل  
كلا فترت

على انها الاسم ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتأنيث  
للخبر كقولهم من كانت امك والباغون بالياء والنصب **﴿** والله ربنا ما كنا مشركين **﴾**  
يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا  
اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق  
قوله **﴿** انظر كيف كذبوا على أنفسهم **﴾** أى بنى الشرك عنها وجهه على كذبهم  
في الدنيا تصف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما  
يحلفون لكم وقرأ حزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء أو المدح **﴿** وضل عنهم  
ما كانوا يفترون **﴾** من الشركاء **﴿** ومنهم من يستمع اليك **﴾** حين تتلو القرآن والمراد  
ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واخراهم اجتمعوا فسمعوا  
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما تقول فقال والذي  
والله ربنا ما كنا مشركين **﴿** وذلك اذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول  
بعضهم لبعض تعالوا نكنتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين  
فيحتم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر **﴿** قال الله تعالى **﴿** انظر كيف  
كذبوا على أنفسهم **﴾** يعنى انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل الى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا  
على أنفسهم يعنى اعتذارهم بالباطل وتبرؤهم من الاصنام والشرك الذى كانوا عليه واستعمالهم  
الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله **﴿** وضل عنهم **﴾** يعنى  
زال عنهم وذهب **﴿** ما كانوا يفترون **﴾** يعنى ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام  
تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم **﴿** قوله عز وجل **﴿** ومنهم من يستمع  
اليك **﴾** الآية قال الكلبي اجتمع أبو سفيان صخر بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن  
المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأميمة وأبى ابنا خلف والحرث  
ابن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضريا أبأقتيبة ما تقول محمد قال ما أدري ما يقول الا انى  
أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان  
النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان انى لأرى بعض  
ما يقول حقا فقال أبو جهل كلالا تقربشى من هذا وفي رواية للموت أهون علينا

(والله ربنا ما كنا مشركين انظر) يا محمد ويقال يقول للملائكة انظروا (كيف كذبوا على أنفسهم) كيف واجبوا عقوبة كذبهم على  
أنفسهم (وضل عنهم) اشتغل عنهم بأنفسهم (ما كانوا يفترون) يعبدون بالكذب ويقال بطل افتراؤهم (ومنهم من يستمع اليك)  
يقول من أهل مكة من يستمع الى كلامك وحديثك منهم أبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة  
وشيبة ابنا ربيعة وأميمة وابى ابنا خلف والحرث بن عامر

( وجعلنا على قلوبهم أكنة ) أعطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة ( أن يفقهوه ) كراهة أن يفقهوه ( وفي آذانهم وقرا ) ثقلا يمنع من السمع ووحدا لوقر لانه مصدر وهو عطف على أكنة وهو جملتنا في الاصلح على المنزلة ( وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا { الجزء السابع } جاؤك يجادلونك ﴿ ٣٩٦ ﴾ يقول الذين كفروا ) حتى

جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابوسفيان اني لارى حقا فقال ابوجهل كلا ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ اعطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ﴿ أن يفقهوه ﴾ كراهة ان يفقهوه ﴿ وفي آذانهم وقرا ﴾ يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول سورة البقرة ﴿ وأن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم ﴿ حتى اذا جاؤك يجادلونك ﴾ أى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجمل اذا وجوابه وهو ﴿ يقول الذين كفروا أن هذا الأساطير الاولين ﴾ فأن جعل أصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمحبتهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلونك وينساكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون ( أن هذا ) ( الأساطير الاولين ) فيجعلون كلام الله أكاذيب وواحد الاساطير اسطورة ( وهم ) أى المشركون ( ينون عنه ) ينون الناس عن القرآن أو عن الرسول

من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعنى الى كلامك وقراءتك يا محمد ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة ﴾ يعنى أعطية جمع كنان ﴿ أن يفقهوه ﴾ يعنى لثلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه ﴿ وفي آذانهم وقرا ﴾ يعنى وجعلنا فى آذانهم صمما وثقلا وفى هذا دليل على ان الله تعالى يقبل القلوب فيشرح بعضها للهدى والايان فتقبله ويجعل بعضها فى أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به ﴿ وأن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ يعنى كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعنى لا يصدقوا بها ولا يقرروا أنها دالة على صدقك حتى اذا جاؤك يجادلونك ﴿ يعنى انهم اذاروا والآيات واستمعوا القرآن انما جاؤا ليجادوك ويحاصموك لا يؤمنوا بها ﴾ يقول الذين كفروا أن هذا ﴿ أى ما هذا القرآن ﴾ الأساطير الاولين ﴿ يعنى أحاديث الاولين من الامم الماضية وأخبارهم وأقاصيصهم وما سطوروا يعنى وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطورة وقيل واحدها سطر وأسطار جمع وأسطير جمع الجمع فعلى هذا لو قال قائل لم عابوا القرآن وجعلوه أساطير الاولين وقد سطر الاولون فى كتيم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله أوجب عنه بأنهم انما نسبوا القرآن الى أساطير الاولين بمعنى أنه ليس بوحي من الله تعالى وانما هو أخبار مجردة كاتروى أخبار الاولين وقيل فى معنى أساطير الاولين انها الترهات وهى عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقول قائمهم أخذنا فى الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذى لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح من الامور المشككة الغامضة التى لا أصل لها ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهم ينون عنه ﴿ يعنى ينون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه

هى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز أن تكون جارة ويكون اذا جاؤك فى موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلونك وينساكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون ( أن هذا ) ( الأساطير الاولين ) فيجعلون كلام الله أكاذيب وواحد الاساطير اسطورة ( وهم ) أى المشركون ( ينون عنه ) ينون الناس عن القرآن أو عن الرسول

( وجعلنا على قلوبهم اكنة ) اعطية ( ان يفقهوه ) لكى لا يفقهوا كلامك وحديثك ( وفي آذانهم وقرا ) صمما لكى لا يسموا الحق والمهدى ويقال ثقلا عن الهدى ان يعقلوه ( وأن يروا كل آية ) طلبوها منك ( لا يؤمنوا

بها ) طلب منه حرث بن عامر ( حتى اذا جاؤك ) جاؤا اليك ( يجادلونك ) يسألونك ماذا أنزل ( وسلم ) من القرآن فاذا أخبرتهم ( يقول الذين كفروا ) يعنى نصر بن الحرث ( أن هذا ) ما هذا الذى يقول محمد ( الأساطير الاولين ) كذب الاولين واحاديثهم ( وهم ينون عنه ) وهو ابوجهل وأصحابه ينون

وإتباعه والإيمان به ( ويتأون عنه ) وبعدهون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون ( وان يهلكون ) بذلك ( الأأنفسهم وما يشعرون ) أي لا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وان ﴿ ٣٩٧ ﴾ كانوا يظنون { سورة الانعام }

ينهون الناس عن القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان به ﴿ ويتأون عنه ﴾ بأنفسهم أو ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويتأون عنه فلا يؤمنون به كإبي طالب ﴿ وأن يهلكون ﴾ وما يهلكون بذلك ﴿ الأأنفسهم وما يشعرون ﴾ ان ضرره لا يتعداهم إلى غيرهم ﴿ ولو ترى اذوققوا على النار ﴾ جوابه محذوف أي ولو ترى حين يوققون على النار حتى يعاينوها أو يطمعون عليها أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت أمرا شنيعا \* وقرىء وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليها ووقفا ﴿ فقالوا ياليتنا نرد ﴾ تميل للرجوع إلى الدنيا ﴿ ولا تكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ استئناف كلام منهم على وجه الأثبات كقولهم دعنى ولا أعود أي انا لا أعود تركتني أو لم تتركني أو عطف على نرد أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم الممتنى وقوله وانهم لكاذبون راجع إلى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبها حزة ويعقوت وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو اجراء لها مجرى الفاء \* وقرأ ابن عاصم برفع الاول على العطف

وسلم ﴿ ويتأون عنه ﴾ يعني ويتبعدهون عنه بأنفسهم نزلت في كفار مكة كانوا ينعون الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن اجتماع القرآن وكانواهم كذلك وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمتنعه منهم ويتأى هو بنفسه عن الإيمان به بمعنى يبعد حتى روى أنه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا له خذ شأبا من أصحنا وجهاً وادفع لنا محمد اقتال ما أنصفتموني أدفع اليكم ابني محمد اقتلوه وأرأى لكم ابنكم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعأ باطالب إلى الإيمان فقال لولا تعيرني قريش لأقررت بهاعينك ولكن أذب عنك ما حيت وقال في ذلك آياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم \* حتى أوسد في التراب دفينا  
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة \* وابشر بذلك وقرمنه عيونا  
ودعوتى وعرفت انك ناصحى \* ولقد صدقت وكنت ثم أمينا  
وعرضت ديناً قد علمت بأنه \* من خير أديان البرية ديننا  
لولا الملامة أو حذار مسبة \* لو جردتنى سمحا بذلك مينا

قوله عز وجل ﴿ وأن يهلكون الأأنفسهم ﴾ يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم الاعليم ﴿ وما يشعرون ﴾ يعني بذلك قوله عز وجل ﴿ ولو ترى اذوققوا على النار ﴾ يعني في النار فوضع على موضع في كقوله على ملك سليمان أي في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك ويتأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرأيت أمرا عجيبا وموقفا فظيما ﴿ فقالوا ﴾ يعني الكفار ﴿ ياليتنا نرد ﴾ يعني إلى الدنيا ﴿ ولا تكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ تمنوا أن يردوا إلى الدنيا مرة أخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال

عنه عن محمد والقرآن ( ويتأون عنه ) ينعون عنه ويتبعدهون ويقال هو أبو طالب كان ينهى الناس عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم ولا يتابعه ( وأن يهلكون ) ما يهلكون ( الا أنفسهم وما يشعرون ) ما يعلمون ان

أوزار الذين يصدونهم عندهم علمهم ( ولو ترى ) يا محمد ( اذوققوا ) حسبوا ( على النار ) فقالوا ( ياليتنا نرد ) إلى الدنيا ( ولا تكذب ) بآيات ربنا ( بالكتب والرسول ) ( ونكون من المؤمنين ) مع المؤمنين في السر والعلانية

( بل ) للاضراب عن الوفاء بما تمنوا ( بدالهم ) ظهر لهم ( ما كانوا يخفون ) من الناس ( من قبل ) في الدنيا من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وقيل هو في المناقطين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه أو في أهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من حجة نبوة رسول الله { الجزء السابع } صلى الله عليه وسلم ﴿ ٣٩٨ ﴾ ( ولوردوا ) الى الدنيا بعد وتوفهم

على النار ( لعادوا المناهضة ) من الكفر ( وانهم لكاذبون ) فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به ( وقالوا ) عطف على لعادوا أي ولوردوا لكفروا ولقالوا ( أن هي الاحيوتنا الدنيا ) كما كانوا يقولون قبل معاناة القيامة أو على قوله وانهم لكاذبون أي وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الاحيوتنا

ونصب الثاني على الجواب ﴿ بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل ﴾ الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم أو قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزماء على انهم لو ردوا لآمنوا ﴿ ولو ردوا ﴾ أي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور ﴿ لعادوا لما نهوا عنه ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ وانهم لكاذبون ﴾ فيما وعدوا من أنفسهم ﴿ وقالوا ﴾ عطف على لعادوا أو على انهم لكاذبون أو على نهوا أو استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا ﴿ أن هي الاحيوتنا الدنيا ﴾ الضمير للحياة ﴿ وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ﴾ مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم أو جزائه أو عرفوه حق التعريف ﴿ قال أليس هذا بالحق ﴾ كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾ اقرار مؤكدة باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء

الدنيا وهي كناية عن الحياة أو هو ضمير القصة ( وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده لعاتبه أو وقفوا على جزاء ربهم ( قال ) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال ( أليس هذا ) أي البعث ( بالحق ) بالكائن الموجود وهذا تعبير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو بحق ( قالوا بلى وربنا )

تعالى ﴿ بل بدالهم ما كانوا يخفون من قبل ﴾ يعني ليس الامر كما قالوا لوردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين أخفوا شركهم وكتموه فآظمه الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا واستروا من شركهم وقيل ظهر لهم ما أخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الآية في المناقطين ﴿ ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ﴾ يعني في قولهم لوردنا الى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴿ وقالوا ان هي الاحيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴾ وهذا خبر عن حال منكري البعث وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر الكفار عن أحوال القيامة وأهوالها وما أعد الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما أعد الله من العقاب للكفار والعاصين قالوا يعني الكفار ان هي أي ما هي الاحيوتنا الدنيا أي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا أن هي الاحيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ﴿ يعني على حكم ربهم وقضائه ومسئلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم ﴿ قال أليس هذا بالحق ﴾ أي يقول الله يوم القيامة أليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تكفرونه في الدنيا وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور حقا ﴿ قالوا بلى وربنا ﴾

( بل بدالهم ) ظهر لهم عقوبة ( ما كانوا يخفون )

يسرون من الكفر والشرك ( من قبل ) في الدنيا ( ولوردوا ) الى الدنيا كما سأولوا ( لعادوا لما نهوا عنه ) من الكفر ( يعني ) والشرك ( وانهم لكاذبون ) لانهم لوردوا لم يؤمنوا به ( وقالوا ) يعني كفار مكة ( أن هي الاحيوتنا الدنيا ) أي ما حياتنا الاحيوتنا الدنيا ( وما نحن بمبعوثين ) بعد الموت ( ولو ترى ) يا محمد ( اذ وقفوا ) يقول حبسوا ( على ربهم ) عند ربهم ( قال ) الله لهم ويقال تقول لهم الملائكة ( أليس هذا بالحق ) أليس هذا العذاب والبعث بعد الموت حق ( قالوا بلى وربنا ) انه

أفروا وأكذبوا الاقرار باليمين ( قال ) ﴿ ٣٩٩ ﴾ الله تعالى { سورة الانعام } فذوقوا العذاب بما كنتم

تكفرون ) بكفركم ( قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله ) بلوغ الآخرة وما يتصل بها وهو مجرى على ظاهره لان منكر البعث منكر للرؤية ( حتى ) غاية لكذبوا لاخسر لان خسراهم لا غاية له ﴿ بقية ﴾ لاخسر لان خسراهم لا غاية له ( اذا جاءتهم الساعة ) أى القيامة لان مدة تأخرها مع تأيد ما بعدها كساعة واحدة ( بقية ) فجأة وانتصاها على الحال يعنى باغته أو على المصدر كأنه قيل بقية الساعة بقية وهى ورود الشئ على صاحبه من غير علمه بوقته ( قالوا يا حسرتنا ) نداء تنجيع معناه يا حسرة احضرى فهذا أو أنك ( على ما فرطنا ) قصرنا ( فيها ) فى الحياة الدنيا أو فى الساعة أى قصرنا فى شأنها وفى الايمان بها ( وهم يحملون

لحق كما قالت الرسل ) قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ( تجحدون بالبعث بعد الموت ) ( قد خسروا ) الذين كذبوا بقاء الله ) بالبعث بعد الموت يقول انظرهم ( حتى اذا جاءتهم الساعة بقية ) فجأة ( قالوا يا حسرتنا ) يا حزناه أو ياندامناه ( على ما فرطنا فيها ) تركنا فى الدنيا يعنى

الايمان والتوبة ( وهم يحملون

﴿ قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ بسبب كفركم أو بسببه ﴿ قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله ﴾ اذا فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه ﴿ حتى اذا جاءتهم الساعة ﴾ غاية لكذبوا لاخسر لان خسراهم لا غاية له ﴿ بقية ﴾ فجأة ونصباها على الحال أو المصدر فأنها نوع من المجيء ﴿ قالوا يا حسرتنا ﴾ أى تعالى فهذا أو أنك ﴿ على ما فرطنا ﴾ قصرنا ﴿ فيها ﴾ فى الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجز ذكره علم بها أو فى الساعة يعنى فى شأنها والايمان بها ﴿ وهم يحملون

يعنى انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا وقالوا بلى والله انه لحق وقيل تقون نعم خزنة النار امر الله أليس هذا بالحق يعنى البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس رضى الله عنهما للقيامه مواقف فى موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفى موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه فى الدنيا ﴿ قال ورتوا العذاب ﴾ أى يقول الله لهم ذلك أو الخزنة تقول لهم ذلك بأمر الله تعالى وإنما خص لفظ الذوق لانهم فى كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق فى شدة الاحساس ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ يعنى هذا العذاب بسبب كفركم ووجودكم البعث بعد الموت ﴿ قوله عز وجل ﴾ قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله ﴿ يعنى خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى وبالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم فى دار النعيم المقيم وحصول العذاب الاليم فى دركات الجحيم ﴿ حتى اذا جاءتهم الساعة بقية ﴾ يعنى جاءتهم القيامة فجأة وسميت القيامة ساعة لانها تقبأ الناس بقية فى ساعة لا يعلمها أحد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فى الان حساب اخلايق يوم القيامة يكون فى ساعة أو أقل من ذلك ﴿ قالوا ﴾ يعنى منكرى البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم فى الكفر والاعتقاد ﴿ يا حسرتنا ﴾ يعنى ياندامتنا والحسرة التلهف على الشئ القاتل وذكرته على وجه النداء للمبالغة والمراد نبيه مخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة ﴿ على ما فرطنا ﴾ يعنى قصرنا ﴿ فيها ﴾ يعنى فى الدنيا لانها موضع التفريط فى الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التى فرطنا فيها فى دار الدنيا وقال محمد بن جرير الطبرى الهاء والالف فى قوله فيها تعود الى الصفة ولكن اكتفى بدلالة قوله قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله عليها من ذكرها اذ كان معلوما أن الخسران لا يكون الا فى صفقة بيع قد جرى ومعنى الآية قد وكس الذين كذبوا بقاء الله ببيعهم الايمان الذى يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذى يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بقية ورأوا ما لحقهم من الخسران فى بيوتهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبرى بسنده عن أبى سعاد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله يا حسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم فى الجنة فيقولون يا حسرتنا ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهم يحملون



أوزارهم على ظهورهم \* تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام \* الألساء ما يزرون \*  
بئس شيئاً يزرونه وزرهم \* وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو \* أى ومأعمالها الا لعب ولهو  
تلهى الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم

أوزارهم \* يعنى أثقالهم \* على ظهورهم \* والاوزار الخطايا والذنوب وأصل الوزر الثقل  
والحمل يقال يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب أوزار لانها تثقل ظهر من يحملها  
قال قتادة والسدى ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شئ صورة وأطيبه  
ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عمك الصالح فاركبنى فقد طالما ركبتك  
في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يعنى ركباناً وأما الكافر فيستقبله  
أفجع شئ صورة وأنته ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عمك الخبيث  
طالما ركبتنى في الدنيا فانا اليوم أركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون أوزارهم  
على ظهورهم وقال عمر بن هانىء يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كما  
رأى هول صورته وقبحه زاده خوفاً فيقول له بئس الجليس أنت فيقول أنا عمك  
طالما ركبتنى فألركبتك انيوم حتى أخزيتك على رؤس الخلائق فيركبه ويتخطى به  
الناس حتى يقف بين يدى ربه تعالى فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على  
ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر في الوزن فقد يذكر في الحال والصفة يقال  
ثقل على كلام فلان بمعنى كرهته فالعنى انهم يقاسون من ألم عقاب ذنوبهم مقاسة  
تثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم  
مجازاً عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الآية ان أوزارهم لا تزالهم كما تقول  
شخصه نصب عيني أى ذكره ملازمى \* الألساء ما يزرون \* يعنى بئس الشئ  
شيئاً يحملونه وقال ابن عباس رضى الله عنهما بئس الحمل حملوا \* قوله عز وجل  
\* وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو \* أى باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على  
منكري البعث في قولهم ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم  
ومكذباً لهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن أو الكافر  
قولان أحدهما أن المراد بها حياة الكافر لان المؤمن لا يزداد بحياته في الدنيا الا خيراً  
لانه يحصل في أيام حياته من الاعمال الصالحة والطاعة ما يكون سبباً لحصول السعادة  
في الآخرة وأما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس رضى الله  
عنهما يريد حياة أهل الشرك والنفاق والنول الثانى ان هذا عام في حياة المؤمن والكافر  
لان الانسان يلتذ باللعب والهوى ثم عند انقضائه تحصل له الحسرة والندامة لان الذى  
كان فيه من اللعب والهوى سريع الزوال لا بقاء له فبان بهذا التقرير ان المراد بهذه  
الحياة حياة المؤمن والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا باللعب والهوى لسرعة  
زوالها وقصر عمرها كالشئ الذى يلعب به وقيل معناه ان أمر الدنيا والعمل لها لعب  
ولهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وان كان وقوعه في الدنيا

أوزارهم ( أاثامهم  
( على ظهورهم )  
خص الظهر لان المعهود  
حمل الاثقال على الظهر  
كما عهد الكسب باليدى  
وهو مجاز عن اللزوم على  
وجهه لا يفارقهم وقيل  
ان الكافر اذا خرج من قبره  
استقبله أفجع شئ صورة  
وأخبثه ريحا فيقول أنا  
عمك السيء فطالما ركبتنى  
في الدنيا وأنا أركبك اليوم  
( الألساء ما يزرون ) بئس  
شيئاً يحملونه وأفادوا  
تعظيم ما يدكر بعده ( وما  
الحياة الدنيا الا لعب ولهو )  
جواب لقولهم ان هى الا  
حياتنا الدنيا واللعب والهوى  
ما ينفع بما لا ينفع والهوى  
الميل عن الجد الى الهزل قيل  
ما أهل الحياة الدنيا الا أهل  
لعب ولهو وقيل ما أعمال  
الحياة الدنيا الا لعب ولهو  
لانها لا تعقب منفعة كما تعقب  
أعمال الآخرة المنافع العظيمة

أوزارهم ( أاثامهم  
( على ظهورهم الألساء  
ما يزرون ) بئس ما يحملون  
من الذنوب ( وما الحياة  
الدنيا ) من الزهرة والنعيم  
( الا لعب ) فرح ( ولهو ) باطل

ان هى الاحياتنا الدنيا ﴿ ودار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ لدوامها وخلوص منافعتها  
ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ماليس من اعمال المتقين لعب ولهو \* وقرأ  
ابن عاصم ودار الآخرة ﴿ أفلا يعقلون ﴾ أى الامرين خير \* وقرأ نافع وابن عامر  
وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به أو تغليب الحاضرين  
على الغائبين ﴿ قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون ﴾ معنى قد زيادة الفعل وكثرته  
كافى قوله \* ولكنه قد يهلك المال نأمله \* والهاء فى انه للشان \* وقرئ ليحزنك من  
أحزن ﴿ فانهم لا يكذبونك ﴾ فى الحقيقة \* وقرأ نافع والكسائى لا يكذبونك من  
الكذب اذا وجد كاذبا أو نسبه الى الكذب ﴿ ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾  
ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم  
ظلموا بجحودهم أو جحدوا لتمرهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب \*  
روى أن أبا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا

وقيل معناه ومثاهل الحياة الدنيا الا أهل لعب ولهو لانه لا يجدى شياً ولاشغالهم عما  
أمروا به نسبوا الى اللعب واللهو \* وقوله عز وجل ﴿ ولدار الآخرة ﴾ يعنى الجنة  
واللام فيه لام القسم تقديره والله لدار الآخرة ﴿ خير ﴾ يعنى من الدنيا وأفضل  
لان الدنيا سريعة الزوال والاقطاع ﴿ للذين يتقون ﴾ يعنى الشرك وقيل يتقون  
اللعب واللهو ﴿ أفلا يعقلون ﴾ ان الآخرة خير من الدنيا فيعملون لها \* قوله عز وجل  
﴿ قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون ﴾ يعنى قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذى يقوله  
المشركون لك قال السدى التقي الاخنس ابن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الاخنس  
لابى جهل يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هنا أحديسمع  
كلامك غيرى فقال أبو جهل والله ان محمد الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا  
ذهب بنوقصى باللواء والسقاية والحجابه والندوة والنوبة فاذا يكون لسائر قریش  
فانزل الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نكذبك  
ولانك نكذب ولكننا نكذب الذى جئت به فانزل الله هذه الآية عن على بن أبى طالب أن  
أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لانك نكذب ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله  
فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون أخرجه الترمذى من طريقين  
وقال فى أحدهما وهذا أصح فى هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية عما  
يواجهه قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقة وانه ليس بكذاب وانما جلهم على تكذبه  
فى الظاهر الحسد والظلم ﴿ فانهم لا يكذبونك ﴾ يعنى أنهم لا يكذبونك فى السر لانهم  
قد عرفوا انك صادق ﴿ ولكن الظالمين ﴾ يعنى الكافرين ﴿ بآيات الله يجحدون ﴾  
يعنى فى العالنية وذلك انهم جحدوا القرآن بعد معرفة صدق الذى أنزل عليه لعنادهم  
وكفرهم كما قال تعالى فى حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا  
وقيل ظاهر الآية يدل على أنهم لم يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانما جحدوا آيات الله

والآخرة باقية (قد نعلم انه ليحزنك) يا محمد (قا و خا ٥١ نى) (الذى يقولون) من الطعن والتكذيب وطلب الآية  
(فانهم) يعنى حرث بن عامر وأصحابه (لا يكذبونك) فى السر (ولكن الظالمين) المشركين (بآيات الله) فى العالنية (يجحدون)

المرسل ( ولقد كذبت رسل من قبلك ) تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك اذا اهانته بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني ( فصبروا ) والصبر حبس النفس على المكروه ( على { الجزء السابع } ما كذبوا وأوذوا ) ﴿ ٤٠٢ ﴾ على تكذيبهم وايدانهم ( حتى

اناهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ان النصر رسلنا ( ولقد جاءك من نبي المرسلين ) بعض انبأهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين وأجاز الاخفش ان تكون من زائدة والناعل نبي المرسلين وسيبويه لا يجيز زيادتها في الواجب كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم وينجب مجيء الآيات ليسلوا فنزل ( وان كان كبر عليك ) عظم وشق ( اعراضهم ) عن الاسلام ( فان استطعت ان تبغى نفقا ) منفذا تنفذ فيه الى ماتحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها ( في الارض ) صفة لنفقا ( أو سلما في السماء )

ولقد كذبت رسل من قبلك ) كذبهم قومهم كما كذبك قومك ( فصبروا على ما كذبوا ) على ما كذبهم قومهم ( وأوذوا ) وصبروا

فنزلت ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك ﴾ تسليمة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا ﴿ فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ﴾ على تكذيبهم وايدانهم فتأس بهم واصبر ﴿ حتى اناهم نصرنا ﴾ فيه ايعاء بوعد النصر للصابرين ﴿ ولا مبدل لكلمات الله ﴾ لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ﴿ ولقد جاءك من نبي المرسلين ﴾ أي من قصصهم وما كابدوا من قومهم ﴿ وان كان كبر عليك ﴾ عظم وشق ﴿ اعراضهم ﴾ عنك وعن الايمان بما جئت به ﴿ فان استطعت ان تبغى نفقا في الارض أو سلما في السماء

وهي القران الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى فانهم لا يكذبونك لانهم قد عرفوا صدقك وانما جحدوا صحة نبوتك ورسالتك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد كذبت رسل من قبلك ﴾ يعني ولقد كذبت الامم الخالية رسلهم كما كذبك قومك ﴿ فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ﴾ يعني ان الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على اذاهم فاصبر أنت يا محمد على تكذيب قومك واذاهم لك كاصبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم وازالة حزنه على تكذيب قومه له واذاهم اياه ﴿ حتى اناهم نصرنا ﴾ يعني باهلاك من كذبهم ﴿ ولا مبدل لكلمات الله ﴾ يعني ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال الله تعالى كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ولاخلف فيما وعد الله به ﴿ وقوله عز وجل ﴾ ولقد جاءك من نبي المرسلين ﴾ يعني ولقد أنزلت عليك في القران من أخبار المرسلين ما فيه تسليمة لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما تقول أصابنا من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبياء واخبارهم كما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ﴿ قوله عز وجل ﴾ وان كان كبر عليك اعراضهم ﴾ ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية ان الحرث بن عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقال ائتنا بأية كما كانت الانبياء تأتي قومها بالآيات فان فعلت آمانتك فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما ومعنى الآية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض على ايمان قومه أشد الحرص وكان اذا سأله آية أحب ان يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل ﴿ فان استطعت أن تبغى ﴾ يعني تطلب وتنفذ ﴿ نفقا في الارض ﴾ يعني سربا في الارض والنفق سرب في الارض تخلص منه الى مكان آخر ﴿ أو سلما في السماء ﴾

على اذى قومهم ( حتى اناهم نصرنا ) بهلاك قومهم ( ولا مبدل لكلمات الله ) لا مغير لكلمات الله بالضرورة ( يعني ) لا وليا له على اعدائه ( ولقد جاءك ) يا محمد ( من نبي ) خبر ( المرسلين ) كيف كذبهم قومه كما كذبك قومك فصبروا على ذلك ( وان كان كبر ) عظم ( عليك اعراضهم ) تكذبتهم ( فان استطعت ) قدرت ( ان تبغى ) ان تطلب ( نفقا ) سربا ( في الارض ) فتدخل فيه ( أو سلما في السماء ) أو سببا وطريقا تصدق فيه

فأتيتهم (منها) (بآية) فافعل وهو جواب فان استطعت وان استطعت وجوابها جواب وان كان كبير والمعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاتي بهار جاء ايمانهم (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) ﴿٤٠٣﴾ لجمعهم بحيث { سورة الانعام } يختارون الهدى ولكن لما علم انهم يختارون الكفر لما يشأن

يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله (فلا تكون من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر ان حرصه على هدايتهم لا ينفع اعدم سمعهم كالموتى بقوله (انما يستجيب الذين يسمعون) أي انما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم (والموتى) مبتدأ أي الكفار (بسمعهم) الله ثم اليه يرجعون (فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا) وقالوا لولا نزل عليه (هلا أنزل عليه) (آية من ربه) كما تقترح من جعل الصفادها وتوسيع

الى السماء (فأتيتهم بآية) يقول تنزل بالآية التي طلبوها فتفعل (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) على التوحيد (فلا تكون من الجاهلين) بمقدوري عليهم بالكفر (انما يستجيب) يؤمن ويطيع (الذين يسمعون) يصدقون ويقال يعقلون الموعظة (والموتى) يعني موتى يوم بدر ويوم أحد ويوم الاحزاب ويقال

فأتيتهم بآية ﴿﴾ منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية أو معصدا تصعد به الى السماء فتزل منها آية وفي الارض صفة لفقها وفي السماء صفة لسما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبغى أو حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض أو من فوق السماء لاتي بهار جاء ايمانهم ﴿﴾ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴿﴾ أي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئة فلا تنهاك عليه والمعتزلة أولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملحثة ولكن لم يفعل لخزوجه عن الحكمة ﴿﴾ فلا تكون من الجاهلين ﴿﴾ بالحرص على ما لا يكون والخزع في مواطن الصبر فان ذلك من ذاب الجهلة ﴿﴾ انما يستجيب الذين يسمعون ﴿﴾ انما يجب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله أو اتى السمع وهو شهيد وهو لاء كالموتى الذين لا يسمعون ﴿﴾ والموتى يسمعون الله ﴿﴾ فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ﴿﴾ ثم اليه يرجعون ﴿﴾ وللجزاء ﴿﴾ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ﴿﴾

يعنى أو تتخذ مصعدا الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة ﴿﴾ فأتيتهم بآية ﴿﴾ يعنى بالآية التي سألوها ومعنى الآية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب في الارض أو تصعد الى السماء فأتيتهم بآية تدلهم على صدقك فافعل وانما حسن حذف جواب الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتأذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه ﴿﴾ قوله عز وجل ﴿﴾ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴿﴾ أخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم انما تركوا الايمان وأعرضوا عنه وأقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ قضاءه فيهم وانه لو شاء لجمعهم على الهدى ﴿﴾ فلا تكون من الجاهلين ﴿﴾ يعنى بان لو شاء الله لجمعهم على الهدى وانه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشتد تحسرك على تكذيبهم اياك ولا تجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاء عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيداً له عن هذه الحالة ﴿﴾ قوله عز وجل ﴿﴾ انما يستجيب الذين يسمعون ﴿﴾ يعنى المؤمنين الذين فتح الله أسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه ويتفعلون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله ﴿﴾ والموتى ﴿﴾ يعنى الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون ﴿﴾ يسمعون الله ﴿﴾ يعنى يوم القيامة ﴿﴾ ثم اليه يرجعون ﴿﴾ فيجزئهم باعمالهم ﴿﴾ وقالوا ﴿﴾ يعنى رؤساء كفار قريش ﴿﴾ لولا ﴿﴾ يعنى هلا ﴿﴾ نزل عليه آية من ربه ﴿﴾ يعنى الملك ليشهد لمحمد بالنبوة وقيل

الموتى القلوب (بسمعهم الله) بعد الموت (ثم اليه يرجعون) في المحشر فيجزئهم باعمالهم (وقالوا) يعنى كفار مكة حرث بن عامر وأصحابه وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأمية وأبي بن خلف والنضر بن الحرث (لولا) هلا (نزل عليه آية) علامة (من ربه)

أى آية مما اقترحوه أو آية أخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا ﴿ قل ان الله قادر على أن ينزل آية ﴾ ﴿ مما اقترحوه أو آية تضطربهم الى الايمان كنتق الجبل أو آية ان حجدوها هلكوا ﴾ ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجاب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره . وقرأ ابن كثير ينزل بالتحفيف والمعنى واحد ﴿ وما من دابة في الارض ﴾ ﴿ تدب على وجهها ﴾ ولا طائر يطير بجناحيه ﴿ في الهوى ﴾ وصفه قطعاً لمجاز السرعة ونحوها . وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل ﴿ الا أم أمثالكم ﴾ محفوظه احوولها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجع الامم للحمل على المعنى

الآية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبياء ﴿ قل ﴾ ﴿ يعنى قل لهم يا محمد ﴾ ان الله قادر على أن ينزل آية ﴿ يعنى انه تعالى قادر على ايجاد ما طلبوه وانزال ما اقترحوه من الآيات والمعجزات الباهرات ﴾ ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ﴿ يعنى ماذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون ان الله قادر على انزال الآيات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة في انزالها ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أم أمثالكم ﴾ قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما أن تدب على الارض أو يطير في الهواء حتى ألحقوا حيوان الماء بالطير لان الحيتان تسبح في الماء كما ان الطير يسبح في الهواء وانما خص ما في الارض بالذكر دون ما في السماء وان كان ما في السماء مخلوقه لان الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتوكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الا أم أمثالكم قال مجاهد أى أصناف مصنفة تعرف باسمائها يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف باسمائها مثل بنى آدم يعرفون باسمائهم كما يقال الانس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب أمة ما روى عن عبدالله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهم أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطير أم أمثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فيما يظهر لنا فوجه هذه المماثلة قلت اختلاف العلماء في وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلى له كما أنكم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما أنكم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض ويألف بعضها بعضا كما ان جنس الانسان يألف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل أمثالكم في ثلاث الرزق وتوقى المهالك ومعرفة الذكر والانثى وقيل أمثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجما من القرناء وهو قوله عز وجل

أرض مكة وتفجير الانهار  
خلالها ( قل ان الله قادر  
على أن ينزل آية ) كما اقترحوها  
( ولكن أكثرهم لا يعلمون )  
ان الله قادر على أن ينزل  
تلك الآية أولا يعلمون  
ما عليهم في الآيه من البلاء  
لو انزلت ( وما من دابة )  
هى اسم لما يدب وتقع  
على المذكر والمؤنث ( في  
الارض ) في موضع جر  
صفة لدابة ( ولا طائر يطير  
بجناحيه ) قيد الطيران  
بالجناحين لنفى المجاز لان  
غير الطائر قد يقال فيه طار  
اذا أسرع ( الا أم أمثالكم )  
في الخلق والموت والبعث  
والاحتياج الى مدبر يدبر

لنبوته ( قل ) لهم يا محمد  
( ان الله قادر على أن ينزل  
آية ) كما طلبوا ( ولكن  
أكثرهم لا يعلمون ) ما لهم  
علم بنزولها ( وما من دابة  
في الارض ولا طائر يطير  
بجناحيه ) بين السماء والارض  
( الا أمم ) خلق عبيد  
( أمثالكم ) أى مخلوق أشباهكم  
في الاكل والجماع يفقه  
بعضها عن بعض كما يفقه  
بعضهم عن بعض آية لكم

أمرها (ما فرطنا) ما تركنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شيء) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت أو الكتاب القرآن وقوله من شيء أي من شيء يحتاجون اليه فهو مشتق على ما تعبدنا به عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماة من القرناء ثم يقول كوني ترابا وانما قال الامم مع افراد الدابة والطيور لمعنى الاستعراق فيهما وما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال (والذين ﴿٤٠٥﴾ كذبوا بآياتنا ﴿سورة الانعام﴾ صم) لا يسمعون كلام المنبه

(وبكم) لا ينطقون  
 بالحق خابطون  
 (في الظلمات) أي ظلمة  
 الجهل والحيرة والكفر  
 غافلون عن تأمل ذلك  
 والتفكر فيه صم وبكم  
 خبر الذين ودخول الواو  
 لا يمنع من ذلك وفي الظلمات  
 خبر آخر ثم قال ايذا أنا به  
 فعال لما يريد (من يشأ الله  
 يضلله) أي من يشأ الله  
 ضلاله يضلله (ومن يشأ  
 يجعله على صراط مستقيم)  
 وفيه دلالة خلق الافعال  
 واردة المعاصي ونفي

(ما فرطنا في الكتاب)  
 ما تركنا من الذي كتبنا  
 في اللوح المحفوظ (من شيء)  
 شيئا الا ذكرناه في القرآن  
 (ثم إلى ربهم) يعني الطيور  
 والدواب (يحشرون)  
 مع سائر الخلق يوم القيامة  
 (والذين كذبوا بآياتنا)  
 محمد و القرآن  
 (صم) بالقلوب ويقال  
 يتصامون عن الحق (وبكم)  
 يتباكون عن الحق والهدى

﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ يعني اللوح المحفوظ فإنه مشتق على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهل فيه أمر حيوان أو جاد أو القرآن فإنه قد دون فيه ما يحتاج إليه من امر الدين مفصلا أو مجلا ومن مزيدة وشئ في موضع المصدر لا المقبول به فإن فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى إلى الكتاب \* وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماة من القرناء وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ﴾ لا يسمعون مثل هذه الآيات الدلالة على ربوبيته وكال علمه وعظم قدرته سمعا تتأثر به نفوسهم ﴿ وبكم ﴾ لا ينطقون بالحق ﴿ في الظلمات ﴾ خبر ثالث أي خابطون في ظلمات الكفر أو في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر ﴿ من يشأ الله يضلله ﴾ من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ﴿ ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ بأن

﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ يعني في اللوح المحفوظ لانه يشمل جميع أحوال مخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن يعني ان القرآن مشتق على جميع الاحوال ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ يعني الدواب والطيور قال ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها وقال أبو هريرة رضي الله عنه يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فيأخذ للجماة من القرناء ثم يقول كوني ترابا (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماة من الشاة القرناء ﴿ قوله عز وجل ﴾ والذين كذبوا بآياتنا ﴿ يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بجميع الله وأدله على توحيدہ ﴿ صم ﴾ يعني عن سماع الحق ﴿ وبكم ﴾ يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم ﴿ في الظلمات ﴾ يعني في ظلمات الكفر حائرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا ﴿ من يشأ الله يضلله ﴾ يعني عن الايمان ﴿ ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم ﴾ يعني ومن يشأ يجعله الله على دين الاسلام في هذا دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى فمن أحب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان به ومن أحب ضلاله تركه على كفره وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ﴿ قوله عز وجل

(في الظلمات) أي هم على الكفر (من يشأ الله يضلله) يمتعه على الكفر (ومن يشأ يجعله) يمتعه (على صراط مستقيم) على طريق قائم يرضيه ويقال من يشأ الله يضلله يتركه مخذولا ومن يشأ يجعله يده ويوفقه ويثبتته على صراط مستقيم على طريق قائم يرضاه

الاصح ( قل أرأيتمكم ) وبثنيين الهمزة مدني وبتركة على ومعناه هل علمت ان الامر كما يقال لكم فاخبروني بما عندكم والضمير الثاني لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتمكم ( ان أنا كم عذاب الله أو أنتكم الساعة ) من تدعون ثم بكتهم { الجزء السابع } بقوله ( أغير الله ٤٠٦ ) تدعون أي أنخصون آلهتم بالدعوة

يرشده الى الهدى ويحملة عليه ﴿ قل أرأيتمكم ﴾ استفهام تعجب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتمك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق أو المفعول محذوف تقديره أرأيتمكم آلهتم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارأيتمكم وارايت وارايتم وافرأيتم وافرأيت وشبهه اذا كان قبل الراء همزة تسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يحذفها اصلا والباقون يحققونها وحزة اذا وقف وافق نافعا ﴿ ان أنا كم عذاب الله ﴾ كما اتى من قبلكم ﴿ أو أنتكم الساعة ﴾ وهولها ويدل عليه ﴿ أغير الله تدعون ﴾ وهو تبيكت لهم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف أي فادعوه ﴿ بل اياه تدعون ﴾ بل تخصصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص ﴿ فيكشف ما تدعون اليه ﴾ أي ما تدعونه الى كشفه ﴿ ان شاء ﴾ ان يفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة ﴿ وتنسون ما تشركون ﴾ وتتركون آلهتم في ذلك الوقت لما ركز في العقول من انه القادر على كشف الضردون غيره أو وتنسونه من شدة الامر وهوله ﴿ ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك ﴾ أي قبلك ومن زائدة

﴿ قل أرأيتمكم ﴾ يعني قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبروني تقول العرب أرأيتمك بمعنى أخبرنا بحالك وأصله أرأيتم والكاف فيه للتأكيد ﴿ ان أنا كم عذاب الله ﴾ يعني قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية الكافرة من الفرق والخنسف والمسح والصواعق ونحو ذلك من العذاب ﴿ أو أنتكم الساعة ﴾ يعني القيامة ﴿ أغير الله تدعون ﴾ يعني في كشف العذاب عنكم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعني في دعواكم ومعنى الآية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام فقبل لهم أترجعون الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تصدون ولا تطعون في حال اليسر والرخاء ﴿ بل اياه تدعون ﴾ يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم ﴿ فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ﴾ يعني فيكشف الضر الذي من أجله دعوتوه وانما قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشيئة الله تعالى ﴿ وتنسون ما تشركون ﴾ يعني وتتركون دعاء الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها العلمكم انها لا تنفع ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسها وهذا معنى قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها عرض الناس لها ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك ﴿ في الآية

فيما هو عادتكم اذا أصابكم  
ضر أم تدعون الله دونها  
( ان كنتم صادقين ) في ان  
الاصنام آلهة فادعوها  
لتخلصكم ( بل اياه تدعون )  
بل تخصصونه بالدعاء دون  
الآلهة ( فيكشف ما تدعون  
اليه ) أي ما تدعونه الى  
كشفه ( ان شاء ) ان أراد  
أن يفضل عليكم ( وتنسون  
ما تشركون ) وتتركون  
آلهتم أولا تذكرون  
آلهتم في ذلك الوقت لان  
أذهانكم مغمورة بذكر  
ربكم وحده اذ هو القادر  
على كشف الضر دون

غيره ويجوز أن يتعلق  
الاستخبار بقوله أغير الله  
تدعون كانه قيل أرأيتمكم  
أغير الله تدعون ان أنا كم  
عذاب الله ( ولقد أرسلنا  
الى أمم من قبلك ) رسلا  
فالمفعول محذوف فكذبوهم

( أغير الله تدعون ) بكشف العذاب ( أن كنتم صادقين ) اجيبوا ان كنتم صادقين ان الاصنام شركاؤه ( بل اياه تدعون ) ( محذوف )  
اليه الذي تدعون أي انهم لا يدعون غير الله وانما يدعون الله عز وجل ليكشف عنهم العذاب ( فيكشف ما تدعون  
اليه ان شاء وتنسون ) تتركون ( ما تشركون ) به من الاصنام فلا تدعونهم ( ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك ) كما أرسلناك

( فأخذناهم بالبأساء والضراء ) بالبؤس والضر والاول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان الانفس والاموال  
( لعلمهم يتضرعون ) يتدللون ويتخشعون ﴿ ٤٠٧ ﴾ لربهم ويتوبون { سورة الانعام }

﴿ فأخذناهم ﴾ أى فكفروا وكذبوا المرسلين فأخذناهم ﴿ بالبأساء ﴾ بالشدة والفقير  
﴿ والضراء ﴾ الضر والآفات وهما صيغتان ثابتتان لا مذكر لهما ﴿ لعلمهم يتضرعون ﴾ يتدللون لنا  
ويتوبون عن ذنوبهم ﴿ فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ﴾ معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع  
قيام ما يدعوهم أى لم يتضرعوا ﴿ ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾  
استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الاقساوة قلوبهم  
واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان لهم ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ﴾  
ولم يتعظوا به ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل شئ ﴾ من أنواع النعم مراوحة عليهم  
بين نوبى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة  
للذلة أو مكرا بهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة \* وقرأ  
ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن وواقفه يعقوب فيما عدا هذا والذي فى الاعراف  
﴿ حتى اذا فرحوا ﴾ اعجبوا ﴿ بما أوتوا ﴾ من النعم ولم يزيدوا على البطر

مخدوف والتقدير ولقد أرسلنا الى أم من قبلك يا محمد رسلا فخالقوهم وكفروا وحسن  
هذا الحذف لكونه معلوما عند السامع ﴿ فأخذناهم بالبأساء ﴾ يعنى بالفقر الشديد  
وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء شدة الجوع ﴿ والضراء ﴾  
يعنى الامراض والايوجاع والزمانة ﴿ لعلمهم يتضرعون ﴾ يعنى يخضعون ويتوبون  
والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد وأصله من الضراعة وهى  
الذلة ومقصود الآية ان الله تعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد أرسل من قبله رسلا  
الى أقوام بلغوا فى القسوة الى ان أخذوا بالبأساء والضراء وهى الشدة فى النفس والمال  
فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ فلولا ﴾ يعنى فهلا  
﴿ اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ﴾ معناه نفي التضرع فلم يتضرعوا ﴿ ولكن قست قلوبهم ﴾  
يعنى ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخشع بل أقاموا على كفرهم وتكذيبهم رسلهم

﴿ وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ يعنى من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان  
اغواؤه بما فى المعصية من الذلة قال ابن عباس ضى الله عنهما يزيدون الشيطان الضلالة التى  
كانوا عليها فأصروا على معاصى الله عز وجل ﴿ قوله عز وجل ﴾ فلما نسوا ما ذكروا به ﴿  
أى تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى  
الترك لان التارك للشئ معرض عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسى ﴿ فتحنا عليهم أبواب كل  
شئ ﴾ يعنى بدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة فى الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة  
والسلامة فى الأبدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحنا عليهم أبواب  
كل شئ من الخير كان مغلقا عنهم ﴿ حتى اذا فرحوا بما أوتوا ﴾ يعنى فرحوا بما أوتوا

فهلا ( اذ جاءهم بأسنا ) عذابنا ( تضرعوا ) آمنوا ( ولكن قست ) جفت ويديت ( قلوبهم ) وزين لهم الشيطان ما كانوا  
يعملون ( فى كفرهم ) أن حال الدنيا هكذا تكون شدة ثم نعمة ( فلما نسوا ما ذكروا به ) تركوا ما أمروا به فى الكتاب ( فتحنا عليهم  
أبواب كل شئ ) من الزهرة والخصب والنعيم ( حتى اذا فرحوا ) أعجبوا ( بما أوتوا ) اعطوا من الزهرة والخصب



والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه سبحانه وتعالى ﴿ أخذناهم بغتة فاذا هم ملبسون ﴾ متحسرون آيسون ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾ أى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبوراً اذا تبعه ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ على اهلاكهم فأن هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شئوم عقابهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها ﴿ قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم ﴾ اصمكم واعماكم ﴿ وختم على قلوبكم ﴾ بأن يعطى عليها ما يزول

من السعة والرخاء والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا أن ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاماً من الله تعالى فانهم لما وقع الله عليهم ما وقع من الخير والسعة فرحوا به وظنوا أن ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كافر فرح قارون بما أوتي من الدنيا ﴿ أخذناهم بغتة ﴾ يعنى جاءهم عذابنا فجأة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال أهل المعاني انما أخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لتحسروهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فاخذناهم في آمن ما كانوا أو اعجب ما كانت الدنيا اليهم ﴿ فاذا هم ملبسون ﴾ أى آيسون من كل خير وقال الفراء الملبس الناس المنقطع رجاءه ولذلك يقال لمن بسكت عند انقطاع حجه ولا يكون له جواب قد أبلس وقال الزجاج الملبس الشايد الحزن والحسرة وقال أبو عبيدة الملبس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبه بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانا ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية ذكره البغوى بغير سند واسنده الطبرى ﴿ قوله عز وجل ﴾ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴿ أى آخرهم الذى يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا كان آخرهم والمعنى انهم استؤصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شأقتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة أنعم الله بها على الرسل الذين أرسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليماً للرسل ولبن آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهم اذا هلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله وأهل طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستئصالهم بالعذاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل أرأيتم ﴿ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴾ ان أخذ الله سمعكم ﴿ يعنى الذى تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيئاً ﴾ وأبصاركم ﴿ يعنى وأخذنا بصركم التى تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا شيئاً أصلاً ﴾ وختم على قلوبكم ﴿ يعنى حتى لا تفقهوا شيئاً أصلاً ولا تعرفوا شيئاً مما تعرفون من أمور الدنيا وأما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها أشرف أعضاء الانسان فاذا تطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد أمره وبطلت مصالحه في الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم الختار وتقديره ان القادر

بغتة فاذا هم ملبسون) آيسون متحسرون وأصله الاطراق حزناً لما أصابه أوندما على ما فاتته واذا للمفاجأة ( فقطع دابر القوم الذين ظلموا ) أى اهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد ( والحمد لله رب العالمين ) ايذان بوجود الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من أجل النعم وأجزل القسم أو اجدوا الله على اهلاك من لا يحمد الله ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله ( قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم ) بان أصمكم وأعماكم ( وختم على قلوبكم ) فسلب العقول

والنعيم (أخذناهم بغتة) فجأة بالعذاب ( فاذا هم ملبسون ) آيسون من كل خير ( فقطع دابر ) غاية ( القوم الذين ظلموا ) اشر كواى استؤصلوا بالهلاك ( والحمد لله ) قل الحمد لله والشكر لله ( رب العالمين ) على استئصالهم ( قل أرأيتم ) ما تقولون يا أهل مكة ( ان أخذ الله سمعكم ) فلم تسمعوا موعظة ولا

والتمييز ( من الله غير الله يأتيكم به ) بما أخذو ختم عليه من رفع بالابتداء والخبيرة وغير صفة لاله وكذا يأتيكم والجملة في موضع مفعولى رأيتم وجواب الشرط محذوف ( انظر كيف نصرف ) لهم ( الآيات ) نكررها ( ثم هم يصدفون ) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها والصدف الاعراض عن الشيء ( قل رأيتم ان انا كم عذاب الله بقتة ) بان لم تظهر أماراته ( أوجهرة ) بان ظهرت أماراته ﴿ ٤٠٩ ﴾ وعن الحسن ليلا { سورة الانعام } أو نهارا ( هل يهلك الا القوم

الظالمون ) ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم برهم ( وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ) بالجنان والنيبان للمؤمنين والكفار ولن نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة ( فن آمن وأصلح ) أى داوم على ايمانه ( فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون )

فلا خوف يعقوب ( والذين كذبوا بآياتنا يسعهم العذاب ) جعل العذاب ما ساكانه حتى يفعل بهم ما يريد من الآلام ( بما كانوا يفسقون ) بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر

فلم تعقلوا الحق والهدى ( من الله غير الله ) يعنى الاصنام ( يأتيكم به ) بما اخذ الله منكم ( انظر ) يا محمد ( كيف نصرف الآيات ) نبين القرآن لهم ( ثم هم يصدفون ) يعرضون

به عقلمكم وفهمكم ﴿ من الله غير الله يأتيكم به ﴾ أى بذلك أو بما أخذ وختم عليه أو بأحد هذه المذكورات ﴿ انظر كيف نصرف الآيات ﴾ نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين ﴿ ثم هم يصدفون ﴾ يعرضون عنها وهم لا استبعض الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها ﴿ قل رأيتم ان انا كم عذاب الله بقتة ﴾ من غير مقدمة ﴿ أوجهرة ﴾ يتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا أو نهارا وقرئ بقتة أو جهرة ﴿ هل يهلك ﴾ أى ما يهلك به هلاك وسخط وتعذيب ﴿ الا القوم الظالمون ﴾ ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء ﴿ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ﴾ المؤمنين بالجنة ﴿ ومنذرين ﴾ الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلمى بهم ﴿ فن آمن وأصلح ﴾ ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ من العذاب ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ بفوات الثواب ﴿ والذين كذبوا بآياتنا يسعهم العذاب ﴾ جعل العذاب ما سالهم كأنه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾

على ايجاد هذه الاعضاء وأخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التى تعبدونها وهو قوله تعالى ﴿ من الله غير الله يأتيكم به ﴾ يعنى يأتيكم بما أخذ الله منكم لان الضمير في به يعود على معنى الفعل ويجوز أن يعود على السمع الذى ذكر أو لا ويندرج تحته غيره ﴿ انظر ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره أى انظر يا محمد ﴿ كيف نصرف الآيات ﴾ يعنى كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة ﴿ ثم هم يصدفون ﴾ يعنى يعرضون عنها مكذبين لها ﴿ قل رأيتم ان انا كم عذاب الله بقتة ﴾ يعنى فجأة ﴿ أوجهرة ﴾ يعنى معاينة ترويه عند نزوله وقال ابن عباس رضى الله عنهما ليلا ونهارا ﴿ هل يهلك الا القوم الظالمون ﴾ يعنى المشركين لانهم ظلوا أنفسهم بالشرك ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما نرسل المرسلين الا مبشرين ﴿ يعنى لمن آمن بالثواب ﴾ ومنذرين ﴿ يعنى لمن أقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس فى ارسالهم أن يأتيوا الناس بما يقترحون عليهم من الآيات انما أرسلوا بالبشارة والندارة ﴿ فن آمن وأصلح ﴾ يعنى آمن بهم وأصلح العمل لله ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ يعنى حين يخاف أهل النار ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ أى اذا حزن غيرهم ﴿ والذين كذبوا بآياتنا يسعهم العذاب ﴾ يعنى يصيبهم العذاب ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ يعنى بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون

كذبون الآيات ( قل رأيتم ) ( قا و خا ٥٢ نى ) يا أهل مكة ( ان انا كم عذاب الله بقتة ) فجأة ( أوجهرة ) معاينة ( هل يهلك ) بالعذاب ( الا القوم الظالمون ) العاصون للأمر وابه ويقال المشركون ( وما نرسل المرسلين الا مبشرين ) بالجنة لمن آمن به ( ومنذرين ) من النار لمن كفر ( فن آمن ) بالرسول والكتب ( وأصلح ) فيما بينه وبين ربه ( فلا خوف عليهم ) اذا خاف أهل النار ( ولا هم يحزنون ) اذا حزنوا ( والذين كذبوا بآياتنا ) بجمد القرآن ( يسعهم العذاب ) يصيبهم العذاب ( بما كانوا يفسقون )

( قل لأقول لكم عندي خزائن الله ) أى قسمه بين الخاق وأرزاقه ومحل (ولأعلم الغيب) النصب عطف على محل عندي خزائن الله لانه من جملة المقول { الجزء السابع } كأنه قال لأقول ﴿ ٤١٠ ﴾ لكم هذا القول ولا هذا القول ( ولا

بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ﴾ مقدوراته أو خزائن رزقه ﴿ ولأعلم الغيب مالم يوحى الى ﴾ ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ﴿ ولا أقول لكم أنى ملك ﴾ أى من جنس الملائكة وأقدر على ما يقدرون عليه ﴿ أن أتبع الامايوحى الى ﴾ تبرأ عن دعوى الالهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وحزمهم على فساد مدعاه ﴿ قل هل يستوى الاعمى والبصير ﴾ مثل للضال والمهتدى أو الجاهل والعالم أو مدعى المستحيل كالالوهة والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ فتهتدوا أو فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل أو فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا يحصى عنه ﴿ وأنذره ﴾ الضمير لما يوحى الى

عن الطاعة ﴿ قوله تعالى ﴾ قل لأقول لكم ﴿ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين لأقول لكم ﴿ عندي خزائن الله ﴾ نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فامر الله تعالى أن يقول لهم انما بعثت بشيرا ونديرا ولا أقول لكم عندي خزائن الله جمع خزائنه وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشئ وخزن الشئ احرازه بحيث لاتناله الايدى والمعنى ليس عندي خزائن رزق الله فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه أن يوسع علينا عيشنا ويعفى فقرنا فاخبر ان ذلك بيدى الله لا بيدى ﴿ ولأعلم الغيب ﴾ يعنى فاخبركم بما مضى وما سيقع فى المستقبل وذلك أنهم قالوا له أخبرنا بمصالحنا ومضارنا فى المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولأعلم الغيب فاخبركم بما تريدون ﴿ ولا أقول لكم انى ملك ﴾ وذلك أنهم قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ويتزوج النساء فاجابهم بقوله ولا أقول لكم انى ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست أقول شئ من ذلك ولا ادعيه فتفكرون قولى وتجددون أمرى وانما نطقى عن نفسه الشريفة هذه الاشياء تواضعا لله تعالى واعترافا له بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الآيات العظام ﴿ ان أتبع الامايوحى الى ﴾ يعنى ما أخبركم الابوحى من الله انزله على ومعنى الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلمهم انه لا يملك خزائن الله التى منها يرزق ويعطى وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما أخبر عنه من غيب يوحى الله اليه وظاهر الآية يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد فى شئ من الاحكام بل جميع أوامره ونواهيه انما كانت بوحى من الله اليه ﴿ قل هل يستوى الاعمى والبصير ﴾ يعنى المؤمن والكافر والضال والمهتدى والعالم والجاهل ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ يعنى أنهما لا يستويان ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأنذره ﴿ يعنى وخوف بالقرآن

أقول لكم انى ملك ) أى لا ادعى ما يستبعد فى العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية وانما ادعى ما كان لكثير من البشر وهو النبوة ( ان أتبع الامايوحى الى ) أى ما أخبركم الانما أنزل الله

على ( قل هل يستوى الاعمى والبصير ) مثل للضال والمهتدى أو لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع أو لمن يدعى المستقيم وهو النبوة والحال وهو الالهية ( أفلا تتفكرون ) فلاتكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أنى ما ادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى الى مما لا بدلى منه ( وأنذره )

يكفرون ب محمد والقرآن ( قل ) يا محمد لاهل مكة ( لا أقول لكم عندي خزائن ) مفاتيح خزائن ( الله ) من النبات والثمار والامطار والعذاب ( ولأعلم الغيب ) من نزول العذاب ( ولا أقول لكم انى ملك ) من السماء ( ان أتبع ) ما أعمل شئاً ولا أقول ( الا ما يوحى الى ) الا ما امرت فى القرآن ( قل ) يا محمد

لاهل مكة ( هل يستوى الاعمى والبصير ) الكافر والمؤمن فى الطاعات والثواب ( أفلا تتفكرون ) فى أمثال القرآن ( والاندان ) نزلت هذه الآية من قوله قل لأقول لكم الى ههنا فى ابى جهل وأصحابه الحرث وعينته ثم نزل فى الموالى ( وأنذره ) خوف بالقرآن

بما يوحى (الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) هم المسلمون المقرون بالبعث إلا أنهم مقرطون في العمل فينذرهم بما أوحى إليه أو أهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) في موضع الحال من يحشروا أى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا بهم ﴿٤١١﴾ (لعلهم يتقون) يدخلون {سورة الانعام} في زمرة أهل التقوى ولما

أمر النبي عليه السلام بانذار غير المتقين ليتقوا أمر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أى عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام أو معناه يصلون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس بالغداة والعشي ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم

ويقال بالله (الذين يخافون) يعلمون ويستيقنون منهم بلال بن رباح وصهيب ابن سنان ومهجع بن صالح وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وعامر بن فهيرة وخباب بن الارت وسالم مولى أبى حذيفة (أن يحشروا إلى ربهم) بعد الموت (ليس لهم من دونه ولى) حافظ يحفظهم (ولا شفيع) يشفع لهم وينجيهم من العذاب غير الله (لعلهم يتقون) لكي يتقوا المعاصى ويكون عوناً لهم

﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ هم المؤمنون المقرطون في العمل أو المجوزون للحشر مؤمناً كان أو كافراً مقرباً أو متردداً فيه فإن الإنذار يجمع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحاثته ﴿ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع﴾ في موضع الحال من يحشروا فإن الخوف وهو الحشر على هذه الحالة ﴿لعلهم يتقون﴾ لكي يتقوا ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ بعدما أمره بانذار غير المتقين ليتقوا أمره بأكرام المتقين وتقريبهم وإن لا يطردهم ترصية لقريش روى أنهم قالوا لو طردت هؤلاء الأعبدة يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان رضى الله عنهم جلسنا اليك وحادثناك فقال ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فاقهم عنا إذا جئناك قال نعم وزوى أن عمر رضى الله تعالى عنه قال له لو فعلت حتى نظر إلى ماذا يصيرون فدعا بالضعيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب فتزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر

والإنذار اعلام مع تحوير ﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ قال ابن عباس يريد المؤمنين لأنهم يخافون يوم القيامة وما فيه من شدة الأهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكنابى وإنما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وإن كان إنذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لأن الحجية عليهم أوكد من غيرهم لاعترافيهم بجملة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لأنهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون أن يحشروا إلى ربهم وقيل المراد بالإنذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكربه لأنه ليس أحداً لا هو يخاف الحشر سواء اعتدق وقوعه أو كان يشك فيه ولأن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وإنذاره لجميع الخلق ﴿ليس لهم من دونه﴾ يعنى من دون الله ﴿ولى﴾ أى قريب يفهمهم ﴿ولا شفيع﴾ يعنى يشفع لهم ثم أنفسنا الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم أن المراد بهم الكفار فلا إشكال فيه لقوله تعالى مالا ظالمين من جهم ولا شفيع يطاع وإنفسنا الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم أن المراد بهم المؤمنون ففيه إشكال لأنه قد ثبت بصحیح النقل شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمذنبين من أمته وكذلك تشفع الملائكة والانبيا والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الإشكال أن الشفاعة لا تكون إلا بأذن الله لقوله عز وجل من ذالذى يشفع عنده إلا بأذنه وإذا كانت الشفاعة بأذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع يعنى حتى يأذن الله لهم فى الشفاعة فإذا أذن فيها كان للمؤمنين ولى وشفيع ﴿لعلهم يتقون﴾ يعنى ما نهيتهم عنه ﴿قوله عز وجل﴾ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي

فى الطاعة (ولا تطرد) يا محمد يقول عيينة بن الحصن الفزارى حيث قال اطرده هؤلاء عنك حتى يجى إليك أشرف قومك ويسمعوا كلامك ورؤموا بك وطلبوا أياضاً من عمر أن يقول للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل مجلسك يوماً لنا ويوماً لهم فلم يرض الله بذلك ونهاهم عن ذلك فقال ولا تطرد (الذين يدعون ربهم) يعنى سلمان وأصحابه من الموالى بعد دون ربهم (بالغداة والعشي) غدوة وعشية

وقرأ ابن عامر بالعدوة هنا وفي الكهف ﴿ يريدون وجهه ﴾ حال من يدعون أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورب النهي

يريدون وجهه ﴿ قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفاء المؤمنين فلما رأوه حوله حقر وهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونقيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الاعداء فاذا نحن جئناك فاقهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقدهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فأتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذنزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فآتينا وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فانزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنومنه حتى كانت ركبتا خمس ركبتا فاذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن اصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات وروى عن سعد ابن أبي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله أن يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له يعني أشرف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لأفعل قالوا فاجعل المجلس واحدا وأقبل علينا وولظهورك اليهم فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن أم عبد يعني ابن مسعود لبايعناك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود مرملأ من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهؤلاء بدلا من قومك هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا ونحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم فملك ان طردتهم أن تبعتك فنزلت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطمع بن عدى والحارث بن نوفل في أشرف بني عبد مناف من أهل الكفر الى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا فانهم عبيدنا وعسافونا كان أعظم

بقوله ( يريدون وجهه ) فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته نزلت في الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال رؤساء المشركين لو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا بذلك كتابا فدعا عليا رضى الله عنه ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت فرمى عليه الصلاة والسلام بالصحيفة وأنى الفقراء فماتتهم بالصلوات الخمس ( يريدون وجهه ) يريدون بذلك وجه الله ورضاه

عليه اشعارا بأنه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم ﴿ ما عليك من حسابهم من شئ ﴾  
وما من حسابك عليهم من شئ ﴿ أى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله  
كان اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار  
بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فأن كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره  
المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك  
لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم أى من فقرهم وقيل الضمير  
للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولاهم بحسابك حتى يهتك ايمانهم بحيث تطرد

فى صدورنا وأطوعه عندنا وأدى لاتباعنا اياه وتصديقنا له فأتى أبو طالب النبى صلى الله  
عليه وسلم فحدثه بالذى كلفه به فقال عمر بن الخطاب لوفعلت ذلك حتى ننظر ما الذى  
يريدون والى ماذا يصيرون فانزل الله عز وجل هذه الآية وأندبه الذين يخافون أن  
يخشروا الى ربهم الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من مقاتله قلت بين  
هذه الروايات والرواية الاولى التى عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم  
وهو ان اسلام سلمان كان بالمدينة وكان اسلام المؤلفة قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام  
مكية والصحيح ما روى عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة فى ذلك ويعضده حديث سعد  
ابن أبى وقاص المخرج فى صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اطرد  
هؤلاء يعنى ضعفاء المسلمين والله أعلم وأما معنى الآية فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم  
بالغداة والعشى الخطاب فيه للنبى صلى الله عليه وسلم يعنى ولا تطرد هؤلاء الضعفاء  
عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون  
ربهم بالغداة والعشى قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى يعبدون ربهم بالغداة والعشى  
يعنى صلاة الصبح وصلاة العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين  
الوقتين تبيينها على شرفهما ولانهم مواظبون عليهما مع بقية الصلوات ولان الصلاة  
تشمئ على القراءة والدعاء والذكركر فعب بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح  
مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس القاص فقال سعيد بن المسيب ما أسرع الناس  
الى هذا المجلس فقال مجاهد يتأولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشى قال أوفى  
هذا انما هو فى الصلاة التى انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان ناسا من  
الفقراء كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اشراف الناس تؤمن لك واذا  
صلينا فأخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذكركر  
والمعنى انهم كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفى النهار يريدون وجهه يعنى يطلبون  
بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين فى عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى  
﴿ ما عليك من حسابهم من شئ ﴾ وما من حسابك عليهم من شئ ﴿ يعنى لا تكلف أمرهم  
ولا يكلفون أمرك وقيل ما عليك حساب رزقهم فتملهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم  
انما الرزق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك

( ما عليك من حسابهم من شئ )  
كقوله ان حسابهم الا على  
ربى ( وما من حسابك  
عليهم من شئ ) وذلك  
انهم طعنوا فى دينهم  
واخلاصهم فقال حسابهم  
عليهم لازم لهم لا يتعداهم  
اليك كما ان حسابك عليك  
( ما عليك من حسابهم ) من  
مؤنتهم ( من شئ وما من  
حسابك ) من مؤنتك ( عليهم  
من شئ )

لا يتعدك اليهم ( فتطردهم ) جواب النفي وهو ما عليك من حسابهم ( فتكون من الظالمين ) جواب النهي وهو ولا تطرد ويجوز أن يكون عطفاً على { الجزء السابع } فتطردهم على ﴿ ٤١٤ ﴾ وجه التسبب لان كونه ظالم مسبب عن

طردهم ( وكذلك فتنا بعضهم بعض ) ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الاغنياء بالفقراء ( ليقولوا ) أى الاغنياء ( أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ) أى أنعم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون والرؤساء نهم الفقراء انكاراً لان يكون أمثالهم على الحق ومثونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيراً ماسبقونا اليه ( أليس الله باعلم بالساكرين ) بمن يشكر نعمته

فتطردهم ( لا تطردهم ) ( فتكون من الظالمين ) من الضارين بنفسك ( وكذلك ) هكذا ( فتنا ) استلينا ( بعضهم بعض ) امرى بالمولى والشريف بالوضع نزلت هذه الآية في عينه بن حصن الفزاري وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأميه بن خلف الجمحي والوليد بن المغيرة المخزومي وأبي جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وأشابههم من الرؤساء ابتلوا بالموالى ( ليقولوا ) اى يقولوا يعنى عينه بن حصن الفزاري وأصحابه ( أهؤلاء ) سلمان وأصحابه ( من الله

المؤمنين طمعا في ايمانهم ﴿ فتطردهم ﴾ فتبعدهم وهو جواب النفي ﴿ فتكون من الظالمين ﴾ جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر ﴿ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ﴾ ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا أى ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشرف قريش بالسبق الى الايمان ﴿ ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ﴾ أى أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيراً ماسبقونا اليه واللام للعاقبة أو للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا ﴿ أليس الله باعلم بالساكرين ﴾ بمن يقع منه الايمان والشكر فيوقفه وعن لا يقع منه فيخذه

﴿ فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ يعنى بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفي وهو قوله ما عليك من حسابهم من شئ وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا أن نبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدر في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا لهم لمصلحة وهى التلطف بهؤلاء الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى أن ادناه هؤلاء الفقراء أولى من لهم بطردهم فقر بهم منه وأدناهم وأما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين فان الظلم في اللغة وضع الشئ في غير موضعه فيكون المعنى ان أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلا يتم بطردهم عنك فتضع الشئ في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لان من باب ترك الواجبات والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ﴿ يعنى وكذلك ابتلينا الفتنى بالفقير والفقير بالفنى والشريف بالوضع والوضع بالشريف فكل أحد مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم وامامتة الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم ﴿ ليقولوا ﴾ يعنى الاغنياء والشرفاء والرؤساء ﴿ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ﴾ يعنى من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فأجابهم بقوله ﴿ أليس الله باعلم بالساكرين ﴾ يعنى انه تعالى أعلم بخلقهم وبأحوالهم واعلم بالساكرين من الكافرين ﴿ قوله عز وجل

( واذا )

عليهم) بالايمان (من بيننا ليس الله باعلم بالساكرين) بالمؤمنين لمن كان أهلاً

( واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ) اما ان { سورة الانعام } يكون أمرا بتبليغ سلام الله

اليهم واما أن يكون أمرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطيبا لقلوبهم وكذا قوله ( كتب ربكم على نفسه الرحمة ) من جملة ما يقول لهم ليشركهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدمكم بالرحمة وعدم مؤكدا ( انه ) الضمير للشأن ( من عمل منكم سوءا ) ذنبا ( بجهالة ) في موضع الحال أي علمه وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة أو جعل جاهلا لا يشاره المعصية على الطاعة ( ثم تاب من بعده ) من بعد السوء والعمل ( وأصلح ) وأخلص توبته ( فانه غفور رحيم ) أنه فانه شامى وعاصم الاول بدل رحمة والثاني خبر مبتدأ محذوف أي فسأته أنه غفور رحيم أنه فانه مدنى الاول بدل الرحمة والثاني مبتدأ أنه فانه غيرهم على الاستئناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل

لذلك ( واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ) بكتابتنا ورسولنا عمر بن الخطاب ( فقل ) يا محمد ( سلام عليكم ) قبل ربكم توبتكم وعذرهم ( كتب ربكم ) أو جب ربكم ( على نفسه الرحمة ) لمن تاب ( انه من عمل منكم سوءا ) ذنبا ( بجهالة ) بتمدوان كان جاهلا بعقوبته ( ثم تاب من بعده ) من بعد السوء ( وأصلح ) فيما بينه وبين ربه ( فانه غفور ) شجاع

﴿ واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم أو يبلغ سلام الله اليهم ويشرهم بسعة رحمة الله تعالى وفضله بعد النهي عن طردهم ايدانا بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا ينزل ويشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظيما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت ﴿ انه من عمل منكم سوءا ﴾ استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها ﴿ بجهالة ﴾ في موضع الحال أي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضى الله تعالى عنه فيما اشار اليه أو ملتبساً بفعل الجاهلة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من من افعال اهل السفه والجهل ﴿ ثم تاب من بعده ﴾ من بعد العمل أو السوء ﴿ وأصلح ﴾ بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه ﴿ فانه غفور رحيم ﴾ فتحه من فتح الاول

﴿ واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ﴾ قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذارهم بدأهم بالسلام وقال عطاء نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم بن أبي عبيدة ومصعب بن عمير وحزرة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن أبي الارقم وأبي سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الآية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من مقاله التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما أردت الا الخير نزلت واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ﴿ كتب ربكم ﴾ يعني فرض ربكم وقضى ربكم ﴿ على نفسه الرحمة ﴾ وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه تعالى يتصرف في عباده كيف يشاء وأراد فأوجب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين ﴿ انه من عمل منكم سوءا بجهالة ﴾ قال مجاهد كل من عمل ذنبا أو خطيئة فهو جاهل واختلقوا في سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب ومافاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة الا انه آثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل ومن آثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا ﴿ ثم تاب من بعده ﴾ يعني من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه ﴿ وأصلح ﴾ يعني أصلح العمل في المستقبل وقيل أخلص توبته وندم على فعله ﴿ فانه غفور ﴾ يعني لمن تاب من ذنوبه ﴿ رحيم ﴾ بعباده قال خالد بن دينار كنا اذا دخلنا على أبي العالقة قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية عن سعيد الخدري قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليسترب بعض من العري وقارى يقرأ علينا اذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكنت القارى فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا

( بجهالة ) بتمدوان كان جاهلا بعقوبته ( ثم تاب من بعده ) من بعد السوء ( وأصلح ) فيما بينه وبين ربه ( فانه غفور ) شجاع



منكم ( وكذلك فصل الآيات ولتستبين ) وبالبناء حزة وعلى وأبو بكر ( سبيل المجرمين ) بالنصب مدنى غيره بالرفع فرغ السبيل مع التاء والياء لأنها تذكر وتؤنث { الجزء السابع } ونصب السبيل ﴿ ٤١٦ ﴾ مع التاء على خطاب الرسول صلى الله

عليه وسلم يقال استبان الامر وتبين واستبينته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل الذين فصل آيات القرآن ونخلصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى اسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلامهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل ( قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ) أى صرفت وزجرت بأدلة العقل والسمع عن عبادة

ماتعدون من دون الله ( قل لا أتبع أهواءكم ) أى لأجرى في طريقكم التى سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذى منه وقعوا في الضلال ( قد ضللت اذا ) أى ان

لمن تاب ( وكذلك ) هكذا ( فصل الآيات ) نبين القرآن بالامر والنهى وخبرهم ( ولتستبين سبيل المجرمين ) طريق المشركين عينه وأصحابه لم لا يؤمنون ( قل ) يا محمد لعينة وأصحابه ( انى

غير نافع على اضممار مبتدأ أو خبرى أى فأمره أو فله غفرانه ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك التفصيل الواضح ﴿ فصل الآيات ﴾ أى آيات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصيرين منهم والواابين ﴿ ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلامهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عاصم وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بلىء والرفع على تكثير السبيل فإنه يذكر ويؤنث ويجوز أن يعطف على علة مقدره أى فصل الآيات ليظهر الحق وليستبين ﴿ قل انى نهيت ﴾ صرفت وزجرت بما نصبلى من الادلة وانزل على من الآيات في امر التوحيد ﴿ أن أعبد الذين تدعون من دون الله ﴾ عن عبادة ما تعبدون من دون الله أو ماتدعونها آلهة أى تسمونها ﴿ قل لا أتبع أهواءكم ﴾ تأكيد لقطع اطمئاعهم وإشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجھال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وانما هم عليه هوى وليس يهدى وتنبه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد ﴿ قد ضللت اذا ﴾ أى ان اتبعت أهواءكم فقد ضللت

يارسول الله كان قارى لنا يقرأ علينا وكنا نستمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا ففعلقوا وبرزت وجوههم قال فأرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحدا غيرى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام أخرجه أبو داود ﴿ قوله عز وجل ﴾ ( وكذلك فصل الآيات ) يعنى وكافصلنا لك يا محمد في هذه السورة دلالاتنا على صحة التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نميز ونبين لك أدلة حججنا وبراهيننا على تقرير كل حق ينكره أهل الباطل ﴿ ولتستبين ﴾ قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وليظهر لك الحق يا محمد ويتبين لك ﴿ سبيل المجرمين ﴾ يعنى طريق هؤلاء المجرمين وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار ﴿ قوله عز وجل ﴾ ( قل ) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ﴾ يعنى نهيت أن أعبد الاصنام التى تعبدونها أنتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدا بكم من دون الله لان الجمادات أخس من أن تعبدوا وتدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى ﴿ قل لا أتبع أهواءكم ﴾ يعنى في عبادة الاصنام وطردهم الفقراء ﴿ قد ضللت اذا ﴾ يعنى اذ عبدتها

نهيت ) في القرآن ( أن أعبد الذين تدعون ) تعبدون ( من دون الله ) من الاوثان ( قل ) يا محمد ( وما انا ) لعينة وأصحابه ( لا أتبع أهواءكم ) في عبادة الاصنام وطردهم وسلمان وأصحابه عنى ( قد ضلت ) عن الهدى ( اذا ) ان فعلت ذلك

اتبعت أهواءكم فأنا ضال ( وما أنا من المهتدين ) وما أنا من المهتدين في شيء يعني أنكم كذلك ولما نفي أن يكون الهوى متبعا عليه على ما يجب اتباعه بقوله ( قل انى على بينة من ربي ) أى انى من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة ( وكذبتم به ) حيث أشركتم به غيره ﴿ ٤١٧ ﴾ وقيل على بينة من ربي { سورة الانعام }

القرآن وكذبتم به بالبينه وذكر الضمير على تأويل البرهان أو البيان أو القرآن ثم عقبه بمادل على أنهم أحق بأن يعاقبوا بالعذاب فقال ( ما عندي ما تستعجلون به ) يعنى العذاب الذى استعجلوه فى قولهم فأمر الله علينا حجارة من السماء ( ان الحكم الا لله ) فى تأخير عذابكم ( يقص الحق ) مجازى وعاصم أى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره

الباقون يقص الحق فى كل ما يقضى من التأخير والتعجيل فالحق أى القضاء الحق صفة لمصدر يقضى وقوله ( وهو خير الفاصلين ) أى القاضين بالقضاء الحق اذا فصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط

لا تباغ اللفظ لالتقاء الساكنين ( قل لو ان عندى ) أى فى قدرتى وامكاني ( ما تستعجلون به ) من العذاب

( وما أنا من المهتدين ) للصواب بعلمى ان طرتهم ( قل ) يا محمد للنضربن الحارث وأصحابه ( انى

﴿ وما أنا من المهتدين ﴾ أى وما أنا فى شيء من الهدى حتى أكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك ﴿ قل انى على بينة ﴾ تنبيه على ما يجب اتباعه بعدما بين مالا يجوز اتباعه والبينه الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحى أو الحجج العقلية أو ما يعمها ﴿ من ربي ﴾ من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة ﴿ وكذبتم به ﴾ الضمير لربى أى كذبتم به حيث أشركتم به غيره أو للبينة باعتبار المعنى ﴿ ما عندي ما تستعجلون به ﴾ يعنى العذاب الذى استعجلوه بقولهم فأمر الله علينا حجارة من السماء أو أننا بعذاب اليم ﴿ أن الحكم الا لله ﴾ فى تعجيل العذاب وتأخيره ﴿ يقص الحق ﴾ أى القضاء الحق أو يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل وتأخيره واصل القضاء الفصل تمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه يمنع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الأثر أو من قص الخبر ﴿ وهو خير الفاصلين ﴾ القاضين ﴿ قل لو ان عندى ﴾ أى فى قدرتى ومكنتى ﴿ ما تستعجلون به ﴾ من العذاب

﴿ وما أنا من المهتدين ﴾ يعنى لو عبدتها ﴿ قل ﴾ يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ انى على بينة من ربي ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التى تفصل بين الحق والباطل والمعنى انى على بيان وبصيرة فى عبادة ربي ﴿ وكذبتم به ﴾ يعنى وكذبتم بالبيان الذى جئت به من عند ربي وهو القرآن والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التى تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك ﴿ ما عندي ما تستعجلون به ﴾ يعنى العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد أننا بما تعدنا يعنى من نزول العذاب فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما عندي ما تستعجلون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يقدر أحد على تقديمه ولا تأخيره وقبل كانوا يستعجلون بالآيات التى طلبوها واقتروها فأعلم الله ان ذلك عنده ليس عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴿ أن الحكم الا لله ﴾ يعنى الحكم الذى يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصى أى ما الحكم المطلق الا لله ليس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضى بانزال العذاب اذا شاء ﴿ يقص الحق ﴾ قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما أخبر به فهو حق وقرئ يقص بالضاد المعجمة من القضاء يعنى انه تعالى يقص القضاء الحق ﴿ وهو خير الفاصلين ﴾ يعنى وهو خير من بين وفصل وميز بين الحق والباطل لانه لا يقع فى حكمه وقضائه جور ولا حيف على أحد من خلقه ﴿ قل لو ان عندى ما تستعجلون به ﴾

على بينة من ربي ) على بيان من ربي ( قا و خا ٥٣ نى ) وبصيرة من امرى ودينى ( وكذبتم به ) بالقرآن والتوحيد ( ما عندي ما تستعجلون به ) من العذاب ( أن الحكم ) ما الحكم بنزول العذاب ( الا لله يقص الحق ) يحكم بالعدل ويأمر بالحق ( وهو خير الفاصلين ) أفضل القاضين ( قل ) يا محمد ( لو ان عندى ما تستعجلون به ) من العذاب

لقضى الامر بينى وبينكم ) فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أوردع ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ) المفاتيح جمع مفتاح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب والرزق أو ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والاحوال جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح يتوصل بها الى ما فى الخزائن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتيحها وكيفية فتحها توصل اليها فاراد أنه هو المتوصل الى المفاتيح وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتيح اقفال الخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما فى الخازن قيل عنده مفاتيح الغيب وعندك مفاتيح العيب فمن آمن بعباده أسبل الله الستر على عيبه (لقضى الامر بينى وبينكم) لفرغ من هلاككم ( والله أعلم بالظالمين ) بتوبة المشركين النضر واصحابه فوقع بالنضر بن الحرث العذاب الذى سأل فقتل صبيا يوم بدر ( وعنده مفاتيح الغيب ) خزائن الغيب المطر والنبات والثمار ونزول العذاب الذى

تلقى الامر بينى وبينكم لاهلككم عاجلا غضب الربى وانقطع ما بينى وبينكم والله أعلم بالظالمين فى معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الامر الى الله سبحانه وتعالى وهو أعلم عن يفتى ان يؤخذو بن بنى ان يعمل منهم وعنده مفاتيح الغيب خزائنه جمع مفتاح الميم وهو الخزن أو ما يتوصل به الى المفاتيح مستعار من المفاتيح الذى هو جمع مفتاح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده ان قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المفاتيح المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم أوقاتها وما فى تحيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته

يعنى من انزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت العبلة مذمومة والاسراع تقديم الشيء فى وقته فلذلك كانت السرعة مجودة والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب لو أن عندى ما تستعجلون به لم أمهلكم ساعة ولكن الله حلیم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل لقضى الامر بينى وبينكم يعنى لا انفصل ما بينى وبينكم ولأنكم ما تستعجلون به من العذاب والله أعلم بالظالمين يعنى انه أعلم بما يستحقون من العذاب والوقت الذى يستحقونه فيه وقيل علم أنه سيؤمن بعض من كان يستعجل بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين ويا حوالهم قوله عز وجل وعنده مفاتيح الغيب الذى يفتح به المغلاق جمعه مفاتيح ويقال فيه مفتاح بكسر الميم وجمعه مفاتيح والمفتح يفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصف من الاشياء فهي مفتاح وجمعه مفاتيح فقوله وعنده مفاتيح الغيب يحتمل أن يكون المراد منه المفاتيح التى يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزانة فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح هى التى يتوصل بها الى ما فى الخزانة المستوثق منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك ههنا لان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها ومالم يغيب عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثانى يكون المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلف أقوال المفسرين فى قوله وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو فقيل مفاتيح الغيب خمس وهى ما روى عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون فى غد الا الله ولا يعلم أحد ما يكون فى الارحام الا الله ولا تعلم نفس ما ذاتكسب غدا ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يدرى أحد متى يمى المطر وفى رواية أخرى لا يعلم أحد ما تفيض الارحام الا الله ولا يعلم ما فى غد الا الله ولا يعلم متى يأتى المطر أحد الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله أخرجه البخارى وقال الضحاك ومقاتل مفاتيح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الآجال وعلم احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد أن يكون اذ يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود أوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء الامفاتيح الغيب وقال ابن عباس رضى الله عنهما انها خزائن غيب السموات

حكيمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ﴿ ويعلم ما في البر والبحر ﴾ عطف للاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمفنيات به ﴿ وما تسقط من ورقة الا يعلمها ﴾ مسالفة في احاطة علمه بالجزئيات ﴿ ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس ﴾ معطوفات على ورقة وقوله ﴿ الا في كتاب مبين ﴾ بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله سبحانه وتعالى أو بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة والارض من الاقدار والارزاق ﴿ ويعلم ما في البر والبحر ﴾ قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القري والامصار لا يحدث فيها شيء الا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروفان لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه ﴿ وما تسقط من ورقة الا يعلمها ﴾ يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقى على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان تسقط على الارض ﴿ ولا حبة في ظلمات الارض ﴾ قيل هو الحب المعروف يكون في بطن الارض قبل ان ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في أسفل الارضين ﴿ ولا رطب ولا يابس ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحى واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء اما رطبة واما يابسة فان قلت ان جميع هذه الاشياء داخلة تحت قوله وعنده مفتح الغيب فلم أفرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال الله تعالى وعنده مفتح الغيب على سبيل الاجال ذكر من بعد ذلك الاجال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقري والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان واصناف المخلوقات مما يعجز الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو اقل من ذلك وهو مشاهد لكل أحد لان الورقة الساقطة والثابتة يراها كل أحد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو اصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثلا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ الا في كتاب مبين ﴾ فيه قولان أحدهما ان الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يغير ولا يبدل والثاني ان المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض وقائمة احصاء الاشياء كلها في هذا الكتاب لتقف الملائكة على انصاف علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم عباده انه لا يفوته شيء مما يصنعونه لان من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع ﴿ قوله عز وجل

( ويعلم ما في البر ) من النبات والذواب ( والبحر ) من الحيوان والجواهر وغيرهما ( وما تسقط من ورقة الا يعلمها ) ما لنقى ومن الاستسراق أى يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده ( ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس ) عطف على ورقة وداخل في حكمها وقوله ( الا في كتاب مبين ) كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها معنى الا في كتاب مبين واحد وهو علم الله أو اللوح ثم

ويعلم ما في البر والبحر ) من الخلق والعجائب ويقال ويعلم ما يهلك في البر والبحر ( وما تسقط من ورقة ) من الشجر ( الا يعلمها ) كم دوران تدور ( ولا حبة في ظلمات الارض ) تحت الصخرة التي أسفل الارضين الا يعلمها ( ولا رطب ) يعنى الماء ( ولا يابس ) يعنى البادية ( الا في كتاب مكتوب ) ( مبين ) كل ذلك في اللوح المحفوظ مبين مقدارها ووقتها

خاطب الكفرة بقوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي يقبض أنفسكم عن التصرف بالتسام في المنام (ويعلم ما جرحتم بالنهار) كسبتم فيه من الآثام (ثم يعثكم فيه) ثم يوقظكم في النهار أو التقدير ثم يعثكم في النهار ويعلم ما جرحتم فيه فقدم الكسب لانه أهم وليس فيه أنه لا يعلم ما جرحنا بالليل ولأنه لا يتوفانا بالنهار فدل ان تخصيص الشيء بالذکر لا يدل على نفي ما عداه (ليقضى أجل مسمى) توفي في الآجال على الاستكمال (ثم اليه مرجعكم) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثم ينبتكم بما كنتم {الجزء السابع} تعملون) في بليكم ونهاركم ﴿٤٢٠﴾ قال بعض أهل الكلام ان لكل حاسة

من هذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التي تحيا بها النفس فانها لا تقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد بالارواح المعاني والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والاخذ والمنى والشم ومعنى ثم يعثكم فيه أي يوقظكم ويرد اليكم أرواح الحواس فيستدل به على منكرى البعث لانه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم يردها اليها فكذا يحيى الانفس بعد موتها (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد اذا تفكروا ان صحائفهم تقرأ على رؤس

أو رفعا على الابتداء والخبر الا في كتاب مبین ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ﴾ ينبتكم فيه ويراقبكم استمير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء تماما ﴿ ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ﴿ ثم يعثكم ﴾ يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي ﴿ فيه ﴾ في النهار ﴿ ليقضى أجل مسمى ﴾ ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ﴿ ثم اليه مرجعكم ﴾ بالموت ﴿ ثم ينبتكم بما كنتم تعملون ﴾ بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه سبحانه وتعالى مطلع على اعمالكم يعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبتكم بما كنتم تعملون بالجزاء ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ﴾ ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد

﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ﴾ يعني يقبض أرواحكم اذا نتم بالليل ﴿ ويعلم ما جرحتم ﴾ ما كسبتم ﴿ بالنهار ثم يعثكم فيه ﴾ أي يوقظكم فيه أي في النهار ﴿ ليقضى أجل مسمى ﴾ يعني أجل الحياة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام ﴿ ثم اليه مرجعكم ﴾ في الآخرة ﴿ ثم ينبتكم ﴾ أي يخبركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ قوله عز وجل ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ يعني وهو العالی عليهم بقدرته لان كل من قهر شيئا وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال أمر فلان فوق امر فلان يعني أنه أقدر منه وأغلب هذا مذهب أهل التأويل في معنى لفظه فوق في قوله ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ وأما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تأويل ولا اطلاق على جهة والناهر هو الغالب لغيره المذلل له والله تعالى هو القاهر خلقه وقهر كل شيء بضده فقهر الحياة بالموت والايجاد بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ويرسل عليكم حفظة ﴿ يعني أن من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون أعمال نبي آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل ان مع كل انسان ملكين ملكا عن يمينه وملكا عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة

(وهو الذي يتوفاكم بالليل) يقبض ارواحكم في المنام (ويعلم ما جرحتم)

ما كسبتم (بالنهار ثم يعثكم) يرديكم أرواحكم (فيه) في النهار (ليقضى أجل مسمى) لكي يتم أجلها (موكلين) ورزقها (ثم اليه مرجعكم) بعد الموت (ثم ينبتكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) من الخير والشر (وهو القاهر) (فوق عباده) على عباده (ويرسل عليكم حفظة) من الملائكة ملكين بالنهار وملكين بالليل يكتبون حسناتكم

الاشهاد ( حتى اذا جاء أحدكم الموت) حتى لغاية حفظ الاعمال أى وذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحياة الى ان يأتيه  
المات (توفته رسلنا) أى استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه توفيه واستوفيه بالامالة جزرة رسلنا أبو عمرو (وهم لا يفرطون)  
لا يتوانون ولا يؤخرون (ثم ردوا الى الله) الى ﴿ ٤٢١ ﴾ حكمه { سورة الانعام } وجزائه أى رد التوفون

برد الملائكة (مولاهم)  
مالكهم الذى يلى عليهم  
أمورهم (الحق) العدل  
الذى لا يحكم الا بالحق  
وهما صفتان لله (ألا اله الحكم)  
يومئذ لا حكم فيه لغيره  
(وهو أسرع الحاسبين)  
لا يشغله حساب عن حساب  
يحاسب جميع الخلق فى  
مقدار حلب شاة وقيل  
الردالى من ربك خير  
من البقاء مع من آذاك (قل)  
من ينجيكم) ينجيكم عباس  
(من ظلمات البر والبحر)  
محاز عن مخاوفهما  
وأهوالهما

وسياتكم (حتى اذا جاء  
أحدكم الموت) حضره  
الموت (توفته رسلنا)  
قبضه ملك الموت وأعوانه  
(وهم) يعنى ملك الموت  
واعوانه (لا يفرطون)  
لا يؤخرون الميت طرفة  
عين (ثم ردوا الى الله)  
يوم القيامة (مولاهم الحق)  
وليهم بالثواب والعقاب  
بالحق والعدل ويقال  
مولاهم الحق معبودهم  
بالحق ولكن لم يعبدوه  
بالحق غاية عبادته وكل

على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المظلمين عليه ﴿ حتى اذا جاء  
أحدكم الموت توفته رسلنا ﴾ ملك الموت واعوانه وقرأ جزء توفاه بالالف مماله ﴿ وهم  
لا يفرطون ﴾ بالتوانى والأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم  
زيادة أو نقصان ﴿ ثم ردوا الى الله ﴾ الى حكمه وجزائه ﴿ مولاهم ﴾ الذى  
يتولى امرهم ﴿ الحق ﴾ العدل الذى لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح  
﴿ ألا اله الحكم ﴾ يومئذ لا حكم فيه لغيره ﴿ وهو أسرع الحاسبين ﴾ بحاسب الخلائق فى  
مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ﴾  
من شدائد هما استعيرت الظلمة للشدّة لمشاركتهما فى الهول وابطال الابصار فقيل  
لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذوكواكب او من أخسف فى البر والفرق فى البحر وقرأ

مؤكلين بالانسان أنه اذا علم أن له حافظا من الملائكة مؤكلا به يحفظ عليه أقاله وأفعاله  
فى صحائف تنشره وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤس الاشهاد كان ذلك زاجرا له عن فعل  
القبيح وترك المعاصى وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون  
بني آدم ويحفظون أجسادهم قال قتادة حفظة يحفظون على ابن آدم رزقه وأجله وعمله  
﴿ حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا ﴾ يعنى أعوان ملك الموت المؤكلين بقبض  
أرواح البشره فان قلت قال الله تعالى فى آية الله يتوفى الانفس حين موتها وقال فى آية أخرى  
قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات  
قلت وجه الجمع بين هذه الآيات أن المتوفى فى الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد  
أمر الله ملك الموت بقبض روحه وملك الموت أعوان من الملائكة يأمرهم بنزع روح  
ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الخلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه فحصل الجمع  
بين الآيات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع  
تعظيماله وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شاء  
وجعلته أعوان يتزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال أيضا ما من أهل بيت شعر  
ولامدراو ملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه  
يدعوها فتستجيب له ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهم لا يفرطون ﴿ يعنى الرسل لا يقصرون  
فيما أمروا به ولا يضيعونه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ﴿ يعنى ثم رد  
العباد بالموت الى الله فى الآخرة وانما قال مولاهم الحق لانهم كانوا فى الدنيا تحت أيدى  
موال بالباطل والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق ﴿ ألا اله الحكم ﴾ يعنى لا حكم الا اله  
﴿ وهو أسرع الحاسبين ﴾ يعنى انه تعالى أسرع من حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد  
يدفحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل من ينجيكم من  
ظلمات البر والبحر ﴿ يعنى يا محمد قل لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون الله من ذا

معبود غير الله باطل (ألا اله الحكم) القضاء بين العباد يوم القيامة (وهو أسرع الحاسبين) اذا حاسب فحسابه سريع  
(قل) يا محمد لكفار مكة (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر)

أو ظلمات البر الصواعق والبحر الامواج وكلاهما في الغيم والليل (تدعونه) حال من ضمير المفعول في ينجيكم (تضرعا) معلنين الضراعة وهو مصدر في موضع الحال وكذا (وخفية) أي مسرين في أنفسهم خفية حيث كان أبو بكر وهما لغتان (أثن أنجانا) { الجزء السابع } عاصم وبالإمالة ﴿ ٤٢٢ ﴾ حزة وعلى الباقون أنجيتنا والمعنى

يقولون لأن خلاصنا (من هذه) الظلمات (لنكونن) من الشاكرين (لله تعالى) (قل الله ينجيكم) بالتشديد كوفي (منها) من الظلمات (ومن كل كرب) (وغم وحزن) (ثم أنتم تشركون) ولا تشركون (قل هو القادر) هو الذي عرفتموه قادر أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس (على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب القبل الحجازية (أو من تحت أرجلكم) كما غرق فرعون وخسف بقارون أو من قبل سلاطينكم

يعقوب ينجيكم بالتحفيف والمعنى واحد ﴿ تدعونه تضرعا وخفية ﴾ معلنين ومسرين أو اعلانا واسرارا وقري وخفية بالكسر ﴿ لأن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾ على ارادة القول أي تقولون لأن أنجيتنا وقرأ الكوفيون لأن أنجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة ﴿ قل الله ينجيكم منها ﴾ شدة الكوفيون وهشام وخففه الباقون ﴿ ومن كل كرب ﴾ غم سواها ﴿ ثم أنتم تشركون ﴾ تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهود وانما وضع تشركون موضع لا تشركون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله سبحانه وتعالى فكأنه لم يعبده رأسا ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴾ كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب القبل ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكبركم وحكامكم

الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضلتم فيه وتنجيتم وأظلمت عليكم الطرق ومن ذا الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبت فيه فأخطأتم الطريق وأظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والاهوال وقيل الخل على الحقيقة أولى فظلمات البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء الى الطريق الصواب وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكرب وازالة الشدائد وهو المراد من قوله ﴿ تدعونه تضرعا وخفية ﴾ يعني فاذا اشتد بكم الامر تخلصون له الدعاء تضرعا منكم اليه واستكانة جهر او خفية يعني سرا حالا وحالا ﴿ لأن أنجيتنا من هذه ﴾ يعني قائلين في حال الدعاء والتضرع لأن أنجيتنا من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ يعني لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها لمن أنعم بها ﴿ قل الله ينجيكم منها ﴾ يعني من الظلمات والشدائد التي أنتم فيها ﴿ ومن كل كرب ﴾ يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب أيضا والكرب هو الغم الشديد الذي يأخذ بالنفس ﴿ ثم أنتم تشركون ﴾ يريدانهم يقرون بان الذي أنجاهم من هذه الشدائد هو الله تعالى ثم انهم بعد ذلك الاقرار يشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم ﴿ أي قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريج والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب

من شدائد البر والبحر واهوالهما (تدعون تضرعا وخفية) سرا وعلانية وان قرأت بجر الخاء وتقديم الياء من الفاء يقول مستكينا وخوفا (لأن أنجيتنا من هذه) (الاهوال والشدائد) (لنكونن من الشاكرين) (من المؤمنين) (قل) (يا محمد لهم) (الله ينجيكم منها) (من شدائد البر والبحر) (ومن كل

كرب) (غم وهول) (ثم أنتم) (يا اهل مكة) (تشركون) (به الاصنام) (قل) (يا محمد لهم) (هو القادر على أن يبعث) (وقارون) (عليكم عذابا من فوقكم) (كما بعث على قوم نوح وقوم لوط) (أو من تحت أرجلكم) (يخسف بكم الارض كما خسف بقارون)

ومن تحت أرجلكم سفلكم وعبيدكم ﴿ أويلبسكم ﴾ يخلطكم ﴿ شيعة ﴾ فرقا متخزين  
على أهواء شتى فينشب القتال بينكم قال  
وكثيرة لبستها بكتيبة \* حتى اذا التبتت نفضت لها يدي  
﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ يقاتل بعضهم بعضا

وسفاتكم أو هو حبس  
المطر والنبات ( أويلبسكم  
شيعة ) أو يخلطكم فرقا  
مختلفين على أهواء شتى كل  
فرقة منكم مشايعة لآمام  
ومعنى خلطهم ان ينشب  
القتال بينهم فيختلطوا  
ويشتبكوا في ملاحم القتال  
( ويذيق بعضكم بأس  
بعض ) يقتل بعضهم بعضا  
والبأس السيف وعنه عليه  
الصلاة والسلام سألت  
الله تعالى ان لا يبعث على  
أمتي عذابا من فوقهم أو من  
تحت أرجلهم فأعطاني  
ذلك وسأله أن لا يجعل  
بأسهم بينهم فنحنى وأخبرني  
جبريل ان فناء أمتي بالسيف  
( أويلبسكم شيئا ) أهواء  
مختلفة كما كانت في بني  
اسرائيل بعد النبيين  
( ويذيق بعضكم بأس  
بعض ) بالسيف

وقارون وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد عذابا من فوقكم يعنى أمة السوء والى السلاطين  
الظلمة أو من تحت أرجلكم يعنى عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعنى من قبل كباركم  
أو من تحت أرجلكم يعنى السفلة ﴿ أويلبسكم شيعة ﴾ السبع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا  
على أمر فهم شيعة وأشباع وأصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا  
وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم الانسان قال الزجاج في قوله أويلبسكم شيعة يعنى  
يخلط أمرهم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضهم بعضا وهو معنى  
قوله ﴿ ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما قوله أويلبسكم شيعة  
يعنى الأهواء المختلفة ويذيق بعضكم بأس بعض يعنى أنه يقتل بعضهم بيد بعض وقال  
مجاهد يعنى أهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذى  
فيه الناس اليوم من الاختلاف والأهواء وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف  
المفسرون فيمن عنى بهذه الآية فقال قوم عنى بها المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم  
وفهم نزلت هذه الآية قال أبو العالية في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من  
فوقكم الآية قال هن أربع وكلهن عذاب فجاءت اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بخمسة وعشرين سنة فالبسوا شيئا وأذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما لا بد  
واقمتان يعنى الخسف والسنخ وعن أبي بن كعب نحوه هن أربع خلال وكلهن واقع  
قبل يوم القيامة مضت اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة وعشرين سنة  
ألبسوا شيئا وأذيق بعضهم بأس بعض واثنتان واقمتان لآحالة الخسف والرجم وقال  
مجاهد فى قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لامة محمد فأعفاهم منه أويلبسكم شيعة  
ما كان بينهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم بأس بعض يعنى ما كان فيهم  
من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ( خ ) عن جابر رضى الله عنه قال لما نزلت هذه  
الآية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أويلبسكم شيعة ويذيق بعضكم بأس  
بعض قال هذا أهون أو هذا ايسر ( م ) عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه انه أقبل مع النوى  
صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فرجع فيه  
ركعتين وصلينا معه ودعاربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين  
ومعنى واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها وسألت ربي  
ان لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها وسألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم فنحنى ﴿ عن خباب  
ابن الارت قال صلى رسول الله عليه وسلم صلاة فاطلها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة  
لم تكن تصليا قال أجل انها صلاة رغبة ورهبة انى سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين  
ومعنى واحدة سألته ان لا يهلك أمتى بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم



( انظر كيف نصرف الآيات ) بالوعد والوعيد ( لعلمهم بفقهمون وكذب به ) بالقرآن أو بالعذاب ( قومك ) قریش ( وهو الحق ) أى الصدق أو لابد { الجزء السابع } أن ينزل بهم ( قل ﴿ ٤٢٤ ﴾ لست عليكم بوكيل ) بحفيظ

وكل الى امركم انما  
أنا منذر ( لكل نبأ )  
لكل شئ ينبأه يعنى  
انباءهم بانهم يعذبون  
وايادهم به ( مستقر )  
وقت استقرار وحصول  
لابد منه ( وسوف تعلمون )  
تهديد ( واذا رأيت الذين  
يخوضون فى آياتنا ) أى  
القرآن يعنى يخوضون  
فى الاستهزاء بها والظعن  
فيها وكانت قریش فى  
أنديتهم يفعلون ذلك

( انظر يا محمد كيف نصرف  
الآيات ) نبين القرآن باخبار  
الامم الماضية وما فعلنا بهم  
( لعلمهم بفقهمون ) لكى يفقهوا  
أمر الله وتوحيده ( وكذب  
به ) بالقرآن ( قومك ) قریش  
( وهو الحق ) يعنى القرآن  
( قل ) يا محمد ( لست عليكم  
بوكيل ) بكفيل ان أؤديكم  
الى الله مؤمنين ( لكل  
تيا مستقر ) لكل قول من الله  
ومنى من الامر والنهى  
والوعد والوعيد والبشرى  
بالنصرة والعذاب مستقر  
فعل وحقيقة منه ما يكون  
فى الدنيا ومنه ما يكون  
فى الآخرة ( وسوف تعلمون )

﴿ انظر كيف نصرف الآيات ﴾ بالوعد والوعيد ﴿ لعلمهم بفقهمون وكذب به قومك ﴾  
أى بالعذاب أو بالقرآن ﴿ وهو الحق ﴾ الواقع لا محالة أو الصدق ﴿ قل لست  
عليكم بوكيل ﴾ بحفيظ وكل الى امركم فأمنكم من التكذيب أو اجازيكم انما انا منذر  
والله الحفيظ ﴿ لكل نبأ ﴾ خبر يريد به اما العذاب او الاياد به ﴿ مستقر ﴾  
وقت استقرار ووقوع ﴿ وسوف تعلمون ﴾ عند وقوعه فى الدنيا والآخرة  
﴿ واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا ﴾ بالتكذيب والاستهزاء بها والظعن فيها

عدوا من غيرهم فاعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فنعنيها أخرجته  
الترمذى ﴿ قوله عز وجل ﴾ انظر كيف نصرف الآيات ﴿ أى انظر يا محمد كيف نبين  
دلائلنا وجنتنا لهؤلاء المكذبين ﴿ لعلمهم بفقهمون ﴾ يعنى يفهمون ويعتبرون  
فيتجزوا ويرجعوا عامهم عليه من الكفر والتكذيب ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذب به  
قومك ﴿ يعنى بالقرآن ﴿ وهو الحق ﴾ يعنى فى كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل  
الضمير فى به يرجع الى العذاب وهو الحق يعنى أنه نازل بهم ان أقاموا على كفرهم وتكذيبهم  
وقيل الضمير يرجع الى تصريف الآيات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله  
﴿ قل لست عليكم بوكيل ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى  
أجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما انا منذر والله هو المجازى لكم  
على أعمالكم وقيل معناه انى انما أدعوك الى الله والى الايمان به ولم أومر بجرمكم فعلى هذا  
القول تكون الآية منسوخة بآية السيف وقيل فى معنى الآية قل لست عليكم بوكيل  
يعنى حفيظا انما أطلبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضمائر والاسرار  
فعلى هذا تكون الآية محكمة ﴿ لكل نبأ مستقر ﴾ أى لكل خبر من أخبار القرآن  
حقيقة ومنتهى ينهى اليه اما فى الدنيا واما فى الآخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به  
وقت ومكان يقع فيه من غير خلاف ولا تأخير فكان ما وعدهم به من العذاب فى الدنيا  
وقوع يوم بدر ﴿ وسوف تعلمون ﴾ يعنى صحة هذا الخبر اما فى الدنيا واما فى الآخرة  
﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا ﴿ الخطاب فى واذا رأيت  
لنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى واذا رأيت يا محمد هؤلاء المشركين الذين يخوضون  
فى آياتنا يعنى القرآن الذى أنزلناه اليك والخوض فى اللغة هو الشروع فى الماء والعبور  
فيه ويستعار للاخذ فى الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا فى الحديث وتقاوضوا فيه  
لكن أكثر ما يستعمل الخوض فى الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه  
قوله وكنا نخوض مع الخائضين وقيل الخطاب فى واذا رأيت لكل فرد من الناس والمعنى واذا  
رأيت أيها الانسان الذين يخوضون فى آياتنا وذلك أن المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين  
وقعوا فى الاستهزاء بالقرآن وعن أنزله وعن أنزل عليه فيها هم الله أن يقعدوا معهم

ذلك فى الدنيا والآخرة ويقال لكل نبأ مستقر لكل قول وفعل منكم حقيقة وحقيقة ذلك فى القلب ( فى )  
( وسوف تعلمون ) ماذا يفعل بكم ( واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا ) يستهزؤون

( فاعرض عنهم ) ولا تجالسهم وقم عنهم ( حتى يخوضوا في حديث غيره ) غير القرآن مما يحل فحينئذ يجوز أن تجالسهم ( واما ينسبك الشيطان ) ما نيت عنه ينسبك شامى نسي وأنى واحد ( فلا تقعد بعد الذكري ) بعد ان تذكر ( مع القوم الظالمين وما على الذين ﴿ ٤٢٥ ﴾ يتقون { سورة الانعام } من حسابهم ) من حساب

هو الذين يخوضون في القرآن تكذيبا واستهزاء ( من شئ ) أى وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شئ مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ( ولكن ) عليهم أن يذكروهم ( ذكرى ) اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم ومو عظمتهم ومحل ذكرى نصب أى ولكن يذكروهم ذكرى أى تذكيرا أو رفع والتقدير ولكن عليهم ذكرى فذكرى مبتدأ والخبر محذوف ( لعلمهم يتقون ) لعلمهم يحتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم

بك وبالقرآن ( فاعرض عنهم ) فاترك مجالسهم ( حتى يخوضوا في حديث غيره ) كى يكون خوضهم وحديثهم في غير القرآن والاستهزاء بك ( واما ينسبك الشيطان ) بعد النهى ( فلا تقعد بعد الذكري ) بعد ما ذكرت ( مع القوم الظالمين ) المشركين أمر الله نبيه بذلك اذ كان بمكة فشق

﴿ فاعرض عنهم ﴾ فلا تجالسهم وقم عنهم ﴿ حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن ﴿ واما ينسبك الشيطان ﴾ بأن يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى ﴿ وقرأ ابن عاصم ينسبك بالتشديد ﴾ فلا تقعد بعد الذكري ﴿ بعد ان تذكره ﴾ مع القوم الظالمين ﴿ أى معهم فوضع الظاهر موضع المضمرة دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام ﴾ وما على الذين يتقون ﴿ وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم ﴾ من حسابهم من شئ ﴿ شئ مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم ﴾ ولكن ذكرى ﴿ ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهر واكرامتها وهو محتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم بأباه ولا على شئ لذلك ولان من لا تزاد بعد الأثبات ﴿ لعلمهم يتقون ﴾ يحتنبون ذلك حياء أو كراهة لمسائتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلمهم يثبتون على تقواهم ولا تتلهم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد

في وقت الاستهزاء بقوله ﴿ فاعرض عنهم ﴾ يعنى فاتركهم ولا تجالسهم ﴿ حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ يعنى حتى يكون خوضهم في غير القرآن والاستهزاء به ﴿ واما ينسبك الشيطان ﴾ يعنى فقعدت معهم ﴿ فلا تقعد بعد الذكري ﴾ يعنى اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد ﴿ مع القوم الظالمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما الما نزلت هذه الآية واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف تقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدا وفي رواية قال المسلمون اننا نحاف الاثم حين نتركهم ولانهم فانزل الله هذه الآية وما على الذين يتقون يعنى يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شئ يعنى ليس عليهم شئ من حسابهم ولا آثامهم ﴿ ولكن ذكرى ﴾ يعنى ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه ولكن عليكم ان تذكروهم ﴿ لعلمهم يتقون ﴾ يعنى لعل تلك الذكري تمنعهم من الخوض والاستهزاء

### فصل

قال سعيد بن السيب وابن جريج ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التي في سورة النساء وهي قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهبأها وذهب الجمهور الى أنها محكمة لا نسخ فيها لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان انما يختص بحساب نفسه لا بحساب غيره وقيل

على أصحابه ذلك فرخص لهم بعد ذلك ( قبا و خا ٥٤ نى ) بالجلوس معهم للغة والنهى فقال ( وما على الذين يتقون ) الكفر والشرك والفواحش والاستهزاء ( من حسابهم ) من ما تمهم والكفر والاستهزاء بهم ( من شئ ولكن ذكرى ) ذكروهم بالقرآن ( لعلمهم يتقون ) الكفر والشرك والفواحش والاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله

الحرام ونطوف فنزلت ﴿وذرا الذين اتخذوا دينهم لبا ولها﴾ أي بنوا أمر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم ينفع عاجلا وأجلا كما بدت الاضنام وتحريم البحائر والسواب أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه لبا ولها حيث سخر وابه وأجعلوا عيدهم الذي جعله ميقاد عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف جله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم ﴿وغرهم الحيوة الدنيا﴾ حتى انكروا البعث ﴿وذكر به﴾ أي بالقرآن ﴿أن تبسل نفس بما كسبت﴾ مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابل والابل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تقلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أي حرام ﴿ليس لها من دون الله ولي

الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام (لبا ولها) سخر وابه واستهزأ ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم والله وما يشغل الانسان من هوى أو طرب (وغرهم الحيوة الدنيا وذكر به) وعظ بالقرآن (ان تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الابل المنع (ليس لها من دون الله ولي) ينصرها بالقوة

انما أباح لهم القعود معهم بشرط التذكير والموعظة فلا تكون منسوخة ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿وذرا الذين اتخذوا دينهم لبا ولها﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وذرا محمد هؤلاء المشركين الذين اتخذوا دينهم الذي أمر وابه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لبا ولها وذلك حيث سخر وابه واستهزأ به وقيل انهم اتخذوا عبادة الاضنام لبا ولها وقيل ان الكفار كانوا اذا سمعوا القرآن لعبوا ولها عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عبدا فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم لبا ولها ويلهون فيه الا المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة ﴿وغرهم الحيوة الدنيا﴾ يعني انهم اتخذوا دينهم لبا ولها لاجل انهم غرهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فأعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لبا ولها ومعنى الآية وذرا محمد الذين اتخذوا دينهم لبا ولها واركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضى الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض بآية السيف وهو قول قتادة والسدى وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الآية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لترك الانذار والتخويف وبدل عليه قوله ﴿وذكر به﴾ يعني وذكر بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين ﴿أن تبسل نفس بما كسبت﴾ أي لثلا تبسل نفس وأصل البسل في اللغة التحريم وضم الشيء ومنه وهذا عليك بسل أي حرام ممنوع فعنى تبسل نفس بما كسبت ترهن وتجبس في جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الآثام وقال ابن عباس رضى الله عنهما تبسل تهلك وقال قتادة تحبس يعني في جهنم وقال الضمك تحرق بالنار وقال ابن زيد تؤخذ يعني بما كسبت وقيل تقضح والمعنى وذكرهم بالقرآن وبواعظه وعرفهم الشرائع لكي لا تهلك نفس وترهن في جهنم بسبب الجنايات التي اكتسبت في الدنيا وتحرم الثواب في الآخرة ﴿ليس لها﴾ يعني لتلك النفس التي هلكت ﴿من دون الله ولي﴾ أي قريب يلى

عليه وسلم (وذرا الذين اتخذوا دينهم) يعني اليهود والنصارى ومشركي العرب اتخذوا دين آباؤهم المؤمنين (لبا) ضحكة (ولها) استهزاء ويقال دينهم عندهم لبا ولها فرحا وباطلا (وغرهم الحيوة الدنيا) ما في الدنيا من الزهرة والنعيم (وذكر به) عظ بالقرآن ويقال بالله (أن تبسل نفس) لكي لا تهلك ولا توهن ولا تعذب نفس (بما كسبت) من الذنوب (ليس لها) للنفس (من دون الله) من عذاب الله (ولي) قريب يدفع عنها

(ولاشفيع) يدفع عنها بالمسئلة ولاوقف على كسبت في الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها ( وأن تعدل كل عدل ) نصب على المصدر وان تعد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المقدى بمثله وفاعل (لا يؤخذ منها) لا ضمير العدل لان العدل هنا مصدر فلايسند اليه الاخذو أما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المقدى به فصح اسناد اليه ( أولئك ) اشارة الى المتخذين من دينهم لعبا ولهويا وهو مبتدأ والخبر ( الذين أفسلوا بما كسبوا ) وقوله (لهم شراب من جيم) أي ماء سخين حار خبر ثان لاولئك والتقدير أولئك المبسلون ثابت لهم شراب من جيم أو مستأنف ( وعذاب ) ﴿ ٤٢٧ ﴾ ألم بما كانوا { سورة الانعام } يكفرون ) بكفرهم ( قل )

لابي بكر يقل لابنه عبد الرحمن وكان يدعو أباه الى عبادة الاوثان ( أئدعوا ) أئعبد (من دون الله) الضار النافع ( مالا ينفعنا ) مالا يقدر على نفعنا ان دعوانه ( ولا يضرنا ) ان تركناه ( وزرد ) وأئرد ( على أعقابنا ) راجعين الى الشرك ( بعد اذ هدانا الله ) للاسلام وأئقذنا من عبادة الاصنام ( كالذي استهوته الشياطين ) كالذي ذهبت به الغيلاان ومردة الجن والكاف في محل نصب على الحال من الضمير في زرد على أعقابنا أي أئكس مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه ( في الارض )

ولاشفيع يدفع عنها العذاب وأن تعدل كل عدل وان تعد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المقدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدرية لا يؤخذ منها الفعل مستندا الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فإنه المقدى به أولئك الذين أفسلوا بما كسبوا أي اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائفة لهم شراب من جيم وعذاب ألم بما كانوا يكفرون تأكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يجر جرفى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل أئدعوا أئعبد من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا مالا يقدر على نفعنا وضربنا ونرد على أعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فأقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامة استفعال من هوى يهوى هوى اذا ذهب وقراء حزة استهواه بالف مائلة ومحل الكاف نصب على الحال من فاعل نرد أي مشبهين الذى استهوته أو على المصدر أى ردا مثل رد الذى استهوته في الارض

أمرها ولاشفيع يعنى يشفع لها في الآخرة وأن تعدل كل عدل يعنى وان تفتد بكل فداء والعدل الفداء لا يؤخذ منها يعنى ذلك العدل وتلك الفدية أولئك الذين اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهويا وغرتهم الحياة الدنيا أفسلوا بما كسبوا يعنى أسلموا الى الهلاك بسبب ما اكتسبوا لهم شراب من جيم وعذاب ألم بما كانوا يكفرون ذلك لهم بسبب كفرهم قوله عز وجل قل أئدعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين أبائك أئدعوا يعنى أئعبد من دون الله يعنى الاصنام التى لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها ونرد على أعقابنا يعنى ونرد الى الشرك بعد اذ هدانا الله يعنى الى دين الاسلام والتوحيد كالذى استهوته الشياطين في الارض يعنى كالذى ذهبت به الشياطين فالقته في هوية من الارض وأصله من الهوى وهو النزول

(ولاشفيع) يشفع لها ( وان تعدل كل عدل ) ان تجى بكل من على وجه الارض (لا يؤخذ منها) لا يقبل من النفس ( أولئك ) المستهزون ( الذين أفسلوا ) أهلكوا أو هونو وعذبوا وهم عينسة والنضروأحبابهما ( بما كسبوا ) من الذنوب ( لهم شراب من جيم ) ماء حار يغلى قد انتهى حره ( وعذاب ألم ) وجيع ( بما كانوا يكفرون ) بمحمد والقرآن ( قل ) يا محمد لمينة وأصحابه ( أئدعوا ) تأمر وئنا أن نعبد ( من دون الله مالا ينفعنا ) ان عبداه في الدنيا والآخرة ( ولا يضرنا ) ان لم نعبده في الدنيا والآخرة ( ونرد على أعقابنا ) نرجع وراءنا الى الشرك ( بعد اذ هدانا الله ) بدينه أكرمنا بدينه ( كالذى ) فيكون مثلنا كالذى ( استهوته ) سترته ( الشياطين في الارض )

في المهمة (حيران) حال من مفعول استهوته أي تائها ضالاعن الجادة لا يدري كيف يصنع (له) لهذا المستهوي (أصحاب) رفقته (يدعونه إلى الهدى) إلى أن يهدوه الطريق سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له (أئنا) وقد اعتسف المهمة تابعا للجن لا ينجيهم ولا يأتيمهم وهذا مبنى على ما يقال إن الجن تستهوي الإنسان والغيلان تستولى عليه فشببه به الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونهم إليه فلا يلتفت إليهم (قل إن هدى الله) وهو الإسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال (وأمرنا) محله النصب بالعطف على محل إن هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا { الجزء السابع } القول وقل أمرنا ﴿ ٤٢٨ ﴾ (لنسلم الرب العالمين وإن أقيموا

الصلوة) والتقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أي للإسلام ولاقامة الصلاة (واقفوه) وهو الذي إليه تحشرون (يوم القيامة

حيران) ضالا عن الهدى (له أصحاب) لعينة أصحاب وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (يدعونه إلى الهدى) إلى الإسلام (أئنا) اطعنا وهو يدعوهم بمعنى عينية

إلى الشرك ويقال نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وابنه عبد الرحمن وكان يدعو أبويه إلى دينه قبل أن يسلم فقال الله لنبيه قل يا محمد لأبي بكر حتى يقول

لأبني عبد الرحمن أن دعوتنا ربنا يا عبد الرحمن أن نعبد من دون الله مالا

يتفعا في الدنيا في الرزق والمعاش ولا في الآخرة إن عبدناه ولا يضرنا إن لم نعبده ونرد على أعقابنا

حيران ﴿ متخيرا ضالعا عن الطريق ﴾ ﴿ له أصحاب ﴾ ﴿ لهذا المستهوي رفقته ﴾ ﴿ يدعونه إلى الهدى ﴾ أي يهدونه الطريق المستقيم أو إلى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ﴿ أئنا ﴾ يقولون ﴿ له أئنا ﴾ ﴿ قل إن هدى الله ﴾ الذي هو الإسلام ﴿ هو الهدى ﴾ وحده وما عداه ضلال ﴿ وأمرنا لنسلم الرب العالمين ﴾ من جملة المقول عطف على إن هدى الله واللام لتعليل الأمر أي أمرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة ﴿ وأن أقيموا الصلوة واقفوه ﴾ عطف على لنسلم أي للإسلام ولاقامة الصلاة أو على موقعه كأنه قيل وأمرنا إن نسلم وإن أقيموا الصلاة روى أن عبد الرحمن بن أبي بكر دعا أباه إلى عبادة الأوثان فنزلت وعلى هذا كان أمر الرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق رضى الله عنه تعظيما لشأنه وظهار للاتحاد الذي كان بينهما ﴿ وهو الذي إليه تحشرون ﴾ يوم القيامة

من أعلى إلى أسفل ﴿ حيران ﴾ يقال حار فلان في الأمر إذا تردد فيه فلم يهتد إلى الصواب ولا يخرج منه ﴿ له أصحاب يدعونه إلى الهدى ﴾ يعني لهذا المتخبر الذي استهوته الشياطين أصحاب على الطريق المستقيم ﴿ أئنا ﴾ يعني يقولون له أئنا وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو إلى عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولمن يدعو إلى عبادة الله عز وجل الذي يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقته ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل أصحابه ورفقته يدعونهم اليهم يقولون هلم إلى الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونهم اليهم فبقى حيران لا يدري أين يذهب فإن أجاب الغيلان ضل وهلك وإن أجاب أصحابه اهتدى وسلم ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ يعني إن طريق الله الذي أوضحه لعباده ودينه الذي شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لعبادة الأصنام فيه زجر عن عبادتها كأنه يقول لا تفعل ذلك فإن هدى الله هو الهدى لا هدى غيره ﴿ وأمرنا لنسلم ﴾ أي وأمرنا أن نسلم ونخلص العبادة ﴿ لرب العالمين ﴾ لأنه هو الذي يستحق العبادة لا غيره ﴿ وأن أقيموا الصلوة واقفوه ﴾ يعني وأمرنا بأقامة الصلاة والتقوى لأن فيهما ما يقرب إليه ﴿ وهو الذي إليه تحشرون ﴾ يعني في يوم القيامة فيجزىكم

نرجع إلى ديننا الأول بعد إهدانا الله لدين محمد صلى الله عليه وسلم كالذي فيكون مثلنا كمثل ( بأعمالكم ) عبد الرحمن استهوته استزلته الشياطين عن دين الله في الأرض حيران ضالعا عن الهدى له لعبد الرحمن أصحاب أبواه أبو بكر وأمه يدعونه إلى الهدى أي يدعونه إلى الإسلام والتوبة وهو يعني عبد الرحمن يدعوها إلى الشرك ويقولان له أي أبواه أئنا أطعنا بالإسلام ( قل ) يا محمد ( إن هدى الله هو الهدى ) إن دين الله هو الإسلام وقبلتنا هي الكعبة ( وأمرنا لنسلم ) لنخلص بالعبادة والتوحيد ( لرب العالمين ) لله رب العالمين ( وأن أقيموا الصلوة ) أتموا الصلوات الخمس ( واقفوه ) واطيعوه ( وهو الذي إليه تحشرون ) بعد الموت فيجزىكم بأعمالكم

فيكون) على الخبر دون

الجواب (قوله الحق)

مبتداً ويوم يقول خبره

مقدما عليه كما تقول يوم

الجمعة قولك الصدق أي

قولك الصدق كأن يوم

الجمعة واليوم بمعنى الحين

والمعنى انه خلق السموات

والارض بالحق والحكمة

وحين يقول لشيء من

الاشياء كن فيكون ذلك

الشيء قوله الحق والحكمة

أي لا يكون شيء من السموات

والارض وسائر المكونات

الا عن حكمة وصواب

(وله الملك) مبتداً وخبر

يوم ينفخ (ظرف لقوله

وله الملك (في الصور) هو

القرن بلغة اليمن أو جمع

صورة (عالم الغيب) هو

عالم الغيب (والشهادة)

(وهو الذي خلق السموات

والارض بالحق) لتبيان

الحق والباطل ويقال الفناء

والزوال (ويوم يقول)

للصور (كن فيكون) يعني

تصير السموات صوراً ينفخ

فيه مثل القرن وتبدل

سماء أخرى ويقال يوم

يقول كن يعني ليوم القيامة

فتكون الساعة (قوله)

في البعث (الحق) الصدق

(وله الملك) القضاء بين العباد

﴿ وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ﴾ قائماً بالحق والحكمة ﴿ ويوم يقول كن فيكون قوله الحق ﴾ جملة اسمية قدم فيها الخبر أي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالمعطف على السموات أو على الهاء في واتقوه أو بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتداً وخبر أو فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها أو حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها ﴿ وله الملك يوم ينفخ في الصور ﴾ كقوله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم لله واحد القهار ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ أي هو عالم الغيب

بإعمالكم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ﴿ يعني اظهارا للحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه دليلاً على وحدانيته وقيل خلقها بكامل قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق مخلوق بمخلوق ﴿ ويوم يقول كن فيكون ﴾ وقيل انه راجع الى خلق السموات والمعنى اذكر يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث والحساب كانه قال ويوم يقول للمخلوق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون أحياء ﴿ قوله الحق ﴾ يعني أن قول الله تبارك وتعالى للشيء اذا أراذه كن فيكون حق وصدق وهو كأن لا محالة ﴿ وله الملك يوم ينفخ في الصور ﴾ انما أخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصاً في كل وقت في الدنيا والآخرة لانه لا منازعه له يومئذ يدعى الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعى الملك بالباطل من الجبابرة والفرعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بأن الملك لله الواحد القهار وانه لا منازعه له فيه وعلوا أن الذي كانوا يدعون من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلف العلماء في الصور المذكور في الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة أهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء امرأى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم وقد اتقم صاحب القرنين وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على أصحابه فقالوا كيف نعمل يا رسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله أخرجه الترمذي وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها احيائها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول أصح لما تقدم في الحديث ولقوله تعالى في آية أخرى ثم نفخ فيه أخرى ولا جاع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب ﴿ قوله عز وجل ﴾ عالم الغيب والشهادة ﴿ يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء

﴿ وهو الحكيم الخبير ﴾ كالفذلكة للآية ﴿ واذ قال ابراهيم لابيه آزر ﴾ هو عطف بيان لآيه وفي الكتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح و آزر وصف معناه الشيخ أو الموعج وامل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه أو نعت مشتق من الازر أو الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كغابرو وشالح وقيل اسم صنم يعبده فلقب به لزوم عبادته أو اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي أتعبد آزر ثم قال ﴿ أنتخذ أصناما آلهة ﴾ تفسيراً وتقريراً ويبدل عليه انه قري آزر أنتخذ أصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم \* وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم ﴿ انى أراك وقومك في ضلال ﴾ عن الحق ﴿ مبين ﴾ ظاهر

﴿ وهو الحكيم ﴾ يعنى في جميع أفعاله وتديير خلقه ﴿ الخبير ﴾ يعنى بكل ما يفتلونه من خير أو شر ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذ قال ابراهيم لابيه آزر ﴿ اختلف العلماء في لفظ آزر فقال محمد بن اسحق والكلبي والضحاك آزر اسم ابى ابراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالخاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لآبى ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه الاصلى آزر وتارح لقب له وبالعكس والله سماه آزر وان كان عند النساين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أبوابراهيم من كوثى وهى قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه في كلامهم الموعج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز أن فى القرآن ألفاظا قليلة فارسية وقيل هو المخطئ فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزينه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والده ابراهيم يعبده وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيئاً أو أحبه جعل اسم ذلك العبود أو المحبوب اسماله فهو كقوله يوم ندعو كل أناس بإمامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم لابيه يا عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والصحيح هو الاول ان آزر اسم لآبى ابراهيم لان الله تعالى سماه به وما نقل عن النساين والمؤرخين ان اسمه تارح ففيه نظر لانهم انما نقلوه عن أصحاب الاخبار وأهل السير من أهل الكتاب وإلابة بنقلهم وقد أخرج البخارى فى أفراده من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقي ابراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتره وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر أيضا ولم يقل أباه تارح فثبت بهذا ان اسمه الاصلى آزر لتارح والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ أنتخذ أصناما آلهة ﴿ معناه اذ كر لقومك يا محمد قول ابراهيم لابيه آزر أنتخذ أصناما آلهة تعبدها من دون الله الذى خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذى يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد أو ذهب أو فضة على صورة الانسان وهو الوثن أيضا ﴿ أنى اراك وقومك في ضلال مبين ﴾ يعنى يقول ابراهيم لابيه آزر انى اراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة فى ضلال يعنى عن طريق الحق

السراوى العالانية (وهو الحكيم) فى الافناء والاحياء (الخبير) بالحساب والجزاء ( واذ قال ابراهيم لابيه آزر ) هو اسم آبيه أولقبه لانه خلاف بين النساين أن اسم آبيه تارح وهو عطف بيان لآيه وزنه فاعل ( أنتخذ أصناما آلهة ) استفهام توبيخ أى أنتخذها آلهة وهى لا تستحق الالهية ( انى اراك وقومك فى ضلال مبين

( وهو الحكيم ) فى أمره وقضائه ( الخبير ) بخلقهم وبأعمالهم ( واذ قال ) وقد قال ( ابراهيم لابيه آزر ) وهو تارح بن ناحور ( أنتخذ أصناما ) أعبد أصناما ( آلهة ) شتى صغيرا وكبيرا ذكر اوانتى ( انى اراك ) يآبى ( وقومك فى ضلال مبين ) فى كفر بين وخطابين فى عبادة الاصنام

وكذلك) أى وكأرنايه قبح  
الشرك (نرى ابراهيم ملكوت  
السموات والارض) أى  
نرى بصيرته لطائف خلق  
السموات والارض ونرى

حكاية حال ماضية والملكوت  
أبلغ من الملك لان الواو  
والتاء تزدان للمبالغة  
قال مجاهد فرجت له  
السموات السبع فنظر الى  
ما فيهن حتى انتهى نظره  
الى العرش وفرجت له  
الارضون السبع حتى  
نظر الى ما فيهن (وليكون  
من الموقنين) فعلنا ذلك  
أوليستدل وليكون من  
الموقنين عيانا كما يقين بيانا

( وكذلك ) هكذا  
( نرى ابراهيم ملكوت  
السموات والارض ) ما بين  
السموات والارض من  
الشمس والقمر والنجوم  
حين خرج من السرب  
( وليكون من الموقنين )  
لكي يكون من الموقنين  
بان الله واحد خالق السموات  
والارض وما فيهن ويقال  
أراه الله ليلة اسرى به الى  
السماء حتى أبصر من السماء  
السابعة الى الارض السابعة  
وليكون من الموقنين لكي  
يكون له يقين الخطرات

الضلالة ﴿ وكذلك نرى ابراهيم ﴾ ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال  
ماضية . وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلالة الربوبية ﴿ ملكوت  
السموات والارض ﴾ ربوبيتهما وملكهما وقيل عجائبهما وبنائهما والملكوت أعظم  
الملك والتاء فيه للمبالغة ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ أى ليستدل وليكون أو فعلنا ذلك  
مبين يعنى بين لمن أبصر ذلك فانه لا يشك ان هذه الاصنام لا تنضر ولا تنفع وهذه الآية  
احتجاج على مشركى العرب باحوال ابراهيم ومحاجته لابيه وقومه لانهم كانوا يعظمون  
ابراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر الله قصة ابراهيم عليه السلام  
مع أبيه وقومه فى معرض الاحتجاج على المشركين ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك  
نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ﴿ معناه وكأرنا ابراهيم البصيرة فى دينه  
والحق فى خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال فى عبادة الاصنام نرى ملكوت السموات  
والارض فهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل فى قوله وكذلك نرى ابراهيم  
لانه تعالى كان أراه بعين البصيرة ان أباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بان  
أراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت  
الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهوبت والرغوبت والرحوت من الرهبة والرغبة والرحة  
قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى خلق السموات والارض وقال مجاهد واسم عبد بن  
جبير يعنى آيات السموات والارض وذلك انه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات  
حتى رأى العرش والكرسى وما فى السموات من العجائب وحتى رأى مكانه فى الجنة  
فذلك قوله وآتيناه أجره فى الدنيا يعنى أرنايه مكانه فى الجنة وكشف له عن الارض  
حتى نظر الى أسفل الارضين ورأى ما فيها من العجائب قال البغوى وروى عن سلمان  
ورفعه بعضهم عن على قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض أبصر رجلا  
على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فآراد  
أن يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا ابراهيم أنت رجل محاب الدعوة فلا تدعون  
على عبادى فانما أنا من عبدي على ثلاث خلال اما أن يتوب الى فاتوب عليه واما  
أن أخرج منه نسمة تعبدنى واما أن يبعث الى فان شئت عفوت وان شئت عاقبت  
وفى رواية وان تولى فان جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السموات الشمس  
والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف فى هذه الرؤية  
هل كانت بعين البصر أو بعين البصيرة على قولين أحدهما انها كانت بعين البصر  
الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الارض حتى رأى  
ما فى بطنها والقول الثانى ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ملكوت السموات  
والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت  
بعين البصيرة الا أن يقال المراد بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض  
﴿ قوله عز وجل ﴾ وليكون من الموقنين ﴿ عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى



( فلما جن عليه الليل ) { الجزء السابع } اى أظلم وهو ﴿ ٤٣٢ ﴾ عطف على قال ابراهيم لاييه

ليكون ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي ﴾ تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك ترى اعتراض فان اياه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان يبينهم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة أو المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على مايقوله الخصم ثم بكر عليه بالافساد أو على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مرأته وأول أو ان بلوغه

ابراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لان الانسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما في وليكون من الموقنين جلالة الامر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لاتستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فعنى الآية على هذا القول وكذلك أريناه ملكوت السموات والارض ليكون من يوقن علم كل شيء حسا وخبرا ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ يقال جن الليل وأجن اذا أظلم وغطى كل شيء وأجنت الليل وجن عليه اذا ستره بسواده ﴿ رأى كوكبا قال هذا ربي ﴾

### ذكر القصة في ذلك

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود ابن كنعان الملك وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدى رأى نمرود في منامه كان كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففرغ من ذلك فرعا شديدا فدعا السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك أهل دينك على يديه فامر بذيبح كل غلام يولد في تلك السنة ناحيته وأمر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجال يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع آزر فوجد اسرأ أنه قد طهرت من الحيض فواقعتها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحق بمث نمرود الى كل امرأة حبلى بقرية فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل في بطنها وقال السدى فخرج نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فكث بذلك ماشاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها

وقوله وكذلك ترى ابراهيم جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه ( رأى كوكبا ) أى الزهرة أو المشتري وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن يبينهم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى أن شيئا منها ليس بالله لقيام دليل الحدوث فيها ولان لها محدثا أحدثها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها فلما رأى الكوكب الذى كانوا يعبدونه ( قال هذا ربي ) أى قال لهم هذا ربي في زعمكم أو المراد أهذا استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب تكنتق عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لانه أدعى الى الحق وأنجى من الشعب ثم بكر عليه بعد خبايته فيبطله بالحجة

( فلما جن عليه الليل )

في السرب ( رأى كوكبا ) وهى الزهرة ( قال هذا ربي )

( احدا )

أحدا من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره عنده وقال له ان لي اليك حاجة أحب  
 أن أوصيك بها ولم أبعثك فيها الا لتتقني بك فاقسمت عليك أن لاتدنو من أهلك فقال  
 آزر أنا أشح على ديني من ذلك فإوصاه بمحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم  
 قال لو دخلت على أهلي فنظرت اليهم فلما دخل على أم ابراهيم ونظر اليها لم يملك  
 حتى واقمها فحملت من ساعتها بابراهيم قال ابن عباس رضى الله عنهما لما حملت أم  
 ابراهيم قال الكهان لعمرو ان الغلام الذي أخبرناك به قد جئت به أمه الليلة فامر  
 عمرو بذيخ الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها الخاض خرجت هاربة مخافة  
 أن يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعتة في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في  
 حلفاء ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق اليه  
 أبوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سريا في النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة  
 السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم  
 الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من  
 شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه  
 لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه قال أبو روق قالت أم ابراهيم لانظرن الى  
 أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمنا ومن أصبع  
 عسلا ومن أصبع تمرا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها  
 ما فعل فقالت ولدت غلاما فات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم يشب في اليوم  
 كالشهر وفي الشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال اخرجيني  
 فاخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني  
 وأطعمني وسقاني لربي الذي مالى الله غيره ونظر في السماء فرأى كوكبا قال هذا ربي  
 ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لأحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال  
 هذا ربي وأتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا الى آخره ثم رجعت به  
 الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرى من دين قومه الا أنه لم ينادهم بذلك  
 فلما رجعت به أمه أخبرته انه ابنه وأخبرته بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحاشديد اوقيل  
 انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا  
 فلما شب ابراهيم وهو السرب قال لامه من ربي قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك  
 قال فمن رب أبي قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذي كنا  
 نحديث انه يغير دين الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه آزر فقال ابراهيم  
 يا أبتاه من ربي قال أمك قال فمن رب أمي قال أنا قال فمن ربك قال عمرو قال فمن رب  
 عمرو فلطمه لطمه وقال اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر في خلال  
 الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي ويقال انه قال لابويه أخرجاني فاخرجاه من السرب حين  
 غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيول والغنم فسأل اباه ما هذه قال ابل وخيول وغنم فقال  
 ابراهيم ما الهة بدمن أن يكون لها اله وهو ربهما وخالقهما ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال

انها الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبل القمر  
فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل يعني ستره بظلامه رأى كوكبا قال هذا ربي ثم  
اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ أو بعده على  
قولين أحدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفولته وذلك قبل قيام الحجّة عليه فلم يكن  
لهذا القول الذي صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان  
الاحكام انما تثبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر  
الى السماء وما فيها من المجائب ونظر الى الارض وما فيها من العجائب وكان قد خصه الله  
بالمقل الكامل والقطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو الله  
الخالق ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقد أزهق فقال هذا ربي على ما سبق الى وهمه  
وذلك في حال طفولته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل أصحاب  
هذا القول على صحته بقوله لن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على  
نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجّة وهذا القول  
ليس بسديد ولا مرضى لان الانبياء معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز  
أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحدوله  
من كل منقصة منزّه ومن كل معبود سواه برئ وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد  
عصمه الله وطهره وآناه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والارض أفبرؤية  
الكوكب يقول معتقدا هذا ربي حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه أعلى  
وأشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جمهور المحققين ان هذه  
الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة  
ثم اختلف أصحاب هذا القول في تأويل الآية ومعناها فذكروا فيها وجوها الوجه  
الاول أن ابراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم  
وخطاهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها فاراهم ابراهيم  
انه معظم ما عظموه فلما أفل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخل على النجوم  
بسبب العيوب والافول ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الالوهية ومثل هذا كمثل  
الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فأظهر تعظيمه فاكرموه لذلك حتى صاروا  
يصدرون عن رأيه في كثير من أمورهم الى أن دهمهم عدو لا قبل لهم به فشاوروه في أمر  
هذا العدو فقال الرأي عندي ان ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا  
حول الصنم يتضرعون اليه فلم يقن شيئا فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع  
دعاهم الحواري وامرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه أن يكشف عنهم ما نزل بهم  
فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه الثاني ان ابراهيم  
عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقوته تقديره  
أهذا ربي الذي تزعمون واسقاط حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله  
تعالى أفان مت فهم الخالدون يعني أفهم الخالدون والمعنى أي يكون هذا ربا ودلائل النقص

( فلما أفل ) غاب ( قال لأحب الآفلين ) أي لأحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال لأن ذلك من صفات الاجسام ( فلما رأى القمر بازغا ) مبتدأ ﴿ ٤٣٥ ﴾ في الطلوع ( قال { سورة الانعام } هذاري فلما أفل قال لئن لم يهدني

ربي لا كون من القوم الضالين ) به قومه على ان من اتخذ القمر الها فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب ( فلما رأى الشمس بازغة

قال هذا ربي ) وانما ذكره لانه أراد الطالع أولانه جعل المبتدأ مثل الخبر لانهما شيء واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التأييث ولهذا قالوا في صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وان كان الثاني أبلغ تفاديا من علامة التأييث ( هذا أكبر ) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه ( فلما أفلت

أترى هذا ربي ) ( فلما أفل ) غاب وتغير عن حاله الى الحجره ( قال لأحب الآفلين ) رباليس بدائم ( فلما رأى القمر بازغا ) طالعا ( قال هذاري ) أترى هذاري هذا أكبر من الاول ( فلما أفل ) غاب وتغير ( قال لئن لم يهدني ربي ) لم يثبتني ربي على الهدى

﴿ فلما أفل ﴾ أي غاب ﴿ قال لأحب الآفلين ﴾ فضلا عن عبادتهم فإن الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضى الامكان والحدوث وينافي الالوهية ﴿ فلما رأى القمر بازغا ﴾ مبتدأ في الطلوع ﴿ قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين ﴾ استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق فإنه لا يهدى إليه الا بتوفيقه ارشاد القومه وتبنيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذها الها فهو ضال ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ﴾ ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأييث ﴿ هذا أكبر ﴾ كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخضم ﴿ فلما أفلت

فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق انك أنت العزيز الكريم يعنى عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان في هذه الآية اضمارا تقديره يقولون هذاري واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا أى يقولان ربنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفاء تقتضى التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان أراه الله ملكوت السموات والارض وبعد الايقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لا يليق بحاله ان يعبد الكواكب ويتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لئن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام لم يزوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبني ونبي أن نعبد الاصنام وأما قوله تعالى ﴿ فلما أفل ﴾ يعنى غاب والافول غيبة النيرات ﴿ قال ﴾ يعنى ابراهيم ﴿ لأحب الآفلين ﴾ يعنى لأحب ربا يغيب ويطلع لان أمارات الحدوث فيه ظاهرة ﴿ قوله عن وجل ﴾ فلما رأى القمر بازغا ﴿ يعنى طالعا منتشرا الضوء ﴾ قال هذا ربي ﴿ معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب ﴾ فلما أفل ﴿ يعنى غاب ﴾ قال لئن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين ﴿ يعنى ان لم يثبتني ربي على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزوا على الهداية من أول الفطرة وفي الآية دليل على أن الهداية من الله تعالى لان ابراهيم اضاف الهداية لله تعالى ﴿ فلما رأى الشمس بازغة ﴾ يعنى طالعة ﴿ قال هذا ربي ﴾ يعنى هذا الطالع وأنه أشار الى الضياء والنور لانه رأى الشمس أضوا من الكوكب والتمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تأييث الشمس غير حقيقى فلهذا أتى بلفظ التذكير ﴿ هذا أكبر ﴾ يعنى من الكوكب والقمر ﴿ فلما أفلت ﴾ يعنى

( لا كون من القوم الضالين ) عن الهدى ( فلما رأى الشمس بازغة ) طالعة قد ملأت كل شيء ( قال هذا ربي ) أترى هذا ربي ( هذا أكبر ) من الاول والثاني ( فلما أفلت ) تابت وتغيرت قال ابراهيم اني لأحب الآفلين رباليس بدائم لئن لم يهدني ربي

قال يا قوم اني بري مما تشركون (من الاجرام التي يعملونها شركاء لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاها الله تعالى والاول اظهر لقوله يا قوم اني بري مما تشركون ( اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ) أي للذي دلت هذه المحدثات على انه منشئها ( حنيفا ) حال أي مائلا عن الاديان كلها الا الاسلام ( وما أنا من المشركين ) بالله شيأ من خلقه ( وحاجه قومه ) { الجزء السابع } في توحيد الله ﴿ ٤٣٦ ﴾ تعالى وفي الشركاء عنه ( قال أنحاجوني

في الله ) في توحيدہ  
أنحاجوني مدني وابن  
ذكوان ( وقد هدان )  
الى التوحيد وبالياء في الوصل  
أبو عمرو ولما خوفوه أن  
معبوداتهم تصيبه بسوء  
قال ( ولا أخاف ما  
تشركون به

قال يا قوم اني بري مما تشركون ﴿ من الاجرام المحدثه المحتاجة الى محدث يخدمها ومخصص  
يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه  
فقال ﴿ اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾  
وانما احتج بالافول دون البروغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالاته ولانه رأى الكوكب  
الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال ﴿ وحاجه قومه ﴾ وخاصة  
في التوحيد ﴿ قال أنحاجوني في الله ﴾ في وحدانيته سبحانه وتعالى ﴿ وقرأ نافع وابن عامر  
بتخفيف النون ﴾ وقد هدان ﴿ الى توحيدہ ﴾ ولا أخاف مما تشركون به ﴿ أي لا أخاف

فلما غابت الشمس ﴿ قال يا قوم اني بري مما تشركون ﴾ يعني انه لما أثبت ابراهيم  
عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بالهة ولا تصلح للربوبية تبرأ منها  
وأظهر قومه انه بري مما يشركون ولما أظهر خلاف قومه وتبرأ من شركهم أظهر  
ما هو عليه من الدين الحق فقال ﴿ اني وجهت وجهي ﴾ يعني اني صرفت وجه عبادتي  
وقصرت توحيدى ﴿ للذي فطر السموات والارض ﴾ يعني للذي خلقهما وابتدعهما  
﴿ حنيفا ﴾ يعني مائلا عن عبادة كل شيء سوى الله تعالى وأصل الحنف الميل وهو ميل  
عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته  
﴿ وما أنا من المشركين ﴾ تبرأ من الشرك الذي كان عليه قومه ﴿ قوله عز وجل  
﴿ وحاجه قومه ﴾ يعني وخاصة قومه وذلك لما أظهر ابراهيم عليه السلام عيب  
آلهتهم التي كانوا يعبدونها وأظهر التوحيد لله عز وجل خاصة قومه وجادلوه في ذلك  
فقال أنحاجوني في الله يعني أنجاد لوني في توحيدى لله وقد هدانى وقد تبين لي طريق  
الهداية الى توحيدہ ومعرفته وقال البغوي لما رجع ابراهيم الى أبيه وصار من الشباب  
بجالة تسقط عنه طمع الذابحين وضحه آزر الى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها  
ابراهيم ليبيها فيذهب ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها  
أحد فاذا بارت عليه ذهب بها الى هرفصوب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بقومه  
وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزؤه بها في قومه واهل قريته حابه قومه يعني  
خاصمه وجادله قومه في دينه ﴿ قال ﴾ يعني ابراهيم ﴿ أنحاجوني في الله وقد هدان ﴾  
يعني الى توحيدہ ومعرفته ﴿ ولا أخاف مما تشركون به ﴾ وذلك انهم قالوا له احذر  
الاصنام فاننا نخاف أن تمسك بجبل أو رجنون لعيبك اياها فاجابه بقوله ولا أخاف مما تشركون  
به فانها جادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضرر وهو قوله

لم يثبتني ربي لا كونى  
من القوم الضالين عن الهدى  
مقدم ومؤخر يقال قال  
هذا ربي على معنى الاستهزاء  
لقومه لان قومه كانوا  
يعبدون الشمس والقمر  
والنجوم فأنكر عليهم  
فاستهزأ بهم وقال لهم أمثل  
هذا يكون الرب فلما خرج  
من السرب وجاء الى قومه  
وهو يومئذ ابن سبع عشرة  
سنة نظر الى السماء والارض  
فقال ربي الذي خلق هذا  
ثم مضى حتى أتى قومه  
فرآهم عاكفين على أصنام  
لهم ( قال يا قوم اني بري  
مما تشركون ) بالله من  
الاصنام قالوا يا ابراهيم فن  
تعبدت قال ( اني وجهت  
وجهي ) أخذت ديني

وعلى ( للذي فطر ) خلق ( السموات والارض حنيفا ) مسلما ( وما أنا من المشركين ) على دينهم ( وحاجه قومه ) ( الا )  
خاصمه قومه في آلهتهم وخوفوه به لكي يترك دين الله ( قال ) ابراهيم ( أنحاجوني في الله ) أنحاجوني في دين الله  
لقبل آلهتكم وتخوفوني بها لكي أترك دين ربي ( وقد هدان ) ربي لدينه ( ولا أخاف مما تشركون به ) من الاصنام

الا أن يشاء ربى شياً ) أى لأخاف معبوداتكم فى وقت قطلائها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربى  
أن يصينى منها بضر فهو قادر على أن يجعل فيما شاء نفعا وفيما ضرا الا الاصنام (وسع ربى كل شىء علما ) فلا يصيب  
عدا شىء من ضر أو نفع الا بعلمه (أفلا تذكرون) فتميزوا بين (سورة الانعام) القادر والعاجز (وكيف أخاف

ما أشركتم) معبوداتكم وهى  
مأمونة الخوف ( ولا  
تخافون أنكم أشركتم بالله  
مالم ينزل به ) باشراكه  
( عليكم سلطانا ) حجة  
اذلا شرالك لا يصح أن يكون  
عليه حجة والمعنى ومالك  
تذكرون على الامن فى موضع  
الامن ولا تتكرون على  
أنفسكم الامن فى موضع  
الخوف ( فأى الفريقين )  
أى فريقى الموحدين  
والمشركين (أحق بالامن)  
من العذاب ( ان كنتم  
تعلمون ) ولم يقل فإنا  
احترازا من تزكية نفسه  
ثم استأنف الجواب عن  
السؤال بقوله (الذين آمنوا  
ولم يلبسوا ايمانهم بظلم  
بشرك عن الصديق رضى

(الا أن يشاء ربى شياً) نزوع  
المعرفة من قلبى فأخاف مما  
تخافون (وسع ربى كل شىء  
علما) علم ربى بأنكم على غير الحق  
(أفلا تذكرون) تتعظون  
فيما اقول لكم من النهى  
( وكيف أخاف ما  
أشركتم) بالله من الاصنام  
(ولا تخافون) أتم من الله  
( أنكم أشركتم بالله مالم

معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع \* الا أن يشاء ربى شياً \* أن  
يصينى بكاروه من جهتها واعلمه جواب لتخوفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم  
بعذاب الله \* وسع ربى كل شىء علما \* كأنه علة الاستثناء أى أحاط به علما فلا  
يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى مكاروه من جهتها \* أفلا تذكرون \* فتميزوا  
بين الصحيح والفساد والقادر والعاجز \* وكيف أخاف ما أشركتم \* ولا يتعلق  
به ضر \* ولا تخافون أنكم أشركتم بالله \* وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف  
لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع \* مالم  
ينزل به عليكم سلطانا \* مالم ينزل باشراكه كتابا أولم ينصب عليه دليلا \* فأى  
الفريقين أحق بالامن \* أى الموحدون أو المشركون وانما لم يقل أينا انا أم اتم  
احترازا من تزكية نفسه \* أن كنتم تعلمون \* ما يحق ان يخاف منه \* الذين  
آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم

\* الا أن يشاء ربى شياً \* يعنى لكن ان يشاربى شياً كان ما يشاء لانه قادر على النفع  
والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيد فى بعض حالاته وأيام عمره  
ما يكرهه فلو أصابه مكاروه نسبه الى الاصنام ففى هذه الشبهة بقوله الا أن يشاء ربى  
شىء وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول فى شىء والمعنى ولكن ان شاء ربى شياً كان  
\* وسع ربى كل شىء علما \* يعنى أحاط علمه بكل شىء فلا يخرج شىء عن علمه \* أفلا  
تذكرون \* يعنى أفلا تعتبرون ان هذه الاصنام جادات لا تضر ولا تنفع  
وان النافع الضار هو الذى خلق السموات والارض ومن فيهما \* وكيف أخاف  
ما أشركتم \* يعنى وكيف أخاف الاصنام التى أشركتم بها لانها جادات لا تبصر  
ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع \* ولا تخافون أنكم أشركتم بالله \* يعنى وأنتم  
لا تخافون وقد أشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب \* مالم ينزل به عليكم سلطانا \* يعنى ما ليس  
لكم فيه حجة وبرهان \* فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون \* يعنى يقول من أولى  
بالامن من العذاب فى يوم القيامة الموحداً والمشرك \* الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم \*  
وهذا فصل قضاء الله بين ابراهيم وبين قومه يعنى ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة  
هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقل هو من تمام كلام ابراهيم فى الحاجة لقومه  
والمعنى ان الذين يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا بى آمنوا بالله وحمدوا ولم  
يشركوا به شياً ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعنى ولم يخلطوا ايمانهم بشرك (ق) عن ابن مسعود  
رضى الله عنه قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا أينا  
لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انا هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه

ينزل به عليكم سلطانا) كتابا ولا حجة وكانوا يخوفونه بألهتهم فيقولون تخاف عليك ان شتمهم ان يجلوك فلذلك قال  
لا أخاف ( فأى الفريقين ) أهل دينى أنا وأنتم (أحق) أولى (بالامن) من معبوده واجبيوا (ان كنتم تعلمون) ذلك فاجيبوا  
فأجاب الله ما سأل عنهم ابراهيم فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولم ينافقوا

الله عنه (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) تم  
كلام ابراهيم عليه السلام  
(وتلك حجتنا) إشارة الى جميع  
ما احتج به ابراهيم عليه السلام  
على قومه من قوله فلما جن  
عليه الليل الى وهم مهتدون  
(آتيناهم ابراهيم على قومه)  
وهو خير بعد خير (ترفع  
درجات من نشاء) في العلم  
والحكمة وبالتنوين كوفي  
وفيه نقض قول المعتزلة في  
الاصح (ان ربك حكيم)  
بالرفع (علم) بالاهل  
(وهبنا له) لابراهيم  
(اسحق ويعقوب)  
بايمانهم (أولئك لهم الأمن)  
من معبودهم (وهم  
مهتدون) للصواب ويقال  
أولئك لهم الأمن من العذاب  
وهم مهتدون الى الحجية  
(وتلك حجتنا) هذه حجتنا  
(آتيناهم) ألهمناها (ابراهيم)  
حتى احتج بها (على قومه  
ترفع درجات) فضائل  
بالقدرة والمنزلة والحجة  
ويعلم التوحيد (من نشاء)  
من كان اهلا لذلك (ان ربك  
حكيم) - بالهام الحجية  
لاولياته (علم) بحجة  
أوليائه وعقوبة اعدائه  
(وهبنا له) لابراهيم  
(اسحق) ولدا (يعقوب)

أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴿ استثناف منه أو من الله بالجواب عما استفهم  
عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا أين  
لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله  
ان الشرك للظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق  
الاشراك به وقيل المعصية ﴿ وتلك ﴿ إشارة الى ما احتج به ابراهيم على قومه  
من قوله فلما جن عليه الليل الى قومه وهم مهتدون أو من قوله أنما حاجوني اليه  
﴿ حجتنا آتيناهم ابراهيم ﴿ أرشدناه اليها وعلناه اياها ﴿ على قومه ﴿ متعلق  
بحجتنا ان جعل خبر تلك وعحدوف ان جعل بدله أى آتيناهم ابراهيم حجة على  
قومه ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴿ في العلم والحكمة ﴿ وقرأ الكوفيون ويعقوب  
بالتنوين ﴿ ان ربك حكيم ﴿ في رفعه وخفضه ﴿ علم ﴿ بحال من يرفعه واستعداده له  
﴿ وهبنا له اسحق ويعقوب

يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان  
لابنه وذكره وقيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشئ من  
معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه أو يترك ما أمر الله به فعلى هذا القول تكون  
الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معان الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم  
المذكور في هذه الآية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه  
فسر الظلم هنا بالشرك وفي الآية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيئاً كانت عاقبته الامن  
من النار لقوله ﴿ أولئك ﴿ يعنى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ﴿ لهم الأمن ﴿  
يوم القيامة من عذاب النار ﴿ وهم مهتدون ﴿ يعنى الى سبيل الرشاد ﴿ قوله عز وجل  
﴿ وتلك حجتنا آتيناهم ابراهيم على قومه ﴿ يعنى ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل  
على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم اننا نحاف عليك  
من آلهتنا لسبب اياها قال أفلا تخافون أنهم منها ادسوتهم بين الصغير والكبير في العبادة  
أن يفضب الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال أى الفريقين أحق بالامن  
من بعدالها واحدا مخلصا له الدين والعبادة أم من يعبد أربابا كثيرة فقالوا من يعبدالها  
واحدا فقصوا على أنفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴿  
يعنى بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كارتفاع درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه  
وقيل نرفع درجات من نشاء في الدنيا بالنبوة والعلم والحكمة وفي الآخرة بالثواب  
على الاعمال الصالحة ﴿ ان ربك حكيم علم ﴿ يعنى انه تعالى حكيم في جميع أفعاله علم بجميع  
أحوال خلقه لا يفعل شيئاً الا بحكمة وعلم ﴿ قوله عز وجل ﴿ وهبنا له اسحق ويعقوب ﴿  
لما ظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل  
الصحيحة التى فهمه الله تعالى اياها وهداه اليها عدد الله نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع  
درجته في عليين وابقا النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى وهبنا له ابراهيم

كلا هدينا) أي كلهم وانتصب كلا بهدينا (ونوحا هدينا) أي وهدينا نوحا (من قبل) من قبل إبراهيم (ومن ذريته) الضمير لنوح أو لإبراهيم والاول أظهر لان يونس ﴿ ٤٣٩ ﴾ ولو طالم يكونا { سورة الانعام } من ذرية إبراهيم ( داود

وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون) والتقدير وهدينا من ذريته هؤلاء (وكذلك نجزي المحسنين) ونجزي المحسنين

جزاء مثل ذلك فالكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف ( وزكريا ويحيى وعيسى ) ( من الصالحين ) وذكر عيسى معهم دليل على

ان النسب ثبت من قبل الام أيضا لانه جعله من ذرية نوح عليه السلام وهو لا يتصل به الا بالام وبذا أوجب الحجج حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبي عليه السلام ( واسماعيل واليسع ) واليسع حيث كان

ولد الولد ( كلا ) يعني إبراهيم واسحق ويعقوب ( هدينا ) اكرمنا بالنبوة والاسلام ( ونوحا هدينا ) اكرمنا أيضا بالنبوة والاسلام ( من قبل ) أي من قبل إبراهيم ( ومن ذريته ) ومن ذرية نوح ويقال من ذرية إبراهيم ( داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون ) كلا هديناهم بالنبوة والاسلام ( وكذلك )

كلا هدينا) أي كلا منهما ﴿ ونوحا هدينا من قبل ﴾ من قبل إبراهيم عدهاه نعمة على إبراهيم من حيث انه أبوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ﴿ ومن ذريته ﴾ الضمير لإبراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه أقرب ولان يونس ولو طال ليسا من ذرية إبراهيم فلو كان لإبراهيم اختصاص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا ﴿ داود وسليمان وأيوب ﴾ وأيوب بن اموص من أسباط عيص بن اسحق ﴿ ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين ﴾ أي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا إبراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم ﴿ وزكريا ويحيى وعيسى ﴾ هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنات ﴿ والياس ﴾ قيل هو ادريس جد نوح عليها السلام فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هارون أخي موسى ﴿ كل من الصالحين ﴾ الكاملين في الصلاح وهو الاثنان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي ﴿ واسماعيل واليسع ﴾ هو اليسع بن اخطوب

اسحق يعني ابنا صلبه ويعقوب يعني ابن اسحق وهو ولد الولد ﴿ كلا هدينا ﴾ يعني هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووقفناهم الى طريق الحق والصواب ﴿ ونوحا هدينا من قبل ﴾ يعني من قبل إبراهيم أرشدنا نوحا ووقفناه للحق والصواب ومنا عليه بالهداية ﴿ ومن ذريته ﴾ اختلفوا في هذه الضمير الى من يرجع فقيل يرجع الى إبراهيم يعني ومن ذرية إبراهيم ﴿ داود وسليمان ﴾ وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لان الضمير يرجع الى أقرب مذكور ولان الله ذكره في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن أخي إبراهيم ولم يكن من ذريته ثبت بهذا ان هاء الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائز لان ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن يشا وكان ممن آتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان ابن داود ﴿ وأيوب ﴾ هو أيوب بن أموص بن رازح بن روم ابن عيص بن اسحق بن إبراهيم ﴿ ويوسف ﴾ هو ابن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم ﴿ وموسى ﴾ هو ابن عمران بن بصهر بن قاهث بن لاري بن يعقوب ﴿ وهرون ﴾ هو أخو موسى وكان اكبر منه بسنة ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾ يعني وكما جزينا إبراهيم على توحيد صبره على أذى قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم ﴿ وزكريا ﴾ هو ابن آذن بن بركياء ﴿ ويحيى ﴾ هو ابن زكريا ﴿ وعيسى ﴾ هو ابن مريم بنت عمران ﴿ والياس ﴾ قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل قال ومحمد بن اسحق هو الياس بن سنا بن فحاص بن العزار بن هرون بن عمران وهذا هو الصحيح لان أصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا ابن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجعله من ذريته ﴿ كل من الصالحين ﴾ يعني ان كل من ذكرنا وسمينا من الصالحين ﴿ واسماعيل ﴾ هو ابن إبراهيم وانما أخر ذكره الى هنا لانه ذكر اسحق وذكر اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخر ذكر اسمعيل الى هنا ﴿ واليسع ﴾ هو ابن اخطوب بن العجوز

مكذا ( نجزي المحسنين ) بالقول والفعل ويقال الموحدون ( وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل ) كل هؤلاء هديناهم بالنبوة والاسلام و كلهم من ذرية إبراهيم ( من الصالحين ) يعني كانوا من مرسلين ( واسماعيل واليسع



وقرأ حزة والكسائي واليسع وعلى القرأين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا \* شديدا باعباء الخلافة كاهله

﴿ ويونس ﴾ هو يونس بن متى ﴿ ولوطا ﴾ هو ابن هاران بن أخي ابراهيم ﴿ وكلا فضلنا على العالمين ﴾ بالنبوة وفيه دليل على فضلهم على من عداهم من الخلق ﴿ ومن آباؤهم وذرياتهم وأخوانهم ﴾ عطف على كلاً أو نوحاً أي فضلنا كلاً منهم أو هدينا هؤلاء وبعض آباؤهم وذرياتهم وأخوانهم فأن منهم من لم يكن نبياً ولا مهدياً واحتسبناهم ﴿ عطف على فضلنا أو هدينا ﴾ وهديناهم الى صراط مستقيم ﴿ تكرير لبيان ما هدوا اليه ﴾ ذلك هدى الله ﴿ اشارة الى ما دانوا به

بلامين حزة وعلى (ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) بالنبوة والرسالة (ومن آباؤهم) في موضع النصب عطفاً على كلاً أي وفضلنا بعض آباؤهم (وذرياتهم وأخوانهم واحتسبناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) أي ما دانوا به هؤلاء المذكورون (هدى الله) دين الله

﴿ ويونس ﴾ هو ابن متى ﴿ ولوطا ﴾ هو ابن أخي ابراهيم ﴿ وكلا فضلنا على العالمين ﴾ يعني على العالمين زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء افضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضى ان الانبياء افضل من الملائكة واعلم ان الله تعالى ذكر هنا ثمانية عشر نبياً من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لاجب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضى الترتيب ولكن هنا لطيفة أوجبت هذا الترتيب وهي ان الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء عليهم السلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر اولاً نوحاً و ابراهيم واسحق ويعقوب لانهم اصول الانبياء واليه ترجع انسابهم جميعاً ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد أعطى الله داود وسليمان من ذلك حظاً وافراً ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والحنن وشدة الندوة قد خص الله هذه أيوب عليه السلام ثم عطف على هاتين المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء وشدة الى أن أعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله تعالى موسى وهرون من ذلك بالخط الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين ثم ذكر الله من بعد هؤلاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل واليسع ويونس ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شيء يذكر والله اعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ومن آباؤهم ﴾ يعني ومن آباء الذين سبناهم ومن هنا للتبعيض لان من آباء بعضهم من لم يكن مسلماً ﴿ وذرياتهم ﴾ يعني ومن ذرياتهم أي بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كان نوح ﴿ وأخوانهم ﴾ يعني ومن اخوانهم والمعنى ان الله تعالى وفق من آباء المذكورين ومن اخوانهم وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى ﴿ واحتسبناهم ﴾ يعني اخترناهم واصطفيناهم ﴿ وهديناهم ﴾ يعني وارشدناهم ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ أي الى دين الحق ﴿ ذلك هدى الله ﴾ قال ابن عباس ذلك دين الله الذي كان عليه هؤلاء الانبياء ونيل المراد هدى الله معرفة الله وتزبيده عن الشركاء والاضداد والانداد

ويونس ولوطا وكلا) كلا هؤلاء الانبياء (فضلنا) بالنبوة والاسلام (على العالمين) عالمي زمانهم من الكافرين والمؤمنين (ومن آباؤهم) آدم ووشيث وادريس ونوح وهود وصالح هديناهم بالنبوة والاسلام (وذرياتهم) يعني أولاء يعقوب (واخوانهم) يعني اخوة يوسف هديناهم بالنبوة والاسلام (واحتسبناهم) اصطفيناهم (وهديناهم الى صراط مستقيم) يعني ثبتناهم على طريق مستقيم (ذلك) الصراط المستقيم (هدى الله) دين الله

( يهدى به من يشاء من عباده ) فيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا  
(واو أشركوا) مع فضلهم وتقدمهم ومارفع لهم من الدرجات العلى (لحبط عنهم ما كانوا يعملون) لبطلت أعمالهم كما قال لئن  
أشركت ليجنن علك ( أولئك الذين ﴿ ٤٤١ ﴾ آيناهم { سورة الانعام } الكتاب ) يريد الجنس

( والحكم ) والحكمة  
أوفهم الكتاب (والنبوة)  
وهي أعلى مراتب البشر  
(فإن يكفر بها ) بالكتاب  
والحكم والنبوة أو آيات  
القرآن (هؤلاء) أى أهل  
مكة ( فقد وكلنا بقوما )  
هم الانبياء المذكورون  
ومن تابعهم بدليل قوله  
أولئك الذين هدى الله  
فهداهم اقتده أو أصحاب  
النبي عليه السلام أو كل من

آمن به أو ألجم ومعنى  
توكليهم بها أنهم  
وقفوا للإيمان بها  
والقيام بحقوقها كما يوكل  
الرجل للشئ ليقوم به  
ويتعهدوه ويحافظ عليه والبناء  
في ( ليسوا بها ) صلة كافرين  
وفي ( بكافرين ) لتأكيد  
النفي أولئك الذين هدى  
الله أى الانبياء الذين مر  
ذكرهم ( فهداهم اقتده )  
فاختص هداهم بالاعتداء  
ولا تقتدالاهم وهذا معنى

( يهدى به من يشاء من عباده )  
من كان أهلاً لذلك (ولو  
أشركوا ) لو أشرك  
هؤلاء الانبياء ( لحبط  
عنهم ما كانوا يعملون )

﴿ يهدى به من يشاء من عباده ﴾ دليل على انه تعالى متفضل عليهم بالهداية ﴿ ولو أشركوا ﴾ أى  
ولو أشرك هؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع فضلهم وعلو شأنهم ﴿ لحبط عنهم ما كانوا  
يعملون ﴾ لكنوا كغيرهم في حبوط أعمالهم بسقوط ثوابها ﴿ أولئك الذين آيناهم الكتاب ﴾  
يريد به الجنس ﴿ والحكم ﴾ الحكمة أو فصل الامر على ما يقتضيه الحق ﴿ والنبوة ﴾ والرسالة  
﴿ فإن يكفر بها ﴾ أى بهذه الثلاثة ﴿ هؤلاء ﴾ يعنى قريشاً ﴿ فقد وكلنا بها ﴾ أى عمراعاتها  
﴿ قوما ليسوا بها بكافرين ﴾ وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام المذكورون ومتابعوهم  
وقيل هم الانصار أو أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو كل من آمن به أو الفرس وقيل  
الملائكة عليهم السلام ﴿ أولئك الذين آى الله ﴾ يريد الانبياء عليهم الصلاة والسلام  
المتقدم ذكرهم ﴿ فهداهم اقتده ﴾ فاختص طريقهم بالاعتداء والمراد بهداهم ما توافقوا  
عليه من التوحيد واصل الدين دون الفروع المختلف فيها فأما ليست هدى مضافاً الى الكل  
ولا يمكن التأسي بهم جيباً فليس فيه دليل على انه عليه الصلاة والسلام متبدشع من قبله

﴿ يهدى به من يشاء من عباده ﴾ يعنى بوقف من يشاء من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخالع  
الاضداد والشركاء ﴿ ولو أشركوا ﴾ يعنى هؤلاء الذين سميانهم ﴿ لحبط ﴾ يعنى  
لبطل وذهب ﴿ عنهم ما كانوا يعملون ﴾ من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل  
مع الشرك من الاعمال شيئاً ﴿ قوله عز وجل ﴾ أولئك الذين آيناهم الكتاب والحكم  
والنبوة ﴿ يعنى أولئك الذين سميانهم من الانبياء أعطيناهم الكتب التى أنزلناها عليهم  
وآيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت  
النبوة هي الاصل لان منصب النبوة اشرف المراتب والمناصب فذكرها اولاً الكتاب والحكم  
لانها يدلان على النبوة ﴿ فإن يكفر بها هؤلاء ﴾ يعنى فان يجحد بدلائل التوحيد والنبوة  
كفار قريش ﴿ فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما  
هم الانصار وأهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء  
البقائية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله أولئك الذين  
هدى الله فهداهم اقتده وقال جاء العطاردى هم الملائكة وفيه بعد لان اسم القوم لا ينطق  
الا على بنى آدم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكاً  
أو نبياً أو من الصحابة أو التابعين وفى الآية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه  
وسلم ويقوى دينه ويجعله عالياً على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب  
﴿ قوله عز وجل ﴾ أولئك الذين هدى الله ﴿ يعنى النبيين الذين تقدم ذكرهم  
لانهم هم المخصوصون بالهداية ﴿ فهداهم اقتده ﴾ اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم  
يعنى فبشرائهم وسننهم عمل وأصل الاعتداء فى اللغة طلب موافقة الثانى للاول فى فعله

من الطاعات ( أولئك الذين ) ( قا و خا ٥٦ نى ) قصصنا من النبيين ( آيناهم ) أعطيناهم (الكتاب) الذى نزل به جبريل  
من السماء (والحكم) العلم والفهم (والنبوة) فإن يكفر بها (بسيلهم ودينهم (هؤلاء) اهل مكة (فقد وكلنا بها) وقفنا بها بدين الانبياء  
وسيلهم (قوما) بالمدينة ( ليسوا بها ) بدين الانبياء وبسيلهم (بكافرين ) بمجاهدين ( أولئك الذين ) قصصناهم من النبيين  
(هدى الله) هداهم الله بالاخلاق الحسنى (فهداهم) فبأخلاقهم الحسنى من الصبر والاحتمال والرضا والقناعة وغير ذلك ( اقتده )

والهاء في اقتده للونف ومن أثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم اجري الوصل مجرى الوقت ويحذف الهاء في الوصل خاصة حزة والكسائي ويشعبها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر ويكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام ﴿ قل لأسألكم عليه ﴾ أى على التبليغ أو القرآن ﴿ أجرا ﴾ جملا من جهنم كما لم يسأل من قبل من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاعتداء بهم فيه ﴿ ان هو ﴾ التبليغ أو القرآن أو الغرض ﴿ الاذكري للعالمين ﴾ الا تذكريا وموعظة لهم ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد

وقيل أمره أن يقتدى بهم في أمر الدين الذي أمرهم أن يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتزيهه عن جميع النقائص التي لا تليق بجلاله في الاسماء والصفات والافعال وقيل أمره الله أن يقتدى بهم في جميع الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على أذى السفهاء والنفوس عنهم وقيل أمره أن يقتدى بشرائعهم الا ما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون في الآية دليل على أن شرع من قبلنا شرع لنا

### ﴿ فصل ﴾

احتج العلماء بهذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على أذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله عز وجل وكان اسحق ويعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن وكان داود عليه السلام وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعلموا آل داود شكرا وكان أيوب صاحب صبر على البلاء قال الله فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعنى الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهم وجعله جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان أنه صلى الله عليه وسلم كان أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جمعهم والله أعلم ﴿ وقوله عز وجل ﴾ قل لا أسئلكم عليه أجرا ﴾ يعنى قل يا محمد لا أطلب على تبليغ الرسالة جملا قيل لما أمره الله تعالى بالاعتداء بالنبيين وكان من جملة هدايم عدم طلب الاجر على اتصال الدين وابلاغ الشريعة لاجرم اقتدى بهم فقال لا أسئلكم عليه أجرا ﴿ ان هو ﴾ يعنى ما هو يعنى القرآن ﴿ الاذكري للعالمين ﴾ يعنى أن القرآن موعظة وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على أنه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمّت جميع الخلائق ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما قدروا الله حق قدره ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ما عظموا الله حق عظمتة وعنه أن

تقديم المفعول والمراد بهدايم طريقهم في الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهي مختلفة والهاء في اقتده للوقف تسقط في الوصل واستحسن اشارة الوقف لثبات الهاء في المحف ويحذفها حزة وعلى في الوصل ويختلسها شامى ( قل لأسئلكم عليه ) على الوحى أو على تبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد ( أجرا ) جملا وفيه دليل على أن أخذ الاجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لا يجوز ( ان هو الاذكري للعالمين ) ما القرآن الاعظة للجن والانس ( وما قدروا الله حق قدره

قل ) يا محمد لاهل مكة ( لا أسئلكم عليه ) على التوحيد والقرآن ( أجرا ) جملا ( ان هو ) ما هو يعنى القرآن ( الا ذكرى ) عظة ( للعالمين ) الجن والانس ( وما قدروا الله حق قدره ) ما عظموا الله حق عظمتة

﴿ اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ حين أنكروا الوحي وبعثه الرسل عليهم الصلاة والسلام وذلك من عظام رحمة وجلائل نعمته أوفى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم

اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ( أى ماعرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحي اليم وذلك من أعظم رحمة وما أرسلناك الا رحمة للعالمين روى أن جماعة من اليهود منهم مالك بن الصيف كانوا يجادلون النبي عليه السلام فقال النبي عليه السلام له أليس في التوراة أن الله يفض الخبر السمين قال نعم قال فأنت الخبر السمين فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء وحق قدره منصوب نصب المصدر

( اذ قالوا ما أنزل الله على بشر ) من النبيين ( من شيء ) من كتاب نزلت هذه الآية في مالك بن الصيف اليهودى قال ما أنزل الله على بشر من شيء

معناه ما آمنوا أن الله على كل شيء قدير وقال أبو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ماعرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشيء اذا حزره وسبره وأراد أن يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيئا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه المذكورة في معناه ﴿ اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ يعنى الذين قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على قولين أحدهما أنها نزلت في كفار قريش وعلى هذا قول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدى ويروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبرى قال لان من أول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء خبرا عن غيرهم وأورد فخر الدين الرازى على هذا القول اشكالا وهو أن كفار قريش يتكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وأيضا فابعد هذه الآية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود وأجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم أن موسى جاءهم بالتوراة وبالمعجزات الباهرات وانما أنكروا كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى وأجاب عن كون سياق الآية لا يليق الا بحال اليهود بان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد ان بعض الآية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود والقول الثانى في سبب نزول هذه الآية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الآية نزلت بالمدينة وانها من الآيات المدنية التى في السور المكية قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت سورة الانعام بمكة الاست آيات منها قوله وما قدروا الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الآية فيه فقال سعيد ابن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يفض الخبر السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله

والزامهم بقوله ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس ﴾ وقراءة الجمهور ﴿ يجعلونه قراطيس تبدوونها وتخفون كثيرا ﴾ بالآء وانما قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو جلا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها بإبداء بعض ما نتخبوه وكتبوه في اوقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهرونه روى ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبته الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله انشد بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض

على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الآية قال البغوي وفي القصة أن مالك بن الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتوا عليه وقالوا ليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء فقال مالك بن الصيف أغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فتزعه عن الخبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت هذه الآية في قحاص بن عازوراء اليهودي وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس رضي الله عنهما قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا فانزل الله وما قدره والله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى الآية وقال محمد بن كعب القرظي جاء ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب فقالوا يا ابا القاسم ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواح يحملها من عند الله فأنزل الله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء الآية التي في سورة النساء فلما حدثهم بأعمالهم الخبيثة جثا رجل منهم وقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئا فأنزل الله وما قدره الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء وأورد الرازي على هذا القول اشكالا أيضا وهو انه قال ان اليهود مقرون بانزال التوراة على موسى فكيف يقاؤون ما أنزل الله على بشر من شيء مع اعترافهم بانزال التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشيء وأجيب عنه بان مراد اليهود انكار انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال تعالى ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين أنكروا انزال القرآن عليك بقولهم ما أنزل الله على بشر من شيء من أنزل التوراة على موسى وفي هذا الالتزام توبيخ لليهود بسوء جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر ﴿ نورا وهدى للناس ﴾ يعني التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن تبدل وتغير ﴿ يجعلونه قراطيس ﴾ يكتبونه في قراطيس مقطعة ﴿ تبدوونها ﴾ يعني القراطيس المكتوبة ﴿ ويخفون كثيرا ﴾ يعني ويخفون كثيرا مما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونتمه في التوراة وما أخفوه أيضا آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم

(قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا) حال من الضمير في به أو من الكتاب (وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدوونها وتخفون كثيرا) مما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما رموا من الابداء والاخفاء وبالياء في الثلاثة

(قل) يا محمد للمالك (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا) بيانا وضياء (وهدى للناس) من الضلالة (يجعلونه) يكتبونه (قراطيس) في قراطيس أي في الصحف (تبدوونها) تظهرون كثيرا ما ليس فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونتمه (وتخفون كثيرا) يعني تكتبون كثيرا مما فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونتمه

مكي وأبو عر (وعلمت) يأهل الكتاب بالكتاب (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من أمور دينكم ودنياكم (قل الله) جواب أي أنزله الله فانهم لا يقدرون أن يناكروك ﴿٤٤٥﴾ (ثم ذرهم { سورة الانعام } في خوضهم) في باطلهم

الذي يخوضون فيه (يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم (وهذا كتاب أنزلناه) على نبينا عليه السلام (مبارك) كثير المنافع والفوائد (مصدق الذي بين يديه) من الكتب (ولتندر) وبالياء أبوبكر أي الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانداز (أم القرى) مكة وسميت أم

الحبر السمين قال نعم قال فأنت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزاهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ﴿وعلمت﴾ على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ زيادة على ما في التوراة وبيان لما التبس عليكم وعلى آباتكم الذين كانوا أعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلقون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش ﴿قل الله﴾ أي أنزله الله وألله أنزله أمره بأن يجب عنهم اشعار بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبها على أنهم يتوابعونهم لا يقدرين على الجواب ﴿ثم ذرهم في خوضهم﴾ في أباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجية ﴿يلعبون﴾ حال منهم الاول والظرف صلة ذرهم أو يلعبون أو حال من المفعول أو فاعل يلعبون أو من هم الثاني والظرف متصل بالاول ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ كثير الفائدة والنفع ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ يعني التوراة أو الكتب التي قبله ﴿ولتندر أم القرى﴾ عطف على ما دل عليه مبارك أي للبركات ولتندر أو علة لمخذوف أي ولتندر أهل أم القرى أنزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم

في التوراة ﴿وعلمت مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ أكثر المفسرين على أن هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمت على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم يتفوهوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قل الله﴾ هذا راجع الى قوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فان أجابوك يا محمد والافقل أنت الله الذي أنزله ﴿ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ يعني دعمهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزؤن ويسخرون وقيل معناه يا محمد انك اذا أقت الحجية عليهم وبلغت في الاعذار والانداز هذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق عليك من أمرهم شيء فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد ﴿قوله عز وجل﴾ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ﴿يعني وهذا القرآن كتاب أنزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة النماء والزيادة وشبهت الخير ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء يعني انه موافق لما في التوراة والانجيل وسائر الكتب لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتنزيه لله من كل عيب وقيقصة وتدل على البشارة والندارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقا لجميع الكتب المنزلة ﴿ولتندر قري بالياء يعني ولتندر يا محمد وبالياء ومعناه ولتندر الكتاب أم القرى﴾

(وعلمت) من الاحكام واخذود والحلال والحرام وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونفته في الكتاب (مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) من قبل من الاحكام والحدود فان أجابوك وقالوا الله أنزل والا (قل الله) أنزل (ثم ذرهم) اتركهم (في خوضهم يلعبون) في باطلهم يعمهون يخوضون ويكذبون (وهذا كتاب) يعني القرآن (أنزلناه) جبريل به (مبارك) فيه المغفرة والرحمة لمن آمن به (مصدق الذي بين يديه) موافق للتوراة والانجيل

والزبور وسائر الكتب بالتوحيد وصفة محمد صلى الله عليه وسلم ونفته (ولتندر) تخوف بالقرآن (أم القرى) يعني أهل مكة

(ومن حولها) أهل الشرق والغرب (والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون) به) بهذا الكتاب فاصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن (وهم على صلواتهم يحافظون) خصت الصلاة بالذكرا لانها علم الايمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على اخواتها ظاهرا (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) وهو مالك بن الصيف (أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شيء) هو مسيلة

ويقال أم القرى عظيمة القرى ويقال انما سميت أم القرى لان الارض دحيت من تحتها (ومن حولها) من سائر البلدان (والذين يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت ونعيم الجنة (يؤمنون به) بمحمد والقرآن (وهم على صلواتهم) على أوقات صلواتهم الحس (يحافظون) ومن أظلم) أعنى وأجراً (ممن افترى) اختلق (على الله كذبا أو قال) ما أنزل الله على بشر من شيء وهو مالك بن الصيف

و مجتمعهم وأعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها أو لانها مكان اول بيت وضع للناس \* وقرأ أبو بكر عن عاصم بالياء أى ولينذر الكتاب ﴿ ومن حولها ﴾ أهل المشرق والمغرب ﴿ والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلواتهم يحافظون ﴾ فإن من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملها ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ فزعم انه بعثه نبيا كمسيلة والاسود العنسي أو اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه ﴿ أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شيء ﴾ كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقنا آخر قال عبد الله فتيارك الله احسن الخالقين تجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله يعنى مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر أهل أم القرى وسميت مكة أم القرى لان الارض دحيت من تحتها قال ابن عباس رضى الله عنهما وقيل لانها أقدم القرى وأعظمها بركة وقيل لانها قبلة أهل الارض ﴿ ومن حولها ﴾ يعنى جميع البلاد والقرى التى حولها شرقا وغربا ﴿ والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به ﴾ يعنى والذين يصدقون بقيام الساعة وبالبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذى يؤمن بالآخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فانه يرغب فى تحصيل الثواب ودرء العقاب عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد أشرف الاديان وشريعته أعظم الشرائع ﴿ وهم على صلواتهم يحافظون ﴾ يعنى يداومون عليها فى أوقاتها والمعنى ان الايمان بالآخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على المحافظة على الصلاة وقائدة تخصيص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات التنبيه على أنها أشرف العبادات بعد الايمان بالله تعالى فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴿ يعنى ومن أعظم خطأ واجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو فى زعمه كذاب مبطل ﴿ أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شيء ﴾ قال قتادة نزلت هذه الآية فى مسيلة الكذاب ابن ثمامة وقيل مسيلة بن حبيب من بنى حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسمع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله أوحى اليه وكان قد أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهدان أن مسيلة نبي قال نعم فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم اذا وثيت خزائن الارض فوضع فى بدي

الكذاب (ومن قال) في موضع جر ﴿ ٤٤٧ ﴾ عطف على من { سورة الانعام } اقترى أمي ومن قال (سأزل

مثل ما أنزل الله) أي سأقول وأملى هو عبد الله بن سعد ابن أبي سرح كاتب الوحي وقد أملى النبي عليه السلام عليه ولقد خلقنا الانسان الى خلقا آخر فنجري على لسانه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك وقال ان كان محمد صادقا فقد أوحى الى كما أوحى اليه وان كان كاذبا فقد قلت كما قال فارتد ولحق بكمة أو انضر بن الحرث كان يقول والطاحنات طحنا فالما جنات عجنا فالخبزات خبزا كانه يعارض (ولوترى) جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما (اذ الظالمون) يزيد الذين ذكرهم من اليهود والمنتسبة فتكون اللام للمهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله (في غمرات

وهو مسيلة الكذاب) (ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله) سأقول مثل ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم وهو عبد الله بن سعد ابن أبي سرح (ولوترى)

وقال لئن كان محمدا صادقا لقد أوحى الى كما أوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ﴿ ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله ﴾ كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿ ولوترى اذ الظالمون ﴾ حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه أي ولو ترى الظالمين ﴿ في غمرات

سواران من ذهب فكبرا على وأهماني فأوحى الى أن انفخهما فنفختهما فطارا فأوتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام كان في يدي سوارين فأوتتهما كذابين يخرجان من بعدي يقال لاحدهما مسيلة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعاء قوله فأوحى الى ان انفخهما يروى بالخاء المهملة ومعناه الرمي والدفع من نفخت الدابة برجلها اذا دفعت ورحمت ويروى بالخاء المعجمة من النفخ يريدانه فنفخهما فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيلة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فاعترق قومه بذلك وقتل مسيلة الكذاب في زمن خلافة أبي بكر الصديق قتله وحشى قاتل حزة بن عبد المطلب وكان وحشى يقول قتلت خيرا الناس يعني حزة وقتلت شرا الناس يعني مسيلة وأما الاسود العنسي بالنون فهو عبلة بن كعب وكان يقال له ذوالحمار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم حتى لم يمت وذلك قبل موته بيومين وأخبر أصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فازيروزي يعني بقتله الاسود العنسي فن قال ان هذه الآية يعني قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء أنزلت في مسيلة الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة وهو قون لبعض علماء التفسير تقدم ذكره في أول السورة ومن قال ان هذه الآية مكية وقال انها نزلت في شأنهما يقول انها خبر عن غيب قد ظهر ذلك فيما بعد والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله) اليك قال السدي نزلت في عبد الله بن أبي سرح القرشي وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليهما حكيميا واذا أملى عليه عليهما حكيميا كتب غفورا رحيميا فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين أملاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحبب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لئن كان محمدا صادقا فقد أوحى الى مثل ما أوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله (ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله في المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم ﴿ ولوترى اذ الظالمون في غمرات

يا محمد (اذ الظالمون) المشركون والمنساقون يوم بدر (في غمرات



الموت) شدائمه وسكراته (والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم) أي بسطون أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوا  
اليان من أجسادكم وهذه عبارة { الجزء السابع } عن التشديد ﴿ ٤٤٨ ﴾ في الازهاق من غير تقييس وامبال (اليوم

تجزون عذاب الهون) أرادوا  
وقت الامانة وما يعذبون به  
من شدة النزع والهون  
الهوان الشديد واضاعة  
العذاب اليه كقولك رجل  
سوء يريد العراقة في الهوان  
والتمكن فيه ( بما كنتم  
تقولون على الله غير الحق )  
من أن له شريكا وصاحبة  
وولدا وغير الحق مفعول  
تقولون أو وصف لمصدر  
مخذوف أي قولا غير الحق  
(وكنتم عن آياته تستكبرون)  
فلا تؤمنون بها ( ولقد  
جئتمونا للحساب والجزاء  
( فرادى ) منفردين  
بالمال ولا معين وهو جمع  
فريد كاسير وأسارى ( كما  
خلقناكم ) في محل النصب  
صفة لمصدر جئتمونا أي  
مجئنا مثل ما خلقناكم (أول  
مرة ) على الهيات التي  
ولدت عليها في الانفراد  
الموت ) في نزعات الموت  
وغشياته (والملائكة باسطوا  
أيديهم) ضاربوا أيديهم الى  
أرواحهم (أخرجوا) أي  
يقولون أخرجوا (أنفكم)  
أرواحكم (اليوم ) يوم  
بدر ويقال يوم القيامة  
( تجزون عذاب الهون )  
الشديد ( بما كنتم تقولون

الموت ﴿ شدائمه من غره الماء اذا غشيه ﴾ والملائكة باسطوا أيديهم ﴿ قبض  
ارواحهم كالتقاضى الملقظ أو بالعذاب ﴾ أخرجوا أنفسكم ﴿ أي يقولون لهم  
أخرجوها لينا من اجسادكم تقليظا وتعنيفا عليهم أو أخرجوها من العذاب وخلصوها  
من ايديا ﴿ اليوم ﴾ يريد به وقت الامانة او الوقت الممتد من الامانة الى مالا نهاية  
له ﴿ تجزون عذاب الهون ﴾ أي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته  
الى الهون لعراقة وتمكنه فيه ﴿ بما كنتم تقولون على الله غير الحق ﴾ كادعاء الولد  
والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا ﴿ وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ فلا تتأملون  
فيها ولا تؤمنون بها ﴿ ولقد جئتمونا ﴾ للحساب والجزاء ﴿ فرادى ﴾ منفردين  
عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا أو عن الاعوان والاولاد التي زعمتم  
انها شفاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرى فرادا كرجال وفراد  
كثلا وفردى كسكرى ﴿ كما خلقناكم أول مرة ﴾ بدل منه أي على الهيئة التي ولدتكم

الموت ﴿ يعني ولوترى يا محمد حال هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت لرأيت أمرا عظيما وغراته  
شدائمه وسكراته وغرة كل شيء معظمه وأصلها الشيء الذي يغير الاشياء فيعظيها ثم وضعت  
في موضع الشدائد والمكروه ﴿ والملائكة باسطوا أيديهم ﴾ يعني بالعذاب يضربون وجوههم  
وأدبارهم وقيل باسطوا أيديهم لقبض أرواحهم ﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾ يعني يقولون لهم  
أخرجوا أنفسكم فان قلت انه لا فائدة لا على أخراج روحه من بدنه فافائدة هذا الكلام قلت معناه  
يقولون لهم أخرجوا أنفسكم كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم  
خلصوا أنفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يتقدرون  
على خلاص أنفسهم من العذاب في ذلك الوقت ﴿ اليوم تجزون عذاب الهون ﴾ يعني  
الهوان ﴿ بما كنتم تقولون على الله غير الحق ﴾ يعني ذلك العذاب الذي تجزونه بسبب  
ما كنتم تقولون على الله غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) يعني وبسبب ما كنتم تعظمون  
عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد جئتمونا فرادى ﴿ يعني  
وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال  
الكافرين يوم القيامة وكيف يحشرون اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله  
للكافرين ولقد جئتمونا فرادى تقرع وتوبخ لهم لانهم صرفوا همهم في الدنيا  
الى تحصيل المال والولد والجاه وأنفوا أعمارهم في عبادة الاصنام فلم يفن عنهم كل ذلك  
شيأ في يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا ﴿ كما خلقناكم أول مرة ﴾ يعني  
جئتمونا حفاة عراة غرلا يعني قنفا كاولداتهم أمهاتهم في أول مرة في الدنيا لاشئ عليهم  
ولامعهم (ق) عن ابن عباس رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بعوذة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كابدا أنا أول خلق  
نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول تحشرون الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء

على الله غير الحق) ما ليس بحق (وكنتم عن آياته) عن محمد عليه السلام والقرآن (تستكبرون) أي تعظمون ( جميعا )  
عن الايمان محمد عليه السلام والقرآن في الدنيا (ولقد جئتمونا فرادى) صغرا بالمال ولا ولد (كما خلقناكم أول مرة) في الدنيا بال

( وتركتهم ما حولناكم ) ملكناكم ﴿ ٤٤٩ ﴾ ( وراء ظهوركم ) { الجزء السابع } ولم تحتملوا منه نقيرا ( وما

نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ) في استبعادكم ( لقد تقطع بينكم ) وصلحكم عن الزجاج والبين الوصل والحجر قال : فوالله لولا البين لم يكن الهوى \* ولولا الهوى ما حن للبين ألف \* بينكم مدني وعلى وحفص أي وقع التقطع بينكم ( وضل عنكم ) وضاع وبطل ( ما كنتم تزعمون ) انها شفعاءكم عند الله ( ان الله فائق الحب والنوى ) بالنبات والشجر أي فلق الحب عن السنبل والنواة عن النخلة والفلق الشق وعن مجاهد أراد الشقين اللذين في النواة والخنطة

مال ولا ولد ( وتركتهم ) خلفكم ( ما حولناكم ) اعطيناكم ( وراء ظهوركم ) خلف ظهوركم في الدنيا ( وما نرى معكم ) لكم ( شفعاءكم ) آلهتكم ( الذين زعمتم انهم فيكم ) لكم ( شركاء ) شفعاء ( لقد تقطع بينكم ) وصلحكم يعني ما كان بينكم من الوصل والود ( وضل عنكم ) اشتغل عنكم بانفسها ( ما كنتم تزعمون ) تعبدون وتقولون انها شفاؤكم يعني ما كان

عليها في الانفراد أو حال ثانية ان جوز التعدد فيها أو حال من الضمير في فرادي أي مشبهين ابتداء خالقكم عمارة حفاة غير لاجها أو صفة مصدر جثمونا أي جثنا كما خلقناكم ﴿ وتركتهم ما حولناكم ﴾ ما فضلنا به عليكم في الدنيا فشفعتم به عن الآخرة ﴿ وراء ظهوركم ﴾ ما قدمتموه منه شيئا ولم تحملوا نقيرا ﴿ وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ﴾ أي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ أي تقطع وصلكم وتشدت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل \* وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل للدلالة ما قبله عليه أو اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به ﴿ وضل عنكم ﴾ ضاع وبطل ﴿ ما كنتم تزعمون ﴾ انها شفعاءكم أو ان لا بعث ولا جزاء ﴿ ان الله فائق الحب والنوى ﴾ بالنبات والشجر وقيل المراد

جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن بهمهم ذلك روى الطبري بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عز وجل ولقد جثمونا فرادي كما خلقناكم أول مرة فقالت يا رسول الله واسوأنا ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوءة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض ﴿ قوله عز وجل ﴾ وتركتهم ما حولناكم وراء ظهوركم ﴿ يعني وتركتهم الذي اعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والحول وكل ما أعطى الله العبد خوله فيد من المال والعبيد وراء ظهوركم يعني في الدنيا ﴿ وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ﴾ يعني ان المشركين زعموا انهم انما عبدوا هذه الاصنام لانها تشفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركاء الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيامة ومح الله المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ قرئ بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل أو يكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرئ بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا ﴿ وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ يعني وذهب وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الله فائق الحب والنوى ﴿ لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة أردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تبيينها بذلك على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله وانه مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لاهذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريفانها خطأ ما كانوا عليه من الاشرار الذي كانوا عليه والمعنى أن الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فلق الحب عن النبات والنواة عن النخلة وفي معنى فلق قولان احدهما انه بمعنى خلق ومعنى الآية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو

الاصنام ( ان الله فائق الحب ) يعني خالق الحبوب ( قا وخا ٥٧ ني ) كلها ويقال خالق ما كان في الحب ( والنوى ) يعني ما كان

(يخرج الحى من الميت) النبات { الجزء السابع } الفرض النامى ﴿ ٤٥٠ ﴾ من الحب اليابس (ويخرج الميت من الحى)

الحب اليابس من النبات  
النامى أو الانسان من لطفة  
والنطفة من الانسان أو  
المؤمن من الكافر والكافر  
من المؤمن فاحتج الله عليهم  
بما يشاهدونه من خلقه  
لأنهم أنكروا البعث  
فأعلمهم أنه الذى خلق هذه  
الاشياء فهو يقدر على  
بعثهم وانقال ويخرج الميت  
بلفظ اسم الفاعل لانه معطوف  
على فاعل الحب لعل الفعل  
ويخرج الحى من الميت  
موقعه موقع الجملة الميئة  
لقوله فالحب والحب والحب  
لان فلق الحب والنوى  
بالنبات والشجر الناميين من  
جنس اخراج الحى من  
الميت لان النامى فى حكم  
الحيوان دليله قوله ويحيى  
الارض بعد موتها (ذلكم الله)  
ذلكم الحى والميت هو الله  
الذى تحق له الربوبية

فيه النواة ( يخرج الحى  
من الميت) النسمه والدواب  
من النطفة ويقال الطير  
من البيضة ويقال السنبله  
والثمار من الحبة والنواة  
( ويخرج الميت من الحى)  
النطفه من النسمه والدواب  
ويقال البيضة من الطير  
ويقال الحبة والنواة  
من السنبله والثمار (ذلكم

به الشقاق الذى فى الخنطة والنواة يخرج الحى \* يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات  
ليطابق ما قبله \* من الميت \* مما لا ينمو كالنطف والحب \* ويخرج الميت من الحى \*  
ويخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم جلا على فالحب فأن قوله  
يخرج الحى واقع موقع البيان له \* ذلكم الله \* أى ذلكم الحى والميت هو الذى

قول ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية العوفى عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدى  
ذهبوا فالحق مذهب فاطر وأنكر الطبرى هذا القول وقال لا يعرف فى كلام العرب  
فلق الله الشئ بمعنى خلق وتقل الازهرى عن الزجاج جواز فلق وقيل الفلق الخلق  
واذا تأملت الخلق تبين لك ان اكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء  
كانت قبل الوجود فى العدم فلما وجدها الله تعالى وأخرجها من العدم الى الوجود فسكانه  
فلقها وأظهرها والقول الثانى وهو قول الاكثرين ان الفلق هو الشق ثم اختلفوا فى معناه  
على قولين احدهما وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فلق الحبة عن السنبله  
والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدى وابن زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة  
والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا أخضر والقول الثانى وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان  
فى الحب والنوى والحب هو الذى ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما أشبه  
ذلك والنوى جمع نواة وهى ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما أشبه  
ذلك ومعنى قوله فالحب والنوى أنه اذا وقعت الحبة والنواة فى الارض الرطبة ثم  
مر على ذلك قدر من الزمان أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا أخضر ثم  
يخرج من ذلك الورق سنبله يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة فى الهواء  
وعزوقا ضاربة فى الارض فبجان من أوجد جميع الاشياء بقدرته وابداعه وخلقته  
\* قوله عز وجل \* يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى \* قال ابن عباس  
رضى الله عنهما فى رواية عنه يخرج من النطفة بشرا وحيوانا ويخرج النطفة الميتة من الحى وهذا  
قول الكلبي ومقاتل قال الكلبي يخرج النسمه الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخة  
من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة من الحى وقال ابن عباس رضى الله عنهما  
فى رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة  
الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطائع من العاصى  
والعاصى من الطائع وقال السدى يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا  
اختيار الطبرى لانه قال عقب قوله ان الله فالحب والنوى \* فان قلت كيف قال ويخرج  
الميت من الحى بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت وما السبب  
فى عطف الاسم على الفعل \* قلت قوله ويخرج الميت من الحى عطف على قوله فالحب والنوى  
وقوله يخرج الحى من الميت كاليان والتفسير لقوله فالحب والنوى لان فلق الحب والنوى  
اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى من النبات  
فى حكم الحيوان وقوله \* ذلكم الله \* يعنى ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء

( المحي )

الذى يفعل هذا هو (الله)

لا الاصنام (فأني تؤفكون) فكيف تصرفون ﴿ ٤٥١ ﴾ عنه وعن { سورة الانعام } تولى الى غيره به ووضوح

الامر بما ذكرنا (فالق الاصباح) هو مصدر سمي به الصبح أى شاق عموذ الصبح عن سواد الليل أو خالق نور النهار (وجاعل الليل) وجعل الليل كوفي لان اسم الفاعل الذى قبله بمعنى المضى فلما كان فائق بمعنى فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى (سكنا) مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه أى ليسكن فيه الخلق عن كد المعيشة الى نوم الغفلة أو عن وحشة الخلق الى الانس بالحق (والشمس والقمر) انصبأ باخيار فعل يدل عليه جاعل الليل أى (حسبانا) أى جعلهما على حساب لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان

لا الآلهة تفعله (فأني تؤفكون) من اين تكذبون (فالق الاصباح) صبح النهار (وجعل الليل سكنا) مسكنا للخلق (والشمس والقمر) يعنى خلق الشمس والقمر (حسبانا) منازلهما بالحساب ويقال معلقان بين السماء والارض بدوران بالدوران

يحق له العبادة ﴿ فأني تؤفكون ﴾ تصرفون عنه الى غيره ﴿ فالق الاصباح ﴾ شاق عموذ الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار أو شاق ظلمة الاصباح وهو الغيبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصباح سمي به الصبح \* وقرئ بفتح الهمزة على الجمع \* وقرئ فالق الاصباح بالنصب على المدح \* وجاعل الليل سكنا \* يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به أو يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لابه فإنه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل جلا على معنى المعطوف عليه فأن فائق بمعنى فلق ولذلك قرئ به وأوبه على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعنى هذا يجوز ان يكون ﴿ والشمس والقمر ﴾ عطفا على محل الليل ويشهد له قرأتها بالجر والاحسن نصبها بجعل مقدر \* أو قرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى مجعولان ﴿ حسبانا ﴾ أى على ادوار مختلفة تحسب بهما الاوقات ويكونان على الحسبان وهو

الحجى المميت لهما ﴿ فأني تؤفكون ﴾ يعنى فأني تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل أيضا على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب \* قوله عز وجل ﴿ فالق الاصباح ﴾ أى شاق عموذ الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر سمي به الصبح وقال الزجاج الاصباح والصبح واحد وهما اول النهار \* فان قلت ظاهر الآية يدل على انه تعالى فلق الصبح والظلمة هى التى تنفلق بالصبح فامعنى ذلك \* قلت ذكر العلماء فيه وجوها الاول ها أن يكون المراد فائق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد فى الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو فى الافق الشرقى ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثانى وهو الضوء المستطير فى جميع الافق الشرقى ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا ان يكون المعنى فائق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثانى الوجه الثانى انه تعالى كاشق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصبح بضياء النهار ويكون معنى قوله فالق الاصباح أى فائق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فائق ظلمة الاصباح وهى الغيبش فى آخر الليل الذى يلي الصبح الوجه الرابع ان يكون المعنى فائق الاصباح الذى هو عموذ الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق وسمى الفجر فلما بمعنى مفروق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعنى خالق الاصباح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذى يبدو أول النهار والمعنى انه تعالى مبدى ضوء الصبح وخالقه ومنوره \* قوله عز وجل ﴿ وجاعل الليل سكنا ﴾ السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد أن الناس يسكنون فى الليل سكون راحة لان الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما ان كل ذى روح يسكن فيه لان الانسان قد أتعب نفسه فى النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل ﴿ والشمس والقمر حسبانا ﴾ يعنى انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر فى الفلك

الحسبان بالكسر مصدر حسب {الجزء السابع} (ذلك) اشارة الى ﴿٤٥٢﴾ جعلهما حسباناً أى ذلك التسيير بالحساب

مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كسحاب وشبان ﴿ذلك﴾ اشارة الى جعلهما حسباناً أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم ﴿تقدير العزيز﴾ الذى قهرهما وسخرهما (العليم) بتدبيرهما وتدويرهما (وهو الذى جعل لكم النجوم) خلقها (تهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) أى فى ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها اليهما الملا بسببها لئلا يشبه مشتبهات الطرق بالظلمات (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) قد بينا الآيات

الدالة على التوحيد لقوم يعلمون (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) هى آدم عليه السلام (مستودع) فستقر بالكسر مكى وبصرى فن قح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرهما كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعنى فلکم مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فنكم مستقر ومنكم

بجسبان معين قال ابن عباس رضى الله عنهما يجريان الى أجل جعل لهما يعنى عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بجسبان ليجاوزانه حتى يتنهما الى أقصى منازلهما ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما تقدم ذكره فى هذه الآية من الاشياء التى خلقها بقدرته وكال علمه وهو المراد بقوله ﴿تقدير العزيز العليم﴾ فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه ﴿قوله عز وجل﴾ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ﴿جعل هنا بمعنى خلق يعنى والله الذى خلق لكم هذه النجوم أدلة لتهتدوا بها اذا ضلتم الطريق وتخيرتم فيه فامتن الله على عباده بأن جعل لهم النجوم ليهتدوا بها فى المسالك والطرق فى البر والبحر الى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم أيضاً على القبلة فيستدلون على ما يريدون فى النهار بحركة الشمس وفى الليل بحركة الكواكب ومن منافعها أيضاً أنه تعالى خلقها زينة للسماء ورجوما للشياطين كما قال ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ﴿قد فصلنا الآيات﴾ يعنى قد بينا الآيات الدالة على توحيدنا وكال قدرتنا ﴿لقوم يعلمون﴾ ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار وكال علمه وقدرته ﴿قوله عز وجل﴾ وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة ﴿يعنى والله الذى ابتداء خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضاً لان ابتداء خلقه من مريم وهى من بنات آدم فثبت ان جميع الخلق من آدم عليه السلام ﴿فستقر ومستودع﴾ قرئ

ذلك تقدير العزيز يعنى تدبير العزيز باللقمة لمن لا يؤمن به (العليم) بتدبيره وعن آمن به وعن لا يؤمن به (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا) لتعلموا (بها) الطريق (فى ظلمات البر والبحر) واهوالهما اذا سافرتن فى بر أو بحر

(قد فصلنا الآيات) قد بينا القرآن وعلامات الوحدانية (لقوم يعلمون) انه من الله يعنى المؤمنين المصدقين (وهو الذى (منكم) أنشأكم) خلقكم (من نفس واحدة) من نفس آدم (فستقر) فى الارحام (ومستودع) فى الاصلاب ويقال فستقر فى الاصلاب

يعلمون ثم يفقهون هنا لان الدلالة ثم أظهر وهنا أدق لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق (وهو الذي أنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرجنا به) بالماء (نبات كل شيء) نبت كل صنف

من أصناف النامي أي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فاخرجنا منه) من النبات (خضرا) أي شيا غضا أخضر يقال أخضر وخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حباتها) وهو السنبل الذي تراكب

ومستودع في الارحام (قد فصلنا) بينا (الآيات لقوم يفقهون) أمر الله وتوحيده (وهو الذي أنزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) فأنبتنا بالمطر (نبات كل شيء) من الحبوب وغيرها (فاخرجنا منه) أي بالمطر من الارض (خضرا) النبات الاخضر (نخرج منه) من النبات الاخضر (حباتها) متراكبا في السنبل

لان الاستقرار منادون الاستيداع ﴿ قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾ ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان أمرها ظاهر ومع ذكر تخليق نبي آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء ﴾ من السحاب أو من جانب السماء ﴿ فاخرجنا ﴾ على تلوين الخطاب ﴿ به ﴾ بالماء ﴿ نبات كل شيء ﴾ نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المختلفة المقتضية المسقية بماء واحد كما في قوله سبحانه وتعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ﴿ فاخرجنا منه ﴾ من النبات أو الماء ﴿ خضرا ﴾ شيا أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب ﴿ نخرج منه ﴾ من الخضر ﴿ حباتها ﴾ حباتها متراكبا وهو

منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع أن المستقر أقرب الى الثبات من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معروض لان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المستقر في أرحام الامهات والمستودع في أصلاب الآباء ثم قرأ ونقر في الارحام مانشاء ويؤيد هذا القول أن النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في أطن الام أكثر من صلب الاب حل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروى عنه انه قال بالعكس يعني أن المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول أن النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب حل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم الى أن يولد والمستودع في القبر الى أن يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر ومراع الى حين والمستودع عند الله في الآخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم أنت مستودع في اهلك الى أن تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر اما في الجنة أو النار لان المقام فيهما يقتضى الخلود والتأييد ﴿ قد فصلنا الآيات ﴾ قد بينا الدلائل الدالة على التوحيد بالبراهين الواضحة والجميع القاطعة ﴿ لقوم يفقهون ﴾ يعني لقوم يفهمون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهو الذي أنزل من السماء ماء ﴿ يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض ﴾ (فاخرجنا به) يعني بالماء الذي أنزلناه من السماء ﴿ نبات كل شيء ﴾ يعني كل شئ ينبت وينمو من جميع أصناف النبات وقيل معناه أخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء غذاء كل شئ من الانعام والبهائم والطيور والوحش وأرزاق نبي آدم وأقواتهم مما يتغذون به فينبئون عليه وينمون ﴿ فاخرجنا منه خضرا ﴾ يريد أخضر مثل عور وأعور والاخضر هو جمع الزروع والبقول الرطبة ﴿ نخرج منه حباتها ﴾

حبه ( ومن النخل من طلعتها { الجزء السابع } قنوان ) هو ٤٤٤ رفع بالابتداء ومن النخل خبره

السنبيل ﴿ ومن النخل من طلعتها قنوان ﴾ أى واخرجنا من النخل نخلا من طلعتها قنوان أو من النخل شئ من طلعتها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعتها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعداق جمع قنو كصنوان جمع صنو \* وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلا من ابنة الجمع ﴿ دانية ﴾ قريبة من المتناول أو ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدالاتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من أعناب ﴿ عطف على نبات كل شئ ﴾ \* وقرئ بالرفع على الابتداء أى ولكم أو ثم جنات أو من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العناب لا يخرج من النخل ﴿ والزيتون والرمان ﴾ ايضا عطف على نبات أو نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم ﴿ مشتها وغير متشابه ﴾ حال من الرمان أو من الجميع أى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر والطعم واللون ﴿ أنظروا الى ثمره ﴾ أى ثمر كل واحد من ذلك \* وقرأ جزءة والكسائى بضم التاء والميم وهو

يعنى نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبيل القمح والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب وفى تقديم الزرع على النخل دليل على الأفضلية ولان حاجة الناس اليه أكثر لانه القوت المألوف ﴿ ومن النخل من طلعتها قنوان دانية ﴾ يعنى من ثمرها يقال أطلعت النخلة اذا أخرجت طلعتها وطلعتها كفراها قبل ان ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا أيضا وهو ما يكون فى قلب الطلع والطلع أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذوق فاذا شق عنه كيزانه سمى عذقا وهو القنو وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية أى قريبة التساؤل ينالها القائم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضمك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما قنوانها دانية قريبة ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفى بذكر القربة عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها أسهل تناولا من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة ﴿ وجنات من أعناب ﴾ يعنى وأخرجنا من ذلك بساتين من أعناب ﴿ والزيتون والرمان ﴾ يعنى وأخرجنا شجر الزيتون وشجر الرمان ﴿ مشتها ﴾ قال قتادة مشتها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ﴿ وغير متشابه ﴾ يعنى ومنها غير متشابه فى الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر فى هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع على سائر الاشجار لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان ثمرها تجرى مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس فى غيرها من الاشجار وانما ذكر العناب عقب النخلة لانها من أشرف أنواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة فى الاكل وسائر وجوه الاستعمال ثم ذكر عقبه الرمان لما فيه من المنافع أيضا لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى ﴿ أنظروا الى ثمره

ومن طلعتها بل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو العذوق نظيره صنو وصنوان (دانية) من المحتى لانخائها بشقل جلهما أو لتصر ساقها وفيها اكتفاء أى وغير دانية اطولها كقوله سراويل تقيكم الحر ( وجنات ) بالنصب عطفًا على نبات كل شئ أى وأخرجنا به جنات ( من أعناب ) أى مع النخل وكذا ( الزيتون والرمان ) وجنات بالرفع الاعشى أى وثمر جنات من أعناب أى مع النخل ( مشتها وغير متشابه ) يقال اشبه الشيان وتشابها نحو استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتر كان كثيرا وتقديره والزيتون متشابه وغير متشابه والرمان كذلك يعنى بعضه متشابه وبعضه غير متشابه فى القدر واللون والطعم ( أنظروا الى ثمره

وغیره ( من النخل من طلعتها ) كفراها ( قنوان ) عذوق ( دانية ) قريبة ينالها القاعد والقائم ( وجنات ) بساتين ( من أعناب ) من كروم ( الزيتون ) شجر الزيتون ( والرمان ) شجر الرمان ( مشتها ) فى اللون يعنى الرمان ( وغير متشابه )

( اذا )

أى مختلف فى الطعم ( أنظروا الى ثمره )

إذا أثمر ( إذا أخرج ثمرة كيف

يخرج ثمرة ضعيفا لا يتفجع به  
( وينعه ) ونضجه أى  
انظروا الى حال نضجه  
كيف يعود شيئا جامعا  
لمنافع نظرا اعتبار واستدلال  
على قدرة مقدره ومدبره  
وناقله من حال الى حال ( ان  
في ذلكم آيات لقوم  
يؤمنون ) ثمرة وكذا ما بعده  
حزة وعلى جمع ثمار فهو  
جمع الجمع يقال ثمرة وثمر  
وثمار وثمر ( وجعلوا لله  
شركاء الجن ) ان جعلت  
لله شركاء مفعولى جعلوا

كان الجن بدلا من شركاء  
والا كان شركاء الجن  
مفعولين قدم ثانيهما على  
الاول وفائدة التقديم  
استعظام أن يتخذ الله شريك  
من كان ملكا أو جنيا  
أو غير ذلك والمعنى انهم  
أطاعوا الجن فيما سولت

إذا أثمر ( انمقد ) وينعه )  
نضجه ( ان في ذلكم )  
في اختلاف ألوانه ( آيات )  
لعلامات ( لقوم يؤمنون )  
يصدقون انه من الله  
( وجعلوا لله شركاء الجن )  
قالوا ان الله تعالى وابليس  
اخوان شريكان الله خالق  
الناس والدواب والانعام  
وابليس خالق الحيات  
والمقارب والسباع وهى

جمع ثمرة كخشبة وخشب أو ثمار ككتاب وكتب ﴿ إذا أثمر ﴾ إذا أخرج ثمرة  
كيف ثمرة ضئيلا لا يكاد يتفجع به ﴿ وينعه ﴾ والى حال نضجه أو الى نضجه كيف  
يعود ضخما ذا نفع ولذة هو فى الاصل مصدر ينبت الثمرة إذا ادركت وقيل جمع يانع  
كتاجر وتجرجر وقرى بالضم وهو لغة فيه ويانهه ﴿ أن فى ذلكم آيات لقوم يؤمنون ﴾  
أى آيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده فأن حدوث الاجناس المختلفة  
والانواع المقتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث  
قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله  
ند يعارضه أو ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال ﴿ وجعلوا لله  
شركاء الجن ﴾ أى الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جننا لاجتنانهم  
تحقيرا لشأنهم أو الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى أو عبدوا الاوثان  
بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار  
كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء أو شركاء الجن والله  
متعلق بشركاء أو حال منه \* وقرى الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر

إذا أثمر وينعه ﴿ يعنى ونضجه وادراكه والمعنى أنظروا نظر استدلال واعتبروا  
كيف أخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكشيفة اليابسة  
﴿ وهو قوله عز وجل ﴾ ﴿ أن فى ذلكم آيات لقوم يؤمنون ﴾ يعنى يصدقون ان الذى  
أخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على أن يحيى الموتى ويبعثهم وانما احتج الله عليهم  
بتصريف ما خلق ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه قطعا ويشاهدونه من احياء الارض  
بعد موتها واخراج سائر أنواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر على ذلك أحد الا الله  
تعالى ليبين أنه تعالى كذلك قادر على أن يحيى بعد موتهم ويبعثهم يوم القيامة فاحتج عليهم  
بهذه الاشياء لانهم كانوا ينكرون البعث \* قوله عز وجل ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ﴾  
قال الحسن معناه أطاعوا الجن فى عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم أطاعوا  
الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله وقال الكلبي نزلت فى الزنادقة أثبتوا  
الشرك لاثنين فى الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس  
خالق الظلمة والسباع والحيات والمقارب ونقل هذا القول ابن الجوزى عن ابن السائب  
ونقله الرازى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الامام فخر الدين الرازى وهذا مذهب  
المجوس وانما قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا قول الزنادقة لان المجوس يلتبسون  
بالزندقة لان الكتاب الذى زعم « زردشت » أنه نزل من السماء سماه بالزند والمنسوب اليه  
زندى ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع قيل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما يكون  
فى هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعنى النور وجميع ما فى العالم من الشر فهو من  
الظلمة يعنى ابليس ثم اختلف المجوس فلا كثرون منهم على أن ابليس محدث ولهم  
فى كيفية حدوثه أقوال عجبية والاقولون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقوا



لهم من شركهم فجعلهم يكون المخلوق شريكاً لخالقه والجملة حال أي وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وخرقوا له) أي اختلقوا يقال خلق الأفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى أوهو من خرق الثوب إذا شقها أي اشتقوا له (بنين) كقول أهل الكتابين في المسيح وعزير (وبنات) كقول بعض العرب في الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدني لقوله بنين وبنات (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولكن رمية بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أي جاهلين بما قالوا (سبحانه وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بديع الشيء فهو بديع وهو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها يعني بديع سمواته وأرضه أو هو بمعنى المبدع أي مبدعها

الجزء السابع ثم شركاء الله ﴿٤٥٦﴾ (وخلقهم) أي وقد خلق الجن فكيف على الإضافة للبين ﴿وخلقهم﴾ حال بتقدير قد والمعنى وقد علوا إن الله تعالى خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق • وقرئ وخلقهم عطفًا على الجن أي وما يخلقونه من الأصنام أو على شركاء أي وجعلوا له اختلافهم للأفك حيث نسبوه إليه ﴿وخرقوا له﴾ افتعلوا واقتروا له وقرئ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا أي زوروا ﴿بنين وبنات﴾ فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله ﴿بغير علم﴾ من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو أو المصدر أي خرقا بغير علم ﴿سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ وهو ان له شريكا أو ولدا ﴿بديع السموات والارض﴾ من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أو إلى الظرف كقولهم ثبت الغدير بمعنى أنه عديم النظير فهما على أنه شريك الله في تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول أعنا بتوا الله شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله أنهم جعلوا له شركاء قلت ان ابليس له أعوان من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعملون أعماله فصمحا حكاة الله عنهم من أنهم جعلوا له شركاء الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا في معنى هذه الشركة فن قال ان الآية في كفار العرب قال أنهم لما أطاعوا الجن فيما أمرهم به من عبادة الأصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال انها في المجوس قال أنهم أبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاؤه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله ﴿وخلقهم﴾ في معنى الكناية قولان أحدهما انها تعود إلى الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثاني أن الكناية تعود إلى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا الله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكاً لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما في الكون فامتنع أن يكون لله شريك في ملكه ﴿وخرقوا بنين وبنات بغير علم﴾ أي اختلفوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا ان لله ابنا وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا ينجزأ فثبت بهذا فساد قول من يدعى ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى ﴿سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ فقولهم سبحانه فيه تزيده الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعني هو المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد أو يكون المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعني عما يصفونه به من الكذب ﴿قوله عز وجل﴾ يديع السموات والارض ﴿الابداع عبارة عن تكوين الشيء على غير مثال سبق والله تعالى

الولد والشريك (وتعالى) تبرأ (عما يصفون) من البنين والبنات (بديع) خالق (السموات والارض) ابتدعهما ولم يكونا (خلق)

وهو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره ( أنى يكون له ولد ) أو هو فاعل تعالى ( ولم تكن له صاحبة ) أى من أين يكون له ولد والولد لا يكون الا من صاحبة ولا ﴿ ٤٤٧ ﴾ صاحبة ﴿ سورة الانعام ﴾ له ولان الولادة من صفات

الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسمها حتى يكون له ولد ( وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ) أى مامن شىء الا وهو خالقه وعلمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شىء والولد انما يطلبه المحتاج ( ذلكم ) اشارة الى الموصوف ( ذلكم ) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهى ( الله ربكم ) ( الله ربكم ) ( الله هو خالق كل شىء ) وقوله ( فاعبدوه ) مسبب عن مضمون الجملة أى من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ( وهو على كل شىء وكيل ) أى هو مع تلك الصفات مالك لكل شىء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال ( لا تدركه الابصار ) شياً ( أنى يكون ) من أين يكون ( له ولد ) ولم تكن له صاحبة ( زوجة ) وخلق ( بكل شىء ) من الخلق ( عليم ) ذلكم الله ربكم الذى يفعل هذا هو ربكم ( لا اله الا هو ) وحده لا شريك له ( خالق )

وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفع على الخبر والمبتدأ محذوف أو على الابتداء وخبره ﴿ أنى يكون له ولد ﴾ أى من أين أو كيف يكون له ولد ﴿ ولم تكن له صاحبة ﴾ يكون منها الولد وقضى بالياء للفصل أو لان الاسم ضمير الله أو ضمير الشان ﴿ وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ﴾ لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون وهى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها الاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بأن يتم الى عنها والثانى ان المفعول من الولد ما يتولد من ذكر واثى متجانسين والله سبحانه وتعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفؤ له لوجهين الاول ان كل ما عده مخلوقه فلا يكافئه والثانى انه سبحانه وتعالى لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ ﴿ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء ﴾ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا أو صفة والبعض خبرا ﴿ فاعبدوه ﴾ حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمعت هذه الصفات استحق العبادة ﴿ وهو على كل شىء وكيل ﴾ أى وهو مع تلك الصفات متولى امورك فيكلها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح ما ربكم و رقيب على اعمالكم فيجازبكم عليها ﴿ لا تدركه ﴾ أى لا تحيط به ﴿ الابصار ﴾ جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال له من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي فى الآية عاما

خلق السموات والارض على غير مثال سبق ﴿ أنى يكون له ولد ﴾ يعنى من أين يكون له ولد ﴿ ولم تكن له صاحبة ﴾ لان الولد لا يكون الا من صاحبة اثنى ولا ينبغي أن تكون لله صاحبة لانه ليس كمثل شىء ﴿ وخلق كل شىء ﴾ يعنى أن الصاحبة والولد فى جملة من خلق لانه خالق كل شىء وليس كمثل شىء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزه عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى ﴿ وهو بكل شىء عليم ﴾ يعنى أنه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شىء وتلوه محيط بكل شىء ﴿ قوله عز وجل ﴾ ذلكم الله ربكم ﴿ يعنى ذلكم الله الذى من صفته انه خلق السموات والارض وأبدعها على غير مثال سبق وانه بكل شىء عليم هو ربكم الذى يستحق العبادة لان تدعون من دونه من الاصنام لانها جادات لا تخلق ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع ﴿ لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه ﴾ يعنى انه هو الذى يستحق العبادة فاعبدوه وأطيعوه ﴿ وهو على كل شىء وكيل ﴾ يعنى أنه هو تعالى على كل شىء خلق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه ﴿ قوله عز وجل ﴾ لا تدركه الابصار

كل شىء ( بأن منه ) فاعبدوه ( فوحده ) ( قا و خا ٥٨ فى ) لا تشر كوا به شياً ( وهو على كل شىء ) من الخلق ( وكيل ) شهيد ويقال كليل بأرزاقهم ( لا تدركه الابصار ) فى الدنيا ولا يرى الخلق ما يرى هو وتنقطع دونه الابصار بالكيفية فى الآخرة وبالرؤية فى الدنيا



علمه بها ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف أي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فلم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان المندوم لا يصح التمدح به فثبت ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على أنه تعالى جائز الرؤية وتحقيق هذا ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث تتمتع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم أما اذا كان في نفسه جائز الرؤية ثم انه قدر على حبس الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الآية دالة على انه تعالى جائز الرؤية واثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيامة لان موسى صلى الله عليه وسلم سأل الرؤية بقوله أرني أنظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لا يسأل نبي مثل موسى ما لا يجوز ويتمتع وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار الجبل جائز والمعلق على الجسائر جائز وأما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الآية في نفى الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنهه الشيء وحقيقته والرؤية المعاينة للشيء من غير احاطة وقد تكون الرؤية بغير ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال أصحاب موسى ان ائلمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الرؤية بقوله كلا والله تعالى يجوز أن يرى في الآخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو الاحاطة بالمرئى وهو ما كان محدودا وله جهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لانهاية لوجوده فعلى هذا انه تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الآية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس رضى الله عنهما في معنى الآية لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا او يدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقولوه يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيامة وعلى هذا يمكن الجمع بين الآيتين وقال السدى البصر بصران بصر معاينة وبصر علم فمعنى قوله لا تدركه الابصار لا يدركه علم العلماء ونظيره ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن أيضا والله أعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يعنى انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع البصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقتها ومطلع على ما هيتهما فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركهما ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهرى معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الوصل للشيء اليك برفق ولين وقيل هو الذى ينسى عباده ذنوبهم لئلا يحجلوا وأصل اللطف دقة النظر فى الاشياء وقال أبو سليمان الخطابي اللطيف هو اللين بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الأزهرى اللطيف فى أسماء الله تعالى معناه الرفيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يأمر عباده بفوق طاعتهم وينعم عليهم فوق

( وهو اللطيف ) أى  
العالم بدقائق الامور  
ومشكلاتها ( الخبير )  
العليم بظواهر الاشياء  
وخفياتها وهو من قبيل  
ولا يفوته ( وهو اللطيف )  
فى أفعاله نافذ عمله بخلقه  
( الخبير ) بخلقه وباعمالهم

القلب كما ان البصر نور العين الذي به تبصر أى جاءكم من الوحي والتبصير ما هو للقلوب كالبصائر ( فمن أبصر ) الحق وآمن ( فلنفسه ) أبصر لان نفعه لها ( ومن عمى ) عن الحق وضل ( فعليها ) وباله ( وما أنا عليكم بحفيظ ) وإنما أنا منذر والله سبحانه وتعالى هو الحفيظ عليكم بحفظ أعمالكم وبمجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك نصرف الآيات ( ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال ) وليقولوا درست ( أى ويقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم . وقرأ ابن كثير وابوعمر ودارست أى دارست أهل الكتاب وذاكرتهم وابن عاصم ويعقوب درست

استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذى لطف عن ان تتركه الابصار وهو يدركها قوله عز وجل ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم ﴾ البصائر جمع البصيرة وهى الدلالة التى توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن الذى فيه البيان والمجج التى تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين ليست فى أنفسها بصائر إلا أنها بقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والمجج والبراهين أسبابا للحصول بالبصائر سميت بصائر ﴿ فمن أبصر ﴾ يعنى فمن عرف الآيات واهتدى بها الى الحق ﴿ فلنفسه ﴾ يعنى فلنفسه أبصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك عليه ﴿ ومن عمى ﴾ يعنى ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها الى الطريق ﴿ فعليها ﴾ يعنى فعلى نفسه عمى ولها ضرر وكان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غنى عن خلقه ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ يعنى وما أنا عليكم برقيب أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم انما أنا رسول من ربكم اليكم أبلغكم ما أرسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شئ من أعمالكم وأحوالكم وقيل معناه لا أقدر أن أدفع عنكم ما يريد الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآيات النيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك نصرف الآيات ﴿ يعنى وكذلك نبين الآيات ونفصلها فى كل وجه كما صرفناها وبينناها من قبل ﴾ وليقولوا درست ﴿ يعنى وكذلك نصرف الآيات لتزيمهم المحجة وليقولوا درست وقيل معناه لثلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة أمرهم ان يقولوا درست يعنى قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا أكثر قراءته وذلك للحفظ قال ابن عباس رضى الله عنهما وليقولوا يعنى أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعنى تعلمت من يسار وخير وكانا عبدين من سبي الروم

القلب كما ان البصر نور العين الذي به تبصر أى جاءكم من الوحي والتبصير ما هو للقلوب كالبصائر ( فمن أبصر ) الحق وآمن ( فلنفسه ) أبصر لان نفعه لها ( ومن عمى ) عن الحق وضل ( فعليها ) وباله ( وما أنا عليكم بحفيظ ) وإنما أنا منذر والله سبحانه وتعالى هو الحفيظ عليكم بحفظ أعمالكم وبمجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك نصرف الآيات ( ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال ) وليقولوا درست ( أى ويقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم . وقرأ ابن كثير وابوعمر ودارست أى دارست أهل الكتاب وذاكرتهم وابن عاصم ويعقوب درست

استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره واحسانه عند المعصية وقيل هو الذى لطف عن ان تتركه الابصار وهو يدركها قوله عز وجل ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم ﴾ البصائر جمع البصيرة وهى الدلالة التى توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن الذى فيه البيان والمجج التى تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين ليست فى أنفسها بصائر إلا أنها بقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات والمجج والبراهين أسبابا للحصول بالبصائر سميت بصائر ﴿ فمن أبصر ﴾ يعنى فمن عرف الآيات واهتدى بها الى الحق ﴿ فلنفسه ﴾ يعنى فلنفسه أبصر ولها عمل لانه يعود نفع ذلك عليه ﴿ ومن عمى ﴾ يعنى ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها الى الطريق ﴿ فعليها ﴾ يعنى فعلى نفسه عمى ولها ضرر وكان وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غنى عن خلقه ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ يعنى وما أنا عليكم برقيب أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم انما أنا رسول من ربكم اليكم أبلغكم ما أرسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شئ من أعمالكم وأحوالكم وقيل معناه لا أقدر أن أدفع عنكم ما يريد الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآيات النيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك نصرف الآيات ﴿ يعنى وكذلك نبين الآيات ونفصلها فى كل وجه كما صرفناها وبينناها من قبل ﴾ وليقولوا درست ﴿ يعنى وكذلك نصرف الآيات لتزيمهم المحجة وليقولوا درست وقيل معناه لثلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة أمرهم ان يقولوا درست يعنى قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا أكثر قراءته وذلك للحفظ قال ابن عباس رضى الله عنهما وليقولوا يعنى أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست يعنى تعلمت من يسار وخير وكانا عبدين من سبي الروم

وان قرأت درست يقول لكى لا يقولوا تعلمت من أبى فكهة مولى لقريش ويقال لكى لا يقولوا ( ثم )

أهل الكتاب درست شامى أى قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الاولين ( ولئيبه ) أى القرآن وان لم يجمله ذكر لكونه معلوماً والآيات لانها فى معنى القرآن قبل اللام الثانية حقيقة والاولى لام العاقبة والسيورة أى لتصير عاقبة أمرهم الى ان يقولوا درست ﴿ ٤٦١ ﴾ وهو كقولك { سورة الانعام } فالتقطه آل فرعون ليكون

لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وانما التقطوه ليصير لهم قرعة عين ولكن صارت عاقبة أمرهم الى العداوة فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصرف الآيات كما حصل التبيين فشبّه به وقيل ليقولوا

كما قيل لئيبه وعندنا ليس كذلك لماعرف ( لقوم يعلمون ) الحق من الباطل ( اتبع ما أوحى اليك من ربك ) ولا تتبع أهواءهم ( لا اله الا هو ) اعترض اكد به ايجاب اتباع الوحي لاحمل له من الاعراب أحوال من ربك مؤكدة ( وأعرض عن المشركين )

تعلت من جبر ويسار مولين لقريش وان قرأت درست بسكون التاء فعناه قالوا هذه أخبار درست أى تقادمت ( ولئيبه ) لكى نيبه ( لقوم يعلمون ) يصدقون انه من الله ( اتبع ما أوحى اليك من ربك ) اعلى بما أنزل اليك من ربك يعنى القرآن من

من الدروس أى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم أساطير الاولين. وقرئ درست بضم الراء مبالغة فى درست و درست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفت و درست بمعنى درست أو درست اليهود محمداً و جاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة و درست أى عفون و درست أى درس محمد صلى الله تعالى عليه وسلم و دارسات أى قديعات أو ذات درس كقوله تعالى فى عيشة راضية ﴿ ولئيبه ﴾ اللام على اصله لان التبين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوماً أو للمصدر ﴿ لقوم يعلمون ﴾ فأنهم المنتقمون به ﴿ اتبع ما أوحى اليك من ربك ﴾ بالتدين به ﴿ لا اله الا هو ﴾ اعترض اكد به ايجاب الاتباع أحواله مؤكدة من ربك بمعنى منفردا فى الالهية ﴿ وأعرض عن المشركين ﴾ ولا تختل باهوائهم ولا تلتفت الى آرائهم

ثم قرأت علينا تزعم انه من عند الله وقال القراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ درست بالالف بمعنى قرأت أهل الكتاب من المدارس التى هى بين اثنين يعنى يقولون قرأت على أهل الكتاب وقرؤا عليك. درست بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التى تتلوها علينا قديعة ف درست وانحلت من قولهم درس الاثر اذا عوى وذهب أثره ﴿ ولئيبه لقوم يعلمون ﴾ يعنى القرآن وقيل معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل معنى الآية وكذلك نصرف الآيات ليسعد بها قوم ويشقى بها آخرون فن أعرض عنها وقال لئيبه صلى الله عليه وسلم درست أو درست فهو شقى ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال أبو اسحق ان السبب الذى أداهم الى أن قالوا درست هو تلاوة الآيات عليهم وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرة يعنى صار عاقبة أمرهم ان قالوا درست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفى هذا دليل على ان الله تعالى جعل تصريف الآيات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ اتبع ما أوحى اليك من ربك ﴿ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى اتبع يا محمد ما أمرك به ربك فى وحيه الذى أوحاه اليك وهو القرآن فاعمل به وبلغه الى عبادى ولا تلتفت الى قول من يقول درست أو درست وفى قوله اتبع ما أوحى اليك من ربك تعزية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذى حصل له بسبب قولهم درست ونبه بقوله تعالى ﴿ لا اله الا هو ﴾ انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه يجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيف الزائعين ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأعرض عن المشركين ﴿ قيل المراد منه فى الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون

حلاله وحرماه ( لا اله الا هو ) لا خالق ولا رازق الا هو ( وأعرض عن المشركين ) يعنى المستهزئين منهم الوليد بن المغيرة المخزومى والعاص بن وائل السهمى والاسود بن عبد يغوث الزهرى والاسود بن الحرث بن عبد المطلب والحرث بن قيس بن حنظلة

في الحال الى أن يرد الامر بالقتال ( ولو شاء الله ) أي ايمانهم فالمفعول محذوف ( ما أشركوا ) بين انهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الايمان لهدهم اليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته ( وما جعلناك عليهم حفيظا ) مراعيًا لاعمالهم ما خوذوا باجرامهم ( وما أنت عليهم بوكيل ) بمسلط وكان المسلمون يسبون آلهتهم فهو التلا يكون سبهم سبًا لسب الله بقوله ( ولا تسبوا ) آلهة ( الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله ) منصوب على جواب النهي ( عدوا ) ظلمًا وعدوانًا ( بغير علم ) على جهالة بالله وبما يجب ( ولو شاء الله ) ان لا يشركوا ( ما أشركوا ) وما جعلناك عليهم حفيظًا ( وما أنت عليهم بوكيل ) بكفيل ( ولا تسبوا الذين يدعون ) يسبون ( من دون الله فيسبوا الله ) اعتداء ( بغير علم ) بلا علم ولا حجة وهذا بعد ما قال لهم انكم وما تسبدون من دون الله حسب جهنم ثم نسخته

ومن جملة منسوخ آية السيف حل الاعراض على ما يم الكف عنهم ( ولو شاء الله ) توحيدهم وعدم اشراكهم ( ما أشركوا ) وهو دليل على انه سبحانه وتعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع ( وما جعلناك عليهم حفيظًا ) رقييًا ( وما أنت عليهم بوكيل ) تقوم بامرهم ( ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ) أي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها عافيهما من القبائح ( فيسبوا الله عدواً ) تجاوزا عن الحق الى الباطل ( بغير علم ) على جهالة بالله سبحانه وتعالى وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدواً يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوا وروى انه عليه الصلاة والسلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا الامر بالاعراض منسوخا بآية القتال ( قوله عز وجل ) ولو شاء الله ما أشركوا ( ما أشركوا ) قال الزجاج معناه لو شاء الله لجلهم مؤمنين وهذا نص صريح في ان شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة في قولهم لم يرد من أحد الكفر والشرك فالآية رد عليهم ( وما جعلناك عليهم حفيظًا ) يعني وما جعلناك يا محمد على هؤلاء المشركين رقييا ولا حافظا تحفظ عليهم أعمالهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء وما جعلناك عليهم حفيظًا تمنعهم من ما معناه انك لم تبتح لتحمض المشركين من العذاب وانما بعث مبلغا فلا تهم بشركهم فان ذلك بمشيئة الله تعالى ( وما أنت عليهم بوكيل ) يعني وما أنت عليهم بقيم تقوم بارزاقهم وما أنت عليهم بمسيطر فعلى التفسير الاول تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس رضي الله عنهما لا تكون منسوخة ( قوله عز وجل ) ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ( الآية ) قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أو يأنهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون أو يأن الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله لانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال السدي لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نسبحي ان تقتله بدموته فنقول العرب كان عمه يئمه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمر بن العاص والاسود بن أبي البخترى الى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد آذانا وأذى آلهتنا فنجب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولدعاه والهه فدعاه فجاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبو طالب ان هؤلاء قومك وبنوعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال له أبو طالب قد أنصفك قومك فأقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان أعطيتكم هذا فهل أنتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملككم العرب ودانت لكم العجم وأدت لكم الخراج فقال أبو جهل نعم وأبيك نعطينكها وعشرة أمثالها فاهي فقال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها

لنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونونها فنهوا  
لثلا يكون سبهم سببا لسب الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية  
راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر ﴿ كذلك زيننا لكل أمة عملهم ﴾  
من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتحذيرا ويجوز تخصيص  
العمل بالشر وكل أمة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزبين سب الله لهم ﴿ ثم  
الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ بالمحاسبة والمجازاة عليه ﴿ وأقسموا  
بالله جهد أيمانهم ﴾ مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه

يا ابن أخى فقال يا عم ما أنا بالذى أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت  
غيرها ارادة ان يؤسهم فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أولنشتنك أولنشتن من يأمرك  
فأنزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعنى ولا تسبوا أيها المؤمنون الاصنام التى  
يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعنى فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة  
بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يلعنوا الاصنام التى كانت  
تعبدها المشركون وقال ابن الانبارى هذه الآية منسوخة أنزلها الله عز وجل والنبي  
صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه بأصحابه نسخ هذه الآية ونظائرهما بقوله اقلوا المشركين  
حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح  
لما يترتب على ذلك من المفساد التى هى أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب  
رسوله وذلك من أعظم المفساد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الآية  
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا آلهتهم فيسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب  
آلهتهم فظاهر الآية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقته النهى عن سب الله تعالى  
لانه سبب لذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ كذلك زيننا لكل أمة عملهم ﴿ يعنى كما زيننا  
لهؤلاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زيننا لكل  
أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية  
والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزوينه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ثم  
الى ربهم مرجعهم ﴿ يعنى المؤمن والكافر والطائع والعاصى ﴿ فينبئهم بما كانوا  
يعملون ﴾ يعنى فى الدنيا ويجازيهم على ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأقسموا بالله  
جهد أيمانهم ﴿ قال محمد بن كعب القرظى والكلبي قالت قريرش يا محمد انك تخبرنا  
أن موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر فتفجر منه اثنا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى  
كان يحيى الموتى فأتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أى شئ تحبون قالوا تجعل لنا الصفاذها وابتث لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ما تقول  
أم باطل وأرنا الملائكة يشهدونك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض  
ما تقولون أن صدقتى قالوا نعم والله لئن فعلت لتتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يذكر به (كذلك) مثل ذلك الذين (زيننا لكل أمة) من أمم الكفار (علمهم) وهو كقوله أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو حجة لنا فى الاصلح (ثم الى ربهم مرجعهم) مصيرهم (فينبئهم بما كانوا يعملون) فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد مصدر وقع موقع الحال أى جاهدين فى الايمان آية القتال (كذلك) كما زيننا دينهم وعلّمهم اليهم (زيننا لكل أمة) لكل اهل دين (علمهم) ودينهم (ثم الى ربهم مرجعهم) بعد الموت (فينبئهم) يخبرهم (بما كانوا يعملون) فى دينهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) اذا حلف الرجل بالله فقد حلف جهد يمينه



التحكيم على الرسول عليه الصلاة والسلام في طلب الآيات واستحقاق مارأوامنها ﴿ لئن جاءتهم آية ﴿ من مقتراحاتهم ﴿ ليؤمنن بها قل انما الآيات عندالله ﴿ هو قادر عليها يظهر منها مايشاء وليس شئ منها بقدرتي وارادتي ﴿ وما يشعركم ﴿ وما يدريكم استفهام انكار ﴿ انها ﴿ أى ان الآية المقترحة ﴿ اذا جاءت لا يؤمنون ﴿ أى لا يندرون انهم لا يؤمنون أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه سبحانه وتعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا يزيد وقيل ان معنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بخلاف عنه عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فأنهم يتنون مجي

وجعل يدعو الله عز وجل أن يجعل الصفات ذهاباً فجاءه جبريل فقال ما شئت ان شئت أصبح ذهاباً ولكن ان لم يصدقك لعذبهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تأبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تأبهم فأنزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم يعني وحلفوا بالله جهد أيمانهم يعني أوكد ما قدروا عليه من الايمان وأشهدا قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه ﴿ لئن جاءتهم آية ﴿ يعني كما جاءت من قبلهم من الامم ﴿ ليؤمنن بها ﴿ يعني ليصدقن بها ﴿ قل ﴿ يعني قل يا محمد ﴿ انما الآيات عندالله ﴿ يعني أن الله تعالى قادر على انزالها ﴿ وما يشعركم ﴿ يعني وما يدريكم ثم اختلف العلماء في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله ﴿ انها اذا جاءت لا يؤمنون ﴿ فقرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتداء فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون فن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم أيها المشركون انها يعني الآيات اذا جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أيها المؤمنون انها اذا جاءت آمنوا لان المؤمنين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله ان يرهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتداء فقال تعالى انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم بانهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون أنها بفتح الالف وجعلوا الخطاب في ذلك للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات حتى يؤمن المشركون بها اذا رأوها لان المشركين كانوا حلفوا أنهم اذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات لذلك فقال الله تعالى وما يشعركم أيها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فقل هذا اختلفوا في لفظة لامن قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى وما يشعركم انها اذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون

الآيات عندالله) وهو قادر عليها لا عندى فكيف آيكم بها ( وما يشعركم ) وما يدريكم ( أنها ) أن الآية المقترحة ( اذا جاءت لا يؤمنون ) بها يعني أنا أعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطعمون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآيات ويتنون مجيها فقال الله تعالى وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدررون ما سبق على به من أنهم لا يؤمنون انها بالكسر مسكى وبصرى وأبو بكر على ان الكلام تم قبله أى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا يزيد في قراءة الفصح كقوله وحرام على قربة أهلكتها انهم لا يرجعون لا يؤمنون

( لئن جاءتهم آية ) كما طلبوا ( ليؤمننن بها ) بالآية ( قل ) يا محمد للمستهزئين وأصحابهم ( انما الآيات عندالله ) تجي الآيات من عندالله ( وما يشعركم ) يدريكم ايها المؤمنون ( انها اذا جاءت )

الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عباس وحزبة لا يؤمنون بالباء وقرئ وما يشعروهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم أى وما يشعروهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القران وغيره من الآيات فيؤمنون بها ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ﴾ عطف على لا يؤمنون أى وما يشعركم انا حينئذ نقلب أفئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وأبصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها ﴿ كما لم يؤمنوا به ﴾ أى بما انزل من الآيات ﴿ أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ وندعهم متحيرين لانهدبهم هداية المؤمنين « وقرئ ويقلب ويدرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة

وقيل ان بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا سائغ في كلام العرب تقول العرب اتت السوق أنك تشتري لنا شيئا بمعنى لعلك ومنه قول عدى بن زيد

أعاذل ما يدريك أن منيتي \* الى ساعة في اليوم أوفى ضحى الغد

يعنى لعل منيتي ﴿ قوله عز وجل ﴾ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ﴿ قال ابن عباس يعنى ونحول بينهم وبين الايمان فلو جئناهم بالآيات التى سألوها لما آمنوا بها والتقلب هو تحويل الشئ وتحريكه عن وجهه الى وجه آخر لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر ﴿ كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ يعنى كما لم يؤمنوا بما نزل من الآيات التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات الباهرات وقيل أول مرة يعنى الآيات التى جاء بها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس رضى الله عنهما المرة الاولى دار الدنيا يعنى لوردوا من الآخرة الى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الايمان فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة قبل ماتهم وفي الآية دليل على ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان القلوب والابصار بيده وفي تصريفه فيقيم ما شاء منها ويضع ما أراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ياقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فعنى قوله نقلب أفئدتهم نزعنا عن الايمان ونقلب أبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التى سألوها فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بالله ورسوله وبما جاء من عند الله فعلى هذا تكون الكناية في به

عائدة على الايمان بالقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله

عليه وسلم قبل سؤالهم الآيات التى اقترحوها ﴿ قوله

عز وجل ﴾ ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴿

يعنى وترك هؤلاء المشركين الذين

سبق في علم الله انهم لا يؤمنون في

تمردهم على الله واعتدائهم

عليه يترددون لا يهتدون

الى الحق

شأى وحزبة ( ونقلب

أفئدتهم ) عن قبول الحق

( وأبصارهم ) عن رؤية

الحق عند نزول الآية

التي اقترحوها فلا يؤمنون

بها قيل هو عطف على

لا يؤمنون داخل في حكم

وما يشعركم أى وما يشعركم انهم

لا يؤمنون وما يشعركم انقلب

أفئدتهم وأبصارهم فلا

يفقهون ولا يبصرون الحق

( كما لم يؤمنوا به أول مرة )

كما كانوا عند نزول آياتنا

أولا لا يؤمنون بها ( ونذرهم

في طغيانهم يعمهون )

قيل وما يشعركم انا

نذرهم في طغيانهم يعمهون

يتحيرون

( ونقلب أفئدتهم ) قلوبهم

( وأبصارهم ) عند نزول

الآية حتى لا يؤمنوا بها

( كما لم يؤمنوا به ) بما

أخبرهم النبي صلى الله عليه

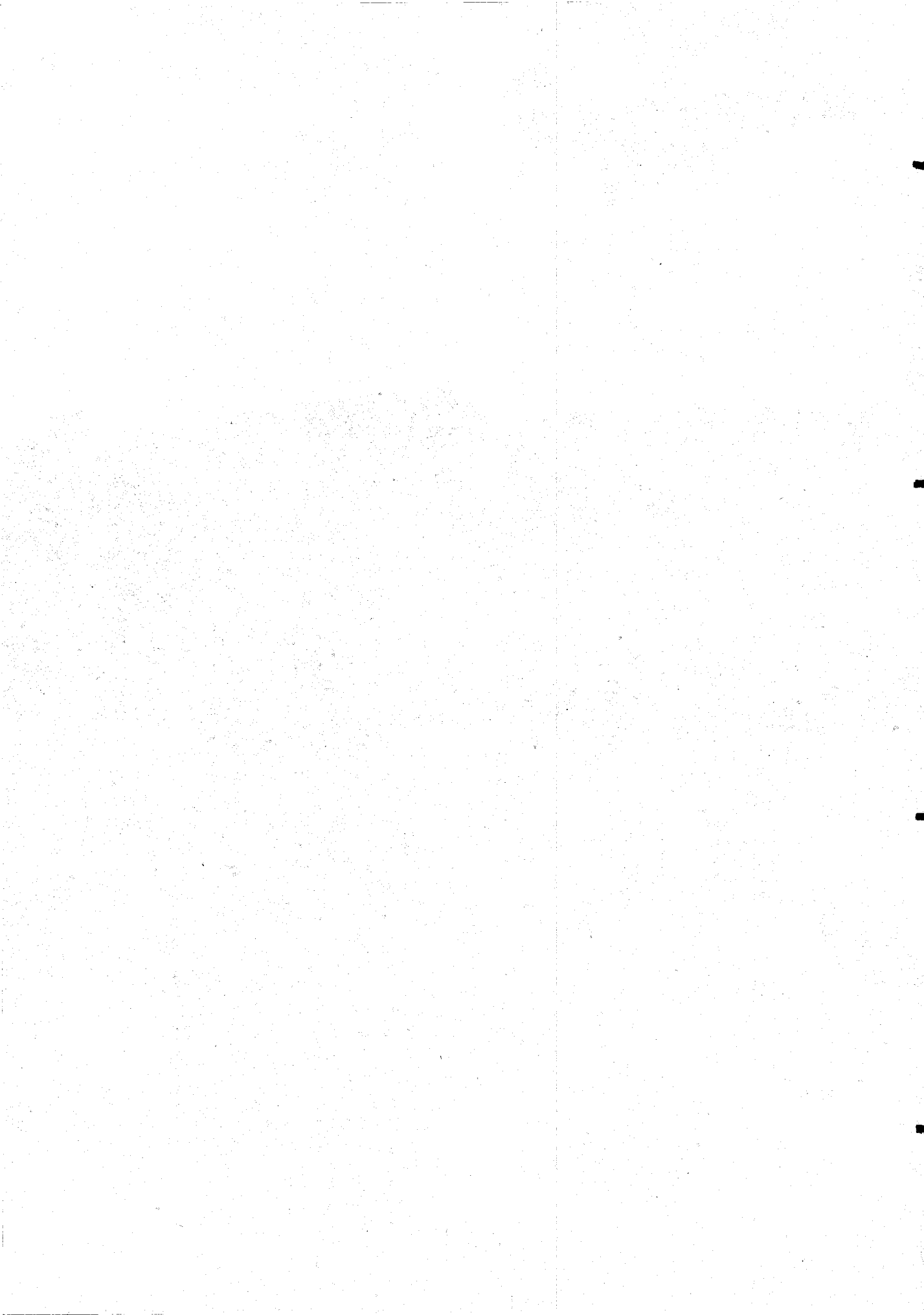
وسلم عن الآية ( أول

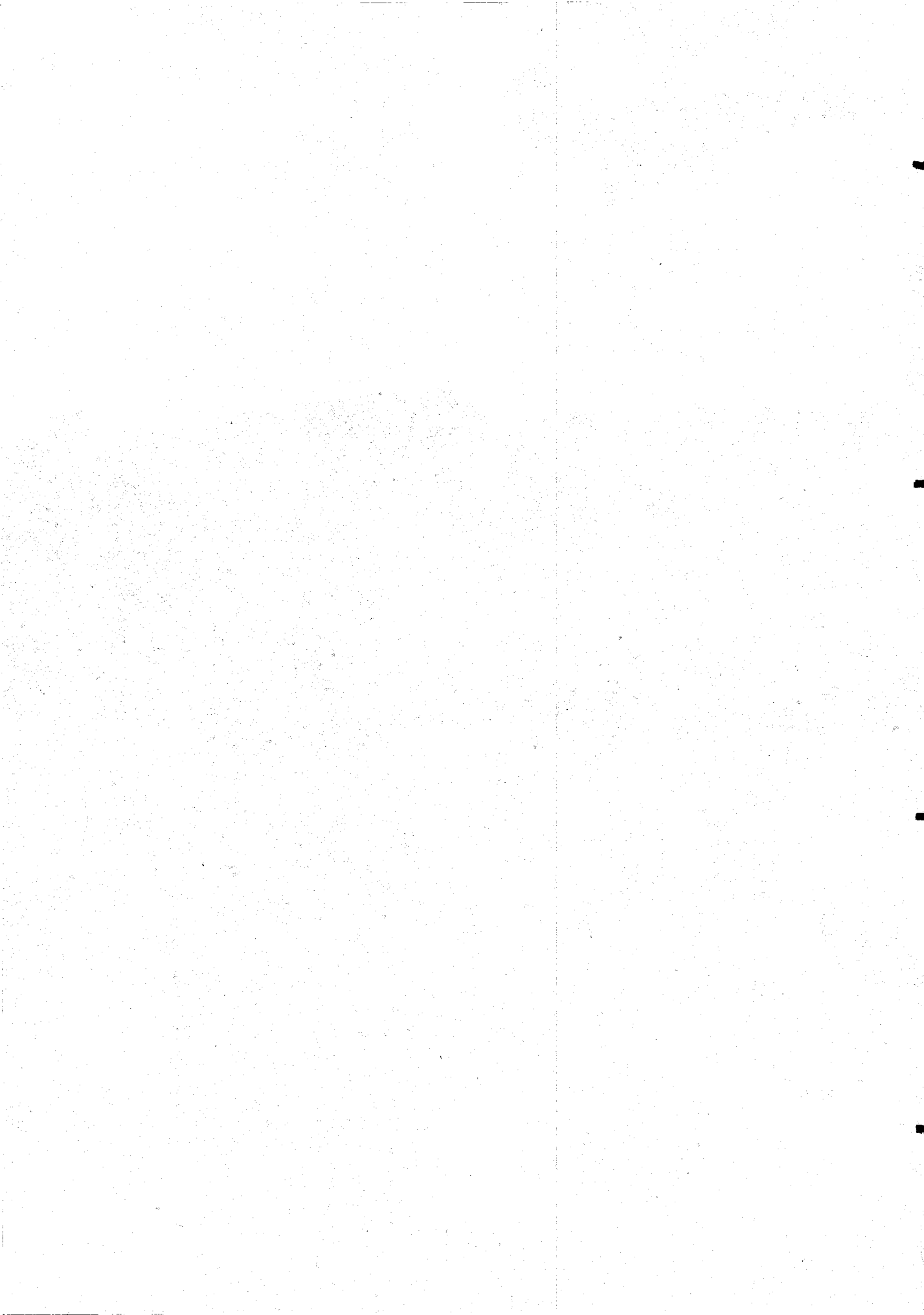
مرة ) قيل هذا ( ونذرهم )

نتركهم ( في طغيانهم )

في كفرهم وضلالتهم

( يعمهون ) عمهت لا يبصرون





( ولواننا نزلنا اليهم  
الملائكة ) كما قالوا  
لولا أنزل علينا الملائكة  
( وكلهم الموتى ) كما قالوا  
فأتوا بآبائنا ( وحشرنا  
عليهم ) جمعنا ( كل شيء  
قبلا ) كقوله سبحانه ما بشرنا  
به وأنذرنا جمع قبيل وهو  
الكفيل قبلا مدني وشامي  
أي عيانا وكلاهما نصب  
على الحال ( ما كانوا  
ليؤمنوا إلا أن يشاء الله )  
إيمانهم فيؤمنوا وهذا  
جواب لقول المؤمنين  
لعلهم يؤمنون بنزول الآية

( ولواننا نزلنا اليهم ) الى  
المستهزئين ( الملائكة )  
كما طلبوا فشهدوا على  
ما أنكروا ( وكلهم الموتى )  
من القبور كما طلبوا بان  
محمد رسول الله والقرآن  
كلام الله ( وحشرنا عليهم  
كل شيء ) من الطيور  
والدواب ( قبلا ) معاينة  
وان قرأت قبلا يقول  
قبيلة قبيلة وان قرأت  
قبلا يقول كقبلا على  
ما نقول انه الحق ويشهدون  
على ما أنكروا ( ما كانوا  
ليؤمنوا ) بمحمد والقرآن  
( إلا أن يشاء الله ) أن يؤمنوا

### الجزء الثامن

#### اللهم احشرنا في زمرة الصالحين

﴿ ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ﴾ كما  
اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا أو أتى بالله والملائكة قبلا  
وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل أي كقلاء بما بشرنا به وأنذرنا به أو جمع قبيل الذي  
هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن  
عاصم وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ﴿ ما كانوا ليؤمنوا ﴾  
لما سبق عليهم القضاء بالكفر ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ استثناء من اعم الاحوال أي لا يؤمنون  
في حال الاحال مشيئة الله تعالى إيمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة

﴿ قوله عز وجل ﴾ ولواننا نزلنا اليهم الملائكة ﴿ قال ابن جريج  
نزلت في المستهزئين وذلك انهم أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من  
قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بهن موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا  
الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله أو أننا بالله والملائكة قبلا فنزلت هذه الآية  
جوابا لهم والمعنى ولواننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يشهدواك بالرسالة ﴿ وكلهم الموتى ﴾  
يعنى كما سألوهم ﴿ وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ﴾ يعنى وجمعنا عليهم كل شيء قبلا قبلا  
قيل القبيل الكفيل بجملة ما تقول ما آمنوا هو قوله ﴿ ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ﴾  
يعنى إلا أن يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على أن جمع الاشياء بمشيئة الله تعالى حتى  
الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا  
أنطق الله الكل حتى يشهدوا له بجملة ما يقول كان ذلك في غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة  
والمواجهة والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء مواجهة ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله  
أخبر الله ان الايمان بمشيئة الله لا كما ظنوا انهم متى شاءوا آمنوا ومتى شاءوا لم يؤمنوا وقال

﴿ ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل بهمهم أو لكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا في ايمانهم ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ﴾ أى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم الصلاة والسلام بفعل الله سبحانه وتعالى وخلقته ﴿ شياطين الانس والجن ﴾ مرادة الفريقين وهو بدل من عدوا أو اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله

( ولكن أكثرهم يجهلون ) ان هؤلاء لا يؤمنون اذا جاءتهم الآية المقترحة (و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا)

ابن عباس رضى الله عنهما ما كانوا يؤمنواهم أهل الشقاء إلا أن يشاء الله هم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه انهم يدخلون في الايمان وصحح الطبرى قول ابن عباس رضى الله عنهما قال لان الله عم بقوله ما كانوا يؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم استثنى منهم أهل السعادة وهم الذين شاء لهم الايمان ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ يعنى يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الايمان اليهم متى شاءوا آمنوا متى شاءوا وكفروا وليس الامر كذلك بل الايمان والكفر بمشيئة الله تعالى فن شاءه الايمان آمن ومن شاءه الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب أهل السنة ان الاشياء كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في قولهم ان الله أزداد الايمان من جميع الكفار ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ﴿ قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك زيننا لكل أمة علمهم أى كما جعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبياء اعداء كذلك جعلنا لك اعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسليه له يقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك هؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا يعظم ثوابه على ما يكابه من أذى أعدائه وعدوا واحد يراد به الجمع يعنى جعلنا لكل نبي أعداء ﴿ شياطين الانس والجن ﴾

( ولكن أكثرهم يجهلون ) انه الحق من الله ( وكذلك ) كما جعلنا أبا جهل والمستهزئين عدوا لك هكذا ( جعلنا لكل نبي عدوا ) فرعوننا ( شياطين الانس والجن ) يقول جعلنا شياطين الانس والجن

اختلف العلماء في معنى شياطين الانس والجن على قولين أحدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عاتق متمرّد من الجن والانس وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس أشد تمرّدا من شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح واعياه ذلك استعان على اغوائه بشيطان الانس ليقتنه ويدل على صحة هذا القول ماروى عن أبي ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانس من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوى بغير سند وأسنده الطبرى وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن وذلك أنى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس ينجئني فيجرني الى المعاصى القول الثانى ان الجمع من ولد ابليس وأضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يغيرونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبى والسدى ورواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فريقا منهم

(يوحى بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض  
وعن مالك بن دينار ان شيطان { الجزء الثامن } الانس ﴿ ٤٧٠ ﴾ أشد على من شيطان الجن لاني اذا

الثاني ولكل متعلق به أحوال منه ﴿ يوحى بعضهم الى بعض ﴾ يوسوس شياطين الجن  
الى شياطين الانس أو بعض الجن الى بعض و بعض الانس الى بعض ﴿ زخرف القول ﴾  
الاباطيل المموهة من زخرفه اذ ابنه ﴿ غرورا ﴾ مفعول له أو مصدر في موقع الحال ﴿ ولو  
شاء ربك ﴾ ايمانهم ﴿ ما فعلوه ﴾ أى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء عليهم الصلاة والسلام  
واجاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء أو الزخرف أو الغرور وهو ايضا دليل  
على المعتزلة ﴿ فذرهم وما يفترون ﴾ وكفرهم ﴿ وتلصقني اليه أفئدة الذين لا يؤمنون  
بالآخرة ﴾ عطف على غرورا ان جعل علة أو متعلق بمحذوف أى وليكون ذلك جعلنا  
لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم كسرت لما  
لم يؤ كذا الفعل بالنون أو لام الامر وضمه اظهر والصغوميل والضمير لما له الضمير

الى الجن وفريقانهم الى الانس فالقريقان شياطين الجن والانس بمعنى انهم يعوونهم  
ويضلونهم وكلا الفريقين أعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ولاولياؤه من المؤمنين  
والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال يدل على صحته ان لفظ الآية يقتضى اضافة  
الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضى المغايرة فعلى هذا يكون فى الشياطين نوع  
مغاير للانس والجن وهم أولاد ابليس ﴿ قوله عز وجل ﴾ يوحى بعضهم الى بعض ﴿  
يعنى يلقي ويسر بعضهم الى بعض ويناجى بعضهم بعضا وهو الوسوسة التى يلقيها الى من  
يريد اغواؤه فعلى القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم الى بعض  
ما يفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثانى ان أولاد ابليس يلقي بعضهم بعضا  
فى كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن صاحبي بكذا وكذا فأضلت أنت  
صاحبك مثله ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك وحى بعضهم الى بعض  
﴿ قوله عز وجل ﴾ زخرف القول ﴿ يعنى باطل القول والزخرف هو الباطل  
من الكلام الذى قد زين ووشى بالكذب وكل شئ حسن موه فهو زخرف ﴿ غرورا ﴾  
يعنى ان الشياطين يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين  
يزينون الاعمال القبيحة لبنى آدم ويفرونهم بها غرورا ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾ يعنى  
ما فعلوا الوسوسة التى يلقيها الشياطين فى قلوب بنى آدم والمعنى ان الله تعالى لو شاء  
لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن ولكن الله يمتحن من يشاء من عباده  
بما يعلم انه الاجزله فى الثواب اذا صبر على المحنة ﴿ فذرهم وما يفترون ﴾ يعنى فخلهم  
يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصى فانى من وراءهم ﴿ قوله عز وجل  
﴿ وتلصقني اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما  
وتلصق اليه واصل الصغو فى اللغة الميل يقال أصغى الى كذا مال اليه ويقال صفوت  
أرغو وصبغت أصغى لفتان قال ابن البارى اللام فى وتلصقني متعلقة بفعل مضمرة معناه  
وقعلنا بهم ذلك لكى تصغى الى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره

تمودت بالله ذهب شيطان  
الجن عنى وشيطان الانس  
يحيثنى فيجربنى الى المعاصى  
عيانا وقال عليه السلام  
قرباء السوء شر من شياطين  
الجن ( زخرف القول )  
ما زينوه من القول  
والوسوسة والاغراء  
على المعاصى ( غرورا )  
خدما وأخذنا على غرة  
وهو مفعول له ( ولو شاء  
ربك ما فعلوه ) أى الايحاء  
يعنى ولو شاء الله لمنع  
الشياطين من الوسوسة  
ولكنه امتحن بما يعلم انه  
أجزل فى الثواب ( فذرهم  
وما يفترون ) عليك وعلى  
الله فان الله يحزبهم وينصره  
ويحزبهم ( وتلصقني اليه  
أفئدة الذين لا يؤمنون  
بالآخرة ) وتلصق الى  
زخرف القول قلوب الكفار  
وهى معطوفة على غرورا  
أى ليغروه وتلصقني اليه

يوحى بعضهم الى (بعض) على  
بعضهم على بعض ( زخرف  
القول ) زين القول ( غرورا )  
لكى يغروا به بنى آدم  
( ولو شاء ربك ما فعلوه )  
يعنى الذين والغرور  
( فذرهم ) اتركهم يا محمد  
المستهزئين وأصحابهم  
( وما يفترون ) من زين  
القول والغرور ( وتلصقني

اليه ) لكى تميل الى هذا الزخرف والغرور ( أفئدة ) قلوب ( الذين لا يؤمنون بالآخرة ) بالبعث بعد ( اللام )

( و ليرضوه ) لانفسهم ( وليقتروا ما هم مقترفون ) من الآثام ( أفغير الله أبتنى حكما ) أى قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكمي بحكم بيني وبينكم ويفصل الحق منا ﴿ ٤٧١ ﴾ من المبطل { سورة الانعام } ( وهو الذى أنزل اليكم الكتاب )

المعجز ( مفصلا ) حال من الكتاب أى ميثاق فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته بقوله ( والذين آتيناهم الكتاب ) أى عبد الله بن سلام وأصحابه ( يعلمون أنه منزل ) شامى وحفص ( من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ) الشاكين فيه أيها السامع أو فلا تكونن من الممترين فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يربك جحود

الموت ( و ليرضوه ) وليقبلوا من الشياطين الزينة والغرور ( وليقتروا ) ليكتسبوا ( ما هم مقترفون ) مكتسبون من الآثم قل يا محمد لهم ( أفغير الله أبتنى حكما ) اعبريا ( وهو الذى أنزل اليكم ) الى نبيكم ( الكتاب ) جبريل بالقرآن ( مفصلا ) ميثاق بالحلال والحرام ويقال متفرقا آية وآيتين ( والذين آتيناهم الكتاب )

فى فعلوه ﴿ و ليرضوه ﴾ لانفسهم ﴿ وليقتروا ﴾ وليكتسبوا ﴿ ما هم مقترفون ﴾ من الآثام ﴿ أفغير الله أبتنى حكما ﴾ على ارادة القول أى قل لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل الحق منا من المبطل وغير مفعول ابنتى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلى من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل ﴿ وهو الذى أنزل اليكم الكتاب ﴾ القرآن المعجز ﴿ مفصلا ﴾ ميثاق فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ﴾ تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله سبحانه وتعالى يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه الصلاة والسلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل \* وقيل المراد مؤمنو أهل الكتاب \* وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتحديد ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ فى انهم يعلمون ذلك أو فى انه منزل بجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهيج كقوله ولا تكونن من المشركين أو خطاب الرسول صلى الله

اللام متعلقة بيوحى تقديره يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغرر وابتدك ولتصنى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة والضمير فى اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله ونحوه وترضى به وهو قوله ﴿ و ليرضوه ﴾ يعنى يرضون ذلك القول المزخرف الباطل ﴿ وليقتروا ما هم مقترفون ﴾ يعنى وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون ﴿ قوله عز وجل ﴾ أفغير الله أبتنى حكما ﴿ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين أفغير الله أطلب حكما قاضيا يقضى بيني وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامر الله تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة غير أن بعض أهل المعاني قال الحكم أكمل من الحاكم لان الحاكم من شأنه أن يحكم والحكم أهل أن يتحاكم اليه وهو الذى لا يحكم الا بالحق فالله تعالى حكم لا يحكم الا بالحق فلما أنزل الله على محمد القرآن فقد حكمه بالنبوة وهو قوله تعالى ﴿ وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا ﴾ يعنى ميثاقه أسره ونهيه ووعدوه وعيده وفيه الحكم بيني وبينكم ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾ يعنى علماء اليهود والنصارى ﴿ يعلمون انه منزل من ربك بالحق ﴾ يعنى يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم بالدلائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤسأهم مثل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ونظر أنهم يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فأمنوا به وصدقوه ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾ يعنى فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علماء أهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وانه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكونن فى شك مما قصصنا عليك انه

أعطيناهم علم التوراة يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه ( يعلمون ) يستيقنون فى كتابهم ( انه ) يعنى القرآن ( منزل ) أنزل ( من ربك بالحق ) بالامر والنهى ويقال انه يعنى جبريل منزل من ربك بالحق بالقرآن ( فلا تكونن من الممترين ) من الشاكين



عليه وسلم لخطاب الامة \* وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يعتري فيه ﴿ وتمت كلمت ربك ﴾ بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده ﴿ صدقا ﴾ في الاخبار والمواعيد ﴿ وعدلا ﴾ في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾ لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق وأعدل اولا أحد يقدر ان يحرفها شائعا ذمعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمنا لهما من الله سبحانه وتعالى بالخطب كتوله واناله لحافظون ولا يبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها \* وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك أى ماتكم به أو القرآن ﴿ وهو السميع ﴾ لما يقولون ﴿ العليم ﴾ بما يضمرون فلا يهملهم ﴿ وان تطع أكثر من في الارض ﴾ أى أكثر الناس يريد الكفار أو الجهال أو تباع الهوى وقيل الارض مكة ﴿ يضلوك عن سبيل الله ﴾

بجازى وشامى وأبو عمرو أى تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد ووعد ( صدقا ) في وعده ووعديه ( وعدلا ) في أمره ونهيه وانتصبا على التمييز أو على الحال ( لا مبدل لكلماته ) لا أحد يبدل شيئا من ذلك ( وهو السميع ) لا قرأ من أقر ( العليم ) باصرار من أصر أو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون ( وان تطع أكثر من في الارض ) أى الكفار لانهم الأكثرون ( يضلوك عن سبيل الله )

حق وصدق فهو من باب التهيج لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الا أن المراد به غيره والمعنى فلا تكون أيها الانسان السامع لهذا القرآن في شك انه منزل من عند الله لما فيه من الاعجاز الذي لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى ﴿ قوله عز وجل ﴾ وتمت كلمة ربك ﴿ وقرئ ﴾ كلمت ربك على الجمع فن قرأ على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر في كلمته يعنى في قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لانه شيء واحد في اعجاز النظم وكونه حقا وصدقا ومعجزا ومن قرأ بالجمع قال لان الله قال في سياق الآية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع في اللفظ الاول اتباعا للشأن ﴿ صدقا وعدلا ﴾ يعنى صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما أخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كائن الى قيام الساعة وفيما أخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصي في النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهى والحلال والحرام وسائر الاحكام ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾ يعنى لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمت ربك والتمام في كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال الله تعالى لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف والتغيير والتبديل باقية الى يوم القيامة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا يتقلب شقيا ولا الشقي يتقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الازل والشقي من شقي في الازل وأورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه وأجيب عنه بان الاعتبار بالخاصة فن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الازل والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهو السميع ﴿ يعنى لما يقوله العباد ﴾ العليم ﴿ يعنى باحوالهم ﴾ قوله عز وجل ﴿ وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ﴾ قال المفسرون ان المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في أكل الميتة وذلك أنهم

انهم لا يعلمون ذلك ( وتمت كلمة ربك ) القرآن بالامر والنهى ( صدقا ) في قوله ( وعدلا ) منه ( لا مبدل ) لا مغير ( لكلماته ) القرآن ويقال وتمت وجبت كلمة ربك بالنصرة لا وليائه صدقا في قوله وعدلا فيما يكون لا مبدل لا مغير لكلماته بالنصرة لا وليائه ويقال وتمت كلمة ربك ظهر دين ربك صدقا من العباد أنه دين الله وعدلا من الله من أمره لا مبدل لا مغير لكلماته لدينه ( وهو السميع ) لمقاتلهم ( العليم ) بهم وباعمالهم ( وان تطع ) يا محمد ( أكثر من في الارض ) وهم رؤساء أهل مكة منهم ابو الاحوص مالك بن عوف الجشمي وبديل بن ورقاء الخزاعي وجليس بن ورقاء الخزاعي ( قالوا ) ( يضلوك عن سبيل الله ) يخطؤك عن طريق الله في الحرم

رؤساء أهل مكة منهم ابو الاحوص مالك بن عوف الجشمي وبديل بن ورقاء الخزاعي وجليس بن ورقاء الخزاعي ( قالوا ) ( يضلوك عن سبيل الله ) يخطؤك عن طريق الله في الحرم

دينه (ان يتبعون الاالظن) وهو ظنهم ان ﴿٤٧٣﴾ آباءهم كانوا ﴿سورة الانعام﴾ على الحق فهم يقلدونهم

(وان هم الايخرصون) يكذبون في ان الله حرم عليهم كذا وأحل لهم كذا (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو يعلم الكفار والمؤمنين من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع الجملة نصب يعلم المقدر لا يعلم لان أفعل لا يعمل في الاسم الظاهر النصب ويعمل الجر و قيل تقديره أعلم بمن يضل بدليل ظهور الباء بعده في المهتدين (فكلوا وما ذكرا سم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) هو مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون

(ان يتبعون الاالظن) ما يقولون بالاالظن (وان هم الايخرصون) يكذبون في قولهم للمؤمنين ان ما ذبح الله خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله) عن دينه وطاعته (وهو أعلم بالمهتدين) لدينه يعنى محمداً عليه الصلاة

عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال ﴿ان يتبعون الاالظن﴾ وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق أو جهالتهم وآراءهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم ﴿وان هم الايخرصون﴾ يكذبون على الله سبحانه وتعالى فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر أو يقدرون انهم على شئ وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ﴿ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ أى أعلم بالفريقين ومن موصلة أو موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه أعلم لانه فان أفعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك أو استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر \* وقربى من يضل أى يضل الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر أو مجرورة باضافة أعلم اليه أى أعلم المضلين من قوله تعالى من يضل الله أو من اضلته اذا وجدته ضالا والفضيل في العلم بكثيره واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير ﴿فكلوا﴾ مما ذكرا سم الله عليه ﴿مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكرا سم الله على ذبحه لانهما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف انفه ﴿ان كنتم بآياته مؤمنين﴾ فان الايمان

قالوا للمسلمين كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان تطع أكثر من في الارض في أكل الميتة وكان الكفار يومئذ أكثر أهل الارض يضلوك عن سبيل الله يعنى يضلوك عن دين الله الذى شرعه لك وبمشكبه وقيل معناه لا تطعمهم في معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعمهم يضلوك عن سبيل الله يعنى يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم أخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى ﴿ان يتبعون الاالظن﴾ يعنى ان هؤلاء الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذى هم عليه الاالظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على حق لانهم اتبعوا أهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن والجهل ﴿وان هم الايخرصون﴾ يعنى يكذبون وأصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة اذا حزر كية ثمرتها على الظن من غير يقين ويسمى الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول معقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قائله لم يقبله عن علم ويقين ﴿ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله﴾ يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك هو أعلم منك ومن جميع خلقه أى الناس يضل عن سبيله ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ يعنى وهو أعلم أيضا بمن كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شئ من أحوال خلقه فاخبر تعالى انه أعلم بالفريقين الضال والمهتدى وانه يجازى كلا بما يستحق ﴿قوله عز وجل﴾ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴿هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين أنما كلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا أنتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح ﴿ان كنتم بآياته مؤمنين﴾ وقيل كانوا يحرمون أصنافا من النعم ويحلون

والسلام وأصحابه (فكلوا مما ذكر اسم الله (قا وحا ٦٠ نى) عليه) من الذبائح (ان كنتم) اذ كنتم (بآياته) القرآن (مؤمنين

بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة أى على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم غيره من ألهتهم أو مات حنق نفسه ( وما لكم ألا تأكلوا ) ما استفهام فى موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر أى وأى غرض لكم فى أن لا تأكلوا ( مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ) بين لكم ( ما حرم عليكم ) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة فصل وحرم كوفى غير حفص وبفهمها مدنى وحفص وبضمهما غيرهم ( الا ما اضطررتم اليه ) ما حرم عليكم فانه حلال لكم فى حال الضرورة أى شدة الجاعة الى أكله ( وان كثيرا يضلون ) يضلون كوفى ( باهوائهم بغير علم ) أى يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ( ان ربك هو أعلم بالمعتدين ) المتجاوزين

بها يقتضى استباحة ما حله الله سبحانه وتعالى واجتناب ما حرمه ﴿ وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ وأى غرض لكم فى ان تعرجوا عن أكله وما يمنعكم عند ﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم ﴾ مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة \* وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل ﴿ الا ما اضطررتم اليه ﴾ مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة ﴿ وان كثيرا يضلون ﴾ بتحميل الحرام وتحريم الحلال \* قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح ﴿ باهوائهم بغير علم ﴾ بتشبههم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ﴿ ان ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ بالمجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام

الميتة فليل أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الآية خطابا للمشركين وعلى القول الاول تكون الآية خطابا للمسلمين وهو الاصح لقوله فى آخر الآية ان كنتم بآياته مؤمنين ﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴾ يعنى وأى شئ لكم فى أن لا تأكلوا وما يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهذا تأكيد فى اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره ﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم ﴾ يعنى وقد بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة فى قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وأورد الامام فخر الدين الرازى ههنا اشكالا فقال فى سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فصل يجب أن يكون ذلك المفصل متقدما على هذا المحل والمدنى متأخر عن المكي فيتبع كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير وهذه الآية وان كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل الا أن هذا القدر من التأخر لا يمنع ان يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه وهو ان الله لما علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام فى الترتيب لافى النزول حسن عود الضمير فى قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم فى الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله أعلم بمراده ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ الا ما اضطررتم اليه ﴾ يعنى الا ان تدعوك الضرورة الى أكله بسبب شدة الجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار ﴿ وان كثيرا يضلون باهوائهم بغير علم ﴾ يعنى وان كثيرا من الذين يجادلونكم فى أكل الميتة ويحتجون عليكم فى ذلك بقولهم أتأكلون ما تدبحون ولا تأكلون ما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون أهوائهم ليضلوا أنفسهم وأتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه أول من بحر البحار وسبب السوائب وأباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام ﴿ ان ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾ يعنى ان ربك يا محمد هو أعلم بمن تعدى حدوده فاحل ما حرم الله وحرم ما أحل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم

أبالاحوص وأصحابه ( يضلون باهوائهم ) ليدعون الى أكل الميتة ( بغير علم ) ولا حجة ( ان ربك هو أعلم بالمعتدين ) ( قوله )

﴿ وذروا ظاهر الاثم وباطنه ﴾ ما يعلن به وما يسر أو ما بالجوارح وما بالقلب وقيل لزنى في الحوانيت واتخاذ الاخذان ﴿ ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقتربون ﴾ يكسبون ﴿ ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ ظاهر في تحريم متروك التسمية عمداً ونسياناً واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه الصلاة والسلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وقرق ابو حنيفة رحمه الله بين العمد

من الحق الى الباطل  
( وذروا ظاهر الاثم  
وباطنه ) على نيته وسره أو  
الزنا في الحوانيت  
والصديقة في السر  
أو الشرك الجلي والخطي  
( ان الذين يكسبون الاثم  
سيجزون ) يوم القيامة  
( بما كانوا يقتربون )  
يكسبون في الدنيا ( ولا  
تأكلوا مما لم يذكر اسم  
الله عليه ) عند الذبح

الحلال الى الحرام ( وذروا  
ظاهر الاثم ) اتركوا زنا الظاهر  
( وباطنه ) زنا السر وهي  
المخالفة ( ان الذين يكسبون  
الاثم ) يعملون الزنا ( سيجزون )  
الجلد في الدنيا والعقوبة  
في الآخرة ( بما كانوا  
يقتربون ) يكسبون من الزنا  
( ولا تأكلوا مما لم يذكر  
اسم الله عليه ) من الذبائح

﴿ قوله عز وجل ﴾ وذروا ظاهر الاثم وباطنه ﴾ يعني وذروا أيها الناس ما يوجب الاثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلاً وكثيرها قال الربيع بن نيس نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الآية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ونكح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال السدي أما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهن أصحاب الرايات وأما الباطن فالمرأة يتخذها لرجل صديقة فيأتيها سرا وقال الضمحاك كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلالاً ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الاثم التجرد عن الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقال الكلبي ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت خراعاة وباطنه طواف النساء بالليل عراة وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الآية وذروا ما أعلنتم به وما أسرتم من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الاثم من جميع جهاته وقيل المراد بظاهر الاثم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل لا خوف الناس وقيل المراد بظاهر الاثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب واردة السوء للمسلمين ونحو ذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين يكسبون الاثم ﴾ يعني ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها ﴿ سيجزون ﴾ يعني في الآخرة ﴿ بما كانوا يقتربون ﴾ يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب انه مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين أجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضلهم وكرمه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما الآية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخقة وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام انتهى

### فصل

اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء

(وانه) وان أكله (لفسق) {الجزء الثامن} وان الشياطين ﴿٤٧٦﴾ (ليوحون) (ليوسوسون) (الي أوليائهم)

من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم لاننا نكلون مما قتله الله وتاكلون مما تذبجون بايديكم والآية تحرم متروك التسمية وخصت حالة النسيان بالحديث أو يجعل الناسي ذا كرا تقديرًا (وان أظعموهم) في استحلال ما حرمه الله (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به ومن حق المتدين أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما في الآية من التشديد العظيم ومن أول الآية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أوفسقا أهل لغير الله به وقال ان الواو في وانه لفسق للحال لان عطف الجملة الاسمية على الفعلية لا يحسن فيكون التقدير ولاننا نكلوا منه حال كونه فسقا والفسق

عدا (وانه لفسق) يعني أكله له بغير الضرورة معصية واستحلاله على انكار التنزيل كفر (وان الشياطين ليوحون الي أوليائهم) يوسوسون أوليائهم أبا الاحوص وأصحابه (ليجادلوكم) تخاصموكم في أكل الميتة

والنسيان وأولوه بالميتة أو بما ذكر اسم غيره عليه لقوله ﴿وانه لفسق﴾ فأن الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لم يوحون ان يكون للاكل الذي دل عليه لاننا نكلوا ﴿وان الشياطين ليوحون﴾ ليوسوسون ﴿الي أوليائهم﴾ من الكفار ﴿ليجادلوكم﴾ بقولهم ناكلون ما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة ﴿وان أظعموهم﴾ في استحلال ما حرم ﴿انكم لمشركون﴾ فان من ترك طاعة الله الي طاعة غيره واتبعه

تركها عمدا أو ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الامام فخر الدين الرازي عن مالك ونقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام احتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري وأبو حنيفة ان ترك التسمية عمدا لا تجل وان تركها ناسيا تجل وقال الشافعي تجل الذبيحة سواء ترك التسمية عمدا أو ناسيا ونقله اليعقوبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومالك ونقل ابن الجوزي عن أحد روايتين فيما اذا ترك التسمية عمدا وان تركها ناسيا حلت فن أباح أكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من الآية الميتات وما ذبح على اسم الاصنام بدليل انه قال تعالى في سياق الآية ﴿وانه لفسق﴾ وأجمع العلماء على ان أكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لافسق واحتجوا أيضا في إباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله ان هنا قوم احدثوا عهدهم بغيرك يأتوننا بلحمت فاندرى يذكرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أنتم اسم الله واكلوا قالوا لو كانت التسمية شرطا للإباحة لكان الشك في وجودها مانعا من أكلها كالكسك في أصل الذبح وقول الشافعي في أول الآية وان كان عامبا بحسب الصيغة الا ان آخرها لما حصلت فيه هذه القبود الثلاثة وهي قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الي أوليائهم ليجادلوكم وان أظعموهم انكم لمشركون علنا ان المراد من هذا العموم هو والخصوص والفسق ذكر اسم غير الله في الذبح كما قال في آخر السورة قل لأجد فيما أوحى الي محرما على طاعم يطعمه الي قوله أوفسقا أهل لغير الله به فصار هذا الفسق الذي اهل لغير الله به مفسر لقوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان قوله ولاننا نكلوا ما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق مخصوصا بما أهل لغير الله به والله أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ وان الشياطين ليوحون الي أوليائهم ليجادلوكم ﴿يعني ان الشياطين يوسوسون الي أوليائهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فترجم ان ما قتلت أنت وأصحابك خلال وما قتله الكلب والصقر خلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم الجوس الي مشركي قريش ان خاصموا محمد وقالوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يعني مردة الانس وهم الجوس ليوحون الي أوليائهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب مودة ومكاتبه على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحي المكاتبه في حقيقته ﴿وان أظعموهم﴾ يعني في أكل الميتة وما حرم الله عليكم ﴿انكم لمشركون﴾ يعني انكم اذا مثلتم في الشرك قال الزجاج

والشركه ان الملائكة بنات الله (وان أظعموهم) في الشرك وأكل الميتة فاحللتوها غير مضطربن اليها (انكم لمشركون) (فيه)

كونه مهلاً لغير الله به فيكون  
 ما سواه حالاً بالعمومات  
 المحلّة منها قوله قل لا أجد  
 الآية فقد عدل عن ظاهر  
 اللفظ (أومن كان ميتاً  
 فأحييناه) أي كافر  
 فهديناه لان الايمان حياة  
 القلوب ميتاً مدني  
 (وجعلناه نوراً عشي به  
 في الناس) مستضيئاً به  
 والمراد به اليقين (كن مثله)  
 أي صفته (في الظلمات)  
 أي خابط فيها (ليس  
 بخارج منها) لا يفارقها  
 ولا يتخلص منها وهو حال  
 قيل المراد بهما حزة  
 وأبوجهل والاصح ان  
 الآية عامة لكل من هداه  
 الله ولكل من أضله الله  
 فبين ان مثل المهدي  
 مثل الميت الذي أحيى  
 وجعل مستضيئاً عشي  
 في الناس بنور الحكمة  
 والايمان ومثل الكافر  
 مثل من هو في الظلمات التي

مثلهم (أومن كان ميتاً)  
 نزلت في عمار بن ياسر  
 وأبي جهل بن هشام  
 هذه الآية أومن كان ميتاً  
 كافر (فأحييناه) أكرمناه  
 بالايمان وهو عمار بن ياسر  
 (وجعلناه نوراً) معرفة  
 (عشي به) يهتدي به

في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي ﴿ أومن كان  
 ميتاً فأحييناه وجعلناه نوراً عشي به في الناس ﴾ مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى وانقذه من  
 الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والحق  
 والمبطل \* وقرأ نافع ويعقوب ميتاً على الاصل ﴿ كن مثله ﴾ صفته وهو مبتدأ خبره  
 ﴿ في الظلمات ﴾ وقوله ﴿ ليس بخارج منها ﴾ حال من المستكن في الظرف لان الهاء  
 في مثله للفصل وهو مثل لمن يبق على الضلالة لا يفارقها بجمل

فيه دليل على ان كل من أحل شيئاً محرم الله أو حرم شيئاً مباحاً حل الله فهو مشرك وانما سمى  
 مشركاً لانه أثبت حاكماً غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك ﴿ قوله عز وجل  
 ﴿ أومن كان ميتاً فأحييناه ﴾ يعني أومن كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالايمان وانما جعل  
 الكفر موتاً لانه جعل الايمان حياة لان الحى صاحب بصيرة يهتدي به الى رشده ولما كان  
 الايمان يهدي الى الفوز العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة ﴿ وجعلناه نوراً عشي به  
 في الناس ﴾ يعني وجعلناه نوراً يستضيء به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل  
 النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور  
 وقال قتادة هو كتاب الله القرآن لانه بينة من الله مع المؤمن بما يعمل ﴿ كن مثله في الظلمات ﴾  
 يعني كن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة ﴿ ليس بخارج منها ﴾ يعني  
 من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين ان المؤمن  
 المهتدي بمنزلة من كان ميتاً فأحياه وأعطاه نوراً يهتدي به في مصالحه وان الكافر  
 بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون مخيراً على الدوام ثم اختلف  
 المفسرون في هذين المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين أو هما عامان في كل مؤمن  
 وكافر فذكروا في ذلك قولين أحدهما ان الآية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيها  
 فقال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله وجعلناه نوراً عشي به في الناس يريد حزة  
 ابن عبدالمطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كن مثله في الظلمات يريد بذلك أبوجهل  
 ابن هشام وذلك ان أبوجهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فأخبر حزة بما فعل أبوجهل  
 وكان حزة قد رجع من صيد ويده قوس وحزة لم يؤمن بعد فاقبل حزة غضبان حتى  
 علأ أبوجهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبوجهل يتضرع الى حزة ويقول يا أباعلي  
 أماترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حزة ومن اسفه منكم  
 عقولاً تعبدون الحجارة من دوائه أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فأسلم  
 حزة يومئذ فأزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل  
 وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله  
 عليه وسلم وأبي جهل وذلك ان أبوجهل قال زاحنا بنوعيد مناف في الشرف حتى اذا  
 صرنا نحن وهم كفري رهان قالوا ما نبي يوحى اليه والله لا تؤمن حتى يأتينا وحى  
 كما يأتيه فنزلت هذه الآية والقول الثاني وهو قول الحسن في آخرين ان هذه الآية عامة  
 في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلًا في الكل دخل فيه

(في الناس) بين الناس ويقال ويجعل له نوراً على الصراط في الناس بين الناس (كن مثله) كن هو (في الظلمات) في ضلالة  
 الكفر في الدنيا وظلمات جهنم يوم القيامة وهو أبوجهل (ليس بخارج منها) من الكفر الضلالة في الدنيا وظلمات في جهنم

لا يتخلص منها (كذلك) أى كازين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين) بتزيين الله تعالى كقوله زينناهم اعمالهم (ما كانوا يعملون) أى اعمالهم (وكذلك) أى وكاجعلنا في مكة صنائد لها ليكروا فيها (جعلنا) صيرنا (في كل قرية) أى كابر مجرميها ليكروا فيها) ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصي واللام على ظاهرها عند أهل السنة وليس ت بلام العاقبة وخص الاكابر وهم الرؤساء لان ما فيهم من الرياسة { الجزء الثامن } والسعة ﴿ ٤٧٨ ﴾ أدعى لهم الى المكر والكفر من

﴿ كذلك ﴾ كازين للمؤمنين ايمانه ﴿ زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾ والآية نزلت في حزة وأبي جهل وقيل في عمر أو عمار وأبي جهل ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليكروا فيها ﴾ أى كاجعلنا في مكة أكابر مجرميها ليكروا فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني وأقوى في كل قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسرا الجمل بالتمكين وأفضل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ أكابر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم أقوى على استتباع الناس والمكربهم ﴿ وما يكرون الا بانفسهم ﴾ لان وبالله يحق بهم ﴿ وما يشعرون ﴾ ذلك ﴿ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ﴾ يعنى كفار

غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ثم سلى رسوله عليه السلام ووعد له النصره بقوله (وما يكرون الا بانفسهم) لان مكربهم يحقق بهم (وما يشعرون) أنه يحقق بهم أكابر مفعول أول والثاني في كل قرية ومجرميها بدل من أكابر أو الأول مجرميها والثاني أكابر وتقدير مجرميها اكابر ولما قال أبو جهل

زاجنابنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كافر سى رهان قالوا من انى بوحي اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحى كما ياتيه نزل (واذا جاءتهم) أى الاكابر (آية) معجزة أو آية من القرآن تأمرهم بالايمان ( قالوا لن ) من حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أى نعطي من الآيات

(كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) يقول كما زيننا لأبى جهل عمله الذى كان يعمل (وكذلك جعلنا في كل قرية) بلدة (اكابر مجرميها) أى رؤسائها وجباريها واغنيائها

كل أحد ﴿ قوله عز وجل ﴾ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴿ قال أهل السنة المزين هو الله تعالى وبدل عليه قوله زينناهم اعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعى وحصوله لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ورده ما تقدم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ﴿ يعنى وكاجعلنا في مكة أكابرو عظماء جعلنا في كل قرية أكابر وعظماء وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه كازينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا في كل قرية أكابرجع الاكبر ولا يجوز أن يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل في الآية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر وانما جعل المجرمين أكابر لانهم أقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم أكابريهم ﴿ ليكروا فيها ﴾ قال ابو عبيدة المكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق من طريق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكربهم ﴿ وما يكرون الا بانفسهم ﴾ يعنى ما يحق هذا المكر الا بهم لان وبال مكربهم يعود عليهم ﴿ وما يشعرون ﴾ يعنى ان وبال ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ﴾ يعنى النبوة وذلك

كاجعلنا في اهل مكة المستهزين وأصحابهم أبا جهل وغيره (ليكروا فيها) ليعملوا فيها بالمعاصي والفساد ويقال ليكذبوا فيها ( ان ) الانبياء (وما يكرون الا بانفسهم) يقول ما يصنعون من المعاصي والفساد عقوبة ذلك ودماره على أنفسهم (وما يشعرون) (واذا جاءتهم آية) أى الوليد بن المغيرة وعبد ياليل وأبامسعود الثقفى آية من السماء تخبرهم بصنيعهم (قالوا لن نؤمن) يعنى بالآية (حتى نؤتى) نعطي الكتاب (مثل ما أوتى) أعطى (رسل الله) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم

قريش لما روى ان ابا جهل قال زاحنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفريسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله سبحانه وتعالى بهامن يشاء من عباده فيجتي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه \* وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته ﴿ سيصيب الذين أجرموا صغار ﴾ ذل وحقارة بعد كبرهم ﴿ عند الله ﴾

مثل ما أعطى الانبياء فأعلم الله تعالى أنه أعلم من يصلح للنبوة فقال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) مكي وحفص رسالته غيرهما حيث مفعول به والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سيصيب الذين أجرموا) من أكرها (صغار) ذل وهوان (عند الله) في القيامة

(الله أعلم حيث يجعل رسالته) الى من يرسل جبريل بالرسالة (سيصيب الذين أجرموا) أشركوا يعني وليدا وأصحابه (صغار) ذل وهوان (عند الله)

ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت أنا أولى بهامتك لاني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في أبي جهل وذلك انه قال زاحنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفريسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا الأ أن يأتينا وحي كما يأتيه فانزل الله هذه الآية واذا جاءتهم آية يعني حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعني الوليد بن المغيرة وأباهل بن هشام أو كل واحد من رؤساء الكفرة ويدل عليه الآية التي قبلها وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكبر مجرمها ليكروا فيها فكان من مكر كفار قريش أن قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله يعني النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفي قولهم لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله قولان أحدهما وهو المشهور ان القوم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لاتباعين القول الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعني لن نصدقك حتى نؤتي مثل ما أوتى رسل الله يعني حتى يوحى الينا جبريل بصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا أن تخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانهم رسول من الله تعالى وعلى القول الاول أنهم طلبوا أن يكونوا أنبياء ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ يعني أنه تعالى يعلم من يستحق الرسالة فيشرفها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس باهل لها وأنتم اسم لها باهل وان النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال أهل المعاني الابلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لان الطعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى أعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها لبيتم أبي طالب دون أبي جهل والوليد وغيرهما من أكبر قريش ورؤسائها ﴿ قوله عز وجل ﴾ سيصيب الذين أجرموا صغار ﴿ أى ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذي تصغر الى المرء نفسه فيه ﴿ عند الله ﴾ يعني هذا من عند الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى



من القتل والاسر وعذاب النار (بما كانوا يعمرون) في الدنيا) فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره (للإسلام) يوسعه وينور قلبه قال عليه السلام اذا دخل النور في القلب انشرح وانفتح قيل وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الفرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (ومن يرد) أي الله (أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً) ضيقاً مكي (حرجاً) صفة لضيقاً مدني وأبو بكر بالغافي الضيق حرجاً غيرهما وصفا بالمصدر

وعذاب شديد) عند الله مقدم ومؤخر (بما كانوا يعمرون) يكذبون الرسل (فمن يرد الله ان يهديه) يرشده لدينه (يشرح صدره) قلبه (للإسلام) لقبول الإسلام حتى يسلم (ومن يرد أن يضلّه) يتركه ضالاً كافراً (يجعل صدره) يترك قلبه (ضيقاً) كضيق الزوج في الرمح (حرجاً) شكا وان قرأت حرجاً يقول لا يجد النور في قلبه منفذا ولا مجازاً

يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله \* وعذاب شديد بما كانوا يعمرون \* بسبب مكرهم أو جزاء على مكرهم \* فمن يرد الله أن يهديه \* يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان \* يشرح صدره للإسلام \* فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياً لخلوله فيها مضافة عما نفعه وينافيه واليه اشارة عليه افضل الصلاة والسلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله سبحانه وتعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من أمانة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الفرور والاستعداد للموت قبل نزوله \* ومن يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً \* بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الإيمان \* وقرأ ابن كثير ضيقاً بالتخفيف ونافع وأبو بكر

هذا القول انما يحصل لهم الصغار في الآخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكمه عليهم في الدنيا \* وعذاب شديد \* يعني في الآخرة \* بما كانوا يعمرون \* يعني انما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدكم وطلبهم مالا يستحقون \* قوله عز وجل \* فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام \* أي الإيمان يقال شرح الله صدره فانشرح أي وسعه لقبول الإيمان والخير فتوسع وذلك أن الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال أن نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشرح الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان أمره اذا أوضحه وأظهره وشرح المسئلة اذا كانت مشكلة فوضحها وبينها فقد ثبت أن للشرح معنيين أحدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا أي فتحه لقبوله ومنه قوله عز وجل ولكن من شرح بالكفر صدرا وقوله أفن شرح الله صدره للإسلام يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله في قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره ومعنى الآية فمن يرد الله أن يهديه للإيمان بالله وبرسوله وبما جاءه من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهونه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الإسلام في قلبه فيضي به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الآية سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك أمانة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الفرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وأسند الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من آية يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الفرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت \* قوله عز وجل \* ومن يرد \* أي الله \* ان يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً \* يعني يجعل صدره ضيقاً حتى لا يدخله الإيمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه واذا ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب هذه الآية وعنده اعرابي

( كأنما يصعد في السماء ) كأنه كلف ﴿ ٤٨١ ﴾ أن يصعد الى { سورة الانعام }

من ضيق صدره عنه  
اذاضاقت عليه الارض  
فطلب مصعدا في السماء  
أو كعازب الرأي طائر  
القلب في الهواء يصعد مكي  
يصاعد أبو بكر وأصله  
يتصاعد الباقون يصعدوا أصله  
يتصعد ( كذلك يجعل الله  
الرجس ) العذاب  
في الآخرة والعنة في الدنيا  
( على الذين لا يؤمنون )  
والآية حجة لنا على المعتزلة  
في ارادة المعاصي ( وهذا  
صراط ربك ) أي طريقه  
الذي اقتضته الحكمة  
وسنته في شرح صدر من  
أراد هدايته وجعله ضيقا  
لمن أراد ضلاله ( مستقيما )  
عادلا مطردا أو هو حال  
( كأنما يصعد في السماء )  
كالمكلف الصعود الى السماء  
هكذا قلبه لا يهتدى  
الى الاسلام ( كذلك )  
هكذا ( يجعل الله الرجس )  
يترك الله التكذيب ( على الذين )  
في قلوب الذين ( لا يؤمنون )  
بمحمد والقرآن عليه  
السلام ثم يعذبهم ان لم  
يؤمنوا ( وهذا صراط  
ربك ) صنيع ربك  
( مستقيما ) عدلا ويقال  
وهذا يعني الاسلام صراط  
ربك دين ربك مستقيما  
فإنما يرتضيه وهو الاسلام

عن عاصم حرجا بالكسر أي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر ﴿ كأنما  
يصعد في السماء ﴾ شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزوال مالا يقدر عليه فأن  
صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يتمتع منه كما يتمتع  
منه الصعود \* وقيل معنا كأنما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدة في الهرب  
منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به \* وقرأ ابن كثير يصعد وأبو بكر عن عاصم  
يصاعد بمعنى يتصاعد ﴿ كذلك ﴾ أي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق  
﴿ يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ يجعل العذاب أو الخذلان عليهم فوضع الظاهر  
موضع المضمحل للتعليل ﴿ وهذا ﴾ اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن أو الى الاسلام  
أو الى ما سبق من التوفيق والخذلان ﴿ صراط ربك ﴾ الطريق الذي ارتضاه  
أو عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته ﴿ مستقيما ﴾

من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لاتصل  
اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير  
وأصل الحرج الضيق وهو مأخوذ من الحرجة وهي الاشجار الملتف بعضها على بعض  
حتى لا يصل اليها شيء \* وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية فقال هل هنا أحد من بني  
بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستسك الذي لا طريق  
فيه فقال ابن عباس رضي الله عنهما كذلك قلب الكافر قال أهل المعاني لما كان القلب  
محاللا ملوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته بالانشراح والانفساح  
ونوره فقبل ما أودعه من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو  
خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يبى علما  
ولا استدلالا على توحيد الله تعالى والايمان به وفي الآية دليل على أن جميع الاشياء  
بمشيئة الله و ارادته حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر ﴿ قوله عز وجل ﴾ كأنما يصعد  
في السماء ﴾ يعني أن الكافر اذا دعى الى الاسلام كأنه قد كلف أن يصعد الى السماء  
ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز أن يكون المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السماء نبوا  
عن الاسلام وتكبيرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد إلى أن يصعد الى السماء وليس يقدر  
على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعى الى الاسلام  
فانه يتكلف مشقة وصعوبة في ذلك كمن يتكلف الصعود الى السماء وليس يقدر على ذلك  
﴿ كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ الكاف في كذلك تفيد التشبيه وفيه  
وجهان الاول معناه أن جعله الرجس عليهم كجعله ضيقة حرجة والمعنى  
كاجلنا صدورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج أي  
مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس رضي الله عنهما الرجس  
الشیطان أي فيسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لاخير فيه وفي رواية عن ابن  
عباس رضي الله عنهما ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة  
وفي الآخرة العذاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهذا صراط ربك مستقيما ﴾ يعني

لا عوج فيه أو عا د لا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا أو مقيدة والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ فيعلمون ان القادر هو الله سبحانه وتعالى وان كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم ﴿لهم دار السلام﴾ دار الله اضافة الجنة الى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من المكاره أو دار تحييم فيها سلام ﴿عند ربهم﴾ في ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كتبها غيره ﴿وهو وليهم﴾ مواليهم أو ناصرهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائها فيتولى ايضاله اليهم ﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾ نصب باضمار اذ ذكر أو نقول والضمير لمن يحشر من القلبن وقراء حفص عن عامر وروح عن يعقوب

وهذا الذي ينالك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يعني دينه الذي شرعه لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعني الاسلام وقال ابن مسعود يعني القرآن لانه يؤدي من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد ﴿قد فصلنا الآيات﴾ يعني قد فصلنا آيات القرآن بالوعود والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهي وغير ذلك من أحكام القرآن ﴿لقوم يذكرون﴾ يعني لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والبر قال عطاء يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبهم باحسان ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن والسدي السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام في اسماء الله تعالى ذوالسلام وهو جمع سلامة لانه تعالى ذوالسلامة من جميع الآفات والنقائص فعلى هذا القول أضيفه الدار الى السلام الذي هو اسم الله تعالى اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله ولانبي صلى الله عليه وسلم عبدالله في قوله وانه لما قام عبدالله يدعو وأحج لحة هذا بان في اضافة الدار الى الله تعالى نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة في تعظيم أمرها وقيل أن السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كانه قال لهم دار السلامة التي لا يلقون فيها شيئا يكرهونه وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال يحييم فيها سلام وقال سلام قولاً من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا الاسلاما وقوله عند ربهم يعني ان الجنة معدة مهياً لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها ﴿وهو وليهم﴾ بما كانوا يعملون ﴿يعني انه تعالى يتولى أمرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه أنه يتولاهم في الدنيا بالتوفيق والهداية وفي الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني انه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها اليه في الدنيا ﴿قوله عز وجل﴾ ويوم نحشرهم جميعا ﴿أي اذ كرايا محمد يوم نحشر المعادين بالله الاصنام مع أوليائهم من الشياطين

مؤكدة (قد فصلنا الآيات ( دار السلام ) دار الله يعني الجنة أضافها الى نفسه تعظيما لها أودار السلامة من كل آفة وكدر أو السلام التحيمة سميت دار السلام لقوله تحييم فيها سلام الا قيسلاسلاما سلاما ( عند ربهم ) في ضمانه ( وهو وليهم ) محبهم أو ناصرهم على أعدائهم (بما كانوا يعملون) بأعمالهم أو متوليهم بجزء ما كانوا يعملون أو هو ولىنا في الدنيا بتوفيق الاعمال وفي العقبي بتحقيق الآمال (ويوم نحشرهم جميعا) وباليه حفص أي واذكر يوم نحشرهم أو يوم

( قد فصلنا الآيات ) بنا القرآن بالامر والهمى والاهانة والكرامة (لقوم يذكرون ) يتعظون فيؤمنون ويقال نزل فن يراد الله ان يهديه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل ويقال نزلت في عمار وأبي جهل (لهم) للمؤمنين ( دار السلام عند ربهم ) السلام هو الله والجنة داره ( وهو وليهم ) بالثواب والكرامة ( بما كانوا يعملون ) ويقولون في الدنيا من الخيرات (ويوم

نحشرهم قلنا ( يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس ) أضلتم منهم كثيرا وجعلتموه أتباعكم كما تقول استكثر  
الامير من الجنود ( وقال أولياؤهم ﴿ ٤٨٣ ﴾ من الانس ) الذين أطاعوهم { سورة الانعام } واستموا الى وسوستهم

( ربنا استمع بعضنا بعض )  
أى انتفع الانس بالشياطين  
حيث دلوهم على الشهوات  
وعلى أسباب التوصل  
اليها وانتفع الجن  
بالانس حيث أطاعوهم  
وساعدوهم على مرادهم  
في اغوائهم ( وبلغنا أجلنا  
الذي أجلت لنا ) يعنون  
يوم البعث وهذا الكلام  
اعتراف بما كان منهم  
من طاعة الشياطين واتباع  
الهوى والتكذيب بالبعث  
وتحسر على حالهم ( قال النار  
مثواكم ) منزلكم

والانس فنقول ( يامعشر  
الجن قد استكثرتم من الانس )  
من ضلالات الانس أى  
أضلتم كثيرا من الانس  
بالتعوذ ( وقال أولياؤهم )  
أولياء الجن ( من الانس )  
الذين كانوا يتعوذون  
برؤساء الجن اذا نزلوا واديا  
واصطادوا من دوابهم  
صيدا كانوا يقولون نعوذ  
بسيد هذا الوادى من سفهاء  
قومه فيامنون بذلك ( ربنا )  
ياربنا ( استمع ) انتفع  
( بعضنا بعض ) وكان  
منفعة الانس الامن منهم  
ومنفعة الجن الشرف  
والعظمة على قومهم ( وبلغنا )

يحشرهم بالياء ﴿ يامعشر الجن ﴾ يعنى الشياطين ﴿ قد استكثرتم من الانس ﴾ أى  
من اغوائهم واضلالهم أو منهم بان جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر  
الامير من الجنود ﴿ وقال أولياؤهم من الانس ﴾ الذين أطاعوهم ﴿ ربنا استمع بعضنا  
بعض ﴾ أى انتفع الانس بالجن بان داوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن  
بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتع الانس بهم انهم كانوا يهودون  
بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم  
﴿ وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ﴾ أى البعث وهو اعتراف بما فعلوه من طاعة الشيطان  
واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم ﴿ قال النار مثواكم ﴾ منزلكم أو ذات

يعنى نحشر المشركين والشياطين جميعا يوم القيامة ﴿ يامعشر الجن ﴾ فيه حذف تقديره  
يقول لهم يامعشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين ﴿ قد استكثرتم  
من الانس ﴾ يعنى من اضلالهم واغوائهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه اضلتم  
كثيرا من الانس وهذا التفسير لابن له من تأويل آخر لان الجن لا يقدر على اضلال  
الانس وأغوائهم بأنفسهم لانه لا يقدر على الاجبار أحد الا الله لانه هو المنصرف  
في خلقه بما شاء فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء الى الاضلال  
مع مصادفة القبول من الانس ﴿ وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمع  
بعضنا بعض ﴾ يعنى استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتع الانس بالجن  
فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية اذا سافر فنزل بأرض قفراء وخاف على نفسه من  
الجن قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فبييت في جوارهم وأما استمتع  
الجن بالانس فهو انهم قالوا سيدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم  
وعظما في أنفسهم وقيل استمتع الانس بالجن هو ما كانوا يلقون اليهم من الارجيف  
والسحر والكهانة وتزيين الامور التي كانوا يهوونها وتسهيل سبلها عليهم واستمتع  
الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمصاحي وقيل استمتع  
الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات وأصناف الطيبات ويسهلونها  
عليهم واستمتع الجن بالانس هى طاعة الانس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم  
فصاروا كالرؤساء للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمع بعضنا بعض هو  
من كلام الانس خاصة لان استمتع الجن بالانس وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر أما  
استمتع الانس بعضهم بعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه ﴿ وبلغنا أجلنا الذى  
أجلت لنا ﴾ يعنى ان ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت  
الحسرة والندامة قال الحسن والسدى الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب  
في يوم القيامة ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله لهؤلاء الذين استمتع بعضهم بعض من الجن  
والانس ﴿ النار مثواكم ﴾ يعنى ان النار مقامكم ومقرمكم فيها ومصيركم اليها

ادركنا ( أجلنا الذى أجلت لنا ) وقت لنا يعنى الموت ( قال ) الله لهم ( النار مثواكم ) منزلكم يامعشر الجن والانس

(خالد بن فيها) حال والعامل  
معنى الاضافة كقوله تعالى أن  
دابره هؤلاء مقطوع مصحين  
فمصحين حال من هؤلاء  
والعامل في الحال معنى  
الاضافة اذ معناه الممازجة

والمضامة والمثوى ليس  
بعامل لان المكان لا يعمل  
في شيء (الاماشاء الله)  
أي يخلدون في عذاب النار  
الابد كله الاماشاء الله الا  
الاقوات التي ينقلون فيها  
من عذاب السعير الى عذاب  
الزمهرير (ان ربك حكيم)  
فيما يفعل بأوليائه وأعدائه  
(عليم) بأعمالهم فيجزى  
كلا على وفق عمله (وكذلك  
نولى بعض الظالمين بعضا)  
تتبع بعضهم بعضا في النار  
أو نسلط بعضهم على بعض  
أو نجعل بعضهم أولياء

(خالد بن فيها) مقيمين  
في النار (الاماشاء الله)  
وقد شاء الله لهم الخلود  
(ان ربك حكيم) حكم  
عليهم بالخلود (عليم) بهم  
ويعقوبتهم (وكذلك)  
هكذا (نولى) ترك  
(بعض الظالمين) المشركين  
(بعضا) الى بعض في الدنيا  
والآخرة ويقال نولى  
ملك بعض الظالمين المشركين

مثواكم ﴿ خالد بن فيها ﴾ حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة  
ان جعل مكانا ﴿ الاماشاء الله ﴾ الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير  
وقيل الاماشاء الله قبل الدخول كأنه قيل النار مثواكم ابدا الاما امهلكم ﴿ ان ربك  
حكيم ﴾ في أفضاله ﴿ عليم ﴾ بأعمال الثقلين وأحوالهم ﴿ وكذلك نولى بعض  
الظالمين بعضا ﴾ نكل بعضهم الى بعض أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم أو أولياء

﴿ خالد بن فيها ﴾ يعنى مقيمين في نار جهنم أبدا ﴿ الاماشاء الله ﴾ اختلفوا في معنى هذا الاستثناء  
فقيل معناه خالد بن فيها الاقدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب الى حين دخولهم الى  
النار فان هذا الوقت ليسوا بخالد بن فيها في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء هو اوقات  
نقلهم من عذاب الى عذاب آخر وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهرير  
ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكانت مدة نقلهم هي المراد من هذا الاستثناء ونقل  
جمهور المفسرين عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم  
سبق فيهم علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار  
قالوا فلي هذا التأويل تكون ما في قوله الاماشاء الله بمعنى من يعنى الامن شاء الله ونقل  
الطبري عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يتأول هذا الاستثناء بان الله عز وجل  
جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم الى مشيئته وقال في هذه الآية انه لا يبنى لاحد  
أن يحكم على الله في خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا نار اقال الزجاج والقول الاول أولى لان  
معنى الاستثناء انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال  
خالد بن فيها منذ يبعثون الاماشاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة  
محاسبتهم ﴿ ان ربك حكيم ﴾ يعنى في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيئته من حال  
الى حال وغير ذلك من أفعاله وقيل حكيم فيما فعله من ثواب الطائع وعقاب العاصي  
وفي سائر وجوه المجازاة ﴿ عليم ﴾ يعنى بهواقب أمور خلقه وما هم اليه صائرون  
كانه قال انما حكمت لهؤلاء الكفار بالخلود في النار لعلمى بانهم يستحقون ذلك ﴿ قوله  
عز وجل ﴾ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا ﴿ الكاف في وكذلك كاف التشبيه  
تقتضى شيئا تقدم ذكره فالتقدير كما أنزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم  
ببعض كذلك نولى بعض الظالمين بعضا أى نسلط بعضهم على بعض فنأخذ من الظالم  
بالظلم كما جاء في الاثر من أعان ظلما سلطان الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء  
بعض فالمؤمن ولى المؤمن حيث كان وأين كان والكافر ولى الكافر حيث كان وأين  
كان وفي رواية أخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاته وقيل  
معناه نولى ظلما لانس ظلما لجن وظلما لجن ظلما لانس يعنى نكل بعضهم الى  
بعض وقال ابن عباس رضى الله عنهما في تفسير هذه الآية هو ان الله تعالى اذا أراد  
بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم واذا أراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول  
ان الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عز وجل عليهم ظلما مثلهم فمن أراد أن يخلص

يوم القيامة على جهة التوبيخ ( يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ) عن الضحاك بعث الى الجن رسالا منهم كما بعث الى الانس رسالا منهم لانهم به آتس وعليه ظاهر النص وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلين في الخطاب صح ذلك وان كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أو رسلهم رسل نبينا كقوله ولو الى قومهم منذرين ( يقصون عليكم آياتي ) يقرؤن كتي ( وينذرونكم لقاء يومكم هذا ) يعني على بعض ( بما كانوا يكسبون ) يقولون ويعملون من الشر ( يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ) من الانس محمد عليه السلام وسائر الرسل ومن الجن تسعة نفر الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولوا الى قومهم منذرين ويقال كان لهم نبي يسمى يوسف ( يقصون عليكم ) يقرؤن عليكم ( آياتي ) بالامر والنهي ( وينذرونكم ) يخوفونكم ( لقاء يومكم ) عذاب يومكم ( هذا )

بعض وقرناهم في العذاب كما كانوا في الدنيا ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ من الكفر والمخاصى ﴿ يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله تعالى ولو الى قومهم منذرين ﴿ يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ يعني يوم القيامة

من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ بما كانوا يكسبون ﴿ يعني يسלט عليهم من يظلمهم بسبب أعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها ﴿ قوله عز وجل ﴾ يامعشر الجن والانس ﴿ المعشر كل جماعة أمرهم واحد والجمع معاشر ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ اختلف العلماء في معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسل أم لا فذهب أكثر العلماء الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس وأجابوا عن قوله رسل منكم يعني من أحدكم وهم الانس فحذف المضاف فهو كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما قد جمع في قوله صرح البحرين وهو جائز في كل ما اتفق في أصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما بما ينصرف الى أحد الفريقين وهم الانس وهذا قول الفقهاء والزجاج ومذهب جمهور أهل العلم قال الواحدي وعليه دل كلام ابن عباس رضي الله عنهما لانه قال يريد أنبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن أنبياء وذهب قوم الى أنه أرسل الى الجن رسالا منهم كما أرسل الى الانس رسالاتهم قل الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الآية يدل على ذلك لانه قال تعالى ألم يأتكم رسل منكم فمخاطب الفريقين جميعا وأجيب عن ذلك بان الله تعالى قال يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم وهذا يقتضى كون الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع واذا كان الرسل من الانس كان الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع وكان هذا القول أولى من حمل لفظ الآية على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لامن الجن ويحتمل أيضا أن يقال ان كافة الرسل كانوا من الانس لكن الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسموا كلام الرسل من الانس ثم يأتوا قومهم من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذروهم به كما قال تعالى واذصرنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى فلما قضى واو الى قومهم منذرين فكان أولئك نفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وأبو عبيدة وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل ﴾ يقصون عليكم آياتي ﴿ يعني يخبرونكم بما أوحى اليهم من آياتي الدالة على توحيدى وتصديق رسلى ﴿ وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ يعني ويحذرونكم

﴿ قالوا ﴾ جواب ﴿ شهدنا على أنفسنا ﴾ بالجزم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب ﴿ وعزتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيا والذات المحدثجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم ان اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف أي الامر ذلك ﴿ ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ تليل للحكم وان مصدرية أو مخففة من الثقلية أي الامر ذلك لانشاء كون ربك أو لان الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوا أو ملتبسين

ويخوفونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقرير والتوبيخ ما أخبر في كتابه وهو قوله تعالى يا معشر الجن والانس الآية فيحيون بما أخبر عنهم في قوله تعالى ﴿ قالوا ﴾ يعني كفار الجن والانس ﴿ شهدنا على أنفسنا ﴾ اعترفوا بأن الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذروهم لقاء يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله تعالى ﴿ وعزتهم الحياة الدنيا ﴾ يعني انما كان ذلك بسبب انهم عزتهم الحياة الدنيا ومالوا إليها ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ في الدنيا فان قلت كيف أفروا على أنفسهم بالكفر في هذه الآية وجمدوا الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة أنكروا الشرك لعل ذلك الانتكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يحتم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله تعالى وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فان قلت لمكرر شهادتهم على أنفسهم قلت شهادتهم الاولى اعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفي قوله وشهدوا على أنفسهم ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلته نظرهم لانفسهم وانهم قوم عزتهم الحياة الدنيا ولذاتها فكانت عاقبة أمرهم ان اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين وزجرهم عن الكفر والمعاصي ﴿ قوله عز وجل ﴾ ذلك ﴿ إشارة إلى ما تقدم ذكره من بعث الرسل إليهم وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذبهم ﴿ أن لم يكن ربك ﴾ يعني لانه لم يكن ربك ﴿ مهلك القرى بظلم ﴾ قال الكلبي معناه لم يكن إلهكم بذنوبهم من قبل أن تأتيهم الرسل فنتهاهم فان رجعوا والأتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز أن يكون المعنى لم يكن إلهكم بظلم منه ﴿ وأهلها غافلون ﴾ أي وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها وعلى قول الفراء انه لو أهلكهم قبل بعثة الرسل لكان ظلما والله

( وعزتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ) بالرسول ( ذلك ) إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وهو خبر مبتدأ محذوف أي الامر ذلك ( أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ) تليل أي الامر ما قصصنا عليك لانشاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن مصدرية ويجوز أن تكون مخففة من الثقلية والمعنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظلما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينهوا برسول وكتاب لكان ظلما وهو

قالوا ( يعني الجن والانس ) شهدنا على أنفسنا ( انهم قد بدلوا الرسالة وكفروا بهم قال الله ) وعزتهم الحياة الدنيا ما في الدنيا من الزهرة والنعيم ( وشهدوا على أنفسهم ) في الآخرة ( انهم كانوا كافرين ) في الدنيا ( ذلك ) ارسال الرسل ( أن لم يكن ) بان لم يكن ( ربك مهلك القرى ) أهل القرى

بظلم أوظلما وهم غافلون لم ينهوا برسول أو بدل من ذلك ﴿ ولكل ﴾ من المكلفين ﴿ درجات ﴾ مراتب ﴿ مما عملوا ﴾ من أعمالهم أو من جزائها أو من أجلها ﴿ وما ربك ببالغ عما يعملون ﴾ فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق به من ثواب أو عقاب ﴿ وقرأ ابن امر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة ﴿ وربك الغنى ﴾ عن العباد والعبادة ﴿ ذو الرحمة ﴾ يترحم عليهم بالتكليف تكديلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لثقله بل لترجحه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله ﴿ ان يشأ يذهبكم ﴾ أى مابه اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ﴿ ويستخلف من بعدكم ما يشاء ﴾ من الخلق ﴿ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ أى قرنا بعد قرن

عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول اصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في شئ من أفعاله غير انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلما منه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولكل درجات مما عملوا ﴿ يعنى ولكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات يعنى منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانخفاض كتفاضل الدرج وهذا انما يكون في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا فمنهم من هو أعظم ثوابا ومنهم من هو أشد عقابا وهو قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص بأهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما ربك بغافل عما يعملون ﴿ مختص بأهل الكفر والمعاصي وفيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والمعاصي وانه عالم بأعمالهم على التفصيل التام فيجزى كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب أو عقاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ وربك الغنى ﴿ يعنى عن خلقه وذلك أنه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة أو معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والمعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع أو تمتنع بمعصية المعاصي بل هو الغنى على الاطلاق وان جميع الخلق قراء اليه ﴿ ذو الرحمة ﴾ قال ابن عباس رضى عنهما بأوليائه وأهل طاعته وقال الكلبي بخلق ذوات الجوارح عنهم فمن رحمة تأخير العذاب عن المذنبين لعلمهم بتوبون ورجوعون ﴿ ان يشأ يذهبكم ﴾ يعنى يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم ﴿ ويستخلف ﴾ يعنى وينشئ ويخلق ﴿ من بعدكم ﴾ يعنى من بعد اهلاككم ﴿ ما يشاء ﴾ يعنى خلقا غيركم أمثل وأطوع منكم ﴿ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوى يعنى آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الراحدى وصاحب الكشاف يعنى من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازى في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعنى من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الاعلى طريق البدل من قائم وما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث أورابع

عن وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول اصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في شئ من أفعاله غير انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلما منه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولكل درجات مما عملوا ﴿ يعنى ولكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات يعنى منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانخفاض كتفاضل الدرج وهذا انما يكون في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا فمنهم من هو أعظم ثوابا ومنهم من هو أشد عقابا وهو قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا مختص بأهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق الا بهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ وما ربك بغافل عما يعملون ﴿ مختص بأهل الكفر والمعاصي وفيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والمعاصي وانه عالم بأعمالهم على التفصيل التام فيجزى كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب أو عقاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ وربك الغنى ﴿ يعنى عن خلقه وذلك أنه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة أو معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والمعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع أو تمتنع بمعصية المعاصي بل هو الغنى على الاطلاق وان جميع الخلق قراء اليه ﴿ ذو الرحمة ﴾ قال ابن عباس رضى عنهما بأوليائه وأهل طاعته وقال الكلبي بخلق ذوات الجوارح عنهم فمن رحمة تأخير العذاب عن المذنبين لعلمهم بتوبون ورجوعون ﴿ ان يشأ يذهبكم ﴾ يعنى يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم ﴿ ويستخلف ﴾ يعنى وينشئ ويخلق ﴿ من بعدكم ﴾ يعنى من بعد اهلاككم ﴿ ما يشاء ﴾ يعنى خلقا غيركم أمثل وأطوع منكم ﴿ كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ﴾ اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوى يعنى آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الراحدى وصاحب الكشاف يعنى من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازى في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعنى من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الاعلى طريق البدل من قائم وما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث أورابع

وتبليغ الرسل (ولكل) لكل واحد من الجن والانس (درجات) للمؤمنين في الجنة من الانس ودرجات للكافرين في النار (مما عملوا) بما عملوا من الخير والشر (وما ربك بغافل عما يعملون) من الخير والشر ويقال بتارك عقوبة ما يعملون من المعاصي (وربك الغنى) عن ايمانهم (ذو الرحمة) بتأخيره العذاب لمن آمن به (ان يشأ يذهبكم) يهلككم



نوح عليه السلام (ان ما)  
 ما بمعنى الذي (توعدون)  
 من البعث والحساب  
 والثواب والعقاب (لآت)  
 خبران أى لكأن (وما  
 أنتم بمعجزين) بفائتين  
 رد لقولهم من مات فقد  
 فات المكائنة تكون مصدرا  
 يقال مكن مكانة اذا تمكن  
 أبلغ التمكن وبمعنى المكان  
 يقال مكان ومكانة ومقام  
 ومقامة وقوله (قل يا قوم  
 اعلموا على مكائنتكم  
 يحتمل اعملا على تمكنتكم  
 من أمركم وأقصى استطاعتكم  
 وامكائنتكم واعلموا على  
 جهتكم وحالكم التي  
 أنتم عليها ويقال للرجل  
 اذا أمر أن يثبت على حاله  
 على مكائنتك يا فلان أى  
 اثبت على ما أنت عليه  
 (انى عامل) على مكائنتى  
 التي أنا عليها أى اثبتوا على  
 كفركم وعداوتكم لى فانى  
 ثابت على الاسلام وعلى  
 مصابرتكم وهو أمر تهديد  
 ووعيد دليله قوله

(ان ما توعدون) من العذاب  
 (لآت) لكأن (وما  
 أنتم بمعجزين) بفائتين  
 من العذاب يدرككم حينما  
 كنتم (قل) يا محمد لكفار  
 أهل مكة (يا قوم اعلموا

لكنه ابقاكم ترجاع عليكم ﴿ ان ما توعدون ﴾ من البعث وأحواله ﴿ لآت ﴾ لكأن  
 لامحالة ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ طالبكم به ﴿ قل يا قوم اعلموا على مكائنتكم ﴾ على غاية  
 تمكنتكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن أو على ناحيتكم وجهتكم  
 وحالتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كقيام ومقامة وقرأ أبو بكر عن عاصم  
 مكائنتكم بالجمع فى كل القرآن وهو أمر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم  
 ﴿ انى عامل ﴾ ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة  
 الاصر مبالغة فى الوعيد كأن المهديريد تعذيبه مجعما عليه فيحمله بالاصر على ما يفضى به اليه

واختلفوا فيه فقال بعضهم خلقا آخر من أمثال الجن والانس قال القاضى وهو الوجه  
 الاقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء امثال هذا الخلق ففى كل  
 خلق ثالث ورابع يكون أقوى فى دلالة القدرة فكأنه تعالى نبيه على ان قدرته ليست  
 مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحته العظيمة التي هى الثواب  
 فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحته لهؤلاء الاقوام الحاضرين أبقاهم وأهلهم ولو شاء  
 لاماتهم وأفناهم وأبدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما  
 أنشأكم من ذرية قوم آخرين لان المرء اذا تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة  
 ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب أن يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة  
 واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على  
 تصويرهم خلقا آخر مخالفا لها هذا آخر كلامه وقا الطبري فى قوله كأنشأكم من ذرية  
 قوم آخرين يقول كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى  
 من فى هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام أعطيتك من دينارك ثوبا يعنى مكان الدينار  
 ثوبا لأن الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كأنشأكم لم يرد  
 باخبارهم هذا الخبر أنهم أنشؤا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا  
 أنهم أنشؤا مكان قوم آخرين قدا هلكوا قبلهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ان ما توعدون ﴾  
 به من محى الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيامة ﴿ لآت ﴾  
 يعنى انه كأن قريب ﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ يعنى بفائتين حينما كنتم يدرككم الموت  
 ﴿ قل ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد ﴿ يا قوم ﴾ أى قل لقومك  
 من كفار قريش ﴿ اعلموا على مكائنتكم ﴾ وقرئ مكائنتكم على الجمع والمكائنت تكون  
 مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال  
 مقام ومقامة فقوله اعلموا على مكائنتكم يحتمل أن يكون معناه اعلموا على تمكنتكم من أمركم  
 وأقصى استطاعتكم وأمكائنتكم ويحتمل أن يكون معناه اعلموا على حالتكم التي أنتم  
 عليها كما يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله مكائنتك يا فلان أى أثبت على ما أنت  
 عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه اعلموا على ناحيتكم ﴿ انى عامل ﴾  
 يعنى ان عامل على مكائنتى التي أنا عليها وما أمرنى به ربي والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه

وتسجيل بان المهدي لا يتأني منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه ﴿ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ﴾ ان جعل من استفهامية بمعنى ايناتكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرة فالنصب بتعلمون أى فسوف تعرفون الذى تكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبه على وثوق المنذرين بحق ووقراً حجة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي ﴿ انه لا يفلح الظالمون ﴾ وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم وأكثر فائدة ﴿ وجعلوا ﴾ أى مشركو العرب ﴿ لله مآذراً ﴾ خلق ﴿ من الحرث والآنعام نصيباً

فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أى فسوف تعلمون أين تكون له العاقبة المحمودة وهذا طريق لطيف فى

الانذار ( انه لا يفلح الظالمون ) أى الكافرون . مكاناتكم حيث كان أبو بكر يكون حجة وعلى و موضع من رفع اذا كان بمعنى أى وعلق عنه فعل العلم أو نصب اذا كان بمعنى الذى ( وجعلوا الله مآذراً من الحرث والآنعام نصيباً ) أى وللانعام نصيباً فاكنتى بدلالة قوله

( فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ) يعنى الجنة ( انه لا يفلح ) لا يأمن ولا ينجو ( الظالمون ) المشركون من عذاب الله ( وجعلوا الله مآذراً ) خلق ( من الحرث والآنعام ) الابل والبقر والسائمة ( نصيباً ) حظاً

من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام والمصارعة فان قلت ظاهر الآية يدل على أمر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد والمبالغة فى الزجر عاهم عليه من الكفر فكأنه قال أقيموا على ما أنتم عليه من الكفر ان رضيتم لانفسكم بالعذاب الدائم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ففيه تفويض أمر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه اطلاق لهم فى عمل ما أرادوه من الكفر والمعاصى ﴿ قوله عز وجل ﴾ فسوف تعلمون ﴿ يعنى لمن تكون العاقبة المحمودة لنا أولكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم أينما كان على الحق فى عمله نحن أم أنتم ﴿ من تكون له عاقبة الدار ﴾ يعنى فسوف تعلمون عدا فى القسيامة لمن تكون عاقبة الدار وهى الجنة ﴿ انه لا يفلح الظالمون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه انه لا يسعد من كفر بى وأشرك شئ فى هذه الآية قولان أحدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول أن المراد بقوله اعملوا على مكانتكم الوعيد والتهديد والقول الثانى انها منسوخة بآية السيف وهذا على قول من يقول أن المراد بها ترك القتال ﴿ قوله عز وجل ﴾ وجعلوا لله مآذراً من الحرث والآنعام نصيباً ﴿ الآية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر أنواع من جهالانهم وأحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه فى الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مآذراً يعنى مما خلق من الحرث يعنى الزرع والثمر والآنعام يعنى ومن الآنعام وهى الابل والبقر والغنم نصيباً يعنى قسماً وجزأ قال المفسرون كان المشركون فى الجاهلية يحملون لله من حروثهم وثمارهم وأنعامهم وسائر أموالهم نصيباً وللانعام نصيباً فما جعلوه من ذلك لله صرفوه الى الضيقات والمساكين وما جعلوه للانعام أنفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شئ مما جعلوه لله فى نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شئ من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله رده الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شئ مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شئ مما جعلوه للاوثان جبروه مما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله

تعالى (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا شركائنا) بزعمهم على وكذا ما بعده أي زعوا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله) { الجزء الثامن } أي لا يصل ﴿ ٤٩٠ ﴾ الى الوجوه التي كانوا يصرفونها اليها

من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) من انفاقهم عليها والاجراء على سدنتها روى انهم كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهمما لا آلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زكيا ما يسيما رجعوا فعملوه للاصنام واذا زكيا ما جعلوه للاصنام تركوها وقالوا ان الله غنى وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايتارهم لها وفي قوله مما ذرأ اشارة الى ان الله كان أولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأ ثم ذم صنيعهم بقوله (سأما يحكمون) في ايتار آلهتهم على الله وعلمهم على ما لم يشرع لهم وموضع ما رفع أي ساء الحكم حكمتهم أو نصب أي ساء حكمتهم (وكذلك زين لكثير من المشركين) أي كازين لهم تجزئة المال زين وأد البنات (قتل) مفعول زين (أولادهم

فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) لا آلهتنا (فما كان لشركائهم) لا آلهتهم (فلا

فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا شركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ﴿ روى انهم كانوا يعينون شيأ من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيأ منهمما لا آلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندهم ان رأوا ما عينوا لله أركى بدلوه بما لا آلهتهم وان رأوا ما لا آلهتهم أركى تركوه لها حبالآلهتهم وفي قوله مما ذرأ آنتيه على فرط جهالتهم فانهم أشركوا الخالق في خلقه جادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تبييه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضوعين وهو لغة فيه وقد جاء ايضا الكسر كالود ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ حكمهم هذا ﴿ وكذلك ﴾ ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان ﴿ زين لكثير من المشركين قتل أولادهم ﴾

مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار تقديره وجلو الله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وللانعام نصيبا ﴿ فقالوا هذا لله بزعمهم ﴾ يعني قولهم الذي هو بغير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولذلك لا يجيئ الا في موضع ذم لقائله وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لا ضاقتهم نصيب الاصنام مع نصيب الله وهو قولهم ﴿ وهذا لشركائنا ﴾ يعني الاصنام وانما سمو الاصنام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها ﴿ فما كان لشركائهم ﴾ يعني ما جعلوه لها من الحرث والانعام ﴿ فلا يصل الى الله ﴾ يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان ﴿ وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ﴾ والمعنى انهم كانوا يقولون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يقولون ما جعلوه لله مما جعلوه للاصنام وقال قتادة كانوا اذا أصابتهم سنة أي قحط وشدة استعانوا بما جعلوه لله وأكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركائهم ولم يأكلوا منه شيأ وقال الحسن والسدي كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركائهم أخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ يعني بنس ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للاصنام جراً من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا الى الاساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك ﴿ عطف على قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا ذلك جهلا منهم كذلك زين لكثير منهم قتل أولادهم شركائهم والمعنى أن جعلهم لله نصيبا من أموالهم ولشركائهم نصيبا في غاية الجهل بمرقة الخالق المذم لانهم جعلوا للاصنام مثله في استحقاق النصيب وكذلك اقدامهم على قتل أولادهم في نهاية الجهالة أيضا فكأنه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في التسم جهلا وخطأ وضلالا كذلك ﴿ زين ﴾ يعني حسن ﴿ لكثير من المشركين قتل أولادهم ﴾

يصل الى الله) فلا يرجع الى الذي جعلوه لله (وما كان لله فهو يصل) يرجع (الى شركائهم) الى الذي جعلوا لا آلهتهم (يعني) (سأما يحكمون) بنس ما يقضون لانفسهم (وكذلك) كازينا قولهم وعلمهم (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) بناتهم

شركاؤهم) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بانصب شركائهم بالجر شامى على اضافة القتل الى الشركاء  
أى الشياطين والفصل بينهما بغير ﴿ ٤٩١ ﴾ الظرف وهو { سورة الانعام } المقبول وتقديره زين لكثير

من المشركين قتل

شركائهم أولادهم (يردوهم)

ليهلكوهم بالاغواء (ويلبسوا

عليهم دينهم ) وليخلطوا

عليهم ويشوبوه ودينهم

ما كانوا عليه من دين اسمعيل

حتى زلوا عنه الى الشرك

( ولو شاء الله ما فعلوه )

وفيه دليل على ان الكائنات

كلها بمشيئة الله تعالى

( فذرهم وما يفترون )

وما يفترونه من الافك أو

واقترأهم لان ضرر ذلك

الاقترأ عليهم لا عليك ولا

علينا ( وقالوا هذه أنعام

وحرث ) للوثان (حجر)

حرام فعل بمعنى المقبول

كالدخ والطحن ويستوى

في الوصف به المذكور

والمؤنث والواحد والجمع

لان حكمه حكم الأسماء

غير الصفات وكانوا

اذا عينوا أشياء من حرثهم

وأنعاهم لآلهتهم قالوا

( لا يطعمها الا من نشاء

شركاؤهم ) من الشياطين

( ليردوهم ) ليهلكوهم

( ويلبسوا ) يخلطوا ( عليهم

دينهم ) دين ابراهيم واسمعيل

( ولو شاء الله ما فعلوه )

يعنى التزيين ودفن بناتهم

يعنى بدفن البنات ( وقالوا هذه

بالو أدونحروهم لآلهتهم ﴿ شركاؤهم ﴾ من الجن أو من السدنة وهو فاعل زين \* وقرأ ابن عاصم  
زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونسب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا  
بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله

فزججتها بجزجته جازج القلوص ابى مزاده

وقرى بالبناء للمفعول وجر أولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين

﴿ ليردوهم ﴾ ليهلكوهم بالاغواء ﴿ ويلبسوا عليهم دينهم ﴾ وليخلطوا عليهم ما كانوا

عليه من دين اسماعيل عليه السلام أو ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان

التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ﴿ ولو شاء الله ما فعلوه ﴾

ما فعل المشركون ما زين لهم أو الشركاء التزيين أو الفريشان جميع ذلك ﴿ فذرهم

وما يفترون ﴾ افتراءهم أو ما يفترونه من الافك ﴿ وقالوا هذه ﴾ اشارة الى ما جعل

لآلهتهم ﴿ أنعام وحرث حجر ﴾ حرام فعل بمعنى مفعول كالدخ يستوى فيه الواحد

والكثير والذكر والانثى \* وقرى حجر بالضم وحجج أى مضيق ﴿ لا يطعمها الا من نشاء ﴾

يعنى به وأد البنات أحياء مخافة الفقر والعيالة ﴿ شركاؤهم ﴾ يعنى شياطينهم أمرؤهم

أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين شركاء لانهم أطاعوهم فيما أمرؤهم به

من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم وأضيف الشركاء

الى المشركين لانهم أطاعوهم واتخذوهم أربابا وقال الكلبي شركاؤهم سدنة آلهتهم

يعنى خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل

في الجاهلية يقوم فيخاف لئن ولله كذا وكذا غلاما لينحرن آخرهم كاحلف عبدالمطلب

على ابنه عبدالله فعلى هذا القول الشركاء هم السدنة وخدام الاصنام سموا شركاء لانهم

أشركوهم في الطاعة ﴿ ليردوهم ﴾ يعنى ليهلكوهم بذلك الفعل الذى أمرؤهم به

والارداء في اللغة الاهلاك قال ابن عباس رضى الله عنهما ليردوهم في النار ﴿ ويلبسوا

عليهم دينهم ﴾ يعنى وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس رضى الله عنهما ايدخلوا

عليهم الشرك في دينهم وكانوا على دين اسمعيل عليه السلام فرجعوا عنه بتليس الشياطين

وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذى كان عليه اسمعيل و ابراهيم عليهما الصلاة

والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوها لهم ﴿ ولو شاء الله ما فعلوه ﴾

يعنى ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذى زين لهم من تحريم الحرث والانعام

وقتل الاولاد أخبر الله عز وجل أن جميع الاشياء بمشيئته وارادته اذ لو لم يشأ ما فعلوا

ذلك ﴿ فذرهم ﴾ يعنى فاتركهم يا محمد ﴿ وما يفترون ﴾ يعنى وما يختلقون من الكذب

على الله فان الله لهم بالمرصاد \* قوله عز وجل ﴿ وقالوا ﴾ يعنى المشركين ﴿ هذه

أنعام وحرث حجر ﴾ أى حرام وأصله المنع لانه منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل

هو من التضييق والحبس لانهم كانوا يحبسون أشياء من أنعامهم وحرثهم لآلهتهم

قال مجاهد يعنى بالانعام البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى ﴿ لا يطعمها الا من نشاء

أحياء ( فذرهم ) اتركهم ( وما يفترون ) يكذبون على الله فيقولون ان الله أمرهم بذلك يعنى بدفن البنات ( وقالوا هذه  
أنعام ) يعنى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ( وحرث حجر ) حرام ( لا يطعمها الا من نشاء

بزعمهم) يعنون خدام الاوثان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشـ وبه الذب ( وأنعام حرمت ظهورها ) هي البحارى والسواائب والحوامى ( وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) حلة الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام (افتراء عليه) هو مفعول له أول حال أى قسموا أنعامهم قسم حجر وقسم لا يركب وقسم لا يذكرون اسم الله عليها ونسبوا ذلك الى الله افتراء عليه ( سيجزيم بما كانوا { الجزء الثامن } يفترون ) وعيد ﴿ ٤٩٢ ﴾ ( وقالوا ما فى بطون هذه الانعام

يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء ﴿ بزعمهم ﴾ من غير حجة ﴿ وأنعام حرمت ظهورها ﴾ يعنى البحائر والسواائب والحوامى ﴿ وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ﴾ فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وتبلى لا يحجون على ظهورها ﴿ افتراء عليه ﴾ نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله سبحانه وتعالى والجار متعلق بقالوا أو محذوف هو صفة له أو على الحال أو على المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف ﴿ سيجزيم بما كانوا يفترون ﴾ بسببه أو بدله ﴿ وقالوا ما فى بطون هذه الانعام ﴾ يعنون اجنة البحائر والسواائب ﴿ خاصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴾ حلال للذكور خاصة دون الاناث ازولدها قوله ﴿ وان يكن ميتة فهم فيه شركاء ﴾ فالذكور والاناث فيه سواء وانما يثبث الخاصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وانق حاصم فى رواية أبى بكر بن عمر فى تكن باتناه وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فصب كثيرهم أو اتاه فيه للمبالغة كما فى رواية الشعر أو هو مصدر كالعافية وقع موقع الخاص وقضى بالنصب على أنه مصدر مؤكد واظهر لذكورنا أو حل من الضمير الذى فى الظرف لامن الذى فى لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تنضم على العامل انعموى ولا على صاحبها المجروره وقضى خالص بالرفع والنصب وخاصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما أو مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكور

خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ) كانوا يقولون فى أجنة البحائر والسواائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا يأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وأنت خالصة وهو خبر ما للحمل على المعنى لان ما فى معنى الاجنة وذكر ومحرم حلال على اللفظ أو اتاه للمبالغة كمنسابة ( وان يكن ميتة ) أى وان يكن ما فى بطونها ميتة وان تكن ميتة أبوبكر أى وان تكن الاجنة ميتة وان تكون ميتة شامى على كان التامة يكن ميتة مكى لتقدم الفعل وتذكر الضمير فى ( فهم فيه شركاء )

بزعمهم ﴿ يعنى يأكلها خدام الاصنام والرجال دون النساء ﴾ وأنعام حرمت ظهورها ﴿ يعنى الحوامى وهى الانعام التى حوا ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها ﴾ وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ﴿ يعنى لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون عليها أسماء الاصنام وقبل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير ﴿ افتراء عليه ﴾ يعنى أنهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله أمرهم بها وذلك اخلاق واذب على الله عز وجل ﴿ سيجزيم بما كانوا يفترون ﴾ فيه وعيد وتهديد لهم على افتراءهم على الله الكذب ﴿ قوله عز وجل ﴾ وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴿ يعنى نساءنا قال ابن عباس رضى الله عنهما وقناة والشهي أراد أجنة البحائر والسواائب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا أكله الرجال والنساء جميعا وهو ﴿ قوله عز وجل ﴾ وان يكن ميتة فهم فيه شركاء ﴿ ودخلت الهاء فى خالصة للتأكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفراء دخلت الهاء لتأنيث الانعام

بزعمهم ) يعنون الرجال دون النساء ( وأنعام حرمت ظهورها ) وهى الحوام ( وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ) اذا حلت ولا اذا ركبت وهى البحيرة ( افتراء عليه ) كذبا على الله انه أمرهم بذلك ( سيجزيم بما كانوا يفترون ) يكذبون على الله

( وقالوا ما فى بطون هذه الانعام ) يعنى البحيرة والوصيلة ( خالصة ) حلال ( لذكورنا ) يعنون الرجال ( ومحرم ) ( لان ) على أزواجنا ) يعنون النساء ( وان يكن ميتة ) تله ميتة أو ماتت بعد ذلك ( فهم فيه ) فى أكله ( شركاء ) شرع الرجال

لان الميته اسم لكل ميت ذكر أو أُنثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحرير (انه حكيم) ﴿٤٩٣﴾ في جزائهم (عليم) ﴿سورة الانعام﴾ باعقادهم (قد خسر الذين

قتلوا أولادهم) كانوا يثدون بناتهم مخافة السبي والفقر قتلوا مكي وشامي (سفها بغير علم) خفة أحلامهم وجهلهم بان الله هو رازق أولادهم لاهم (وحرمو ما رزقهم الله) من البحائر والسواثب وغيرها (افتراء على الله) مفعول له (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الصواب

والنساء (سيجزيهم) وهذا وعيد لهم (وصفهم) بوصفهم ويقال ما وصفهم عمرو بن لحي رأياه النبي عليه السلام في جهنم يحجر قصبه من دبره وكان يعلمهم تحريم الانعام (انه حكيم) احل لهم الحلال (عليم) بوصفهم الحرام (قد خسر) قد غبن (الذين قتلوا أولادهم) دفنوا بناتهم أحياء (سفها) جهلا (بغير علم) بلا علم نزلت في ربيعة ومضر رؤساء أحياء العرب الذين كانوا يدفنون بناتهم في الجاهلية الا ما كان من بني كنانة فانهم لم يفعلوا ذلك (وحرمو) على النساء (ما رزقهم الله) ما أحل الله لهم من الحرث والانعام

والاثنى فغلب الذكر ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ أي جزاء وصفهم الكذب على الله سبحانه وتعالى في التحريم والتحليل من قوله وتصف المستتهم الكذب ﴿انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها﴾ يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير ﴿بغير علم﴾ خفة عقلهم وجهلهم بان الله سبحانه وتعالى رازق أولادهم لاهم ويجوز نصبه على الحال أو المصدر ﴿وحرمو ما رزقهم الله﴾ من البحائر ونحوها ﴿افتراء على الله﴾ يحتمل الوجوه المذكورة في مثله ﴿قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ الى الحق والصواب

لان ما في بطونها مثلها فانث بتأنيثها وقال الكسائي خالص وخاصة واحد مثل وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الآية فانه أنث خاصة على المعنى وذكر ومحرم على اللفظ ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ يعني سيكافئهم بسبب وصفهم على الله الكذب ﴿انه حكيم عليم﴾ فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليهم بقدر استحقاقهم ﴿قوله عز وجل﴾ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ﴿قل عكرمة نزت فبين يثد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يقاضى الرجل على أن يستحي جارية ويثد أخرى فاذا كانت الجارية التي تؤاد غدا الرجل أوراخ من عند امرأته وقال لها أنت على كظهر أمي ان رجعت اليك ولم تنديني فتمد لها في الارض خدا وترسل الى نساءها فيجتمع عندها ثم يتداولنها بينهن حتى اذا أبصرته راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال فتادة هذا من صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنه مخافة السبي والفاقة ويفدو كلبه أما سبب الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم ان الولد نعمة عظيمة أنعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل في ازالة هذه النعمة عنه وابطالها فقد استوجب الدم وخسر في الدنيا والآخرة اما خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالة ما أنعم الله به عليه واما خسارته في الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو تلة العلم بل عدوه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية ﴿قوله عز وجل﴾ وحرمو ما رزقهم الله ﴿يعني البحائر والسواثب والحياحي وببعض الحرث وببعض ما في بطون الانعام وهذا أيضا من أعظم الجهالة﴾ افتراء على الله ﴿يعني أنهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا أن الله أمرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا أيضا من أعظم الجهالة لان الجراءة على الله والكذب عليه من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا قال تعالى ﴿قد ضلوا﴾ يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد ﴿وما كانوا مهتدين﴾ يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب

(افتراء على الله) اختلاقا على الله الكذب (قد ضلوا) اخطوا فيما قالوا (وما كانوا مهتدين) للهدى والصواب بما وصفوا

( وهو الذي أنشأ ) خلق ( جنات ) من الكروم ( معروشات ) مسموكات مرفوعات ( وغير معروشات ) متروكات على وجه الارض لم تعرض يقال عرشت { الجزء الثامن } الكرم اذا جعلت له ٤٩٤ دعائم وسمكت اعطف عليه القطبان

( والنخل والزرع مختلفا ) في اللون والطعم والحجم والرائحة وهو حال مقدرة لان النخل وقت خروجه لا يأكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالدين (أكله) أكله جازي وهو ثمرة الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لانه معطوف عليه أولكل واحد (الزيتون والرمان متشابه) في اللون ( وغير متشابه ) في الطعم (كلوا من ثمرة) من ثمرة واحد وفائدة ( اذا أثمر ) أن يعلم أن اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يسبح الا اذا

﴿ وهو الذي أنشأ جنات ﴾ من الكروم ﴿ معروشات ﴾ مرفوعات على ما يحملها ﴿ وغير معروشات ﴾ ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما بنت في البراري والجبال ﴿ والنخل والزرع مختلفا ﴾ أكله ﴿ ثمرة الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه أو للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه أو للجمع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء ﴿ والزيتون والرمان متشابهان وغير متشابه ﴾ يشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يشابه بعضهما ﴿ كلوا من ثمرة ﴾ من ثمرة كل واحد من ذلك ﴿ اذا أثمر ﴾ وان لم يدرك ولم يبنع بعد وقيل فأنثته رخصة المالك في الاكل

فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهو الذي أنشأ جنات معروشات ﴿ يعني والله الذي ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات ﴿ وغير معروشات ﴾ يعني مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات وأصل العرش في اللغة شئ مسقف يجعل عليه الكرم وجهه عروش يقال عرشت الكرم أعرضه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعتش الغنم العريش اذا علاه وركبه واختلفوا في معنى قواه معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس رضي الله عنهما المعروشات ما ينسبط على الارض وانتشر ما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ما غرسه الناس في البساتين واهتموا به فعرشوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما أنبت الله في البراري والجبال من كرم أو شجر ﴿ والنخل والزرع ﴾ يعني وأنشأ النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقات وتدخر ﴿ مختلفا ﴾ أكله ﴿ يعني به اختلاف الطعم في الثمار كالحلو والحامض والجيد والردى ونحو ذلك ﴿ والزيتون والرمان متشابهان ﴾ يعني في المنظر ﴿ وغير متشابه ﴾ يعني في المطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرة كل منهما مختلفة في الجنس والطعم ﴿ كلوا من ثمرة اذا أثمر ﴾ لما ذكر ما أنعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الاصل وهو الانتفاع بها فقال تعالى ﴿ كلوا من ثمرة اذا أثمر وهذا أمر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد الى غير الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما أوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل أن يحرم على المالك أن يأكل منها شئ قبل اخراج الواجب فيها المالك شركة الفقراء والمساكين معه فاباح الله أن يأكل قبل اخراجه لان رعاية

( وهو الذي أنشأ ) خلق ( جنات ) بساتين ( معروشات ) مبسوطات ما لا يقوم على ساق مثل الكروم وغيرها ( وغير معروشات ) غير مبسوطات ما يقوم على ساق مثل الجوز واللوز وغيرها ويقال معروشات مرفوسات وغير معروشات أي وغير مرفوسات ( والنخل والزرع مختلفا ) أكله

في الحلاوة والحموضة (والزيتون) وخلق شجر الزيتون (والرمان) شجر الرمان (متشابهها) (حق) في اللون والمنظر ( وغير متشابه ) مختلف في الطعم (كلوا من ثمرة) من ثمرة النخل ( اذا أثمر ) انعقد

منه قبل اداء حق الله تعالى ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدره لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بآياتها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقيب وقرأ ابن كثير ونافع وحزة والكسائي حصاده بكسر حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كانوا من عمره لما أتم بصيغة الامر ليعلم أن المقصود من خلق هذه الاشياء التي انعم الله بها على عباده هو الاكل ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ يعني يوم جذاذه وقطعه واختلفوا في هذا الحق المأمور باخراجه فقال ابن عباس رضى الله عنهما وأنس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله وآتوا حقه يوم حصاده أى من الصدقة المفروضة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء والعين السائجة أو سقاه النيل والندى أو كان بملا العشر كاملا وان سقى بنضح أو سانية فنصف العشر وهذا فيما ياكل من الثمرة أو الزرع وبلغ خمسة أوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو أن فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل قوله وآتوا حقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزى في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة أن هذه الآية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الآية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة لانه قد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والتمر وهذا قول على بن الحسن وعطاء ومجاهد وجاد قال ابراهيم هو الضفت وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يجيئون بالعدنق عند الصرام فياكل منه من وقال يزيد بن الاصم كان أهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعدنق فيعلقونه في جانب المسجد فيجئ المسكين فيضربه بهصاه فاسقط منه أكله فعلى هذا القول هل هذا الامر أمر وجوب أو استحباب وندب فيه قولان أحدهما انه أمر وجوب فيكون منسوخا بآية الزكاة بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابى هل على غيرها قال الآن تطوع والقول الثانى أنه أمر ندب واستحباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد ابن جبير كان هذا حقا يؤمر باخراجه في ابتداء الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس رضى الله عنهما نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن واختار هذا القول الطبرى وصححه واختار الواحدى والرازى القول الاول وصححاه فان قلت فعلى القول الاول كيف تؤدى الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب

أدرك ( وآتوا حقه )  
عشره وهو حجة أبي حنيفة  
رجه الله في تعميم العشر  
( يوم حصاده ) بصرى  
وشامى وعاصم وبكسر الحاء  
غيرهم وهما لغتان

( وآتوا حقه يوم حصاده )  
يوم كيله وان قرأت  
بنصب الهاء يقول يوم  
يحصد



الحاء وهولعة فيه ﴿ ولا تسرفوا ﴾ في التصديق كقوله ولا تبسطها كل البسط ﴿ أنه لا يحب المسرفين ﴾ لا يرتضى فعلهم ﴿ ومن الانعام جولة وفرشا ﴾ عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش

الايحراج بعد التصفية والجفاف. قلت معناه قدروا أداء اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه الا أنه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه وآتوا حقه الذى وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد أن الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يدهما لكه لافي ما تليف من الزرع قبل حصوله في يدهما لكه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تسرفوا ﴿ الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق أشهر وقيل السرف تجاوز ما حدك وسرف المال انفاقه في غير منقعة ولهذا قال سفيان ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عنه عند ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة قسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئا فانزل الله هذه الآية ولا تسرفوا قال السدى معناه لا تعطوا أموالكم وتقعّدوا فقراء قال الزجاج فعلى هذا لو أعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئا فقد أسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا الحد في النخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذا القولان يشتركان في أن المراد من الاسراف مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والنخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول أيضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من شرك الاصنام في الحرث والانعام فقد جاوز ما حدله وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله تعالى ولو كان أبو قيس ذهابا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقته درهما أو مديا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهى أن يأخذ من رب المال فوق الذى أئزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلطين لا تسرفوا أى لا تأخذوا بغير حق فكانت الآية بين السلطان وبين الناس ﴿ قوله عز وجل ﴾ انه لا يحب المسرفين ﴿ فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شىء لان من لا يحبه الله فهو من اهل النار ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن الانعام ﴿ يعنى وأنشأ من الانعام ﴿ جولة ﴾ وهى كل ما يحمل عليها من الابل ﴿ وفرشا ﴾ يعنى صغار الابل التى لا تحمل قال ابن عباس رضى الله عنهما الجمولة هى الكبار من الابل والفرش هى الصغار من الابل وقال في رواية أخرى عنه ذكرها الطبرى أما الجمولة فالابل والخيول والبغال والحمير وكل شىء يحمل عليه وأما الفرش فالغنم وقال الربيع بن أنس الجمولة الابل

( ولا تسرفوا ) باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا الى ( انه لا يحب المسرفين ) اعتراض ( ومن الانعام جولة وفرشا ) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو الجمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجائيل والغنم لانها دانية من الارض مثل الفرش المفروش

( ولا تسرفوا ) ولا تنفقوا في معصية الله ولا تمنعوا طاعة الله ويقال ولا تسرفوا لا تحرموا البجيرة والسائبة والوصيلة والحلم ( انه لا يحب المسرفين ) المتفقين في معصية الله أو المشركين ويقال نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس صرم بيديه خمسمائة نخلة وقسمها ولم يترك لاهله شيئا ( ومن الانعام ) وخلق من الانعام ( جولة ) ما يحمل عليها مثل الابل والبقر ( وفرشا ) مالا يحمل عليها مثل الغنم

عليها) كلوا مما رزقكم الله) أي ما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كافي الجاهلية ( ولا تتبعوا خطوات الشيطان) طرقة في التحليل والتحریم كفعل أهل الجاهلية ( انه لكم عدو مبين ) فآهوه على دينكم (ثمانية أزواج) بدل من حولة وفرشا (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) زوجين اثنين بربدالذكروالانثى والواحد اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا هما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكروالانثى ويدل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن ﴿ ٤٩٧ ﴾ اثنين ومن ﴿ سورة الانعام ﴾ المعز اثنين ومن الابل اثنين

ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضأن ومعز كتاجر ونجر وقمع عين المعز مكي وشامي وأبو عمرو وهما لقتان والهمزة في (قل آذكرين حرم أم الاثنيين أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين) للانكار والمراد بالذكورين الذكر من الضأن والذكور من المعز وبالاثنيين الانثى من الضأن والانثى من المعز والمعنى انكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل الاناث وذلك انهم كانوا يجرمون ذكورة الانعام تارة واناثها طور او اولادها كيفما كانت ذكورا واناثا

وصغار الابل (كلوا مما رزقكم الله) من الحرث والانعام (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) تحريم الحرث والانعام (انه لكم عدو مبين)

المفروش عليها ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ كلوا مما احل لكم منه ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ في التحليل والتحریم من عند أنفسكم ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ ظاهر العداوة ﴿ ثمانية أزواج ﴾ بدل من حولة وفرشا أو مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما أو فعل دل عليه كلوا أو حل من ماعنى مختلفة أو متعددة والزوج ماعه آخر من جنسه يزواجه وقد يقال لجموعهما والمراد الاول ﴿ من الضأن اثنين ﴾ زوجين اثنين الكبش والنجبة وهو بدل من ثمانية وقرى أثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل ووجه ضئيين أوجع ضأن كتاجر وتجره وقرى بفتح الهمزة وهولفة فيه ﴿ ومن المعز اثنين ﴾ التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرى المعزى ﴿ قل آذكرين ﴾ ذكر الضأن وذكر المعز ﴿ حرم أم الاثنيين ﴾ أم اثنيهما وانصب الذكورين والاثنيين بحرم ﴿ أما اشتملت عليه أرحام الاثنيين ﴾ أو ما حلت اناث الجنسين ذكر اكان أو اتي

والبقر والفرش المعز والضأن فالحمولة كل ما يحمل عليها من الانعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمى فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ يعنى كلوا مما أحله الله لكم من هذه الانعام والحرث ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ يعنى لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والانعام كافعله أهل الجاهلية ﴿ انه ﴾ يعنى الشيطان ﴿ لكم عدو مبين ﴾ يعنى انه مبين العداوة لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل ﴿ ثمانية أزواج ﴾ يعنى وأنشأ من الانعام ثمانية أزواج يعنى ثمانية أصناف والزوج في اللغة الفرد اذا كان معه آخر من جنسه لا يتكك عنه فطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنيين فيقال للذكور زوج والاثني زوج ﴿ من الضأن اثنين ﴾ يعنى الذكر والانثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضأن والانثى ضائنة والجمع ضوائن ﴿ ومن المعز اثنين ﴾ يعنى الذكر والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد معز والجمع معزى ﴿ قل آذكرين ﴾ حرم أم الاثنيين ﴿ استفهام انكار أى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة آذكرين من الضأن والمعز حرم عليكم أم الاثنيين منهما فان كان حرم الذكورين من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الاثنيين منهما فكل اناثها حرام ﴿ أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين ﴾ يعنى أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين من الضأن والمعز فانها لا تشتمل الاعلى ذكر أو اتي

مبين ( ظاهر العداوة يأمرهم بتحريم ) (قا و خا ٦٣ في) الحرث والانعام (ثمانية أزواج) خلق ثمانية أصناف (من الضأن) من الشاة (اثنيين) ذكرا وأثى (ومن المعز اثنين) ذكرا وأثى (قل) يا محمد لملك (آذكرين حرم أم الاثنيين) أجاه تحريم البعيرة والوصيلة من قبل ماء الذكورين أو من قبل ماء الاثنيين (أما اشتملت عليه) أو من قبل الاجتماع على الولد (أرحام الاثنيين)

آلذكرين بحرم وكذا  
أم الاثنتين أي أم حرم  
الاثنين وكذا ما في أم  
ما اشتملت (نبثوني بعلم)  
أخبروني بأمر معلوم من  
جهة الله يدل على تحريم  
ما حرمتم (ان كنتم صادقين)  
في ان الله حرمه (ومن  
الابل اثنين ومن البقر اثنين  
قل آذكرين) منهما  
(حرم أم الاثنتين) منها  
(أم ما اشتملت عليه ارحام  
الاثنين) أم ما تحمل اناها  
(أم كنتم شهداء) أم منقطعة  
أي بل كنتم شهداء  
(اذوصاكم الله)

﴿ نبثوني بعلم ﴾ بأمر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئاً من ذلك ﴿ ان كنتم  
صادقين ﴾ في دعوى التحريم عليه ﴿ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آذكرين  
حرم أم الاثنتين أما اشتملت عليه أرحام الاثنتين ﴾ كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم  
شيئاً من الاجناس الاربعة ذكرا كان أو أنثى أو ما تحمل اناها ردا عليهم فانهم  
كانوا يجرمون ذكور الانعام تارة واناها تارة أخرى وأولادها كيف كانت تارة  
زاعمين ان الله حرمها ﴿ أم كنتم شهداء ﴾ بل أكنتم حاضرين مشاهدين ﴿ اذوصاكم الله

﴿ نبثوني ﴾ أي أخبروني وفسروا الى ما حرمتم ﴿ يعلم أن كنتم صادقين ﴾ يعني أن الله حرم ذلك  
عليكم ﴿ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ﴾ وهذه اربعة أزواج أخر بقية الثمانية ﴿ قل آذكرين  
حرم أم الاثنتين أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنتين ﴾ وتفسير هذه الآية نحو ما تقدم وفي  
هاتين الآيتين تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتعريمهم ما لم يحرمه الله  
وذلك انهم كانوا يقولون هذه أنعام وحرت حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة  
لذكورنا ومحرم على أزواجنا وحرمو البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكانوا يجرمون  
بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال كما أخبر الله عنهم في كتابه فلما  
جاء الاسلام وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف  
الجشمي فقال يا محمد بلغنا انك تحرم اشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قد حرمتم أصنافا من النعم على غير أصل واما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للاكل  
والانتفاع بها فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكرا أم من قبل الاثني فسكت مالك بن عوف  
وتحيروا ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمالك يا مالك لا تتكلم فقال بل أنت تكلم وأسمع  
منك قال المفسرون فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب أن يحرم  
جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب أن يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال  
الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الاعلى ذكر أو أنثى وأما  
تخصيص التحريم بالولد الخامس أو السابع أو بلبعض دون البعض فمن أين  
ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهاتين الآيتين وأعلم نبيه صلى الله  
عليه وسلم ان كل ما قالوه من ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وانهم يحرم شيئاً  
من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك أهواءهم وخالفوا أمر ربهم وذكر الامام فخر الدين  
في معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ماورد على سبيل  
الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني انكم لا تقرن بنبوة  
نبي ولا تعترفون بشرية شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني  
انكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى مخصوصا بالابل فالله تعالى بين أن النعم  
عبارة عن هذه الانواع الاربعة وهى الضأن والمز والبقر والابل فلم يحكموا بهذه  
الاحكام في هذه الانواع الثلاثة وهى الضأن والمز والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا  
الحكم دون هذه الانواع الثلاثة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أم كنتم شهداء اذوصاكم الله

نبثوني ) خبروني ( بعلم )  
بيان ما تقولون ( ان كنتم  
صادقين ) أن الله حرم  
ما تقولون ( ومن الابل )  
وخلق من الابل ( اثنين )  
ذكرا وأنثى ( ومن البقر  
اثنين ) ذكرا وأنثى  
( قل ) يا محمد لما لك  
( آذكرين حرم أم  
الاثنين ) أجاه تحريم البحيرة  
والوصيلة من قبل ماء  
الذكرين أو من قبل ماء  
الاثنين ( أما اشتملت  
عليه ) أو من قبل الاجتماع  
على الولد ( أرحام الاثنتين )  
ولها وجه آخر يقول  
أجاه تحريم هذا من قبل

انه ولد ذكرا أو من قبل انها ولدت أنثى ( أم كنتم شهداء ) حضراء ( اذوصاكم الله ) أمركم الله ( بهذا )

بهذا) يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمة تكلم بهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرقتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسول ( فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ( ليضل الناس بغير علم أن الله لا يهدي القوم الظالمين ) أي الذين في علمهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المعداد وبعضه اعتراضا غير أجنبي من المعداد وذلك أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الانعام ﴿ سورة الانعام ﴾ ٤٩٩ ﴿ لنا فعمهم ﴾ و بأباحتها لهم فالاعتراض

بالاحتجاج على من حرمها يكون تأكيدا للتليل والاعتراضات في الكلام لاتساق الاللتوكيد ( قل لا أجد فيما أوحى الى ) أي في ذلك الوقت أوفى وحى القرآن لان وحى السنة قد حرم غيره أو من الانعام لان الآي في رد البعيرة وأخواتها وأما الموقوفة والمتردية والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على ان التحريم انما ثبت بوحي الله و شرعه لا بهوى النفس ( محرما ) حيوانا حرم أكله ( على طاعم يطعمه ) على آكل يأكله ( الا أن يكون ميتة ) الا أن يكون ميتة ( الا أن يكون مكي وشامى وحزه ميتة شامى

بهذا ﴿ حين وصاكم بهذا التحريم اذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة أمثال ذلك الا المشاهدة والسماع ﴾ ﴿ فن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراًؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي بن قعة المؤسس لذلك ﴿ ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحى الى ﴾ أي في القرآن أو فيما أوحى الى مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى ﴿ محرما ﴾ ﴿ طعما محرما ﴾ على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة ﴿ الا ان يكون الطعام ميتة ﴾ وقرأ ابن كثير وحزة بالياء لتأنيث الخبر وقراءة ابن عامر بالياء ورفع

بهذا ﴿ يقول الله لنبية صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الجاهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الانعام والحراث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقررون بنبوة أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين أنه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى ﴿ فن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ﴾ يعني فن أشد ظلما وأبعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصددهم عن سبيل الله جهلا منه اذ ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله أمرنا بهذا قيل أراد به عمرو بن لحي لانه أول من بحر البحائر وسبب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته أو ابتدع شيئا لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل في دين الله ما ليس فيه فهو داخل في هذا الوعيد ﴿ ان الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ يعني ان الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله وأضاف اليه ما لم يشرعه لعباده ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه ﴾ اعلم أنه لما بين الله تعالى فساد طريقة أهل الجاهلية وما كانوا عليه من التليل والتحريم من عند أنفسهم واتباع أهوائهم فيما أحلوه وحرموه من الميطعمات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين ان التحريم والتليل لا يكون الا بوحي سماوى وشرع نبوى فقال تعالى قل أى قل أى يا محمد لهؤلاء المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم لا أجد فيما أوحى الى وقيل انهم قالوا فما المحرم اذا فنزل قل لا أجد فيما أوحى الى محرما معنى شيئا محرما على طاعم يطعمه يعني على آكل يأكله ﴿ الا أن يكون ميتة

( بهذا ) بما تقولون ( فن ) أظلم ) أعنى وأجرأ على الله ( ممن افترى ) اختلق ( على الله كذبا ليضل الناس ) عن دين الله وطاعته ( بغير

علم ) بلا علم آناه الله ( ان الله لا يهدي ) لا يرشد الى دينه وحقته ( القوم الظالمين ) المشركين يعنى مالك بن عوف فسكت مالك وعلم ما يراد منه فقال تكلم أنت فاسمع منك يا محمد فلم يحرم أبواؤنا فقال الله ( قل ) يا محمد ( لا أجد فيما أوحى الى ) يعنى القرآن ( محرما على طاعم يطعمه ) على آكل يأكله ( الا أن يكون ميتة

ميتة على ان كان هي التامة وقوله ﴿ أودما مسفوحا ﴾ عطف على ان مع ما في حيزه أى الوجود ميتة أودما مسفوحا أى منصوبا كدم في البروق لا كالكبدة والطحال ﴿ أولحم خنزير فانه رجس ﴾ فان الخنزير أولحمه قدر لتوود أكل الخباسة أو خبيث نجث ﴿ أوفسقا ﴾ عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل ﴿ أهل لغير الله به ﴾ صفة له موضحة وانما سمى ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن فيد راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون

أودما مسفوحا ﴿ يبنى سائلا منصوبا ﴾ أولحم خنزير فانه رجس ﴿ أى نجس ﴾ أوفسقا أهل لغير الله به ﴿ يبنى ما ذبح على غير اسم الله تعالى فيمن الله تعالى في هذه الآية ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحى مندوان المحرمات محصورة في الاربعة الاشياء المذكورة في هذه الآية وهى الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا مباغة في ان التحريم لا يخرج عن هذه الاربعة وذلك انه ثبت أنه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحى وثبت ان الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الاربعة الاشياء ولهذا اختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى ظاهرها وان لا يحرم ذى من سائر المظومات والحيوان الا ما ذكر في هذه الآية يروى ذلك عن ابن عباس رضى عنهما وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ك بان هذه الآية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ واحتجوا بان هذه الآية وان كانت نكبة لكن بضدها آية مدينة وهى قوله تعالى في سورة البقرة اتاحرم عليكم الميتة ودمه ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وكلمة انما قيد الحصر صارت هذه الآية المدينة مطابقة للآية المكية في الحكم وذهب جمهور العلماء الى أن هذا التحريم لا يخص هذه الاشياء المنصوص عليها في هذه الآية فان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية وقد حرمت السنة أشياء فوجب القول بما نهيها تحريم الجوارح والاهلية وكل ذى ناب من السباع ونجس من الطير عن المقدم بن مديكر ب قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل عصى رجل يبلغه الحديث عني وهو كفى على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فوجدنا فيه خللا استحلناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى أخرجه الترمذى وقوله حديث حسن غريب ولا يداود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انى أوتيت الكتاب ومنله معه لأبوشك رجل شعبان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فوجدتم فيه من حلال فأحواه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم الجوارح والاهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقرؤوه فإن لم يقرؤوه ناله أن يعفيهم بمثل قراه عن ابن عباس رضى الله عنهما قول كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء فقد رافعت الله عليه تيبه صلى الله عليه وسلم وأنزل كتابه وأحل

( أودما مسفوحا ) منصوبا  
سائلا فلا يحرم الدم الذى  
في اللحم والكبد والطحال  
( أولحم خنزير فانه رجس )  
نجس ( أوفسقا ) عطف  
على المنصوب قبله وقوله  
فانه رجس اعتراض بين  
المعطوف والمعطوف عليه  
( أهل لغير الله به ) منصوب  
الحل صفة لفسقا أى رفع  
الصوت على ذبحه باسم  
غير الله وسمى بالفسق

أودما مسفوحا ( جاريا  
( أولحم خنزير فانه رجس )  
حرام مقدم ومؤخر  
( أوفسقا ) ذبيحة ( أهل  
لغير الله به ) ذبح لغير اسم الله  
عدا

﴿ فن اضطر ﴾ فن دعت الضرورة الى تناول شئ من ذلك ﴿ غير باغ ﴾ على مضطر مثله ﴿ ولا عاد ﴾

توغله في باب الفسق  
( فن اضطر ) فن دعت  
الضرورة الى أكل شئ  
من هذه المحرمات (غير باغ)  
على مضطر مثله تارك لمواساته  
( ولا عاد ) متجاوز قدر  
حاجة من تناوله

( فن اضطر ) أجهد  
الى أكل الميتة (غير باغ)  
على المسلمين ولا مستحل  
لاكل الميتة بغير الضرورة  
( ولا عاد ) قاطع الطريق  
ولا متعمد لاكل الميتة  
بغير ضرورة

حلاله وحرم حرامه فأحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو معفو وتلاقل لأجد فيما أوحى الى عمر ما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة الآية أخرجه أبو داود (م) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نبي النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي يوم خيبر عن أكل لحوم الحجر الأهلية (ق) عن جابر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن لحوم الحجر الأهلية وأذن في الخيل وفي رواية أكلنا من خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الأهل عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن أكل الهر وأكل ثمنه وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال وأباح أكل ذلك وقد تقدم دليله والاصل في ذلك عند الشافعي ان كل ما لم يرد فيه نص بتحريم أو تحليل فما كان أمر الشارع بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق يقتتان في الحل والحرم وهي الحية والعقرب والقارة والجدأة والكلب العقور وروى عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ أخرجه البخاري ومسلم وسماه فويسقا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب الثملة والنحلة والهدهد والصدرد أخرجه أبو داود فهذا كله حرام لا يحل أكله وماسوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فايستطيعه الاغلب منهم فهو حلال وما يستحبه الاغلب منهم ولا يأكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله أحل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقرير ما يحل ويحرم من المطاعم وأما الجواب عن هذه الآية الكريمة فن وجوه أحدها ان يكون الكنى لأجد محرما كما كان أهل الجاهلية يحرمونه من الحماز والسوائب وغيرها الاما وحي الى في هذه الآية الوجه الثاني ان يكون المراد وقت نزول هذه الآية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص عليه في هذه الآية ثم حرم بعد نزولها أشياء أخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل آخر وهو ما ورد في السنة الرابع ان ما ذكر في هذه الآية محررم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله أعلم

﴿ بقی فی الآیة احکام ﴾

في قوله تعالى أودما مسفوحا وهو ما سأل من الحيوان في حال الحياة أو عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وماسوى ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما دمان جاهدان وقد ورد الحديث بابا حتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل قال عمران بن جدير سألت أبا مجاز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حرة الدم فقال لا بأس بذلك انما نهي عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا بأس بالدم في عرق أوح الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الآية لتتبع المسلمون الدم من العروق ما تتبع اليهود قوله عز وجل ﴿ فن اضطر غير باغ ولا عاد ﴾ لما بين الله المحرمات

( فان ربك غفور رحيم ) لا يؤاخذهُ إلا الجزء الثامن { (وعلى الذين ﴿ ٥٠٢ ﴾ هادوا حرمنا كل ذى ظفر) أى ماله

قدر الظفر. ﴿ فان ربك غفور رحيم ﴾ لا يؤاخذهُ والآية محكمة لانها تدل على انها مجرد فيما اوحى اليه الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا يتنافى ورود التحريم فى شىء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء معها الا مع الاستصحاب ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ﴾ كل ماله اصبع كالابل ، السباع والطيور وقيل كل ذى مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا ولما الميب عن الظلم تعميم التحريم ﴿ ومن البقر والقم حرمنا عليهم شحومهما ﴾ الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط ﴿ الا ما حلت ظهورهما ﴾ الا ما عات بظهورهما ﴿ أو الحوايا ﴾ أو ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية أو حاوية كقناه ووقاصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما وأو حتى او او ﴿ أو ما اختلط بعظم ﴾ هو شحم الاليلة لاتصالها بالمعصص ﴿ ذلك ﴾ التحريم أو الجزء ﴿ جزيناهم بغيرهم ﴾ بسبب ظلمهم

في هذه الآية أباح أكلها عند الاضطراب من غير بنى ولا عدوان وفي قوله عز وجل ﴿ ان ربك غفور رحيم ﴾ دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطراب قوله عز وجل ﴿ وعلى الذين هادوا ﴾ يعنى اليهود ﴿ حرمنا كل ذى ظفر ﴾ قال ابن عباس هو البعير والعمامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور مثل البعير والعمامة، الاوز والبط قال القتيبي هو كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة ﴿ ومن البقر والقم حرمنا عليهم شحومهما ﴾ يعنى شحم الجوف وهى الثروب وشحم الكلتين ﴿ الا ما حلت ظهورهما ﴾ يعنى الامعاء بالظهر والجنب من داخل بطونها من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدى وأبو صالح الالية مما حلت ظهورهما وهذا القول مختص بالقم لان البقر ليس لها الالية ﴿ أو الحوايا ﴾ وهى المباعر فى قول ابن عباس رضى الله عنهما وجهور المفسرين واحدها حاوية وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهى الدوائر التى تكون فى بطن الشاة والمعنى ان الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود ﴿ أو ما اختلط بعظم ﴾ يعنى من شحم الالية لانه اختلط بالمعصص وكذا الشحم المختلط بالعظام التى تكون فى الجنب والرأس والابن فكل هذا حلال على اليهود فحاصل هذا أن الذى حرم عليهم شحم الثروب وشحم الكلتية وما عدا ذلك فهو حلال عليهم ﴿ ق ﴾ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فانها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ﴿ اتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومهما جعلوه ثم باعوه فكلوا منه ﴾ قوله جعلوه يعنى أذابوه يقال أجهت الشحم وجلته اذا أذنته وجلته أكثر وأفصح ﴿ قوله عز وجل ﴾ ذلك جزيناهم ﴿ أى ذلك التحريم جزيناهم عقوبة ﴾ بغيرهم ﴿ يعنى بسبب

اسبغ من دابة أو طائر ويدخل فيه الابل والنعم ( ومن البقر والقم حرمنا عليهم شحومهما ) أى حرمنا عليهم لحم كل ذى ظفر وشحمه وكل شىء منه وأما يحرم من البقر والقم إلا الشحوم وهى الثروب وشحوم الكلى ( الا ما حلت ظهورهما ) الا ما اشتمل على الظهور وانبوب من السمحة ( أو الحوايا ) أو ما اشتمل على الامعاء واحدها حاوية أو حوية ( أو ما اختلط بعظم ) وهو الالية أو المخ ( ذلك ) مفعول ثان لقوله ( جزيناهم ) والتقدير جزيناهم ذلك ( بغيرهم ) بسبب ظلمهم

( فان ربك غفور ) لا كله شحوما ( رحيم ) يفارخص عليه ولا ينبغي ان يأكل شعبا وان أكل بعف الله عنه ( وعلى الذين هادوا ) يعنى اليهود ( حرمنا كل ذى ظفر ) كل ذى مخلب من الطير وكل ذى ناب من السباع وما يكون له ظفر مثل الابل والبط والاوز وابن الماء والارزب كان حراما عليهم ( ومن البقر والقم حرمنا عليهم شحومهما ) يعنى الثروب وشحم الكلتين

( الا ما حلت ظهورهما أو الحوايا ) المباعر ( أو ما اختلط بعظم ) مثل الالية فهذا ما كان حلالا عليهم ( بغيرهم ) ( ذلك ) الذى حرمنا عليهم ( جزيناهم ) عاقبناهم ( بغيرهم ) بذنبهم حرمنا

(وانا لصادقون) فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبب معصيتهم لتحريم الحلال ومعصية سالفنا لتجليل الحرام حيث قال وعفا عنكم فالآن باشرورهن (فان كذبوك) فيما أوحيت اليك من هذا (فقل ربكم ذورجة واسعة) بهاء عمل المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة (ولا يرد بأسه) عذابه مع سعة رحته (عن القوم المجرمين) اذا جاء فلا تغتر بسعة رحته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا) اخبار بما سوف يقولونه (لو شاء الله) ان لا نشرك (ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) ولكن شاء ﴿٥٠٣﴾ فهذا عذرنا ﴿سورة الانعام﴾ يعنون ان شركهم وشرك

آبائهم وتحريمهم ما أحل الله لهم بمشيئته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك (كذلك كذب الذين من قبلهم) أي كذب الذين اياك كان تكذيب المتقدمين رسلهم وتشبوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك اذ لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولانهم جعلوا مشيئته حجة لهم على أنهم معذرون به وهذا مردود لان الاقرار بالمشيئة أو معنى المشيئة هنا الرضا كقول الحسن أي ماضى الله منا ومن آباءنا الشرك والشرك مرد لكنه غير ماضى الأتري أنه قال فلو شاء لهداكم أجمعين أخبر أنه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الايمان بل شاء من البعض الايمان ومن البعض الكفر فيجب حمله المشيئة هنا على ما ذكرنا دفعا للتناقض

﴿وانا لصادقون﴾ في الاخبار أو الوعد والوعيد ﴿فان كذبوك فقل ربكم ذورجة واسعة﴾ يعلمكم على التكذيب فلا تغتروا بما هم الهفانه لا يهمل ﴿ولا يرد بأسه﴾ عن القوم المجرمين حين ينزل أو ذورجة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لا زب بهم لا يمكن رده عنهم ﴿سيقول الذين أشركوا﴾ اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾ أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم أجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا أرادوا بذلك أنهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ أي مثل هذا التكذيب لك في ان الله تعالى منع من الشرك بغيرهم وظلمهم وهو قتل الانبياء وأخذ الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل ﴿وانا لصادقون﴾ يعنى في الاخبار عن بغيرهم وفي الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم ﴿فان كذبوك﴾ يعنى فان كذبك اليهود يا محمد فيما أخبرناك ان احرمنا عليهم وأحلنا لهم مما بيناه في هذه الآية المقدمة ﴿فقل ربكم ذورجة واسعة﴾ يعنى بتأخير العقوبة عنكم فان رحته تسع المسىء والمحسن فلا يجعل بالعقوبة على من كفر به أو عصاه ﴿ولا يرد بأسه﴾ يعنى ولا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقهما ﴿عن القوم المجرمين﴾ يعنى الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود ﴿قوله عز وجل﴾ سيقول الذين أشركوا ﴿لما لم نمنهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله أخبر الله تعالى عنهم بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين أشركوا يعنى مشركى قريش والعرب ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ يعنى من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما أشركنا حجة على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلو لانه رضى ما نحن عليه وأراد منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك ﴿ولا حرمنا من شيء﴾ يعنى ما حرموه من البعائر والسواائب وغير ذلك فقال الله عز وجل ردا وتكذيبا لهم ﴿كذلك كذب الذى من قبلهم﴾ يعنى من كفار الامم الحالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا انبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء

عليهم (وانا لصادقون) فيما قلنا (فان كذبوك) يا محمد بما وصفت لك من التحريم (فقل ربكم ذورجة واسعة) على البر والفاجر بتأخير العذاب (ولا يرد بأسه) عذابه (عن القوم المجرمين) المشركين (سيقول الذين أشركوا) لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء (من الحرث والانعام ولكن أمر وحرم علينا) (كذلك) كما كذبك قومك (كذب الذين من قبلهم) رسلهم



ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير  
في أشركنا من غيرنا كيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم  
قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخبروه  
لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن

حتى ذاقوا بأسنا يعني عذابنا

### فصل

استدل القدرية والمعتزلة بهذه الآية فقالوا ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله  
ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وأيضا فان الله تعالى حكى عن هؤلاء  
الكفار صريح مذهب الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا أن لا نشرك لم نشرك ولمنعنا  
عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له واذا أراد منا امتنع تركه منا  
وأجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا  
ثم ذكر عقبيه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لو شاء الله  
ما أشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله أمرنا به ورضى  
مانحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله  
أمرنا بها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء والدليل ان التكذيب  
في قولهم ان الله أمرنا بهذا ورضيه منسالا في قولهم لو شاء الله ما أشركنا قوله كذلك  
كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خيرا من الله عن كذبهم في قولهم لو شاء الله  
ما أشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب  
لا الى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيم الله واجلاله ومعرفة  
بحقه وما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة  
بالله وبما يقولون وقيل في معنى الآية أنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قوله  
لو شاء الله ما أشركنا الا أنهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الايمان  
والرد عليهم في ذلك ان أمر الله بمعزل عن مشيئته واراته فان الله تعالى مرید لجميع  
الكائنات غير أمر بجميع ما يريد فعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته  
فان مشيئته لا تكون عذرا لاحد عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى  
به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد ويأمره بالايمان وورود الامر على خلاف  
الارادة غير ممتنع فالحاصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتسكون بمشيئة الله تعالى في شركهم  
وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة لله  
تعالى في كل الامور دفع دعوة الانبياء عليهم السلام والله أعلم قوله عز وجل قل  
هل عندكم من علم أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولكنه  
رضى ما نحن عليه من الشرك هل عندكم يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب  
يوجب اليقين من العلم فتخبروه لنا يعني فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطأ  
قولكم وفعلكم وسناقض ذلك واستحالة في العقول ان تتبعون الا الظن يعني

( حتى ذاقوا بأسنا ) حتى  
أنزلنا عليهم العذاب  
( قل هل عندكم من علم )  
من أمر معلوم يصح الاحتجاج  
به فيما قلتم ( فتخبروه لنا )  
فتظهروه ( ان تتبعون  
الا الظن )

( حتى ذاقوا بأسنا )  
عذابنا ( قل ) يا محمد ( هل  
عندكم من علم ) من بيان  
على ما تقولون من التحريم  
( فتخبروه ) فتظهروه  
( لئان تتبعون الا الظن )  
ما تقولون في تحريم الحرث  
والانعام الا بالظن

وان أنتم الا تخرصون) تكذبون ( قل فله الحججة البالغة ) عليكم باوامره ونواهيهِ ولا حجة لكم على الله بمشيئته ( فلو شاء لهداكم أجمعين ) أى فلو شاء هدايتكم ﴿ ٥٠٥ ﴾ وبه تبطل { سورة الانعام } صولة المنة نزلة ( قل هل

شهداءكم) هاتوا شهداءكم (هاتوا شهداءكم) قربوهم ويستوى في هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازين وبنو تميم تؤنث وتجمع (الذين يشهدون أن الله حرم هذا) أى زعموه محرماً (فان شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تشهد معهم ماشدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانت شهده معهم مثل شهادتهم فكان واحدا منهم ( ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان

من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى اذ لو تتبع الدليل لم يكن الامصدقا بالآيات موحد الله (والذين لا يؤمنون بالآخرة)

(وان أنتم) ما أنتم (الا تخرصون) تكذبون (قل) يا محمد ان لم تكن لكم حجة على ما تقولون (قله الحججة البالغة) الوثيقة (فلو شاء لهداكم) لدينه (أجمعين قل) يا محمد لهم (هل شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا) يعنى ما تقولون من الحث والانعام (فان شهدوا) بالزور على

﴿ وان أنتم الا تخرصون ﴾ تكذبون على الله سبحانه وتعالى وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذا لا يفتد ﴿ قل فله الحججة البالغة ﴾ البينة الواضحة التي بلغت غاية المنانة والقوة على الاثبات وأبلغ بها صاحبها حجة دعواه وهى من الحجج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين ﴿ قل هل شهداءكم ﴾ احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرت عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم واصله عند البصر بين هالم من لم اذا قصد حذف الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الهمزة ويكون متعديا كما في الآية ولا زما كقوله هالم لنا ﴿ الذين يشهدون أن الله حرم هذا ﴾ يعنى قدوتهم فيها استحضرهم ليلزمهم الحججة ويظهر بانقطاعهم ضلالهم وانه لا تمتسك لهم من يقدّمهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم ﴿ فان شهدوا فلا تشهد معهم ﴾ فلا تصدقهم فيه وبين لهم فسادهم فان تسليمهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ﴾ من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحججة لا يكون الا مصدقا بها ﴿ والذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ كعبدة الاوثان

فما أنتم عليه من الشرك وتحرّم ما لم يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل ﴿ وان أنتم الا تخرصون ﴾ يعنى وما أنتم في ذلك كلمة الا تكذبون وتقولون على الله الباطل ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل فله الحججة البالغة ﴿ يعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم الله أو حجة لهم فله الحججة البالغة يعنى التامة على خلقه بازال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن أنس لا حجة لاحد عصى الله أو أشرك به على الله ولكن لله الحججة البالغة على عباده ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ يعنى فلو شاء الله لوقفكم أجمعين للهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء لهداه لا يستل عما يفعل وهم يسئلون ﴿ قل هل شهداءكم الذين يشهدون ﴾ يعنى هاتوا وادعوا شهداءكم وهما كلمة دعوة الى الشئ يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع والذكر والانثى وفيها لغة أخرى يقال للواحد هلم وللأثنين هلم وللجمع هلموا والانثى هلمى واللغة الاولى أفصح ﴿ أن الله حرم هذا ﴾ وهذا تنبيه من الله باستدعاء الشهود من الكافرين على تحريم ما حرموه على أنفسهم وقالوا ان الله أمرنا به ليظهر ان لا شاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه من عند أنفسهم ﴿ فان شهدوا فلا تشهد معهم ﴾ وهذا تنبيه أيضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد أنت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبون ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعنى ان وقع منهم شهادة فانما هى باتباع الهوى فلا تتبع أنت يا محمد أهواءهم ولكن اتبع ما أوحى اليك من كتابى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿ والذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أى ولا تتبع أهواء الذين

تحرّمها فلا تشهد معهم ولا تتبع ( أهواء ) ( قا و خا ٦٤ نى ) الذين كذبوا بآياتنا القرآن (والذين لا يؤمنون بالآخرة)

﴿ وهم بربهم يعدلون ﴾ يجعلون له عديلاً ﴿ قل تعالوا ﴾ أمر من التعالي وأصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفلى فأتسع فيه بالتعميم ﴿ أنل ﴾ اقرأ ﴿ ما حرم ربكم ﴾ منصوب بأنل وما تحتل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول أنل لانه بمعنى أقل أى شئ حرم ربكم ﴿ عليكم ﴾ متعلقه بحرم أو أنل ﴿ ان لا تشركوا به ﴾ أى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا ينتمتع تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فحملها النصب بعلينكم على انه للاغراء أو بالبدل من ما أو من عائدته المحذوف على ان لا زائدة أو الجر بتقدير اللام أو الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم ان تشركوا ﴿ شيئاً ﴾ يحتمل المصدر والمفعول ﴿ وبالوالدين أحساناً ﴾ أى واحسنوا بهما احساناً

لا يؤمنون بالآخرة ﴿ وهم بربهم يعدلون ﴾ يعنى يشركون ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ قل تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم ﴾ لمساين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله أمرهم بتحريم ما حرموه على أنفسهم فكأنهم سألو وقالوا أى شئ حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم تعالوا تعال من اخاص الذى صار عاماً وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقبل أصله أن تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكانه دعاه الى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا أيها القوم أنل عليكم يعنى اقرأ ما حرم ربكم عليكم يعنى الذى حرم ربكم عليكم حقايقنا لاشك فيه ولاظنا ولا كذباً كما تزعمون أنتم بل هو وحى أو حاه الله الى ﴿ ان لا تشركوا به شيئاً ﴾ فان قلت ترك الاشراك واجب فامعنى قوله ان لا تشركوا به شيئاً لانه كالتفصيل لما أجله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجوه الوجه الاول أن يكون موضع أن رفع معناه هو أن لا تشركوا الوجه الثانى أن يكون محله النصب واختلفوا في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم أن تشركوا وتكون لاصلة وقيل أن حرف لاعلى أصلها ويكون المعنى أنل عليكم تحريم الشرك أى لا تشركوا ويكون المعنى أو صيكم أن لا تشركوا لان قوله وبالوالدين احساناً محمول على أو صيكم بالوالدين احساناً الوجه الثالث أن يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم أن لا تشركوا على الاعراء أو بمعنى فرض عليكم أن لا تشركوا به شيئاً ومعنى هذا الاشراك الذى حرمه الله ونهى عنه هو أن يجعل لله شريكاً من خلقه أو يطبع مخلوقاً في معصية الخالق أو يريد بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴿ قوله عز وجل ﴾ وبالوالدين احساناً ﴿ أى وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احساناً واتممتي بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان أعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو الذى أخرجه من العدم الى الوجود وخلقته وأوجده بعد ان لم يكن شيئاً ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لأنهما السبب في وجود الانسان ولما

هم المشركون (وهم بربهم يعدلون) يسوون الاصنام (قل) للذين حرموا الحرت والانعام (تعالوا) هو من اخاص الذى صار عاماً فاصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى عم (أنل ما حرم ربكم) الذى حرمه ربكم (عليكم) ما من صلة حرم (أن لا تشركوا به شيئاً) ان مفسرة لفعل التلاوة ولا للنهى (وبالوالدين احساناً) واحسنوا بالوالدين احساناً ولما كان ايجاب الاحسان تحريماً لتترك الاحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر

بالبعث بعد الموت (وهم بربهم يعدلون) يشركون به الاصنام (قل) يا محمد للملك بن عوف وأصحابه (تعالوا أنل ما حرم ربكم عليكم) في الكتاب الذى أنزل على (ألا تشركوا به شيئاً) أوله لا تشركوا به شيئاً من الاوثان (وبالوالدين احساناً)

وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ﴿ ولا تقتلوا اولادكم من املاق ﴾ من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق ﴿ نحن نرزقكم واياهم ﴾ منع لموحيه ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾ كبار الذنوب أو الزنى ﴿ ما ظهر منها وما بطن ﴾ بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الائم وباطنه ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ﴾ كالقود وقتل المرتد ورجم المحسن ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى ما ذكر مفصلا ﴿ وصاكم به ﴾ بحفظه ﴿ لعلمكم تعلقون ﴾ ترشدون فان كمال العقل هو الرشد

لهما عليه من حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره ﴿ ولا تقتلوا اولادكم من املاق ﴾ يعنى من خوف الفقر والاملاق الاقتار والمراد بالقتل وأد البنات وهن أحياء فكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم ﴿ نحن نرزقكم واياهم ﴾ يعنى لانتدوا ببناتكم خوف العيلة والفقر فأنى رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والانتكال في أمر الرزق على الله عز وجل ﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾ يعنى الزنا ﴿ ما ظهر منها وما بطن ﴾ يعنى علانيته وسره وكان أهل الجاهلية يستجبون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حل الفظ الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي وهو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم أولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وأيضا فان السبب اذا كان خاصا يمنع من حل اللفظ على العموم وفي قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهى أن الانسان اذا احتراز عن المعاصى في الظاهر ولم يحترز منها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما أمر به أو نهى عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس ومدمتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف الله وتعظيم الامر استوجب رضوان الله وثوابه ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ﴾ حرم الله تعالى قتل النفس الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش وأما أفرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وأنه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل أنما أفرد بالذكر لانه تعالى أراد أن يستثنى منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الا بالافراد فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق وهى التي أبيع قتلها من ردة أو قصاص أو زنا بعد احصان وهو الذى يوجب الرجم (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ذلكم ﴿ يعنى ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات ﴾ وصاكم به ﴿ يعنى أمركم به وأوجه عليكم ﴾ لعلمكم تعلقون ﴿ يعنى لكي تفهموا ما في هذه التكاليف

( ولا تقتلوا اولادكم من املاق ) من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق ( نحن نرزقكم واياهم ) لان رزق العبيد على مولا هم ( ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها ) ما بينك وبين الخلق ( وما بطن ) ما بينك وبين الله ما ظهر بدل من الفواحش ( ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ) كالقصاص والقتل على الردة والرجم ( ذلكم وصاكم به ) أى المذكور مفصلا أمركم بكم بحفظه ( لعلمكم تعلقون ) لتعلقوا عظيمها رايها ( ولا تقتلوا اولادكم ) بناتكم ( من املاق ) مخافة الذل والفقر ( نحن نرزقكم واياهم ) يعنى اولادكم ( ولا تقربوا الفواحش ) الزنا ( ما ظهر منها ) يعنى زنا الظاهر ( وما بطن ) يعنى زنا السروهى المخالفة ( ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ) قتلها ( الا بالحق ) بالعدل يعنى بالقود والرجم والارتداد ( ذلكم وصاكم به ) بما امركم في الكتاب ( لعلمكم تعلقون )

عندالله (ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) بالحليلة التي هي أحسن وهي حفظه وشميره (حتى يبلغ أشده) أشده مبلغ حمله فادفعوه اليه وواحدة { الجزء الثامن } شد كفلس ﴿ ٥٠٨ ﴾ وأفلس (وأوفوا الكيل والميزان

بالقسط) بالسوية والعدل (لانكلف نفسا الاوسعها) الامايسعها ولايجز عنه وانما اتبع الامر بإفشاء الكيل والميزان لان مراعاة اخذ من القسط الذي لازيادة فيه ولا نقصان مما فيه خرج فاصر بلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه (واذا قلم فاعدلوا) فاصدقوا (ولو كان ذا قربي) ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيره من أهل قرابة القائل كقوله ولو على أنفسكم أو والوالدين والاقربين (وبعهد الله) يوم الميثاق أو في الامر والنهي والوعد والوعيد والنذر واليمين (أوفوا ذلكم) أي ما صر (وصاكم به لعلمكم تذكرون) بالتخفيف حيث كان حجة وعلى وحقق على حذف احدي التاءين غيرهم بالتشديد أصله امره وتوحيده (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن) بالحفظ والارباح (حتى يبلغ أشده) الحلم والرشد والصلاح (وأوفوا الكيل والميزان) أتم والكيل والوزن (بالقسط) بالعدل (لانكلف نفسا) عند الكيل والوزن (الاوسعها

﴿ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن ﴾ أي بالقلمة التي هي أحسن ما يفعل بما له حفظه وشميره ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ حتى يصير بالغاً وهو جمع شدة كنعمة وانعم أو شد كصر واصر وقيل مفرد كما ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ بالعدل والتسوية ﴿ لانكلف نفسا الاوسعها ﴾ الا مايسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم ﴿ واذا قلم ﴾ في حكومة ونحوها ﴿ فاعدلوا ﴾ فيها ﴿ ولو كان ذا قربي ﴾ ولو كان المقول له أو عليه من ذوى قرابتكم ﴿ وبعهد الله أوفوا ﴾ يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ تعظون به وقرأ حزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء

من الفوائد والمنافع فتعملوها ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن ﴿ يعني ولا تقربوا مال اليتيم الا بما فيه صلاحه وشميره وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسعى له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئاً هذا اذا كان القيم بالمال غنياً غير محتاج فلو كان الوصي فقيراً فله أن يأكل بالمعروف ﴿ حتى يبلغ أشده ﴾ يعني احفظوا مال اليتيم الى أن يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهي في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الاشد هو ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى أربعين وقيل الى ستين سنتين وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الآية انما هي نهاية الاشد لا ابتداءه والمراد بالاشد في هذه الآية هو ابتداء بلوغ الحلم مع اناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الآية ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴿ يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان ﴿ لانكلف نفسا الاوسعها ﴾ يعني طاقها ومايسعها في ايفاء الكيل والميزان واتمامه لم يكلف المعطي أن يعطي أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضاء باقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بمايسعه مما اخرج عليه فيه ﴿ واذا قلم فاعدلوا ﴾ يعني في الحكم والشهادة ﴿ ولو كان ذا قربي ﴾ يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل أن الامر بالعدل في القول هو اعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان وأداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التي يعتمد فيها العدل والصدق ﴿ وبعهد الله أوفوا ﴾ يعني ما عهد الى عباده ووصاهم به وأوجب عليهم أو ما أوجب الانسان على نفسه كند ونحوه فيجب الوفاء به ﴿ ذلكم ﴾ يعني الذي ذكر في هذه الآيات ﴿ وصاكم به ﴾ يعني بالعمل به ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ يعني لعلكم تتعظون وتذكرون فتأخذون ما أمرتكم به ﴿ قوله عز وجل

الاجهد بها بالعدل (واذ قلم فاعدلوا) فاصدقوا (ولو كان ذا قربي) لو كان على ذى قرابة منكم في الرحم فقولوا عليه الحق (وان) والصدق (وبعهد الله أوفوا) يعني أتموا العهد بالله (ذلكم وصاكم به) أمركم به في الكتاب (لعلكم تذكرون) لكي تتعظوا

تذكرون فادغم التاء الثانية في الذال أي أمركم به لتعظوا (وأن هذا صراطى) ولأن هذا صراطى فهو علة للاتباع بتقدير اللام وان بالتخفيف شامى وأصله وأنه على ان الهاء ضمير الشأن والحديث وان على الابتداء جزوة على (مستقيما) حال (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين ﴿ ٥٠٩ ﴾ من اليهودية { سورة الانعام } والنصرانية والمجوسية

وسائر البدع والضلالات  
(فتفرق بكم عن سبيله)  
فتفرقكم أيادى سببا عن  
صراط الله المستقيم وهو  
دين الاسلام روى ان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
خط خطا مستويا ثم قال  
هذا سبيل الرشده  
وصراط الله فاتبعوه ثم  
خط على كل جانب ستة  
خطوط عمالة ثم قال هذه  
سبل على كل سبيل منها  
شيطان يدعو اليه فاجتنبوها  
وتلا هذه الآية ثم يصير  
كل واحد من الاثنى عشر  
طريقا ستة طرق فتكون  
اثنى وسبعين وعن ابن  
عباس رضى الله عنهما  
هذه الآيات محكمات لم  
ينسخن شئ من جميع  
الكتب وعن كعب ان  
هذه الآيات لاول شئ  
في التوراة (ذلكم وصاكم  
به لعلكم تتقون) لتكونوا  
على رجاء اصابة التقوى  
ذكرا ولا تعقلون ثم تذكرون  
ثم تتقون لانهم اذا عقلوا  
تفكروا ثم تذكروا أى  
اتعظوا فاتقوا المحارم  
(ثم آتينا موسى الكتاب

والباقون بتشديدها ﴿ وان هذا صراطى مستقيما ﴾ الاشارة فيه الى ما ذكر  
في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة \* وقرأ جزءة والكسائى  
ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف \* وقرأ الباقون به  
مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله ﴿ فاتبعوه ﴾ وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء  
وقرى وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾  
الاديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحججة واحد ومقتضى الهوى  
متعدد لاخلاف الطباع والعادات ﴿ فتفرق بكم ﴾ فتفرقكم وتزيلكم ﴿ عن سبيله ﴾  
الذى هو اتباع الوحى واقفاء البرهان ﴿ ذلكم ﴾ الاتباع ﴿ وصاكم به لعلكم تتقون ﴾  
الضلال والتفرق عن الحق ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾ عطف على وصاكم به

﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ﴾ يعنى وأن هذا الذى وصيتكم به وامرتمكم به فى هاتين  
الآيتين هو صراطى يعنى طريقى ودينى الذى ارتضيته لعبادى مستقيما يعنى قويا لا اعوجاج فيه  
فاتبعوه يعنى فاعملوا به وقيل أن الله تعالى لما بين فى الآيتين المتقدمتين ما وصاه مفضلا  
أجله فى هذه الآية اجالا يقتضى دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه أيضا  
جميع أحكام الشريعة وكل ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام وهو  
المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذى ارتضاه الله لعباده المؤمنين وامرهم  
باتباع جلته وتفصيله ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ يعنى الطرق المختلفة والاهواء المضلة  
والبدع الرديئة وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان  
المخالفة لدين الاسلام ﴿ فتفرق بكم عن سبيله ﴾ يعنى فتميل بكم هذه الطرق المختلفة  
المضلة عن دينه وطريقه الذى ارتضاه لعباده ﴿ روى البغوى بسنده عن ابن مسعود قال  
خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه  
وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وان هذا صراطى  
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآية ﴿ ذلكم وصاكم به ﴾ يعنى باتباع دينه وصراطه  
الذى لا اعوجاج فيه ﴿ لعلكم تتقون ﴾ يعنى الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس  
رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات فى جميع الكتب لم ينسخن شئ وهن محرمات  
على بنى آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار  
وعن ابن مسعود قال من سره أن ينظر الى الصحيفة التى عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم  
فليقرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا نزل ما حرم ربكم عليكم الآيات الى قوله لعلكم تتقون  
أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾

(وأن هذا) يعنى الاسلام (صراطى مستقيما) قائما رضاء (فاتبعوه ولا تتبعوا) السبل يعنى اليهودية والنصرانية والمجوسية  
(فتفرق بكم عن سبيله) عن دينه (ذلكم وصاكم به) أمركم به فى الكتاب (لعلكم تتقون) لئلى تتقوا السبل (ثم  
آتينا) أعطينا (موسى الكتاب)

تماما) أى ثم أخبركم انا آتينا أوهو عطف على قل أى ثم قل آتينا أو ثم مع الجملة تأتى بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد (على الذى أحسن) على { الجزء الثامن } من كان محسنا ﴿ ٥١٠ ﴾ صالحا يريد جنس المحسنين دليله قراءة

و ثم للتراخي في الاخبار أو للتفات في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب ﴿ تماما ﴾ للكرامة والنعمة ﴿ على الذى أحسن ﴾ على من أحسن القيام به ويؤيده ان قرى على الذين أحسنوا أو على الذى أحسن تبليغه وهو موسى أو تماما على ما أحسنه أى اجاده من العلم والشرائع أى زيادة على علمه تماما \* وقرى بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى على الذى هو أحسن أو على الوجه الذى هو أحسن ما يكون عليه الكتب ﴿ وتفصيلا لكل شئ ﴾ وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما محتمل العلة والحال والمصدر ﴿ وهدى ورجة لعلهم ﴾ لعل بنى اسرائيل ﴿ بقاء ربهم يؤمنون ﴾ أى بقاءه للجزء ﴿ وهذا كتاب ﴾ يعنى القرآن ﴿ أنزلناه مبارك ﴾ كثير النفع ﴿ فاتبعوه ﴾ و اتقوا لعلهم ترجون ﴿ بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه

يعنى التوراة فان قلت آتينا موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن وحرّف ثم للتعقيب فامعنى ذلك - قلت دخلت ثم لتأخير الخبر لالتأخير النزول والمعنى قل تعالى أنزلنا ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله تعالى لعلكم تتقون ثم أخبركم انا آتينا موسى الكتاب وقيل أن المحرمات المذكورة فى قوله تعالى قل تعالى أنزل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يانى آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعنى بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل مثناه قل تعالى أنزل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا آتينا موسى الكتاب فمحذوف لفظة قل لدلالة الكلام عليها ﴿ قوله عز وجل ﴾ تماما على الذى أحسن ﴿ اختلف أهل التفسير فيه فقليل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذى بمعنى من أى تماما على من أحسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسى و على قراءة ابن مسعود تماما على الذين أحسنوا وقيل معناه تماما على كل من أحسن أى أئمتنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون أى أئمتنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذى أحسن هو موسى فيكون الذى بمعنى ما أى على ما أحسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب تماما للنعمة عليه لاحسانه فى الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن موسى من العلم والحكمة زيادته على ذلك وقيل معناه تماما منى على احسانى الى موسى ﴿ وتفصيلا لكل شئ ﴾ يعنى وفيه بيان لكل شئ يحتاج اليه من شرائع الدين وأحكامه ﴿ وهدى ﴾ يعنى وفيه هدى من الضلالة ﴿ ورجة ﴾ يعنى انزاله عليهم رحمة منى عليهم ﴿ لعلهم بقاء ربهم يؤمنون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لى يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهذا كتابا أنزلناه مبارك ﴿ يعنى القرآن لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ ﴿ فاتبعوه ﴾ يعنى فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام ﴿ و اتقوا ﴾ يعنى مخالفته ﴿ لعلكم ترجون ﴾

عبد الله على الذى احسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أى تمة للكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ فى كل ما أمر به (وتفصيلا لكل شئ) وبيانا مفصلا لكل ما يحتاجون اليه فى دينهم (وهدى ورجة لعلهم) أى بنى اسرائيل (ببقاء ربهم يؤمنون) يصدقون أى بالبعث والحساب وبالرؤية (وهذا) أى القرآن (كتاب أنزلناه مبارك) كثير الخير (فاتبعوه و اتقوا) مخالفته (لعلكم ترجون) لترجوا

يعنى التوراة (تماما) بالامر والنهي والوعود والوعيد والصواب والعقاب (على الذى احسن) يقول على أحسن حال ويقال على احسان موسى وتبليغ رسالة ربه (وتفصيلا لكل شئ) يقول وبيانا لكل شئ من الحلال والحرام (وهدى) من الضلالة (ورجة) من العذاب لمن آمن به (لعلهم بقاء ربهم) بالبعث بعد الموت (يؤمنون) يصدقون (وهذا كتاب) يعنى القرآن (أنزلناه) أنزلنا جبريل (مبارك) فيه الرحمة والمغفرة لمن آمن به (فاتبعوه) فاتبعوا احلاله وحرامه وأمره ونهيه (واتقوا) غيره (لعلكم ترجون) لى ترجوا فلا تعذبوا (يعنى)

(يعنى) لى ترجوا فلا تعذبوا (يعنى)

( أن تقولوا ) كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا ( إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ) أي أهل التوراة وأهل الإنجيل وهذا دليل على أن المجوس ليسوا بأهل كتاب ( وان كنا عن دراستهم ) عن تلاوة كتبهم ( لغافلين ) لاعلم لنا بشئ من ذلك ان مخفة من الثقبلة واللام فارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشأن والخطاب لاهل مكة والمراد ﴿ ٥١١ ﴾ اثبات الحججة ﴿ سورة الانعام ﴾ عليهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم

كلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما ( أو تقولوا ) كراهة ان تقولوا ( لو أن أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ) لحدة أذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لا يام العرب ( فقد جاءكم بينة من ربكم ) أي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم ما فيه البيان الساطع والبرهان القاطع فحذف الشرط وهو من أحسن الحذوف ( وهدى ورجة فن أظلم ممن كذب بآيات الله ) بعد ما عرف صحتها وصدقها ( وصدق عنها ) أي أعرض

﴿ ان تقولوا ﴾ كراهة ان تقولوا اعادة لانزاله ﴿ انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ﴾ اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم ﴿ وان كنا ﴾ ان هي المخففة من الثقبلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان أي وأنه كنا ﴿ عن دراستهم ﴾ قراءتهم ﴿ لغافلين ﴾ لاندرى ما هي أو لانعرف مثلها ﴿ أو تقولوا ﴾ عطف على الاول ﴿ لو انما أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴾ لحدة أذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انأميون ﴿ فقد جاءكم بينة من ربكم ﴾ حجة واضحة تعرفونها ﴿ وهدى ورجة ﴾ لمن تأمل فيه وعمل به ﴿ فن أظلم ممن كذب بآيات الله ﴾ بعد ان عرف صحتها أو تمكن من معرفتها ﴿ وصدق ﴾ أعرض أو صد

يعنى ليكن الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترجوا على جزاء التقوى ﴿ ان تقولوا ﴾ يعنى لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا يعنى أنزلنا اليك الكتاب كراهية ان تقولوا ﴿ انما أنزل الكتاب ﴾ وقيل يجوز أن تكون أن متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا أن تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا أهل مكة ان تقولوا انما أنزل الكتاب والكتاب اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل ﴿ على طائفتين من قبلنا ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ وان كنا ﴾ أي وقد كنا وقيل وانه كنا ﴿ عن دراستهم ﴾ يعنى قراءتهم ﴿ لغافلين ﴾ يعنى لاعلم لنا بما فيها لانها ليست بلفتنا والمراد بهذه الآية اثبات الحججة على أهل مكة وقطع عذرهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلقتهم والمعنى وأنزلنا القرآن بلقتهم لئلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلسانهم ولقتهم فلم نعرف ما فيهما فقطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم بلقتهم ﴿ أو تقولوا لو انما أنزلنا علينا الكتاب لكنا أهدى منهم ﴾ وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو أنزل علينا ما أنزله على اليهود والنصارى لكننا خيرامنهم وأهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة فنتهم وذهنهم ﴿ قال الله عز وجل ﴾ فقد جاءكم بينة من ربكم ﴿ يعنى هذا القرآن فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها ﴾ وهدى ﴿ يعنى من الضلالة ﴾ ورجة ﴿ يعنى وهو رجة ونعمة أنعم الله بها عليكم ﴾ فن أظلم ﴿ أي لأحد أظلم وأكفر ﴾ ممن كذب بآيات الله وصدق

( أن تقولوا ) لكي لا تقولوا يا أهل مكة يوم القيامة ( انما أنزل الكتاب على طائفتين ) على أهل دينين ( من قبلنا ) يعنى اليهود

والنصارى ( وان كنا ) وقد كنا ( عن دراستهم ) عن قراءتهم التوراة والانجيل ( لغافلين ) لجاهلين ( أو تقولوا ) لكي لا تقولوا يوم القيامة ( لو انما أنزل علينا الكتاب ) كما أنزل على اليهود والنصارى ( لكنا اهدى منهم ) اسرع منهم اجابة للرسول وأصوب ديننا ( فقد جاءكم بينة ) بيان ( من ربكم ) يعنى الكتاب والرسول ( وهدى ) من الضلالة ( ورجة ) لمن آمن به ( فن أظلم ) أعتى وأجراً على الله ( ممن كذب بآيات الله ) بمحمد عليه السلام والقرآن ( وصدق عنها ) أعرض



( سنجزى الدين يصدفون )

عن آياتنا سوء العذاب )

وهو النهاية في النكابة ( بما

كانوا يصدفون ) باعراضهم

( هل ينظرون ) أى

أقننا حجج الوحدا نيسة

وثبوت الرسالة و أبطلنا

ما يعتقدون من الضلالة

فما ينظرون في ترك الايمان

بعدها ( الا أن تأتيهم

الملائكة ) أى ملائكة

الموت لقبض أرواحهم

يأتيهم حزة وعلى ( أو يأتي

ربك ) أى أمر ربك وهو

العذاب أو القيامة وهذا

لان الايمان متشابه واثبات

أمره منصوص عليه محكم

فيرد اليه ( أو يأتي بعض

آيات ربك ) أى اشراط

الساعة كطلوع الشمس

من مغربها وغير ذلك

عنها ( سنجزى الذين

يصدفون عن آياتنا )

يعرضون عن محمد

عليه السلام والقرآن

( سوء العذاب ) شدة العذاب

( بما كانوا يصدفون )

يعرضون عن محمد

عليه السلام والقرآن ( هل

ينظرون ) هل ينتظرون

أهل مكة ( الا ان تأتيهم

الملائكة ) عند الموت

لقبض أرواحهم ( أو يأتي

ربك ) يوم القيامة بلا

كيف ( أو يأتي بعض آيات ربك ) يعنى طلوع الشمس من مغربها

( من )

﴿ عنها ﴾ فضل واصل ﴿ سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب ﴾ شدته  
﴿ بما كانوا يصدفون ﴾ باعراضهم أو صدمهم ﴿ هل ينظرون ﴾ أى ما ينتظرون يعنى  
أهل مكة وهم ما كانوا معظمين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين  
﴿ الا أن تأتيهم الملائكة ﴾ ملائكة الموت أو العذاب وقرأ حزة والكسائى بالياء  
هنا وفي النحل ﴿ أو يأتي ربك ﴾ أى أمره بالعذاب أو كل آية يعنى آيات القيامة والعذاب والهلاك  
الكللى لقوله ﴿ أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء  
ابن عازب رضى الله عنهما كئنا نتذاكر الساعة اذا شرف علينا رسول صلى الله تعالى  
عليه وسلم فقال ماتنذاكرون فلناتنذاكر الساعة قال انها لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر  
آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب  
والدجال وطلوع الشمس من مغربها وأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن

عنها ﴿ يعنى وأعرض عنها ﴾ سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب ﴿ يعنى أسوأ  
العذاب وأشدّه ﴾ بما كانوا يصدفون ﴿ أى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم  
بآيات الله ﴾ قوله عز وجل ﴿ هل ينظرون ﴾ يعنى هل ينتظرون هؤلأ بعد تكذيبهم الرسل  
وانكارهم القرآن و صدمهم عن آيات الله وهو استفهام معناه النفي وتقدير الآية انهم  
لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاث فاذا جاءتهم احداها آمنوا وذلك  
حين لا ينفعهم ايمانهم ﴿ الا أن تأتيهم الملائكة ﴾ يعنى لقبض أرواحهم وقيل أن  
تأتيهم بالعذاب ﴿ أو يأتي ربك ﴾ يعنى للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة  
وقد تقدم الكلام فى معنى الآية فى سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله  
فى ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المحجى والذهاب على الله محال فيجب امرها  
بلا تكييف ﴿ أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس  
من مغربها ويبدل على ذلك ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس  
من مغربها والدجال ودابة الارض أخرجه مسلم ﴿ عن أبى سعيد عن النبي صلى الله  
عليه وسلم فى قوله أو يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها أخرجه  
الترمذى وقال حديث غريب ( م ) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله  
عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه ﴿ عن صفوان بن عسال  
المرادى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة عرضه  
أو قال يسير الراكب فى عرضه أربعين أو سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات  
والارض مفتوحا للتوبة لا يفلق حتى تطلع الشمس منه أخرجه الترمذى وقال حديث  
حسن صحيح ( ق ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها وفى رواية  
فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت

من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا (م) عن حذيفة بن أسد الغفاري رضى الله عنه قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما نذكرون قلنا الساعة فقال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تظرد الناس الى محشرهم (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالأعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخوبصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الآية قال تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا \* وبسنده عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أندرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخرساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهى الى مستقرها تحت العرش فتخرساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى فارجعى من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها لا تنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى فتخرساجدة في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعى من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أندرون أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا \* وبسنده عن أبي ذر قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين جثة تنطلق حتى تحرلر بها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول يارب ان مسيرى بعيد فيقول لها اطلعى من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل \* وروى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا الى الله قبل ان يأتيكم بعذاب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوى العمل فقال الناس هل لذلك من آية يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلك الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليل فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقص ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فاذا أصبحوا فطال عليهم رأيت أعينهم طلوع الشمس فينهام

( يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها ) لأنه ليس بإيمان اختياري بل هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم ( لم تكن آمنت من قبل ) صفة { الجزء الثامن } نفسا ( أو كسبت ) ٥١٤ ﴿ في إيمانها خيرا ﴾ أى إخلاصا كما

لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إخلاص المنافق أيضا أو توبة وتقديره لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل ( قل ) انظروا ) احدى الآيات الثلاث ( انا منتظرون ) بكم احداها

( يوم يأتي بعض آيات ربك ) قبل طلوع الشمس من مغربها ( لا ينفع نفسا ) كافرة ( إيمانها لم تكن آمنت من قبل ) من قبل طلوع الشمس من مغربها ( أو كسبت في إيمانها خيرا ) ولم تخصص بإيمانها ولم تعمل خيرا قبل طلوع الشمس من مغربها لأنه لا يقبل ممن كان كافرا إيمان ولا عمل ولا توبة إذا أسلم في حين يراها الامن كان صغيرا يومئذ وهو اودا بعد ذلك فانه ان ارتد بعد ما تطلع الشمس من مغربها ثم أسلم قبل منه ومن كان يومئذ مؤمنا مذنبا فتاب من الذنوب قبل منه يقول من كان يومئذ مؤمنا مذنبا فتاب أو صغيرا أو مولودا بعد

﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها ﴾ كالمختصر اذا صار الامر عيانا والايمان برهاني وقوي تنفع بالثناء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث ﴿ لم تكن آمنت من قبل ﴾ صفة نفسا ﴿ أو كسبت في إيمانها خيرا ﴾ عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها أو مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل التريد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خاتمت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي أحدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا ﴿ قل انظروا انا منتظرون ﴾ وعيد لهم أى انظروا ايمان أحد الثلاثة فانا

نظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعات ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل قل ابن عباس رضى الله عنهما لا ينفع مشركا ايمانه عند الآيات وينفع أهل الايمان عند الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك وقل ابن الجوزى قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان المحدثه والمنجمين زعوا ان ذلك لا يكون فيهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما مطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة وأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم يخرج احدى ثلاث الدابة أو طلوع الشمس من مغربها أو أجوج ومأجوج ويروى عن عائشة قالت اذا خرج أول الآيات طرحت التوبة وحبست الحفظه وشهدت الاجساد على الاعمال ويروى عن أبي هريرة في قوله تعالى أو يأتي بعض آيات ربك قال هي مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها ودجل ودابة الارض ورواه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قل ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وأصح الاقوال في ذلك ما تظاهرت عليه الاحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها ﴿ قوله عز وجل ﴾ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ﴾ يعنى لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التي تضطرهم الى الايمان والتوبة ﴿ أو كسبت في ايمانها خيرا ﴾ يعنى أو عملت قبل ظهور هذه الآية خيرا من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فاما من آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار كالأورسل الله عذابا على أمة فآمنوا وصدقوا فانهم لا ينفعهم ايمانهم ذلك لمسايتهم الاحوال والشدائد التي تضطرهم الى الايمان والتوبة ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل انظروا ﴿ يعنى ما وعدتم به من مجي الآيات ففيه وعيد وتهديد ﴿ انا منتظرون ﴾ يعنى ما وعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة

ذلك فانه ينفع ايمانهم وتوبتهم وعملهم ( قل ) يا محمد لاهل مكة ( انظروا ) يوم القيامة ( انا منتظرون ) ( أو قبله ) بكم العذاب يوم القيامة أو قبل يوم القيامة ويقال قل يا محمد انتظروا هلاكى انا منتظرون لهلاككم

منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ﴿ان الذين فرقوا دينهم﴾ بددوه فأمنوا ببعض وكفروا ببعض أو افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة \* وقرأ حجة والكسائي هنا وفي الروم فارقوا أي باينوا ﴿وكانوا شيعا﴾ فرقا تشيع فرقة كل اماما

(ان الذين فرقوا دينهم)  
اختلفوا فيه وصاروا  
فرقا كما اختلفت اليهود  
والنصارى و في الحديث  
افترقت اليهود على احدى  
وسبعين فرقة كلها في الهاوية  
الا واحدة وهى الناجية  
وافترقت النصارى على  
ثنتين وسبعين فرقة كلها في  
الهاوية الا واحدة وتفترق  
أمتي على ثلاث وسبعين  
فرقة كلها في الهاوية الا  
واحدة وهى السواد  
الاعظم و في رواية وهى  
مأنا عليه وأصحابي وقيل  
فرقوا دينهم فأمنوا ببعض  
وكفروا ببعض فارقوا  
دينهم حجة وعلى أي تركوا  
( وكانوا شيعا ) فرقا كل  
فرقة تشيع اماما لها

(ان الذين فرقوا دينهم)  
تركوا دينهم دين آبائهم  
ويقال اقرارهم يوم الميثاق  
وان قرأت فرقوا بتشديد  
الراء يعنى شتوا دينهم أي  
اختلفوا في دينهم (وكانوا  
شيعا) صاروا فرقا اليهودية  
والنصرانية والمجوسية

أوقبله في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما ينتظره من تأخر في الوجود من المشركين والمكذابين لمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يعملون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا أو ظهرت الآيات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبدا وقيل ان قوله قل انتظروا انما تنتظرون المراد به الكف عن قتال الكفار فتكون الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الاول تكون الآية محكمة ﴿قوله عز وجل﴾ أن الذين فرقوا ﴿وقرى﴾ فارقوا ﴿دينهم﴾ وكانوا شيعا ﴿يعنى﴾ أحزابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم أنهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فن قرأ فرقوا دينهم يعنى جعلوا دينهم وهودين ابراهيم الحنيفية السهلة أديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الاديان المختلفة ومن قرأ فرقوا دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشيء وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شىء واحد في الحقيقة وهو ان من فرق دينه فآقر ببعض وأنكر بعضا فقد فارق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعنى بهذه الآية فتقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبدوا الاصنام وقالوا هذه شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبدوا الكواكب فكان هذا تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدى والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال أبو هريرة رضى الله عنه في هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الامة وروى ذلك مسرفعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شىء وليسوا منكم هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الامة أسنده الطبري فعلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على ان تكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يفرقوا في الدين ولا يتدعوا البدع المضلة وروى عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع والاهواء من هذه الامة ذكره البغوى بغير سند عن الربيع بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فاتمه دلنا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشى فانه من بعدي منكم بعدى فسيرى اخلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل

﴿ لست منهم في شيء ﴾ أي في شيء من السؤال عنهم وعن تفرقتهم أو من عقابهم أو أنت بري منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف ﴿ انما أمرهم الى الله ﴾ يتولى جزاءهم ﴿ ثم ينبتهم بما كانوا يفعلون ﴾ بالعقاب ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ أي عشر حسنات أمثالها فضلا من الله سبحانه وتعالى ﴿ وقرأ يعقوب عشر بالتونين وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمئة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ﴾ قضية

بدعة ضلالة أخرجه أبو داود والترمذي عن معاوية رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين شتانا وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في رواية وانه سينخرج في أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله أخرجه أبو داود \* عن عبدالله ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبى اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الامة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما أنا عليه وأصحابى أخرجه الترمذي قال الخطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من أمتة \* وقوله تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه التجارى تفاعل من الجرى وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبها بجرى الفرس والكلب قال ابن مسعود ان أحسن الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها ورواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا ﴿ قوله عز وجل ﴾ لست منهم في شيء ﴾ يعني في قتال الكفار نعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية اليهود والنصارى والكفار ومن قال المراد من الآية أهل الأهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شيء أي أنت منهم بريء وهم منك برآء تقول العرب ان فعلت كذا فلست منك ولست منى أي كل واحد منا بريء من صاحبه ﴿ انما أمرهم الى الله ﴾ يعني في الجزاء والمكافأة ﴿ ثم ينبتهم بما كانوا يفعلون ﴾ يعني اذا وردوا القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ يعني عشر حسنات أمثالها ﴿ ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ﴾ يعني مثلها في مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسيئة هي الشرك بالله وأورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها وأوجب عنه بأن جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو يجازى على قدر ايمان المؤمن بما شاء من الجزاء وانما قال عشر أمثالها لترغيب في الايمان والتحديد وكذلك جزاء السيئة بمثلها من جنسها والقول الثاني أن اللفظ عام في كل حسنة يعملها العبد وسيئة وهذا أولى لان جمل اللفظ على العموم أولى قال بعضهم التقدير بالعمارة ليس التحديد

( لست منهم في شيء ) أي من السؤال عنهم وعن تفرقتهم أو من عقابهم ( انما أمرهم الى الله ثم ينبتهم بما كانوا يفعلون ) فيجازيهم على ذلك ( من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ) تقديره عشر حسنات أمثالها الا أنه أقيم صفة الجنس المميز مقام الموصوف ( ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها )

( لست منهم ) من قتالهم ( في شيء ) ثم أمره بعد ذلك بقتالهم ويقال ليس بيدك توبتهم ولا عذابهم ( انما أمرهم ) بذلك ( الى الله ) ثم ينبتهم ) يخبرهم ( بما كانوا يفعلون ) من الخير وشر ( من جاء بالحسنة ) مع التوحيد ( فله عشر أمثالها ) ومن جاء بالسيئة ( بالشرك بالله ) فلا يجزى الا مثلها ( يعني النار )

لعدل ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب ﴿ قل انى هدانى ربى الى صراط مستقيم ﴾ بالوحى والارشاد الى ما نصب من الحنجج ﴿ دينا ﴾ بدل من محل الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا كقوله ويهديك صراطا مستقيما أو مقبول فعل مضردل عليه الملفوظ ﴿ قيما ﴾ فيعمل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم أبلغ منه باعتبار الصيغة \* وقرأ ابن عامر وعاصم وحجة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فأعل لاعلال فعله كالقيام ﴿ ملة ابراهيم ﴾ عطف بيان لدينا

وهم لا يظلمون ( بنقص الثواب وزيادة العقاب ( قل انى هدانى ربى ) أبو عمر وومدى ( الى صراط مستقيم دينا ) نصب على البدل من محل الى صراط مستقيم لان معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديك صراطا مستقيما ( قيما ) فيعمل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم قيما كوفى وشاى وهو مصدر بمعنى القيام وصف به ( ملة ابراهيم ) عطف بيان

( وهم لا يظلمون ) لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم ( قل ) يا محمد لاهل مكة واليهود والنصارى ( انى هدانى ربى ) أكرمى ربى بدينه وأمرنى أن أدعو الخلق ويقال بين لى ربى كيف أدعو الخلق ( الى صراط مستقيم دينا قيما ) صدقا ( ملة ابراهيم ) دين ابراهيم

لان الله يضاعف لمن يشاء فى حسنة الى سبعمائة ويعطى من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى وهو قوله تعالى ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ يعنى لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزداد على عذاب العاصى ( ق ) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى ( م ) عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاها سيئة مثلها أو أعفر ومن تقرب منى شبر اتقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ومن أتانى عشى أتيت به هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة ( ق ) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من أجل فاكتبوها له حسنة واذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها الى سبعمائة لفظ البخارى وفى لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا تحدث عبدى بان يعمل حسنة فانا أكتبها له حسنة فانا أكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا أكتبها له بعشر أمثالها واذا تحدث عبدى بان يعمل سيئة فانا أعفها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا أكتبها له بعشر أمثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة قرب ذلك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان عملها فكتبوها له بمثلها وأن تركها فكتبوها له حسنة فاما تركها من جرأى زاد الترمذى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ﴿ انى هدانى ربى الى صراط مستقيم ﴾ يعنى قل لهم انى أرشدنى ربى الى طريق القويم وهو دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده المؤمنين ﴿ دينا قيما ﴾ يعنى هدانى صراطا مستقيما دينا قيما وقيل يحتمل أن يكون محجولا على المعنى تقديره وعرفنى دينا قيما يعنى دينا مستقيما لا عوجاج فيه ولا زيغ وقيل قيما ثابتا مقوما لامور معاشى ومعادى وقيل هو من قام وهو أبلغ من القائم ﴿ ملة ابراهيم ﴾ والملة بالكسر الدين والشريعة يعنى

{ الجزء الثامن } ( وما كان ﴿ ٥١٨ ﴾ من المشركين ) بالله ياعشر قريش ( قل ان

﴿ حنيفا ﴾ حال من ابراهيم ﴿ وما كان من المشركين ﴾ عطف عليه ﴿ قل ان صلواتي  
ونسكى ﴾ عبادتي كلها أو قرباني أو حبي ﴿ ومحياي ومماتي ﴾ وما أنا عليه في حياتي  
وأموت عليه من الايمان والطاعة وأطاعات الحيات والخيرات المضافة الى الممات كالوصية  
والتدبير أو الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف  
﴿ لله رب العالمين لا شريك له ﴾ خالصه لا أشرك فيها غيرا ﴿ وبذلك ﴾ القول  
أو الاخلاص ﴿ أمرت ﴾ وأنا أول المسلمين ﴿ لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته  
﴿ قل أعير الله ابني ربا ﴾ فاشركه في عبادته وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام الى عبادة  
آلهتهم ﴿ وهورب كل شيء ﴾ حال في موضع العلة للانكار والدليل له أي وكل ما سواه

هداني وعرفني دين ابراهيم وشريعته ﴿ حنيفا ﴾ الاصل في الحنيف الميل وهو  
ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل من اختن أو حج حنيفا تنبها على  
أنه على دين ابراهيم عليه السلام ﴿ وما كان من المشركين ﴾ يعني ابراهيم صلى الله عليه  
وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون أنهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى  
ان ابراهيم لم يكن من المشركين ومن يعبد الاصنام ﴿ قل أن صلواتي ﴾ أي قل يا محمد  
أن صلواتي ﴿ ونسكى ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدي أراد بالنسك  
في هذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد وقيل  
الناسك أعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح  
وعبادة ونقل الواحدى عن ابن الاعرابى قال النسك سبأك الفضة كل سبيكة منها سبيكة  
وقيل للمتعبد ناسك لانه خالص نفسه من دنس الآثام وصفها كالسبيكة المخلصة  
من الخبث وفي قوله أن صلواتي ونسكى دليل على أن جميع العبادات يؤديها العبد على  
الاخلاص لله ويؤكد هذا قوله لله رب العالمين لا شريك له وفيه دليل على أن جميع  
العبادات لا تؤدى الا على وجه التمام والكمال لان ما كان لله لا ينبغي أن يكون الا كاملا  
تاما مع اخلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كان مقبولا ﴿ ومحياي ومماتي ﴾  
أي حياتي وموتى بخلق الله وقضائه وقدره أي هو يحييني ويميتنى وقيل معناه أن  
محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مات على الايمان لله وقيل معناه أن طاعتي في حياتي لله  
وجزائى بعد مماتي من الله وحاصل هذا الكلام ان الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم  
أن يبين أن صلواته ونسكه وسائر عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضائه  
وقدره وهو المراد بقوله ﴿ لله رب العالمين لا شريك له ﴾ يعني في العبادة والخلق والقضاء  
والقدر وسائر أفعاله لا يشاركه فيها أحد من خلقه ﴿ وبذلك أمرت ﴾ يعني قل  
يا محمد وهذا التوحيد أمرت ﴿ وأنا أول المسلمين ﴾ قال قتادة يعني من هذه الامم وقيل  
معناه وأنا أول المستسلمين لقضائه وقدره ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل أعير الله ابني ربا ﴿  
أي قل يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك أعير الله أطلب سيديا أو الهيا ﴿ وهورب  
كل شيء ﴾ يعني وهو سيد كل شيء ومالكه لا يشاركه فيه أحد وذلك أن الكفار قالوا

( حنيفا ) حال من ابراهيم  
صلواتي ونسكى ) أى عبادتي  
والناسك العابد أو ذبحى  
أوجحى ( ومحياي ومماتي )  
وما أتيت به فى حياتى وأموت  
عليه من الايمان والعمل  
الصالح ( لله رب العالمين )  
خالصة لوجهه محياي  
ومماتي بسكون الياء الاول  
وقم الثانى مدنى وبعبكسه  
غيره ( لا شريك له ) فى شىء  
من ذلك ( وبذلك )  
الاخلاص ( أمرت وأنا  
أول المسلمين ) لان اسلام  
كل نبي متقدم على اسلام  
أمته ( قل أعير الله ابني ربا )  
جواب عن دعائهم له الى  
عبادة آلهتهم والهمزة  
للانكار أى منكر أن أطلب  
ربا غيره وتقديم المفعول  
للاشعار بانه أهم ( وهورب  
كل شىء ) وكل من دونه  
مربوب ليس فى الوجود

( حنيفا ) مسلما ( وما كان  
من المشركين ) مع المشركين  
على دينهم ( قل ) يا محمد  
( ان صلواتي ) الصلوات  
الخمس ( ونسكى ) ديني  
وحجتي وذبيحتى وعبادتي  
( ومحياي ومماتي لله )  
فى الدنيا فى طاعة الله ورضاه  
( رب العالمين ) سيد الجن  
والانس ( لا شريك له  
وبذلك أمرت وأنا أول

( المسابن ) الخالصين بالعبادة والتوحيد ( قل ) يا محمد ( أعير الله ابني ربا ) أعبد ربا ( وهورب كل شىء ) ( لاني )

من له الربوبية غيره ( ولا تكسب كل نفس الاعليها ) جواب عن قوالهم اتبعوا سيلنا ونحمل خطاياكم ( ولا تزر وازرة وزر  
 أخرى ) أى لا تؤخذ نفس آثمة بذنوب نفس أخرى ( ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ) من الاديان  
 التى فرقتموها ( وهو الذى جعلكم خلائف الارض ) لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فأتمته قد خلفت  
 سائر الامم اولان بعضهم يخاف بعضا وهم ﴿ ٥١٩ ﴾ خلفاء الله { سورة الانعام } فى أرضه ملكونها ويتصرفون

مربوب مثل لا يصلح للربوبية ﴿ ولا تكسب كل نفس الاعليها ﴾ فلا ينفعى فى ابتغاء  
 رب غيره ما أتم عليه من ذلك ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ جواب عن قوالهم  
 اتبعوا سيلنا ونحمل خطاياكم ﴿ ثم الى ربكم مرجعكم ﴾ يوم القيامة ﴿ فينبئكم بما  
 كنتم فيه تختلفون ﴾ بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل ﴿ وهو الذى جعلكم  
 خلائف الارض ﴾ يخاف بعضهم بعضا أو خلفاء الله فى أرضه تصرفون فيها على  
 ان الخطاب عام أو خلفاء الامم السابقة على ان الخطاب للمؤمنين ﴿ ورفع بعضكم فوق  
 بعض درجات ﴾ فى الشرف والغنى ﴿ ليلوكم فيما آتاكم ﴾ من الجاه والمال

فيا ( ورفع بعضكم فوق  
 بعض ) فى الشرف  
 والرزق وغير ذلك  
 ( درجات ) مفعول ثان  
 أو التقدير الى درجات  
 أو هى واقعة موقع المصدر  
 كأنه قيل رفعة بعد رفعة  
 ( ليلوكم فيما آتاكم ) فيما  
 أعطاكم من نعمة الجاه  
 والمال كيف تشكرون  
 تلك النعمة وكيف يصنع  
 الشريف بالوضع والغنى  
 بالفقر والمالك بالمملوك

بأن منه ( ولا تكسب  
 كل نفس ) من الذنوب  
 ( الا عليها ) عقوبة ذلك  
 ( ولا تزر وازرة وزر  
 أخرى ) لا تحمل حاملة  
 حل أخرى من الذنوب  
 ويقال لا تؤخذ نفس  
 بذنوب نفس أخرى ويقال  
 لا تعذب نفس بغير ذنب  
 ويقال لا تحمل حاملة ذنب  
 أخرى بطيبة النفس ولكن  
 يحمل عليها بالكره ( ثم  
 الى ربكم مرجعكم ) بعد  
 الموت ( فينبئكم ) يخبركم

للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا قال ابن عباس رضى الله عنهما كان الوليد بن  
 المغيرة يقول اتبعوا سبيلي أحل عنكم أوزاركم فقال الله عز وجل ردا عليه ﴿ ولا  
 تكسب كل نفس الاعليها ﴾ يعنى أن اثم الجاني عليه لا على غيره ﴿ ولا تزر وازرة وزر  
 أخرى ﴾ يعنى لا تؤخذ نفس آثمة بأثم أخرى ولا تحمل نفس حاملة حل أخرى  
 ولا يؤخذ أحد بذنوب آخر ﴿ ثم الى ربكم مرجعكم ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ فينبئكم بما  
 كنتم فيه تختلفون ﴾ يعنى فى الدنيا من الاديان والمال ﴿ قوله عز وجل ﴾ وهو الذى  
 جعلكم خلائف الارض ﴿ يعنى والله الذى جعلكم يأمة محمد خلائف فى الارض  
 فان الله أهلك من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم فى الارض  
 تختلفونم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو  
 آخرهم وأتمه آخر الامم ﴿ ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴾ يعنى أنه تعالى  
 خالف بين احوال عبادہ فجعل بعضهم فوق بعض فى الخلق والرزق والشرف والعقل  
 والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبح والغنى والفقر والشريف والوضع والعالم  
 والجاهل والقوى والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق فى الدرجات ليس لاجل العجز  
 أو الجهل أو البخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل  
 الابتلاء والامتحان ﴿ وهو قوله عز وجل ﴾ ليلوكم فيما آتاكم ﴿ يعنى يعاملكم معاملة  
 المبتي والمختبر وهو أعلم باحوال عبادہ والمعنى يتلى الغنى بغناه والفقر بفقره والشريف  
 بشرفه والوضع بدناءته والعبد والجر وغيرهم من جميع أصناف خلقه ليظهر منكم  
 ما يكون عليه الثواب والعقاب لان العباد ما أن يكون مقصرا فيما كلف به وأما أن يكون  
 موافيا ما أمر به فان كان مقصرا كان نصيبه التخويف والترغيب ﴿ وهو قوله عز وجل

( بما كنتم فيه ) فى الدين ( تختلفون ) تختلفون ( وهو الذى جعلكم خلائف الارض ) خلف الامم الماضية فى الارض  
 ( ورفع بعضكم فوق بعض درجات ) فضائل بالمال والخدم ( ليلوكم ) ليختبركم ( فيما آتاكم ) أعطاكم من المال



( ان ربك سريع العقاب )

لمن كفر نعمته ( وانه لغفور رحيم ) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ماهوأت قريب ومأمر الساعة الا كلكم البصر أو هو أقرب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلاث آيات من أول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتبه مثل أعمالهم الى يوم القيامة

سورة الاعراف مكية وهي

مائتان وخمس آيات بصرى وست كوفي ومدني

بسم الله الرحمن الرحيم ( ألمص ) قال الزجاج المختار في تفسيره ما قال ابن عباس رضی الله عنهما أنا الله أعلم

والخدم ( ان ربك سريع العقاب ) لمن كفر به ولا يشكره ( وانه لغفور ) متجاوز ( رحيم ) لمن آمن به

ومن السورة التذييد فيها الاعراف وهي كلها مكية وآياتها مائتان وست وثلثمائة وثلاثون حرفا وثلثمائة وستة عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ( ألمص ) يقول أنا الله أعلم وأفضل

ان ربك سريع العقاب لان ماهوأت قريب أولانه يسرع اذا أراد ان يغفور رحيم وصف العقاب ولم يصف الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تفيها على انه سبحانه وتعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعد ذلك آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذتقنا الجبل نحلم كلها وقيل الا قوله وأعرض عن الجاهلين وآياتها مائتان وخمس أوست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله

ان ربك سريع العقاب يعني لاعدائه باهلاكم في الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ماهوأت فهو قريب وان كان العبد موفيا حقوق الله تعالى فيما أمره به أو نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم وهو قوله عز وجل ( وانه لغفور ) يعني لذنوب أوليائه وأهل طاعته ( رحيم ) يعني بجميع خلقه والله أعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاعراف

نزلت بحكمة روى ذلك عن ابن عباس رضی الله عنهما وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروى عن ابن عباس رضی الله عنهما أيضا انها مكية الا خمس آيات أولها واسألهم عن القرية التي كانت وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان آيات في سورة الاعراف مدينة أولها واسألهم عن القرية الى قوله وأخذ ربك من بني آدم وهي مائتان وست آيات وثلاثة آلاف وثلثمائة وخمس وعشرون كلمة وأربعة عشر ألف حرف وعشرة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ( ألمص ) قال ابن عباس رضی الله عنهما معناه أنا الله أفضل وعنه أنا الله أعلم وأفضل وعنه أن ألمص قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة ألمص اسم من أسماء القرآن وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدي هو بعض اسمه تعالى المصور وقال أبو العالية الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصور وقيل هي حروف مقطعة

( استأثر الله )

وأفضل (كتاب) خبر مبتدأ محذوف أى هو كتاب (أنزل اليك) صفة والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن في صدرك حرج منه) شك فيه وسمى الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه أى لا شك في انه منزل من الله أو حرج منه بتبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وأذا هم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينشط له فامنه الله ونهاه ﴿ ٥٢١ ﴾ عن المبالاة بهم { سورة الاعراف } والنهى متوجه الى الحرج

وفيه من المبالغة ما فيه والفاء للعطف أى هذا الكتاب أنزلته اليك فلا يكن بعد انزاله حرج في صدرك واللام في ( لتنذر به ) متعلق بانزل أى أنزل اليك لانذارك به أو بالنهى لانه اذالم يخفهم أنذرهم وكذا اذا أيقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار به لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه ( وذكرى للمؤمنين ) فى محل النصب باضمار فعلها أى لتنذره وتذكيره تذكيرا فالذ كرى اسم بمعنى التذكير أو الرفع بالعطف على كتاب أى هو كتاب وذكرى للمؤمنين أو بانه خبر مبتدأ محذوف أو الجر بالعطف على محل تنذر أى للانذار والذ كرى ( اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ) أى القرآن

ويقال قسم أقسم به (كتاب) ان هذا الكتاب يعنى القرآن ( أنزل اليك ) جبريل به ( فلا يكن في

﴿ كتاب ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هو كتاب أو خبر المص والمراد به السورة والقرآن ﴿ أنزل اليك ﴾ صفة ﴿ فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾ أى شك فان الشاك حرج الصدر أو ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه أو تقصر فى القيام بحقه وتوجيه النهى اليه للمبالغة كقولهم لا اريدك ههنا والفاء تحتل العطف والجواب فكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذره فلا يخرج صدرك منه ﴿ لتنذره ﴾ متعلق بانزل أو بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذالم يخفهم أو علم انه موفق للقيام بتبليغه ﴿ وذكرى للمؤمنين ﴾ يحتل النصب باصمارة فعلها أى لتنذره ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطف على محل تنذر والرفع عطف على كتاب أو خبر المحذوف ﴿ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ﴾ يعى القرآن

استأثر الله تعالى بعلمها وهى سره فى كتابه العزيز وقيل هى حروف اسمه الاعظم وقيل هى حروف تحوى معانى دل الله بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام على معانى الحروف المقطعة أوائل السور فى أول سورة البقر \* وقوله عز وجل ﴿ كتاب أنزل اليك ﴾ يعنى هذا كتاب أنزل الله اليك يا محمد وهو القرآن ﴿ فلا يكن في صدرك حرج منه ﴾ يعنى فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتأدية ما أرسلت به الى الناس ﴿ لتنذر به ﴾ يعنى أنزلت اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من أمرتك بانذاره ﴿ وذكرى للمؤمنين ﴾ يعنى لتذكر وتظبه المؤمنين وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم تقديره كتاب أنزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن فى صدرك حرج منه قال ابن عباس رضى الله عنهما فلا تكن فى شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له قوله عز وجل ﴿ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ﴾ أى قل يا محمد لقومك اتبعوا أيها الناس ما أنزل اليكم من ربكم يعنى من القرآن الذى فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية الا ويحجب أن تعلم فمى أنزلت وما معناها وينحو هذا قال الزجاج أى اتبعوا القرآن وما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم فانه مما أنزل لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الآية ان الله تعالى لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار فى قوله لتنذره كان معنى الكلام أنذر القوم وقل لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم واركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتنذره وتذكيره المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار أى اتبعوا أيها المشركون ما أنزل اليكم من ربكم واركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك

صدرك حرج) فلا يقع فى قلبك (قا و خا ٦٦ نى) شك (منه) من القرآن انه ليس من الله ويقال ضيق (لتنذر به) بالقرآن أهل مكة لكى يؤمنوا (وذكرى) عظمة (للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) يعنى القرآن أحاول حاله

والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحماوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع (قليلًا ما تذكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقليلًا نصب تذكرون أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزبذبة لتوكيد القلة تذكرون شامئًا الجزء الثامن (وكم) مبتدأ ﴿٥٢٢﴾ (من قرية) تبيين والخبر (أهلكناها)

أي أردناها هلا كما كقولها اذا قمتم الى الصلاة (فجاءها) جاء أهلها (بأسنا) عذابنا (بيانا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بأئين يقال بات بيانا حسنا (أوهم قائلون) حال معطوفة على بيانا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بأئين أو قائلين وانما قيل هم قائلون بلا واو ولا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو لانه لم يعطف على حال قبلها حذف الواو استنقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل وخص هذان الوقتان لانهما وقتا العقلة فيكون نزول العذاب فيها أشد وأفطع وقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة وقيل بيانا ليلا أي ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون

والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى ﴿ ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما أنزل أي ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء موقريء ولا تتبعوا ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ اي تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزبذبة لتأكيد القلة وان جعلت مصدبة لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتركون على ان الخطاب بدمع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وكم من قرية ﴾ وكثيرا من القرى ﴿ أهلكناها ﴾ اردنا اهلاك أهلها وأهلكناها بالخذلان ﴿ فجاءها ﴾ فجاء أهلها ﴿ بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ بيانا ﴾ بأئين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال ﴿ اوهم قائلون ﴾ عطف عليه أي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذف واو الحال استنقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهمسا وقت دعة واستراحة

ويدل عليه قوله عز وجل ﴿ ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ يعني ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك أولياء فتتبعوهم والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيأسروكم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ يعني ما تعظون الا قليلا ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكم من قرية أهلكناها ﴿ لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وأمرته باتباع ما أنزله اليهم حذرهم نقمته وبأسه ان لم يتبعوا ما أسروا به فذكر في هذه الآية ما في ترك المتابعة والاعراض عن أمره من لوعيد فقال تعالى وكم من قرية أهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من أهل قرية لان المقصود بالاهلاك أهل القرية لا القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لأهلها ﴿ فجاءها بأسنا ﴾ يعني عذابنا فان قلت مجي البأس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال أهلكناها فجاءها بأسنا قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها بأسنا وقال الفراء الهلاك والبأس قد يقعان معا كما يقال أعطيتني فأحسنت الى فلان قبل الاعطاء ولا بعده وانما وقعامعا وقال غيره لافرق بين قولك أعطيتني فأحسنت الى أو أحسنت الى فأعطيتني فيكون أحدهما بدلا من الآخر ﴿ بيانا ﴾ يعني فجاءها عذابنا ليلا قبل أن يصبوا ﴿ اوهم قائلون ﴾ من القيلولة وهي نوم نصف النهار أو استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى فجاءها بأسنا غفلة وهم غير متوقفين له ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم أمارات تدلهم على

وحرموا حرامه ( ولا تتبعوا من دونه) لا تعبدوا من دون الله ( أولياء)

أربابا من الاصنام (قليلًا ما تذكرون) ما تعظون بقليل ولا بكثير (وكم من قرية) من أهل قرية ( وقت ) (أهلكناها) عذابها (فجاءها بأسنا) عذابنا (بيانا) ليلا أو نهارا (أوهم قائلون) نائمون عند القيلولة

( فما كان دعواهم ) دعاؤهم

و تضرعهم ( اذ جاءهم  
بأسنا ) لما جاءهم أوائل  
العذاب ( الا ان قالوا انا  
كنا ظالمين ) اعترفوا  
بالظلم على أنفسهم والشرك  
حين لم ينفعهم ذلك ودعواهم  
اسم كان وأن قالوا الخبر  
ويجوز العكس ( فلنستئن  
الذين أرسل اليهم ) أرسل  
مستدلى اليهم أي فلنستأين

المرسل اليهم وهم الامم  
عما أجابوا به رسالهم  
( ولنستأين المرسلين )  
عما أجابوا به ( فلنقتصن  
عليهم ) على الرسل والمرسل  
اليهم ما كان منهم ( يعلم  
عالمين باحوالهم الظاهرة  
والباطنة وأقوالهم وأفعالهم  
( وما كنا غائبين ) عنهم  
وعما وجد منهم ومعنى  
السؤال التوبخ والتقرير  
والتقدير اذا قاهوا بالسنتهم  
وشهد عليهم أي باؤهم

( فما كان دعواهم ) قولهم ( اذ

جاءهم بأسنا ) عذابنا بهلاكهم

( الا ان قالوا انا كنا ظالمين )

مشركين ( فلنستئن الذين

أرسل اليهم ) الرسل يعني

القوم عن اجابة الرسل

( ولنستئن المرسلين )

عن تبليغهم ( فلنقتصن

عليهم ) فلنخبرهم ( يعلم

بيان ) ( وما كنا غائبين )

عن تبليغ الرسل واجابة القوم

فيكون مجي العذاب فيما أقطع ﴿ فما كان دعواهم ﴾ أي دعاؤهم واستغاثتهم أو ما  
كانوا يدعونه من دينهم ﴿ اذ جاءهم ﴾ بأسنا الآن قالوا انا كنا ظالمين ﴿ الا اعترافهم  
بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه ﴾ فلنستأين الذين أرسل اليهم ﴿ عن قبول  
الرسالة واجابتهم الرسل ﴾ ولنستأين المرسلين ﴿ عما اجابوا به والمراد من هذا  
السؤال توبخ الكفرة وتقريرهم والمنق في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون  
سؤال استعلام أو الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة  
﴿ فلنقتصن عليهم ﴾ على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك أنت علام الغيوب أو على  
الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه ﴿ يعلم ﴾ عالمين بظواهرهم وبواطنهم أو يعلمونا  
منهم ﴿ وما كنا غائبين ﴾ عنهم فينفخ علينا شئ من أحوالهم

وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف للكفار كأنه قيل لهم لا تفتروا بأسباب الامن  
والراحة فان عذاب الله اذ انزل نزل دفعة واحدة ﴿ فما كان دعواهم ﴾ يعني فما كان  
دعاه أهل القرية التي جاءها بأسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء ومعنى الدعاء قال  
سبيويه تقول العرب اللهم أشركنا في صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله تعالى دعواهم  
فيما سبحانك اللهم ﴿ اذ جاءهم بأسنا ﴾ يعني عذابنا ﴿ الا ان قالوا انا كنا ظالمين ﴾  
يعني انهم لم يقدروا على رد العذاب عنهم وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية وذلك  
حين لا ينفع الاعتراف ﴿ فلنستئن الذين أرسل اليهم ﴾ يعني نسأل الامم الذين أرسلت  
اليهم الرسل ماذا علمتم فيما جاءتكم به الرسل ﴿ ولنستأين المرسلين ﴾ يعني ولنستأين  
الرسل الذين أرسلناهم الى الامم هل بلغتم رسالاتنا وأديتم الى الامم ما أمرتم بتأديته  
اليهم أم قصرت في ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما في معنى هذه الآية يسأل الله  
تعالى الناس عما أجابوا به المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب  
يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون وقال السدي يسأل الامم ما عملوا فيما جاءت به الرسل  
ويسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به فان قلت قد أخبر عنهم في الآيات الاولى بأنهم اعترفوا  
على أنفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فافائدة هذا السؤال مع اعترافهم على أنفسهم بذلك  
﴿ قلت لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سلثوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير  
والمقصود من هذا التقرير والتوبخ للكفار فان قلت فافائدة في سؤال الرسل مع العلم  
بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من أرسلوا اليهم من الامم ﴾ قلت اذا كان يوم القيامة  
أنكر الكفار تبليغ الرسالة من الرسل فقالوا ما جاءنا من بشر ولا نذير فكان مسألة  
الرسل على وجه الاستشهاد بهم على من أرسلوا اليهم من الامم أنهم قد بلغوا رسالات  
ربهم الى من أرسلوا اليهم من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقرير والتوبخ للكفار أيضا  
لانهم أنكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيهم وهوانهم وعذابهم ﴿ قوله عز وجل  
﴿ فلنقتصن عليهم يعلم ﴾ يعني فلنخبرن الرسل ومن أرسلوا اليهم يعلم ويقين بما عملوا  
في الدنيا ﴿ وما كنا غائبين ﴾ يعني عنهم وعن أفعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم

﴿والوزن﴾ أى القضاء أو وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعدرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ماروى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فتشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلنا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ليا ترى العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ﴿يومئذ﴾ خبر المبتدأ الذى هو الوزن ﴿الحق﴾ صفة أو خبر محذوف ومعناه العدل السوى

(والوزن) أى وزن الاعمال  
والتمييزين راجحها وخفيفها  
وهو مبتدأ وخبره (يومئذ)  
أى يوم يسأل الله الام  
ورسلهم فحذفت الجملة  
وعوض عنها التسوية  
(الحق) أى العدل صفته  
ثم قيل توزن صحف الاعمال  
بميزان له لسان وكفتان  
اظهارا للنصفة وقطعا  
للمعدرة وقيل هو عبارة  
عن القضاء السوى والحكم  
العدل والله أعلم بكيفيته  
(والوزن) وزن الاعمال  
(يومئذ) يوم القيامة (الحق)  
العدل

فيما أجابوا فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى فلنستلن الذين أرسل اليهم ولنستلن المرسلين وبين قوله فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وإذا كان عالما فافائدة هذا السؤال قلت فائدة سؤال الام والرسول مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التقرير والتوبيخ للكفار لانهم اذا أقروا على انفسهم كان أبلغ في المقصود فاما سؤال الاسترشاد والاستثبات فهو منى عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم بالكليات والجزئيات وعلمه بظاهر الاشياء كعلمه باطنها ﴿قوله عز وجل﴾ والوزن يومئذ الحق ﴿يعنى﴾ والوزن يوم سؤال الام والرسول وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى أن المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله عز وجل ينصب ميزانه لسان وكفتان كل كفة قدر ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزى جاء في الحديث ان داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يريه الميزان فاراماه ققال الهى من يقدران يملا كفتيه حسات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدى ملأتها بجمرة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة أخذ من سيئات المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل فان قلت أليس الله عز وجل يعلم مقادير أعمال العباد فافا الحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجج عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره أنه تعالى أثبت أعمال العباد في اللوح المحفوظ ثم في صحائف الحافظة الموكلين بنى آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال المكتوبة فيها الحسنات والسيئات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ماروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فيشره تسعة

﴿ فن ثقلت موازينه ﴾ حسناته أو ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات  
وتمددا لوزن فهو جمع موزون أو ميزان ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالنجاة والثواب  
﴿ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت  
عليها واقتراف ما عرضها للعذاب ﴿ بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ فيكذبون بدل التصديق

واتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول له أنتكر من هذا شيأ أظلمت كتبتي  
الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول الله تبارك وتعالى بلى  
ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله له بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله  
وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول أحضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه  
السجلات فيقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة  
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي وأحد  
بن حنبل وقال ابن عباس رضى الله عنهما يؤتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة  
وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس رضى الله عنهما  
ان الاعمال تتصور صوراً وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله تعالى في تلك الصور  
ثقل وخفة ونقل البعوى عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روى عن  
أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه ليأنى الرجل العظيم  
السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة أخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث  
ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله  
جناح بعوضة مقداره وحرمة لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحائف  
الاعمال توزن أو نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله أعلم بحقيقة ذلك ﴿ قوله عز وجل

﴿ فن ثقلت موازينه ﴾ جمع ميزان وأورد على هذا انه ميزان واحد فأوجه الجمع  
وأجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان  
وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن  
الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعنى من رجحت أعماله بالحسنة الموزونة  
التي لها وزن وقدر ﴿ فأولئك هم المفلحون ﴾ يعنى هم الناجون غدا والفائزون  
بثواب الله وجزائه ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ يعنى موازين أعماله وهم الكفار  
بدليل قوله تعالى ﴿ فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ يعنى غبنوا أنفسهم حظوظها  
من جزيل ثواب الله تعالى وكرامته ﴿ بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ يعنى سبب  
ذلك الخسران انهم كانوا بجميع الله وأدلة توحيدِهِ يمجحدون ولا يقرون بها روى عن  
أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه حين خضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب  
انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق  
لميزان يوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلاً وانما خفت موازين من خفت موازينه  
يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا

( فن ثقلت موازينه )  
جمع ميزان أو موزون أى  
فن رجحت أعماله الموزونة  
التي لها وزن وقدر وهى  
الحسنات أو ما توزن به  
حسنتهم ( فأولئك هم  
المفلحون ) الفائزون ( ومن  
خفت موازينه ) هم الكفار  
فانه لا ايمان لهم ليعتبر معه  
عمل فلا يكون في ميزانهم خير  
فتخف موازينهم ( فأولئك  
الذين خسروا أنفسهم  
بما كانوا بآياتنا يظلمون )  
يمجحدون فلا يأت الحجج  
والظلم بها وضعها في غير  
موضعها أى سجودها وترك  
الانقياد لها

( فن ثقلت موازينه )  
حسنته فى الميزان  
( فأولئك هم المفلحون )  
الناجون من السخط والعذاب  
( ومن خفت موازينه )  
حسنته فى الميزان ( فأولئك  
الذين خسروا انفسهم )  
بالمقوبة ( بما كانوا بآياتنا )  
بمحمد عليه السلام والقرآن  
( يظلمون ) يكفرون

( ولقد مكناكم في الارض ) جعلنا لكم فيها  
 مكانا وقرارا أو مكناكم فيها  
 وأقدرناكم على التصرف  
 فيها ( وجعلنا لكم فيها  
 معايش ) جمع معيشة وهى  
 ما يعاش به من المطاعم  
 والمشارب وغيرهما والوجه  
 تصرح الياء لانها أصلية  
 بخلاف صحائف فالياء فيها  
 زائدة وعن نافع انه همز  
 تشبيها بصحائف ( قليلا  
 ما تشكرون ) مثل قليلا  
 ما تذكرون ( ولقد خلقناكم  
 ثم صورناكم ) أى خلقنا  
 أبابكم آدم عليه السلام  
 طينا غير مصور ثم صورناه  
 بعد ذلك دليله ( ثم قلنا  
 للملائكة اسجدوا لآدم  
 ( ولقد مكناكم ) ملكناكم  
 ( في الارض وجعلنا لكم  
 فيها ) في الارض ( معايش )  
 ما تأكلون وما تشربون  
 وما تبسون ( قليلا  
 ما تشكرون ) ما تشكرون  
 بقليل ولا بكثير ويقال  
 شكركم فيما صنع اليكم  
 قليل ( ولقد خلقناكم )  
 من آدم وآدم من تراب  
 ( ثم صورناكم ) فى الارحام  
 وصورنا آدم بين مكة  
 والطائف ( ثم قلنا للملائكة )  
 الذين كانوا فى الارض  
 ( اسجدوا لآدم )

﴿ ولقد مكناكم فى الارض ﴾ أى مكناكم من سكنها وزرعها والتصرف فيها  
 ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ أسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزة تشبيها  
 بما لاء فيه زائدة كصحائف ﴿ قليلا ما تشكرون ﴾ فيما صنعت اليكم ﴿ ولقد خلقناكم  
 ثم صورناكم ﴾ أى خلقنا أبابكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره  
 منزلة خلق الكل وتصويره أو ابتدأنا خلقكم ثم تصوركم بان خلقنا آدم ثم صورناه  
 ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ وقيل ثم قلنا لتأخير الاخبار

أن يكون خفيفا ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد مكناكم فى الارض ﴿ يعنى ولقد مكناكم  
 أيها الناس فى الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا  
 وأقدرناكم على التصرف فيها ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ جمع معيشة يعنى به جمع  
 وجوه المنافع التى تحصل بها الارزاق وتعيشون بها أيام حياتكم وهى على قسمين أحدهما  
 ما أنعم الله تعالى به على عباده من الزرع والثمار وأنواع المأكول والمشارب والثانى  
 ما يتحصل من المكاسب والارباح في أنواع التجارات والصنائع وكلا القسمين فى الحقيقة  
 انما يحصل بفضل الله وأنعامه وأفئده وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع  
 معايش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للنعم بها  
 والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا الافضال على عباده وأنعامه عليهم لا يقومون  
 بشكره كما ينبى فقال تعالى ﴿ قليلا ما تشكرون ﴾ يعنى على ما صنعت اليكم وأنهمت به  
 عليكم وفيه دليل على أنهم قد يشكرون لان الانسان قديد كرنعم الله فيشكره عليها فلا  
 يخلوا فى بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واطوارها وزيادته  
 الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴿ يعنى  
 ولقد خلقناكم أيها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله فى ظهر أبيكم آدم ثم صورناكم  
 فى أرحام النساء صور مخلوقة فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا  
 لآدم يقتضى أن الامر بالمجود لآدم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم  
 لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم أن الامر ليس كذلك بل كان السجود لآدم عليه الصلاة والسلام  
 قبل خلق ذريته قلت يحتمل أن يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم أيها المخاطبون  
 ثم أخبرناكم انقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد  
 ترتيب الخبر به على الخبر وقيل فى معنى الآية ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى ذريته  
 وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى فى ظهره وعلى  
 هذين القولين انما ذكر آدم بلفظ الجمع على التعظيم أو لانه أبو البشر فكان فى خلقه خلق  
 من خرج من صلبه وقيل أن الخلق والتصوير يرجع الى آدم عليه الصلاة والسلام  
 وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعنى آدم حكما بخلقهم ثم صورناكم يعنى آدم صورة  
 من طين ﴿ ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ يعنى بعد اكمال خلقه وقد تقدم فى سورة البقرة  
 الكلام فى معنى هذا السجود وأنه كان على سبيل التهمة والتعظيم لآدم لا حقيقة السجود

﴿فَسَجِدُوا لِابْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿مَنْ سَجَدَ لِآدَمَ﴾ ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تُسْجِدَ﴾  
 أَى ان تسجد ولا صلة مثلها في ثلاثا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على  
 ان الموع عليه ترك السجود وقيل المنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطررك  
 الى ان لا تسجد ﴿اذا أمرتكَ﴾ دليل على ان مطلق الامر للوجوب والقور ﴿قال﴾  
 أنا خير منه ﴿جواب من حيث المعنى استأنف به استبعاد الان يكون مثله مأمورا بالسجود  
 لمثله كأنه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن

وقيل بل كان حقيقة السجود وأن المسجود له هو الله تعالى وانما كان آدم كالقابلة للساجدين  
 وقيل بل كان المسجود له وكان ذلك بأمر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع  
 الملائكة أو بعضهم فيه خلاف تقدم ذكره في سورة البقرة وقوله عز وجل ﴿فَسَجِدُوا﴾  
 يعنى الملائكة ﴿الابليس﴾ يعنى فسجد الملائكة لآدم الابليس ﴿لم يكن من﴾  
 الساجدين ﴿يعنى له وظاهر الآية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى  
 استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة  
 من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مأمورا بالسجود لآدم مع الملائكة  
 فلما لم يسجد أخبر الله تعالى عنه أنه لم يكن من الساجدين لآدم فهذا استثناه منهم  
 ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿قال ما منعك أن لا تسجد اذا أمرتكَ﴾ يعنى قال الله عز وجل لابليس أى  
 شىء منعك من السجود لآدم اذا أمرتكَ به فعلى هذا التأويل تكون كلة لا فى قوله أن  
 لا تسجد صلة زائدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير مانعك أن تسجد فهو كقوله لا أقسم أى  
 أقسم وقوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون أى يرجعون وقوله لئلا يعلم أهل  
 الكتاب أى يعلم أهل الكتاب وهذا قول الكسائى والقراء والزجاج والاكثرين وقيل  
 ان كلة لا هنا على أصلها مفيدة وليست بزائدة لانه لا يجوز أن يقال أن كلة من كتاب الله  
 زائدة أولا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدى عن أحد بن يحيى ان لا فى  
 هذه الآية ليست زائدة ولا توكيدا لان معنى قوله ما منعك أن لا تسجد من قال لك لا تسجد  
 فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه أبو بكر عن القراء وقال الطبرى الصواب  
 فى ذلك أن يقال أن فى الكلام محذوفا تقدره ما منعك من السجود فاحوجك أن لا  
 تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء عنه بمعرفة السامعين به ونقل الامام فخر الدين الرازى  
 عن القاضى قال ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعى فكانه قال مادعاك الى أن لا تسجد  
 لان مخالفة الله تعالى عظيمة يتعجب منها ويسئل عن الداعى اليها فان قلت لم سأله عن المانع  
 له من السجود وهو أعلم به قلت انما سأله للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معانده وكفره  
 واقتحاره باصله وحسده لآدم عليه الصلاة والسلام ولذلك لم يتب الله عليه ﴿قال﴾  
 يعنى قال ابليس مجيبا لله تعالى عما سأله عنه ﴿أنا خير منه﴾ فان قلت قوله أنا خير منه  
 ليس بجواب عما سأله عنه فى قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود  
 فانه كان ينبغي له أن يقول معنى كذا وكذا ولكنه قال أنا خير منه قلت استأنف قصة

فسجدوا الابليس لم يكن  
 من الساجدين ) ممن  
 سجد لآدم عليه السلام  
 ( قال ما منعك أن لا تسجد )  
 ما رفع أى شىء منعك  
 من السجود ولا زائدة بدليل  
 ما منعك أن تسجد لما  
 خلقت بيدى ومثلها لئلا  
 يعلم أهل الكتاب أى يعلم  
 ( اذا أمرتكَ ) فيه دليل  
 على أن الامر للوجوب  
 والسؤال عن المانع من  
 السجود مع علمه به للتوبيخ  
 ولاظهار معانده وكفره  
 وكبره واقتحاره باصله  
 وتحقيره أصل آدم عليه  
 السلام ( قال أنا خير منه  
 سجدة التحية ( فسجدوا  
 الا ابليس ) رئيسهم ( لم  
 يكن من الساجدين )  
 مع الساجدين بالسجود  
 لآدم ( قال ما منعك )  
 قال الله يا ابليس ما منعك  
 ( الا تسجد ) لآدم ( اذا  
 أمرتكَ ) بالسجود ( قال )  
 أنا خير منه



خلقتني من نار) وهي جوهر نوراني ( وخلقته من طين ) وهو ظماني وقد أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لرزاقته ووقاره ومنه اللحم والحياء والصبر { الجزء الثامن } وذلك دعاه الى ﴿ ٥٢٨ ﴾ التوبة والاستغفار وفي النار

الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه الى الاستكبار والتراب عدة الممالك والنار عدة المهالك والنار مظنة الحيانة والافناء والتراب مئنة الامانة والانعاء والطين يطفى النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفاسد من المقاييس وقول نافي القياس أول من قاس ابليس قياس على ان القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس ابليس عندا للامر المنصوص فكان الجواب لمانعك أن يقول منعي كذا وانما قال انا خير منه لانه لما استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبقلة فضله عليه فعلم منها الجواب كأنه قال مانعني من السجود فضلى عليه وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله اذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب (قال فاهبط منها) من الجنة أو من السماء لانه كان فيه

أن يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولا ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار اليه بقوله تعالى \* ما منعك أن تسجد لما خلقت يدي \* أي بغير واسطة وباعتبار الصورة كأنه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاك. ولذلك أمر الملائكة بسجوده لما بين لهم أنه أعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كأثنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب ﴿ قال فاهبط منها ﴾ من السماء أو الجنة ﴿ فايكون لك ﴾ فإ

أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ والنار خير من الطين وأنما قال أنا خير منه لما رأى انه أشد منه قوة وأفضل منه أصلاً وذلك الفضل الجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه آدم عليه الصلاة والسلام فحمل عدو الله ابليس وجه الحق وأخطأ طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش والارتضاع والاضطراب وهذا الذي حمل الخبيث ابليس مع الشقاء الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لآدم عليه الصلاة والسلام والاستخفاف بأمر ربه فأورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم أن في جوهر الطين الرزاقنة والانة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعي لآدم عليه الصلاة والسلام مع السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومستلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وأبن سيرين يقولان أول من قاس ابليس فأخطأ وقال ابن سيرين أيضا ما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس وأصل هذا القياس الذي قاسه ابليس لعنه الله تعالى لما رأى ان النار أفضل من الطين وأقوى فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدرك أن الفضل لمن جعله الله فاضلا وأن الافضية والخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر وأيضا الفضيلة إنما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالمرء من الحبشى خير من الكافر القرشى فالله تعالى خص صفيه آدم عليه الصلاة والسلام بأشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأورثه الاجتناب والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام للعناية التي سبقت له في القدم وأورث ابليس كبره للعنة والطرده للشقاوة التي سبقت له في القدم ﴿ قوله عز وجل ﴾ قال فاهبط منها ﴿ يعنى قال الله تعالى لابليس لعنه الله أهبط من الجنة وقيل من السماء الى الارض والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف ﴿ فايكون لك ﴾ فإ

وهي مكان المطيعين والمتواضعين والفاء في فاهبط جواب لقوله أنا خير منه أي أن كنت تكبر فاهبط (فايكون لك) فايصح لك (أن)

خلقتني من نار وخلقته من طين) أنا نارى و آدم طينى والنار تأكل الطين ( قال ) الله له ( فاهبط منها ) فأنزل من السماء ويقال فأخرج منها من صورة الملائكة ( فأ يكون لك ) ما بيني

( أن تكبر فيها ) وتعصى ( فأخرج انك من الصاغرين ) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه يذمك كل انسان ويلعنك كل لسان لتكبرك وبه علم ان الصغار ٥٢٩ لازم للاستكبار {سورة الاعراف} ( قال أنظرنى الى يوم يبعثون )

أمهلنى الى يوم البعث وهو وقت النفخة الاخيرة ( قال انك من المنظرين ) الى النفخة الاولى وانما أجيب الى ذلك لمافيه من الابتلاء وفيه تقرب لقلوب الاحباب أى هذا برى بمن يسيئنى فكيف بمن يحببى وانما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه فى الحال علمه بحلم ذى الجلال ( قال فبما أغويتنى ) أضللتنى أى فبسبب اغوائك ايمى والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسبب اغوائك أقسم أو تكون الباء للقسم أى فاقسم باغوائك ( لا أقعدن لهم صراطك المستقيم ) لا اعتراض لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على لك ( أن تكبر فيها ) أن تتعظم فى صورة الملائكة على بنى آدم ( فأخرج ) من صورة الملائكة ويقال فأخرج منها من الارض ( انك من الصاغرين ) من الدليلين بالعقوبة ( قال )

يصح ﴿ أن تكبر فيها ﴾ وتعصى فانها مكان الخاشع والمطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه سبحانه وتعالى اعطاه وأهبطه لتكبره لا ليجرد عصيانه ﴿ فأخرج انك من الصاغرين ﴾ ممن اهانه الله لكبره قال عليه الصلاة والسلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ﴿ قال انظرنى الى يوم يبعثون ﴾ أمهلنى الى يوم القيامة فلا تمنى أو لا تعجل عقوبتى ﴿ قال انك من المنظرين ﴾ يقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهر الكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم المعلوم وهو النفخة الاولى أو وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وترريضهم للثواب بخالفته ﴿ قال فبما أغويتنى ﴾ أى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم بأى طريق يمكنى بسبب اغوائك ايمى بواسطة تسمية أو جلا على النى أو تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا أقعدن فان اللام تصدعته وقيل الباء للقسم ﴿ لا أقعدن لهم ﴾ ترصد بهم كاتقعد القاطع للسابلة ﴿ صراطك المستقيم ﴾ طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله • كاعسل الطريق الثعلب • وقيل تقديره على صراطك كقولهم

أن تكبر فيها • يعنى فليس لك أن تستكبر فى الجنة عن أمرى وطاعى لانه لا ينبغي أن يسكن فى الجنة أو فى السماء متكبر مخالف لامر الله عز وجل فاما غير الجنة والسماء فقد يسكنها المتكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون فى الارض • فأخرج انك من الصاغرين • يعنى انك من الاذلاء المهانين والصغار الذلل والمهانة قال الزجاج استكبرعدو الله ابليس فابتلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الارض فأخرجه الله تعالى منها الى جزائر البحر الاخضر وعرضه عليه فلا يدخل الارض الا خائفا كهئة السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروع فيها حتى يخرج منها • قال • يعنى قال ابليس عند ذلك ﴿ أنظرنى ﴾ يعنى آخرنى وأمهلنى فلا تمنى ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ يعنى من قبورهم وهى النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالت الخبيث ابليس لعنه الله لانه سأل ربه الامهال وقد علم انه لا سبيل لاحد من خلق الله تعالى الى البقاء فى الدنيا ولكنه كره أن يكون ذائقا للموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب الى ما سأل بل • قال • الله تعالى له ﴿ انك من المنظرين ﴾ يعنى من المؤخرين الممهلين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهلة فى سورة الحجر فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم • فان قلت فما وجه قوله انك من المنظرين وليس أحد ينظر سواه • قلت معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرون الى ذلك الوقت بأجالهم فهو منهم • قال • يعنى ابليس • فبما أغويتنى • يعنى فبأى شى أضللتنى ففعلى هذا تكون ما استفهامية وتم الكلام عند قوله اغويتنى ثم ابتدأ فقال ﴿ لا أقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ وقيل هى باء القسم تقديره فباغوائك ايمى وقيل

أنظرنى) (أجلىنى الى يوم يبعثون) من القبور (فاو خا ٦٧) (أراد الملعون أن لا يموت) (قال) الله له (انك من المنظرين) من المؤجلين الى نفخة الصور (قال) ابليس (فبما اغويتنى) فكما أضللتنى عن الهدى (لا أقعدن لهم) لبنى آدم (صراطك المستقيم) دين الاسلام

في المسجد الحرام فجاء رجل قدرى فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا الرجل قفيه فقال ابليس أفته منه قال رب بما أغويتى وهو يقول أنا أغوى نفسى ( ثم لا يتنهم من بين أيديهم ) أشكهم في الآخرة ( ومن خلفهم ) أرغبهم في الدنيا ( وعن أيانهم ) من قبل الحسنات ( وعن شمائلهم ) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعنى ثم لا يتنهم من الجهات الأربع التى يأتى منها المدو فى الأغلّب وعن شقيق ما من صباح الا قدلى الشيطان على أربعة مراصد من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ وانى لفغار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلقى فاقرأ وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وعن يمينى فإيتى من قبل التشاء فاقرأ

( ثم لا يتنهم من بين أيديهم ) من قبل الآخرة ان لاجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ( ومن خلفهم ) ان الدنيا لا تقنى وأمرهم بالجمع والمنع والنجل والفساد ( وعن أيانهم ) من قبل الدين فن كان على الهدى

ضرب زيد الظهر والبطن ﴿ ثم لا يتنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيانهم ﴾ أى من جميع الجهات الأربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من أى وجه يمكنه باتيان المدوم من الجهات الأربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس وعن ابن عباس رضى الله عنهما من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن أيانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدرّون على التعرّض عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرّون وعن أيانهم وعن شمائلهم من حيث تيسر لهم ان يعلموا ويحتزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفيل الى الاواين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمخرف عنهم

معناه فبما أوتعت فى قلبى الفى الذى كان سبب هبوطى الى الارض من السماء وأضلتنى عن الهدى لا قعدن لهم صراطك المستقيم يعنى لا جلسن على طريقك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصرط المستقيم الطريق الذى يسلكونه الى الجنة وذلك بأن أوسوس اليهم وأزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصرط المستقيم هنا طريق مكة يعنى يمنهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاول أولى لانه يعم الجميع ومعنى الآية لأردن بنى آدم عن عبادتك وطاعتك ولا غوينهم ولا أضلنهم كما أضلتنى ﴿ عن سبرة بن أبى الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم باطريقة قعد له فى طريق الاسلام فقال تسل وتذر دين أبائك وآباء أبائك فعضاه وأسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر أرضك وسمائك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس فى الطول فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتكبح المرأة وتقسيم المال فعصاه فجاهد قال فن فعل ذلك كان حقا على الله ان يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة أخرجه النسائى ﴿ قوله عز وجل اخبارا عن ابليس ﴿ ثم لا يتنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيانهم وعن شمائلهم ﴾ قال ابن عباس من بين أيديهم يعنى من قبل الآخرة فاشكهم فيها ومن خلفهم يعنى من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن أيانهم يشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشتمى لهم المعاصى وانما جعل الآخرة من بين أيديهم فى هذا القول لانهم منقلبون اليها وسأرون اليها فعلى هذا الاعتبار فى الدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عنه من بين أيديهم من قبل دنياهم يعنى زينها فى قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاقول لا بعث ولا نشورا ولا جنة ولا نار وعن أيانهم من قبل حسناتهم ﴿ عن شمائلهم من قبل سيئاتهم وانما جعل الدنيا من بين أيديهم فى هذا القول لان الانسان يسعى فيها ويشاهدها فهى حاضرة بين يديه

أشبهه عليه حتى يخرج منه ومن كان على الضلالة أزين له حتى يثبت عليها ( وعن شمائلهم ) من قبل ( والآخرة )

المر على عرضهم ونظيره قولهم جاست عن يمينه ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ مطيعين وانما قاله ظاهراً لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحداً وقيل سمعه من الملائكة ﴿ قال اخرج منها مذموماً ﴾

والآخرة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتبة من بين أيديهم يعني من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فابطهم عنها وعن إيمانهم يعني من قبل الحق فأصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة أنهم من بين أيديهم فأخبرهم انه لا يبعث ولا الجنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن إيمانهم من قبل حسناتهم فبطاهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم اليها أنا يا ابن آدم من كل وجه غير انه لم يأئك من فوقك فلم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يأتيهم من بين أيديهم وعن إيمانهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا من حيث يخطئون ويعلمون انهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون انهم يخطئون ولا يعلمون انهم يخطئون وقيل من بين أيديهم يعني فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني ماضى من أعمارهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية عن إيمانهم يعني من قبل الفنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفتر فلا يتمتعون فيه من محذور نالوه وقال شقيق البلخي مامن صباح الا ويأبى الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخب فان الله غفور رحيم فاقراً وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم أهتدى وامامن خلفي فيجوفني من وقوع أولادي في الفتر فاقراً وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وأمامن قبل يميني فيأبى من الثناء فاقراً والمعاقبة للمتقين وأمامن قبل شمالي فيأبى من قبل الشهوات فاقراً وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما أريد بها التأكيد والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لا يتنبه من جميع الوجوه الممكنة لجميع الاعتبارات وقوله ﴿ ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ يعني ولا تجد يارب أكثر بنى آدم شاكرين لك على نعمك التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه ولا تجد أكثرهم موحدين فأن قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد أكثرهم شاكرين فقلت قاله ظنا فأصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازماً على المبالغة في تزوين الشهوات وتحسين القبائح وعلم ميل بنى آدم الى ذلك فقتال هذه المقالة وقيل انه رآه مكتوباً في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله أعلم بمراده ﴿ قوله عز وجل ﴾ قال اخرج منها ﴿ أى قال الله تعالى لابليس حين طرده عن بابيه وأبعده عن جنبه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي ان يسكن فيها العصاة ﴿ مذموماً ﴾

والعاقبة للمتقين وعن شمالي فيأبى من قبل الشهوات فاقراً وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال في الاولين من لا ابتداء لغاية وفي الاخيرين عن لان عن تدل على الانحراف (ولا تجد أكثرهم شاكرين) مؤمنين قاله ظنا فأصاب لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه أو سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى ايهم (قال اخرج منها) من الجنة أو من السماء (مذموماً) معيياً من ذامه اذا ذمه والذام والذم العيب اللذات والشهوات (ولا تجد أكثرهم) كلهم (شاكرين) مؤمنين (قال اخرج منها) من صورة الملائكة (مذموماً)

( مدحورا ) مطرودا { الجزء الثامن } مبعدا من ﴿ ٥٣٢ ﴾ رحمة الله واللام في ( لمن تبعك منهم )

مذموما من ذامه اذاذمه \* وقرئ مذوما كسول في مسؤل أو ككول في مكيل من ذامه  
ينذمه ذمما ﴿ مدحورا ﴾ مطرودا ﴿ لمن تبعك منهم ﴾ اللام فيه لتوطئة القسم  
وجوابه ﴿ لا ملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ وهو سادسد جواب الشرط \* وقرئ  
لمن بكسر اللام على انه خبر لا ملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد أو علة لاخرج  
ولا ملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منكم ومنهم فغلب المخاطب ﴿ ويا آدم ﴾  
أى وقتلنا يا آدم ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة فكلما من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة ﴾  
وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذياوالهاء بدل من الياء ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾  
فتصير من الذين ظلوا أنفسهم وتكونا تحمل الجزم على العطف والنصب على الجواب  
﴿ فوسوس لهما الشيطان ﴾ أى فعل الوسوسة لاجلها وهى فى الاصل الصوت  
الخفى كالهيممة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى سورة البقرة كيفية وسوسته

يعنى معييا والذام أشد العيب ﴿ مدحورا ﴾ يعنى مطرودا مبعودا. وقل ابن عباس  
رضى الله عنهما صغيرا محموتا وقال قتادة لعينا مقينا وقال الكلبى ما لوما مقصيا من الجنة ومن  
كل خير ﴿ لمن تبعك منهم ﴾ يعنى من بنى آدم ﴿ لا ملأن جهنم منكم أجمعين ﴾  
اللام لام القسم أقسم الله تعالى ان من تبع ابليس من بنى آدم وأطاعه منهم ان يعلأ  
جهنم منه ومن كفر من بنى آدم وابليس وذريته ومن تبعه منهم ﴿ قوله عز وجل  
﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ أى وقتلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة  
وذلك بعد ان أهبط منها ابليس وأخرجه وطرده من الجنة ﴿ فكلما من حيث شئتما ﴾  
يعنى فكلما من ثمار الجنة من أى مكان شئتما فأن قلت قال فى سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا  
فكلما بالفاء فما الفرق قلت قال الامام فخر الدين الرازى ان الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد  
الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة  
بين النوع والجنس فى سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة  
فتكونا من الظالمين ﴾ تقدم فى سورة البقرة الكلام على تفسير هذه الآية مستوفى  
﴿ قوله عز وجل ﴿ فوسوس لهما الشيطان ﴾ يعنى فوسوس اليهما والوسوسة حديث يلقيه  
الشيطان فى قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا مكررا وأصله من صوت الحلى  
ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة وألقاها اليهما فان قلت كيف وسوس اليهما  
وآدم وحواء فى الجنة وابليس قد أخرج منها قلت ذكر الامام فخر الدين الرازى  
فى الجواب عن هذا السؤال عن الحسن انه قال كان يوسوس فى الارض الى السماء  
الى الجنة بالقوة القوية التى جعلها الله تعالى له وقال أبو مسلم الاصهاني بل كان آدم  
وابليس فى الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذى يقوله بعض الناس  
من أن ابليس دخل فى جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصة مشهورة ركيكة وقال  
آخرون ان آدم وحواء ربما قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة  
على بابها فقرب احدهما من الآخر فحصلت الوسوسة هناك فأن قلت ان آدم عليه الصلاة

موظئة للقسم وجوابه  
( لا ملأن جهنم ) وهو  
سادسد جواب الشرط  
( منكم ) منك ومنهم  
فغلب ضمير المخاطب ( أجمعين  
ويا آدم ) وقتلنا يا آدم بعد  
اخراج ابليس من الجنة  
( اسكن أنت وزوجك  
الجنة ) اتخذها مسكنا  
( فكلما من حيث شئتما  
ولا تقربا هذه الشجرة  
فتكونا ) فتصيرا ( من الظالمين  
فوسوس لهما الشيطان )  
وسوس اذا تكلم كلاما  
خفيا يكره وهو غير  
متشد ورجل موسوس  
بكسر الواو ولا يقال  
موسوس بالفتح ولكن  
موسوس له وموسوس  
اليه وهو الذى يلتقى اليه  
الوسوسة ومعنى وسوس

ملوما (مدحورا) مقصى  
بميدا من كل خير ( لمن  
تبعك ) إطاعك ( منهم )  
من الجن والانس ( لا ملأن  
جهنم منكم ) من الكفار  
الجن والانس ( أجمعين  
ويا آدم اسكن ) انزل  
( أنت وزوجك ) حواء  
( الجنة فكلما ) من الجنة  
( من حيث شئتما ) ومتى  
شئتما ( ولا تقربا هذه  
الشجرة ) لا تأكلا من  
هذه الشجرة شجرة العلم

( فتكونا من الظالمين ) فتصيرا من الضارين لانفسكما ( فوسوس لهما الشيطان ) ابليس ( والسلام )

له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه ألقاها اليه (ليدي لهما ماووري عنهما من سوآتهما) ليكشف لهما ماستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على أن كشف العورة من عظام الامور وأنه لم يزل مستقبحا في الطباع والعقول فان قلت ماللواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة ﴿ ٥٣٣ ﴾ كما في أو يصل { سورة الاعرف } تصغير واصل وأصله

وو يصل فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين قلت لان الثانية مدة كالف وارى فكما لم يجب همزها في واعد لم يجب في ووري وهذا لان الواوين اذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل ما لا يكون فيهما اذا كانت الثانية ساكنة وهذا مدرك بالضرورة فالترمو ابدا لها في موضع الثقل لافي غيره وقرأ عبد الله ووري بالقلب ( وقال مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين ) الا كراهة ان تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء وقرى ملكين لقوله وملك لا يبلى (أو تكونا من الخالدين ) من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة

بأكل الشجرة (ليدي لهما) ليظهر لهما ( ماووري عنهما ) ما غطى عنهما بلباس النور (من سوآتهما من عوراتهما ) ( وقال ) لهما ابليس ( مانها كما

﴿ ليدي لهما ﴾ ليظهر لهما واللام للعاقبة أو للفرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتها ولذلك عبر عنها بالسوء وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ﴿ ماووري عنهما من سوآتهما ﴾ ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلت في أو يصل تصغير واصل لان الثانية مدة \* وقرى سوآتهما بخذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبيها واو اودغام الواو الساكنة فيها ﴿ وقال مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ﴾ الا كراهة ان تكونا ﴿ ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ الذين لا يموتون أو يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجوابه أنه كان من المعلوم أن الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أيضا بالملائكة من الكمالات والسلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله \* قلت يحتمل أن يقال ان ابليس لقي آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها رجاء نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكم ما لمن الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه أثر كلام ابليس في آدم حتى أكل من الشجرة ﴿ ليدي لهما ماووري عنهما من سوآتهما ﴾ يعني ليظهر لهما ما غطى وستر من عورتها وقوله ماووري مأخوذ من المواورة وهي الستر يقال واريتها بمعنى سترته والسوأة فرج الرجل والمرأة سمي بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الآية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليدي لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتها وانما كان حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة أمرهما ان بدت عورتها ﴿ وقال ﴾ يعني وقال ابليس لا دم وحواء ﴿ مانها كما ربكما عن هذه الشجرة ﴾ يعني عن الأكل من هذه الشجرة ﴿ الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ يعني انما كما عن هذه الشجرة لكي لا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر أو تكونا من الباقين الذين لا يموتون وانما أطعم ابليس آدم بهذه الآية لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف لذلك آدم واحب أن يعيش مع الملائكة لطول أعمارهم أو يكون مع الخالدين الذين لا يموتون أبدا \* فان قلت ظاهرا الآية يدل على ان الملك أفضل من الانبياء لان آدم عليه الصلاة والسلام طلب أن يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه \* قلت ليس في ظاهر الآية ما يدل على ذلك لان آدم عليه الصلاة والسلام لما طلب أن يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل أن يتشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة آدم عليه الصلاة والسلام فطلب أن يكون من الملائكة أو من الخالدين وعلى تقدير أن تكون هذه الواقعة في زمان النبوة

ربكما ) يا آدم ويا حواء ( عن هذه الشجرة ) عن أكل هذه الشجرة ( الا أن تكونا ) تصيرا ( ملكين ) تعلمان الخير والشر في الجنة ( أو تكونا ) تصيرا ( من الخالدين ) في الجنة فلذلك منعكما عن اكل

ساكنين ( وقاسمهما ) وأقسم لهما ( اني لكما لمن الناصحين ) وأخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه لما كان منه القسم ومنها التصديق فكانها من اثنين { الجزء الثامن } ( فداهما ) فنزلهما ﴿ ٥٣٤ ﴾ الى الاكل من الشجرة ( بفرور ) بما

الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا ﴿ وقاسمهما ﴾ اني لكما لمن الناصحين ﴿ أى أقسم لهما على ذلك وأخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل أقسمه بالقبول وقيل أقسم عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة ﴿ فداهما ﴾ فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبهه على أنه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من أعلى الى أسفل ﴿ بفرور ﴾ بما غرهما به من القسم فانها ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا أو ملتبسين بفرور ﴿ فلماذا اقا الشجرة ﴾ بدت لهما سوآتتهما ﴿ أى فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهاقت عنهما لباسهما وظهرت لهما عورتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما وان اللباس كان نورا

غريهما به من القسم بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا له ( فلماذا اقا الشجرة ) وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وهى السنبلة أو الكرم ( بدت لهما سوآتتهما ) ظهرت لهما عورتهما لتهاقت اللباس عنهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وقيل كان لباسهما من جنس الاظفار أى كالظفر بيضا في غاية اللطف واللين فبق عند الاظفار تذكيرا للنعم

بعد ان شرف بها آدم انما طلب أن يكون من الملائكة لطول أعمارهم لانهم أفضل منه حتى يلتحق بهم في الفضل لانه طلب اما أن يكون من الملائكة لطول أعمارهم أو من الخالدين الذين لا يموتون ابدا ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وقاسمهما ﴾ أى وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التى تختص بالواحد ﴿ اني لكما لمن الناصحين ﴾ قال قتادة حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقَالَ اني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعانى أرشدكما وقال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له ﴿ فداهما بفرور ﴾ يعنى فخدعهما بفرور يقال ما زال فلان يدلى فلانا بفرور يعنى ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول الباطل قال الازهرى وأصله ان الرجل العطشان يتدلى في البئر يأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والفرور اظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لا يكون الا من علو الى أسفل ومعنى الآية ان ابليس لعنه الله تعالى غر آدم باليمين الكاذبة وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن ان أحدا لا يحلف بالله كاذبا وابلليس أول من حلف بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن آدم انه صادق فاعتبره ﴿ فلماذا اقا الشجرة ﴾ يعنى طعما من ثمرة الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا اليسير من ذلك قصدا الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الأكل اليسير ﴿ بدت لهما سوآتتهما ﴾ يعنى ظهرت لهما عورتهما قال ابن عباس رضى الله عنهما قيل ان ازردا أخذتهما العقوبة والعقوبة أن ظهرت وبدت لهما سوآتتهما وتهاقت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما وورى عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتتهما وقال قتادة كان لباس آدم في الجنة ظفرا كله فلما وقع في الذنب قشط عنه وبدت سوأته

الشجرة ( وقاسمهما ) حلف لهما ( اني لكما لمن الناصحين ) فى حلفي لكما انها شجرة الخلد ( فداهما ) الى اكل الشجرة ( بفرور ) باطل وكذب حتى أكلها ( فلماذا اقا الشجرة ) فلما أكل من الشجرة ( بدت لهما ) ظهرت لهما ( سوآتتهما ) عورتهما

( قوله وأخرجه على زنة المفاعلة الخ ) لما كان القسم من جانب واحد والمفاعلة تقتضى صدوره من الجانبين قيل انه بمعنى أقسم وانما

عبر بالمفاعلة للمبالغة لان من يبارى أحدا في فعل يجديه فاستعمل في لازمه وأنه وقع من الجانبين ( وطفقا ) ولكنه اختلف متعلقه فهو أقسم على النصح وهما على القبول اه كفاية

وتجديد اللندم ( وطفقا ) وجملا يقال ﴿ ٥٣٥ ﴾ طفق ينفل { سورة الاعرف } كذا أى جعل ( يخصفان

عليهما من ورق الجنة ) يجعلان على عورتها من ورق التين أو الموز ورقة فوق ورقة ليسترا بها كما تخصف النعل ( وناداهما ربها ألم ) ( وأهلكما عن تلكما الشجرة )

هذا عتاب من الله وتنبه على الخطأ وروى أنه قل لآدم عليه السلام ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ما ظننت ان أحدا يحلف

بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك الى الارض ثم لاتنال العيش الا بكدين وعرق جبين فاهبط و علم صنعة الحديد وأمر بالحرف فحرف وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وطحن وخبز ( وأفل لكما ان الشيطان لكما عدومين قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا

( وطفقا ) عهدا من الاستحياء ( يخصفان عليهما ) يلزقان على عورتها ( من ورق الجنة ) من ورق التين ( وناداهما ربها ) يا آدم ( ألم ) أهلكما عن تلكما الشجرة ( وأفل اكل هذه الشجرة )

لكما ان الشيطان ( ابليس ) لكما عدومين ( ظاهر العداوة ) ( قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا ) ضررنا أنفسنا بعصيتنا ( وان لم تغفر لنا )

أوحلة أو ظفرا ﴿ وطفقا يخصفان ﴾ اخذا يرقمان ويلزقان ورقة فوق ورقة ﴿ عليهما من ورق الجنة ﴾ قيل كان ورق التين \* وقرى يخصفان من اخصف أى يخصفان أنفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان وأصله يخصفان ﴿ وناداهما ربها ألم أنهلكما عن تلكما الشجرة وأفل لكما ان الشيطان لكما عدومين ﴾ عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاعتزاز بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحریم ﴿ قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا ﴾ أضررناها بالمصيبة والتعريض للإخراج من الجنة ﴿ وان لم تغفر لنا

﴿ وطفقا ﴾ يعنى وأقربا وجملا ﴿ يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ يعنى انهما لما بدت لهما سواتهما جملا يرقمان ويلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وقل الزجاج جملا ورقة على ورقة ليسترا سواتهما وفى الآية دليل عن ان كشف العورة من ابن آدم قبيح ألا ترى أنهما بادرا الى ستر العورة لما تقرر فى عقولهما من قبيح كشفها ﴿ روى أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم صلى الله عليه وسلم رجلا طويلا كأنه نخلة سمحوق كثير شعر الرأس فلما وقع فى الخطيئة بدت له سواته وكان لا يراها فى الجنة فانطلق فارفضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسليني قالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أمنى تفر قال لا يارب ولكنى استحييتك ذكره البغوى بغير سند وأسنده الطبرى من طريقين موقوفا ومرفوعا ﴿ قوله عز وجل ﴾ وناداهما ربها ألم أنهلكما عن تلكما الشجرة ﴿ يعنى ان الله تعالى نادى آدم وحواء وخاطبهما فقال ألم أنهلكما عن أكل ثمرة هذه الشجرة ﴿ وأفل لكما ان الشيطان لكما عدومين ﴾ يعنى ألم أعلمكما أن الشيطان قد بانث عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها قال حواء أمرتني قال فانى أعقبتهما ان لا تحمل الاكرها ولا تضع الاكرها قال فرنت حواء عند ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك قال أطمعنى حواء فقال لحواء لم أطمعته قالت أمرتني الحية فقال للحية لم أمرتها قالت أسرنى ابليس قال الله تعالى أما أنت يا حواء فكما أدमित الشجرة تدمين كل شهروا أما أنت يا حية فاقطع رجلك فتمشين على وجهك وسيشده رأسك من لقيك وأما أنت يا ابليس فلعون مطرود مدحور يعنى عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا آدم أما خلقتك بيدي أما نفخت فيك من روحى أما أسجدت لك ملائكتى أما أسكنتك جنتى فى جوارى ﴿ قوله عز وجل ﴾ قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا ﴿ وهذا خبر من الله عز وجل عن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء عليها السلام واعترافهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالوا ياربنا انافعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بمخالفة أمرك وظاعة عدونا وعدوك مالم يكن لنا ان نطيعه فيه من أكل الشجرة التى نهيتنا عن أكلها ﴿ وان لم تغفر لنا ﴾ يعنى وأنت ياربنا ان لم تستر علينا ذنوبنا



وترجنا لنكون من { الجزء الثامن { الخاسرين ) فيه ﴿ ٥٣٦ ﴾ دليل لنا على المعتزلة لان الصفاة

وترجنا لنكون من الخاسرين ﴿ دليل على أن الصفاة معاقب عليها ان لم تقفر  
وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباة ولذلك قالوا انا قالا ذلك  
على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقاق العظيم من الحسنات ﴿ قال  
اهبطوا ﴿ الخطاب لآدم وحواء وذريتهما ولهما وابليلس كرر الامر له تبعا ليعلم أنهم  
قرناء ابدا أو أخير عما قال لهم متفرقا ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴿ في موقع الحال أي  
متعادين ﴿ ولكم في الارض مستقر ﴿ استقرار أو موضع استقرار ﴿ ومتاع ﴿ وتمتع  
﴿ الى حين ﴿ الى تقضى آجالكم

﴿ وترجنا ﴿ يعنى وتفضل علينا برحمتك ﴿ لنكون من الخاسرين ﴿ يعنى من  
الهالكين قال قتادة قال آدم يارب أرأيت ان تبث اليك واستغفرتك قال اذا أدخلك  
الجنة وأما ابليس فلم يسأله التوبة وسأله ان ينظره فاعطى كل واحد منهما ماسأل  
وقال الضحاك في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه الصلاة  
والسلام من ربه عز وجل

### فصل

وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وأجيب  
عنه بان درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما حجلهم  
على الخوف منه والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بامور  
صدرت منهم على سبيل التواويل والسهو وفهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهي  
ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم وسيات بالنسبة الى كمال طاعتهم لأنها ذنوب كذنوب  
غيرهم ومعاصي كمعاصي غيرهم فكان ماصدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة  
بواطنهم بالوحي السماوي والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله  
عز وجل ذنوبا وهي حسنات بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيات  
المقربين يعنى انهم يرونها بالنسبة الى أحوالهم كالسيات وهي حسنات لغيرهم  
وقد تقدم في صورة البقرة ان أكل آدم من الشجرة هل كان قبل النبوة أو بعدها  
والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴿ قال اهبطوا ﴿ قال  
الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ان الذى تقدم ذكره هو آدم وحواء وابليلس  
فقوله اهبطوا يجب أن يتناول هؤلاء الثلاثة وقال الطبرى قال الله تعالى لآدم وحواء  
وابليس والحية اهبطوا يعنى من السماء الى الارض قال السدى رحمه الله قوله تعالى  
اهبطوا يعنى الى الارض آدم وحواء وابليلس والحية ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴿ يعنى  
ان العداوة ثابتة بين آدم وابليلس والحية وذرية كل واحد من آدم وابليلس ﴿ ولكم  
في الارض مستقر ﴿ يعنى موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس رضى الله تعالى  
عنهما في قوله تعالى ولكم في الارض مستقر يعنى القبور ﴿ ومتاع الى حين ﴿ يعنى  
ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا أو الى انقضاء آجالكم ومعنى الآية ان الله

عندهم مغفورة ( قال  
اهبطوا ) الخطاب لآدم  
وحواء بلفظ الجمع لان  
ابليس هبط من قبل ويحتمل  
انه هبط الى السماء ثم هبطوا  
جميعا الى الارض ( بعضكم  
لبعض عدو ) في موضع  
الحال أي متعادين يعاديهما  
ابليس ويعاديانه ( ولكم في  
الارض مستقر ) استقرار  
أو موضع استقرار ( ومتاع )  
وانتفاع بعيش ( الى حين )  
الى انقضاء آجالكم وعن  
ثابت البناني لما هبط آدم  
عليه السلام وحضرته  
الوفاة وأخاطت به الملائكة  
فجملت حواء تدور حولهم  
فقال لها خلى ملائكة  
ربى فانما أصابني ما أصابني  
فيك فلما توفى غسلته  
الملائكة بماء وسدر  
وتراوحنطة وكففته في  
وتر من الثياب وحفر واله  
قبره ودفنوه بسرديب بارض  
الهند وقالوا لبيته هذه  
سنتكم بعده

تجاوز عنا ( وترجنا )  
فلا تعذبنا ( لنكون من  
الخاسرين ) لنصيرن  
من المنبؤنين بالعقوبة ( قال  
اهبطوا ) انزلوا من الجنة  
( بعضكم لبعض عدو )  
يعنى آدم وحواء والحية

والطاوس ( ولكم في الارض مستقر ) مأوى ومنزل ( ومتاع ) معاش ( الى حين ) حين الموت ( عز )

﴿ قال فيها نحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ للجزءاء وقرأ جزءة والكسائي وابن ذكوان ومنها تخرجون وفي الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء ﴿ يابى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ﴾ أى خلقنا لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام وقوله تعالى وأنزلنا الحديد ﴿ وبارى سوءاتكم ﴾ التى قصد الشيطان ابداءها وبغيتكم عن خصص الورق روى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عمرة ويقولون لانطوف فى ثياب عبد الله نهبنا نزلت ولله ذكر قصة آدم تقدمه لذلك حتى يعلم انكشاف العورة أول سوء أصاب الانسان من الشيطان وأنه اغواهم فى ذلك كما اغوى أبويهم ﴿ وريشا ﴾ ولباسا تجملون به والريش الجمال وقيل مالاومته تريش الرجل اذا

عز وجل أخبر آدم وحواء وابليس والحية انه اذا أهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو وان لهم فى الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالكم ثم يستقرون فى قبورهم الى انقطاع الدنيا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى ومتاع الى حين يعنى الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا ﴿ قال فيها نحيون ﴾ يعنى قال الله عز وجل لآدم وذريته وابليس وأولاده فيها نحيون يعنى فى الارض تمشون أيام حياتكم ﴿ وفيها تموتون ﴾ يعنى وفى الارض تكون وفاتكم وموضع قبوركم ﴿ ومنها تخرجون ﴾ يعنى ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل ﴾ يابى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم ﴿ اعلم ان الله عز وجل لما أمر آدم وحواء بالهبوط الى الارض رجلاهما مستقر اللهم انزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما نزل عليهم اللباس الذى يحتاج اليه فى الدين والدنيا فاما منفته فى الدين فانه يستر العورة وسترها شرط فى صحة الصلاة واما منفته فى الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان أنزل عليهم لباسا يوارى سوءاتهم فقال تعالى يابى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم يعنى لباسا تسترون به عورتكم . فان قلت ما معنى قوله قد أنزلنا عليكم لباسا قلت ذكر العلماء فيه وجوها أحدها انه بمعنى خلق أى خلقنا لكم لباسا أو بمعنى رزقناكم لباسا الوجه الثانى ان الله تعالى أنزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فكله أنزله عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال تعالى وأنزلنا الحديد ﴿ وريشا ﴾ الريش لاطار معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينته والمعنى وأنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوءاتكم ولباسا لزينتكم لان التزين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوا وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا فى معنى الريش المذكور فى الآية فقال ابن عباس رضى الله عنهما وريشا يعنى مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدى لان المال مما يتزين به ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة أيضا وقيل

( قال فيها نحيون )  
فى الارض ( وفيها تموتون )  
ومنها تخرجون  
للثواب والعقاب تخرجون  
جزءة وعلى ( يابى آدم  
قد أنزلنا عليكم لباسا )  
جعل ما فى الارض منزلا  
من السماء لان أصله من  
الماء وهو منها ( يوارى  
سوءاتكم ) يستر عورتكم  
( وريشا ) لباس الزينة  
استعير من ريش الطير لانه  
لباسه وزينته أى أنزلنا  
عليكم لباسين لباسا يوارى  
سوءاتكم ولباسا يزينكم

( قال فيها ) فى الارض ( نحيون )  
تعيشون ( وفيها ) فى الارض  
( تموتون ومنها ) من الارض  
( تخرجون ) يوم القيامة  
( يابى آدم ) قد أنزلنا  
عليكم خلقنا لكم وأعطيناكم  
( لباسا ) يعنى ثياب القطن  
وغيره من الصوف والشعر  
( يوارى ) يغطى ( سوءاتكم )  
عورتكم من العرى ( وريشا )  
مالا ومتاعا يعنى الآليات

(ولباس التقوى) ولباس الورع الذي بقى العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي (ذلك خير) كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لان أسماء الإشارة {الجزء ١١١} تقرب من الضمائر ﴿٥٣٨﴾ فيميرجع الى عودالذكر أوذلك

صفة للمبتدأ وخير خبر  
المبتدأ كأنه قيل ولباس  
التقوى المشار اليه خير  
أولباس التقوى خير مبتدأ  
مخذوف أي وهو لباس  
التقوى أي ستر العورة  
لباس المتقين ثم قال ذلك  
خير وقيل ولباس أهل  
التقوى من الصوف  
والخشن ولباس التقوى  
مدني وشامي وعلى عطفاً  
على لباس أي وأنزلنا عليكم  
لباس التقوى (ذلك من  
آيات الله) الدالة على فضله  
ورجته على عباده يعني  
انزال اللباس (لعلهم  
يذكرون) فيعرفوا عظيم  
النعمة فيه وهذه الاشياء  
واردة على سبيل الاستطراد  
عقب ذكر بدو السوات  
وخصف الورق عليها  
اظهار اللمنة فيما خلق  
من اللباس ولما في العري  
من الفضيحة واشعارا بان  
الستر من التقوى (يا بني  
آدم لا يفتنكم الشيطان  
كما أخرج أبويكم من الجنة)  
لا يخذ عنكم ولا يضلنكم  
بان لا تدخلوا الجنة كما  
(ولباس التقوى) لباس  
التوحيد والعفة (ذلك)  
يعني لباس العفة (خير)

تمول \* وقرى ريشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ﴿ولباس التقوى﴾ خشية الله  
وقيل الايمان وقيل السميت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعها بالبنداء وخبره ﴿ذلك خير﴾  
أو خير وذلك صفة كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير \* وقرأ نافع وابن عامر والكسائي  
ولباس التقوى بالانصب عطف على لباسا ﴿ذلك﴾ أي أنزال اللباس ﴿من آيات الله﴾  
الدالة على فضله ورجته ﴿لعلهم يذكرون﴾ فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون  
عن القبايح ﴿يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان﴾ لا يمتحنكم بان يمتحنكم دخول الجنة  
باغوائكم ﴿كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ كما نحن أبويكم بان أخرجهما منها والنهي

ان الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس أو يفرش والريش  
أيضا المتاع والأموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال يقال  
انه لحسن الريش أي لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل أيضا في الخصب  
ورفاهية العيش ﴿ولباس التقوى﴾ اختلف العلماء في معناه فمنهم من حمله على نفس  
الملبوس وحقيقته ومنهم من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا أيضا  
في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول وانما أعاده اخبارا أن ستر  
العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما أعاده لاجل ان يخبر عنه بأنه خير لان العرب  
في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتمرى وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة  
في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي رحمه الله تعالى لباس التقوى  
آلات الحرب التي يتقى بها في الحروب كالدرع والمنفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى  
هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها أهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة  
في الصلاة وأما من جل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي  
لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقى به من النار وقال ابن عباس رضي الله عنهما  
لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن رضي الله عنه هو الحياء لانه يبحث على التقوى وقال  
عثمان بن عفان رضي الله عنه لباس التقوى هو السميت الحسن وقال عروة بن الزبير  
رضي الله عنه لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي هو العقاب فعلى هذه الاقوال ان لباس  
التقوى خير لصاحبه اذا أخذ به مما خلق الله له من لباس الجمال والزينة وأنشدوا في المعنى  
﴿ذلك خير﴾ يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وأنشدوا في المعنى

اذا أنت لم تلبس ثيابا من التقى عريت وان وارى القميص قميص

﴿قوله عز وجل﴾ ذلك من آيات الله ﴿يعني انزال اللباس عليكم يا بني آدم من آيات الله  
الدالة على معرفته وتوحيده﴾ لعلهم يذكرون ﴿يعني لعلهم يذكرون نعمته عليهم  
فيشكرونها﴾ قوله عز وجل ﴿يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم  
من الجنة﴾ قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخذ عنكم

من لباس القطن (ذلك) يعني لباس القطن (من آيات الله) من عجائب الله (لعلهم يذكرون) لكي يتعظوا (بغروره)  
(يا بني آدم لا يفتنكم) لا يستزلنكم (الشيطان) ابليس عن طاعتي (كما أخرج) استنزل (أبويكم) آدم وحواء (من الجنة)

فتن أبويكم بأن أخرجهما منها (ينزع ﴿ ٥٣٩ ﴾ عنهما لباسهما) { سورة الاعراف } حال أى أخرجهما نازعا

لباسهما بان كان سيباقى ان نزع عنهما والنهى فى الظاهر للشيطان وفى المعنى لبني آدم أى لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم (ليريهما سوآتهما) عوراتهما (انه) الضمير للشأن والحديث (يراكم هو) تليل للنهى وتحذير من فتنه بانه بمنزلة العدو المداحي بكيدكم من حيث لا تشعرون (وقيله) وذريته أو جنوده من الشياطين وهو عطف على الضمير فى يراكم المؤكد هو ولم يعطف عليه لان معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وانما يعطف على ما هو معمول الفعل (من حيث لاترونهم) قال ذوالنون ان كان هو يراك من حيث لاتراه فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار

ينزع عنهما) يخلع عنهما (لباسهما) لباس النور (ليريهما) ليظهر لهما (سوآتهما) عوراتهما (انه) يعنى ابليس (يراكم هو وقيله) جنوده (من حيث لاترونهم) لان صدوركم مسكنهم

فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيم عن أتباعه والافتتان به ﴿ ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾ حال من أبويكم أو من فاعل اخرج وأسناد النزاع اليه للتسبب ﴿ انه يراكم هو وقيله من حيث لاترونهم ﴾ تليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنه وقيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لاتراه فى الجملة لاتقتضى امتناع رؤيتهم ومثلهم

بغروره ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم فى الطواف وانما ذكر قصة آدم هنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك أولاد آدم فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة يعنى آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام والمعنى ان من قدر على اخراج أبويكم من الجنة بسوسه وشدة عداوته فبان يقدر على فتننكم بطريق الاولى فحذر الله عز وجل بنى آدم وأمرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبايح وتحسينه الافعال الرذيلة فى قلوب بنى آدم فهذه فتنه التى نهى الله تعالى عباده عنها وحذرهم منها ﴿ قوله عز وجل ﴾ ينزع عنهما لباسهما ﴿ انما أضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاستداليه واختلفوا فى اللباس الذى نزع عنهما فقال ابن عباس رضى الله عنهما كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه رحمة الله تعالى كان لباس آدم وحواء نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفى رواية عنه التقوى وقيل ان لباسهما من شياى الجنة وهذا القول أقرب لان اطلاق اللباس ينصرف اليه ولان النزاع لا يكون الا بعد اللبس ﴿ ليريهما سوآتهما ﴾ يعنى ليرى آدم عورة حواء ويرى حواء عورة آدم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوأة بعض ﴿ انه يراكم هو وقيله ﴾ يعنى ان ابليس يراكم يا بنى آدم هو وقيله انما أعاد الكناية فى قوله هو ليحسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهى الجماعة المجتمعة التى يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من جن أو انس قبيل ومعنى يراكم هو وقيله أى من هو من نسله وحكى أبو عبيد عن أبى يزيد القبيل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى والجمع قبل والقبيلة بنو أب واحد وقال الطبرى قبيله يعنى صفه وجيله الذى هو منهم وهو واحد يجمع على قبل وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن زيد قبيله نسله وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو ولده ﴿ قوله عز وجل ﴾ من حيث لاترونهم ﴿ يعنى أنتم يا بنى آدم قال العلماء رحيم الله ان الله تعالى خلق فى عيون الجن ادرا كايرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق فى عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه فى ان الانس لا يرون الجن رقة أجسام الجن ولطافتها والوجه فى رؤية الجن للانس كشافة أجسام الانس والوجه فى رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع أبصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل فى أبصارنا هذه القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدى وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم

( انا جعلنا الشياطين أولياء للذين { الجزء الثامن } لا يؤمنون ) فيا ﴿ ٥٤٠ ﴾ دلالة خالق الافعال ( واذا فاعوا فاحشة ) ما يبلغ

لنا انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴿ بما أوجدنا بينهم من التناسب أو برسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم ورحمتهم على ما سألوا الوهم والآية مقصود القصة وكذلك الحكاية ﴿ واذا فاعلوا فاحشة ﴾ فإلهة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف ﴿ قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾ اعتذروا واحتجوا بأبائهم تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه وتعالى فعرض عن الاول لظهور فسادهم ورد الثاني بقوله ﴿ قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ لان عادته سبحانه وتعالى جرت على الامر بحسن الافعال والحث على مكارم الحاصل ولادلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الدم عليه عاجلا والوقاب آجلا عقى فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا لسؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فاعلوا هلم فاعلمتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقليل ومن أين أخذ آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمتنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا ﴿ أتقواون على الله ما لا تعلمون ﴾ انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله سبحانه وتعالى ﴿ قل أمر ربي بالقسط ﴾

قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وجمعت صدور بني آدم مساكن لهم الامن عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم وقل مجاهد قل ابليس جعل لنا أربعة نرى وولانرى ونخرج من تحت الثرى ويمود شيخنا في وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤمنة الامن عصمه الله تعالى ﴿ انا جعلنا الشياطين أولياء ﴾ يعنى أعوانا وقرناء ﴿ للذين لا يؤمنون ﴾ قال الزجاج يعنى سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا فاعلوا فاحشة ﴿ قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد هى طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاء هى الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصى والكبائر فيمكن جهاها على الاطلاق وان كان السبب خصوصا ماورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التى كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهى فى نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما أخبر الله عنهم وهو قوله عز وجل ﴿ قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾ فذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل آباؤنا وهذا التقليد باطل لانه لا أصل له والمذنب الثاني قولهم والله أمرنا بها وهذا العذر أيضا باطل وقد أجاب الله تعالى عنه بقوله ﴿ قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ والمعنى ان هذه الافعال التى كان اهل الجاهلية يفعلونها هى فى نفسها قبيحة منكرة فكيف يأمر الله تعالى بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم ﴿ أتقواون على الله ما لا تعلمون ﴾ يعنى انكم ما سمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا أخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده فى تبليغ أوامره ونواهيه وأحكامه لانكم تتكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل أمر ربي بالقسط ﴿ أى قل يا محمد لولا ان الله

فى قبحه من الذنوب وهو طوافهم بالبيت عراة وشركهم ﴿ قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ﴾ أى اذ فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقدموا بهم وبان الله أمرهم بان يفعلوها حيث أقرنا عليها اذ لو كررها لنقلنا عنها وهما باطلان لان أحدهما تقليد للجهال والثاني افتراء على ذى الجلال

( قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ) اذا المأمورية لا بد أن يكون حسنا وان كان فيه على مراتب على ما عرف فى أصول الفقه ( أتقولون على الله ما لا تعلمون ) استفهام انكار وتوبيخ ( قل أمر ربي بالقسط ) بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يأمر بالفحشاء

( انا جعلنا الشياطين أولياء ) أعوانا ( للذين لا يؤمنون ) بمحمد عليه السلام والقرآن ( واذا فعلوا فاحشة ) حرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ( قالوا وجدنا عليها ) على تحريمها ( آباؤنا ) وأجدادنا ( والله أمرنا بها ) بتحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ( قل ) يا محمد ( ان الله لا يأمر بالفحشاء ) بالمعاصى وتحريم الحرث والانعام

( أتقولون ) بل تقولون ( على الله ما لا تعلمون ) ذلك ( قل ) يا محمد ( أمر ربي بالقسط ) بالتوحيد ( يقولون )

بالعدل وهو الوسط من كل أمرى المتجافى عن طرفى الإفراط والتفريط ﴿ وأقيموا  
وجوهكم ﴾ وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها أو أقيموا نحو القبلة  
﴿ عند كل مسجد ﴾ فى كل وقت سجد أو مكانه وهو الصلاة أو فى أى مسجد حضرتم  
الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم ﴿ وادعوه ﴾ وابدوه ﴿ مخلصين  
له الدين ﴾ أى الطاعة فان اليه صيركم ﴿ كأبداً ﴾ كما أنشأكم ابتداء ﴿ تعودون ﴾  
بإعادته فيجازيكم على أعمالكم فإخلصوا له العبادة وإنما شبه الإعادة بالابتداء تقريراً  
لامكانها والقدرة عليها وقيل كأبداً كم من التراب تعودون اليه وقيل كأبداً كم حفاة  
عراة غير لا تعودون وقيل كأبداً كم مؤمناً وكافراً يعيدكم

(وأقيموا وجوهكم عند  
كل مسجد) وقيل أقيموا  
وجوهكم أى اقتصدوا  
عبادته مستقيمين إليها غير  
عادلين إلى غيرها فى كل وقت  
سجد أو فى كل مكان  
سجد (وادعوه) وابدوه  
(مخلصين له الدين) أى  
الطاعة مبتغين بها وجهه  
خالصاً (كأبداً كم تعودون)  
كأنشأكم ابتداء يعيدكم  
أحسب عليهم فى إنكارهم  
الإعادة بابتداء الخلق والمعنى  
انه يعيدكم فيجازيكم على  
أعمالكم فإخلصوا له العبادة  
بلا اله الا الله (وأقيموا  
وجوهكم) واستقبلوا  
بوجوهكم (عند كل مسجد)  
عند كل صلاة (وادعوه)  
واعبدوه (مخلصين له الدين)  
مخلصين له بالعبادة والتوحيد  
(كأبداً كم) يوم الميثاق  
سعيداً وشقيعاً رافياً ومنكراً  
مصدقاً ومكذباً (تعودون)  
الى ذلك

يقولون على الله ما لا يعلمون أمر ربى بالقسط يعنى بالعدل وهذا قول مجاهد والسدى  
وقال ابن عباس رضى الله عنهما بلا اله الا الله فالامر بالقسط فى هذه الآية يشتمل على  
معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله وانه واحد لا شريك له ﴿ وأقيموا وجوهكم  
عند كل مسجد ﴾ فان قلت قل أمر ربى بالقسط خبر وقوله وأقيموا وجوهكم عند  
كل مسجد أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فاما معناه قلت فيه اضمار وحذف  
تقديره قل أمر ربى بالقسط وقول وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال  
لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية فى قول مجاهد والسدى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم  
فى الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وأنتم عند المسجد فصلوا  
فيه ولا يقولن أحدكم أصلى فى مسجدى أو فى مسجد قومى وقيل معناه اجعلوا سجودكم  
لله خالصاً ﴿ وادعوه مخلصين له الدين ﴾ أى وابدوه مخلصين العبادة والطاعة  
والدعاء لله عز وجل لا تيرد ﴿ كأبداً كم تعودون ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما  
ان الله عز وجل بدأ خلق بنى آدم مؤمناً وكافراً كما قال تعالى هو الذى خلقكم فكنتم  
كافراً ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمناً وكافراً ووجه هذا القول  
قوله فى سياق الآية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له وبدل على صحة ذلك  
ماروى عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل  
عبد على مامات عليه أخرجه مسلم زاد البغوى فى روايته المؤمن على إيمانه والكافر على  
كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار الى ما ابتدئ عليه خلقه  
وان عمل بأعمال أهل السعادة كان ابليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة  
ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار إليها وان عمل بأعمال أهل الشقاوة كان السحرة كانوا  
يعلمون بعمل أهل الشقاوة ثم صاروا الى السعادة ويصح هذا القول ماروى عن أبى هريرة  
رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل  
بعمل أهل الجنة ثم يحتم له عمله بعمل أهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل  
أهل النار ثم يحتم له عمله بعمل أهل الجنة أخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد فى معنى الآية  
كأبداً كم فخلقكم فى الدنيا ولم تكونوا شيئاً فاحياكم ثم يعيدكم كذلك تعودون أحياء

❦ فريقا هدى ❦ بان وفقهم للايمان ❦ وفريقا حق عليهم الضلالة ❦ بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده أى وخذل فريقا ❦ انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ❦ تمليل لخذلانهم أو تحقيق لضلالهم ❦ ومحسبون انهم مهتدون ❦ يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر ❦ يابى آدم خذوا زينتكم ❦ ثيابكم لما وراة عورتكم ❦ عند كل مسجد ❦ لطواف أو صلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل احسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب

يوم القيامة ويشهد لحة هذا القول ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كبدا نأول خلق نعيده وعداعلينا انا كنا فاعلين أخرجه البخارى ومسلم ❦ قوله عز وجل ❦ فريقا هدى ❦ يعنى هداهم الله الى الايمان به ومعرفة وفقه لطاعته وعبادته ❦ وفريقا حق عليهم الضلالة ❦ يعنى وخذل فريقا حتى وجبت عليهم الضلالة للسابقة التى سبقت لهم في الازل بانهم أشقياء وفيه دليل على ان الهدى والضلالة من الله عز وجل ولما روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فالتقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل أخرجه الترمذى ❦ قوله عز وجل ❦ انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ❦ يعنى ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء وأعوانا أطاعوهم فيما أمرهم به من الكفر والمعاصى والمعنى ان الداعى الذى دباهم الى الكفر والمعاصى هو انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله لان الشياطين لا يقدرون على اضلال أحد وقوله ❦ ومحسبون انهم مهتدون ❦ يعنى أنهم مع ضلالهم يظنون ومحسبون أنهم على هداية وحق وفيه دليل على ان الكافر الذى يظن انه في دينه على الحق والجاهد والمعاند في الكفر سواء ❦ قوله عز وجل ❦ يابى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ❦ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهى عريانة فتقول من يعيرنى تطوفا تجعله على فرجها وهى تقول اليوم يبدو بعضه أو كله \* وما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد أخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر الحديث زاد في رواية أخرى عنه فامرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان حى من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغي لى ان أطوف في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرنى مئرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فانزل الله تعالى فيه ما سمعوا خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهرى ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الاحس وهم قريش وأحلافهم فن جاء من غير الاحس وضع ثيابه وطاف في ثوب أحسى ويرى أنه لا يحل له ان يلبس ثيابه فان لم

الكافرون ( انهم ) ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة) اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ( أى انصارا ) ومحسبون انهم مهتدون ) والآية حجة لنا على أهل الاعتزال في الهداية والاضلال (يابى آدم خذوا زينتكم) لباس زينتكم (عند كل مسجد) كما صليتم وقيل الزينة المشط والطيب والسنة ان يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة لان الصلاة مناجاة الرب فيستحب لها التزيين والتعطر كما يجب التستر والتطهر

(فريقاهدى) أكرمهم الله بالمعرفة والسعادة وهم أهل اليمين (وفريقا حق) وجب عليهم الضلالة) أهانهم الله بالكرة والشقاوة وهم أهل الشمال (انهم اتخذوا) يقول قد علم الله انهم يتخذون (الشياطين أولياء) أربابا (من دون الله ومحسبون) يظن أهل الضلالة (انهم مهتدون) بدين الله (يابى آدم خذوا زينتكم) البسوا ثيابكم (عند كل مسجد) عند كل وقت صلاة وطواف

(قوله من يعيرنى الخ) في الخطيب قال قتادة كانت المرأة تطوف وتضع يدها على فرجها وفي روح المعاني عن ابن عباس (مسجد) انه كان اناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهى عريانة فتعلق على سفلها سيوارا مثل هذه السيور التى تكون على وجه الحر من الذباب وهى تقول اليوم الخ لعل في عبارة الحازن سقط مصححه

(وكلوا) من اللحم والدم (واشربوا) ﴿٥٤٣﴾ (ولا تسرفوا) { سورة الاعراف } بالشروع في الحرام أوفى

مجاوزه الشبع (انه لا يجب المسرفين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ماشئت واشرب ماشئت والبس ماشئت ما أخطأك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طيب نصراني حاذق فقال لعلى بن الحسين ابن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له على قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرو عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا الطب في ألفاظ يسيرة وهي قوله عليه السلام المدة بيت الداء والحية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبائهم استفهم انكارا على محرم الحلال بقوله ( قل من حرم زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به ) التي أخرج لعباد ( أي أصلها يعني القطن من الارض والفتن

( وكلوا) من اللحم والدم ( واشربوا) من اللبن (ولا

ستر العورة في الصلاة ﴿ وكلوا واشربوا ﴾ ما طاب لكم روى أن نبي عامر في أيام مجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك مجهم فهم المسلمون به فترلت ﴿ ولا تسرفوا ﴾ بتعريم الحلال أو بالتعدى الى الحرام أو بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ماشئت والبس ماشئت ما أخطأك خصلتان سرف ومخيلة فقال على بن الحسين بن واقد لقد جمع الله الطب في نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴿ انه لا يحب المسرفين ﴾ أي لا يرتضى فعلهم ﴿ قل من حرم زينة الله ﴾ من الثياب وسائر ما يتجمل به ﴿ التي أخرج لعباده ﴾ من النبات

يحد من يعيره من الحسن فانه ياتي ثيابه ويطوف عربانا وان طاف في ثياب نفسه ألقاها اذا قضى طوافه وحررها أي جعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يوارى عوراتكم ولو عباءة وقال الكلبي الزينة ما يوارى العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم أمر وظاهره الوجوب وفيه دليل على ان ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكلوا واشربوا ﴿ قال الكلبي كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام مجهم الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك مجهم فقال المسلمون نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني اللحم والدم ﴿ ولا تسرفوا ﴾ يعني بتعريم ما لم يحرمه الله من أكل اللحم والدم قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ماشئت واشرب ماشئت والبس ماشئت ما أخطأك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وفي الآية دليل على ان جميع المطاعم والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل ﴿ انه لا يحب المسرفين ﴾ يعني ان الله تعالى لا يحب من أسرف في المأكول والمشروب والملبوس وفي هذه الآية وعيد وتهديد لمن أسرف في هذه الاشياء لان محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذالم يحبه علم انه تعالى ليس هوراض عنه فدللت الآية على الوعيد الشديد في الاسراف ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ﴿ يعني قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تترينوا بها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان أحدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره الامام فخر الدين الرازي انه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلي ولولا أن النص ورد بتعريم استعمال الذهب والحريز على الرجال لدخلوا في هذا العموم ولكن النص ورد بتعريم استعمال الذهب والحريز على الرجال دون النساء ﴿ والطيبات من الرزق ﴾

تسرفوا) لا تحرموا الطيبات من الرزق واللحم والدم (انه لا يحب المسرفين) المتدين من الحلال الى الحرام (قل) يا محمد لا هلى مكة (من حرم زينة الله) لبس الثياب في أيام الموسم والحرم والطواف (التي أخرج) يعني الزينة خلق (لعباده والطيبات من الرزق)



من الدود ( والطيبات من الرزق ) والمستلذات من المآكل والمشارب وقيل كانوا اذا أحرموا حرما والشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها ( قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ) غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها ( خالصة يوم القيمة ) { الجزء الثامن } لا يشركهم فيها أحد ﴿ ٥٤٤ ﴾ ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبه

على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصاله والكفار تبع لهم خالصة بالرفع نافع فهمي مبتدأ خبره للذين آمنوا وفي الحياة الدنيا ظرف للخبر أو خالصة خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أي هي خالصة وغيره نصها على الحال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر أي هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها يوم القيامة ( كذلك تفصل الآيات )

نميز الحلال من الحرام (لقوم يعلمون ) أنه لا شريك له (قل انما حرم ربي الفواحش)

ربي حزمة الفواحش ما فاحش قبحه أي تزايد من اللحم والدم وقد كانوا يجرمون في الجاهلية على أنفسهم في أيام الموسم اللحم والدم ويدخلون الحرم الرجال بالنهار والنساء بالليل عمارة فيطوفون عمارة فنهاهم الله عن ذلك ( قل ) يا محمد ( هي ) يعني الطيبات ( للذين آمنوا في الحياة الدنيا ) بمحمد عليه السلام والمقرآن ( خالصة ) خاصة

كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدرع ﴿ والطيبات من الرزق ﴾ المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على أن الاصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار ﴿ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾ بالاصالة والكفرة وأن شاركوهم فيها فتبع ﴿ خالصة يوم القيمة ﴾ لا يشاركون فيها غيرهم وانتصابها على الحال \* وقرأ نافع بالرفع على انها خير بعد خبر ﴿ كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ أي كنفصلينا هذا الحكم تفصل سائر الاحكام لهم ﴿ قل انما حرم ربي الفواحش ﴾ ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج

يعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التي أخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا في معنى الطيبات في هذه الآية أفوا لا أحدها ان المراد بالطيبات اللحم والدم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك محبة فراد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقتادة ان المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائف قال ابن عباس رضى الله عنهما ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله تعالى من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وأنزل الله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ وبشتمى من سائر المظومات الا ما نهى عنه وورد نص بتحريمه ﴿ قل هي للذين آمنوا ﴾ يعنى قل يا محمد ان الطيبات التي اخرج الله من رزقه للذين آمنوا ﴿ في الحياة الدنيا ﴾ غير خالصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون ﴿ خالصة ﴾ لهم ﴿ يوم القيمة ﴾ يعنى لا يشركهم فيها احد لانه لا حظ للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنقيص والغم لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنقيص فأعلمهم أنها خالصة لهم في الآخرة من ذلك كله ﴿ كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ يعنى كذلك نبين الحلال مما أحلت والحرام مما حرمت لقوم علموا اني انا الله وحدي لا شريك لي فأحلوا الحلال وحرموا الحرام ﴿ قوله عز وجل ﴾ قل انما حرم ربي الفواحش ﴿ جمع فاحشة وهي ما قبح وخش من قول أو فعل والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عمارة ويحرمون أكل الطيبات مما أحل الله لهم ان الله لم يحرمونه أنتم بل أحله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال

( يوم القيمة ) واشترك فيها في الحياة الدنيا البر والفاجر مقدم ومؤخر ( كذلك ) هكذا ( تفصل ) ( والاقوال ) ( الآيات ) ( نبين القرآن بالحلال والحرام ) ( لقوم يعلمون ) ( ويصدقون انه من الله ) ( قل ) ( يا محمد لهم ) ( انما حرم ربي الفواحش )

( قوله ما تزايد قبحه ) يعنى الفحش زيادة القبح وما يتعلق بالفروج هو الرزق او يوم الملامسة والمعانقة كفاية

﴿ماظهر منها وما بطن﴾ جهرها وسرها ﴿والاثم﴾ وما بوجبا لاثم تعميم بعد تخصيص  
وقيل شرب الخمر ﴿والبني﴾ الظلم أو الكبر أفردته بالذكر للمبالغة ﴿بغير الحق﴾ متعلق  
بالبني مؤكده معنى ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا﴾ تهكم بالمشركين وتنبية

(ماظهر منها وما بطن)  
سرها وعلايتها (والاثم)  
أى شرب الخمر أو كل ذنب  
(والبني) والظلم والكبر  
(بغير الحق) متعلق بالبني  
ومحل (وان تشركوا  
بالله ما لم ينزل به سلطانا)  
حجة النصب كأنه قال حرم  
الفواحش وحرم الشرك  
ينزل بالتخفيف مكي وبصري  
وفيه تهكم اذ لا يجوز أن  
ينزل برهاننا على أن يشرك

الزنا (ما ظهر منها)  
يعنى زنا الظاهر (وما  
بطن) منها يعنى زنا  
السروهي المخالفة (والاثم)  
الخمر كما قال الشاعر

\* شربت الائم حتى ضل عقلى \*  
وقال ايضا

\* كذاك الاسم يذهب بالعقول \*

\* شربت الائم حتى ضل عقلى \* كذاك الائم يذهب بالعقول

\* وترى الهتك بيننا مستفادا \*

(والبني) الاستطالة (بغير

الحق) بلا حق (وان

تشركوا بالله ما لم ينزل به

سلطانا) كتابا ولا حجة

والاقوال ﴿ماظهر منها وما بطن﴾ يعنى علايته وسره (ق) عن عبد الله بن مسعود  
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد أغير من الله من أجل ذلك حرم  
الفواحش ماظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه المدخ من الله من أجل ذلك مدح  
نفسه أصل الغيرة ثوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان  
ومنه غيرة أحد الزوجين على الآخر لا اختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى  
أن يشاركه أحد فيه فلذلك يذب عنه ويمتنع من غيره وأما الغيرة في صف الله تعالى فهو  
منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن  
وقد يحتمل أن تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله أعلم \* وقوله  
عز وجل ﴿والائم﴾ يعنى وحرم الائم واختلفوا في الفرق بين الفاحشة  
والائم فقيل الفواحش الكبار لأنه قد تفاحش قبيها وتزايد والائم عبارة  
عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل انما حرم ربى الكبار  
والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه الحد من الذنوب والائم اسم لما  
لا يجب فيه الحد وهذا القول قريب من الاول واعترض على هذين القولين بان الائم  
في أصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبار والصغائر وقيل ان الفاحشة اسم للكبيرة  
والائم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا أو صغيرا والفائدة فيه أن يقال لما حرم الله  
الكبيرة بقوله قل انما حرم ربى الفواحش أردفه بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم  
متوهم أن التحريم مقصور على الكبار فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة  
اسما لكل ما تفاحش من قول أو فعل ولكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لأنه اذا  
اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذلك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا وأما الائم  
فقد قيل انه اسم من أسماء الخمر وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهرى وقد تسمى الخمر  
ائما واستدل عليه بقول الشاعر

شربت الائم حتى ضل عقلى \* كذاك الائم يذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندى أن تسمية الخمر بالائم صحيح لان شربها اثم وبهذا  
المعنى يظهر الفرق بين اللغتين وانكر ابو بكر بن الانبارى تسمية الخمر بالائم قال لان العرب  
ما سمته ائما قط في جاهلية ولا في اسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الائم لقوله  
قل فيهما اثم كبير \* وقوله عز وجل ﴿والبني﴾ أى وحرم البني بغير الحق والبني  
هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله ومعنى البني بغير  
الحق هو أن يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب ماله بحق خرج من أن يكون بغيا  
﴿وأن تشركوا﴾ أى وحرم أن تشركوا ﴿بالله ما لم ينزل به سلطانا﴾ هذا  
فيه تهكم بالمشركين والكفار لأنه لا يجوز أن ينزل حجة وبرهاننا بان يشرك به غيره

به غيره ( وأن تقولوا { الجزء الثامن { على الله ما لا تعلمون ) ٥٤٦ وان تقولوا عليه وتفتروا الكذب

من التحريم وغيره ( ولكل أمة  
أجل ) وقت معين يأتيهم  
فيه عذاب الاستئصال  
ان لم يؤمنوا وهو وعيد  
لاهل مكة بالعذاب النازل  
في أجل معلوم عندالله  
كانزل بالامم ( فاذا جاء أجلهم  
لايستأخرون ساعة ولا  
يستقدمون ) قيد بساعة  
لانها أقل ما يستعمل في  
الامهال ( يا بني آدم اما  
يأتينكم ) هي ان الشرطية  
ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى  
الشرط لان ماللشرط  
ولذا لزمت فعلها النون  
الثقيلة أو الخفيفة ( رسل  
منكم يقصون عليكم آياتي )  
يقرؤون عليكم كتيب وهو  
في موضع رفع صفة لرسل

( وأن تقولوا على الله ما لا  
تعلمون ) ذلك من تحريم  
الحرث والانعام والطيبات  
واللباس ( ولكل أمة )  
لكل أهل دين ( اجل )  
وقت لهلاكها ( فاذا جاء  
أجلهم ) وقت هلاكهم  
( لا يستأخرون ساعة )  
لا يتركون بعد الاجل  
طرفه عين ( ولا يستقدمون )  
لا يهلكون قبل الاجل  
طرفه عين ( يا بني آدم اما  
يأتينكم ) حين يأتينكم  
( رسل منكم ) آدمي مثلكم

على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان \* وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون \* بالاحاد في صفاته سبحانه وتعالى والافتراء عليه كقولهم والله أمرنا بها \* ولكل أمة أجل \* مدة أو وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة \* فاذا جاء أجلهم \* انقضت مدتهم أو حان وقتهم \* لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون \* أى لا يتأخرون ولا يتقدمون أقصر وقت أو لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول \* يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي \* شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان آيات الرسل أمر

لان الاقرار بشئ ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممتنع فلما تمتع حصول الحجية والبينة على صحة القول بالشرك وجب أن يكون باطلا على الاطلاق \* فان قات البغي والاشراك داخلان تحت الفاحشة والاثم لان الشرك من اعظم الفواحش واعظم الاثم وكذا البغي أيضا من الفواحش والاثم \* قلت انما أفردتهما بالذكر للتنبيه على عظم قبيهما كأنه قال من الفواحش المحرمة البغي والشرك فكانه بين جلته ثم تفصيله \* وقوله عز وجل \* وان تقولوا على الله ما لا تعلمون \* تقدم تفسيره \* وقوله عز وجل \* ولكل أمة أجل \* الاجل الوقت المؤقت لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الآية قولان أحدهما أنه أجل العذاب والمعنى ان لكل أمة كذبت رسلها وقتا معيناً وأجلا مسمى أمهالهم الله الى ذلك الوقت \* فاذا جاء أجلهم \* يعنى فاذا حل وقت عذابهم \* لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون \* يعنى فلا يؤخرون ولا يعملون قدر ساعة ولا أقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها أقل أسماء الاوقات في العرف وهذا حين سأوا نزول العذاب فاخبرهم الله تعالى أن لهم وقتا اذا جاء ذلك الوقت وهو وقت اهلاكهم واستئصالهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثانى ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم أن يكون لكل واحد أجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وانما قال تعالى لكل أمة لتقارب أعمار أهل كل عصر فكانهم كالواحد في مقدار العمر وعلى هذا القول أيضا يكون المقبول ميتا بأجله خلافا لمن يقول القاتل قطع عليه أجله \* وقوله عز وجل \* يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم \* هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وهو قوله فن اتقى وأصلح يعنى منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان المرابه واحدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني آدم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل أراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني آدم عام في كل بنى آدم وانما قال منكم يعنى من جنسكم ومثلكم من بنى آدم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان أقطع لمدنهم وأثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون أحواله فاذا أنامهم بما لا يليق بقدرته أو بقدرته أمثاله علم ان ذلك الذى أنى به معجزته وحجة على من خالفه \* يقصون عليكم آياتي \* يعنى يقرؤون عليكم كتابي وأدلة أحكامي وشرائبي التى

( شرعت )

( يقصون عليكم ) يقرؤون عليكم ( آياتي ) بالامر

وجواب الشرط (فن اتقى) الشرك ﴿٥٤٧﴾ (وأصلح) العمل { سورة الاعراف } منكم ( فلا خوف عليهم

ولا هم يحزنون ) أصلا فلا خوف يعقوب ( والذين كذبوا ) منكم ( بآياتنا واستكبروا عنها ) تعظموا عن الايمان بها ( أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم ) فمن أشنع ظلما ( ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ) ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله ( أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ) ما كتب لهم من الارزاق

والنهي ( فن اتقى ) آمن بالكتاب والرسول ( وأصلح ) فيما بينه وبين ربه ( فلا خوف عليهم ) من العذاب ( ولا هم يحزنون ) من ذهاب الجنة ( والذين كذبوا بآياتنا ) بكتابتنا وبرسولنا ( واستكبروا عنها ) عن الايمان بها ( أولئك أصحاب النار ) أهل النار ( هم فيها خالدون ) دائمون لا يموتون ولا يخرجون ( فن اظلم ) اعنى وأجرأ على الله ( ممن افترى ) اختلق ( على الله كذبا أو كذب بآياته ) بمحمد عليه السلام ( والقرآن ) من الكتاب ( ما وعدهم في الكتاب من سواد الوجوه ) وزرقة الاعين انظرهم يا

جأز غير واجب كما ظنه أهل التعليم وضمت اليها مالتا كيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه ﴿ فن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ والمعنى فن اتقى التكذيب وأصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخل الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمساحة في الوعيد ﴿ فن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ﴾ ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ما قاله ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ ما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ

شرعت لعبادى ﴿ فن اتقى ﴾ يعنى فن اتقى الشرك ومخالفة رسلى ﴿ وأصلح ﴾ يعنى العمل الذى أمرته به رسلى فعمل بطاعى وتجنب معصيتى وما نهته عنه ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ يعنى حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ يعنى على ما فاتهم من دنياهم التى تركوها ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعنى ومن جحدوا آياتنا وكذبوا رسلنا ﴿ واستكبروا عنها ﴾ يعنى واستكبروا عن الايمان بها وما جاءت به رسلنا ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ يعنى لا يخرجون منها أبدا ﴿ قوله عز وجل ﴾ فن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ يعنى فن أعظم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله أو يجعل له شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد ﴿ أو كذب بآياته ﴾ يعنى أو كذب بالقرآن الذى أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ يعنى ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قولين أحدهما أن المراد به هو العذاب المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدى ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفترى على الله كذبا ان وجهه أسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فأندرتكم نارا تلظى وفي قوله اذا اغلال في أعناقهم فهذه الاشياء هى نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول الثانى ان المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شئ سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال في رواية اخرى عنه من عمل خيرا جوزى به ومن عمل شرا جوزى به وقال قتادة جزاء أعمالهم التى عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا وقال الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظى عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعار فاذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبرى هذا القول الآخر وقال لان الله تعالى أتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم

والاعمار ( حتى اذا جاءتهم رسلنا ) ملك الموت واعوانه وحتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهي حتى التي يتبدأ بعدها الكلام والكلام {الجزء الثامن} هنا الجملة الشرطية ﴿ ٥٤٨ ﴾ وهي اذا جاءتهم رسلنا (يتوفونهم)

أى مما أثبت لهم فيه ﴿ حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ﴾ أى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يتبدأ بعدها الكلام ﴿ قالوا ﴾ جواب اذا ﴿ أينما كنتم تدعون من دون الله ﴾ أى أين الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت بأين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة ﴿ قالوا ضلوا عنا ﴾ غابوا عنا ﴿ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه ﴿ قال ادخلوا ﴾ أى قال الله تعالى لهم يوم القيامة أو أحد من الملائكة ﴿ فى أم قد دخلت من قبلكم ﴾ أى كآئين فى جلة ام مصاحبين لهم يوم القيامة ﴿ من الجن والانس ﴾ يعنى كفار الامم الماضية من النوعين ﴿ فى النار ﴾ متعلق بادخلوا

رسلنا يتوفونهم فابان ان الذى ينالهم هو ما قدر لهم فى الدنيا فإذا فرغ توفهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين رحمه الله تعالى وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين جله على العمر والرزق أولى لانه تعالى بين أنهم وأن بلغوا فى الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس يمنع أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر بفضل من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا ويتوبوا ﴿ قوله عز وجل ﴾ حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ﴿ يعنى حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعنى ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم عند استكمال أعمارهم وأرزاهم لان لفظ الوقات يفيد هذا المعنى ﴿ قالوا ﴾ يعنى قال الرسل وهم الملائكة للكفار ﴿ أينما كنتم تدعون من دون الله ﴾ وهذا سؤال تويج وتقرير وتبكيك لاسؤال استعلام والمعنى أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون فى الآخرة والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا يعنى ملائكة العذاب يتوفونهم يعنى يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار قالوا أينما كنتم تدعون يعنى شركاء وأولياء تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفوا عنكم ما جاءكم من أمر الله ﴿ قالوا ﴾ يعنى الكفار مجيبين للرسل ﴿ ضلوا عنا ﴾ يعنى بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاشة العذاب أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على أنفسهم بذلك ﴿ قوله عز وجل ﴾ قال ادخلوا فى أم قد دخلت من قبلكم من الجن والانس ﴿ يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا فى أم يعنى فى جلة أم قد دخلت يعنى قدمضت وسلفت وانما قال قد دخلت ولم يقل قد دخلوا لانه أطلق الضمير على الجماعة يعنى فى جلة جماعة قد دخلت من قبلكم من الجن والانس ﴿ فى النار ﴾ أى ادخلوا جميعا فى النار التي هى مستقركم وماواكم وانما عني بالامم الجماعات والاحزاب وأهل الملل الكافرة من الجن والانس

يقبضون ارواحهم وهو حال من الرسل أى متوفهم وما فى ( قالوا أينما كنتم تدعون ) فى خط المصحف موصولة بأين وحقها أن تكتب مفصولة لانها موصولة والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون ( من دون الله ) ليدبوا عنكم ( قالوا ضلوا عنا ) غابوا عنا فلا نراهم ( وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ) اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هى لتحقيق الخبر ( قال ادخلوا ) أى يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار ادخلوا ( فى أم ) فى موضع الحال أى كآئين فى جلة ام مصاحبين لهم ( قد دخلت ) مضت ( من قبلكم ) من الجن والانس ( من كفار الجن والانس ) ( فى النار )

محمد ( حتى اذا جاءتهم رسلنا ) يعنى ملك الموت واعوانه ( يتوفونهم ) يقبضون ارواحهم ( قالوا ) عند قبض ارواحهم ( أينما كنتم تدعون ) تعبدون ( من دون الله ) فينبونكم عنا ( قالوا ضلوا عنا ) اشتغلوا

عنا بانفسهم ( وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ) بالله وبالرسل فى الدنيا ( قال ) الله لهم ( ادخلوا ) ( كما ) النار ( فى أم ) مع أم ( قد دخلت ) ( من قبلكم ) من الجن والانس من كفار الجن والانس ( فى النار )

متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) النار (لغت أختها) التي ضلت بالاعتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها) أصله تداركوا ﴿٥٤٩﴾ أي {سورة الاعراف} تلاحقوا واجتمعوا في النار

فابدلت التاء دا والوا سكنت  
للادغام ثم أدخلت همزة  
الوصل (جيما) حال (قالت  
أخراهم) منزلة وهي  
الاتباع والسفلة (لاولاهم)  
منزلة وهي القادة والرؤس  
ومعنى لاولاهم لاجل  
أرأاهم لان خطابهم  
مع الله لامعهم (ربنا)  
ياربنا (هو لاء أضلونا  
فآتهم عذابا ضعفا)  
(من النار قال لكل ضعف)  
للقيادة بالغواية والاعواء  
وللاتباع بالكفر والاعتداء  
(ولكن لا تعلمون) مالكل  
فريق منكم من العذاب  
لا يعلمون أبو بكر أي لا يعلم  
كل فريق مقدار عذاب الفريق  
الآخر (وقالت أولاهم

كلما دخلت أمة)  
اهل دين (لغت أختها)  
دعت على التي دخلت قبلها  
(حتى اذا اداركوا فيها)  
اجتمعوا في النار (جيما)  
الاول فالاول (قالت  
أخراهم) اخري الامم  
(لاولاهم) لاولى الامم  
(ربنا هو لاء) يعني الرؤساء  
(أضلونا) عن دينك  
وطاعتك (فآتهم عذابا  
ضعفا من النار) عذبهم مثل

﴿كلما دخلت أمة﴾ أي في النار ﴿لغت أختها﴾ التي ضلت بالاعتداء بها ﴿حتى اذا اداركوا﴾  
فيها جميعا ﴿أي تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار﴾ قالت أخراهم ﴿دخولا أو منزلة وهم  
الاتباع﴾ لاولاهم ﴿أي لاجل اولاهم اذا الخطاب مع الله لامعهم﴾ ربنا هو لاء أضلونا ﴿  
سنوالنا الضلال فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ مضاعفا لانهم ضلوا وأضلوا  
﴿قال لكل ضعف﴾ اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم  
﴿ولكن لا تعلمون﴾ مالكم أو مالكل فريق ﴿وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بالياء على  
الانفصال﴾ وقالت أولاهم

﴿كلما دخلت أمة﴾ يعني كلما دخلت جماعة النار ﴿لغت أختها﴾ يعني كلما دخلت  
أمة النار لغت أختها من أهل ملتها في الدين لافي النسب قال السدي كلما دخلت أهل  
ملة النار لغنوا أصحابهم على ذلك الذين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود  
والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والجوس تلعن الآخرة الاولى  
﴿حتى اذا اداركوا﴾ يعني تداركوا وتلاحقوا ﴿فيها جميعا﴾ يعني تلاحقوا  
واجتمعوا في النار جميعا وأدرك بعضهم بعضا واستقروا في النار ﴿قالت أخراهم  
لاولاهم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يعني قال آخر كل أمة لاولها وقال السدي  
قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال  
مقاتل يعني قال آخرهم دخولا النار وهم الاتباع لاولهم دخولا وهم القادة لان القادة  
يدخلون النار أولا ﴿ربنا هو لاء أضلونا﴾ يعني تقول الاتباع ربنا هو لاء القادة  
والرؤساء أضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل انما قال المتأخرون ذلك  
لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من أسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا  
طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيامة وتبين لهم فساد ما كانوا  
عليه قالوا ربنا هو لاء أضلونا لاننا اتبعنا سبيلهم ﴿فآتهم عذابا ضعفا من النار﴾ أي  
أضعف عليهم العذاب قال أبو عبيدة الضعف هو مثل الشيء مرة واحدة قال الازهرى  
والذى قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم وأما كتاب الله فهو عربى  
مبين فيرد تفسيره الى موضوع كلام العرب الضعف في كلامهم مازاد وليس بمقصود على  
مثلين وجائز في كلام العرب هذا ضعفه أى مثلاه وثلاثة أمثاله لان الضعف في الاصل  
زيادة غير محصورة وأولى الاشياء أن يجعل عشرة أمثاله فاقل الضعف محصور  
هو المثل وأكثره غير محصور وقال انزجاج في تفسير هذه الآية فآتهم عذابا ضعفا أى مضاعفا  
لان الضعف في كلام العرب على ضربين احدهما المثل والآخر ان يكون في معنى تضعيف الشيء  
أى زيادته ﴿قال﴾ يعني قال الله تعالى ﴿لكل ضعف﴾ يعني لاولاهم ضعف ولاخراهم ضعف  
وقيل معناه للاتباع ضعف وللمتبع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا ﴿ولكن لا تعلمون﴾  
يعنى ما أعد الله لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما أعد الله  
تعالى من العذاب للفريق الآخر ﴿وقالت أولاهم﴾ يعني في الكفر وهم القادة

عذابنا مرتين (قال) الله لهم (لكل) لكل واحد منهم (ضعف ولكن لا تعلمون) ذلك من شدة عذابكم (وقالت اولاهم) اولى الامم

لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل (عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أى فقد ثبت أن لافضل لكم علينا وأنا متساوون { الجزء الثامن } في استحقاق ﴿ ٥٥٠ ﴾ الضعف (فذوقوا العذاب بما كنتم

لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل ﴿ عطفوا كلامهم على جواب الله سبحانه وتعالى لاخراهم ورتبوه عليه أى فقد ثبت ان لافضل لكم علينا وأنا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ من قول القادة أو من قول الفريقين ﴿ ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ﴾ أى عن الايمان بها ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ لادعيتهم واعمالهم أو لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها \* وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحزة والكسائي به وبالياء لان التأنيث غير حقيقي والفعل مقدم \* وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على أن الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ﴿ ويدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل في سم الخياط ﴾

﴿ لاخراهم ﴾ يعنى الاتباع ﴿ فما كان لكم علينا من فضل ﴾ يعنى قد ضللتكم كما ضللتنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الآية وقالت كل أمة سلفت في الدنيا لاخراها الذين جاؤا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمت ما حل بنا من عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا اياه وجاءتكم بذلك الرسل والنذر فارجعتم عن ضلالتكم وكفرتم ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ وهذا يحتمل أن يكون من قول القادة للاتباع والامة الاولى للاخرى التي بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى يعنى يقول الله للجميع فذوقوا العذاب ﴿ بما كنتم تكسبون ﴾ يعنى بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة ﴿ قوله عز وجل ﴾ ان الذين كذبوا بآياتنا ﴿ يعنى كذبوا بدلائل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسالنا ﴿ واستكبروا عنها ﴾ أى وتكبروا عن الايمان بها والتصديق لها وأنفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ يعنى لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قول ولا عمل لان أرواحهم وأفوالهم وأعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تفتح أبواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المؤمنين وفي رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح أبواب السماء لاعمالهم ولا لارواحهم وروى الطبري بسنده عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وان يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملائكة الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان باقى أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى يتنهبها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل في سم الخياط وقيل في معنى الآية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء فاذا لم تفتح لهم أبواب السماء فلا ينزل عليهم من البركة والخير والرحمة شيء ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل في سم الخياط ﴿ الولوج الدخول والجمل معروف

تكسبون) بكسبكم وكفرتم وهو من قول القادة للسفلة ولاوقف على فضل أو من قول الله لهم جميعا والوقف على فضل (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) أى لا يؤذن لهم في صعود السماء ليدخلوا الجنة اذ هي في السماء أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة أو لا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين الى السماء وبالتاء مع التخفيف أبو عمرو وبالياء معه حزة وعلى ( ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل في سم الخياط ) حتى يدخل البعير في نقب الازرة أى لا يدخلون الجنة أبدا لانه علقه بما لا يتكون والخياط والخيط ما يخاط به وهو

(لاخراهم) لاخرى الامم (فما كان لكم علينا من فضل) ان يكون عذابنا ضعفا كفرتم كما كفرنا وعبدتم من دون الله كما عبدنا فيقول الله لهم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) تقولون وتعاملون من الشرك في الدنيا (ان الذين كذبوا بآياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن بها (لا تفتح لهم أبواب

السماء) لرفع اعمالهم ولا لرفع ارواحهم (ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل في سم الخياط) ( رهو )

أى حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقب الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقع عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالجل وهو الحبل الغليظ من القنب و قيل جبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم الخيط وهو الخياط ما يحاط به كالخزام والحزم \* وكذلك ﴿ ومن فوقهم غواش ﴾ أغطية والتون فيه للبدل من الاعلال عند سيويه وللصرف عند غيره \* وقرئ غواش على الغاء المحذوف \* وكذلك نجزي الظالمين ﴿ عبر عنهم بالجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم يتكذبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة و ذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيهها على انه أعظم الاجرام \* والذين آمنوا وعملوا الصالحات

وهو الذي ذكر من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفراء الخياط والخيط ما يحاط به والمراد به الابرة في هذه الآية وانما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات لانه أكبر من سائر الحيوانات جسمها عند العرب قال الشاعر \* جسم الجمل واحلام العصافير \* وصف من هجم بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل فحسم الجمل من أعظم الاجسام وثقب الابرة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال ولما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا ثبت ان الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة ما يوس منه قطعاً وقال بعض أهل المعاني لما علق الله تعالى دخولهم الجنة بولج الجمل في سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك نفيًا لدخولهم الجنة على التأييد وذلك لان العرب اذ عقلت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحمال كون ذلك الجائر وهذا كقولك لا أتيتك حتى يشيب الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر

اذا شاب الغراب آتيت أهلى \* وصار القار كاللبن الحليب

\* قوله عز وجل ﴿ وكذلك نجزي المجرمين ﴾ أى ومثل الذى وصفنا نجزي المجرمين يعنى الكافرين لانه تقدم من صفتهم أنهم كذبوا باآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب جل لفظ المجرمين على أنهم الكفار ولما بين الله عز وجل أن الكفار لا يدخلون الجنة أبداً بين أنهم من أهل النار ووصف ما أعد لهم فيها فقال تعالى ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ يعنى لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد المتهد الذى يقعد عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط \* ومن فوقهم غواش ﴿ جمع غاشية وهى الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية ان النار محيطه بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظى والضحاك والسدى المهاد الفراش والغواشى اللحف \* وكذلك نجزي الظالمين ﴿ يعنى وكذلك نكافى ونجازى المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها \* قوله عز وجل ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات

( وكذلك ) ومثل ذلك الجزء الفطيم الذى وصفنا ( نجزي المجرمين ) أى الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها ( لهم من جهنم مهاد ) فراش ( ومن فوقهم غواش ) أغطية جمع غاشية ( وكذلك نجزي الظالمين ) أنفسهم بالكفر ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات

كما لا يدخل الجمل في سم الخياط في ثقب الابرة ويقال حتى يدخل الجمل في خرق الابرة ويقال حتى يدخل القلس الجمل الذى تشد به السفينة في خرق الابرة ( وكذلك ) هكذا ( نجزي المجرمين ) المشركين ( لهم من جهنم مهاد ) فراش من نار ( ومن فوقهم غواش ) غاشية من من نار ( وكذلك ) هكذا ( نجزي الظالمين ) المشركين ( والذين آمنوا ) بمحمد عليه السلام والقرآن ( وعملوا الصالحات ) فيما



لانكف نفسا الا وسعها أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴿ على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعيد بالوعد ولا نكف نفسا الا وسعها اعتراض بين المتبدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرى لا تكلف نفس ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ أى نخرج من قلوبهم أسباب الغل أو نظهرها منه حتى لا يكون بينهم الاتواد وعن على كرم الله وجهه انى لارجو

لانكف نفسا الا وسعها ﴿ لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم في الآخرة أتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم في الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعنى والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله اليه وتنزله عليه من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لانكف نفسا الا وسعها يعنى لانكف نفسا الا ما يسعها من الاعمال وما يسهل عليها ويدخل في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعنى الذى افترض عليها من وسعها الذى تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود قال أكثر أصحاب المعانى ان قوله تعالى لانكف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المتبدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ لانكف نفسا الا وسعها وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المتبدأ والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر علمهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقاتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلمها يتوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من أصحاب المعانى هو من تمام الخبر موضعه رفع والعائد محذوف كأنه قال لانكف نفسا الا وسعها فحذف العائد لعلمه ﴿ قوله عز وجل ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴾ يعنى وقلعنا وأخرجنا ما في صدور المؤمنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الآية أنزلنا تلك الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شئ خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوسواس ودفعها عن ان ترد على القلب روى عن على رضى الله عنه قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه أيضا انه قال انى لارجو ان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة ﴿ خ ﴾ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدى في هذه الآية ان أهل

لانكف نفسا الا وسعها) طاقتها والتكليف الزام ما فيه كلفة أى مشقة (أولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب الجنة) والجملة خبر الذين ولانكف نفسا الا وسعها اعتراض بين المتبدأ والخبر (هم فيها خالدون) ونزعنا ما في صدورهم من غل) حقد كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم الاتواد والتعاطف وعن على رضى الله عنه انى لارجو ان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم بينهم وبين ربهم (لانكف نفسا) من الجهد (الا وسعها) الا طاقتها (أولئك) يعنى المؤمنين (أصحاب الجنة) أهل الجنة (هم فيها خالدون) دائمون لا يموتون ولا يخرجون منها (ونزعنا) أخرجنا (ما في صدورهم) قلوبهم (من غل) بغض وحسد وعداوة في الدنيا

( تجرى من تحتهم الانهار ) حال من هم ﴿ ٥٥٣ ﴾ في صدورهم ﴿ سورة الاعراف ﴾ والعامل فيها معنى الاضافة

( وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ) لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان ( وما كنا ما كنا بغير او و شامى على أنها جملة موضحة للاولى ( لهتهدى لولا أن هدانا الله )

اللام لتوكيد النفي أى وما كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله ( لقد جاءت رسل ربنا بالحق ) فكان لطفنا وتدبيرنا على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا بما نالوا و اظهارا لما اعتقدوا ( ونودوا أن تلکم الجنة ) ان تخففه من الثقله واسمها محذوف والجملة بعدها خبرها تقديره ونودوا بأنه تلکم الجنة والهاء ضمير الشأن أو بمعنى أى كأنه قيل وقيل

( تجرى من تحتهم )

في الآخرة من تحت

مساكنهم وسرورهم

( الانهار ) أنهار الخمر والماء

والعسل واللبن ( وقالوا )

اذ بلغوا الى منازلهم ويقال

الى عين الحيوان ( الحمد لله )

الشكر والمنته لله ( الذى

هدانا لهذا ) المنزل

والعين ( وما كنا لهتهدى

لولا أن هدانا الله ) اليه

أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم ﴿ تجرى من تحتهم الانهار ﴾ زيادة في لذتهم وسرورهم ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾ لما جزأوه هذا ﴿ وما كنا لهتهدى لولا أن هدانا الله ﴾ لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله ﴿ وقرأ ابن عامر ما كنا بغير او و شامى على أنها جملة موضحة للاولى ﴿ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ﴿ ونودوا أن تلکم الجنة ﴾

الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فشربوها من احدهما ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واعتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحنوا بعدها أبدا وقيل ان درجات أهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض أهل الجنة أعلى من بعض وأخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية وأورد على هذا القول كيف يعقل أن الانسان يرى الدرجات العالية والنعيم العظيمة وهو محبوس عنها لا يصل اليها ولا يميل بطبعه اليها ولا يغم بسبب حرمانه منها وان كان في لذة ونعيم وأجيب عن هذا بان الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب أهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان أحدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيادة في النعيم الذى هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد أحدا أبدا وبهذا تم نعيمه ولذته وكل سروره وبهجته ﴿ قوله عز وجل ﴾ تجرى من تحتهم الانهار ﴿ لما أخبر الله تعالى بما أنعم به على أهل الجنة من ازال الغل والحسد والحقد من صدورهم أخبر بما أنعم به عليهم من اللذات والخيرات والمسرات ﴿ وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾ يعنى ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذى وفقنا وأرشدنا للعمل الذى هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضلته وكرمه فله الحمد على ذلك ﴿ وما كنا لهتهدى لولا ان هدانا الله ﴾ يعنى وما كنا لنرشد لذلك العمل الذى هذا ثوابه لولا انه أرشدنا الله اليه ووفقنا بفضلته ومنه وكرمه وفي الآية دليل على ان المهتدى من هداية الله ومن لم يهده الله فليس بمهتد ﴿ لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ يعنى ان أهل النعيم اذا دخلوها ورأوا ما وعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعنى انهم رأوا ما وعدهم به الرسل عيانا ﴿ ونودوا أن تلکم الجنة ﴾ يعنى ونادى مناد يا أهل الجنة ان هذه الجنة التى كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادى فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بأمر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة ( م ) عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان تحبوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تمروا أبدا وان لكم أن تنموا

يقال للارأواكرامة الله بالايمان قالوا الحمد لله الشكر ( قاو خا ٧٠ ) والمنته لله الذى هدانا لهذا الدين دين الاسلام وما كنا لهتهدى دين الاسلام لولا أن هدانا الله لدينه ( لقد جاءت رسل ربنا بالحق ) بالصدق والبشرى بالثواب والكرامة ( ونودوا أن تلکم الجنة

لهم تلك الجنة (أورثتموها) أعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها في تلك من معنى الإشارة ( بما كنتم تعملون ) سماها  
ميراثا لأنها لا تستحق بالعمل { الجزء الثامن } بل هي محض ﴿ ٥٥٤ ﴾ فضل الله وعده على الطاعات كالميراث

إذا رأوها من بعيداً وبعد دخولها والمنادى له بالذات ﴿ أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾  
أي أعطيتموها بسبب أعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الإشارة أو خبر والجنة  
صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي الخففة أو المفسرة لان المناداة والتأذين من القول  
﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم  
ما وعد ربكم حقاً ﴾ إنما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيرا لهم وإنما  
لم يقل ما وعدكم كما قل ما وعدنا لان ماساءهم من الموعد لم يكن بأسره مخصوصا  
وعده بهم كالعيب والحساب ونعيم أهل الجنة ﴿ قالوا نعم ﴾ وقرأ الكسائي بكسر العين

فلا تبدأوا أبداً فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون  
﴿ قوله عز وجل ﴾ أورثتموها بما كنتم تعملون ﴿ روى أبو هريرة رضى الله عنه  
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر  
فانه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة زاد في رواية فذلك  
قوله تعالى أورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمي الله الكافر ميتا بقوله أموات  
غير أحياء وسمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الأحياء يرثون  
الأموات فقال أورثتموها يعني ان المؤمن حى وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه  
في حكم الميت وقيل معناه ان أمرهم يؤل الى الجنة كما ان الميراث يؤل الى الوارث وقيل  
أورثتموها عن الاعمال الصالحة التي عملتموها لان الجنة جعلت لهم جزاء وثوابا على  
الاعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة  
أحد بعمله وإنما يدخلها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله وانقسام المنازل  
والدرجات بالاعمال وقيل ان العمل الصالح ان يناله المؤمن وان يبلغه الا برحمة الله تعالى  
وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسبب الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله  
تعالى وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا  
والله أعلم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ﴿ يعني ونادى  
أهل الجنة أهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار  
في النار تقول أهل الجنة يا أهل النار ﴿ أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ﴾ يعني ما وعدنا  
في الدنيا على السنة رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته حقاً ﴿ فهل  
وجدتم ما وعد ربكم حقاً ﴾ يعني من العذاب على الكفر ﴿ قالوا نعم ﴾ يعني قال أهل  
النار محبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت هذا النداء من كل أهل الجنة  
لكل أهل النار أو من البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار  
يفيد العموم والجمع اذا قبل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من أهل الجنة  
ينادى من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا ﴿ فان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار

من الميت ليس بمعوض  
عن شيء بل هو صلة خاصة  
وقال الشيخ أبو منصور  
رحمته الله ان المعتزلة خالفوا  
الله فيما أخبرونو حاه عليه  
السلام وأهل الجنة والنار  
وابليس لانه قال الله تعالى  
يضل من يشاء ويهدي من  
يشاء وقال نوح عليه السلام  
ولا ينفعكم نحسي ان أردت  
أن أنصع لكم ان كان الله  
يريد أن يعويكم وقال أهل  
الجنة وما كنا لنهتدي لولا  
أنها ان الله وقال أهل النار  
لو هدانا الله لهديناكم وقال  
ابليس فيما أغوتني (ونادى  
أصحاب الجنة أصحاب النار  
أن قد وجدنا) أن مخففة  
من الثقيلة أو مفسرة وكذلك  
أن لعنة الله على الظالمين  
(ما وعدنا ربنا) من الثواب  
(حقاً) حال (فهل وجدتم  
ما وعد ربكم) من العذاب  
(حقاً) وتقديره وعدكم  
ربكم فحذف كم للدلالة  
وعدنا ربنا عليه وإنما  
قالوا لهم ذلك شماتة بأصحاب  
النار واعترا فانعم الله تعالى  
(قالوا نعم) وبكسر العين  
حيث كان على

أورثتموها) أعطيتموها) بما

كنتم تعملون) وتقولون في الدنيا من الخيرات ( ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا ) ( في )  
من الثواب والكرامة (حقاً) صدقاً كما (فهل وجدتم) يا أهل النار (ما وعد ربكم) من العذاب والهوان (حقاً) صدقاً كما (قالوا نعم)

( فاذن مؤذن بينهم ) نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنة والنار ( ان لعنة الله على الظالمين ) أن لعنة مكي وشامى وحزة  
وعلى (الذين يصدون) ينعون (عن سبيل الله) ﴿٥٥٥﴾ دينه (ويبغونها) سورة الاعراف { عوجا } مفعول ثان ليغفون

أى ويطلبون اها الا عوجاج  
والتناقض (وهم بالآخرة)  
بالدار الآخرة (كافرون  
ويذمها) وبين الجنة والنار  
أو بين الفريقين (حجاب)  
وهو السور المذكور في  
قوله فضرِبَ بينهم بسور  
(وعلى الاعراف) على  
اعراف الحجاب وهو السور  
المضروب بين الجنة والنار  
وهى أعاليه جمع عرف  
استعير من عرف الفرس  
وعرف الديك (رجال)  
من أفاضل المسلمين أو من  
آخريهم دخولا في الجنة  
لاستواء حسناتهم وسيئاتهم  
أو من لم يرض عنه أحد  
أبويه أو أطفال المشركين

فاذن مؤذن بينهم )  
فنادى مناد بين أهل  
الجنة والنار ( أن  
لعنة الله ) عذاب الله  
( على الظالمين ) الكافرين  
( الذين يصدون عن  
سبيل الله ) يصرفون الناس  
عن دين الله وطاعته  
( ويبغونها عوجا ) يطلبونها  
مغيرة ( وهم بالآخرة )  
بالبعث بعد الموت ( كافرون )  
جاحدون ( وبينهما )

وهما لغتان ﴿ فاذن مؤذن ﴾ قيل هو صاحب الصور ﴿ بينهم ﴾ بين الفريقين  
﴿ ان لعنة الله على الظالمين ﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر وحزة والكسائي ان لعنة الله  
بالتشديد والنصب \* وقرئ ان بالكسر على ارادة القول أو اجراء اذن مجرى قال  
﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ﴾ صفة للظالمين مقررة أو ذم مرفوع أو منصوب  
﴿ ويبغونها عوجا ﴾ زيفا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر فى المعانى والاعيان  
مالم تكن منتصبه وبالفتح ما كان فى المنتصبه كالحائط والرمح ﴿ وهم بالآخرة كافرون ﴾ وبينهما  
حجاب ﴿ أى بين الفريقين لقوله تعالى فضرِبَ بينهم بسور أو بين الجنة والنار لئلا ينع وصول  
أثر احدهما الى الاخرى ﴿ وعلى الاعراف ﴾ وعلى اعراف الحجاب أى أعاليه وهو السور  
المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فإنه يكون  
لظهوره أعرف من غيره ﴿ رجال ﴾ طائفة من الموحدن قصر وفى العمل فيجبسون بين الجنة  
والنار حتى يقضى الله سبحانه وتعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علمت درجاتهم كالانبياء عليهم الصلاة  
والسلام أو الشهداء رضى الله تعالى عنهم أو خيار المؤمنين وعلمائهم أو ملائكة يرون

فى الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء أو كيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر  
على أن يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب ﴿ قوله عز وجل ﴾ فاذن  
مؤذن بينهم ﴿ يعنى نادى مناد وأعلم لان أصل الاذان فى اللغة الاعلام والمعنى نادى  
مناد أسمع الفريقين وهذا المنادى من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره  
الواحدى ﴿ أن لعنة الله على الظالمين ﴾ يعنى يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين  
ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ﴾ يعنى الذين  
يتمعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام ﴿ ويبغونها عوجا ﴾ يعنى ويحاولون ان  
يغيروا دين الله وطريقته التى شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون  
لغير الله ويعظمون مالم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله  
وتعظيم مالم يعظمه الله فاخطوا الطريق وضلوا عن السبيل ﴿ وهم بالآخرة  
كافرون ﴾ يعنى وهم يكون الآخرة واقعة جاحدون منكرون لها ﴿ قوله  
عز وجل ﴾ وبينهما حجاب ﴿ يعنى بين الجنة والنار وقيل بين أهل الجنة وأهل  
النار حجاب وهو المذكور فى قوله تعالى فضرِبَ بينهم بسورله باب باطنه فيه الرحمة  
وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدى وبينهما  
حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله ﴿ وعلى الاعراف رجال ﴾ الاعراف جمع  
عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على مساواه  
من الجسدسمى بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار أعرف وأبين مما انخفض وقال السدى انما  
سمى الاعراف لان أصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضى الله عنهما الاعراف  
الشئ المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف جبل بين

بين الجنة والنار (حجاب) -سور ( وعلى الاعراف رجال ) وعلى السور رجال وهم قوم استوت حسناتهم بسيئاتهم ويقال هم  
قوم كانوا علماء فقهاء شاكين فى الرزق

الجنة والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين أخبر الله عنهم أنهم على الاعراف وما السبب الذي من أجله صاروا هنالك فروى عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرتهم سيئاتهم عن الجنة وتخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقوا هنالك على السور حتى يقضى الله تعالى فيهم قال بعضهم إنما جعلوا على الاعراف لأنها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لأنه ليس في الآخرة دار الاجنة أو النار وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة من خردل ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقوا على الاعراف فاذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا وسلام عليكم واذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لا تجعلننا مع القوم الظالمين فهناك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب له الا واحدة ثم قال هلك من غلب آحاده عشراته وقال ابن عباس رضي الله عنهما الاعراف سور بين الجنة والنار واصحاب الاعراب هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المكان حتى اذا أراد الله تعالى أن يعافهم انطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافاه قصب الذهب مكلل بالؤلؤ ترابه المسك فلقوا فيه حتى تصلح الوانهم وتبدو في منحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا يدخلون الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شرحبيل بن سعد أصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو من غير إذن آبائهم ورواه الطبري بسنده إلى يحيى بن غيل مولى لبي هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لأبائهم فنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة زاد في رواية فهم آخر من يدخل الجنة وذكرا بن الجوزي أنهم قوم رضي أبائهم دون أمهاتهم وأمهاتهم دون آبائهم ورواه عن ابراهيم وذكرا عن أبي صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم أولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لان آخر أمر أصحاب الاعراف إلى الجنة وهؤلاء الذين ماتوا في الفترة الله أعلم بحالهم وهو يتولى أمرهم وقيل انهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالا وهذا القول يرجع معناه إلى القول الذي قبله لأنه داخل في حكمه فهذه الأقوال تدل على أن أصحاب الاعراف دون أهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فلي هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة أو ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم أنبياء حكاه ابن الانباري وانما جلسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزا لهم على سائر أهل القيامة (واظهارا)

( يعرفون كلا ) من زمرة السعداء ﴿ ٥٥٧ ﴾ و الاشقياء { سورة الاعراف } ( بسياهم ) بعلاقتهم قيل

سيما المؤمنين بياض الوجوه ونضارتها وسيما الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون ( ونادوا ) أى أصحاب الاعراف ( أصحاب الجنة أن سلام عليكم ) انه سلام أى سلام وهو تهنئة منهم لاهل الجنة ( لم يدخلوها ) أى أصحاب الاعراف ولا محل له لانه استئناف كأن سائلا سأل عن أصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها ( وهم يطعمون ) فى دخولها أوله محل وهو صفة لرجال ( واذا صرفت أبصارهم ) أبصاراً أصحاب الاعراف وفيه ان صارفاً يصرف أبصارهم لينظروا فيستعينوا ( تلقاء ) ظرف أى ناحية ( أصحاب النار ) ورأوا ما هم فيه من العذاب ( قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين )

( يعرفون كلا ) كلا الفريقين من دخل النار ومن دخل الجنة ( بسياهم ) يعرفون من دخل النار بسواد وجهه وزرقة عينيه ومن دخل الجنة بياض وجهه أغمر محجل ( ونادوا ) يعنى اهل السور ( أصحاب الجنة أن سلام عليكم ) يا اهل الجنة ( لم يدخلوها ) بعد ( وهم يطعمون ) فى الدخول يعنى أصحاب الاعراف ( واذا صرفت أبصارهم ) اذا نظروا ( تلقاء أصحاب النار )

فى سورة الرجال ﴿ يعرفون كلا ﴾ من اهل الجنة والنار ﴿ بسياهم ﴾ بعلاقتهم التى أعظم الله بها كياض الوجه وسواده فعلى من سام الله اذا ارسلها فى المرعى معلية أو من وسم على القلب كالجاء من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام أو تعليم الملائكة ﴿ ونادوا ﴾ أصحاب الجنة ان سلام عليكم ﴿ أى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم ﴾ لم يدخلوها وهم يطعمون ﴿ حال من الواو على الوجه الاول ومن اصحاب على الوجه الثانى ﴾ واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ﴿ نعوذ بالله ﴾ ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴿ أى فى النار

واظهاراً لتفضلهم وعلوم ربهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار ومطعمين على احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجاز أصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسياهم يعنى يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل لابي مجاز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وان تقول انهم ملائكة فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبرى قول أبى مجاز قال لان لفظ الرجال فى لسان العرب لا يطق الا على الذكور من بنى آدم دون انائمهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم اعلى منهم منزلة وافضل وقيل انما جلسهم الله فى ذلك المكان العالى ليميزوا بين اهل الجنة وبين اهل النار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل ﴾ يعرفون كلا بسياهم ﴿ يعنى أن أصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة بسياهم وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم عليهم ويعرفون اهل النار بسياهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسيما العلامة الدلالة على شئ وأصله من السمعة قال ابن عباس رضى الله عنهما أصحاب الاعراف اذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم بياض الوجوه واذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان أصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم دون اهل الجنة فى الدرجة كان وقوفهم على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا رأوا اهل الجنة عرفوهم بياض وجوههم نادوهم ان سلام عليكم وهو قوله تعالى ﴿ ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ﴾ يعنى نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعنى سلمت من الآفات وحصل لكم الامن والسلامة واذا رأوا اهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من اهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على اهل الجنة واهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل الى الدرجات العلية فى الجنة ﴿ وقوله عز وجل ﴾ لم يدخلوها وهم يطعمون ﴿ يعنى فى دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم الا لكرامة يريد بها بهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ﴿ يعنى واذا صرفت ابصار اصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعنى وجاههم وحيالهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب ﴿ قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴾ يعنى الذين ظلموا أنفسهم ( واذا صرفت أبصارهم ) اذا نظروا ( تلقاء أصحاب النار ) نحو اهل النار ( قالوا ربنا ) لا تجعلنا مع القوم الظالمين (

فاستعاذوا بالله وفزعوا الى رحمة أن لا يجعلهم معهم ( ونادى أصحاب الاعراف رجلا ) من رؤس الكفرة ( يعرفونهم بسيماهم  
قالوا ما أغنى عنكم جمعكم ) المال أو كثرتكم واجتماعكم وما نافية ( وما كنتم تستكبرون ) واستكباركم على الحق وعلى الناس  
ثم يقولون لهم ( أهؤلاء ) مبتدأ ( الذين ) خبر مبتدأ مضمرة تقديره هؤلاء هم الذين ( أقسمتم ) حلفتم في الدنيا والمشار اليهم فقراء المؤمنين  
كصهيب وسلمان ونحوهما { الجزء الثامن } ( لا ينالهم الله برجة ) ﴿ ٥٥٨ ﴾ جواب أقسمتم وهو داخل في صلة

الذين تقديره أقسمتم عليهم  
بان لا ينالهم الله برجة أى  
لا يدخلهم الجنة يحقرونهم  
لفقرهم فيقال لأصحاب  
الاعراف ( ادخلوا الجنة )  
وذلك بعد ان نظروا الى  
الفريقين وعرفوهم بسيماهم  
وقالوا ما قالوا ( لاخوف  
عليكم ولا أنتم تحزنون

الكافرين في النار ) ونادى  
أصحاب الاعراف رجلا )  
من الكفار ( يعرفونهم )  
قبل دخولهم النار ( بسيماهم )  
بسواد وجوههم وزرقة  
أعينهم ( قالوا ) يا وليدين  
المغيرة يا أبا جهل بن  
هشام ويأمية بن خلف  
ويأبى بن خلف الجمعي  
ويا أسود بن عبدالمطلب  
وسائر الرؤساء ( ما أغنى  
عنكم جمعكم ) من المال  
والخدم ( وما كنتم  
تستكبرون ) تعظمون  
عن الايمان بمحمد عليه  
السلام والقرآن ثم نظروا  
الى أصحاب الجنة فرأوا  
في الجنة سلمان الفارسي

﴿ ونادى أصحاب الاعراف رجلا يعرفونهم بسيماهم ﴾ من رؤساء الكفرة  
﴿ قالوا ما أغنى عنكم جمعكم ﴾ كثرتكم أو جمعكم المال ﴿ وما كنتم تستكبرون ﴾  
عن الحق أو على الخلق \* وقرئ تستكبرون من الكثرة ﴿ أهؤلاء الذين أقسمتم  
لا ينالهم الله برجة ﴾ من تمتة قولهم للرجال والاشارة الى ضمفاء أهل الجنة  
الذين كانت الكفرة يحقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ﴿ ادخلوا  
الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ أى فالتفتوا الى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها  
وهو أوفق للوجوه الاخيرة وأوفقيل لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله سبحانه وتعالى  
بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل للماعبروا اصحاب  
النار أقسموا ان أصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله سبحانه وتعالى أو بعض الملائكة  
أهؤلاء الذين أقسمتم \* وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة

بالشرك وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان أصحاب الاعراف اذا نظروا لاهل  
النار وعرفوهم قالوا ربنا لانجملنا مع القوم الظالمين والمعنى ان أصحاب الاعراف  
اذا نظروا الى أهل النار وما فيد من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسألوه أن  
لا يجعلهم منهم \* قوله عز وجل ﴿ ونادى أصحاب الاعراف رجلا ﴾ يعنى ونادى  
أصحاب الاعراف رجلا كانوا عظماء في الدنيا وهم من أهل النار ﴿ يعرفونهم  
بسيماهم ﴾ يعنى بسيما أهل النار ﴿ قالوا ﴾ يعنى أصحاب الاعراف لهؤلاء الذين عرفوهم  
في النار ﴿ ما أغنى عنكم جمعكم ﴾ يعنى ما كنتم تجتمعون من الاموال والعدد في الدنيا ﴿ وما  
كنتم تستكبرون ﴾ يعنى وما أغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيأ قال الكلبي يتادونهم وهم  
على السور يا وليدين المغيرة يا أبا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة  
فيرون فيها الفقراء والضعفاء ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال  
وأشابههم فيقول أصحاب الاعراف لا أولئك الكفار ﴿ أهؤلاء ﴾ لفظ استفهام يعنى  
أهؤلاء الضعفاء ﴿ الذين أقسمتم ﴾ بالله ﴿ لا ينالهم الله برجة ﴾ يعنى انكم حلفتم  
انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لأصحاب الاعراف ﴿ ادخلوا  
الجنة ﴾ بفضلى ورحتى ﴿ لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون ﴾ وقيل ان أصحاب  
الاعراف اذا قالوا لأصحاب النار ما أخبر الله عنهم قال لهم أهل النار ان أولئك دخلوا  
الجنة وأنتم لم تدخلوها فيعبرونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله  
برجة فتقول الملائكة لاهل النار أهؤلاء يعنى أصحاب الاعراف الذين أقسمتم لا ينالهم الله

وصهبا وعمارا وسائر الضعفاء والفقراء قالوا ( أهؤلاء ) الضعفاء ( الذين أقسمتم ) حلفتم ( بر )  
في الدنيا يا معشر الكفار ( لا ينالهم الله برجة ) لا يدخلهم الله الجنة وقد دخلوا الجنة على رغم أوفقكم ثم يقول الله  
لأصحاب الاعراف ( ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ) من العذاب ( ولا أنتم تحزنون

ونادى أصحاب النار أصحاب

الجنة ان أفيضوا علينا من الماء ) ان مفسرة وفيه دليل على ان الجنة فوق النار ( أو مما رزقكم الله ) من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة أو أريد وألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقولك \* علفتها تبنًا وماء باردا \* أي وسقيتها وانما سألوا ذلك مع بأسهم عن الاجابة لان المتخير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد ( قالوا ان الله حرمها على الكافرين )

هو تحريم منع كافي وحرمانا عليه المراضع وتقف هنا ان رفعت وأنصبت ما بعده ذما وان جرت به وصفا للكافرين فلا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا ) فحرموا وأحلوا ماشاؤا أو دينهم عيدهم ( وغرتهم الحياة الدنيا ) اغتروا بطول البقاء

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا صبوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله من ثمار الجنة ( قالوا ) يعني أهل الجنة ( حرمها ) يعني ثمار الجنة والماء على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ) باطلا ( ولعبا ) فرحا ويقال ضحكة وسخرية ( وغرتهم الحياة الدنيا ) ما في الدنيا

مقولا لهم لا خوف عليكم \* ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان أفيضوا علينا من الماء \* أي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار \* أو مما رزقكم الله \* من سائر الاشربة ليلائم الافاضة أو من الطعام كقوله \* علفتها تبنًا وماء باردا \* قالوا ان الله حرمها على الكافرين \* منعها عنهم منع المحرم عن المكلف \* الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا \* كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به \* وغرتهم الحياة الدنيا قال يوم

برحمتهم تقول الملائكة لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا أتم تحزنون \* قوله عن وجل \* ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ) قال ابن عباس رضى الله عنهم لما صار أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار في الفرج فقالوا يا ربنا ان لنا قرايات من أهل الجنة فاذا نحن نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون الى قراياتهم في الجنة وما هم فيه من النعم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة الى قراياتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادون أي أصحاب النار أصحاب الجنة باسمائهم فينادى الرجل أباه وأخاه فيقول قد احترقت أفض على من الماء أو مما رزقكم الله فيقال لهم أجيئوهم فيقولون ان الله حرمها على الكافرين ومعنى الآية ان أهل النار يستغيثون بأهل الجنة اذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلاء بأهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة لهم من الله على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول أهل النار لاهل الجنة يا أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء يعني صبوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله يعني وأطعمونا مما رزقكم الله وودعوا علينا من طعام الجنة فيجيبهم أهل الجنة بقولهم \* ان الله حرمها على الكافرين \* وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الأكل والشرب عذبهم الله في الآخرة بشدة الجوع والعطش فسألوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الأكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمها على الكافرين يعني طعام الجنة وشربها وصف الكافرين فقال الله تعالى \* الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا \* يعني أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم ولهوا عنه وأصل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا أي اشتغلت عنه قال ابن عباس رضى الله عنهم ما هم المستهزؤون وذلك انهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخرتوا من دعابهم اليه وهزؤا به استهزاء بالله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحائر والسواحب والمكاء والتصدية حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه \* وغرتهم الحياة الدنيا \* يعني وخدعهم عاجل ما هم فيه من خصب العيش ولذته وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسله وعن الاخذ بنصيبيهم من الآخرة حتى أتمت المنية وهم على ذلك والفرقة عقلة في اليقظة وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غرق في الدنيا بلذاته وما هو فيه من



( فاليوم نساهم ) نتركهم في العذاب ( كانوا القاء يومهم هذا وما كانوا آياتنا يحجدون ) أي كنسائهم وجمودهم ( ولقد جئناهم بكتاب فصلناه ) الجزء الثامن { ميزنا حلاله } ٥٦٠ ﴿ وحرامه ومواعظه وقصصه ( على

علم ) عالين بكيفية تفصيل أحكامه ( هدى ورحمة ) حال من منصوب فصلناه ( لتمام ) كان على علم حال من مرفوعه ( لتمام يؤمنون هل ينظرون ) ينظرون ( الأتأويله ) الأتأويله أمره وما يؤل اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد ( يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل ) تركوه وأعرضوا عنه ( قد جاءت رسل ربنا بالحق ) أي تبين وصح أنهم جاؤا بالحق فاقروا حين لا ينفعهم

من الزهرة والنعيم ( فاليوم ) يوم القيامة ( نساهم ) نتركهم في النار ( كانوا ) كما تركوا ( الاقرار بيومهم هذا ) ( وما كانوا آياتنا ) بكتابتنا ورسولنا يحجدون ) يكفرون ( ولقد جئناهم بكتاب ) يقول أرسلنا اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن ( فصلناه ) بيناه ( على علم ) يعلم منا ( ويقال علمناه ( هدى ) من الضلالة ( ورحمة ) من

نساهم ﴿ نعمل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار ﴿ كانوا لقاء يومهم هذا ﴿ فإذ ظنوه بما لهم ولم يستعدوا له ﴿ وما كانوا آياتنا يحجدون ﴿ وكما كانوا منكرا من انهم عند الله ﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه ﴿ ينعامنا به من العقاب والاحكام والمواعظ مفصلة ﴿ على علم ﴿ عالين بوجه تفصيله حتى جاء حكما وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى عالم بعلمه أو مشتق على علم فيكون حالا من المفعول . وقرئ ﴿ فصلناه أي على سائر الكتب عالين بانه حقيق بذلك ﴿ هدى ورحمة لتمام يؤمنون ﴿ حال من الهاء ﴿ هل ينظرون ﴿ هل ينظرون ﴿ الا تأويله ﴿ الا ما يؤل اليه أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد ﴿ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل ﴿ تركوه ترك الناسي ﴿ قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴿ أي قد تبين أنهم جاؤا بالحق

ذلك ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات الذميمة قال ﴿ فاليوم ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ نساهم كانوا لقاء يومهم هذا ﴾ يعني فاليوم نتركهم في العذاب المهين جبا عا طاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس رضي الله عنهما نسيم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل معناه تعاملهم معاملة لمن نسي فنتركهم في النار كما تركوا العمل وأعرضوا عن الايمان اعراض الناسي سمى الله تعالى جزاء نسيانهم بالنسيان على المحجاز لان الله تعالى لا ينسى شيئا فهو كقوليه وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجيب دعاءهم ولا يرجح ضعفهم وزلهم بل يتركهم في النار كما تركوا الايمان والعمل ﴿ وما كانوا آياتنا يحجدون ﴾ يعني ونتركهم في النار كما كانوا بدلائل وحدائتنا يكذبون ﴿ قوله عز وجل ﴿ ولقد جئناهم بكتاب ﴾ يعني ولقد جئنا هؤلاء الكفار بالقرآن الذي أنزلناه عليك يا محمد ﴿ فصلناه على علم ﴾ أي بيناه على علم منا عانفضله ونبينه ﴿ هدى ورحمة لتمام يؤمنون ﴾ أي جعلنا القرآن هاديا وذارحة لتمام يؤمنون ﴿ هل ينظرون ﴾ يعني هل ينظر هؤلاء الكفار الذين كذبوا آياتنا وجحدوها ولم يؤمنوا بها ﴿ الا تأويله ﴾ يعني هل ينظرون ويتوقعون الا ما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصرهم الى النار والتأويل ما يؤل اليه الشيء ﴿ يوم يأتي تأويله ﴾ يعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء وما تؤل اليه أمورهم ﴿ يقول الذين نسوه من قبل ﴾ يعني يقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يؤمنوا به يوم القيامة عند معاينة العذاب ﴿ قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ اقرأوا على أنفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار ولعنى ان الكفار أقرؤا بان الذي جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق وانما أقرؤا بهذه الاشياء لانهم

العذاب ( لتمام يؤمنون ) بمحمد عليه السلام والقرآن ( هل ينظرون ) ما ينتظرون أهل مكة اذ لا يؤمنون ( الا ) ( شاهدوها ) تأويله ) عاقبة ما وعد لهم في القرآن ( وهو يوم القيامة ) ( يأتي تأويله ) عاقبة ما وعد لهم في القرآن ( يقول الذين نسوه ) تركوا الاقرار به ( من قبل ) من قبل ذلك في الدنيا ( قد جاءت رسل ربنا بالحق ) بيان البعث والجنة والنار ولكن

فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ( جواب ﴿ ٥٦١ ﴾ الاستفهام { سورة الاعراف } ( أو نرد ) جلة معطوفة

على جلة قبلها داخله معها  
في حكم الاستفهام كأنه  
قيل فهل لنا من شفعاء  
أو هل نرد ورافعه وقوعه  
موقعا يصلح للاسم كقولك  
ابتداء هل يضرب زيد أو  
عطف على تقدير هل يشفع  
لنا شفاعة أو هل نرد ( فنعمل )  
جواب الاستفهام أيضا  
( غير الذي كنا نعمل قد  
خسرنا أنفسنا و ضل  
عنهم ما كانوا يفترون )  
ما كانوا يجلدونه من الاصنام  
( ان ربكم الله الذي خلق  
السموات والارض في ستة  
أيام ) أراد السموات  
والارض وما بينهما وقد  
فصلها في حم السجدة أي  
من الاحد الى الجمعة لاعتبار  
الملائكة شيا فشيا والاعلام  
بالتأني في الامور ولان  
لكل عمل يوما ولان انشاء  
شيء بعد شيء أدل على  
عالم مدبر صريديصرفه على  
اختياره ويجريه على مشيئته  
كذبناهم ( فهل لنا من شفعاء  
فيشفعوا لنا ) من العذاب  
( أو نرد ) الى الدنيا ( فنعمل )  
فتؤمن ونعمل ( غير الذي  
كنا نعمل ) في الشرك  
( قد خسروا ) غبنوا  
( أنفسنا ) بذهاب الجنة  
ولزوم النار ( و ضل عنهم )  
اشتغل عنهم ( ما كانوا  
يفترون ) يعبدون بالكذب

﴿ فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ﴾ اليوم ﴿ أو نرد ﴾ أو هل نرد الى الدنيا \* وقرئ  
بالنصب عطفا على فيشفعوا أولان أو بمعنى الى ان فعل الاول المسؤول أحد الامرين الشفاعة  
أوردتهم الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين أو لامر واحد وهو الرد  
﴿ فنعمل غير الذي كنا نعمل ﴾ جواب الاستفهام الثاني \* وقرئ بالرفع أي فنحن  
نعمل ﴿ قد خسروا أنفسنا ﴾ بصرف اعمارهم في الكفر ﴿ و ضل عنهم ما كانوا  
يفترون ﴾ بطل عنهم فلم ينفعهم ﴿ ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة  
أيام ﴾ أي في ستة أوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره أو في مقدار ستة أيام  
فان اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء  
مدرجات القدرة على إيجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور

شاهدوها معاينة وذلك حين لا ينفعهم ولما رأوا أنفسهم في العذاب قالوا ﴿ فهل لنا  
من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ﴾ يعني أنه ليس لنا طريق الى  
الخلاص مما نحن فيه من العذاب الا أن يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعته فينا  
فيخلصنا من هذا العذاب أو نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر  
بالتوحيد والايان والمعاصي بالطاعة والانابة ﴿ قد خسروا أنفسنا ﴾ يعني  
ان الذي طلبوه لا يحصل لهم فتبين خسرتهم واهلاكهم أنفسهم لانهم كانوا  
في الدنيا أول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولوردوا الى الدنيا لعادوا الى ما كانوا  
عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله تعالى فيهم ﴿ و ضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾  
يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم  
فلما أفضوا الى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلما أنهم كانوا في دعواهم كاذبين ﴿ قوله  
عز وجل ﴾ ان ربكم الله ﴿ يعني ان سيدكم وما لكمكم ومصلى أموركم وموصل الخيرات  
اليكم والذي يدفع عنكم المكروه هو الله ﴾ الذي خلق السموات والارض ﴿ أصل الخلق  
في اللغة التقدير ويستعمل في ابداع الشيء من غير أصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خلق  
السموات والارض يعني أبداعهما وأنشأ خلقهما على غير مثال سبق وقد رآ حوالهما  
﴿ في ستة أيام ﴾ فان قلت اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو من  
طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة أيام ولم يكن شمس ولا سماء قلت معناه في مقدار  
ستة أيام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقادير البكر والعشي في الدنيا  
لان الجنة لاليل فيها ولا نهار واختلف العلماء في اليوم الذي ابتداء الله عز وجل بخلق  
الاشياء فيه فقيل في يوم السبت وهو قول محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا  
القول ما روى مسلم في افراذه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد  
وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق  
الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة

( ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض ( قاو خا ٧١ ني ) في ستة أيام ) من أيام أول الدنيا بطول كل يوم ألف سنة

من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد أنكره بعض العلماء لما فيه من المخالفة للآية الكريمة لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض في ستة أيام وقال في آية أخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق تم وكل في ستة أيام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة أيام وذلك مجموع أيام الاسبوع فلهذا السبب أنكره من أنكره من العلماء وقد ذكر الازهرى في كتابه تهذيب اللغة ما يقوى الحديث فقال وقال ابن الانبارى السبت القطع وسمى يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق السموات والارض وقيل ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبرى قال الطبرى خلق الله السموات والارض في ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة وروى بسنده عن مجاهد قال بدأ خلق العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وبدأ الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجع الخلق في يوم الجمعة وتهودت اليهود في يوم السبت ويوم من الستة الايام كالف سنة بما تعدون ويعضد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيده قال وسمى سابع الاسبوع سبعا لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خلق قال أصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله تعالى خلق التربة التي هي الارض بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها وطحاها وأخرج ماءها ومرعاها وخلق دوابها ووحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها وجميع ما فيها يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعة والخميس وخلق آدم يوم الجمعة وأسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم أهبطهما الى الارض في آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل أول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقر ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها أولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق آدم آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه أهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة أيام كل يوم مقداره ألف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة أيام من أيام الدنيا \* فان قلت ان الله عز وجل قادر على أن يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر فالقائدة في خلق السموات والارض في ستة أيام وما الحكمة في ذلك \* قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء في لحظة واحدة الا أنه تعالى جعل لكل شئ حدا محدودا ووقفا

﴿ ثم استوى على العرش ﴾ استوى أمره أو استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزلها عن الاستقرار والتكهن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه وللتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك

(ثم استوى) استولى  
(على العرش) أضاف الاستيلاء  
الى العرش وان كان سبحانه  
وتعالى مستوليا على جميع  
المخلوقات لان العرش  
أعظمها وأعلاها وتفسير  
العرش بالسرير والاستواء  
بالاستقرار كما تقول المشبهة  
باطل لانه تعالى كان قبل  
العرش ولا مكان وهو  
الآن كما كان لان التغيير  
من صفات الاكوان والمنقول  
عن الصادق والحسن وأبي  
حنيفة ومالك رضى الله  
عنهم ان الاستواء معلوم  
والتكييف فيه مجهول  
والايمان به واجب  
والجحود له كفر والسؤال  
عنه بدعة

(ثم استوى على العرش)  
عمد الى خلق العرش ويقال  
استقر

معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده الثابت  
والتأني في الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات  
والارض في لحظة فخلقهن في ستة أيام تعليما خلقه. الثبت والتأني في الامور كما  
في الحديث التأني من الله والحجة من الشيطان وقيل ان الشئ اذا أحدث دفعة واحدة  
فعله أن يختر ببال بعضهم ان ذلك الشئ انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا أحدث شئاً  
بعده شئ على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة وقيل  
ان الله تعالى أراد ان يوقع في كل يوم أمرا من أمره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم ممن  
شاهده وقيل ان التجليل في الخلق أبلغ في الندرة وأقوى في الدلالة والثبت أبلغ  
في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالثبت كما ظهر قدرته في خلق  
الاشياء بكن فيكون \* قوله عز وجل ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ العرش في اللغة  
السرير وقيل هو ماعلا فأظل وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى  
عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى  
ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل  
تعالى يعلم البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما تذهب اليه أوهام العامة فانه لو كان  
كذلك لكان حامله تعالى الله عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسى فلك  
الكواكب وأما استوى بمعنى استقر فتمد رواه البيهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات  
كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال أما الاستواء فالمتقدمون من اصحابنا  
كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنهومذهبهم في أمثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله  
ابن وهب انه قال كنعند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش  
استوى كيف استواؤه قال فاطرق مالك وأخذته الرخصاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن  
على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل  
سوء صاحب بدعة أخرجه فخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنعند مالك بن  
أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فاطرق  
مالك برأسه حتى علتبه الرخصاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول  
والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الامتدعا فامر به أن يخرج وروى  
البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه ففسيره تلاوته  
والسكوت عنه قال البيهقي والآثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة  
بدل مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه واليه ذهب أحمد بن حنبل والحسن بن الفضل

البحلي ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي قال بغوى اهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن أنس مع الرجل الذي سأله عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة أقرؤها كما جاءت بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله بعد ذكره الدلائل العقلية والسمعية انه لا يمكن جل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلاء الراشدين مذهبان الاول القطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا تخوض في تأويل الآية على التفصيل بل نفوض علما الى الله تعالى وهو الذي قررنا في تفسير قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمانه وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني انا نخوض في تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الاول ما ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل ثل العرش كناية عن نقض الملك يقال ثل عرشه أي انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد أمره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تديره العالم على الوجه الذي ألقوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم تبيينها على عظمة الله جل جلاله وكال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشيئة قال وبدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش وأورد على هذا القول ان الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزّه عن ذلك وأجيب عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات والارض مالكما لكن لا يصح أن يقال شبع زيدا بعدأكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح أن يقال انه تعالى انما استوى على ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثاني أن يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجاعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهبraq

وعلى هذا القول انما خص العرش بالاحبار عنه بالاستيلاء عليه لانه أعظم المخلوقات ورد هذا القول بأن العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشياء كلها ومستوليا عليها فأي تخصيص للعرش هنادون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن أبي الحسن الاشعري ان الله تعالى فعل في العرش فعلا سماه استواء كالفعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرهما من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء الا انه جملة من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكي الاستاذ أبو بكر بن فورك عن بعض ( أصحابنا )

﴿يفشى الليل النهار﴾ يغطيه به ولم يذكر حركه للعلم به أو لان اللفظ يحتملها ولذلك قرئ يفشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حزة والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير ﴿يطلبه حثيثا﴾ يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحديث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أوحال من الفاعل بمعنى حائا أو المفعول بمعنى محثوثا ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ بفضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال \* وقرأ

(يفشى الليل النهار) يعشى حزة  
وعلى وأبو بكر أى يلحق الليل  
بالنهار والنهار بالليل  
(يطلبه حثيثا) حال من الليل  
أى سريعا والطالب هو  
الليل كأنه لسرعة مضيه  
يطلب النهار (والشمس  
والقمر والنجوم) أى  
وخلق الشمس والقمر  
والنجوم (مسخرات)  
حال أى مذلات والشمس  
والقمر والنجوم مسخرات  
شأى والشمس مبتدأ  
والبقية معطوفة عليها  
والخبر مسخرات (بأمره)  
هو أمر تكوين ولما ذكر أنه  
خلقهن مسخرات بأمره قال

أصحابنا انه قال استوى بمعنى علا من العلوقال ولا يريد بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن يريد معنى نفى التحيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق أو يحيط به قطرو وصف الله تعالى بذلك طريقه الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي رحمه الله تعالى وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستواء قال وقد أشار أبو الحسن الأشعري الى هذه الطريقة محكية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابى هو الاول وهو ان الله تعالى مستوعب على عرشه وانه فوق الاشياء بأن منها بمعنى انه لا تحمله ولا يحملها ولا يماسها ولا يشبهها وليست الينونة بالعلو تعالى الله ربنا عن الحلول والتماسة علوا كبيرا وقد قال بعض اصحابنا ان الاستواء صفة لله تعالى تنفى الاعوجاج عنه وروى ان ابن الاعرابى جاءه رجل فقال ياأبا عبد الرحمن ما معنى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال انه مستوعب على عرشه كما أخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى أى استولى فقال له ابن الاعرابى ما يدريك ان العرب لا تقول استولى فلان على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فإيها غلب قبل لمن غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما تظنه البشر والله أعلم \* قوله عز وجل ﴿يفشى الليل النهار﴾ يعنى انه تعالى يأتى بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويفشى النهار الليل وإنما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه ﴿يطلبه حثيثا﴾ يعنى سريعا وذلك انه اذا كان يعقب أحدهما الآخر ويخالفه فكأنه يطلبه حتى الامام فخر الدين الرازى عن القفال انه قال ان الله تعالى لما أخبر عباده باستوائه على العرش أخبر عن استمرار أمور المخلوقات على وفق مشيئته وأراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة أشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان في أشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة آلاف ميل وهى ألف فرسخ فلماذا قال تعالى يطلبه حثيثا لسرعة حركته ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جارية في مجاريها بأمره وقال المفسرون يعنى بتسخيرهن تذللهن لما يراد منها من

(يفشى الليل النهار)  
يغطى الليل بالنهار والنهار  
بالليل (يطلبه) يعنى  
الليل النهار والنهار الليل  
(حثيثا) سريعا يجئ  
ويذهب (والشمس)  
وخلق الشمس (والقمر  
والنجوم مسخرات)  
مذلات (بأمره) بأذنه

ابن عامر كلمها بالرفع على الابتداء والخبر ﴿ألا له الخلق والامر﴾ فانه الموجد والمتصرف ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآيته والله سبحانه وتعالى اعلم ان الكفرة كانوا متخذين أربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله سبحانه وتعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه سبحانه وتعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدير حكيم فابعد الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسمها قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال و اشار اليه بقوله وخلق الارض في يومين أي مافي جهة السفلى في يومين ثم أنشأ انواع المواليد

طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هي قدرات بانفسهن وانما هن يتصرفن في متصرفاتهن على ارادة المدبر لهن الحكيم في تدبيرهن وتصريفهن على ما أراد منهن والمراد بالامر في قوله بامرء نفاذ ارادته لان الغرض من هذه الآية تبين عظمة قدرته ومنهم من حل الامر على الامر الذي هو الكلام وقال انه تعالى أمر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة الى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم أمردهما بالذكور ثم عطف عليهما ذكر النجوم قلت انما أفردهما بالذكور لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور وسيرهما في المنازل لتعرف الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملائكة وان كانا من الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة ﴿قوله عز وجل﴾ ألا له الخلق والامر ﴿يعنى له الخلق لانه خلقهم وله أن يأمر فيهم بما أراد وله أن يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو نقض النهي واستخراج سفیان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بخلق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فن جمع بينهما فقد كفر يعني ان من جعل الامر الذي هو كلامه تعالى من جملة ما خلقه فقد كفر لان الخلق لا يقوم بخلق مثله وقيل معناه ان جميع مافي العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضائه وقدره فهو مجربها ومنشئها فلا يبقى بعد هذا لحد شيء وقيل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الآية تعظيم القدرة وفي الآية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من يقول ان للشمس والقمر والكواكب تأثيرات في هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد أمر غيره فهو الامر والنهاي الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه ﴿تبارك الله﴾ يعني تعجب وتعظم وارتفع وقال الزجاج تبارك تصاعل من البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم الله ﴿رب العالمين﴾ يعني انه هو الذي يستحق التعظيم وذلك

(ألا له الخلق والامر)  
أي هو الذي خلق الاشياء  
وله الامر (تبارك الله)  
كثريه أودام بره من  
البركة التمام أو من البروك  
الثبات و منه البركة  
(رب العالمين)

(ألا له الخلق) خلق السموات  
والارض (والامر) يعني  
القضاء بين العباد يوم القيامة  
(تبارك الله) ذوركة  
ويقال تعالى الله ويقال تبارك  
(رب العالمين) سيد العالمين

الثلاثة بترييب موادها أولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام أى مع اليومين الاولين لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لاتم له عالم الملك عمد الى تديره كالملك الجالس على عرشه لتدير المملكة فدير الامر من السماء الى الارض بتحرك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوين الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقل الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم أمرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية ﴾ أى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص

ادعوا ربكم تضرعا وخفية) نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية والتضرع تفعل من الضراعة وهى الذل أى تذلا وتلقا قال عليه السلام انكم لاتدعون أصم ولا غابيا انما تدعون سميعا قريبا انه معكم أينما كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا ومدبرهم ( ادعوا ربكم تضرعا) علانية (وخفية) سرا ويقال تضرعا أى مستكينا وخفية أى خوفا

ان الله تعالى لما افتتح هذه الآية بقوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وذكر أشياء من عظيم خلقه وأن له الخلق والامر والنهى والقدرة عليهم ختم الآية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك معناه تقديس والتقدير الطهارة وقيل معناه باسمه يتبرك فى كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام كالم يزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يردبه التوقيف ﴿ قوله عز وجل ﴾ ادعوا ربكم ﴿ قيل معناه اعبدوا ربكم لان معنى الدعاء طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب أن يكون مغاير للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصريح لان الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لان الداعي لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف عن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدر والكمال وهو المراد من قوله تعالى ﴿ تضرعا ﴾ يعنى ادعوا ربكم تذلا واستكانة وهو اظهار الذل الذى فى النفس والخشوع يقال ضرع فلان فلان اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعنى تملقا وحقيقته ان ندعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى ﴿ وخفية ﴾ يعنى سرا فى أنفسكم وهو ضد العلانية والادب فى الدعاء أن يكون خفيا هذه الآية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يحتدون فى الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أنه تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا رضى فعله فقال تعالى اذا نادى ربه نداء خفيا (ق) عن أبى موسى الاشعري رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجهل الناس بجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لاتدعون أصم ولا غابيا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته قال أبو موسى رضى الله عنه وأنا خلفه أقول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فى نفسى فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كثر من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله



﴿ انه لا يحب المعتدين ﴾ المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره نبيه على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب في دعوى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ﴿ ولا تفسدوا في الارض ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ بعد اصلاحها ﴾ بعث الانبياء

قال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم يعني ارفقوا بها واقصروا عن الصياح في الدعاء ﴿ قوله عز وجل ﴾ انه لا يحب المعتدين ﴿ يعني في الدعاء وقال أبو مجلزهم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم انى أسألك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها قال أى بنى سل الله الجنة وتموذه من النار فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء أخرجه أبو داود وقال ابن جريج الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد في كل شئ فكل من خالف أمر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يحب المعتدين وفرع بعض أرباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل اظهار العبادات أم لا فذهب بعضهم الى ان اخفاء الطاعات والعبادات أفضل من اظهارها لهذه الآية ولكونها أبعد عن الرياء وذهب بعضهم الى ان اظهارها أفضل ليقترن به الخير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى اخفاء العبادات صوتا لعمله عن البطلان وان كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى التمكين بحيث صار ميانا شائبة الرياء كان الاولى في حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقتداء به وذهب بعضهم الى أن اظهار العبادات المفروضات أفضل من أخفائها فالصلاة المكتوبة في المسجد أفضل من صلاته في بيته وصلاة النقل في البيت أفضل من صلاته في المسجد وكذا اظهار الزكاة أفضل من أخفائها واخفاء صدقة التطوع أفضل من اظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ﴿ يعني ولا تفسدوا أيها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببشارة الرسل وبيان الشرائع والدعاء الى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقال ابن عطية لاتعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الآية ولا تفسدوا في الارض شياً بعد ان أصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل أو افسادها بقطع بعض الاعضاء وفساد الاموال بالفسب والسرقة وأخذ من الغير بوجوه الخيل وفساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء

( انه لا يحب المعتدين )  
المجاوزين ما أمروا به في كل شئ من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرافعين أصواتهم بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ( ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ) أى بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو بالظلم بعد العدل

( انه لا يحب المعتدين )  
بالدعاء ما لا يحق لهم على الصالحين ( ولا تفسدوا في الارض ) بالمعاصي والدعوة الى غير الله ( بعد اصلاحها ) بالطاعة والدعوة

(وادعو خوفا وطمعا) حالان أي خائفين ﴿٥٦٩﴾ من الرطاميين { سورة الاعراف } في الاحابة أو من النيران

وفي الجنان أو من الفراق  
وفي التلاق أو من غيب  
العاقبة وفي ظاهر الهداية  
أو من العدل وفي الفضل  
( ان رحمة الله قريب من  
المحسنين ) ذكر قريب  
على تأويل الرحمة بالرحم  
أو الترجم أولانه صفة  
موصوف محذوف أي شيء  
قريب أو على تشبيهه بفعيل  
الذي هو بمعنى مفعول  
أولان تأنيث الرحمة غير  
حقيقي أو للاضافة الى  
المذكر ( وهو الذي يرسل  
الرياح ) الريح مكي وحزة  
وعلى ( نشرها ) حزة وعلى  
مصدر نشر واتصاه اما  
لان أرسل ونشر متقاربان  
فكانه قيل نشرها نشرها  
واما على الحال أي  
منشورات بشرها عاصم  
تخفيف بشرها جميع بشر  
لان الرياح تبشر بالمطر  
نشرها شامى تخفيف نشر  
كرسل ورسل وهو قراءة  
الباقين جمع نشور أي  
الى الله تعالى ( وادعوه )  
اعبدوه ( خوفا ) منه  
ومن عذابه ( وطمعا ) اليه  
أن تصيروا الى جنته ( ان  
رحمة الله ) جنة الله ( قريب  
من المحسنين ) من المؤمنين  
المحسنين بالقول والفعل  
( وهو الذي يرسل الرياح )

بشرها ) طيبا

وشرع الاحكام ﴿ وادعوه خوفا وطمعا ﴾ ذوى خوف من الرد لقصور أعمالكم  
وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رجته ﴿ ان رحمة الله  
قريب من المحسنين ﴾ ترجيح للطمع وتنبية على ما يتوسل به الى الاجابة وتد كبير قريب  
لان الرحمة بمعنى الرحم أو لانه صفة محذوف أي أمر قريب أو على تشبيهه بفعيل الذى  
هو بمعنى مفعول أو الذى هو مصدر كالنقيض أو للفرق بين القريب من النسب  
والقريب من غيره ﴿ وهو الذى يرسل الرياح ﴾ وقرأ ابن كثير وحزة والكسائى  
الريح على الوحدة ﴿ نشرها ﴾ جمع نشور بمعنى ناشره وقرأ ابن عامر نشرها بالتخفيف  
حيث وقع وحزة والكسائى نشرها بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى

المضلة وفساد الانساب بالاقدام على الزنا وفساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك  
لان المصالح المعتبرة فى الدنيا هي هذه الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد فى ما هيتهما ﴿ قوله  
عز وجل ﴾ وادعوه خوفا وطمعا ﴿ أصل الخوف انزعاج فى الباطل لما لا يؤمن من  
المضار وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما بعد والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى  
وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه  
خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الرياء فى الذكر والدعاء وطمعا  
فى الاجابة فان قلت قال فى أول الآية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا  
هو عطف الشئ على نفسه ففائدة ذلك قلت الفائدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم  
أى ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع والاختبات وقوله وادعوه خوفا وطمعا ان فائدة الدعاء  
أحد هذين الامرين فكانت الآية الاولى فى بيان شرط صحة الدعاء والآية الثانية  
فى بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين فى أنفسكم بين الخوف والرجاء فى أعمالكم  
كلها ولا تطمعوا انكم وفيم حق الله فى العبادة والدعاء وان اجتهدتم فيهما ﴿ ان رحمة الله ﴾  
أصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة فى الرقة المجردة عن الاحسان  
وتارة فى الاحسان المجرد عن الرقة واذ اوصف بها البارى جل وعز فليس يراد بها  
الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحة الله عز وجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده  
وايصال الخير اليهم وقيل هي ارادة ايصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة  
من صفات الافعال وعلى القول الثانى تكون من صفات الذات ﴿ قريب من المحسنين ﴾  
قال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تأنيث  
الرحمة ليس بحقيقى وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وكون  
الرحمة قريبة من المحسنين لان الانسان فى كل ساعة من الساعات فى ادبار عن الدنيا  
واقبال على الآخرة واذ كان كذلك كان الموت أقرب اليه من الحياة وليس بينه وبين  
رحمة الله التى هي الثواب فى الآخرة الاموت وهو قريب من الانسان ﴿ قوله  
عز وجل ﴾ وهو الذى يرسل الرياح ﴿ هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذى  
خلق السموات والارض وهو الذى يرسل الرياح ﴿ بشرها ﴾ قرى نشرها بالنون

( قا و خا ٧٢ فى )

موضع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان والعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير \* وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات أو للبخارة وبشري \* بين يديه رحته \* قدام رحته بمعنى المطرفان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه \* حتى اذا أقلت أى حلت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله \* سحابا ثقالا \* بالماء جمعه لان السحاب

أراد جمع نشور وهي الريح الطيبة الهبوب التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال أنشر الله الريح بمعنى أحيها وقال الفراء النشر الريح الطيبة اللينة التي تنشى السحاب وقال ابن الأنباري النشر المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطي فيحتمل أنها كانت بانقطاعها كالمطوية فانتشرت بمعنى أرسلت وقرئ بشرا بالباء جمع بشيرة وهي التي تبشر بالمطر والريح هو الهواء المتحرك بمنه ويسرة والرياح أربعة الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية والشمال وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان الرياح ثمان أربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رجة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات \* بين يدي رحته \* يعني أمام المطر الذي هو رحته وانعنامه رجة لانه سبب حياة الارض الميتة قال أبو بكر بن الأنباري رجه الله تعالى ايدان تستعملهما العرب في الحجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون في الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل أن تقوم الساعة تشبها وتمثيلا بما اذا كانت يدا الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به \* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذت الناس ربح بطريق مكة وعمر حجاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغمكم في الريح فإرجعوا اليه شيئا وبلغني الذي سألت عمر عنه من أمر الريح فاستحثت راحلتي حتى أدركت عمر وكنيت في مؤخر الناس فقلت يا أمير المؤمنين أخبرت أنك سألت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تعالى تأتي بالرجة وتأتي بالعذاب فاذا رأيتوها فلا تسبوها وأسألوا الله من خيرها واستميدوا بالله من شرها رواه الشافعي رضي الله عنه بطوله وأخرجه أبو داود في المستدعنه وقال كعب الاخبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لانتن أكثر أهل الارض \* قوله عز وجل \* حتى اذا أقلت سحابا ثقالا \* يقال أقل فلان الشيء اذا حله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيئا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء أو لم يكن فيه ماء سمي سحابا لان سحابه في الهواء والمعنى حتى اذا حلت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيه من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين وهما طرفا السماء والارض حيث يلتقيان فتخرج منه ثم تنشره فتبسطه في السماء كيف يشاء ثم تفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يعطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تتحرك تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم ينضم بعضها الى بعض فيتراكم ويتعقد ويحمل الماء ثم تسوقه الى حيث

ناشرة للمطر ( بين يدي رحته ) أمام نعمته وهو الغيث الذي هو من أجل النعم ( حتى اذا أقلت ) حلت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرفع المطبق يرى ما يرفعه قليلا ( سحابا ثقالا ) بالماء جمع سحابة ( بين يدي رحته ) قدام المطر ( حتى اذا أقلت ) رفعت

جمع بمعنى السحاب ﴿ سقناه ﴾ أى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ ﴿ لبلد ميت ﴾ أى لاجله أو لحيائه أو لسقيه \* وقرئ ميت ﴿ فأنزلنا به الماء ﴾ بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح وكذلك ﴿ فاخرجنا به ﴾ ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباة للاتصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهى للسبية فهما ﴿ من كل الثمرات ﴾ من كل انواعها ﴿ كذلك نخرج الموتى ﴾ الاشارة فيه الى اخراج الثمرات أو الى احياء البلد الميت أى كما نحياه باحداث القوة النامية فيه وتطيرتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحياها برد النفوس الى مواد ابدانها

يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى ﴿ سقناه لبلد ميت ﴾ يعنى الى بلد فتكون اللام بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكروان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جائز انظر الى اللفظ قال الازهرى رحمه الله تعالى قال الليث البلد كل موضع من الارض عامر أو غير عامر خال أو مسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمنفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة \* للجن بالليل في حافاتها زجل

ومعنى الآية اناسقنا السحاب الى بلد ميت محتاج لانزال الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت فيه خضرة ﴿ فأنزلنا به الماء ﴾ اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج رحمه الله وابن الانبارى جائز أن يكون المعنى فأنزلنا بالبلد الميت الماء وجائز أن يكون المعنى وانزلنا بالسحاب الماء لان السحاب آلة لنزول الماء ﴿ فاخرجنا به ﴾ يعنى بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاجراج الثمرات وقيل يحتمل أن يكون المعنى فاخرجنا بذلك الميت ﴿ من كل الثمرات ﴾ يعنى وأخرجنا بذلك البلد بدموته وجدبه من اصناف الثمار والزروع ﴿ كذلك نخرج الموتى ﴾ يعنى كأحيينا البلد الميت كذلك تخرج الموتى احياء من قبورهم بعد فناءهم ودروس آثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيى الموتى بواسطة انزال المطر أيضا قال أبو هريرة وابن عباس رضى الله عنهما ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى أمطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية أربعين يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فمئذ ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم اننادى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا أراد الله تعالى أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تنشق الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيى الله الموتى بالمطر كاحيائه الارض به وقيل

( سقناه ) الضمير للسحاب

على اللفظ ولو حمل على

المعنى كالتفصال لانه كما

لوحل الوصف على اللفظ

لقليل ثقيلًا ( بلد ميت )

لاجل بلد ليس فيه مطر

ولسقيه ميت مدنى وحزة

وعلى وحفص ( فأنزلنا به

الماء ) بالسحاب أو بالسوق

وكذلك ( فاخرجنا به من

كل الثمرات كذلك ) مثل

ذلك الاخراج وهو اخراج

الثمرات ( نخرج الموتى

( سحابا ثقالا ) ثقيلًا

بالماء ( سقناه لبلد ) الى

مكان ( ميت ) لانبات فيه

( فأنزلنا به ) بالمكان الميت

( الماء فاخرجنا به ) بالمطر

( من كل الثمرات ) من

الوان الثمرات ( كذلك )

كما نحى الارض بالنبات

( نخرج الموتى ) نحى ونخرج

لعلكم تذكرون) فيؤديكم  
التذكور الى الايمان بالبعث  
اذلا فرق بين الاخراجين  
لان كل واحد منهما اعادة  
الشيء بعد انشائه ( والبلد  
الطيب) الارض الطيبة  
التراب ( يخرج نباته باذن  
ربه ) بتيسيره وهو موضع  
الحال كانه قيل يخرج نباته  
حسنا وافيا لانه واقع في  
مقابلة نكدا ( والذي  
خبت ) صفة للبلد أى  
والبلد الخبيث ( لا يخرج )  
أى نباته فحذف للاكتفاء  
( الانكدا ) هو الذى لا خير  
فيه وهذا مثل لمن يجمع فيه  
الوعظ وهو المؤمن ولمن  
لا يؤثر فيه شيء من ذلك  
وهو الكافر وهذا التمثيل  
واقع على أثر مثل ذلك  
المطر وانزاله بالبلد الميت  
واخراج الثمرات به  
على طريق الاستطراد  
الموتى من القبور ( لعلكم  
تذكرون ) لكي تتعظوا  
( والبلد الطيب ) المكان  
الزاكى الذى ليس بسبخة  
( يخرج نباته باذن ربه )  
بارادة ربه بلا كد ولا عناء  
كذلك المؤمن المخلص يؤدى  
ما أمر الله طوعا بطيبة النفس  
( والذي خبت ) المكان  
الخبيث السبخة ( لا يخرج )  
نباته ( الانكدا ) لا ينبت

بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ فتعلمون ان من قدر  
على ذلك قدر على هذا ﴿ والبلد الطيب ﴾ الارض الكريمة التربة ﴿ يخرج نباته  
باذن ربه ﴾ بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغازرة نفعه لانه أوقعه  
في مقابلة ﴿ والذي خبت ﴾ كالجرة والسبخة ﴿ لا يخرج الانكدا ﴾ قليلا عديم النفع  
ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبت لا يخرج نباته الا نكدا فحذف  
المضاد واقيم المضاد اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا \* وقرئ يخرج أى يخرج به البلد

انما وقع التشبيه باصل الاحياء والمعنى انه تعالى كأجهاذا البلد الميت بعد خرابه وموته  
فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيى الله الموتى ويخرجهم من قبورهم  
أحياء بعد ان كانوا أمواتا وربما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب  
اليابس قادر على أن يحييهم ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم ﴿ لعلكم  
تذكرون ﴾ الخطاب لمنكرى البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهى مزهرة  
مورقة مثمرة فى أيام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار  
والاوراق والثمار ثم ان الله تعالى أحيها مرة أخرى فالتقادر على احيائها بعد موتها  
قادر على احياء الاجساد بعد موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكي  
تعتبروا وتتذكروا وتعلموا أن من فعل ذلك كان هو الذى يعيد ويحيى ﴿ قوله عز وجل  
﴿ والبلد الطيب ﴾ يعنى والارض الطيبة التربة السهلة السمحة ﴿ يخرج نباته ﴾  
باذن ربه ﴿ يعنى اذا صابه مطر اخرج نباته باذن الله عز وجل ﴾ والذى خبت لا يخرج ﴿  
يعنى والبلد الذى خبت أرضه فهى سبخة لا يخرج يعنى لا يخرج نباته ﴾ الانكدا ﴿  
يعنى عسرا عشقة وكلفة قال الشاعر فى المعنى يذم انسانا

لا تخرج الوعد ان وعدت وان . أعطيت فأعطيت فافها نكدا

يعنى بالتأفة القليل وبالتكدر العسير ومعناه انك ان أعطيت القليل بعسر ومشقة  
قال المفسرون هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فشبهُ المؤمن بالارض الحرة  
الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل  
المطر عليها أخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به  
وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وأنواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر  
بالارض الرديئة الغليظة السبخة التى لا ينتفع بها وان أصابها المطر فكذلك الكافر اذا  
سمع القرآن لا ينتفع به ولا يصدق به ولا يزيد به الاعتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة  
فى الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها فى الآخرة قال ابن عباس رضى الله عنهما هذا  
مثل ضربه الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره طيب  
ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المألحة التى خرجت منها البركة فالكافر خبيث  
وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله تعالى لآدم وذريته كلهم منهم خبيث  
وطيب ويبدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبى موسى الاشعري رضى الله تعالى  
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بشرى الله تعالى به من الهدى والعلم

فيكون الانكاد مفعولا ونكد اعلی المصدر أى ذانكد ونكد ابا لاسكان للتخفيف ﴿ كذلك  
نصرف الآيات ﴿ نردها ونكررها ﴿ لقوم يشكرون ﴿ نعمة الله فيتفكرون فيها  
ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم  
يتأثر بها ﴿ لقد أرسلنا نوحا الى قومه ﴿ جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه  
اللام الامع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح  
ابن ملك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين

( كذلك ) مثل ذلك

التصرف (نصرف الآيات)

نردها ونكررها ( لقوم

يشكرون ) نعمة الله وهم

المؤمنون ليتفكروا فيها

ويعتبروا بها (لقد أرسلنا)

جواب قسم محذوف

أى والله لقد أرسلنا (نوحا

الى قومه) أرسل وهو ابن

خمسين سنة وكان نجارا

وهو نوح بن ملك بن

متوشلخ بن أخنوخ وهو

اسم ادريس عليه السلام

وعناء ( كذلك ) المناق

لا يؤدي ما امر الله الاكرها

بغير طيبة النفس (نصرف

الآيات ) نبين القرآن في

مثل المؤمن والكافر (لقوم

يشكرون ) يؤمنون ( لقد

أرسلنا نوحا الى قومه

كثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير  
وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب  
طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله  
عز وجل ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعلم وعلم من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى  
الله تعالى الذي أرسلت به أخرجاه في الصحيحين ﴿ قوله عز وجل ﴿ كذلك نصرف  
الآيات لقوم يشكرون ﴿ يعنى كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على  
التوحيد والايان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله تعالى على انعامه عليهم  
بالهداية وحيث جنبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين  
انفعوا بسماع القرآن ﴿ قوله عز وجل ﴿ لقد أرسلنا نوحا الى قومه ﴿ اعلم ان الله  
تبارك وتعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنفته  
الدالة على توحيد ربه وبيته وأقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك  
بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع أمهم وفي ذلك تسلية للنبي  
صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه فقط عن قبول الحق بل قد اعرض عنه  
سائر الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل  
كانت الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الآخرة الى العذاب العظيم فمن كذب بحمد  
صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبله من الامم المكذبة  
وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ  
ولا يكتب ولم يلق أحدا من علماء زمانه فلما أتى بنبل هذه القصص والاخبار عن القرون  
الماضية والامم الخالية مما لم ينكره عليه أحد علم بذلك انه انما أتى به من عند الله عز وجل  
وانه أوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه  
وسلم وقوله تعالى لقد أرسلنا نوحا الى قومه لند أرسلنا نوحا جواب قسم محذوف  
تقديره والله لقد أرسلنا نوحا وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس  
عليه الصلاة والسلام ومعنى أرسلنا بعثنا وهو أول نبي بعثه الله تعالى بعد ادريس وكان  
نوح عليه الصلاة والسلام نجارا وقيل معنى الارسل ان الله تعالى حمله رسالة ليؤديها  
الى قومه فلي هذا التقدير فارسالة تكون متضمنة للبعث أيضا ويكون البعث كالتابع  
لانه أصل قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثه الله وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن

( فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ) غيره على فالرفع على المحل كأنه قيل مالكم اله غيره فلا تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ ( انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان ( قال الملائة ) أى الاشراف والسادة ( من قومه انا انزلك فى ضلال مبین ) أى بين فى ذهاب عن طريق الصواب والرؤية رؤية القلب ( قال يا قوم ليس بى ضلالة ) { الجزء الثامن } ولم يقل ضلال ﴿ ٥٧٤ ﴾ كما قالوا لان الضلالة اخص

﴿ فقال يا قوم اعبدوا الله ﴾ أى اعبدوه وحده لقوله تعالى ﴿ مالكم من اله غيره ﴾ وقرأ الكسائى غيره بالكسر نعتاً أو بدلاً على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء ﴿ انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان ﴿ قال الملائة ﴾ من قومه ﴿ أى الاشراف فانهم يملاؤن العيون رواء ﴾ انا لئلك فى ضلال ﴿ فى زوان عن الحق ﴾ مبین ﴿ بين ﴾ قال يا قوم ليس بى ضلالة ﴿ أى شىء من الضلال بالغ فى النفي كما بالغوا فى الاثبات وعرض لهم به ﴾ ولكنى رسول من رب العالمين ﴿ استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكنى على هدى فى الغاية لاني رسول من الله سبحانه وتعالى ﴾ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم

خسین سنة وقيل وهو ابن مائتين وخسین سنة وقيل وهو ابن مائة سنة وقال ابن عباس رضى الله عنهما سمى نوحاً لكثرة ما نوح على نفسه واختلفوا فى سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعتة ربه فى شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بکلب مجذوم فقال له اخساً يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه أعبتنى أم عبت الكلب ﴿ فقال ﴾ يعنى نوحاً لقومه ﴿ يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ يعنى اعبدوا الله تعالى فانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذى يستوجب أن يعبد ﴿ انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ يعنى ان لم تقبلوا ما أمركم به من عبادة الله تعالى واتباع أمره وطاعته واليوم الذى خافه عليهم هو ايام الطوفان واهلاكهم فيه أو يوم القيامة انما قال أخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أياً جعلهم أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة ﴿ قال الملائة ﴾ وهم الجماعة الاشراف ﴿ من قومه انا انزلك ﴾ يعنى يانوح ﴿ فى ضلال مبین ﴾ يعنى فى خطأ وزوال عن الحق بين ﴿ قال ﴾ يعنى نوحاً ﴿ يا قوم ليس بى ضلالة ﴾ يعنى ما بى ما تنظنون من الضلال ﴿ ولكنى رسول من رب العالمين ﴾ يعنى هو أرسلى اليكم لاندركم وأخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله ﴿ أبلغكم رسالات ربي ﴾ يعنى بتحذيرى اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به ﴿ وأنصح لكم ﴾ يقال نصحتهم ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريد لنفسه وقيل النصح تحرى قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال أبلغكم جميع تكاليف الله وشرائمه وأرشدكم الى الوجه الاصلح

من الضلال فكانت أبلغ فى نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بى شىء من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة فقال ( ولكنى رسول من رب العالمين ) لان كونه رسولا من الله مبلغا لرسالاته فى معنى كونه على الصراط المستقيم فكان فى الغاية التصوى من الهدى ( أبلغكم رسالات ربي ) ما أوحى الى فى الاوقات المتطاولة أو فى المعانى المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والبشائر والنظائر أبلغكم أبو عمرو وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين ( وأنصح لكم ) وأقصد صلاحكم باخلاص يقال نصحت له ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على اعراض النصيحة وحقيقة النصح ارادة الخير لغيرك فقال يا قوم اعبدوا الله

وحدوا الله ( مالكم من اله غيره ) غير الذى أدعوكم اليه ( انى أخاف عليكم ) اعلم ان يكون عليكم ( عذاب ) والا ( يوم عظيم ) ان لم تؤمنوا ( قال الملائة ) الرؤساء ( من قومه انا انزلك ) يانوح ( فى ضلال مبین ) فى خطأ بين فيما تقول ( قال يا قوم ليس بى ضلالة ) سفاهة ( ولكنى رسول من رب العالمين ) اليكم ( أبلغكم رسالات ربي ) بالامر والنهي ( وأنصح لكم ) أحذركم من العذاب وأدعوكم الى التوبة والايان

عما تريد لنفسك أو النهاية في صدق العناية ( وأعلم من الله ما لا تعلمون ) أى من صفاته يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم ﴿٥٧٥﴾ المجرمين (أو عجبتم) {سورة الاعرف} الهمزة للانكار والواو

للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أ كذبتهم وعجبتم ( أن جاءكم ) من ان جاءكم ( ذكر ) موعظة ( من ربكم على رجل منكم ) على لسان رجل منكم أى من جنسكم وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في آياتنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة ( لينذركم )

لينذركم عاقبة الكفر ( ولتتقوا ) ولتوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الانذار ( ولعلكم ترجون ) ولترجوا بالتقوى ان وجدت منكم ( فكذبوه ) فنسبوه الى الكذب فانجيناها ( والذين معه ) وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه وسام وحام ويافث وستة ممن آمن به

( وأعلم من الله ما لا تعلمون ) من العذاب ان لم تؤمنوا ( أو عجبتم ) بل عجبتم ( أن جاءكم ) بان جاءكم ( ذكر ) نبوة ( من ربكم على رجل منكم ) آدمي مثلكم ( لينذركم )

وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴿﴾ صفات لرسول أو استئناف ومساقتها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو وبلغكم بالتخفيف وجع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتبوع معانيها كاللقائد والمواعظ والاحكام أو لان المراد بها ما وصى اليه والى الانبياء قلبه كصنف شيت وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على المحاض النصيح لهم وفى أعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه أو من جهته بالوحي أشياء لا أعلم لكم بها ﴿﴾ أو عجبتم ﴿﴾ الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف أى كذبتهم وعجبتم ﴿﴾ ان جاءكم ﴿﴾ من أن جاءكم ﴿﴾ ذكر من ربكم ﴿﴾ رسالة أو موعظة ﴿﴾ على رجل ﴿﴾ على لسان رجل ﴿﴾ منكم ﴿﴾ من جنسكم أو من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا في آياتنا الاولين ﴿﴾ لينذركم ﴿﴾ عاقبة الكفر والمعاصى ﴿﴾ ولتتقوا ﴿﴾ منهما بسبب الانذار ﴿﴾ وعلكم ترهون ﴿﴾ بالتقوى وفائدة حرف الترجى التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله سبحانه وتعالى تفضل وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى ﴿﴾ فكذبوه فأنجيناها والذين معه ﴿﴾ وهم من آمن به وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل

والاصوب لكم وأدعوكم الى ما دعاني اليه وأحب لكم ما أحب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو أن تبليغ الرسالة أن يعرفهم جميع أو امر الله تعالى ونوايه وجميع أنواع التكليف التى أوجباها الله تعالى عليهم وأما النصيحة فهو أن يرغبهم فى قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه ﴿﴾ وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴿﴾ يعنى وأعلم انكم ان عصيتهم امره عاقبكم بالطوفان والغرق فى الدنيا ويعذبكم فى الآخرة عذابا عظيما وقيل أعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب وعقوبته لمن أصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى أطلع على سر من أسراره فقال وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴿﴾ أو عجبتم ﴿﴾ الالف ألف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه أ كذبتهم وعجبتم ﴿﴾ أن جاءكم ذكر من ربكم ﴿﴾ يعنى وحيا من ربكم ﴿﴾ على رجل منكم ﴿﴾ تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذى أنزله الله تعالى على نوح عليه الصلاة والسلام سماه ذكرا كما سمي القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التى جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع أى مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع ﴿﴾ لينذركم ﴿﴾ يعنى جاءكم لاجل أن ينذركم ﴿﴾ ولتتقوا ﴿﴾ أى ولا جيل أن تتقوا ﴿﴾ ولعلكم ترجون ﴿﴾ لان المقصود من ارسال الرسل الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغى والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة فى الدار الآخرة ﴿﴾ فكذبوه ﴿﴾ يعنى فكذبوا نوحا ﴿﴾ فأنجيناها ﴿﴾ يعنى من الطوفان والغرق ﴿﴾ والذين معه ﴿﴾ يعنى من آمن من قومه معه

ليخوفكم ( ولتتقوا ) لى تطيعوا الله فتتقوا عبادة غير الله ( ولعلكم ترجون ) لى ترجوا فلا تمذبوا ( فكذبوه ) يعنى نوحا فأنجيناها والذين معه



( في الفلك ) يتعلق بعمه كانه

قيل والذين صحبوه في الفلك  
( واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا  
انهم كانوا قوما عيين ) عن الحق  
يقال أعمى في البصر وعم  
في البصيرة ( والى عاد )  
وأرسلنا الى عاد وهو عطف  
على نوح ( أخاهم ) واحدا  
منهم من قولك يا أخا العرب  
للو احد منهم وانما جعل  
واحدا منهم لانهم عن  
رجل منهم أفهم فكانت  
الحجة عليهم أزم ( هودا )  
عطف بيان لأخاهم وهو  
هود بن شالخ بن ارفخشذ بن

سام بن نوح ( قال يا قوم  
اعبدوا الله مالكم من اله  
غيره أفلا تتقون ) وانما لم  
يقول فقال كما في قصة نوح  
عليه السلام لانه على تقدير  
سؤال سائل قال فما قال  
لهم هود فقيل قال يا قوم

( في الفلك ) في السفينة  
من الفرق والعذاب  
( واغرقنا الذين كذبوا  
بآياتنا ) بكتابنا ورسولنا  
نوح ( انهم كانوا قوما عيين )  
عن الهدي كافرين بالله  
( والى عاد ) وأرسلنا الى  
عاد ( أخاهم ) نبههم ( هودا )  
قال يا قوم اعبدوا الله  
وحدوا الله ( مالكم من  
اله غيره ) غير الذي أدعوكم  
اليه ( أفلا تتقون ) عبادة

تسعة بنوه سام وحام وياث وستة من آمن به ﴿ في الفلك ﴾ متعلق بعمه أو بانجنيته  
أو حال من الموصول أو من الضمير في معه ﴿ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا ﴾ بالطوفان  
﴿ انهم كانوا قوما عيين ﴾ ععى القلوب غير مستبصرين وأصله عيين فحذف و قرى عامين  
والاول أبلغ لدلالته على الثبات ﴿ والى عاد أخاهم ﴾ عطف على نوح الى قومه ﴿ هودا ﴾  
عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا أخا العرب للواحد منهم فانه هود بن  
عبدالله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ  
بن ارهود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم أفهم لقوله  
واعرف بحاله وارغب في اقتفائه ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾  
استأنف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك  
جوابهم ﴿ أفلا تتقون ﴾ عذاب الله وكان قومه كانوا أقرب من قوم نوح

﴿ في الفلك ﴾ يعني في السفينة ﴿ وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عيين ﴾  
قال ابن عباس رضي الله عنهما عمت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عوا عن الحق  
والايان يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر وأنشدوا قول زهير

وأعلم ما في اليوم والامس قبله \* ولكنني عن علم ما في غدعم

قال مقاتل عوا عن نزول العذاب بهم وهو الفرق ﴿ قوله عز وجل ﴾ والى عاد أخاهم  
هودا ﴿ أى ﴾ وأرسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهى عاد الاولى  
أخاهم هودا يعنى أخاهم في النسب لافي الدين وهو هود بن عبدالله بن رياح بن الخلود  
ابن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال ابن اسحق هو هود بن شالخ بن ارفخشذ  
ابن سام بن نوح وانفقوا على ان هودا عليه الصلاة والسلام لم يكن أخاهم في الدين ثم  
اختلفوا في سبب الاخوة من أين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله  
أخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة  
وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بنى آدم ومن جنسهم لامن الملائكة ويكفي هذا  
القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا أرسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون  
الفهم والانس بكلامه أتم وأكمل ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك أو الجن  
والثاني أنه أخاهم يعنى صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم وكانت منازل  
عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت ( قال يا قوم  
اعبدوا الله مالكم من اله غيره ) أى اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها آخر فانه  
ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا  
على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب وأما هود فلم يكن كذلك بل  
كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله مالكم  
من اله غيره ( أفلا تتقون ) يعنى أفلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة  
منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الفرق حسن قوله هنا أفلا تتقون

اعبدوا الله وكذلك ( قال الملائكة الذين كفروا من قومه ) وانما وصف الملائكة بالذين كفروا دون الملائكة من قوم نوح لان  
 في أشرف قوم هود من آمن به منهم من ثدين سعد فريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشرف قوم نوح عليه السلام  
 مؤمن ( انالترك في سفاهة ) في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجد دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا  
 محازا يعنى انه متمكن فيها ﴿ ٥٧٧ ﴾ غير منفك عنها { سورة الاعراف } ( وانا لنظنك من الكاذبين )

في ادعائك الرسالة ( قال  
 يا قوم ليس بي سفاهة ولكني  
 رسول من رب العالمين  
 أبلغكم رسالات ربي وأنا  
 لكم ناصح ) فيما ادعوكم  
 اليه ( أمين ) على ما أقول  
 لكم وانما قال هنا وأنا لكم  
 ناصح أمين لقولهم وانا  
 لنظنك من الكاذبين أى  
 ليقابل الاسم الاسم وفي  
 اجابة لانبياء عليهم السلام  
 من ينسبهم الى الضلال  
 والسفاهة بما أجابوهم به  
 من الكلام الصادر عن الحلم  
 والاعضاء وترك المقابلة  
 بما قالوا لهم مع علمهم بان  
 خصومهم أضل الناس  
 وأسفهم أدب حسن  
 وخلق عظيم واخبار الله  
 تعالى ذلك تعليم لعباده  
 كيف يخاطبون السفهاء  
 وكيف يعضون عنهم  
 ويسبلون أذيالهم على  
 ما يكون منهم

غير الله ( قال الملائكة ) الرؤساء  
 ( الذين كفروا من قومه  
 انالترك يا هود في سفاهة )

عليه السلام ولذلك قال ﴿ قال الملائكة الذين كفروا من قومه ﴾ اذ كان من اشرفهم من آمن به  
 كثر ثدين سعد ﴿ انا لترك في سفاهة ﴾ متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث  
 فارقت دين قومك ﴿ وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني  
 رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين

يعنى أفلا تخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شئ حسن  
 تخوفهم من العذاب فقال هناك انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴿ قال الملائكة الذين كفروا من  
 قومه انالترك في سفاهة ﴾ يعنى انالترك يا هود في حق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب  
 أخبر الله تعالى عن قوم نوح انهم قالوا له انالترك في ضلال مبين واخبر عن قوم هود  
 انهم قالوا له انالترك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق  
 في عمل السفينة قال له قومه عند ذلك انالترك في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح  
 سفينة في أرض ليس فيها من الماء شئ واما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام  
 ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله فقالوا انالترك في سفاهة  
 ﴿ وانا لنظنك من الكاذبين ﴾ يعنى في ادعائك انك رسول من عند الله ﴿ قال ﴾ يعنى  
 قال هود لهؤلاء الملائكة الذين نسبوه الى السفه ﴿ يا قوم ليس بي سفاهة ﴾ يعنى ليس  
 الامر كما تدعون ان بي سفاهة ﴿ ولكني رسول من رب العالمين ﴾ يعنى اليكم ﴿ أبلغكم  
 رسالات ربي ﴾ يعنى أؤدى اليكم ما أرسلني به من أوامره ونواهيته وشرائعه وتكاليفه  
 ﴿ وأنا لكم ناصح ﴾ يعنى فيما أمركم به من عبادة الله عز وجل وترك عبادة ما سواه  
 ﴿ أمين ﴾ يعنى على تبليغ الرسالة وأداء النصح والامين الثقة على ما أئتمن عليه حكى الله  
 عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال وأنصح لكم وحكى عن هود عليه الصلاة والسلام  
 انه قال وأنا لكم ناصح فالاول بصيغة الفاعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان  
 صيغة الفاعل تدل على تجدد النصح ساعة بعد ساعة وكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا كما أخبر الله  
 عنه بقوله قال رب انى دعوت قومي ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة  
 الفاعل فقال وأنصح لكم واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتادون وقت فلهمذا  
 قال وأنا لكم ناصح أمين والمدح للنفس باعظم صفات المدح غير لائق بالعلاء وانما  
 فعل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد  
 عليهم في قولهم وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه أمين في تبليغ  
 ما أرسل به من عند الله ففيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان

في جهالة ( وانا لنظنك من الكاذبين ) ( قا و خا ٧٣ ني ) فيما تقول ( قال يا قوم ليس بي سفاهة ) جهالة ( ولكني رسول  
 من رب العالمين ) اليكم ( أبلغكم رسالات ربي ) بالامر والنهي ( وأنا لكم ناصح ) أحذركم من عذاب الله وأدعوكم  
 الى التوبة والايان ( أمين ) على رسالة ربي ويقال قد كنت أمينا فيكم قبل هذا فكيف تهتموتى

( أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ) أي خلفه قوم في الارض أوفى مساكنهم واذم فبول به وبأس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم (وزادكم في الخلق بسطة) طولاً وامتداداً فكان أقصرهم ستين ذراعاً وأطولهم مائة ذراعاً بصطة حجازي وعادم وعلى ( فاذكروا آلاء الله ) في استخلافكم وبسطة أجراءكم وماسواهما من عطايه { الجزء الثامن } وواحد الآلاء ٥٧٨ ﴿ الى نحواني والآباء ( لعلمكم تفلقون )

ومعنى المجيء في ( قالوا أجبنا ) أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتخفى فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم ( لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ) انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا عما نشأوا عليه ( فأتينا بما عدنا ) من العذاب ( ان كنت من الصادقين ) ان العذاب نازل بنا ( قال قد وقع ) أي قد نزل ( عليهم ) جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان

اليوم ( أو عجبتم ) بل عجبتم ( أن جاءكم ) بان جاءكم ( ذكر ) نبوة ( من ) ربكم على رجل منكم ( آدمي مثلكم ) لينذركم ( ليخوفكم من عذاب الله

أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ﴿ سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحقاء بما جاوبوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصيح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح أمين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين \* وقرأ ابو عمرو وابلغكم في الموضوعين في هذه السورة والاحقاف مخففا ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴿ أي في مساكنهم أوفى الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد من ملك معمورة الارض من رمل عاجل الى البحر عن خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه ﴿ وزادكم في الخلق بسطة ﴿ قائمة وقوة ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴿ وهو تعميم بعد تخصيص ﴿ لعلمكم تفلقون ﴿ لكي يفرض بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدى الى الفلاح ﴿ قالوا أجبنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴿ استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما أشرك به آباؤهم انهما كافي التقليد وحبانا القوه ومعنى المجيء في أجبنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه أو من السماء على التهام أو القصد على الحجاز كقولهم ذهب يسبني ﴿ فأتينا بما عدنا ﴿ من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ﴿ ان كنت من الصادقين ﴿ فيه ﴿ قال قد وقع عليكم ﴿ قد وجب أو حق أو نزل عليكم

نفسه في موضع الضرورة الى مدحها ﴿ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ﴿ يعني أجبتم أن أنزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأس ربكم ويخوفكم عقابه ﴿ واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ﴿ يعني واذكروا نعمة الله عليكم اذ هلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الارض ﴿ وزادكم في الخلق بسطة ﴿ يعني طولاً وقوة قال الكلبي والسدي كانت قائمة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعاً وقيل سبعين ذراعاً وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمانين ذراعاً وقال مقاتل اثني عشر ذراعاً وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴿ يعني نعم الله وفيه اضممار تقديره فاذكروا نعمة الله عليكم واعلموا علاليق بذلك الانعام وهوان تؤمنوا به وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الاصنام ﴿ لعلمكم تفلقون ﴿ يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقاء في الآخرة ﴿ قالوا ﴿ يعني قال قوم هود محبين له ﴿ أجبنا ﴿ يهود ﴿ لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴿ يعني من الاصنام ﴿ فأتينا بما عدنا ﴿ يعني من العذاب ﴿ ان كنت من الصادقين ﴿ يعني في قولك انك رسول الله ﴿ قال ﴿ يعني قال هود محبباً لهم ﴿ قد وقع ﴿ يعني نزل ووجب ﴿ عليكم

( واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ) من بعد هلاك قوم نوح ( وزادكم في الخلق ) في الطول ( من ) والجسم ( بسطة ) فضيلة ( فاذكروا آلاء الله ) نعماء الله وآمنوا به ( لعلمكم تفلقون ) لكي تنجوا من السخط والعذاب ( قالوا أجبنا لعبد الله وحده ونذر ) ترك ( ما كان يعبد آباؤنا ) من آلهة شتى ( فأتينا بما عدنا ) من العذاب ( ان كنت من الصادقين ) قال قد وقع ( ووجب ) عليكم

(من ربكم رجس) عذاب (وغضب) سخط (أنجادلوني في أسماء سميتوها) في أشياء ما هي الا أسماء ليس تحتها مسمية لانكم تسمون الاصنام آلهة وهي خالية عن معنى الالهية (انتم وآبائكم ما نزل الله بهامن سلطان) حجة (فانتظروا) نزول العذاب (اني معكم من المنتظرين) ذلك (فانجيناها والذين معه) أي من آمن به (برجت منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الاصل أو الكائن خلف الشيء وقطع دابرهم استنصالحهم وتدبيرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) فأندة نبي الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآيات الله الاشعار بان الهلاك خص المكذبين وقصتهم ان عادا قد بسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت ﴿٥٧٩﴾ وكانت لهم أصنام سورة الاعراف { يعبدونها صماء وحمود

والهباء فبعث الله اليهم هودا فكذبوه فامسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلا طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام فاوفدوا اليه قيل بن عتر ونعيم بن هزال ومرشد بن سعدو كان يكتنم ايمانه بهود عليه السلام وأهل مكة اذذاك العماليق أولاد علقم ابن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فنزلوا عليه بظاهر مكة فقال لهم مرشدلن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلفوا مرشدا وخرجوا فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سبحانه ثلاثا بيضاء وجرأه وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختر السوداء على ظن انها أكثر ماء فخرجت على عاد من واد لهم فاستبشروا وقالوا هذا

على ان المتوقع كالواقع ﴿من ربكم رجس﴾ عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب و غضب ﴿ارادة انتقام﴾ أنجادلوني في أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما نزل الله بها من سلطان ﴿أي في أشياء سميتوها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاتها جعله تعالى اما بانزال آية أو بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدلبه على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم توجه الازم والابطال بانها اسماء مختزعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر ﴿فانتظروا﴾ لما وضح الحق وانتم مصررون على العناد نزول العذاب ﴿اني معكم من المنتظرين فانجيناها والذين معه﴾ في الدين ﴿برجت منا﴾ عليهم ﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي استأصلناهم ﴿وما كانوا مؤمنين﴾

من ربكم رجس و غضب ﴿أي عذاب وسخط﴾ أنجادلوني ﴿يعنى أنخاصموني﴾ في أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ﴿يعنى وضعت لها أسماء من عند أنفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار عليهم لانهم سمو الاصنام بالآلهة وذلك معدوم فيها ﴿ما نزل الله بهامن سلطان﴾ يعنى من حجة وبرهان على هذه التسمية وانما سميتوها أنتم من عند أنفسكم بغير دليل ﴿فانتظروا﴾ يعنى العذاب ﴿اني معكم من المنتظرين﴾ يعنى نزول العذاب بكم ﴿فانجيناها﴾ يعنى فانجينا هودا عند نزول لعذاب بقومه ﴿والذين معه برجت منا﴾ يعنى وأنجينا اتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرجة ﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا﴾ يعنى وأهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه وأراد بالآيات معجزات هود عليه الصلاة والسلام الدالة على صدقه وهذا هلاك الاستئصال فهلكوا جميعا ولم يبق منهم واحد ﴿وما كانوا مؤمنين﴾ يعنى لانهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه الصلاة والسلام

\* (ذ كر قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق وأصحاب السير وال اخبار) \* قالوا جميعا كانت منازل عاد وجاعتهم حين بعث الله تعالى فيهم هودا عليه الصلاة والسلام الاحقاف والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من أرض اليمن وكانوا

عارض مطرنا فجاعتهم من هارج عقيم فاهلكتهم ونجاهود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا

من ربكم رجس) عذاب (وغضب) سخط (من ربكم) أنجادلوني (في أسماء) في أسماء (في أسماء) سميتوها أنتم وآبائكم (آلهة) ما نزل الله بها (بعبادتها) من سلطان) من كتاب ولاحجة (فانتظروا) الهلاك (اني معكم من المنتظرين) لهلاككم (فانجيناها) يعنى هودا (والذين معه برجت منا) عليهم (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أي استأصلنا الذين كذبوا بآياتنا ورسولنا هود (وما كانوا مؤمنين) وكلهم كانوا كافرين الذين أهلكتوا

تعريض عن آمن منهم فيتميد على ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذ انزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عترو مسدبن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذذاك بمكة العمالة اولاد عمليق بن لاوذين سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم وكانوا اخواله

قد فسقوا في الارض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه الصلاة والسلام وهو من أوسطهم نسبا وفضلهم موضعا فامرهم ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم بغير ذلك فيما ذكر قابوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتنون ايمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مسدبن سعد بن عفير وكان يكتنم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم وأكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية واتخذوا المصانع لعلمهم يخلدون فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذ انزل بهم بلاء وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة أديانهم وكل معظم مكة معترف بجرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سمو العماليق لان أباهم كان عمليق ابن لاوذين سام بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كلهدة بنت الخيري وهو رجل من عاد وكانت عاد اخوال معاوية سيد العماليق فلما تحطت عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عترو نعيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صندن بن عاد الاكبر ومسدبن سعد بن عفير وكان مسليا يكتنم اسلامه وجاهمه بن الخيري خال معاوية بن بكر سيد العماليق ولقيمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعهم جماعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا اخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتقننهم الجرادتان وهما قيتان لمعاوية بن بكر فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون علي والله ما أدري كيف أصنع فاني أستحي ان أمرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنوا انه ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا قال وشكاذك من أمرهم الى قيتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا

واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتفنيهم الجرادتان قيتان له فلما رأى  
ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيا ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل  
مقامهم فعلم القيتين

الاياقيل ويحك قم فهينم \* لعل الله يسقينا الغماما

فيسقى ارض عادان عادا \* قدامسواما يبينون الكلاما

حتى غنتابه فازعجهم ذلك فقال مرشدوالله

نفنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية

الاياقيل ويحك قم فهينم \* لعل الله يسقينا غماما

فيسقى ارض عادان عادا \* قد امسوا لا يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو \* به الشيخ الكبير ولا الغلاما

وقد كانت نساؤهم بخير \* فقد أمست نساؤهم أيامى

وان الوحش تأتهم جهارا \* ولا تخشى لعادى سهاما

وأتم هنا فيما اشتهيتم \* نهاركم وليلكم تماما

فقع وفدكم من وفد قوم \* ولالقاوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان وعرف القوم ما غنتابه قال بعضهم

لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم ليتفوثوا بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم

عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرشد بن سعد بن عفير انكم والله

لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعمت نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم وأظهر اسلامه

عند ذلك وقال فى ذلك عصت عاد رسولهم فامسوا \* عطاشا ما تبلمهم السماء

لهم صنم يقال له صمود \* يقابله صداء والهياء

فبصرنا الرسول سبيل رشد \* فابصرنا الهدى وجلى العماء

وان الله هود هو الهى \* على الله التوكل والرجاء

لقد حكم الاله وليس جورا \* وحكم الله ان غلب الهواء

على عاد وعاد شرقوم \* فقد هلكوا وليس لهم بقاء

وانى لن افارق دين هود \* طوال الدهر أو ياتى الفناء

زاد فى رواية

فقال جلهمة بن الخيبرى جيب المرشد بن سعد حين فرغ من مقاله وعرف انه اتبع دين هود وآمن به

ألا يا سعدانك من قبيل \* ذوى كرم وأمك من محود

فانا لانطيعك ما بقينا \* ولسنا فاعلين لما تريد

أنا امرنا لترك دين وفد \* ورمل والصدا مع الصمود

ونترك دين آباء كرام \* ذوى رأى وتبع دين هود

ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدمن معنا مكة فانه قد تبع دين

هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون به العاد فلما ولوا الى مكة خرج مرشد بن

لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعمت نبيكم وتبتم الى الله سبحانه وتعالى سقيتم فقالوا معاوية احبسه  
عنا لا يقدر من معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا  
ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحبات ثلاثا بيضاء وحراء وسوداء ثم ناداه مناد  
من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء  
فخرجت على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم

سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم بمكة قيل ان يدعوا الله بشيء مما خرجوا اليه  
فلما انتهى اليهم قام يدعوا الله وبها وفد عاد يدعونه فقال مرثد اللهم أعطني سؤلي وحدي  
ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز رأس وفد عاد يدعوا فقال اللهم أعط  
قيلا ما سألك وقال الو فدمعه واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان  
ابن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال اللهم اني جئتك وحدي  
في حاجتي فاعطني سؤلي وسأل طول العمر فعمر عمر سبعة انسر وقال قيل بن عنز حين  
دعوا اليه ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله تعالى سحبات ثلاثا بيضاء  
وحراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لقومك ولنفسك من هذه  
السحاب فقال قيل قد اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناده مناد اخترت  
رمادا رمدا لا يبقى من آل عاد احدا وساق الله تعالى السحابة السوداء التي اختارها قيل  
بما فيها من النعمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها  
استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما تستعجلتم به ريح  
فيها عذاب اليم تدمر كل شيء أي كل شيء مرت به بامر ربها وكان أول من أبصر ما فيها  
وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت  
ثم صعقت فلما ان افاقت قالوا لها ما ذرايت قالت رأيت الريح فيها كسهب النار امامها  
رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من آل عاد احدا  
الا هلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح  
الاماتلين عليه الجلود وتلذبه الانفس وانها في قوتها تمر بالظن من عاد فحملهم  
بين السماء والارض وتدمعهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن  
بكر فنزلوا عليه فيبناهم عنده اذ أقبل اليه رجل على ناقه في ليلة مقمرة وذلك مساء  
ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه فقال فارقتهم  
بساحل البحر وكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة  
وقال السدي بمث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال  
تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تبادروا الى البيوت فدخلوها وأغلقوا  
الابواب فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم أخرجتهم  
من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فنقلهم الى البحر فالتقاهم فيه وقيل  
ان الله تعالى أمر الريح فامتلت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع

منها ربح عقيم فاهلكتهم ونجاهود عليه السلام والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله سبحانه وتعالى فيها حتى ماتوا ﴿ والى ثمود ﴾ قبيلة اخرى من العرب سمو باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح وقيل سمو به لقلة مائهم من التمد وهو الماء القليل \* وقرى مصر وفا بتأويل الحى أو باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى ﴿ أخاهم صالح ﴾ صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر ابن ثمود ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم ﴾ معجزة

( والى ثمود ) وارسلنا الى

ثمود وقرى والى ثمود

بتأويل الحى أو باعتبار

الاصل لانه اسم ابيهم

الاكبر ومنع الصرف

بتأويل القبيلة وقيل سميت

ثمود لقلة ماءها من التمد

وهو الماء القليل وكانت

مساكنهم الحجر بين الحجاز

والشام ( أخاهم صالحا

قال يا قوم اعبدوا الله مالكم

من اله غيره قد جاءكم

بينة من ربكم ) آية ظاهرة

شاهدة على صحة نبوتى

فكانه قيل ماهذه البينة

( والى ثمود ) وارسلنا الى

ثمود ( أخاهم ) نبينهم ويقال

كان أخاهم فى النسب ولم

يكن أخاهم فى الدين

( صالحا قال يا قوم اعبدوا الله )

وحدوا الله ( مالكم من اله

غيره ) غير الذى أمركم أن

تؤمنوا به ( قد جاءكم

بينة من ربكم ) بيان

لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر ولم تخرج زرع قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فقلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفى الحديث انما خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان ابن عاد وقيل بن نوحين دعوا عمكة قيل لهم قد أعطيتم مناكم فاخثاروا لانفسكم غير أنه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطني برا وصدقا فاعطى ذلك وقال لقمان اللهم اعطني عمرا فقيل له اختر فاختر عمر سبعة أنسرفكان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكركر لقوته فيربيه حتى يموت فاذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسريبعش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه وأما قيل فانه اختار لنفسه ما يصاب قومه فقيل له انه الهالك فقال لأبائى لا حاجة لى فى البقاء بعد قومي فاصابه الذى أصاب عادا فهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فانت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم جميعا فلما أهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من أرضهم بعدها كقومه الى موضع يقال له الشجر من أرض اليمن فنزل هناك ثم أدركه الموت فدفن بارض حزم موت يروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان قبر هود عليه الصلاة والسلام بحزم موت فى كتيب أحر وقال عبدالرحمن بن شيبان بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل عليهم الصلاة والسلام فى تلك البقعة ويروى ان كل نبى من الانبياء اذا هلك قومه جاء هو والصالخون من قومه معه الى مكة يعبدون الله تعالى حتى يموتوا بها ﴿ قوله عز وجل ﴾ والى ثمود أخاهم صالحا ﴿ يعنى وأرسلنا الى ثمود وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جد يس ابن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى وما حوله ومعنى الكلام والى بنى ثمود أخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة ماءها والتمد الماء القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذى ينسبون اليه أخاهم صالحا يعنى فى النسب لافى الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر ابن ثمود ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ يعنى قال لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم يا قوم وحدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيأ فالكم من اله يستحق أن يعبد سواه ﴿ قد جاءكم بينة من ربكم ﴾ يعنى جاءكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما أقول



فقال (هذه ناقة الله) وهذه اضافة تخصصيص وتعظيم لانها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم (لكم آية) حال من الناقة والعامل معنى الاشارة في هذه كانه الجزء الثامن قيل أشير إليها آية ﴿٥٨٤﴾ ولكم بيان لمن هي له آية وهي

ظاهرة الدلالة على صحة نبوتى وقوله ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا أو عطف بيان ولكم خبرا عاما في آية واطافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية ﴿فذروها تأكل في ارض الله﴾ العشب ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ نهى عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر ﴿فياخذكم عذاب اليم﴾ جواب للنهي ﴿واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض﴾ ارض الحجر ﴿تخذون من سهولها قصورا﴾ أى تبنيون في سهولها أو من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر ﴿وتختون الجبال بيوتا﴾ وقرئ تختون بالفتح وتختون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدره أو المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال أو تختون بمعنى تختدون ﴿فاذكروا آلاء الله

وأدعوا اليه من عبادة الله تعالى وأن لا تشركوا به شيأ وعلى تصديقي باني رسول الله اليكم ثم فسرتك البينة فقال ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ يعنى علامة على صدقى قال العلماء رحيم الله تعالى ووجه كون هذه الناقة آية على صدق صالح ومعجزته خارقة للعادة انها خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر ولا من أنثى وكال خلقها من غير رجل ولا تدريج لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم وجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة أيضا لان ناقة تشرب ما تشربه قبيلة معجزة وكانوا يحبونها في يوم شربها قدر ما يكفهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا أيضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تتمتع من شرب الماء في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الماء في غير يوم الناقة وهذا أيضا معجزة وانما أضافها الى الله تعالى في قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله تعالى خلقها بغير واسطة ذكر وأنثى وقيل لانه لم يملكها أحدا لا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح ﴿فذروها تأكل في ارض الله﴾ يعنى فذرُوا الناقة تأكل العشب من ارض الله فان الارض لله والناقة ايضا لله وليس لكم في ارض الله شئ لانه هو الذى أنبت العشب فيها ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ يعنى ولا تطردوها ولا تقربوها بشئ من أنواع الاذى ولا تعقروها ﴿فياخذكم عذاب اليم﴾ يعنى بسبب عقرها وأذاها ﴿واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾ يعنى ان الله أهلك عادا وجعلكم تحلفونهم في الارض وتعمرونها ﴿وبوأكم﴾ يعنى وأسكنكم وأنزلكم ﴿في الارض تختدون من سهولها قصورا﴾ يعنى تبنيون القصور من سهول الارض لان القصور انما تبني من اللبن والآجر المتخذ من الطين السهل اللين ﴿وتختون الجبال بيوتا﴾ يعنى وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول في الصنف والجبال في الشتاء وهذا يدل على أنهم كانوا متعنين مترقبين ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أى

ثمود لانهم عابوها (فذرورها تأكل في أرض الله) أى الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) ولا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما لآية الله (فياخذكم) جواب النهى (عذاب اليم) واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم (في الارض) فى بين الاجاز والشام (تخذون من سهولها قصورا) عرفا للصيف (وتختون الجبال بيوتا) للشتاء وبيوتا حال مقدره نحو خط هذا الثوب قيصا اذ الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب قيصا في حال الخياطة (فاذكروا آلاء الله

من ربكم) هذه ناقة الله لكم آية) علامة على رسالة الله (فذرورها) اتركوها (تأكل في أرض الله) الحجر من عشبها (ولا تمسوها بسوء) يعقروها (فياخذكم عذاب اليم) بعد عقرها (واذكروا اذ جعلكم خلفاء

مستخلفين في الارض (من بعد عاد) من بعد هلاك عاد (وبوأكم) أنزلكم (في الارض) تختدون من (فاذكروا) سهولها) تبنيون من طينها (قصورا) للصيف (وتختون الجبال) فى الجبال (بيوتا) للشتاء (فاذكروا آلاء الله)

ولا تمشوا في الأرض مفسدين (روى ان عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوها في الارض وعمروا أعمارا طويلا ففتحوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا في سعة من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عسرا وصالحا من أوسطهم نسا فدعاهم الى الله فلما تبعه الاقليل منهم مستضعفون فاندبهم فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمحضت نخس التوج ولدها فخرجت منها ناقة كاشاوا فأمن به جندع ورهط من قومه ( قال الملائكة الذين استكبروا من قومه ) وقال شامى ( للذين استضعفوا ) للذين استضعفهم رؤساء الكفار ( لمن آمن منهم ) بدل من الذين استضعفوا باعادة الجار وفيه دليل على ان البدل حيث جاء كان في تقدير العادة العامل والضمير في منهم راجع الى ﴿ ٥٨٥ ﴾ قومه وهو بدل { سورة الاعراف } على ان استضعفهم كان مقصورا على المؤمنين أو

ولا تمشوا في الأرض مفسدين قال الملائكة الذين استكبروا من قومه ﴿ أى عن الايمان ﴾ للذين استضعفوا ﴿ أى الذين استضعفهم واستدلواهم ﴾ لمن آمن منهم ﴿ بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرا ابن عامر وقال الملائكة بالواو ﴿ اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ﴾ قالوه على الاستهزاء ﴿ قالوا انا بما أرسلنا به مؤمنون ﴾ عدلوا به عن الجواب السوى الذى هو نعم تدينها على ان ارسلنا المظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال ﴿ قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كفر فون ﴾ على وجه المناقبة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما ﴿ فعمروا الناقة ﴾ فقهرها واستبدلوا جميعهم فعل بعضهم للملابسة اولانه كان رضاهم ﴿ وعتوا عن أمر ربهم ﴾ واستكبروا عن امثاله

فاذكروا نعم الله عليكم واشكروا عليها ﴿ ولا تمشوا في الأرض مفسدين ﴾ قال قتادة معناه ولا تسيروا في الأرض مفسدين فيها والمشوا أشد الفساد وقيل اراد به عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع أنواع الفساد ﴿ قال الملائكة الذين استكبروا من قومه ﴾ يعنى قال الاشراف الذين تعظموا عن الايمان بصالح ﴿ للذين استضعفوا ﴾ يعنى المساكين ﴿ لمن آمن منهم ﴾ يعنى قال الاشراف المتعظمون في أنفسهم لاتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومه ﴿ اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ﴾ يعنى ان الله أرسله الينا واليكم ﴿ قالوا انا بما أرسلنا به مؤمنون ﴾ يعنى قال الضعفاء انا بما أرسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون ﴿ قال الذين استكبروا ﴾ يعنى عن أمر الله والايان به وبرسوله صالح ﴿ انا بالذى آمنتم به كفرون ﴾ أى جاحدون منكرون ﴿ فعمروا الناقة ﴾ يعنى فقهرت ثمود الناقة والعقر قطع عرقه قرب البعير ثم جعل النحر عقره لان ناجر البعير بعقره ثم ينحره ﴿ وعتوا عن أمر ربهم ﴾ أى تكبروا عن أمر

الناقة ( أسند العقر الى جميعهم ) ( قا و خا ٧٤ نى ) وان كان العاقر قد اربن سالف لانه كان رضاهم وكان قد ارجأ زرق قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال عايد السلام ياعلى أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخريين قاتلك ( وعتوا عن أمر ربهم ) وتولوا عنه واستكبروا

نعماء الله وآمنوا به ( ولا تمشوا في الأرض مفسدين ) لا تعملوا في الأرض بالمعاصى والدعاء الى غير الله ( قال الملائكة ) الرؤساء الذين استكبروا ( عن الايمان ) من قومه للذين استضعفوا ( قهروا ) ( لمن آمن منهم ) من الضعفاء ( اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ) اليكم ( قالوا انا بما أرسلنا به ) صالح ( مؤمنون ) مصدقون ( قال الذين استكبروا ) عن الايمان ( انا بالذى آمنتم به كفرون ) جاحدون ( فعمروا الناقة ) قتلوها ( وعتوا عن أمر ربهم ) أبوا عن قبولها أمر ربهم الذى أمرهم

وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها ﴿ وقالوا يا صالح أئتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة ﴿ الزلزلة ﴿ فاصبحوا في دارهم جائمين ﴿ خامدين ميتين روى انهم من بعد ما دعوا بالادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوا الا لا تقي بها الابنية فمحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال أى آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وتدعو آلهتنا فن استجب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبه ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكائبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة محتجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواشيهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمحضت الصخرة تخض التوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جاعة ومنع الباقيين من الايمان ذؤاب بن عمرو والخباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فكشفت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فارتفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ماشاؤها حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتستوى بطنه فتهرب مواشيه الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فقروها واقتسموا لحمها فرقى سقيها جبلا اسمه قارة فرغائلا فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغانه فدخلها فقال لهم صالح تصعب وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد سحرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا

وأمر ربه ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل في أرض الله أو شأن ربهم وهو دينه ( وقالوا يا صالح أئتنا بما تعدنا ) من العذاب ( ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة ) الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها ( فاصبحوا في دارهم ) أو مساكنهم ( جائمين ) ميتين قعودا يقال الناس جثم أى قعود لا حراك بهم في بلادهم لا يتكلمون

ربهم وعصوه والعتوا الغلوفى الباطل والتكبر عن الحق والمعنى أنهم عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذبوا نبيهم صالحا عليه الصلاة والسلام ﴿ وقالوا يا صالح أئتنا بما تعدنا ﴾ يعنى من العذاب ﴿ ان كنت من المرسلين ﴾ يعنى ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله تعالى ينصر رسله على أعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما أخبرهم به من العذاب فجعل الله لهم ذلك فقال تعالى ﴿ فاخذتهم الرجفة ﴾ قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدى هي الصيحة فيمتمل أنهم أخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى ﴿ فاصبحوا في دارهم جائمين ﴾ يعنى فاصبحوا في أرضهم وبلادهم جائمين ولذلك وحد الدار كما يقال دار الحرب أى بلاد الحرب ودار بنى فلان بمعنى موضعهم ومجمعهم وجمع في آية أخرى فقال في ديارهم لانه أراد مال كل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جائمين يعنى باركين على الركب والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك البعير وجثوم الطير هو وقوعه لا طئا بالارض في حال نومه وسكونه بالليل والمعنى أنهم أصبحوا جائمين على وجوههم موتى

صالح ( وقالوا يا صالح أئتنا بما تعدنا ) من العذاب ( ان كنت من المرسلين ) استهزاء به ( فاخذتهم الرجفة ) الزلزلة والصيحة بالعذاب ( فاصبحوا في دارهم ) فصاروا في مدينتهم ( جائمين ) ميتين لا يتحركون

بالصبر وتكفونوا بالانطاع فأنتم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾  
ظاهرة ان تولى عنهم كان بعد ان ابصرهم جائئين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم

( فتولى عنهم ) لما عقروا الناقة ( وقال يا قوم ) عند فراقه اياهم ( لقد أبلغتكم

رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين )

الامر بن الهدى لاستحلاء الهوى والنصيحة منيحة تدرأ

الفضيحة ولكنها وخيمة تورث السخيمة روى ان

عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء فقال صالح تعيشون

بعده ثلاثة أيام تصفر وجوهكم أول يوم وتحمر

في الثانى وتسود في الثالث ويصيبكم العذاب في الرابع

وكان كذلك روى أنه خرج في مائة وعشرة

من المسلمين وهو يبكى فلما علم انهم هلكوا رجع بمن

معه فسكنوا ديارهم ( فتولى عنهم ) خرج من بينهم صالح قبل ان يهلكوا

( وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ) بالامر والنهى

( ونصحت لكم ) حذرتكم من عذاب الله ودعوتكم

الى التوبة والايان ( ولكن لا تحبون الناصحين )

لا يتحر كون ﴿ فتولى عنهم ﴾ يعنى فاعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولى قولان أحدهما أنه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا في دارهم جائئين فتولى عنهم والفاء للتعقيب فدل على أنه جعل هذا التولى بعد موتهم وهو موتهم والقول الثانى أنه تولى عنهم وهم احياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه أنه خاطبهم ﴿ وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ وهذا الخطاب لا يلىق الا بالاحياء فلى هذا القول يحتمل ان يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جائئين وأجاب أصحاب القول الاول عن هذا أنه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبىخا وتقريبا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القليب فجعل يناديهم باسمائهم الحديث في الصحيح وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أقواما قد جيقوا فقال ما أتم باسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيون وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فيزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها

ذ كر قصة ثمود على ما ذكره محمد بن سحوق ووهب بن منبه وغيرها

من أصحاب السير وال اخبار

قالوا جميعا ان عاد لما هلكت وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها وكثروا وعروا حتى ان أحدهم لبى المسكن من المدر فينهدم والرجل حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من العيش والرخاء فعتوا وأفسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله تعالى اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله تعالى اليهم وهو غلام فلينزل يدعوهم الى الله تعالى والى عبادته حتى شبط وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألع عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا على ما يقول فقال صالح أى آية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه أصنامهم وذلك في يوم معلوم من السنة وقالوا تدعو الهك وتدعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا أولادهم وسألوها ان لا يستجاب لصالح في شئ مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة

لصخرة مفردة في ناحية الحجر يقال لها الكأبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء  
 والمخترجة ماشاكت البخت من الابل فان فعلت آمنابك وصدقتك فاخذ عليهم صالح  
 مواشيهم اثن فعلت لتصدقني ولتؤدنيني قالوا نعم قل فصلي صالح عليه الصلاة والسلام  
 ركعتين ودعاربه عز وجل فتخضت الصخرة كما تخض التوج بولدها ثم تحركت الهضبة  
 عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سأوا ووصفوا غير أنه لا يعلم ما بين جنبها الا الله عز وجل  
 عظاما وهم ينظرون اليها ثم تجت سقيا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط  
 معه من قومه وأراد بقية أشرف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه فنعهم ذؤاب بن عمرو  
 ابن لبيد والحباب وكانا صاحبي أو ثامهم ورباب بن ضهير وكان كاهنهم وكانوا من أشرف  
 ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قل لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم  
 معلوم فكثت الناقة ومعها سقيا في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء  
 غبا فاذا كان يوم ورودها وضت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فترفع  
 رأسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع رأسها فتفحج لهم فيحلبون  
 ماشاؤها منها من ابن فيشربون ويدخرون حتى يمتأوا أو انهم كلها ثم تصدر الناقة من غير  
 الفج الذي وردت منه ولا تقدر أن تصدر من حيث وردت حتى اذا كان من الغد كان  
 يوم ثمود فيشربون ماشاء الله من الماء ويدخرون ماشاؤها ليوم الناقة فهم على ذلك في سعة  
 ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها مواشيهم الابل  
 والبقر والغنم فهربط الى بطن الوادي فتكون في حره وجدبه واذا كان الشتاء فتشتو  
 الناقة في بطن الوادي فهرب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجذب فاضر ذلك  
 بمواشيهم الا امر الذي يريد الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر  
 ربهم وجلهم ذلك على عقرا لئلا فاجهوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود يقال  
 لاحديهما عنيزة بنت غانم بن مخلد وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرأة  
 ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم والمرأة  
 الاخرى يقال لها صدقة بنت المختار وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانتا  
 من أشد الناس عداوة لصالح عليه الصلاة والسلام وكانتا تحبان عقرا لئلا أضرت  
 بمواشيهما فحيلتا في عقرا لئلا فدعت صدقة رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقرا لئلا  
 وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له صدع بن مهزج  
 ابن الحيا وجعلت له نفسها على أن يعقرا لئلا وكانت من أحسن الناس وجها وأكثرهم  
 مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا أحر أزرق  
 قصيرا ويزعون انه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه فقالت عنيزة  
 لقدار أرى بناتي شئت أعطيتك على أن تعقرا لئلا وكان قدار عزيزا منيعا في قومه (ق)  
 عن عبدالله بن زمة رضى الله تعالى عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يحطب وذكر الناقة  
 والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل  
 عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمة قوله انبعث أى قام بسرعة والعارم الخبيث  
 (الشرير)

الشريير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع من أراده قول أصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهزج فاستنقروا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطاق قدار ومصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها وكن لها مصدع في أصل صخرة أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم في عضلة ساقها فخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من أحسن الناس وجهها ليراها قدار ثم حشته على عقرها وأغرته به فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاء واحدة فتمدر سقبا من الجبل ثم طعن قدار في لبتا فخرها فخرج أهل البلد فاتسموا لهما فلما رأى سقبا ذلك انطلق هاربا حتى أتى جبلا منيعا يقال له صور و قيل قارة وأتى صالح عليه الصلاة والسلام فقبل له أدرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج أهل البلد يتلقونهم ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فضيلها فان أدركتموه فمسي أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فرأوه على الجبل فذهبوا ليأخذوه فأوحى الله تعالى الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ماتسأله الطير وجاء صالح عليه الصلاة والسلام فلما رآه الفضيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغاء أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق تبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهزج وأخوه ذؤاب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذبه فانزله وألقوا لحمه مع لحم أمه وقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام انتم كنتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله وتقمته قالوا وهم يهزؤون به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت الاحدأول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محجرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فنقتل صالحا فان كان صادقا لعجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد ألقناه بناقته فاتوه ليلا ليقتلوه في أهله فدمقتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح عليه الصلاة والسلام فوجدوهم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلوه أبدا فإنه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فاتم وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فابقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم ولحق بحبي من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه نضيل

ويكنى بابي هذب وهو مشرك فنع صالحا فلم يقدرُوا عليه وكانوا عمدوا إلى أصحاب صالح  
ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يابى الله أنهم يعذبونا  
نندلهم عليك أفندلهم عليك قال نعم فدلواهم عليه فاتوا أباهدب فكلّموه في أمر صالح  
فقال هو عندي وليس لكم إليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم منازل بهم من العذاب  
فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما أسوا أصحابا باج بهم الا قد مضى يوم  
من الاجل فلما أصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محجرة كأنها خضبت بالدم فصاروا  
وضجوا وبكوا وأيقنوا أنه العذاب فلما أسوا أصحابا باج بهم ألفا مضى يوم من الاجل  
وحضركم العذاب فلما أصبحوا في اليوم الثالث اذا وجوههم مودة كأنها طليت بالقر  
فصاروا جيما ألا قد حضركم العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح عليه الصلاة  
والسلام ومن أسلم معه من بين أظهرهم إلى الشام فنزل رملة فلبسوا فلما أصبحوا في اليوم  
الرابع تكفّنوا وتحنطوا وألقوا بانفسهم إلى الارض يقبلون أبصارهم إلى السماء مرة  
وإلى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضمى من يوم الاحد أتتهم  
صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شيء له صوت في الارض  
فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهلكوا جيما الاجارية بقعدة يقال لها ذريعة بنت  
سالف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح عليه الصلاة والسلام فاطلق الله تده إلى  
رجليها بعدما عاينت العذاب وما أصاب ثمود فخرجت مسرعة حتى أتت وادي  
القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي ثمود ثم استقت ماء فسقيت فلما شربت  
ماتت في الحال وذكر السدى في عقرة الناقة فقال أوحى الله عز وجل إلى صالح عليه الصلاة  
والسلام ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه  
سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا  
الشهر ولد الا قتلناه قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فذبجوه ثم ولد للعائش  
ولد فابى أن يذبجه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد له أجرأ من  
فبنت نباتا سريعا فكان اذا امر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا  
الغلام فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أبناؤهم فتقاسموا بالله يعني قبحوا  
بالله لبيئته وأهله وقالوا نخرج فنرى الناس اننا قد خرجنا إلى سفر فنأتى العار فنكون فيه حتى  
اذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتياه فقتلناه ثم نرجع إلى العار فنكون فيه حتى نصرف  
إلى رحلنا فنقول ما شهدنا مهلك أهله وانالصادقون فيصدقوننا فيظنون اننا قد خرجنا إلى  
سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان بيت في مسجده خارج القرية فاذا أصبح اتاهم  
فيعظهم ويذكرهم فاذا أمسى خرج إلى مسجده فيتعبد فيه قال فانطلق التسعة إلى العار فدخلوا  
فسقط عليهم فقتلوا فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على أمرهم لينظروا ما فعل أولئك  
النفر فرأوهم وهم رضع فرجعوا إلى القرية يصيحون مارضى صالح بقتل اولادهم حتى قتلهم  
فاجتمع أهل القرية على عقرة الناقة وقال ابن اسحق كان التسعة قد تقاسموا على تبئيت صالح بمدة  
الناقق وقال السدى وغيره لما ولد للعائش ولد سماء بقدر فكان يشب سريعا فلما كبر علس مع

﴿ ولوطا ﴾ أى وارسلنا لوطا ﴿ اذ قال لقومه ﴾ وقت قوله لهم أو اذ كر لوطا واذ بدل منه ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ توبخ وتقرع على تلك الفعلة المتعادية في القبح ﴿ ماسبقكم بها من أحد من العالمين ﴾

أناس يشربون الخمر فارادوا ماء ليزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نضع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا تأخذ هذا الماء الذى تشربه الناقة فنسقيه لانعنا وزروعنا كان خيرا لنا وقال ابن العاشر هل لكم ان أعقرها لكم قالوا نعم فعقرها ( ق ) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم الآن تكونوا باكين ثم قع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادى \* وفي رواية لسلّم لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله \* ولهماعنه ان الناس نزولوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوه ويلطفوا الابل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة \* وللبخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من آبارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجننا منها واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يطحروا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وفي بعض الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألو ارسولهم الآية فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم صرقي النصيل من القارة فتوا عن أمر ربهم وعقروها فاهلك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الرجال واحد ايقال له بورغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فتمعه حرم الله تعالى من عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم وابتدروه باسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمى حضرموت ثم بنوا أربعة آلاف مدينة وسموها حضرواء وقال قوم من أهل العلم توفي صالح عليه الصلاة والسلام بمكة وهو ابن ثمان وخسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة \* قوله عز وجل ﴿ ولوطا ﴾ يعنى وأرسلنا لوطا وقيل معناه واذ كر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران ابن تارخ وهو ابن أخى ابراهيم وابراهيم عمه ﴿ اذ قال لقومه ﴾ يعنى أهل سدوم واليهم كان قد أرسل وذلك ان لوطا عليه الصلاة والسلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام الى الشام فنزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام أرض فلسطين ونزل لوط الاردين أرسله الله تعالى الى أهل سدوم يدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى ﴿ أتأتون الفاحشة ﴾ يعنى أتفعلون الفعلة الخسيسة التى هى غاية القبح وكانت فاحشهم اتيان الذكران في أدبارهم ﴿ ماسبقكم بها من أحد من العالمين ﴾

( ولوطا اذ قال لقومه ) أى  
واذ كر لوطا واذ بدل منه  
( أتأتون الفاحشة ) أتفعلون  
السيئة المتعادية في القبح  
( ماسبقكم بها ) ما عملها  
قبلكم والباء للتعدية ومنه  
قوله عليه والسلام سبقك  
بها عكاشة ( من أحد ) من  
زائدة لتأكيد النفي وإفادة  
معنى الاستفراق ( من العالمين )  
من للتبويض وهذه جملة  
مستأنفة أنكر عليهم أولا  
بقوله أتأتون الفاحشة ثم  
وبخبرهم عليها فقال أتم أول  
من عملها وقوله تعالى  
لم تطيعوا النايمين ( ولوطا )  
وأرسلنا لوطا الى قومه  
( اذ قال لقومه ) أتأتون  
الفاحشة ( يعنى الاواطاة  
( ماسبقكم بها ) بهذا العمل  
( من أحد ) ( أحد )  
العالمين ) قبلكم



{ الجزء الثامن } بيان لقوله أتأتون ﴿ ٥٩٢ ﴾ الفاحشة والهزيمة مثلها في أتأتون

ما فعلها قبلكم احذقوا والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفي والاستتراق والثانية للتبويض والجملة استئناف مقررة للانكار كأنه وبخهم اولاً بآتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ ﴿ أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ﴾ بيان لقوله أتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ \* وقرأنا فم وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له أو مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شئ أو عن الانكار عليها الى الذم على جميع معانيهم أو عن مخذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف ﴿ وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريبتكم ﴾ أى ماجأ بما يكون

من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستتراق والثانية للتبويض والمعنى ما سبقكم أيها القوم بهذه الفعلة الفاحشة أحد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقرع على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نذاكر على ذكر في الدنيا الا كان من قوم لوط ﴿ أنتم لتأتون الرجال ﴾ يعنى في أدبارهم ﴿ شهوة من دون النساء ﴾ يعنى ان أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء ﴿ بل أنتم ﴾ يعنى أيها القوم ﴿ قوم مسرفون ﴾ أى مجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وغيرهم وبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك تعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل و عمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكأنما قد أسرف وجاوز واعتدى لانه وضع الشئ في غير محله وموضعه الذى خلق له لان أدبار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان \* وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار والسيرانه كانت قري قوم لوط مخصصة ذات زروع وثمار لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فأذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم اذا فعلتم بهم كذا وكذا أنجوتهم منهم فابوا فلما ألح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا حسنا عابحا فاختبوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغريباء وقيل استحلم ذلك الفمل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبي ان أول من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم أخضبت فقصدها أهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب أمره فدعا الى نفسه فكان أول من نكح في دبره فامر الله تعالى السماء أن تحصبهم والارض ان تحسف بهم \* قوله عز وجل ﴿ وما كان جواب قومه ﴾ يعنى وما كان جواب قوم لوط لوط اذوبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث ﴿ الا أن قالوا ﴾ يعنى قال بعضهم لبعض ﴿ اخرجوهم من قريبتكم ﴾

( أنتم لتأتون الرجال ) للانكار انكم على الاخبار مدنى وحفص يقال أتى المرأة اذا غشيها ( شهوة ) مفعول له أى الاشتهاه لاحاصل لكم عليه الاجرد الشهوة ولاذم أعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية ( من دون النساء ) أى لا من النساء ( بل أنتم قوم مسرفون ) أضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحمال التي توجب ارتكاب القبايح وهو أنهم قوم عادتكم الاسراف وتجاوزوا الحدود في كل شئ فن شمه اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ( وما كان جواب قومه الا أن قالوا اخرجوهم من قريبتكم ) أى لوطا ومن آمن معه يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من انكار الفاحشة وصفهم بصفة الاسراف الذى هو أصل الشر ولكنهم جاؤا بشئ آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ( انكم لتأتون الرجال ) أدبار الرجال ( شهوة ) أشهى

لكم ( من دون النساء ) من فروج النساء ( بل أنتم قوم مسرفون ) في الشرك معتدون الحلال الى الحرام ( وما كان جواب قومه ) ( يعنى ) لم يكن جواب قومه ( الا أن قالوا ) قال بعضهم لبعض ( اخرجوهم ) يعنى لوطا وابنيه زعورا وورشيا ( من قريبتكم ) من مدينتكم

رضى الله عنهما عابوهم بما تمدح به (فانجيناها وأهلها) ومن يختص به من دونه من المؤمنين (الاسرائه) كانت من الغابرين (من الباقين في العذاب والتذكير لتغلب الذكور على الاناث) وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى انها التقت فاصابها جرفات (وأمطرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نواعن المطر الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة على مسافريهم وقال أبو عبيدة أمطر في العذاب ومطر في الرحة (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين الكافرين) (والى مدين) وأرسلنا الى مدين وهو اسم قبيلة (أخاهم شعيبا) يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه

جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا ﴿ انهم أناس يتطهرون ﴾ أى من الفواحش ﴿ فانجيناها وأهلها ﴾ أى من آمن به ﴿ الاسرائه ﴾ واهلة فانها كانت تسرا الكفر ﴿ كانت من الغابرين ﴾ من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور ﴿ وأمطرنا عليهم مطرا ﴾ أى نواعن المطر عجيبا وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ روى ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام نزل بالاردن فارسه الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم يفتها عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم ﴿ والى مدين أخاهم شعيبا ﴾ أى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم خليل الله شعيب بن ميكيل

يعنى اخرجوا لوطا وأتباعه وأهل دينه من بلدكم ﴿ انهم أناس يتطهرون ﴾ يعنى انهم أناس يتزهون عن فعلكم وعن اذبار الرجال لانها موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصى والآثام يسمى طهارة فن تباعد عنهما فقد تطهر فلهمذا قال انهم أناس يتطهرون أى من فعل المعاصى والآثام ﴿ فانجيناها وأهلها ﴾ يعنى فانجينا لوطا ومن آمن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلون به بسبب النسب أو المراد باهله ابنته ﴿ الاسرائه ﴾ يعنى زوجته ﴿ كانت من الغابرين ﴾ يعنى كانت من الباقين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المجرمين قد أتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين ﴿ وأمطرنا عليهم مطرا ﴾ يعنى حجارة من سجيل قد دغجت بالكبريت والنار يقال دطرت السماء وأمطرت وقال أبو عبيدة يقال في العذاب أمطرت وفي الرحة مطرت ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ يعنى انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف أهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام فادخل جناحيه تحت مدائن قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من أمته ليعتبروا بما جرى على أولئك فيزجروا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة ﴿ قوله عز وجل ﴾ والى مدين أخاهم شعيبا ﴿ يعنى وأرسلنا الى مدين أكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال وبنو تميم بنو عدى وبنو أسد وقيل مدين اسم للواء الذى كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وأرسلنا الى أهل مدين والصحيح هو الاول لقوله أخاهم شعيبا يعنى في النسب لاقى الدين وشعيب هو ابن ثويب عاقبة المجرمين) عار آخر امر المشركين (قاو خا ٧٥ نى) بالهلاك (والى مدين) وارسلنا الى مدين (أخاهم) نبيهم (شعيبا

وكانوا أهل بنحس للمكاييل والموازين (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم ) أى معجزة وان لم تذكر في القرآن ( فأوفوا الكيل ) (الجزء الثامن ) والميزان ) أنموهما ٥٩٤ والمراد فأوفوا الكيل ووزن الميزان أو يكون

الميزان كالياماد بمعنى المصدر ( ولا تبخسوا الناس أشياءهم ) ولا تنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون الناس كل شئ في مبايعتهم وبخس يتعدى الى مفواين وهما الناس وأشياءهم تقول بخست زيدا حقه أى نقصته اياه ( ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ) بعد اصلاحها فيها أى لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الانبياء والأولياء وازافته

كإضافة بل مكر الليل والنهار أى بل مكرتم في الليل والنهار ( ذلكم ) اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض ( خير لكم ) في الانسانية وحسن الاحدوثه ( ان كنتم مؤمنين ) مصدقين لى في

قال يا قوم اعبدوا الله ) وحدوا الله ( ما لكم من اله غيره ) غير الذي أسركم أن تؤمنوا به ( قد جاءكم بينة ) بيان ( من ربكم ) على رسالة الله ( فأوفوا الكيل والميزان ) اتوا الكيل

ابن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لحسن مراجعته قومه ﴿ قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم ﴾ يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ماهى وما روى من محاربة عصا موسى عليه السلام التين وولادة النعم التي دفعها اليد الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع فتأخر عن هذه المقابلة ويحتمل ان تكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته ﴿ فأوفوا الكيل ﴾ أى آلة الكيل على الاضمار أو اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله ﴿ والميزان ﴾ كما قال في سورة هود فأوفوا المكيال والميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالياماد ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ﴿ ولا تفسدوا في الارض ﴾ بالكفر والحيف ﴿ بعد اصلاحها ﴾ بعدما أصلح امرها واصلحها الانبياء واتباعهم بالشرائع أو أصلحو فيها والاضافة فيها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ﴿ ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ﴾ اشارة الى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا أو في الانسانية وحسن الاحدوثه وجمع المال

ابن بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاله عطاء وقال محمد بن اسحق هو شعيب مكيال بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وام مكيال بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب بن يثرون بن ثوب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه أهل كفر وبخس في المكيال والميزان ﴿ قال ﴾ يعنى شعيب ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم ﴾ يعنى قد جاءكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة ما أقول وصدق ما ادعى من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبي من معجزة تدل على صدق ما جاء به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القرآن وليست كل آيات الانبياء المذكورة في القرآن وقيل أراد بالبينة محي شعيب بالرسالة اليهم وقيل أراد بالبينة الموعظة وهى قوله ﴿ فأوفوا الكيل والميزان ﴾ يعنى فاتوا الكيل والميزان واعطوا الناس حقوقهم وهو قوله عز وجل ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ يعنى لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فظفوا الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن اذا نقصه وطففه ﴿ ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ﴾ يعنى بعد ان أصلحها الله تعالى ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث الى قوم فهو صلاحهم ﴿ ذلكم ﴾ يعنى الذي ذكرت لكم وأمرتكم به من الايمان بالله ووفاء الكيل والميزان وترك الظلم والبخس ﴿ خير لكم ﴾ يعنى مما أنتم عليه من الكفر وظلم الناس ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ يعنى ان كنتم مصدقين

والميزان) ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تنقصوا حقوق الناس في الكيل والوزن ( ولا تفسدوا ) ( بما ) في الارض ) بالمعاصى والدعاء الى غير الله الله والوفاء بالكيل والوزن ( ذلكم ) التوحيد والوفاء بالكيل والوزن ( خير لكم ) مما أنتم فيه ( ان كنتم مؤمنين ) مقرين بما أقول لكم

قولى ( ولا تقعدوا بكل صراط ) بكل طريق ( توعدون ) من آمن بشعب بالعداب ( وتصدون عن سبيل الله ) عن العبادة ( من آمن به ) بالله وقيل كانوا يقطعون ﴿ ٥٩٥ ﴾ الطريق { سورة الاعراف } وقيل كانوا عشارين

( وتبغونها ) وتطلبون لسبيل الله ( عوجا ) أى تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أى لا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباعين عوجا ( واذكروا اذ كنتم قليلا ) اذ مضى به غير ظرف أى واذكروا على جهة الشكروقت كونكم قليلا عا ( فكثركم )

الله ووفر عددكم وقيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والثناء فكثروا ( وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ) آخر أمر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام ( وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا ) فانظروا ( حتى يحكم الله بيننا ) أى بين الفريقين بان

( ولا تقعدوا ) ولا تجلسوا ( بكل صراط ) بطريق على كل طريق فيه من الناس ( توعدون ) تضربون وتخوفون وتأخذون

﴿ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ﴾ بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحاق وان كان واحدا لكنه يشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذاروا واحدا يسمى فى شئ منها معوجا وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعبيا انه كذاب فلا يفتنك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق ﴿ وتصدون عن سبيل الله ﴾ يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمير بيان لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه أو الايمان بالله ﴿ من آمن به ﴾ أى بالله أو بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا ﴿ وتبغونها عوجا ﴾ وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه ووصفها للناس بانها معوجة ﴿ واذكروا اذ كنتم قليلا ﴾ عددكم أو عددكم ﴿ فكثركم ﴾ بالبركة فى النسل أو المال ﴿ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ من الامم قبلكم فاعتبروا بهم ﴿ وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا ﴾ فتر بصواب حتى يحكم الله بيننا ﴿

بما أقول ﴾ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ﴾ يعنى ان شعبيا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله ورسوله شعيب وهو قوله تعالى ﴿ وتصدون عن سبيل الله من آمن به ﴾ يعنى وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعبيا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم ان شعبيا الذى تريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم ﴿ وتبغونها عوجا ﴾ يعنى وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه وتلتسون لها الزبغ والضلال ولا تستقيمون على طريق الهدى والرشاد ﴿ واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم ﴾ يعنى ان شعبيا عليه الصلاة والسلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة أوجه أكثر عددكم وكثركم بالفنى بعد الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقراء ضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة وأعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله تعالى عليكم وآمنوا به ﴿ وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ يعنى وانظروا نظرا اعتبار ما نزل عن كان قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك وأقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء لماعصوه وكذبوا رسله ﴿ وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا ﴾ يعنى وان اختلفتم فى رسالتى فصرتم فرقتين فرقة آمنتم بى وصدقت برسالتى وفرقة كذبت وجحدت رسالتى ﴿ فاصبروا ﴾ فيه وعيد وتهديد ﴿ حتى يحكم الله بيننا ﴾ يعنى

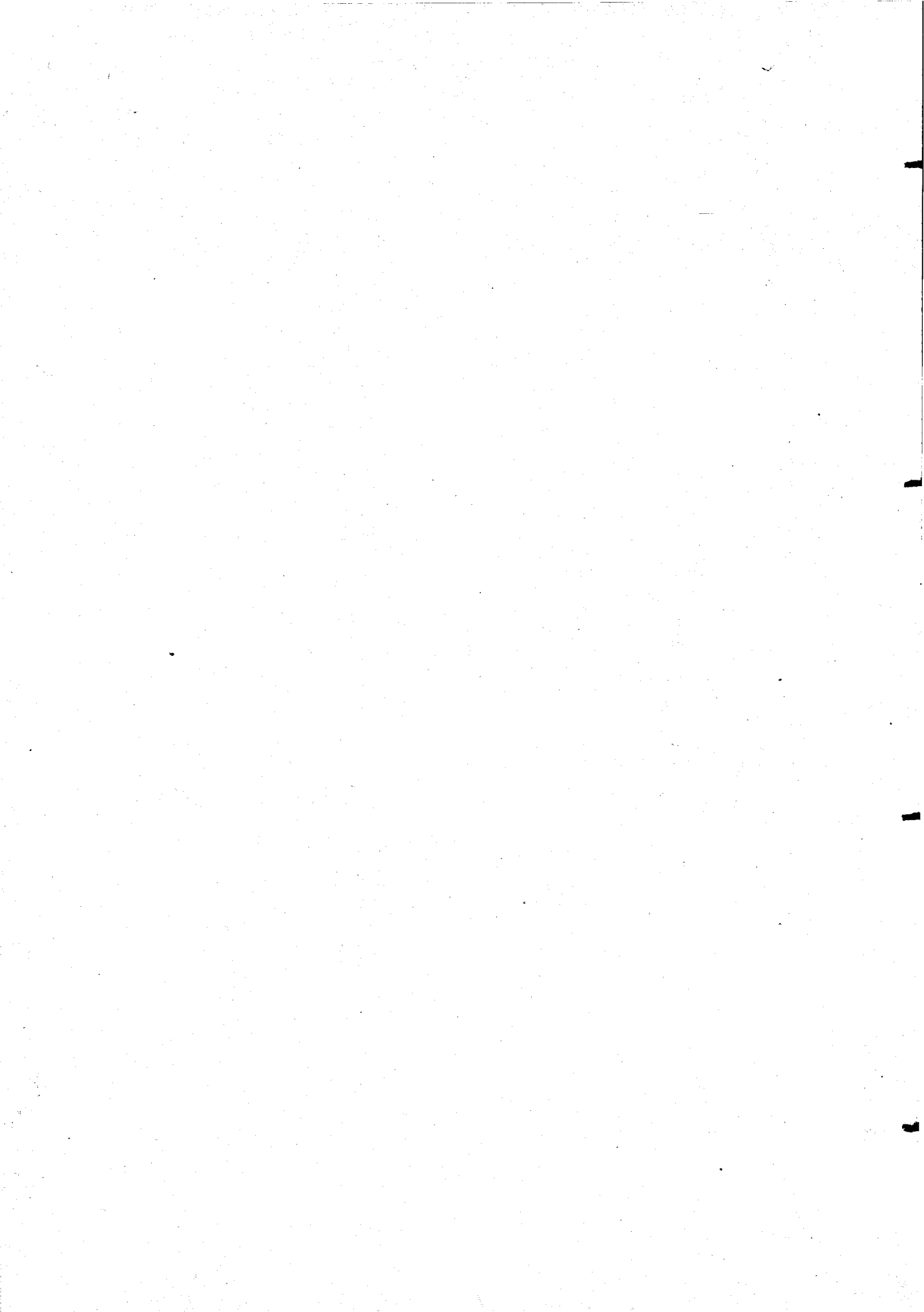
شباب من ربكم من الغرباء ( وتصدون ) تصرفون ( عن سبيل الله ) عن دين الله وطاعته ( من آمن به ) بشعب ( وتبغونها عوجا ) تطلبونها غيرا ( واذكروا اذ كنتم قليلا ) بالهدى ( فكثركم ) بالهدى ( وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ) كيف صار آخر أمر المشركين قبلكم بالهلاك ( وان كان ) ( طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا ) وبينكم

أى بين الفريقين بنصر المحققين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين  
 ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه

حتى يقضى الله ويفصل بيننا فيعز المؤمنين المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين  
 ويعذبهم ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾ يعنى انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف  
 فى حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد سمي بعض الاشخاص حاكما على  
 سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم فى الحقيقة فلهذا  
 قال وهو خير الحاكمين

يتضر المحققين على المبطلين  
 ويظهرهم عليهم وهذا  
 وعيد للكافرين بانتقام الله  
 تعالى منهم أو هو حث  
 للمؤمنين على الصبر واحتمال  
 ما كان يلحقهم من المشركين  
 الى أن يحكم الله بينهم ويتنقم  
 لهم منهم أو هو خطاب  
 للفريقين أى ليصبر المؤمنون  
 على أذى الكفار والكافرون  
 على ما يسوءهم من إيمان  
 من آمن منهم حتى يحكم الله  
 فيميز الخبيث من الطيب  
 (وهو خير الحاكمين) لان  
 حكمه حق وعادل لا يخاف  
 فيه الجور

بالمذاب (وهو خير الحاكمين)  
 القاضين



الجزء التاسع

ربنا افتح باخيرا وانت خير الفاتحين

﴿ قال المملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ﴾ أى ليكون أحد الامرين اما اخراجكم من القرية أو عودكم في الكفر وشعيب عليه السلام لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فنخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله ﴿ قال أو لو كنا كارهين ﴾ أى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها أو أتعيدوننا في حال

﴿ قال المملأ الذين استكبروا من قومه ﴾ يعنى قال الجماعة من أشرف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب ﴿ لنخرجنك يا شعيب ﴾ لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ﴾ يعنى أن قوم شعيب أجابوه بان قالوا لا بد من أحد امرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلدنا أو لترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فاما معنى قوله أو لتعودن في ملتنا وأجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على ملة أو تلك الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد على من فلان مكروه بمعنى قد لحقنى منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر

فان تكن الايام أحسن مدة \* الى فقد عادت لهن ذنوب

أراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان ﴿ قوله عز وجل ﴾ قال أو لو كنا كارهين ﴾ أى لا نعود في ملتكم وان أكرهتمونا وأجبرتمونا

﴿ قال المملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ﴾ أى ليكون أحد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر ﴿ قال ﴾ شعيب ﴿ أو لو كنا كارهين ﴾ الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال

قال المملأ ( الرؤساء الذين استكبروا ) عن الايمان ( من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك ) بك ( من قريتنا ) من مدينتنا ( أو لتعودن ) تدخلن ( في ملتنا ) في ديننا ﴿ قال ﴾ شعيب ﴿ أو لو كنا كارهين ﴾ أنجبروننا على

شعيب ( قد افترينا على الله  
كذبا ان عدنا في ملتكم )  
وهو قسم على تقدير حذف  
اللام أى والله لقد افترينا  
على الله كذبا ان عدنا في  
ملتكم ( بعد اذ نجانا الله  
منها ) خلصنا الله فان قلت  
كيف قال شعيب ان عدنا  
في ملتكم والكفر على  
الانبياء عليهم السلام محال  
قلت اراد عود قومه الا انه  
نظم نفسه في جملتهم وان  
كان بريئا من ذلك اجراء  
لكلامه على حكم التغليب  
( وما يكون لنا ) وما ينبغي  
لنا وما يصح ( أن نعود فيها  
الا أن يشاء الله ربنا ) الا ان  
يكون سبق في مشيئته أن  
نعود فيها اذ الكائنات كلها  
بمشيئة الله تعالى خيبرها  
وشرها ( وسع ربنا كل شئ  
علما ) تمييز أى هو عالم بكل  
شئ فهو يعلم أحوال عباده  
كيف تتحول وقلوبهم

كذب وان كنا كارهين ( قد  
افترينا ) اختلقنا ( على الله  
كذبا ) باطلا ( ان عدنا )  
ان دخلنا ( في ملتكم )  
في دينكم ( بعد اذ نجانا الله  
منها ) من دينكم ( وما يكون  
لنا ) ما يجوز لنا ( أن نعود فيها )

أن ندخل في دينكم الشرك بالله ( الا أن يشاء الله ربنا ) نزع المعرفة من قلبنا ( وسع ربنا كل شئ علما ) علم ربنا بكل شئ ( على الله توكلنا )

كراهتنا ﴿ قد افترينا على الله كذبا ﴾ قد اختلقنا عليه ﴿ ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله  
منها ﴾ شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه  
جعل كالأوقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال أى قد افترينا الآن ان هممنا  
بالعود بعد اذ خلاص منها حيث نزع ان الله تعالى ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه  
باطل وما نتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا ﴿ وما يكون  
لنا ﴾ وما يصح لنا ﴿ ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا ﴾ خذلانا وارتدادنا وفيه  
دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على  
ما لا يكون ﴿ وسع ربنا كل شئ علما ﴾ أى احاط علمه بكل شئ مما كان وما يكون منا ومنكم  
﴿ على الله توكلنا ﴾ في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار

على الدخول فيها فلا تقبل ولا تدخل ﴿ قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد  
اذ نجانا الله منها ﴾ يعنى ان شعيبا أجاب قومه أذ دعوه ومن آمن به الى العود الى ملتهم  
والدخول فيها فقال قد افترينا يعنى قد اختلقنا على الله كذبا وتخربنا عليه من القول  
باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما أنتم عليه من الملة والدين وقد أنقذنا الله  
وخلصنا منها وبصرنا خطأها وهذا أيضا فيه من الاشكال مثل ما فى الاول وهو ان شعيبا  
عليه الصلاة والسلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها  
والجواب عنه مثل ما أجيب عن الاشكال الاول وهو ان نقول ان الله نجى قومه الذين  
آمنا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا كما كانوا عليه  
من الكفر فأجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجانا الله منها علمنا قبح ملتكم وفسادها  
فكانه خلصنا منها ﴿ قوله عز وجل اخبار اعنه ﴾ وما يكون لنا ان نعود فيها الا أن يشاء الله  
ربنا ﴿ يعنى وما يكون لنا ان نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذى نحن عليه الا ان يشاء الله  
ربنا يعنى الا ان يكون قد سبق لنا فى علم الله أن نعود فيها فحينئذ يعنى قضاء الله وقدره  
فيما وينفذ سابق مشيئته علينا وقال الواحدى معنى العود هنا الابتداء والذى عليه أهل  
العلم والسنة فى هذه الآية ان شعيبا وأصحابه قالوا ما كنا نرجع الى ملتكم بعد ان وقفنا  
على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلا كنا فامورنا راجعة الى الله غير  
خارجة عن قبضته يسعد من يشاء بالطاعة ويشقى من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب  
وقومه استسلام لمشيئة الله ولم تزل الانبياء والا كبريخافون العاقبة وانقلاب الامر  
ألا ترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجتنبى وبنى ان نعبد الاصنام وكان  
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قال الزجاج  
رحم الله تعالى المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق فى علم الله ومشيئته  
ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله ﴿ وسع ربنا كل شئ علما ﴾ يعنى انه تعالى يعلم ما يكون  
قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما فى الازل بجميع الاشياء فالسعيد  
من سعد فى علم الله تعالى والشقى من شقى فى علم الله تعالى ﴿ على الله توكلنا ﴾ أى على الله



ويوقنا لزيد الايقان (ربنا

اقم بيننا وبين قومنا بالحق) أي احكم والقاضى الفاتحة للحكومة والمعلق فلذا سمي فتحا ويسمى أهل عمان القاضى فتاحا (وأنت خير الفاتحين) كقوله وهو خير الحاكمين (وقال الملائكة الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون )

مقبونون لفوات فوائد الخس والتطيف باتباعه لانه ينهاكم عنهما وبأمركم على الايضاء والتسوية وجواب القسم الذى وطأته اللام فى لئن اتبعتم وجواب الشرط انكم اذا لخاسرون فهو ساد مسد الجوابين ( فأخذتهم الرجفة ) فاصبحوا فى دارهم جائين )

ربنا) ياربنا (اقم) اقض ( بيننا وبين قومنا بالحق) بالعدل (وانت خير الفاتحين) القاضين ( وقال الملائكة ) الرؤساء ( الذين كفروا من قومه ) للسفلة ( لئن اتبعتم شعيبا ) فى دينه ( انكم اذا لخاسرون ) لجاهلون مقبونون ( فأخذتهم الرجفة ) الزلزلة ( فاصبحوا فى دارهم ) فصاروا فى مدينتهم وعساكرهم ( جائين )

﴿ ربنا اقم بيننا وبينهم وبين قومنا بالحق ﴾ احكم بيننا وبينهم والقاضى والفاتحة للحكومة أو اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويميز الحق من المبطل من قمع المشكل اذا بينه ﴿ وانت خير الفاتحين ﴾ على المعنيين ﴿ وقال الملائكة الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا ﴾ وتركتم دينكم ﴿ انكم اذا لخاسرون ﴾ لاستبدالكم ضلالتهم بهداكم أولفوات ما تحصل لكم بالبخس والتطيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ الزلزلة وفى سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مبادئها ﴿ فاصبحوا فى دارهم جائين ﴾ أى فى مدينتهم

نعتمد واليه نستند فى أمورنا كلها فانه الكافى لمن توكل عليه والمعنى على الله توكلنا على غيره فكأنه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب ﴿ ربنا اقم بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ للمأيس شعيب من ايمان قومه دعاهم هذا الدعاء فقال ربنا اقم أى اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعنى بالعدل الذى لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف ﴿ وانت خير الفاتحين ﴾ يعنى خير الحاكمين قال الفراء ان اهل عمان يسمون القاضى الفاتح والفتاح وقال غيره من أهل اللغة هى لغة مراد وأنشد بعضهم فى ذلك الأبلغ بنى عصم رسولا \* فانى عن قى حكم غنى

أراد انه غنى عن حاكمهم وقاضيههم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت أدرى ما معنى قوله ربنا اقم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذى بزن تقول تعال أفأحكك يعنى أقاضيك وهذا قول قتادة والسدى وابن جريج وجهور المفسرين ان الفاتح هو القاضى والحاكم سمي بذلك لانه يفتح أغلاق الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجاز أن يكون معناه ربنا اظهر أمرنا حتى يفتح بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يبدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يرايه الكشف والتميز ﴿ وقال الملائكة الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا ﴾ يعنى وقال جماعة من أشرف قوم شعيب ممن كفر به لآخرين منهم لئن اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما أنتم عليه ﴿ انكم اذا لخاسرون ﴾ يعنى انكم لمقبونون فى فعلكم ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ يعنى الزلزلة الشديدة ﴿ فاصبحوا فى دارهم جائين ﴾ قال ابن عباس وغيره فبعث الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حرا شديدا من جهنم فأخذ بافاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا فى الاسراب ليعودوا فيها فوجدوها أشد حرا من النهار فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلمت وهى الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصدبانهم ألهمهم الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كاحترق الجراد فى القمل وصاروا رمادا وروى أن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام ثم سلب عنهم الحرح حتى هلكوا بها وقال قتادة بعث الله شعيبا الى أصحاب الايكة والى أهل مدين فاما أصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما أهل مدين فأخذتهم الرجفة صاح

(الذين كذبوا شعيباً) مبتدأ خبره (كأن لم يفتوا فيها) لم يفتوا فيها غنى بالمكان أقام (الذين كذبوا شعيباً) مبتدأ خبره (كانوا هم الخاسرين) لامن قالوا لهم انكم ﴿٦٠١﴾ اذا الخاسرون { سورة الاعراف } وفي هذا الابتداء معنى

الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيباً الخصوصون بان اهلكوا كان لم يفتوا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيباً قد اتجأهم الله الذين كذبوا شعيباً المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فهم الراجحون وفي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم (فتولى عنهم) بعد ان نزل بهم العذاب (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونهجت لكم فكيف آسى) أحزن (على قوم كافرين) اشتد حزنه على قومه ثم أنكسر على نفسه فقال كيف يشتد حزنى على قوم ليسوا بأهل للعزى عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم أو أراد لقد أعذرت لكم في الابلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصدقونى فكيف

الذين كذبوا شعيباً مبتدأ خبره ﴿كأن لم يفتوا فيها﴾ أى استؤصلوا كأن لم يفتوا بها والمعنى المنزل ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ دينا وديناً الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الراجحون في الدارين وللتنبية على هذا والمبالغة في تكرار الموصول واستأنف بالجلتين واتى بهما اسميتين ﴿فتولى عنهم﴾ وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونهجت لكم ﴿قاله تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكسر على نفسه فقال ﴿فكيف آسى على قوم كافرين﴾ ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم أو قاله اعتذاراً عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالفت في الابلاغ والانداز وبذات وسعى في النصع والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم . وقرئ فكيف آسى

بهم جبريل عليه السلام صحبة هلكوا جميعاً قال أبو عبد الله البجلي كان أبو جاد وهو زوحطى ولكن وسعقص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كمن فلما هلك قالت ابنته شعرا تكيه وترثيه به

كلن هدم ركنى . هلكه وسط المحله  
سيد القوم آناه . هلك نار تحت ظله  
جملت نار اعليهم . دارهم كالمضمحله

قوله عز وجل ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ يعنى كأن لم يفتوا فيها ولم ينزلوها يوم ان الدهر يقال غنيت بالمكان أى أقت به والمغانى المنازل التى بها أهلها واحدها معنى قال الشاعر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة \* في ظل ملك ثابت الاوتاد

أراد أقاموا فيها وقيل في معنى الآية كأن لم يفتوا فيها متممين مستغنين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو من الغنى الذى هو ضد الفقر ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ يعنى خسروا أنفسهم بهلاكهم ﴿فتولى عنهم﴾ يعنى فاعرض عنهم شعيب شاخصاً من بين أظهرهم حين أناهم العذاب ﴿وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونهجت لكم﴾ يعنى انه قال لهم ذلك للمايقن نزول العذاب بقومه واختلفوا هل كان ذلك القول قبل نزول العذاب أو بعده على قولين سبقا في قصة صالح عليه الصلاة والسلام ﴿قوله عز وجل ﴿فكيف آسى﴾ يعنى أحزن ﴿على قوم كافرين﴾ والاسى أشد الحزن وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة والايان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف أحزن على قوم كافرين لانهم هم الذين اهلكوا أنفسهم باصرارهم على الكفر وقيل في معنى الآية ان شعيباً قال لقد أعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصيحى فكيف أحزن عليكم يعنى انكم لستم مستحقين لان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه

المفسونين في العقوبة (فتولى عنهم) (قا و خا ٧٦ نى) خرج من بينهم قبل الهلاك (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي) بالاصم والهمى (ونهجت لكم) حذرتكم من عذاب الله وودعوتكم الى التوبة والايان (فكيف آسى) (على قوم كافرين)

آسى عليكم ( وما أرسلنا في قرية من نبي ) يقال لكل مدينة قرية وفيه حذف أى فكذبوه ( الأخذنا أهلها بالبأساء )  
بالبؤس والفقر ( والضراء ) { الجزء التاسع } الضر والمرض ﴿ ٦٠٢ ﴾ لاستكبارهم عن اتباع نبيهم أو هما نقصان

بما لتين ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي الأخذنا أهلها بالبأساء والضراء ﴾ بالبؤس  
والضر ﴿ لعلمهم بضرعون ﴾ حتى يضرعوا ويتدلوا ﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾  
أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة والسلامة والسعة ابتلاء لهم بالامر من  
﴿ حتى عفوا ﴾ كثروا عددا وعددا يقال عفانبات اذا كثرو منه اعفاء المحي  
﴿ وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾ كقرا ما نعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا  
بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء و قد مس آباءنا منه مثل مامسنا  
﴿ فأخذناهم بقتة ﴾ فجأة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ ينزل العذاب

حصل لشيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله أعلم ﴿ قوله  
عز وجل ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي ﴾ فيه اضمحار وحذف تقديره فكذبوه ﴿ الأخذنا  
أهلها بالبأساء والضراء ﴾ قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهو معنى قول  
الزجاج فانه قال البأساء كل ما نالهم من الشدة في أموالهم والضراء كل ما نالهم من الامراض  
وقيل البأساء الشدة وضيق العيش والضراء الضر وسوء الحال ﴿ لعلمهم بضرعون ﴾ يعنى  
انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والالتقياد لامر الله  
عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف نبيه صلى الله عليه وسلم أحوال  
الانبياء مع أمهم المكذبة وقص عليه من أخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا  
من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الآية انه قد أرسل رسلا  
الى أمم أخر فكذبوا برسلهم وأخذهم بالبأساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه  
تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار ليجروا عمام عليه من الكفر  
والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجرى تديره في أهل القرى على نخط واحد وسنة واحدة  
انما يدبرهم بما يكون الى الايمان أقرب وهو قوله تعالى ﴿ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة ﴾  
لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعى الالتقياد للطاعة والاشتغال  
بالشكر قال أهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل  
فالسيدة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه تعالى بدل مكان البأساء والضراء النعمة  
والسعة والخصب والصحة في الابدان فأخبر الله تعالى في هذه الآية انه يأخذ أهل  
المعاصى والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله ﴿ حتى عفوا ﴾  
يعنى انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت أموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر  
وطال قال مجاهد حتى كثرت أموالهم وأولادهم ﴿ وقالوا ﴾ يعنى من  
غرتهم وغفلتهم بعدما صاروا الى الرخاء والسعة ﴿ قد مس آباءنا الضراء والسراء ﴾  
يعنى أنهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولا آبائنا ولم يكن مامسنا من الشدة  
والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم  
من قبل فانهم لم يتركوها ذينهم لما أصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى ﴿ فأخذناهم  
بقتة ﴾ يعنى أخذناهم فجأة آمن ما كانوا ليكون ذلك أعظم لحسرتهم ﴿ وهم لا يشعرون ﴾

النفس والمال ( لعلمهم  
يضرعون ) ليتضرعوا  
ويتدلوا ويحطوا أردية  
الكبر ( ثم بدلنا مكان السيئة  
الحسنة ) أى أعطيناهم  
بدل ما كانوا فيه من البلاء  
والمحنة الرخاء والسعة والصحة  
( حتى عفوا ) كثروا وغوا  
في أنفسهم وأموالهم من  
قولهم عفا النبات اذا كثر  
ومنه قوله عليه الصلاة  
والسلام واعفوا المحي  
( وقالوا قد مس آباءنا  
الضراء والسراء ) أى قالوا  
هذ عادة الدهر يعاقب  
في اناس بين الضراء والسراء  
وقدمس آباءنا نحو ذلك  
وما هو بعقوبة الذنب  
فكونوا على ما أنتم عليه  
( فأخذناهم بقتة ) فجأة  
( وهم لا يشعرون ) ينزل

بالله أهلكوا ( وما أرسلنا  
في قرية ) التى أهلكنا أهلها  
( من نبي ) مرسل ( الا  
أخذنا أهلها ) قبل الهلاك  
( بالبأساء ) بالخوف والبلاء  
والشدائد ( والضراء )  
الامراض والاوراج  
والجوع ( لعلمهم بضرعون )  
لكي يؤمنوا فلم يؤمنوا ( ثم  
بدلنا مكان السيئة الحسنة )  
مكان القحط والجذوبة

والشدة والخصب والرخاء والنعيم ( حتى عفوا ) جوا وكثرت أموالهم ( وقالوا قد مس ) آباءنا الضراء ( يعنى )  
والسراء ( الشدة والرخاء ) كما أصابنا فصبروا على دينهم فمحن مثلهم نقتدى بهم ( فأخذناهم بقتة ) فجأة بالعذاب ( وهم لا يشعرون )

العذاب واللام في (ولوان أهل القرى) إشارة إلى أهل القرى التي دل عليها وما أرسلنا في قرية من نبي كانه قال ولوان أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) الشرك مكان ارتكابه (لفتحنا عليهم) لفتحنا شامى (بركات من السماء والارض) أراد المطر والنبات ولا يتساهم بالخير من كل وجه (ولكن كذبوا) الانبياء (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام للجنس (أفأمن أهل القرى) يريد الكفار منهم (أن يأتيهم بأسنا) عذابنا ﴿٦٠٣﴾ (بيانا) {سورة الاعراف} ليلا أى وقت يات يقال بات بيانا

(وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) نهارا والضحى في الاصل ضوء الشمس اذا أشرفت والفاء والواو في أفأمن وأؤمن حرفا عطف دخل عليهما همزة الانكار والمعطوف عليه فأخذناهم بنته وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بقتة بعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بيانا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى أو أمن شامى وحجازى

وهم لا يعلمون بنزول العذاب (ولوان أهل القرى) التي أهلكتنا أهلها (آمنوا) بالكتاب والرسول (واتقوا) الكفر والشرك والفواحش وتابوا (لفتحنا عليهم بركات

ولوان أهل القرى) يعنى القرى المدلول عليها بقوله وما أرسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها ﴿آمنوا واتقوا﴾ مكان كفرهم وعصيانهم ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض﴾ لوسعنا عليهم الخير وسرناهم لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالشديد ﴿ولكن كذبوا﴾ الرسل ﴿فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أفأمن أهل القرى﴾ عطف على قوله فأخذناهم بقتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك أمن أهل القرى ﴿أن يأتيهم بأسنا بيانا﴾ تبيانا أو وقت يات أو ميتا أو ميتتين وهو في الاصل مصدر بمعنى اليتوتة ويحى بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم ﴿وهم نائمون﴾ حال من ضميرهم البارز والمستتر في بيانا ﴿أو أمن أهل القرى﴾ وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أو بالسكون على التردد ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ ضحوة النهار وهو في الاصل

يعنى بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب ﴿قوله عز وجل﴾ ولوان أهل القرى آمنوا واتقوا ﴿لما بين الله تعالى في هذه الآية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا أخذهم بعذابه بين في هذه الآية انهم لو آمنوا يعنى بالله وبرسله وأطاعوه فيما أمرهم به واتقوا يعنى ما نهى الله تعالى عنه وحرمه عليهم ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض﴾ بركات السماء والمطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده وأصل البركة ثبوت الخير الالهى فى الشيء وسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذلك ثبوت البركة فى نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهى المطر وقال البغوى أصل البركة المواظبة على الشيء أى تابعا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعتنا عنهم القحط والجذب ﴿ولكن كذبوا﴾ يعنى فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما آمنوا ولكن كذبوا يعنى الرسل ﴿فأخذناهم﴾ يعنى بأنواع العذاب ﴿بما كانوا يكسبون﴾ يعنى أخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة ﴿قوله عز وجل﴾ أفأمن أهل القرى ﴿هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد يوزجر والمراد بالقرى ومكة وما حولها وقيل هو عام في كل أهل القرى الذين كفروا وكذبوا ﴿ان يأتيهم بأسنا﴾ يعنى عذابنا ﴿بيانا﴾ يعنى ليلا ﴿وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾

من السماء بالمطر (والارض) بالنبات والثمار (ولكن كذبوا) رسلى وكتبي (فأخذناهم) بالقطط والجذوبة والعذاب (بما كانوا يكسبون) يكذبون الانبياء والكتب (أفأمن أهل القرى) أهل مكة (أن يأتيهم) (بأسنا) عذابنا (بيانا) ليلا (وهم نائمون) غافلون عن ذلك (أو أمن أهل القرى) أهل مكة (ان يأتيهم) (بأسنا) عذابنا (ضحى)

على المعطف باو والمعنى انكار الامن من أحد هذين الوجهين من آيات العذاب ايلا أوضحي فان قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف المعطف وهو ينافي الاستفهام قلت التنافي في المفرد لافي عطف جملة على جملة لانه على استئناف جملة بعد جملة (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يحدى لهم (أفامنوا) تكرر بقوله أفامن أهل القرى (مكر الله) أخذ العبد من حيث لا يشعر وعن الشبلي قدس الله روحه العزيز مكره { الجزء التاسع } بهم تركه ﴿ ٦٠٤ ﴾ اياهم على ما هم عليه وقالت

ضوء الشمس اذا ارتفعت ﴿ وهم يلعبون ﴾ يلعبون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم ﴿ أفامنوا مكر الله ﴾ تقرير بقوله أفامن أهل القرى ومكر الله استمارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب ﴿ فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ﴾ الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار ﴿ أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها ﴾ أي يخلفون من خلائقهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى يبين ﴿ ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ﴾ ان الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جملة مفعولا ﴿ ونطع على قلوبهم ﴾ عطف على ما دل عليه أولم يهد أي يغفلون عن الهداية أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطع ولا يجوز عطفه على أصبناهم على انه بمعنى وطبنا لانه في سياقة جواب لولا فضائه الى نفي الطبع عنهم ﴿ فهم لا يسمعون ﴾ بمعنى سماع تفهم واعتبار ﴿ تلك القرى ﴾ يعني قرى الامم المار ذكرهم ﴿ نقص عليك من انبائها ﴾ حال ان جعل

يعنى نهارا لان الضحى صدر النهار ﴿ وهم يلعبون ﴾ يعنى وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الآية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذى يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وأمور الدنيا كلها لمب ومحمتم أن يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لمب أيضا لانه يضر ولا ينفع ﴿ أفامنوا مكر الله ﴾ يعنى استدراج اياهم بما أنعم عليهم من الدنيا وقيل المراد به أن يأتيهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمى هذا العذاب مكر التزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به ﴿ فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ﴾ يعنى انه لا يأمن أن يكون ما أعطاهم من النعمة مع كفرهم استدراجا الامن خسر في آخره وهلك مع الهالكين ﴿ أولم يهد ﴾ يعنى أولم يبين ﴿ للذين يرثون الارض من بعد ﴾ هلاك ﴿ أهلها ﴾ الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها ﴿ أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ﴾ يعنى لو نشاء أخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم ﴿ ونطع ﴾ أى ونحتم ﴿ على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴾ يعنى لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان وتطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطع على قلوبهم ويجوز أن يكون مطوفا على الماضى ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبنا على قلوبهم ﴿ تلك القرى ﴾ يعنى هذه القرى التى ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهى قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب ﴿ نقص عليك من انبائها ﴾

ابنة الربيع بن خيثم لابيها مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يا نبتاه ان أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بيانا (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا الى النار (أولم يهد) يبين (للذين يرثون الارض من بعد أهلها) أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم (أن لو نشاء مرفوع بأنه فاعل يهدى وان محففة من الثقيلة أى أولم يهد للذين يخلفون من خلائقهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما هلكنا الموروثين وانما عدى فعل الهداية باللام لانه معنى التبيين (ونطع) مستأنف أى ونحن نحتم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الوعظ (تلك القرى) نقص عليك من انبائها (كقوله نهارا) (وهم يلعبون)

يخوضون في الباطل (أفامنوا مكر الله) عذاب الله (فلا يأمن مكر الله) عذاب الله (الا القوم الخاسرون) (يعنى) المفسونون الكافرون (أولم يهد) أولم يبين (للذين يرثون الارض) أرض مكة (من بعد أهلها) من بعد هلاك أهلها (ان لو نشاء أصبناهم) عذبناهم (بذنوبهم) كما عذبنا الذين من قبلهم (ونطع) لكني نحتم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الهدى ولا يصدقون بمحمد عليه السلام والقرآن (تلك القرى) التى أهلكنا أهلها (نقص عليك) نزل عليك جبريل (من انبائها)

هذا بلى شيخنا في أنه مبتدأ  
وخبر وحال أو تكون  
القرى صفة تلك ونقص  
خبراً والمعنى تلك القرى  
المذكورة من قوم نوح الى  
قوم شعيب نقص عليك  
بعض أنبائها ولها أنباء  
غيرها لم نقصها عليك (ولقد  
جاءتهم رسلم بالبينات)  
بالمعجزات (فما كانوا ليؤمنوا)

عند مجيئ الرسل بالبينات  
( بما كذبوا من قبل ) بما  
كذبوا من آيات الله من قبل  
مجيئ الرسل أو فما كانوا  
ليؤمنوا الى آخر أعمارهم  
بما كذبوا به أو لاحقين  
جاءتهم الرسل أى استمروا  
على التكذيب من لدن مجيئ  
الرسلى اليهم الى أن ماتوا  
مصرين مع تتابع الآيات  
واللام لتأكيد النفي  
( كذلك ) مثل ذلك  
الطبع الشديد ( يطبع الله  
على قلوب الكافرين )  
لما علم منهم أنهم يختارون  
الثبات على الكفر ( وما  
وجدنا لآكثرهم

نخبره لآكثرهم ) ولقد  
جاءتهم رسلم بالبينات  
بالامر والنهى والعلامات  
( فما كانوا ليؤمنوا ) بالكتب  
والرسل ( بما كذبوا من  
قبل ) من قبل يوم الميثاق  
ويقال لم يؤمن آخر الامم  
بما كذبت أول الامم

القرى خبراً وتكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جمعت صفة ويجوز ان يكونا خبرين  
ومن للتبويض أى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لانقصها ﴿ ولقد جاءتهم رسلم  
بالبينات ﴾ بالمعجزات ﴿ فما كانوا ليؤمنوا ﴾ عند مجيئهم بها ﴿ بما كذبوا من قبل ﴾  
بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم  
بما كذبوا به أو لاحقين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة  
واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحو الايمان لنا فاقامه لخالهم في التصميم على الكفر  
والطبع على قلوبهم ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين ﴾ فلا تلتين شكيتهم بالآيات  
والنذر ﴿ وما وجدنا لآكثرهم ﴾ لا كثر الناس والآية اعتراض أو لآكثر الامم

يعنى نخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلم الذين  
أرسلوا اليهم لتعلم يا محمد ان النصر رسلنا والذين آمنوا معهم على أعدائنا وأعدائهم  
من أهل الكفر والعدا وكيف أهلكتناهم بكفرهم وبمخالفتهم رسلم ففيه  
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم ﴿ ولقد  
جاءتهم ﴾ يعنى لآهل تلك القرى ﴿ رسلم بالبينات ﴾ يعنى جاءتهم رسلم بالمعجزات  
الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم ﴿ فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ﴾ اختلف  
أهل التفسير في معنى ذلك فتميل معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكتناهم من  
أهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسلم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم أخذ  
ميثاقهم حين أخرجه من ظهر آدم عليه السلام فاقروا باللسان وأخبروا بالتكذبات  
وهذا معنى قول ابن عباس والسدى قال السدى آمنوا كرها يوم أخذ الميثاق وقال  
مجاهد فما كانوا لو أحييناهم بعد اهلاكهم ومعايبتهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من  
قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئ الرسل بما سبق لهم في علم الله انهم  
يكذبون به حين أخرجه من صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال أبو بن كعب كان  
سبق لهم في علمه يوم أقرؤا له بالميثاق انهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن أنس يحق على  
العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربه وان لا يتأولوا علم ما أخفى الله تعالى عنهم  
فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلم بالبينات فما كانوا  
ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم  
المطبع من العاصي حيث حلقتهم في صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال الطبري وأولى  
الاقوال بالصواب قول أبي بن كعب والربيع بن أنس وذلك ان من سبق في علم الله انه  
لا يؤمن به فلا يؤمن أبداً وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم  
في هذه السورة أنهم لا يؤمنون أبداً فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم مكذبون  
به في سابق علمه قبل مجيئ الرسل عند مجيئهم اليهم ﴿ كذلك يطبع الله على قلوب  
الكافرين ﴾ يعنى كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية وأهلكهم كذلك يطبع الله  
على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم انهم لا يؤمنون من قومك ﴿ وما وجدنا لآكثرهم

( كذلك ) هكذا ( يطبع الله ) يحتم الله ( على قلوب الكافرين ) بالله في علم الله ( وما وجدنا لآكثرهم ) أكثرهم

من عهد ) الضمير للناس على الاطلاق يعني ان أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الايمان والآية اعتراض أوللام المذكورين فانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضرر ومخافة لئن أنجبتنا لئن من ثم أنجاهم نكسوا (وان) الشان والحديث (وجدنا أكثرهم لفاسقين) لخارجين عن الطاعة { الجزء التاسع } والوجود بمعنى ﴿ ٦٠٦ ﴾ العبدليل دخول ان الخففة واللام

الفارقة ولا يجوز ذلك الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما ( ثم بعثنا من بعدهم ) الضمير للرسول في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أوللام ( موسى بآياتنا ) بالمعجزات الواضحات ( الى فرعون وملائته فظلموا بها ) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين آذوا من آمن أولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بديل الايمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان ( فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ) حيث صاروا مغرقين ( وقال موسى يفرعون ) يقال للملوك مصر الفراعنة كما يقال للملوك فارس الإكسرة وكانه قال يملك مصر واسمه قابوس أو الوليد بن مصعب ابن الريان ( انى رسول من رب العالمين ) اليك قال فرعون كذبت فقال موسى ( من عهد ) على عهد الاول

المذكورين ﴿ من عهد ﴾ من وفاء عهد فان أكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج أو ما عهدوا اليه حين كانوا في ضرر ومخافة مثل لئن أنجبتنا من هذه لتكونن من الشاكرين ﴿ وان وجدنا أكثرهم ﴾ أى علمناهم ﴿ لفاسقين ﴾ من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان الخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للتفي واللام بمعنى الا ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى ﴾ الضمير للرسول في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أوللام ﴿ بآياتنا ﴾ يعنى المعجزات ﴿ الى فرعون وملائته فظلموا بها ﴾ بان كفروا بها مكن الايمان الذى هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلوا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يفرعون انى رسول من رب العالمين ﴾ اليك من عهد ﴿ يعنى وما وجدنا لاكثر الامم الحالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذى عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم أخذ الميثاق قال ابن عباس انما أهلك الله أهل القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم به ﴿ وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ﴾ أى وما وجدنا أكثرهم الا فاسقين خارجين عن طاعتنا وأمرنا ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ثم بعثنا من بعدهم ﴾ يعنى ثم بعثنا بعد الانبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام ﴿ موسى بآياتنا ﴾ يعنى بمعجزتنا وأدلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التى جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ الى فرعون وملائته ﴾ قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشى وكان اسم فرعون الذى أرسل اليه موسى عليه الصلاة والسلام الوليد بن مصعب ابن الريان وكان ملك القبط والملاأ أشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا آمن الاشراف آمن الاتباع ﴿ فظلموا بها ﴾ يعنى فحجدها بها لان الظلم وضع الشئ في غير موضعه وكانت هذه الآيات معجزات ظاهرة قاهرة فكفروا بها ووضعوا الكفر موضع الايمان ﴿ فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ أى انظر يا محمد بين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف أهلكناهم ﴿ وقال موسى يفرعون انى رسول من رب العالمين ﴾ يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله تعالى والى الايمان به وقال له انى رسول أى مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعنى ان الله الذى خلق

( وان وجدنا ) وقد وجدنا ( أكثرهم ) كلهم ( لفاسقين ) لناقضين العهد ( ثم بعثنا ) أرسلنا ( السموات ) ( من بعدهم ) من بعد هؤلاء الرسل ( موسى بآياتنا ) التسع ( الى فرعون وملائته ) قومه ( فظلموا بها ) فحجدها ( فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ) كيف صار آخر أمر المشركين بالهلاك ( وقال موسى يفرعون انى رسول من رب العالمين ) اليك قال فرعون كذبت قال موسى

(حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) أى أنا حقيق على قول الحق أى واجب على قول الحق أن أكون قائله والقائم به حقيق على نافع أى واجب على ترك القول على الله الا الحق أى الصدق وعلى هذه القراءة تقف على العالمين وعلى الاول يجوز الوصل على جعل حقيق وصف الرسول ﷺ ٦٠٧ وعلى معنى { سورة الاعراف } الباء كقراءة أبى أى انى

رسول خليق بان لا أقول أو يعلق على معنى الفعل فى الرسول أى انى رسول حقيق جدير بالرسالة ارسلت على أن لا أقول على الله الا الحق ( قد جئتكم بينة من ربكم ) بما بين رسالتى ( فارسل معى بنى اسرائيل ) فخلهم يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفى غلب فرعون على نسل الاسباط واستعبدهم فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذى دخله موسى أربع مائة عام معى حفص ( قال ان كنت جئت باية ) من عند من أرسلك ( فأت بها ان كنت من الصادقين ) فأتى بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها ( فأتى موسى عليه السلام عصاه من يده ( فاذا هى ) اذا هذه للمفاجأة وهى من ظروف المكان ( حقيق على ) جدير

وقوله ﴿ حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق ﴾ لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة واعلم يذكره لالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان لا أقول كما قرأ نافع فقلب لأمن الالباس كقوله

وتلحق خيل لاهوادة بينهما « وتشقى الرماح بالضياطرة الحجر »

أولان ما لزمك فقد لزمته أول الاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون أنا قائله لا يرضى الا بمثل ناطقابه أو ضمن حقيق معنى حريص أو وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبى بالباء وقرئ حقيق ان لا أقول بدون على ﴿ قد جئتكم بينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل ﴾ فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال ﴿ قال ان كنت جئت باية ﴾ من عند من أرسلك ﴿ فأت بها ﴾ فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك ﴿ ان كنت من الصادقين ﴾ فى الدعوى ﴿ فأتى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ﴾ ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان وهو الحية العظيمة روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشهر فاغراهه بين لحية ثمانون ذراعا وضع خيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحداث وانهزم الناس مزدهجين فأت منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى أرسلك خذها وأنا أو من بك وارسل

السموات والارض وخلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذى أرسلنى اليك ﴿ حقيق ﴾ أى واجب ﴿ على أن لا أقول على الله الا الحق ﴾ يعنى أنى رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق فى وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره ﴿ قد جئتكم بينة من ربكم ﴾ يعنى يبرهان على صدقى فيما أدعى من الرسالة والمراد بينته بمعجزته وهى العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال موسى ﴿ فارسل معى بنى اسرائيل ﴾ يعنى خل عنهم وأطلقهم من أسرك وكان فرعون قد استعبد بنى اسرائيل واستعملهم فى الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة ﴿ قال ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين ﴾ يعنى ان فرعون قال لموسى عليه الصلاة والسلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جئت من عند من أرسلك بينة تدل على صدقك فأتى بها واحضرها عندى لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت ﴿ فأتى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ﴾ أى بين والثعبان الذكر من الحيات وصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه فى آية أخرى بانه جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين

على ( أن لا أقول على الله الا الحق ) الصدق ( قد جئتكم بينة ) بيان ( من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل ) مع أموالهم قليلهم وكثيرهم ( قال ان كنت جئت باية ) بعلامة فأت بها ان كنت من الصادقين بانك رسول ( فأتى عصاه ) أول آية ( فاذا هى ثعبان مبين ) حية صفراء ذكر اعظم الحيات



معك بنى اسرائيل فاخذته فعاد عصا ونزع يده من جيبه أو من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين أي بيضاء بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليه النظارة

الوصفين أنها كانت في عظم الجنة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان قال ابن عباس رضى الله عنهما والسدى ان موسى لما أتى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحية ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحية الاسفل في الارض ولحيتها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث وقيل أنه أحدث في ذلك اليوم أربع مائة مرة وقيل انها أخذت قبة فرعون بين أنيابها وحلت على الناس فأنزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنشدك بالذى أرسلك أن تأخذها وأنا أو من بك وأرسل معك بنى اسرائيل فعادت في يده عصا كما كانت وفي كون الثعبان مينا وجوه الاول انه تميز وتبين ذلك بما علمته السحرة من التويه والتليس وبذلك تميز معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن تويه السحرة وتحويلهم الوجه الثاني أنهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشبهه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان ميين اي بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام كان من أعظم الآيات التي أبانت صدق قول موسى عليه الصلاة والسلام في انه رسول من رب العالمين قوله عز وجل ونزع يده من جيبه في اللغة عبارة عن اخراج الشيء عن مكانه والمعنى انه أخرج يده من جيبه أو من تحت جناحه فاذا هي بيضاء للناظرين قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام أدخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخرج يده من تحت ابطه فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم اللون ثم ردها الى جيبه فاخرجها فاذا هي كما كانت ولما كان البياض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرى بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضا عجبيا خارجا عن العادة يتعجب منه

### فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل

اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والايان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن أرسل اليهم رسالات يعرفهم معالم دينه وجميع تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم أحكامه وجائز ان تكون تلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز ان تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع أممهم ولا مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لان المعجز مع التحدى من النبي قائم مقام قول الله عز وجل صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة

بمنزلة ثمة وهناك (ثعبان) حية عظيمة (ميين) ظاهر أمره روى انه كان ذكرا فاغرافاه بين لحية ثمانون ذراعا وضع لحية الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وحل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وقتل بعضهم بعضا فصاح فرعون يا موسى خذها وأنا أو من بك فأخذه موسى فعاد عصا

(ونزع يده) من جيبه (فاذا هي بيضاء للناظرين) أي فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة

الا اذا كان بياضا عجبيا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه روى اندارى فرعون يده وقال ماهذه فقل يدك ثم ادخلها في جيبه ونزعها فاذا هي بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة

(ونزع يده) من ابطه (فاذا هي بيضاء) تضى (لناظرين) اليها

(قال الملائكة من قوم فرعون ان

هذا الساحر علم عالم بالسحر ما هو فيه قد دخل الى الناس المصاحبة والآدم أبيض وهذا الكلام قد عزي الى فرعون في سورة الشعراء وانه قال للملائكة وهن اعزى اليهم فيحتمل انه قد قاله هو وقالوا هم فحكي قوله ثمة وقولهم هنا أو قاله ابتداء فتلقت منه الملائكة فقالوا لا عقابهم يريد أن يخرجكم من أرضكم) يعني مصر (فما ذاتا مسرون) تشيرون من آسرتهم فاسرني بكذا اذا اشارته فاشار عليك برأى وهو من كلام فرعون قاله للملائكة لما قالوا له ان هذا الساحر علم يريد أن يخرجكم (قالوا راجه) بسكون الهاء عاصم وحزة أى آخر واحبس أى أخر أمره ولا تعجل او كانهم يقتله فقالوا أخر قتله وأحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق (وأخاه) هرون

(قال الملائكة الرؤساء) من قوم فرعون ان هذا الساحر علم (حاذق بالسحر) يريد ان يخرجكم من أرضكم) ارض مصر (فما ذاتا مسرون) فقال فرعون لهم بما ذاتا تشيرون في امره (قالوا راجه) فقه (وأخاه) هرون ولا

أبيضاء للنظار لانها كانت بيضاء في جبلتها روى انه عليه السلام كان آدم شديد الادمية فادخل يده في جيبه أو تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملائكة من قوم فرعون ان هذا الساحر علم فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم مهنا يريد ان يخرجكم من أرضكم فاذا تأمسرون تشيرون في ان تفعل قالوا أرجدوا أخاه

معجزة لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم كتمنى الموت في قوله فتمتوا الموت ان كنتم صادقين فلما صرفوا عن تخيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كحياء الموتى وقلب العصاحية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التي عجز البشر عن مثلها فاذا أتى النبي بشيء من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذي أظهر ذلك المعجز على يديه ليكون حجة على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت دليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير أصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله تعالى أعلم قوله عز وجل قال الملائكة من قوم فرعون ان هذا يعني موسى لساحر علم يعني أنه ليأخذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت حية ويرى الشيء بخلاف ما هو عليه كما أراه يده بيضاء وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغلب في ذلك الزمان فلما أتى بما يعجز عنه غيره قالوا ان هذا الساحر علم فان قلت قد أخبر الله تعالى في هذه السورة ان هذا الكلام من قول الملائكة لفرعون وقال في سورة الشعراء وقال فرعون الملائكة حوله ان هذا الساحر علم فكيف الجمع بينهما قلت لا يتبع أن يكون قاله فرعون أو لا ثم انهم قالوا بعده فاخبر الله تعالى عنهم هناء أخر عن فرعون في سورة الشعراء وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملائكة من قومه وهم خاسته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هناء عن الملائكة وأخبر هناء عن فرعون قوله عز وجل يريد أن يخرجكم من أرضكم) يعني يريد موسى أن يخرجكم أي القبط من أرض مصر فاذا تأمسرون يعني فأي شيء تشيرون أن تفعل به وقيل ان قوله فاذا تأمسرون من قول الملائكة لان كلام فرعون تم عند قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم فقال الملائكة مجيبين لفرعون فاذا تأمسرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فأتروا ان تفعل به والقيل الاول أصح لسياق الآية التي بعدها وهو قوله تعالى قالوا أرجدوا أخاه يعني أخر أمرهما ولا نجعل فيه فتصير عجلتك عليك لالك والارجاء التأخير في اللغة وقيل

وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم ﴿ كأنه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير أى اخرا امره واصله ارجئه كافر أبو عمرو و أبو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئوه على قرأة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل في الضمير أو ارجهى من ارجيت كافر أنافع في رواية ورش واسماعيل والكسائي وأما قراءته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فلا كتفاء بالكسرة عنها وأما قراءة حجة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل حه وكابل في اسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه الحجة فان الهاء لا تنكسر الا اذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقراءة الكسائي بكل سحار فيه وفي بونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء ﴿ وجاء السحرة فرعون ﴾ بعدما ارسل الشرط في طلبهم

معنى ارجئه احبسه وأخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التأخير لا الحبس ولان فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد أن رأى من أمره العظام رأى ﴿ وأرسل في المدائن ﴾ جمع مدينة واشتقاقها من مدن بلمكان أى أقام به يعنى مدائن صعيد مصر ﴿ حاشرين ﴾ يعنى رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مدائن الصعيد والمعنى انهم قالوا لفرعون أرسل الى هذه المدائن رجالا من أعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيهم من السحرة وكان رؤساء السحرة باقضى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله ﴿ يأتوك ﴾ يعنى الشرط ﴿ بكل ساحر ﴾ وقرى سحار والفرق بين الساحر والسحار أن الساحر هو المبتدى في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذى يتعلم منه السحر وقيل الساجر من يكون سحره وقتادون وقت والسحار الذى يدوم سحره ويعمل في كل وقت ﴿ عليم ﴾ يعنى ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس رضى الله عنهما وابن اسحق والسدى أن فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته في المصا قال انا لانتقل موسى الابن هو أشد منه سحرا فاتخذ غلمانا من بنى اسرائيل وبعث بهم الى مدينة يقال لها الفوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا وواعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجاءوا معهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحر أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا الا أتى بد واختلوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين انسان منهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بنى اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين مجوسيين من أهل نينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر ألفا وقال عكرمة كانوا سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفا وقال السدى كانوا بضعا وثمانين ألفا ويقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا ﴿ قوله عز وجل ﴾ وجاء السحرة فرعون ﴿ يعنى لما اجتمعوا

( وأرسل في المدائن حاشرين ) جامعين ( يأتوك بكل ساحر عليم ) سحار حجة وعلى أى يأتوك بكل ساحر عليم مثله في المهارة أبو بخير منه ( وجاء السحرة فرعون ) يريد فارسلى اليهم فحضروا

تقتلهما ( وارسل في المدائن حاشرين ) الشرط ( يأتوك بكل ساحر عليم ) حاذق بالسحر ( وجاء السحرة فرعون ) سبعون سحرا

(قالوا ان لنا اجرا) على الخبر واثبات الاجر العظيم مجازي وحفص ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل ما قالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا الجملا ﴿ ٦١١ ﴾ على الغلبة { سورة الاعراف } والتشكيك للتعظيم كانهم قالوا

لا بد لنا من اجر عظيم ( ان كنا نحن الغالبين قال نعم ) ان لكم لاجرا ( وانكم لمن المقربين ) عندي فتكونون اول من يدخل واخر من يخرج وكانوا ثمانين ألفا اوسبعين ألفا اوبضعة وثلاثين ألفا ( قالوا يا موسى اما ان تلقى ) عصاك ( واما

ان نكون نحن الملقين ) لما مناويفه دلالة على ان رغبته في ان يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر ( قال ) لهم موسى عليه السلام ( القوا ) تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل المناظرون قبل ان يتجاوزوا في الجدال وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم واعتمادا على ان المعجزة لن يغلبها سحر أبدا ( فلما ألقوا وسحروا أعين الناس ) أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه روي انهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طولا فاذا هي

( قالوا ) لفرعون ( ان لنا لاجرا ) هدية تعطينا ( ان كنا نحن الغالبين ) لموسى

﴿ قالوا ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين ﴾ استأنف به كأنه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا اجرا على الاخبار ويجاب الاجر كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر والتشكيك للتعظيم ﴿ قال نعم ﴾ ان لكم اجرا ﴿ وانكم لمن المقربين ﴾ عطفت على مسد مسده نعم وزيادة على الجواب تخييرهم ﴿ قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين ﴾ خيروا موسى مراعاة للادب واظهارا للجلافة ولكن كانت رغبته في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل اوتأ كيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فذلك قال ﴿ قال القوا ﴾ كرما وتسامحا وازدراء بهم ووثوقا على شأنه ﴿ فلما ألقوا وسحروا أعين الناس ﴾ بان

وجاؤا الى فرعون ﴿ قالوا ان لنا اجرا ﴾ يعني جعلوا وعطاء تكررنا به ﴿ ان كنا نحن الغالبين ﴾ يعني لموسى قال الامام فخر الدين الرازي ولقائل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاؤا فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى ﴿ قال نعم ﴾ يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطاء ﴿ وانكم لمن المقربين ﴾ يعني ولكم المنزلة الرقيقة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لا اقتصر معكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة اني اجعلكم من المقربين عندي قال الكلبي تكونون اول من يدخل على واخر من يخرج من عندي ﴿ قالوا ﴾ يعني السحرة ﴿ يا موسى اما ان تلقى ﴾ يعني عصاك ﴿ واما ان نكون نحن الملقين ﴾ يعني عصينا وحبالنا في هذه الآية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام حسن الادب حيث قدموه على أنفسهم في الالقاء لاجرم ان الله عز وجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ان من عليهم بالايان والهداية ولما راعوا الادب اولوا وأظهروا ما يدل على رغبته في ذلك ﴿ قال ﴾ يعني قال لهم موسى ﴿ ألقوا ﴾ يعني انتم قدمتم على نفسه في الالقاء فان قلت كيف جاز لموسى ان يأمر بالالقاء وقد علم انه سحر وفعل السحر غير جائز قلت ذكر العلماء رحمه الله تعالى فيه اجوبة أحدها ان معناه ان كنتم محقين في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الجواب الثاني انما أمرهم بالالقاء لتظهر معجزة لانهم اذا لم يلقوا حبالهم وعصيم لم تظهر معجزة موسى في عصاه الجواب الثالث ان موسى علم انهم لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصى وانما وقع التخيير في التقديم والتأخير فاذن لهم في التقديم لتظهر معجزته أيضا بعلمهم لانه لو ألقى اولاً لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم بالالقاء اولاً ﴿ فلما ألقوا ﴾ يعني حبالهم وعصيمهم ﴿ وسحروا أعين الناس ﴾ يعني صرفوا أعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين معجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

( قال نعم ) لكم عندي ذلك ( وانكم لمن المقربين ) الى بالمنزلة ( قالوا يا موسى اما ان تلقى ) اولاً ( واما ان نكون نحن الملقين ) اولاً ( قال ) موسى ( انتم ملتقون اولاً ) ( فلما ألقوا ) سبعين عصا وسبعين حبالا ( وسحروا أعين الناس ) أخذوا أعين الناس بالسحر

خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه ﴿ واسترهبوهم ﴾ وارهبوهم ارهابا شديدا كما أنهم طلبوا رهبتهم ﴿ وجازا بسحر عظيم ﴾ في فنه روى انهم اتقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا ﴿ وأوحينا الى موسى ان الق عصاك ﴾ فالتقاها فصارت حية ﴿ فاذا هي تلقف ما يأفكون ﴾ ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز ان تكون مامصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيتهم وابتلعتهما بسرهما اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدجوا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقات السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ههنا

التي هى قبل الله وذلك لان السحر قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشئ والمجزة قلب نفس الشئ عن حقيقته كقلب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية تسمى ﴿ واسترهبوهم ﴾ يعنى ارهبوهم وافزعوهم بما فعلوه من السحر وهذا قوله تعالى ﴿ وجازا ﴾ يعنى السحرة ﴿ بسحر عظيم ﴾ وذلك انهم اتقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هى حيات كامثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصى زئبقا أيضا وألقوها على الارض فلما أثار حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تحيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سعتها ميلا في ميل فصارت كلها حيات وأغشى ففزع الناس من ذلك وأوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه الصلاة والسلام لاجل سحرهم لانه عليه الصلاة والسلام كان على يقين وثقة من الله تعالى انهم لن يفلتوه وهو غالبهم وكان عالما بان كل ما أتوا به على وجه المعارضة لمجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم بمنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام لاجل فزع الناس واضطرابهم بما رأوا من أمر تلك الحيات فخاف موسى عليه الصلاة والسلام أن يتفرقوا قبل ظهور مجزته وحبته فلذلك أوجس في نفسه خيفة موسى ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك ﴾ يعنى فالتقاها ﴿ فاذا هي تلقف ﴾ يعنى تبتلع ﴿ ما يأفكون ﴾ يعنى ما يكذب فيه السحرة لان أصل الافك قلب الشئ عن وجهه ومنه قيل للكذاب أفك لانه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون أوحى الله عز وجل الى موسى عليه الصلاة والسلام أن لا تخف وألق عصاك فالتقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتمت باها ثمانين ذنا فاذا هى تلقف يعنى تبتلع كل شئ أنوبه من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيتهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام بينهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى عليه السلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى

أمثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا (واسترهبوهم) وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بالحيلة (وجازا بسحر عظيم) في باب السحر أو في عين من رآه (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف) تبتلع تلقف حفص (ما يأفكون) ما موصولة أو مصدرية يعنى ما يأفكونه أى يقلبونه عن الحق الى الباطل ويזורونه أو ابكمهم تسمية للمأفوك بالافك روى انها لما تلقفت ملء الوادى من الخشب والحبال ورفهها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة وأفرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت

(واسترهبوهم) استفزعوهم (وجازا بسحر عظيم) كذب بين ويقال برقية عظيمة (وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك) فالتقى (فاذا هي تلقف) تلقم (ما يأفكون) مأفوكهم من العصى

حبالنا وعصينا (فوق الحق) فحصل ﴿ ٦١٣ ﴾ وثبت { سورة الاعراف } (وبطل ما كانوا يعملون)

من السحر (فقلبوها تلك)  
أى فرعون وجنوده  
والسحرة (وانقلبوا صاغرين)  
وصاروا أذلاء مهوتين  
وألقى السحرة ساجدين  
وخرروا سجدا لله كأنما ألقاهم  
ملك لشدة خروورهم أو  
لم يتملكوا وأما رؤسهم  
ألقوا فكانوا أول النهار  
كفازا سحرة وفي آخرة  
شهدا بررة (قالوا آمنا

برب العالمين رب موسى  
وهرون) هو بدل مما قبله  
(قال فرعون آمنتم به) على  
الخبير خفض وهذا توبيخ  
مندهم وبهمزتين كوفي  
غير خفض فالأولى همزة  
الاستفهام ومعناه الإنكار  
والاستبعاد (قبل أن أذن  
لكم) قبل أذني لكم (ان  
هذا المكر مكرتموه

والحبال (فوق الحق  
فاستبان أن الحق مع موسى  
(وبطل) اضحل (ما كانوا  
يعملون) من السحر (فقلبوها  
هناك) فقلبهم موسى عند ذلك  
(وانقلبوا) رجعا (صاغرين)  
ذليلين (وألقى السحرة)  
خر السحرة (ساجدين)  
لله ويقال سجدوا من سرعة  
سجودهم كأنهم ألقوا  
(قالوا آمناب رب العالمين)  
قال فرعون اياي تعنون

وفي طه والشعراء ﴿ فوق الحق ﴾ فثبت لظهور اسمه ﴿ وبطل ما كانوا يعملون ﴾  
ومن السحر والمعارضة ﴿ فقلبوها هناك وانقلبوا صاغرين ﴾ أى صاروا أذلاء مهوتين  
أوزجوا إلى المدينة أذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه ﴿ وألقى السحرة  
ساجدين ﴾ لله جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على أن الحق بهرهم واضطربهم إلى  
السجود بحيث لم يسبق لهم تمالك أو أن الله ألهمهم ذلك وجعلهم عليه حتى ينكسر فرعون  
بالذين أراد بهم كسر موسى وينقلب الأمر عليه أو مبالغة في سرعة خروورهم وشدة  
﴿ قالوا آمناب رب العالمين رب موسى وهرون ﴾ ابدلوا الثاني من الأول لثلاثتهم  
انهم أرادوا به فرعون ﴿ قال فرعون آمنتم به ﴾ بالله أو موسى والاستفهام فيه للإنكار  
وقرأ حزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على  
الأصل وقرأ حفص آمنتم به على الأخبار ﴿ قبل أن أذن لكم ان هذا المكر مكرتموه ﴾

السحرة ذلك عرفوا انه من أمر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة  
البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا آمناب رب العالمين وذلك قوله عز وجل ﴿ فوق  
الحق ﴾ يعنى فظهر الحق الذى جاءه موسى ﴿ وبطل ما كانوا يعملون ﴾ يعنى من السحر  
وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحر البقيت حبالنا وعصينا فلما نفذت وتلاشت  
في عصا موسى علموا ان ذلك من أمر الله وقدرته ﴿ فقلبوها هناك ﴾ يعنى فعند ذلك  
غلب فرعون وسحرته وجوعه ﴿ وانقلبوا صاغرين ﴾ يعنى ورجعوا ذليلين مقهورين  
﴿ وألقى السحرة ساجدين ﴾ يعنى ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله تعالى ما ليس  
في قدرتهم مقابلته وعلما انه ليس بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله  
عز وجل ألهمهم معرفته والايان به ﴿ قالوا آمناب رب العالمين ﴾ فقال فرعون  
أياي تعنون فقالوا بل ﴿ رب موسى وهرون ﴾ قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بى  
ان غلبت فقال لا آتين بسحر لا يقبله سحر ولئن غلبتني لا ومن بك وقيل ان الحبال والعصى  
التي كانت مع السحرة كانت حل ثلثمائة بعير فلما اطلعها عصا موسى كلها قال بعضهم لبعض  
هذا أمر خارج عن حد السحر وما هو الا من أمر السماء فآمنوا به وصدقوه فان قلت كان  
يجب أن يأتيوا بالايان قبل السجود فمما فائدة تقديم السجود على الايمان قلت لما قذف الله عز  
وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على هدايتهم اليه وعلى  
مالهم من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم أظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا  
عظيم قدرة الله تعالى وسلطانه في أمر العصا وان ليس بقدر على ذلك أحد من البشر وزالت  
كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لشأنه لما رأوا من عظيم قدرته ثم انهم  
أظهروا الايمان باللسان قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما المرات السحرة مارات  
عرفت أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر فخروا سجدا وقالوا آمناب رب العالمين رب موسى  
وهرون ﴿ نوله عز وجل ﴾ قال فرعون آمنتم به قبل أن أذن لكم ﴿ يعنى قال فرعون  
للسحرة آمنتم بموسى وصدقتموه قبل أن أمركم به وأذن لكم فيه ﴾ ان هذا المكر مكرتموه

قالوا (رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به) صدقتم رب موسى وهرون (قبل أن أذن) ان أمر (لكم ان هذا المكر مكرتموه

في المدينة لتخرجوا منها أهلها ) ان صنعكم هذا الحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا الى الصحراء لغرض لكم وهو ان تخرجوا الى الجزء الثامن من مصر القبط ٦١٤ وتكونوا بنى اسرائيل ( فسوف

أى ان هذا الصنيع حيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها أهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصبناكم أجعين تفضيحا لكم وتكبيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمة قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلاننا الى بوعيدك انا وانقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شقفا على لقاء الله أو مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما نتقم منا وما نتركنا من الآن آمنة بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلب المرصاة ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أفص علينا صبرا نعمرنا كما يفرغ الماء أو صب علينا ما يظهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما وعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى اتما من اتبعكمما الغالبون

في المدينة يعني ان هذا الصنيع الذي صنعتوه انتم وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطأ عليه وعلى أهل مصر وهو قوله لتخرجوا منها أهلها وتستولوا عليها انتم فسوف تعلمون فيه وعيد وتهديد يعنى فسوف تعلمون ما فعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف وهو ان تقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع ثم لاصبناكم أجعين يعنى على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس رضى الله عنهما اول من صلب واول من قطع الايدي والارجل فرعون قالوا يعنى مجيدين لفرعون حين وعدهم بالقتل انا الى ربنا منقلبون يعنى انا الى ربنا راجعون واليه صائررون في الآخرة وما نتقم منا وما نتركه منا وما تطعن علينا وقال عطاء معناه وما لنا عندك من ذنب تمذبتنا عليه الا ان آمنة بآيات ربنا لما جاءتنا ثم فزعوا الى الله تعالى وسأوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أى اصيب علينا صبرا كاملا تاما ولهذا أتى بلفظ التذكير يعنى صبرا وأى صبر عظيم وتوفنا مسلمين يعنى واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا في اول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال الكلبى ان فرعون قطع أيديهم وارجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما بآياتنا انتم من اتبعكمما الغالبون قوله عز وجل

تعلمون) وعيد أجله ثم فصل بقوله ( لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا ( ثم لاصبناكم أجعين) هو اول من قطع من خلاف رصوب ( قالوا انا الى ربنا منقلبون) فلاننا الى بالموت لا نقابلنا الى لقاء ربنا ورحمته انا انا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون نتقلب الى الله فيحكم بيننا وما نتقم منا الا ان آمنة بآيات ربنا لما جاءتنا وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله أرادوا وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان وسيوفهم بهن قلول من قراع الكتائب ( ربنا افرغ علينا صبرا) اى اصيب صابذريعا والمعنى هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويعمرنا كما يفرغ الماء افرانا (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام في المدينة ( فيما بينكم وبين موسى ) لتخرجوا منها أهلها ( بالمر ) فسوف تعلمون لاقطعن أيديكم

وأرجلكم من خلاف) (اليد اليمنى والرجل اليسرى) (ثم لاصبناكم أجعين) على شاطئ النهر (قالوا) (وقال) يعنى السحرة ( انا الى ربنا منقلبون) راجعون ( وما نتقم منا) ما تطعن علينا وتعاقبنا ( الا ان آمنة) بان آمنة ( بآيات ربنا لما جاءتنا) حين جاءتنا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أكرمنا بالصبر عند الصلب والقطع لكي لا نرجع كفارا (وتوفنا مسلمين) مخلصين على دين

(وقال الملائم من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ) أرض مصر بالاستملاء فيها وتغيير دين أهلها لانه وافق  
السحر على الايمان ستمائة ألف نفر ﴿٦١٥﴾ (بذكر وآهتك) عطف لسورة الاعراف على ليفسدوا قيل صنع فرعون

لقومه أصناما وأمرهم  
أن يعبدوها وتقربا اليه كما يعبد  
عبدة الاصنام الاصنام

ويقولون ليقربونا الى الله زلفى

ولذلك قال انا ربكم الاعلى

(قال) فرعون مجييا للملائم

(سقتل أبناءهم ونسختي

نساءهم وانا فوقهم قاهرون)

سقتل حجازى أى سنعدي

عليهم قتل الابناء ليعلموا

انا على ما كنا عليه من الغلبة

والقهر وانهم مقهورون

تحت أيدينا كما كانوا ولئلا

يتوهم العامة انه هو المولود

الذى تحدث المنجمون

بذهاب ملكنا على يده

فيشطهم ذلك عن طاعتنا

موسى ( وقال الملائم )

الرؤساء ( من قوم فرعون

أنذر موسى ) ترك موسى

( وقومه ) لاقتلهم

( ليفسدوا في الارض )

بتغيير الدين والعبادة

( وبذكر ) يتركك

( وآهتك ) وعبادة آهتك

ان قرأت بكسر اللام ونصب

التاء ويقال عبادتك بالالهية

ان قرأت بنصب اللام

والتاء ( قال ) فرعون

( سقتل أبناءهم ) صغارا

﴿ وقال الملائم من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ﴾ بتغيير الناس عليك  
ودعوتهم الى مخالفتك ﴿ وبذكر ﴾ عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام بالواو كقول  
الخطيئة \* الماك جازم ويكون بيني \* وبينكم المودة والاخاء \*

على معنى يكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرى بالرفع على انه عطف على أنذرا  
او استئناف أو حال وقرى بالسكون كأنه قيل يفسدوا وبذكر كقوله تعالى فاصدق وأكن  
﴿ وآهتك ﴾ معبودك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه أصناما وأمرهم  
ان يعبدوها وتقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرى الاهتك أى عبادتك ﴿ قال ﴾  
فرعون ﴿ سقتل أبناءهم ونسختي نساءهم ﴾ كما كنا نعمل من قبل ليعلم انا على ما كنا  
عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا  
على يده وقرأ ابن كثير ونافع سقتل بالتخفيف ﴿ وانا فوقهم قاهرون ﴾ غالبون

﴿ وقال الملائم من قوم فرعون أنذر موسى ﴾ يعنى وقال جماعة من أشرف قوم فرعون لفرعون  
أنذع موسى ﴿ وقومه ﴾ من بنى اسرائيل ﴿ ليفسدوا في الارض ﴾ يعنى أرض مصر  
وأراد بالافساد فيها أنهم بأمرهم يخالفون فرعون وهو قوله ﴿ وبذكر وآهتك ﴾ يعنى وتذره  
ليترك وبذكر آهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس رضى الله عنهما كانت لفرعون بقرة  
كان يعبدها وكان اذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامرى عجلا  
وقال السدى كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم  
ورب هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى والاولى أن يقال ان فرعون كان دهر ياء نكرا  
لوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلى هى الكواكب فاتخذ أصناما على صورة  
الكواكب وكان يعبدها ويأمر بعبادتها وكان يقول فى نفسه انه هو المطاع والمخدوم فى الارض  
فلهذا قال انا ربكم الاعلى ﴿ وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه وابن عباس رضى الله عنه والشعبي  
والضحاك وبذكر وآهتك بكسر الالف ومعناه وبذكر وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون  
كان يعبد ولا يعبدوا قيل أراد بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر  
تروحنا من العباءة قصرا \* وأعجلنا الالهة أن نؤبا

أراد بالالهة الشمس ﴿ قال ﴾ يعنى فرعون مجييا لقومه حين قالوا له أنذر موسى  
وقومه ﴿ سقتل أبناءهم ونسختي نساءهم ﴾ يعنى تتركهن أحياء وذلك ان قوم  
فرعون لما أرادوا اغراء فرعون على قتل موسى وقومه أو جس موسى انزال العذاب  
بقومه ولم يقدر فرعون أن يفعل بموسى عليه الصلاة والسلام شيئا مما أرادوا به لقوة  
موسى عليه السلام بجماعه من المعجزة فعدل الى قومه فقال سقتل أبناءهم ونسختي نساءهم  
وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان قد ترك القتل فى بنى اسرائيل بعدما ولد موسى فلما جاءهم  
موسى بالرسالة وكان من أمره ما كان قال فرعون أعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بنى  
اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى يقومه فتمن نعى فى تقليل عدد قومه  
بالقتل لتقل شوكتهم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله ﴿ وانا فوقهم قاهرون ﴾

كأقتلناهم أول مرة ( ونسختي ) نستخدم ( نساءهم ) كبارا ( وانا فوقهم ) عليهم ( قاهرون )



ويدعوهم الى اتباعه ( قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل ابناءهم  
تسلياً لهم ووعدا بالنصر ( الجزء التاسع ) عليهم ( ان الارض ) ﴿ ٦١٦ ﴾ اللام للمهدى أرض مصر والجنس

فيناول أرض مصر بناولا  
أوليا ( لله يورثها من يشاء  
من عباده ) فيه تمنيته ايهم أرض  
مصر ( والعاقبة للمتقين )  
بشارة بان الخاتمة المحموده  
للمتقين منهم و من القبط  
وأخليت هذا الجملة عن الواو  
لانها جملة مستأنفة بخلاف  
قوله وقال الملائ لانها معطوفة  
على ما سبقها من قوله قال  
الملائ من قوم فرعون ( قالوا  
أوذينا من قبل أن تأيننا  
ومن بعد ما جئتنا ) يعنون  
قتل ابناءهم قبل مولد  
موسى الى أن استنبي و اعادته  
عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاه  
من فرعون واستبطاء لوعده  
النصر ( قال عسى ربكم ان  
يهلك عدوكم ويستخلفكم  
في الارض ) تصرح عارض  
اليه من البشارة قبل وكشف  
عنه وهو اهلاك فرعون  
واستخلافهم بعده في أرض مصر

مسلطون ( قال موسى  
لقومه استعينوا بالله واصبروا )  
على البلاء ( ان الارض )  
أرض مصر ( لله يورثها )  
ينزلها ( من يشاء من عباده  
والعاقبة ) الجنة ( للمتقين )  
الكفر والشرك والفواحش

وهم مقهورون تحت أيدينا ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ﴾ لما سمعوا قول  
فرعون وتضجروا منه تسكيناً لهم ﴿ ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده ﴾ تسلياً  
لهم وتقريراً للاصر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾ وعدلهم  
بالنصرة وتذكير ما وعدهم من اهلاك القبط وتورثهم ديارهم وتحقيق قوله ﴿ وقرى  
والعاقبة بالنصب عطف على اسم ان واللام في الارض تحتل العهد والجنس ﴿ قالوا ﴾  
أي بنو اسرائيل ﴿ اوذينا من قبل أن تأيننا ﴾ بالرسالة بقتل الابناء ﴿ ومن بعد  
ما جئتنا ﴾ باعادته ﴿ قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ﴾ تصرحاً  
بما كنى عنه أو لا المرأى أنهم لم يتسلوا بذلك ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزئه بانهم  
المستخلفون باعيانهم أو اولادهم وقد روى ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام

يعنى بالقلبة والقدرة عليهم ولما نزل بنو اسرائيل ما نزل شكوا الى موسى ما نزل بهم  
﴿ قال موسى لقومه ﴾ يعنى لما شكوا اليه ﴿ استعينوا بالله واصبروا ﴾ يعنى استعينوا بالله  
على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم  
من المكارة في أنفسكم وابنائكم ﴿ ان الارض لله ﴾ يعنى أرض مصر وان كانت الارض  
كلها لله تعالى ﴿ يورثها من يشاء من عباده ﴾ وهذا اطماع من موسى عليه الصلاة والسلام  
لبنى اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل أرضهم وببلادهم بعد اهلاكهم  
وهو قوله تعالى ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾ يعنى ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم  
وقيل أراد الجنة يعنى ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة ﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأيننا  
ومن بعد ما جئتنا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أممت الصحرة تبع موسى ستمائة  
ألف من بنى اسرائيل والمعنى أن بنى اسرائيل لما سمعوا ما قاله فرعون ووعدهم به من القتل  
مرة ثانية قالوا لموسى قداً أوذينا من قبل أن تأيننا يعنى بالرسالة وذلك ان بنى اسرائيل  
كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الى نصف النهار  
فلما جاء موسى بالرسالة وجرى ماجرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع  
النهار وأعاد القتل عليهم فقالوا أوذينا من قبل أن تأيننا ومن بعد ما جئتنا يعنى بالرسالة  
وظاهر هذا الكلام يوهم أن بنى اسرائيل كرهوا محبى موسى بالرسالة وذلك كفر  
والجواب عن هذا الابهام أن موسى عليه الصلاة والسلام كان قد وعدهم بزوال  
ما كانوا فيه من الشدة والمثقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما رأوا انه قد زادت  
الشدة عليهم قالوا أوذينا من قبل أن تأيننا ومن بعد ما جئتنا فتى يكون ما وعدتنا به من  
زواله ما نحن فيه ﴿ قال ﴾ موسى محبياً لهم ﴿ عسى ربكم ان يهلك عدوكم ﴾ يعنى فرعون  
وقومه ﴿ ويستخلفكم في الارض ﴾ يعنى ويجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد اهلاكهم

( قالوا ) يا موسى ( أوذينا ) عذبتنا بقتل الابناء واستخدام النساء والعمل ( من قبل أن تأيننا ) من بعد ما جئتنا ( فينظر )  
بالرسالة ( قال ) موسى ( عسى ربكم ) وعسى من الله واجب ( ان يهلك عدوكم ) فرعون وقومه بالسنين بالحق والجوع  
( ويستخلفكم في الارض ) يجعلكم سكان الارض أرض مصر

مصر (فينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقيمه وشكر النعمة وكفرانها الجوازكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيدانه دخل على المنصور قبل الخلافة وعمل مائدته رغيث أورغيان وطلب المنصور زيادة لعمر وفلم توجد فقراً عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) سنى القحط وهن سبع سنين ﴿٦١٧﴾ والسنة من {سورة الاعراف} الاسماء الغالبة كالداية والنجم

(ونقص من الثمرات) قيل السنون لاهل البوادي ونقص الثمرات للامصار (لعلهم يذكرون) ليتظفوا فينبهوا على أن ذلك لا صرارهم على الكفر ولان الناس في حال الشدة أضرع خديدا وأرق افئدة وقيل عاش فرعون أربع مائة سنة لم يرمكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حنى للمادعى الربوبية (فاذا جاءتهم الحسنة) الصحة والخصب (قالوا لنا هذه) أي هذه التي نستحقها (وان تصبهم سيئة) جذب ومرض (يطيروا) أصله يتظير وافاد غمت التاء في الطاء لانها من طرف اللسان وأصول الثنايا (بموسى ومن معه) تشاء مواهبهم وقالوا هذه بشؤمهم ولو لا مكانهم للمأصابتنا وانما دخل اذا في الحسنة وعرفت الحسنة وان في السيئة ونكرت السيئة لان جنس الحسنة وقوعه

﴿ فينظر كيف تعملون ﴾ فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجزيكم على حسب ما يوجد منكم ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ بالجدوب لقللة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يدكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل استت القوم اذا قحطوا ﴿ ونقص من الثمرات ﴾ بكثرة العاهات ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا ووترق قلوبهم بالشدة وندفيزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده ﴿ فاذا جاءتهم الحسنة ﴾ من الخصب والسعة ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ لاجلنا ونحن مستحقوها ﴿ وان تصبهم سيئة ﴾ جذب وبلاء ﴿ يطيروا بموسى ومن معه ﴾ يتشأموا بهم ويقولوا ما أصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالعباوة والقساوة فان الشدة ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانها كافي التي وانما عرف

﴿ فينظر كيف تعملون ﴾ يعنى فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى وقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴿ يعنى بالقحط والجذب تقول العرب مستهم السنة بمعنى أخذهم الجذب في السنة ويقال أستوا كما يقال أجذبوا قال الشاعر \* ورجال مكة مستنون عجاج \* ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ومعنى الآية ولقد أخذنا آل فرعون بالجذب والقحط والجوع سنة بعد سنة ﴿ ونقص من الثمرات ﴾ يعنى واتلاف الغلات بالآفات قال قتادة أما السنون فلاهل البوادي وأما نقص الثمرات فلاهل الامصار ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ يعنى لعلهم يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى انهم عند نزول العذاب وتلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال تعالى ﴿ فاذا جاءتهم الحسنة ﴾ يعنى الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات ﴿ قالوا لنا هذه ﴾ أي نحن مستحقون لها ونحن أهلها على العادة التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على انعامه ﴿ وان تصبهم سيئة ﴾ يعنى القحط والجذب والمرض والبلاء ورأوا ما يكرهون في أنفسهم ﴿ يطيروا ﴾ يعنى يتشأموا وأصله يتظيروا والتظير التشاؤم في قول جميع المفسرين ﴿ بموسى ومن معه ﴾ يعنى انهم

(قا وحا ٧٨ ني) كالكائن لكثرة واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع

( فينظر كيف تعملون ) في طاعته ( ولقد أخذنا آل فرعون ) قومه ( بالسنين ) بالقحط والجوع اما بعد عام ( ونقص من الثمرات ) من ذهاب الثمرات ( لعلهم يذكرون ) لكي يتعظوا ( فاذا جاءتهم الحسنة ) الخصب والرخاء والنعم ( قالوا لنا ) يذنبى لنا ( هذه وان تصبهم سيئة ) القحط والجدوب والشدة ( يطيروا ) يتشأموا ( بموسى ومن معه ) قال الله

الاشئ منها (الانما طأرهم) سبب خيرهم وشرهم (عند الله) في حكمه ومشيئته والله هو الذي يقدر ما يصيبهم من الحسنة والسينة قل كل من عند الله {الجزء التاسع} (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (وقالوا هما تائباه

من آية لتسحرنا بها فأنحن لك  
بؤمنين) أصل مهما ماما  
فالاولى للجزء ضمت اليها  
مالزيدة المؤكدة للجزء  
في قولك متى ما تخرج أخرج  
أيما تكونوا فاما نذهب بك  
الان الالف قلبت هاء  
استقالا لتكرير المتجانسين  
وهو المذهب السيد البصرى

وهو في موضع النصب بتأنا  
أى أيعاشى ومن آية تبيين  
لمهما والضمير في به وبها  
راجع الى مهما الان الاول  
ذكر على اللفظ والثاني أنت  
على المعنى لانها في معنى  
الآية وانما سموها آية  
اعتبار التسمية موسى أو قصدوا

بذلك الاستهزاء (فارسلنا  
عليهم الطوفان) ما طاف  
بهم وغلبهم من مطر أو سيل  
قيل طفا الماء فوق حروثهم  
وذلك انهم مطروا ثمانية  
أيام في ظلمة شديدة لا يرون  
شمسا ولا قرا ولا يقدر أحد  
أن يخرج من داره وقيل  
دخل الماء في بيوت القبط  
حتى قاموا في الماء الى تراقيهم  
فن جلس غرق ولم يدخل

(الانما طأرهم)  
شدهم ورواؤهم  
(عند الله) من الله (ولكن  
أكثرهم) كلهم (لا يعلمون)  
ذلك ولا يصدقون (وقالوا)

(الانما طأرهم)  
شدهم ورواؤهم  
(عند الله) من الله (ولكن  
أكثرهم) كلهم (لا يعلمون)  
ذلك ولا يصدقون (وقالوا)

(الانما طأرهم)  
شدهم ورواؤهم  
(عند الله) من الله (ولكن  
أكثرهم) كلهم (لا يعلمون)  
ذلك ولا يصدقون (وقالوا)

(الانما طأرهم)  
شدهم ورواؤهم  
(عند الله) من الله (ولكن  
أكثرهم) كلهم (لا يعلمون)  
ذلك ولا يصدقون (وقالوا)

الحسنة وذكرها مع اعادة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر  
السينة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم اقصدها الا بالتبع (الانما طأرهم  
عند الله) اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته اوسبب شؤمهم  
عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقته اليهم ما يسؤهم وقرئ انما طيرهم  
وهو اسم جمع وقيل هو جمع (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان ما يصيبهم من الله تعالى او من  
شؤم اعمالهم (وقالوا همما) اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما الزيدة للتأكيد ثم قلبت  
الفها هاء استقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية  
ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره (تائباه) اى ايعاشى فمخضرا تائباه  
(من آية) بيان لمهما وانما سموها آية لتسميته موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا  
(لتسحرنا بها فأنحن لك بؤمنين) اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به  
وبها لمهما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ واثته بعده باعتبار المعنى (فارسلنا عليهم  
الطوفان) ما طاف بهم وغشى اما كنهم وحروثهم من مطر اوسيل وقيل الجدرى

قالوا ما أصابنا بلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن  
المنكدر كان ملك فرعون أربع مائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يرمكروها قط ولو  
كان حصل له في تلك المدة جوع يوم أو حى ليلة أو وجع ساعة لما دعى الربوبية قط  
(الانما طأرهم عند الله) يعنى ان نصيبهم من الخصب والجذب والخير والشركه  
من الله قال ابن عباس رضى الله عنهم طأرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله  
وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه اعما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم  
العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ان  
ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم لا يعلمون لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث  
الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر قوله عز وجل (وقالوا) يعنى  
قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تائباه من آية) يعنى من عند ربك  
فهى عندنا تسحر وهو قولهم (لتسحرنا بها) يعنى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين  
(فأنحن لك بؤمنين) يعنى بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام سرجلا  
حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاء فقال تعالى (فارسلنا  
عليهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقادة ومحمد بن اسحق  
دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه  
الا الاقامة على الكفر والتماذى في الشرف تابع الله عز وجل عليهم الآيات فاخذهم أولا  
بالسنتين وهو التحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والمعصا  
فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبني وعتاوان قومه

قالوا ما أصابنا بلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن  
المنكدر كان ملك فرعون أربع مائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يرمكروها قط ولو  
كان حصل له في تلك المدة جوع يوم أو حى ليلة أو وجع ساعة لما دعى الربوبية قط  
(الانما طأرهم عند الله) يعنى ان نصيبهم من الخصب والجذب والخير والشركه  
من الله قال ابن عباس رضى الله عنهم طأرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله  
وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه اعما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم  
العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ان  
ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم لا يعلمون لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث  
الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر قوله عز وجل (وقالوا) يعنى  
قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تائباه من آية) يعنى من عند ربك  
فهى عندنا تسحر وهو قولهم (لتسحرنا بها) يعنى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين  
(فأنحن لك بؤمنين) يعنى بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام سرجلا  
حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاء فقال تعالى (فارسلنا  
عليهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقادة ومحمد بن اسحق  
دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه  
الا الاقامة على الكفر والتماذى في الشرف تابع الله عز وجل عليهم الآيات فاخذهم أولا  
بالسنتين وهو التحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والمعصا  
فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبني وعتاوان قومه

قالوا ما أصابنا بلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن  
المنكدر كان ملك فرعون أربع مائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يرمكروها قط ولو  
كان حصل له في تلك المدة جوع يوم أو حى ليلة أو وجع ساعة لما دعى الربوبية قط  
(الانما طأرهم عند الله) يعنى ان نصيبهم من الخصب والجذب والخير والشركه  
من الله قال ابن عباس رضى الله عنهم طأرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله  
وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه اعما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم  
العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ان  
ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم لا يعلمون لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث  
الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر قوله عز وجل (وقالوا) يعنى  
قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تائباه من آية) يعنى من عند ربك  
فهى عندنا تسحر وهو قولهم (لتسحرنا بها) يعنى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين  
(فأنحن لك بؤمنين) يعنى بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام سرجلا  
حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاء فقال تعالى (فارسلنا  
عليهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقادة ومحمد بن اسحق  
دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه  
الا الاقامة على الكفر والتماذى في الشرف تابع الله عز وجل عليهم الآيات فاخذهم أولا  
بالسنتين وهو التحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والمعصا  
فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبني وعتاوان قومه

قالوا ما أصابنا بلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن  
المنكدر كان ملك فرعون أربع مائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يرمكروها قط ولو  
كان حصل له في تلك المدة جوع يوم أو حى ليلة أو وجع ساعة لما دعى الربوبية قط  
(الانما طأرهم عند الله) يعنى ان نصيبهم من الخصب والجذب والخير والشركه  
من الله قال ابن عباس رضى الله عنهم طأرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله  
وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه اعما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم  
العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ان  
ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم لا يعلمون لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث  
الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر قوله عز وجل (وقالوا) يعنى  
قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تائباه من آية) يعنى من عند ربك  
فهى عندنا تسحر وهو قولهم (لتسحرنا بها) يعنى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين  
(فأنحن لك بؤمنين) يعنى بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام سرجلا  
حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاء فقال تعالى (فارسلنا  
عليهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقادة ومحمد بن اسحق  
دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه  
الا الاقامة على الكفر والتماذى في الشرف تابع الله عز وجل عليهم الآيات فاخذهم أولا  
بالسنتين وهو التحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والمعصا  
فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبني وعتاوان قومه

قالوا ما أصابنا بلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن  
المنكدر كان ملك فرعون أربع مائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يرمكروها قط ولو  
كان حصل له في تلك المدة جوع يوم أو حى ليلة أو وجع ساعة لما دعى الربوبية قط  
(الانما طأرهم عند الله) يعنى ان نصيبهم من الخصب والجذب والخير والشركه  
من الله قال ابن عباس رضى الله عنهم طأرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله  
وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه اعما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم  
العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعنى ان  
ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم لا يعلمون لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث  
الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر قوله عز وجل (وقالوا) يعنى  
قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تائباه من آية) يعنى من عند ربك  
فهى عندنا تسحر وهو قولهم (لتسحرنا بها) يعنى لتصرفنا عما نحن عليه من الدين  
(فأنحن لك بؤمنين) يعنى بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام سرجلا  
حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاء فقال تعالى (فارسلنا  
عليهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقادة ومحمد بن اسحق  
دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه  
الا الاقامة على الكفر والتماذى في الشرف تابع الله عز وجل عليهم الآيات فاخذهم أولا  
بالسنتين وهو التحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والمعصا  
فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبني وعتاوان قومه

ياموسى (مهما) كذا (تائباه من آية) من علامة (لتسحرنا بها) لتأخذ اعيننا بها (فأنحن لك بؤمنين) بمصدقين بالرسالة (قد)  
فدعا عليهم موسى عليه السلام (فارسلنا عليهم) سلط الله عليهم (الطوفان) المطر من السماء اذا غام من سبت الى سبت لا ينقطع ليلا ولا نهارا

قد نقضوا المهذب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقوى عظة ولمن بعدهم آية  
وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فارسل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بني  
اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتألت بيوت القبط حتى قاموا في الماء  
الى تراقيمهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني اسرائيل  
شيء وركد الماء على أرضهم فلم يقدرُوا على التحرك ولم يعملوا شيئاً ودام ذلك الماء  
عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب  
الطوفان الطاعون بلغة اهل اليمن وقال أبو قلابة الطوفان الجدري وهم أول من  
عذبوا به ثم بقي في الارض وقال مقاتل الطوفان الماء طفافوق حروثهم وفي رواية ابن  
عباس رضى الله عنهما ان الطوفان أمر من الله عز وجل طاف بهم فمعد ذلك قالوا يا موسى  
ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نؤمن بك وترسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى  
عليه الصلاة والسلام ربه فرفع عنهم الطوفان وأبنت الله لهم تلك السنة شيئاً لم ينبت قبل  
ذلك من الكلاؤ والزرع والتمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا  
فلم يؤمنوا وأقاموا شهراً في عافية فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم  
وورق الشجر وأكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والامتعة وأكل  
مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتألت  
دور القبط منه ولم يصب بنى اسرائيل من ذلك شيء ففججوا وضججوا وقالوا يا موسى ادع لنا  
ربك لأن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمن بك وأعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى  
ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت  
وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جنده الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام خرج  
الى القضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقي  
من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فنحن نباركك ديننا فلم يؤمنوا  
ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى أعمالهم الخبيثة فأقاموا شهراً في عافية ثم بعث الله عز وجل  
عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ان القمل  
هو السوس الذى يخرج من الخنطة وقال مجاهد وقنادة والسدى والكلبي القمل الدي  
وهو صغار الجراد الذى لا أجنحة له وقال أبو عبيدة هو الخنثان وهو ضرب من الجراد وقال  
عطاء الخراسانى هو القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال أصحاب  
الاخبار أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام ان يمشى الى كتيب رمل أعفر  
بقرية من قرى مضر تسمى عين الشمس فشى الى ذلك الكتيب فضره بعصاه فانها  
عليهم القمل فتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم فأكلها كلها وحس الارض  
وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا أكل أحدهم طعاماً امتألاً قلا  
قال سعيد بن المسيب القمل السوس الذى يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج  
بعشرة أجرة الى الرحي فلا يرد منها ثلاثة أفقره فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل  
وأخذت أشعارهم وأبصارهم وحواجرهم وأشفار عيونهم ولزم جلودهم كأنه الجدري  
عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى ان اتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا  
البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت

وقيل الموتان وقيل الطاعون (والجراد والقمل) قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قيل نبات اجتمعتها والصفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام في ظلة شديدة لا يقدر احدان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقبهم

الى السبب فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى اخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا نقاتل حتى ان نستيقن انه ساحرنا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعدما قاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم الصفادع فامتلات منها بيوتهم وافنتيمهم وأطعمتهم وآيتهم فلا يكشف احداناء ولا طعاما الا وجد فيه الصفادع وكان الرجل منهم يجلس في الصفادع فتبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم يثب الصفدع فيدخل في فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد طعامهم عليهم وتطفي نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع دكبته الصفادع حتى تكون عليه ركاما فلا يستطيع ان يتقلب الى شقه الاخر واذا اراد ان يأكل سبقه الصفدع الى فيه ولا يعجن احدهم عجينا الامتلات صفادع ولا يفتح قدرا الامتلات صفادع فلقوا من ذلك بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الصفادع برية فلما أرسلها الله عز وجل على آل فرعون وسمعت وأطاعت وجملت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي على النار وفي التناير وهي تقور أنابها الله عز وجل بحسن طاعتها برد الماء فلما رأو ذلك بكوا وشكوا الى موسى عليه الصلاة والسلام ما يلقونه من الصفادع وقالوا هذه المرة تنوب ولا نعود فاخذ موسى عليه السلام عليهم اليهود والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الصفادع بعد ما أقامت عليهم سبعا من السبت الى السبت فاقاموا شهرا في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فارسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دما عيطا وصارت مياههم كلها دما وكل ما يستقون من الآبار والانهار يجدونه دما عيطا فتكثروا ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من أين يسحرنا ونحن لانجد في أوعيتنا شيئا من الماء الا دما عيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون مايلي الاسرائيلي ماء ومايلي القبطي دما ويفرغان الجرة فيها الماء فيخرج للقبطي دما وللاسرائيلي ماء حتى ان المرأة من آل فرعون تأتي الى المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقني من ماءك فتصب لها في قربتها فيصير في الأناء دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم يجبه في في فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماء فاكثروا على ذلك سبعة ايام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلط الله عز وجل عليهم كان الرعاف فانوا موسى عليه الصلاة والسلام وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فحنن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه فكشف عنهم ذلك فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والصفادع والدم

بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة أو هو الجدرى أو الطاعون (والجراد) فاكلت زروعهم وغارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء (والقمل) وهي الدبى وهو اولاد الجراد قيل نبات اجتمعتها والبراغيث أو كبار القردان (والصفادع) وكانت تقع في طعامهم وشرابهم حتى اذا تكلم الرجل تقع في فيه (والدم) أى الرعاف وقيل مياههم انقلبت دما حتى ان القبطي والاسرائيلي اذا اجتمع على اناء فيكون مايلي الاسرائيلي ماء ومايلي القبطي دما وقيل

(والجراد) وسلط عليهم بعد ذلك الجراد حتى أكل ما أنبت الارض من النبات والثمار (والقمل) وسلط عليهم بعد ذلك القمل حتى أكل ما بقى من الجراد الصغير وهي الدبى بلا اجنحة (والصفادع) وسلط عليهم بعد ذلك الصفادع حتى آذاهم (والدم) وسلط عليهم بعد ذلك الدم حتى صار قليهم وانهارهم

حال من الاشياء المذكورة  
(مفصلات) مينات ظاهرات  
لايشكل على عاقل أنها من  
آيات الله أو مفرقات بين كل  
آيتين شهر (فاستكبروا) عن  
الايان بوسى (وكانوا قوما  
مجرمين ولما وقع عليهم الرجز)  
العذاب الاخير وهو الدم  
أو العذاب المذكور واحدا  
بعد واحد (قالوا يا موسى  
ادع لنا ربك بما عهد عندك)  
ما مصدرية أى بعهد عندك  
وهو النبوة والباء تتعلق بادع  
أى ادع الله لنا متوسلا اليه  
بعهد عندك (لئن كشفت  
عنا الرجز لنؤمنن لك  
ولنرسلن معك بنى اسرائيل

دما) آيات مفصلات)  
مينات بين كل آيتين  
شهر (فاستكبروا) عن  
الايان ولم يؤمنوا (وكانوا  
قوما مجرمين) مشركين (ولما  
وقع عليهم الرجز) كلما  
نزل عليهم العذاب مثل  
الطوفان والجراد والقمل  
والضفادع والدم (قالوا  
يا موسى ادع لنا ربك) سل لنا  
ربك (بما عهد عندك)  
بما أسرك ربك (لئن  
كشفت عنا الرجز)  
رفعت عنا العذاب (لنؤمنن)  
لنصدقن (لك ولنرسلن  
معك بنى اسرائيل) مع  
اموالهم قليلا وكثيرهم

وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم  
فجمعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك  
يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما  
لم يمهده مثله ولم يؤمنوا فسلط الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل  
الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء و اشار بعصاه  
نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم  
القمل فأكل ما بقاه الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اتوابهم وجلودهم  
فيصاففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع  
بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتب  
الى قدورهم وهى تغلى وافواهم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم  
العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهود ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم  
دماء حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناة فيكون ما يليه القبطى دما وما يلي الاسرائيلى  
ماء وعص الماء من ثم الاسرائيلى فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف ﴿آيات﴾ نصب  
على الحال ﴿مفصلات﴾ مينات لا تشكل على عاقل انها آيات الله ونقمتهم عليهم او مفصلات  
لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل  
ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريد بهم هذه الايات على مهل  
﴿فاستكبروا﴾ عن الايمان ﴿وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز﴾ يعنى العذاب المفصل  
او الطاعون الذى ارسله الله عليهم بعد ذلك ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾  
بعهد عندك وهو النبوة او بالذى عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك فى آياتك وهو  
صلة لادع او حال من الضمير به بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل  
محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم بحجاب  
بقوله ﴿لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل﴾ اى اقسمتنا بعهد الله

آيات مفصلات ﴿يعنى يتبع بعضها بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقوم  
عليهم اسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر﴾ فاستكبروا ﴿يعنى عن الايمان فلم يؤمنوا  
وكانوا قوما مجرمين﴾ يعنى ال فرعون قوله تعالى ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ يعنى  
ولما نزل بهم العذاب الذى ذكره فى الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن  
جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التى تقدمت فنزل بهم  
الطاعون حتى مات منهم فى يوم واحد سبعون ألفا فامسوا وهم لا يتدافعون (ق) عن  
أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طائفة من بنى  
اسرائيل أو على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وأنتم  
بها فلا تخرجوا فرار منه وقوله تعالى ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ يعنى بما  
أوصاك وقيل بما نباك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك ﴿لئن كشفت عنا الرجز﴾ يعنى  
العذاب الذى وقع بنا ﴿لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل﴾ يعنى لنصدقن

عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمن ونلزنسلن ﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه ﴾ الى حد من الزمان هم بالغوه فمعدبون فيه او مهلكون و هو وقت الفرق او الموت وقيل الى اجل عينه لايمانهم ﴿ اذاهم ينكثون ﴾ جواب لماى فلما كشفنا عنهم فاجزوا النكث من غير تأمل وتوقف فيه ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ فاردنا الانتقام منهم ﴿ فاغرقتاهم في اليم ﴾ اى البحر الذى لا يدرك قعره وقيل لجنه ﴿ بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنعمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا ﴿ واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ﴾ بالاستعباد

بما جئت به ولنخلين بنى اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤا ﴿ فلما كشفنا عنهم الرجز ﴾ يعنى بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ الى اجل هم بالغوه ﴾ يعنى الى الوقت الذى اجل لهم وهو وقت اهلاكهم بالفرق في اليم ﴿ اذاهم ينكثون ﴾ يعنى اذاهم ينقضون العهد الذى التزموه فلم يفوا به واعلم ان ما ذكره الله تعالى في هذه الآيات هى معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بال فرعون دون بنى اسرائيل فاخصاهه بالقبطى دون الاسرائيلى معجزوكون بنى اسرائيل في امان منه وعافية وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز أيضا فان اعتراض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فالفائدة في تواليا عليهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب أهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عميا يفعل وأما على قول المعتزلة في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتواليا تلك المعجزات وظهورها فهذا السبب والاها عليهم والله أعلم بمراده ﴿ قوله عز وجل ﴾ فانتقمنا منهم ﴿ يعنى كافأناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام فى اللغة سلب النعمة بالعذاب ﴿ فاغرقتاهم في اليم ﴾ والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذى اجل لهم انتقم منهم بان اهلكهم بالفرق فذلك قوله فاغرقتاهم في اليم يعنى فى البحر واليم الذى لا يدرك قعره وقيل هولجة البحر ومعظم مائه قال الازهرى اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله تعالى فاقدفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب ﴿ بانهم كذبوا بآياتنا ﴾ يعنى اهلكناهم وأغرقتاهم بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا ﴿ وكانوا عنها غافلين ﴾ يعنى عن الآيات وعن الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سما غافلين تجوزا لان الغفلة ليست من فعل الانسان ﴿ قوله عز وجل ﴾ واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ﴿ يعنى ومكنا القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على أنفسهم وهوان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بنى اسرائيل فقتلوا ابناءهم واستخدموهم فصيروهم مستضعفين تحت أيديهم-

فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل (الى حد من الزمان هم بالغوه) لا لمحالة فمعدبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوته (اذاهم ينكثون) جواب لماى فلما كشفنا عنهم فاجزوا النكث ولم يؤخروه (فانتقمنا منهم) هو ضد الانعام كما أن العقاب هو ضد الثواب (فاغرقتاهم في اليم) هو البحر الذى لا يدرك قعره أو هولجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيم لان المستضعفين به يقصدونه (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) أى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها (اورثنا القوم الذى كانوا يستضعفون) هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام

(فلما كشفنا عنهم الرجز) فلما رفعنا عنهم العذاب (الى اجل هم بالغوه) يعنى الفرق (اذاهم ينكثون) ينقضون عهدهم مع موسى (فانتقمنا منهم) بجرة واحدة (فاغرقتاهم في اليم) فى البحر (بانهم كذبوا بآياتنا)

( مشارق الارض ومغارها ) يعنى أرض مصر والشام ( التي باركنافيا ) بالخصب وسعة الارزاق وكثرة الانهار والاشجار ( وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل ) هو قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض أو ويريد ان نحن على الذين استضعفوا فى الارض الى ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت أى مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه ( بماصبروا ) ﴿ ٦٢٣ ﴾ بسبب صبرهم { سورة الاعراف } وحسبك به حائلا على الصبر

ودا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج ( ودمرنا ) أهلكنا ( ما كان يصنع فرعون وقومه ) من العمارات وبناء القصور ( وما كانوا يعرشون ) من الجنات أو ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وبضم الراء شامى وأبو بكر وهذا آخر قصة فرعون والتقطبت وتكذيبهم بآيات الله ثم أتبعه قصة بنى اسرائيل وما أحدثوه بعد انقاذهم من فرعون ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مآرأه من بنى اسرائيل بالمدينة ( وجاوزنا بنى اسرائيل البحر ) روى انهم عبر

عبر  
يستدلون ( مشارق الارض ) أرض بيت المقدس و فلسطين و الأردن و مصر ( ومغارها التي باركنافيا ) فى بعضها بالماء والشجر ( وتمت ) وجبت ( كلمت ربك الحسنى ) بالجنة ويقال

وذبح الابناء من مستضعفيهم ﴿ مشارق الارض ومغارها ﴾ يعنى ارض الشام ومصر ملكها بنو اسرائيل بعد القرعنة والعماقنة وتمكنوا فى نواحيها ﴿ التي باركنافيا ﴾ بالخصب وسعة العيش ﴿ وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل ﴾ ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته ايامه بالنصرة والتمكن وهو قوله تعالى « ويريد ان نحن على قوله ما كانوا يحذرون وقرئ ءكلمت ربك لتعدد المواعيد ﴾ بماصبروا ﴿ بسبب صبرهم على الشدائد ﴾ ودمرنا ﴿ وخرربنا ﴾ ما كان يصنع فرعون ﴿ وقومه من القصور والعمارات ﴾ وما كانوا يعرشون ﴿ من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر و ابو بكر هنا وفى الخجل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله ﴿ وجاوزنا بنى اسرائيل البحر ﴾ وما بعده ذكر ما أحدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام و اراهم من الآيات العظام تسلياً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مآرأى منهم وايقاظاً للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان موسى

﴿ مشارق الارض ومغارها ﴾ يعنى أرض الشام ومصر وأراد بمشارقها ومغارها جميع جهاتها ونواحيها وقيل أراد بمشارق الارض ومغارها الارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بنى اسرائيل وقد ملكا الارض ﴿ وقوله عز وجل ﴾ التي باركنافيا ﴿ يدل على انها الارض المقدسة يعنى باركنافيا بالثمار والاشجار والزروع والخصب والسعة ﴿ وتمت كلمت ربك الحسنى على بنى اسرائيل ﴾ يعنى وتمت كلمت الله وهى وعدهم بالنصر على عدوهم والتمكين فى الارض من بعدهم وقيل كلمة الله هى قوله ونريد أن نحن على الذين استضعفوا فى الارض الآية والحسنى صفة للكلمة وهى تأنيث الاحسن وتماها انجاز ما وعدهم به من تمكينهم فى الارض واهلاك عدوهم ﴿ بماصبروا ﴾ يعنى انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما نعم الله تعالى به عليهم من انجاز وعدهم بسبب صبرهم على دينه وأذى فرعون لهم ﴿ ودمرنا ﴾ يعنى وأهلكنا والدمار الهلاك باستئصال ﴿ ما كان يصنع فرعون وقومه ﴾ فى أرض مصر من العمارات والبنيان ﴿ وما كانوا يعرشون ﴾ يعنى يسقفون من ذلك البنيان وقال مجاهد ما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب ﴿ قوله عز وجل ﴾ وجاوزنا بنى اسرائيل البحر ﴿ يعنى وقطعنا بنى اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه يقال جاز الوادى وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراء ظهره وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون

بالنصرة ( على بنى اسرائيل بماصبروا ) على البلاء ويقال على دينهم ( ودمرنا ) أهلكنا ( ما كان يصنع فرعون وقومه ) من القصور والمدائن ( وما كانوا يعرشون ) من الشجر والكروم ويقال يبنون ( وجاوزنا بنى اسرائيل البحر



موسى يوم عاشوراء بعد { الجزء التاسع } ما هلك الله فرعون ﴿ ٦٢٤ ﴾ وقومه فصاموه شكرا لله (فاتوا

عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا ﴿ فاتوا على قوم ﴿ فرؤا عليهم ﴿ يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن الجبل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من تخم وقرأ حزة والكسائي يعكفون بالكسر ﴿ قالوا يا موسى اجعل لنا الهة ﴿ مثلا لنعبده ﴿ كالهم الهة ﴿ يعبدونها وما كفاة للكاف ﴿ قال انكم قوم تجهلون ﴿ وصفهم بالجهل المطلق واكد له بعد ما صدر عنهم بعد ما رآوا من الآيات الكبرى عن العقل ﴿ ان هؤلاء ﴿ اشارة الى القوم ﴿ متبر ﴿ مكسر مدمر ﴿ ماهم فيه ﴿ يعنى ان الله يهدم دينهم الذى هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا ﴿ وباطل ﴿ مضمحل ﴿ ما كانوا يعملون ﴿ من عبادتها

وقومه فصامه شكرا لله تعالى ﴿ فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم ﴿ يعنى فر بنو اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون أى يقيمون ويواظبون على اصنام لهم يعنى تماثيل لهم كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك اول شأن الجبل وقال قتادة كان اولئك القوم من تخم وكانوا نزولا بالركة يعنى بالركة ساحل البحر وقيل كان اولئك الاقوام من الكنعانيين الذين امر موسى عليه الصلاة والسلام بقتالهم ﴿ قالوا ﴿ يعنى قال بنو اسرائيل لموسى لما رآوا ذلك التمثال ﴿ يا موسى اجعل لنا الهة كالهم الهة ﴿ يعنى كالهم اصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا أنت الهة نعبده ونعظمه قال البغوى رحمه الله ولم يكن ذلك شكاً من بنى اسرائيل فى وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بنى اسرائيل وذلك انهم توهموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى بعد ما رآوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكما قدرته وهى الآيات التى تواتت على قوم فرعون حتى أغرقهم الله تعالى فى البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله تعالى لحملهم جهلهم على ان قالوا لنبيهم موسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الهة كالهم الهة فرد عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بقوله ﴿ قال انكم قوم تجهلون ﴿ يعنى تجهلون عظمة الله تعالى وانه لا يستحق أن يعبد سواء لانه هو الذى أنجاهم من فرعون وقومه فاغرقهم فى البحر وأنجاهم منه عن ابى واقد اللبى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كالهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كالف قوم موسى اجعل لنا الهة كالهم الهة والذى نفسى بيده لتركن سنن من كان قبلكم أخرجه الترمذى ﴿ قوله عز وجل ﴿ ان هؤلاء متبر ما هم فيه ﴿ أى مهلك والتبوير الاهلاك ﴿ وباطل ما كانوا يعملون ﴿ البطلان عبارة عن عدم الشئ اما بعدم ذاته أو بعدم فائدته ونفعه والمراد من بطلان علمهم انه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضررا لانه عمل لغير الله تعالى فكان باطلا لا نفع فيه

على قوم ﴿ فرؤا عليهم ﴿ يعكفون على اصنام لهم ) يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حزة وعلى ﴿ قالوا يا موسى اجعل لنا الهة ﴿ صنما يعكف عليه ﴿ كالهم الهة ﴿ اصنام يعكفون عليها وما كفاة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها قول على رضى الله عنه ليهودى اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يحف ماؤه فقال قاتم اجعل لنا الهة ولم تحف أقدامكم ﴿ قال انكم قوم تجهلون ﴿ تجب من قولهم على اثر مارأوا من الآيات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده ﴿ ان هؤلاء يعنى عبدة تلك التماثيل ﴿ متبر ﴿ مهلك من التبار ﴿ ماهم فيه أى يتبر الله ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى وفى ايقاع هؤلاء اسمالان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرها وسم اعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يمدوهم التبة ﴿ وباطل ما كانوا يعملون أى ما عملوا من عبادة الاصنام

فاتوا على قوم ) يقال لهم الرقيم بقية من قوم ابراهيم ﴿ يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادة اصنام لهم ﴿ قالوا يا موسى اجعل لنا الهة ﴿ بين لنا الهة نعبده ﴿ كالهم الهة ﴿ يعبدونها ﴿ قال

موسى ﴿ انكم قوم تجهلون ﴿ امر الله ﴿ ان هؤلاء متبر ﴿ مهلك ﴿ ماهم فيه ﴿ من الشرك ﴿ وباطل ﴿ ضلال ﴿ ما كانوا يعملون ﴿ فى الشرك ﴿ قال

باطل مضمحل (قال أغير الله أبعيكم لها) أي أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) حال أي على عالمي زمانكم (وإذا أنجيناكم من آل فرعون) أنجناكم شأى (سورة الاعراف) (يسومونكم سوء العذاب)

يفنونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها وهو استئناف لا محل له أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) يقتلون نافع (وفي ذلكم) أي في الإنجاء أو في العذاب (بلاء) نعمة أو محنة (من ربكم عظيم) وواعدنا موسى ثلاثين ليلة (لاعطاء التوراة) (وأتعمناها بعشر) روى أن ذى موسى عليه الصلاة

والسلام وعد بنى إسرائيل وهو بمصر أن أهلك الله عدوهم أنهم بكتاب من عند الله فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامر به بصوم ثلاثين يوما وهي شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلو في فيه فتسوك فاوحى الله إليه ما علمت أن خلو في الصائم أطيب

(قال) موسى (أغير الله أبعيكم) الها أمركم أن تعبدوا ربا (وهو) وقد (فضلكم على العالمين) عالمي زمانكم بالاسلام (وإذا أنجيناكم من آل فرعون) من فرعون وقومه (يسومونكم سوء العذاب) يقتلون أبناءكم (يستحيون)

يستحيون (نساءكم) كبار (وفي ذلكم) فيما أنجناكم (قا وحا ٧٩ نى) (بلاء) نعمة (من ربكم عظيم) عظيمة ويقال وفي ذلكم في عذابه بلاء بلية من ربكم عظيم عظيمة (وواعدنا موسى) (الآتيان إلى الجبل) (ثلاثين ليلة) شهر ذى القعدة (وأتعمناها بعشر) من

وان قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى وأما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عاهم فيه بالتبار وعا فعلوا بالبطان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتبني على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلى لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال أغير الله أبعيكم لها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تبني على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركو به احسن شئ من مخلوقاته واذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنعهم معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجناكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما أنجاهم أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذالته عدة وقرأ أبو عمرو ويعتوب وواعدنا وأتمناها بعشر من ذى الحجة

فيه قال أغير الله أبعيكم لها لما قال بنو إسرائيل لما قال بنو إسرائيل لما قال بنو إسرائيل لنا اللهم كالمهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبهم على سبيل التجب والانكار عليهم أغير الله أبعيكم الهائى اطلب لكم وأبني لكم الهاء وهو فضلكم على العالمين والمعنى أن الاله ليس هو شأى يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذى فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذى يستحق ان يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على العالمين يعنى على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الآيات الباهرة التى لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم أفضل منهم قوله عز وجل واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هذه الآية تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفسائدة في ذكرها في هذا الموضوع انه تعالى هو الذى انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الهاء كالمهم آلهة قوله عز وجل وواعدنا موسى ثلاثين ليلة يعنى وواعدنا موسى عليه الصلاة والسلام لنا حاجتنا ثلاثين ليلة وهي ذوالقعدة وأتمناها بعشر يعنى عشر ذى الحجة وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى إسرائيل اذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون ان يأتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يندرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه عز وجل أن ينزل عليه الكتاب الذى وعد به بنى إسرائيل فامرهم أن يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت أنكر خلو في فيه فتسوك بعود خرنوب وقيل بل أكل من ورق

عندي من ربح المسك فامرته { الجزء التاسع } أن يزيد عليها ﴿ ٦٢٦ ﴾ عشرة أيام من ذى الحجة لذلك (قم ميقات ربه)

ما وقت له من الوقت وضره له (أربعين ليلة) نصب على الحال أي تم بالغاهذا العدد وقد أجل ذكر الأربعين في البقرة وفصلها هنا (وقال موسى لآخيه هرون) هو عطف بيان لآخيه (اخلفني في قومي) كن خليفتي فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل (ولا تتبع سبيل المفسدين) كومن دعاك منهم إلى الفساد فلا تتبعه ولا تطعه (لما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذي وقتناه وحددنا ومعنى اللام الاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا (وكلمه ربه) بلا واسطة ولا كيفية وروى أنه كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ في التأويلات أن موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعته صوتا تولى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسبا لاحد من الخلق ذى الحجة (قم ميقات ربه) ميعاد ربه (أربعين ليلة) كما وعده (وقال موسى لآخيه هرون) أخلفني (كن خليفتي) في قومي (وأصلح) صرهم بالصالح (ولا تتبع سبيل المفسدين) طريق المفسدين بالمعاصي (ولما جاء موسى لميقاتنا) لميعادنا عدينا (وكلمه ربه) (قديم)

﴿ قم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ بالغار بعين ليلة روى أنه عليه السلام وعدي بنى إسرائيل عصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عليه السلام ربه فأمره الله بصوم ثلاثين يوما فلما تم انكر خلوف فيه فسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسده بالسواك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرًا وقيل أمره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها ﴿ وقال موسى لآخيه هارون اخلفني في قومي ﴾ كن خليفتي فيهم ﴿ وأصلح ﴾ ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحا ﴿ ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ ولا تتبع من سلك لافساد ولا تطع من دعاك إليه ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص مجيئه لميقاتنا ﴿ وكلمه ربه ﴾ من غير وسط كما يكلم الملائكة

الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسده بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر ذى الحجة وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ربح المسك فكانت فتنة بني إسرائيل في تلك العشر التي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام وقيل إن الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها ما يتقرب به إلى الله ثم كلمه وأعطاه الألواح في العشر التي زادها فلهاذا قال وأتمناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا وتفصيل ما أجله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذ وعدنا موسى أربعين ليلة فذكره هناك على الأجمال وذكره هنا على التفصيل ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ قم ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ يعني قم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى عليه الصلاة والسلام وعبادته أربعين ليلة لأن الميقات هو الوقت الذي قدر أن يعمل فيه عمل من الأعمال ولهذا قيل مواقيت الحج ﴿ وقال موسى لآخيه هرون اخلفني في قومي ﴾ يعني كن أنت خليفتي فيهم من بعدى حتى أرجع إليك ﴿ وأصلح ﴾ يعني وأصلح أمور بني إسرائيل واحلهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الرفق بهم والاحسان إليهم ﴿ ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الأرض ولا تطعمهم والمقصود من هذا الأمر التأكد لان هارون عليه الصلاة والسلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقولك للقاعد اقعد بمعنى دم على ما أنت عليه من القعود ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ يعني للوقت الذي وقتناه ان يأتي فيه لنا جانا وهو قوله ﴿ وكلمه ربه ﴾ وفي هذه الآية دليل على أن الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه عز وجل من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كاخلاقه مخطوطا في الألواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لان الشجرة أو ذلك الجرم لا يقول اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدي وأقم الصلاة لذكركى فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الحنابلة ومن وافقهم إلى ان كلام الله تعالى حروف وأصوات متقطعة وانه

مهم بالصالح (ولا تتبع سبيل المفسدين) طريق المفسدين بالمعاصي (ولما جاء موسى لميقاتنا) لميعادنا عدينا (وكلمه ربه) (قديم)

وفما روى ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين ﴿ قال رب أرني أنظر اليك ﴾ ارني نفسك بان تمكني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر اليك وأراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزه في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن ترانى دون لن أرى أولن أريك أولن تنظر الى تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معدى الرأى لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكت قومه الذين قالوا أن الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية تمتعة لوجب ان يجملهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم ولا يتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدًا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية ﴿ قال لن ترانى

قديم وذهب جمهور المتكلمين الى أن كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة أزلية والثابتون بهذا القول قالوا ان موسى عليه الصلاة والسلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية وقالوا كانه لا يبعد رؤية ذاته وليست جسمًا ولا عرضًا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع أن كلامه ليس بصوت ولا حرف ومذهب أهل السنة وجهور العلماء من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تاويله وحقيقته قال أهل التفسير والاخبار لما جاء موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سيناء وفي القصة ان الله تعالى أنزل ظلة تشمت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرذ عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا وادناه ربه حتى سمع صريف الاقلام على الاواح وكله الله تبارك وتعالى وناجاه واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه عز وجل واشتاق الى رؤيته ﴿ قال رب أرني أنظر اليك ﴾ قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارني نفسك انظر اليك وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه اعطى انظر اليك وانما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج به من الشوق وفاض عليه من أنواع الجلال حتى استغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الرؤية وقيل انما سأل الرؤية ظانمته بانه تعالى يرى في الدنيا فعلى الله عن ذلك ﴿ قال لن ترانى ﴾ يعنى ليس لبشر ان يرى في الدنيا ولا يطبق النظر الى في الدنيا ومن نظر الى في الدنيا مات فقال موسى عليه الصلاة والسلام الهى سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولان انظر اليك ثم أموت أحب الى من أن أعيش ولأراك وقال السدى لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام غاص عدو الله ابليس الخبيث في الارض

وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع في رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله ( قال رب أرني انظر اليك ) ثانى مفعولى ارني محذوف أى ارني ذاتك انظر اليك يعنى مكنى من رؤيتك بان تتجلى لي حتى أراك ارني مكى وبكسر الراء مختلصة أبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الرؤية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سأل الله واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كفر ( قال لن ترانى ) بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا أيضا لانه لم يقل لن أرى ليكون نفيا للجواز ولولم يكن سرئيا لاخبر بانه ليس بمرى اذا الحالة الحاجة

قال رب أرني أنظر اليك ( طمع في الرؤية ) ( قال ) الله ( لن ترانى ) ( لن تقدر أن ترانى )

ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ﴿ استدرارك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير

حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه الرؤية فقال رب ارني أنظر اليك قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن ترانى

### فصل

وقدمت مسك من نفي الرؤية من أهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن ترانى قالوا لن تكون للتأبيد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في أن لن تكون للتأبيد خطأ بين ودعوى على أهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن أهل اللغة والعربية ولم يقل به أحد منهم وبدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود ولن يتموه أبدامع انهم يتمنون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فان قالوا ان لن معناها تأكيد النفي كالا التي تنفي في المستقبل قلنا ان صح هذا التأويل فيكون معنى لن ترانى محمولاً على الدنيا أى لن ترانى في الدنيا جمابين دلائل الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الآخرة وأيضاً فان موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفاً بالله تعالى وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفي الآية دليل على انه سأل الرؤية فلو كانت الرؤية متمتعة على الله تعالى لما سأله موسى عليه الصلاة والسلام فحيث سألها علمنا ان الرؤية جائزة على الله تعالى وأيضاً فان الله عز وجل علق رؤيته على أمر جائز والمعلق على الجائز جائز فيلزم من ذلك كون الرؤية في نفسها جائزة وانما قلنا ذلك لانه تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى ﴿ ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ﴾ وهو أمر جائز الوجود في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالاً والله أعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحق لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل الرؤية أرسل الله الضباب والرياح والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه الصلاة والسلام أربع فراسخ من كل جانب وأمر الله تعالى أهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه الصلاة والسلام فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثران البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب انى كنت عن هذا غنياً ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مراًى وسمع واقشعرت كل شعرة

الى البيان ( ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه )  
 بقى على حاله ( فسوف ترانى )  
 وهو دليل لنا أيضاً لانه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشئ بما هو ممكن يدل على امكانه كالتعليق بالمتنوع يدل على امتناعه والدليل على انه ممكن قوله جعله ذكاً ولم يقل ان ذكاً وما أوجده تعالى كان جائزاً أن لا يوجد لولم يوجد لانه مختار في فعله ولانه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالاً لعابيه كما عاب نوحاً عليه السلام بقوله انى أعظك أن تكون من الجاهلين حيث سأل انجاء ابنه من الفرق

في الدنيا يا موسى ( ولكن انظر الى الجبل ) أعظم جبل بمدين ( فان استقر مكانه ) فان استقر الجبل لرؤيتي ( فسوف ترانى ) فلعلك ترانى

( فلما تجلى ربه للجبل ) أى ظهر ﴿ ٦٢٩ ﴾ وبان ظهوراً { سورة الاعراف } بلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلى للجبل ما قاله

الاشعري انه تعالى خلق في الجبل حياة وعلماً ورؤية حتى رأى ربه وهذا نص في اثبات كونه مرئياً وهذه الوجوه تبين جهل منكري الرؤية وقولهم بان موسى عليه السلام كان عالماً به لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم ربه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن تؤمن لك حتى نرى الله جهره فطلب الرؤية لئيبين الله تعالى انه ليس بمرئى باطل اذ لو كان كان عو القال أنهم ينظروا اليك ثم يقول له ان يروني ولاننا لو لم تكن جائزة لما أخرج موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريبه لا ترى انهم لما قالوا له اجعل لنا الها كما لهم آلهة لم يعملهم بل يرد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون ( جعله دكا ) مدكوكا مصدر بمعنى المفعول كضرب الامير والدق والدك اخوان دكاء حنزة وعلى أى مستوية بالارض لا أكمة

﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه ﴿ جعله دكا ﴾ مدكوكا فقتل والدك والدق اخوان كالمشك في رأسه وبدنه ثم قال لئن ندت على مسئلتى فهل يجيبني مما أنا فيه شيء فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لمساآت فتقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى واعتارضوا عليه فهبطوا عليه أمثال النور لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواهم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ملاصبر لك عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالمخ الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصططت ركبتاه وأرعد قلبه واشتد بكأؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لمساآت فتقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلاً جوفه خوفاً واشتد حزنه وكثر بكأؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ملاصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار أشد ضواً من الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سجدوا أو قدسوا جاز بهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبدا لا يموت في رأس كل ملك منهم أربعة اوجه فلما رآهم موسى عليه الصلاة والسلام رفع صوته يسبح دعهم وهو يبكي ويقول رب اذ كرني ولاننس عبدك فلا أدري أعلت مما أنا فيه أم لان خرجت احترقت وان أفتت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قدأ وشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخاع قلبك فاصبر للذي سألت ثم أمر الله تعالى ان يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدت نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم جميعاً يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت فارتج الجبل لشدة أصواتهم وان ذلك كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صمقا على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله تعالى برحمة الروح فتغشته وقلب عليه الحجر الذي كان جلس عليه موسى فصار عليه كهية القبة لئلا يحترق موسى عليه الصلاة والسلام واقامت الروح عليه مثل الامة فلما أفاق موسى قام يسبح ويقول آمنت بك وصدقت انه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخاع قلبه فأعظمتك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب ومالك الملوك والاله العظيم لا يعبدك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت اليك الحمد لك لاشريك لك ما أعظمتك وما أجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ظهر نور ربه

( فلما تجلى ربه للجبل ) ظهر للجبل زبير ( جعله دكا )

والشق وقرأ حزمة والكسائي ذكاء أي ارضاً مستوية ومنه ناقة ذكاء التي لاسنام لها وقرئ ذكاء أي قطعاً جمع ذكاء بالتشديد وخر موسى صعقاً مغشياً عليه من هول ما رأى ﴿ فلما أفاق قال تعظيماً لما رأى سبحانك تبت اليك من الجراة والاقدام على السؤال من غير اذن وأنا أول المؤمنين ﴾ مر تفسيره وقيل معناه أنا أول من آمن بانك

للجبل فصار تراباً واسم الجبل زبير وقال الضحاك أظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار ذكاء وقال السدي ما تجلى الا قدر انحصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي هكذا بغير سند وأخرجه الترمذي أيضاً عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله ذكاء قال حاد هكذا وأمسك بطرف ايهامه على أمثلة أصعبه النبي فساخ الجبل وخر موسى عليه السلام صعقاً وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث حاد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً ندر الدرهم فجعل الجبل ذكاء يعني مستوياب الارض وقال ابن عباس رضي الله عنهما جعله تراباً وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار ملاماً لا وقال الكلبي جعله ذكاء يعني كسر اجبالاً صغاراً وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبال فوقع ثلاثة بالمدينة وهي أحدو وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وشبير وحرأ قوله عز وجل ﴿ وخر موسى صعقاً ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه والحسن يعني مغشياً عليه وقال قتادة يعني ميتاً والاول اصح لقوله ﴿ فلما أفاق ﴾ واليت لا افاقته انما يقال أفاق من غشيته قال الكلبي صعق موسى عليه الصلاة والسلام يوم الخميس وهو يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم البحر وقال الواقدي لما خر موسى صعقاً قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات أتوا موسى وهو في غشيته فجعلوا يركلونه ويقولون يا ابن النساء الحيض أظمت في رؤية رب العزة فلما أفاق يعني من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سأل امرأ عظيماً لا ينبغي له ﴿ قال سبحانك ﴾ يعني تنزيهاً من النقائص كلها ﴿ تبت اليك ﴾ يعني من مسئلتى الرؤية بغير اذنك وقيل من سؤال الرؤية في الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة بحمد صلى الله عليه وسلم فنعها قال سبحانك تبت اليك يعني من سؤالي ما ليس لي وقيل لما سال الرؤية ومنعها قال تبت اليك يعني من هذا السؤال وحسنات الابراسيات المقربين ﴿ وأنا أول المؤمنين ﴾ يعني بانك لا ترى في الدنيا وقيل وأنا أول المؤمنين يعني من بني اسرائيل بقي في الآية سؤالات الاول ان الرؤية عين النظر فكيف قال أرني أنظر اليك وعلى هذا يكون التقدير أرني حتى أراك

فيها وناقة ذكاء لاسنام لها ( وخر موسى صعقاً ) حال أي سقط مغشياً عليه ( فلما أفاق ) من صعقته ( قال سبحانك تبت اليك )

من السؤال في الدنيا ( وأنا أول المؤمنين )

بعظمتك وجلالك وبانك لا تعطي الرؤية في الدنيا

مع جوازها وقال الكسبي والاصم معنى قوله أرني أنظر اليك أرني آية

أعلمك بها بطريق الضرورة كاني أنظر اليك لن تراني

لن تطيق معرفتي بهذه الصفة ولكن انظر الى

الجبل فاني أظهر له آية فان ثبت الجبل لتجلها

واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيقها وهذا

فاسد لانه قال أرني أنظر اليك ولم يقل اليها وقال

لن تراني ولم يقل لن ترى آيتي وكيف يكون

معناه لن ترى آيتي وقد أراه أعظم الآيات حيث

كسرا ( وخر موسى صعقاً ) مغشياً عليه ( فلما أفاق ) من غشيته ( قال سبحانك )

نزه ربه ( تبت اليك ) من مسئلتى الرؤية ( وأنا أول المؤمنين ) المقربين

بانك لن ترى في الدنيا

لا ترى في الدنيا ﴿ قال يا موسى انى اصطفيتك ﴾ اخترتك ﴿ على الناس ﴾ أى الموجودين في زمانك و هارون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كلميا ولا صاحب شرع ﴿ برسالاتي ﴾ يعنى أسفار التوراة وقرأ ابن كثير و نافع برسالاتي ﴿ وبكلامى ﴾

والجواب عنه ان معنى قوله أرنى اجعلنى متمكنا من رؤيتك حتى أنظر اليك وأراك ﴿ السؤال الثانى كيف قال ان ترانى ولم يقل لن تنظر الى حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذى لا رؤية معه ﴿ السؤال الثالث كيف استدرك وكيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بمقابله والجواب ان المقصود منه تعظيم أمر الرؤية وان أحدا لا يقوى على رؤيته تعالى الامن قواه الله تعالى بمعونه وتأييده الآ ترى انه لما ظهر أثر العجلى للجبل انك وتقطع فهذا هو المراد من هذا الاستدراك لانه يدل على تعظيم أمر الروية والله أعلم بمراده ﴿ قوله عز وجل ﴾ قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ﴿ يعنى قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام يا موسى انى اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفاء الاستخلاص من الصفوة والاجتباء والمعنى انى فضلتك واجتبتك على الناس وفى هذا تسلية لموسى عليه الصلاة والسلام عن منع الرؤية حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه التى أنعم بها عليه وأمره أن يشتغل بشكرها كأنه قال له ان كنت منعت من الرؤية التى طلبت فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيعن صدرك بسبب منع الرؤية وانظر الى سائر أنواع النعم التى خصصتك بها وهى الاصطفاء على الناس برسالاتى وبكلامى يعنى من غير واسطة لان غيره من الرسل منع كلام الله تعالى الا بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتى مع ان كثيرا من الانبياء قد ساواه فى الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين أحدهما ذكره البغوى فقال لما لم تكن الرسالة على العموم فى حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه فيها غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتى وان كان قد ساور غيره اذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفى هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالاته محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضل من موسى عليه الصلاة والسلام فلا يستقيم هذا الجواب الثانى ذكره الامام فخر الدين الرازى فقال ان الله تعالى بين انه خصه بجموع أمرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص ههنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببا لمزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك العظيم من فيه كان أعلى وأشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر أيضا لان محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالاته وكله ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى أمته الصلوات وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله فأوحى الى عبده ما أوحى ورفع الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا

جعل الجبل دكا ( قال )  
يا موسى انى اصطفيتك  
على الناس ( اخترتك  
على أهل زمانك ( برسالاتى )  
هى أسفار التوراة برسالاتى  
ججازى ( وبكلامى )  
وبتكلمى اياك

( قال يا موسى انى اصطفيتك  
على الناس ) على بنى  
اسرائيل ( برسالاتى  
وبكلامى ) وبتكلمى معك



وبتكلمي اياك ﴿ فخذ ما آتيتك ﴾ اعطيتك من الرسالة ﴿ وكن من الشاكرين ﴾  
على النعمة روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة كان يوم النحر  
﴿ وكتبنا له في الاواح من كل شئ ﴾ مما يحتاجون اليه من أمر الدين

كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء  
فلا يستقيم هذا الجواب أيضا والذي يعتمد في الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى  
موسى عليه الصلاة والسلام برسائله وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه وذلك  
انه لم يكن في ذلك الوقت أعلى منصباً ولا أشرف ولا أفضل منه وهو صاحب الشريعة  
الظاهرة وعليه نزلت التوراة فذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما صطفى قومه على  
عالمى زمانهم وهو قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وانى  
فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعنى على عالمى زمانهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ فخذ  
ما آتيتك ﴿ يعنى ما فضلتك وأكرمك به ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ يعنى على انعمى  
عليك وفى القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام كان بعدما كلمه ربه لا يستطيع أحد ان  
ينظر اليه لما غشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له  
زوجته أنالم أراك منذ لك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت  
يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلنى زوجتك فى الجنة قال ذلك  
لك ان لم تنزوى بى بعدى فان المرأة لا خراز واجها قوله عز وجل ﴿ وكتبنا له فى الاواح ﴾  
قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد ألواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى فى ألواح التوراة قال  
البعوى وفى الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعا وجاء فى الحديث خلق الله  
تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الاواح  
من خشب وقال الكلبي من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حراء  
وقال ابن جرير من زمرد أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بهما من جنة عدن  
وكتبها بالقلم الذى كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال الربيع بن أنس كانت الاواح  
من زبرجد وقال وهب أمره الله بقطع ألواح من صخرة صماء لينها لفة قطعها بيده ثم شقها  
باصبعه وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الاقلام بالكلمات العشرة وكان ذلك  
فى اول يوم من ذى الحجة وكان طول الاواح عشرة أذرع على طول موسى وقيل ان  
موسى خر صعبا يوم عرفة فاعطاه الله التوراة يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا  
فى عدد الاواح فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها كانت سبعة ألواح وروى عنه  
انها لوحان واختاره القراء قال وانما جمعت على عادة العرب فى اطلاق الجمع على الاثنين  
وقال وهب كانت عشرة ألواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن أنس نزلت  
التوراة وهى وقرسبعين بعيرا يقرأ الجزء منها فى سنة ولم يقرأها الأربعة نفر موسى  
ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعنى  
لم يحفظها ويقرأها عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الآية فى التوراة  
بالآية يعنى قوله ﴿ وكتبنا له فى الاواح من كل شئ ﴾ يعنى يحتاج اليه من أمر

( فخذ ما آتيتك ) اعطيتك  
من شرف النبوة والحكمة  
( وكن من الشاكرين )  
على النعمة فى ذلك فهى  
من أجل النعم قيل خر  
موسى صعبا يوم عرفة  
وأعطى التوراة يوم النحر  
ولما كان هرون وزيراً  
وتابعاً لموسى تخصص  
الاصطفاء بموسى عليه السلام  
( وكتبنا له فى الاواح )  
الاولاح التوراة جمع لوح  
وكانت عشرة ألواح وقيل  
سبعة وكانت من زمرد وقيل  
من خشب نزلت من السماء  
فيها التوراة ( من كل شئ )  
فى محل النصب على انه

( فخذ ما آتيتك ) فاعل  
ما اعطيتك ( وكن من  
الشاكرين ) بتكلمى  
معك من بين الناس  
( وكتبنا له فى الاواح )  
من كل شئ

﴿ موعظة وتفصيلا لكل شيء ﴾ بدل من الجار والمجرور أي كتبنا كل شيء من المواضع وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرداوز برجدأو ياقوت أحمر أو صخرة صماء لبناها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده أو سقفاها بأصابعه وكان فيها التوراة أو غيرها ﴿ فخذها ﴾ على اضممار القول عطفًا على كتبنا أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء الالواح او لكل شيء فإنه بمعنى الاشياء او للرسالات ﴿ بقوة ﴾

منه موعول كتبنا ( موعظة وتفصيلا لكل شيء ) بدل منه والمعنى كتبنا كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواضع وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير لم يقرأها كلها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى ( فخذها ) فقلنا له خذها عطفًا على كتبنا والضمير للالواح أو لكل شيء لأنه في معنى الاشياء ( بقوة ) بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل

موعظة ( تفصيلا ) تبياناً ( لكل شيء ) من الحلال والحرام والامر والنهي ( فخذها بقوة ) فاعمل بها بجد ومواظبة النفس

ونهى ﴿ موعظة ﴾ يعني نهياً عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته ﴿ وتفصيلا لكل شيء ﴾ يعني وتبيننا لكل شيء من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه في أمور الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لا تشرك بي شيئاً من أهل السماء ولا من أهل الارض فان كل ذلك خلقي ولا تخلف باسمي كاذبانان من حلف باسمي كاذباناً أزيه ووقر والديك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه الصلاة والسلام نظر في التوراة فقال اني أجد أمة خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخرو يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى فقال رب اني لا جد أمة هم الخادون رعاة الشمس المحكمون اذا أرادوا أمراً قالوا ان شاء الله فاجعلهم أمتي قال هي محمد قال رب اني أجد في التوراة أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يجرقون صدقاتهم بالنار وهم المستحيون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله وادابط وادى جدد الله الصعيد لهم ظهور و الارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة ظهورهم بالصعيد كظهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غير محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني اجد أمة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت لها حسنة بمثلها وان عملها كتبت بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوماً فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار أحد منهم أبداً الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء البحر فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم وأمه قال يا ليتني من أصحاب محمد فأوحى الله اليه ثلاث آيات يرصيه بن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا ﴿ قوله عز وجل ﴾ فخذها بقوة ﴾ يعني وقلنا لموسى عليه الصلاة والسلام اذ كتبنا له

( وأمر قومك يأخذوا } الجز التاسع { باحسنها ) أى ﴿ ٦٣٤ ﴾ فيها ما هو حسن وأحسن كالقصاص

والعفو والانتصار والصبر  
فرهم ان يأخذوا بما هو  
أدخل في الحسن وأكثر  
للثواب كقوله واتبعوا  
أحسن ما أنزل اليكم من

ربكم (سأريكم دار الفاسقين)  
دار فرعون وقومه وهى  
مصر ومنازل عاد وثمود  
والقرون المهلكة كيف  
أفقرت منهم لتعتبروا فلا

تفسقوا مثل فسقهم فيشكل  
بكم مثل نكالهم أو جهنم  
(سأصرف عن آياتى) عن  
فهمها قال ذوالنون  
قدس الله روحه أبى الله  
ان يكرم قلوب البطالين  
يمكنون حكمة القرآن  
(الذين يتكبرون)

يتطاولون على الخلق  
ويأنفون عن قبول الحق  
وحقيقة التكلف للكبرياء  
التي اختصت بالبارى عزت  
قدرته (في الارض بغير  
الحق) هو حال أى يتكبرون  
غير محقين لان التكبر

( وأمر قومك يأخذوا  
بأحسنها ) يعملوا بحكمها  
ويؤمنوا بمتشابهها (سأريكم  
دار الفاسقين ) يعنى  
دار الفاسين وهى جهنم  
ويقال العراق ويقال مصر  
( سأصرف عن آياتى )

يحمد وعزيمة ﴿ وأمر قومك يأخذوا باحسنها ﴾ أى باحسن ما فيها كالصبر والعفو  
بالإضافة الى الانتصار روالاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله تعالى  
واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم أو بواجباتها فان الواجب أحسن من غيره ويجوز ان  
يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيغ احمر  
من الشتاء ﴿ سأريكم دار الفاسقين ﴾ دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها  
او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهى جهنم  
« وقرئ سأوريكم معنى سألين لكم من اوريت الزندوسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم  
﴿ سأصرف عن آياتى ﴾ المنصوبة في الآفاق والأفئس ﴿ الذين يتكبرون في الارض ﴾  
بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان  
اجتهدوا كإفعل فرعون فعاد عليه باعلانها أو باهلاكهم ﴿ بغير الحق ﴾ صلة يتكبرون

في الالواح من كل شىء أخذها يحمد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة عزيمة  
ونية صادقة لان من أخذ شىء بضعف نية أداه الى القصور ﴿ وأمر قومك يأخذوا  
بأحسنها ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا  
أمثالها ويعملوا بحكمها ويقفوا عند متشابهها وكان موسى عليه الصلاة والسلام أشد عبادة  
من قومه فأمر بمالم يؤمر به وقيل ظاهر قوله وأمر قومك يأخذوا بأحسنها يدل على ان بين  
التكليفين فرقا ليكون في هذا الفصل فائدة وهى ان التكليف كان على موسى أشد لانه  
تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه \* فان قلت ظاهر قوله تعالى يأخذوا بأحسنها  
يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به أحد فإمعنى قوله يأخذوا بأحسنها \* قلت  
ان التكليف كله حسن وبعضه أحسن كالقصاص حسن ولكن العفو أحسن وكالاتصار  
حسن والصبر أحسن منه فأمروا ان يأخذوا بالاشد على أنفسهم ليكون ذلك  
أعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون  
القول فيتعلمون أحسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح  
والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه بأحسنها بحسنها وكلها حسن  
﴿ قوله عز وجل ﴾ سأريكم دار الفاسقين ﴿ قال مجاهد يعنى مصركم في الآخرة وقال  
الحسن وعطاء يريد جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال قتادة فأدخلكم الشام فأريكم  
منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله تعالى لتعتبروا بها وقال عطية العوفى يعنى  
دار فرعون وقومه وهى مصر وقال السدى يعنى منازل الكفار وقال الكلبي  
هى منازل عاد وثمود والقرون الذين هلكوا فكانوا يمررون عليها اذا سافروا ﴿ قوله  
عز وجل ﴾ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ﴿ قال ابن عباس  
رضى الله تعالى عنهما يريد الذين يتجبرون على عبادة ويحاربون وليأتى سأصرفهم عن  
قبول آياتى والتصديق بها حتى لا يؤمنوا عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال  
سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقيل معناه سأصرفهم عن التفكير في خلق

عن الاقرار بآياتى (الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) بلاحق ويقال سأريكم يا محمد دار الفاسقين دار بدر ( السموات )

بالحق لله وحده (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد) طريق صلاح الامر  
أو طريق الهدى الرشد حرة وعلى ﴿ ٦٣٥ ﴾ وهما { سورة الاعراف } كالسقم والسقم

(لا يتخذوه سيلا وان يروا  
سبيل النى) الضلال  
(يتخذوه سيلا) ومحل  
(ذلك) الرفع أى ذلك  
الصرف (بانهم كذبوا  
بآياتنا) بسبب تكذيبهم  
(وكانوا عنها غافلين) غفلة  
عناد واعراض لا غفلة سهو  
وجهل (والذين كذبوا  
بآياتنا ولقاء الآخرة)

هو من اضافة المصدر الى  
المفعول به أى ولقاءهم  
الآخرة ومشاهدتهم  
أحوالها (حبطت أعمالهم)  
خبر والذين (هل يحزون  
الاما كانوا يعملون)

ويقال مكة (وان يروا)  
يعنى فرعون وقومه ويقال  
أبو جهل وأصحابه (كل آية  
لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل  
الرشد) طريق الاسلام  
واخيرا (لا يتخذوه سبيلا)  
لا يحسبوه طريقا (وان  
يروا سبيل النى) طريق  
الكفر والشرك (يتخذوه  
سيلا) يحسبوه طريقا  
(ذلك) الذى ذكرت  
(بانهم كذبوا بآياتنا)  
بكتابتنا ورسولنا (وكانوا  
عنها غافلين) جاحدين بها  
(والذين كذبوا بآياتنا)

أى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل أو حال من فاعله ﴿ وان يروا كل آية ﴾  
منزلة أو معجزة ﴿ لا يؤمنوا بها ﴾ لعنادهم واختلال عقولهم بسبب انهما كهم فى الهوى  
والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول ﴿ وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سيلا ﴾ لاستيلاء  
الشيطنة عليهم وقرأ حرة والكسائى الرشد بفتح السين وقرأ الرشاد وثلاثها لغات كالسقم  
والسقم والسقام ﴿ وان يروا سبيل النى يتخذوه سيلا ﴾ ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا  
عنها غافلين ﴿ أى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان  
ينصب ذلك على المصدر أى سا صرف ذلك الصرف بسببهما ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء  
الآخرة ﴾ أى ولقاءهم الدار الآخرة أو ما وعد الله فى الدار الآخرة ﴿ حبطت أعمالهم ﴾  
لا يتفنون بها ﴿ هل يحزون الاما كانوا يعملون ﴾ الاجزاء اعمالهم

السموات والارض وما فىهما من الآيات والعبء وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة  
وأراد بالآيات الآيات التسع التى أعطاها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام  
والأكثر على ان الآية عامة وفيه دليل لمذهب أهل السنة على ان الله تعالى يهدى  
من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته وقبول الحق من يشاء ويوفق بالنفكر فى آياته وقبول  
الحق من يشاء لانه المقادر على ما يشاء لا يستل عما يفعل وهم يستلون ومعنى الذين يتكبرون  
الذين يرون أنهم أفضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه  
الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذى له القدرة والفضل الذى ليس لاحد  
سواه فالتكبر فى حق الله عز وجل صفة مدح وفى حق المخلوقين صفة ذم لانه تكبر  
بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم فى حق  
جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبر أى يفعلون التكبر ويرون أنهم أفضل  
من غيرهم فلذلك قال يتكبرون فى الارض بغير الحق بل بالباطل ﴿ وان يروا كل آية  
لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد ﴾ يعنى طريق الحق والهدى والسداد والصواب  
﴿ لا يتخذوه سيلا ﴾ يعنى لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية ﴿ وان  
يروا سبيل النى ﴾ يعنى طريق الضلال ﴿ يتخذوه سيلا ﴾ بانهم كذبوا بآياتنا ﴿ يعنى ذلك  
الذى اختاروه لانفسهم من ترك الرشد واتباع النى بسبب انهم كذبوا بآيات الله الدالة على  
توحيده ﴿ وكانوا عنها غافلين ﴾ يعنى عن التفكير فيها والاتعاظ بها ﴿ والذين كذبوا بآياتنا  
ولقاء الآخرة ﴾ يعنى بآياتنا ولقاء الدار الآخرة التى فيها الثواب والعقاب ﴿ حبطت  
اعمالهم ﴾ يعنى بطلت فصارت كأن لم تكن والمعنى انه قد يكون فى الذين يكتبون  
بآيات الله من يعمل البز والاحسان والخير فين الله تعالى بهذه الآية ان ذلك ليس  
يتفنون مع كفرهم وتكذيبهم بآيات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث ﴿ هل يحزون  
الاما كانوا يعملون ﴾ يعنى هل يحزون فى العقبي الاجزاء العمل الذى كانوا يعملونه

بكتابتنا ورسولنا (ولقاء الآخرة) البعث بعد الموت (حبطت أعمالهم) بطلت حسناتهم فى الشرك (هل يحزون) ما يحزون  
فى الآخرة (الاما كانوا يعملون) فى الدنيا ويقولون من الشر

وهو تكذيب الاحوال بتكذيب الارسال ( واتخذ قوم موسى من بعده ) من بعد ذهابه الى الطور ( من حلیم )  
وانما نسب اليهم مع انها كانت { الجزء التاسع } عوارى في أيديهم ﴿ ٦٣٦ ﴾ لان الاضافة تكون لادنى ملايسة

وفيه دليل على ان من حلف  
أن لا يدخل دار فلان فدخل  
دارا استعارها بحيث على  
أنهم قد ملكوها بعد المهلكين  
كاملها وغيرها من أملاكهم  
وفيه دليل على ان الاستيلاء  
على أموال الكفار يوجب  
زوال ملكهم عنها نعم اتخذ  
هو السامري ولكنهم  
رضوا به فاستند الفعل اليهم  
والحلي جمع حلى وهو  
اسم ما يتخس به من الذهب  
والفضة حلیم حزة وعلى  
الاتباع (عجلا) مفعول اتخذ  
(جسدا) بدل منه أي بدناذا  
لحم ودم كسائر الاجساد  
(له خوار) هو صوت البقر  
والقول الثاني محذوف  
أي الهائم عجب من عقولهم  
السخيفة فقال (ألم يروا)  
حين اتخذوه الها ( انه  
لا يكلمهم ولا يهديهم سييلا )  
لا يقدر على كلام ولا على  
هداية سييل حتى لا يختاروه  
على من لو كان البحر مدا  
لكلماته لنفد البحر قبل  
أن تنفذ كلماته وهو الذي  
هدى الخلق الى سبيل الحق  
بما ركز في العقول من الادلة  
وبما أنزل في الكتب ثم

( واتخذ ) صاغ قوم موسى

﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ﴾ من بعد ذهابه للميقات ﴿ من حلیم ﴾ التي استعاروا  
من القبط حين هموا بالخروج من مصر و اضافها اليهم لانها كانت في ايديهم أو ملكوها بعد  
هلاكهم وهو جمع حلى كئدى وندى « وقرأ حزة والكسائي بالكسر باتباع كدلى ويعقوب  
على الافراد ﴿ عجلا جسدا ﴾ بدناذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح  
ونصبه على البدل ﴿ له خوار ﴾ صوت البقر روى ان السامري لما صاغ العجل التي في فيه  
من تراب أثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه  
وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخذهم اياه  
الها « وقرى جوار أي صباح ﴾ ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سييلا ﴿ تبريع  
على فرط ضلالهم واخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على  
كلام ولا على ارشاد سييل كما حاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى

في الدنيا قوله عز وجل ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده ﴾ يعني من بعد ان طلق موسى الى  
الجبل لمناجاة ربه عز وجل ﴿ من حلیم ﴾ يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بنى  
اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فيق عندهم الى ان اهلك  
الله فرعون وقومه فيق الحلي لبنى اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال الله تعالى من حلیم فلما أبطأ  
موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا في بنى اسرائيل فلذلك قال الله تعالى  
واتخذ قوم موسى واتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان رضاهم فكانهم أجعوا  
عليه وكان السامري رجلا صائفا فصاغ لهم ﴿ عجلا جسدا ﴾ يعني من ذلك الحلي  
وهو الذهب والفضة وأتى في ذلك العجل من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام فحمول  
عجلا جسدا لحم ودم ﴿ له خوار ﴾ هو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس  
والحسن وقتادة وجهور أهل التفسير وقيل كان جسدا لاروح فيه وكان يسمع منه صوت  
وقيل ان ذلك الصوت كان خفيق الريح وذلك انه جعله مجحوبا ووضع في جوفه ما ييب  
على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابت فيسمع لها صوت كصوت  
البقر والقول الاول أصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور  
كثيرا وكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار  
ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي ﴿ ألم يروا ﴾ يعني الذين عبدوا العجل  
وقيل ان بنى اسرائيل كلهم عبدوا العجل الا هارون عليه الصلاة والسلام بدليل قوله  
تعالى واتخذ قوم موسى من بعده وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبدوا العجل وهو  
الصحيح وأجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله ألم يروا  
﴿ انه ﴾ يعني العجل الذي عبدوه ﴿ لا يكلمهم ولا يهديهم سييلا ﴾ يعني ان هذا العجل  
لا يمكنه أن يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان

( من بعده ) من بعد ان طلق موسى الى الجبل ( من حلیم ) من ذهبهم ( عجلا جسدا ) مجسدا صغيرا ( له خوار ) ( جاد )  
صوت صاغ لهم السامري ( ألم يروا ) ألم يعلم قوم موسى ( انه لا يكلمهم ) يعني العجل بشيء ( ولا يهديهم سييلا ) طريقا

ابتدأ فقال ( اتخذوه ) الها فأقدموا على هذا الامر المنكر ( وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم ) ولما اشتد ندمهم على عبادة  
العجل واصله ان من اشتد ندمه ﴿ ٦٣٧ ﴾ أن يعرض يده غما فتصير { سورة الاعراف } يده مسقوطا فيها لان فاه

وقع فيها وسقط مسندالى  
في أيديهم وهو من باب  
الكناية وقال الزجاج معناه  
سقط الندم في أيديهم أى  
في قلوبهم وأنفسهم كما يقال  
حصل في يده مكروه وان  
استحال أن يكون في اليد  
تشبيها لما يحصل في القلب  
وفي النفس بما يحصل في  
الدويرى بالعين ( ورأوا  
انهم قد ضلوا ) وتبينوا  
ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه  
بعيونهم ( قالوا لئن لم  
يرحنا ربنا ويفرنا ) لئن  
لم ترحنا ربنا وتففر لنا حزة  
وعلى وانتصاب ربنا على  
النداء ( لنكونن من الخاسرين )  
المغبونين في الدنيا والآخرة  
( ولما رجع موسى ) من  
الطور ( الى قومه ) بنى  
اسرائيل ( غضبان ) حال  
من موسى ( أسفا ) حال  
أيضا أى حزينا ( قال بئسما  
خلفتموني ) قم مقامى وكنتم  
خلفائى ( من بعدى ) والخطاب  
لعبد العجل من السامرى

( اتخذوه ) عبده بالجهل  
( وكانوا ظالمين ) صاروا ضارين  
لأنفسهم بعبادتهم اياه ( ولما سقط  
في أيديهم ) ندموا على  
عبادتهم العجل ( ورأوا )  
علوا أو أيقنوا ( انهم قد ضلوا )

اتقدر ﴿ اتخذوه ﴾ تكرر للندم أى اتخذوه الها ﴿ وكانوا ظالمين ﴾ واضعين الاشياء  
في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعائهم ﴿ ولما سقط في أيديهم ﴾ كناية من ان اشتد  
ندمهم فان الندام المتحسر يعرض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها \* وقرئ سقط على  
البناء الفعل لفاعل بمعنى وقع الغض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم ﴿ ورأوا ﴾  
وعلوا ﴿ انهم قد ضلوا ﴾ اتخذ العجل ﴿ قالوا لئن لم يرحنا ربنا ﴾ بانزال التوراة ﴿ ويفر  
لنا ﴾ بالتجاوز عن الخطيئة ﴿ لنكونن من الخاسرين ﴾ وقرأهما حزة والكسائى بالثناء  
وربنا على النداء ﴿ ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا ﴾ شديدا للغضب وقيل حزينا  
﴿ قال بئسما خلفتموني من بعدى ﴾ فعلم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قم  
مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما تكرة موصوفة تفسر المستكن

جادا أو حينوا ناقصا عاجرا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد ﴿ اتخذوه ﴾ وكانوا  
ظالمين ﴿ يعنى لانفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى الذى يضر وينفع واشتغلوا  
بعبادة العجل الذى لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد و صواب \* قوله  
عز وجل ﴿ ولما سقط في أيديهم ﴾ يعنى ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب  
لكل نادم على أمر سقط في يده وذلك لان من شأن من اشتد ندمه على أمر ان يعرض يده  
ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن النزول من أعلى الى أسفل  
﴿ ورأوا أنهم قد ضلوا ﴾ يعنى وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل ﴿ قالوا  
لئن لم يرحنا ربنا ويفرنا ﴾ يعنى يتب علينا وتجاوز عنا ﴿ لنكونن من الخاسرين ﴾  
يعنى الذى خسروا أنفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف  
بعظيم ما فندم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته  
واعترافهم على أنفسهم بالخسران ان لم يففر لهم ربهم ويرحمهم كلام التائب النادم على ما فرط  
منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام اليهم وهو قوله تعالى ﴿ ولما  
رجع موسى الى قومه غضبان أسفا ﴾ يعنى ولما رجع موسى عليه الصلاة والسلام من مناجاة ربه  
الى قومه بنى اسرائيل رجع غضبان أسفا لان الله تعالى كان قد أخبره أنه قد فتن قومه  
وان السامرى قد أضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الاسف  
أشد الغضب وقال ابن عباس والسدى الاسف الحزن والحزن من الغضب فاذا حاك ماتكركه  
والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا حاك ماتكركه  
من هو دونك غضبت واذا حاك ماتكركه ممن هو فوقك حزنت قسمى احدى هاتين الحالتين  
حزنا والاخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه الصلاة والسلام غضبان على قومه لاجل  
عبادتهم العجل أسفا حزينا لان الله تعالى فتنهم وان الله تعالى قد أعلمه بذلك فحزن لاجل  
ذلك ﴿ قال ﴾ يعنى موسى عليه الصلاة والسلام لقومه ﴿ بئسما خلفتموني من بعدى ﴾

عن الحق والهدى ( قالوا لئن لم يرحنا ربنا ويفرنا ) فيعد بنا ( لنكونن من الخاسرين ) بالعقوبة ( ولما رجع موسى الى قومه  
غضبان أسفا ) حزينا حين سمع صوت الفتنة ( قال بئسما خلفتموني من بعدى ) بئس ما صنعتم بعبادة العجل من بعد ان طلق الى الجبل

وأشباعه أولهارون ومن معه من المؤمنين وبدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل  
مكان عبادة الله أوحى لم تكفوا { الجزء التاسع } عن عبادة غير الله وفاعل ٦٣٨ بئس مضمير يفسره ما خلفتموني

والخصوص بالذم محذوف  
تقديره بئس خلافة خلفتمو  
نيها من بعدى خلافتكم  
ومعنى من بعدى بعد قوله  
خلفتموني من بعد ما رأيتم  
منى من توحيد الله ونفى  
الشركاء عنه أو من بعد  
ما كنت أجل بنى إسرائيل  
على التوحيد وأكفهم عن  
عبادة البقرة حين قالوا  
اجعل لنا لها كالمهم آلهة  
ومن حق الخلفاء أن يسيروا  
بسيرة المستخلف (أعجلتم)  
أسبقتم بعبادة العجل (أمر  
ربكم) وهو آتياى لكم  
بالتوراة بعد أربعين ليلة  
وأصل العجالة طلب الشيء  
قبل حينه وقيل عجلتم  
بمعنى تركتم (والتى  
الالواح) ضمير عند استماعه  
حديث العجل غضب الله  
وكان في نفسه شديدا الغضب  
وكان هارون ألين منه جانبا  
ولذلك كان أحب الى بنى  
إسرائيل من موسى  
فتكسرت فرفعت ستة  
اسباعها وبقى سبع واحد  
وكان فيما رفع تفصيل كل  
شئ وفيما بقى هدى ورجة  
(وأخذ برأس أخيه) بشعر  
رأسه غضبا عليه حيث لم  
ينهم عن عبادة العجل  
(يجره اليه) عتابا عليه  
لا هو آتياى وهو حال من

فى بئس والخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى  
خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم منى من التوحيد والتزويه  
والحل عليه والكف عما بنا فيه ﴿ أعجلتم امر ربكم ﴾ أتركوه غير تام كأنه ضمن عجل  
معنى سبق فعدى تعديته أو أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى  
وغيرتم بعدى كما غيرت الأئم بعد انبيائهم ﴿ وألقى الواح ﴾ أى طرحها من شدة  
الغضب وفرط الضميرة حية للدين روى ان التوراة كانت سبعة اسباع فى سبعة الواح  
فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه  
المواعظ والاحكام ﴿ واخذ برأس أخيه ﴾ بشعر رأسه ﴿ يجره اليه ﴾ توهما  
بانه قصر فى كفهم وهارون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حولا لينا ولذلك كان احب

أى بئس الفعل فعلتم بعد فراقى اياكم وهذا الخطاب يحتمل أن يكون امبدة العجل من  
السامرى وأتباعه أولهارون والمؤمنين من بنى إسرائيل فعلى احتمال الاول فى انه خطاب  
لعبدة العجل يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى  
الاحتمال الثانى وهو ان يكون الخطاب لهارون ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بئسما  
خلفتموني حيث لم تمنعوه من عبادة غير الله تعالى وقدر رأيتم منى الامر بتوحيد الله تعالى  
واخلاص العبادة ونفى الشركاء عنه وحل بنى إسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء  
أن يسيروا بسيرة مستخلفهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ ﴿ أعجلتم امر ربكم ﴾ معنى العجالة التقدم بالشيء  
قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشئ فى اول  
وقته ولقائل أن يقول لو كانت العجالة مذمومة لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام وعجلت  
اليك رب لترضى ومعنى الاية أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا والوقال الحسن أعجلتم  
وعدر ربكم الذى وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه ان لم يأت على رأس الثلاثين  
فقد مات وقيل معناه أعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبي معناه أعجلتم بعبادة العجل  
قبل أن يأتيكم امر ربكم ﴿ ولما ذكر الله تعالى أن موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى قومه  
غضبان أسفا ذكر بعده ما أوجبه الغضب فقال تعالى ﴿ والتى الالواح ﴾ يعنى التى فيها التوراة  
وكان حاملا لها فألقاها من شدة الغضب قالت الرواة وأصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة أسباع  
فلما لقي موسى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقى سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار  
الغيب وبقى ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروى ان الله تعالى أخبر موسى  
عليه الصلاة والسلام بفتنة قومه وعرف موسى عليه الصلاة والسلام ان ما أخبره الله  
سبحانه وتعالى به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه  
وعاين ذلك وشاهده ألقى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة ﴿ وأخذ برأس  
أخيه يجره اليه ﴾ قيل انه أخذ بشعر رأسه ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الأنبارى

(أعجلتم امر ربكم) أسبقتم بعبادة العجل وعد ربكم (والتى الالواح) من يده فانكسر منها لوحان (لما)  
(وأخذ برأس أخيه) أى بشعر هارون (يجره اليه) الى نفسه

موسى ( قال ابن أم ) بنى الابن مع الام على الفتح خمسة عشر وبكسر الميم حزة وعلى وشامى لان أصله أى فخذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن أمه وأبيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها ادعى الى العطف ( ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى ) أى انى لم آل ﴿ ٦٣٩ ﴾ جهدا لمسورة الاعراف فى كفهم بالوعظ والانداز ولكنهم

استضعفوني وهموا يقتلى (فلا تشمت بي الاعداء) الذين عبدوا العجل أى لا تفعل بي ما هو أميتهم من الاستهانة بي والاساءة الى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) أى قربنا لهم بغضبك على فلما اتضح له عذراخيه ( قال رب اغفرلى ولاخى ) ليرضى أخاه وينفى الشمانية عنه باسرا كه معه فى الدعاء والمعنى اغفرلى ما فرط منى

فى حق أخى ولاخى ان كان فرط فى حسن الخلاقة ( وادخلنا فى رحمتك ) عصمتك فى الدنيا ورحمتك فى الآخرة ( وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل ) الهما ( سينالهم غضب من ربهم ) هو ما أمر وابه من قتل أنفسهم توبة ( وذلة فى الحياة الدنيا )

( قال ) هارون ( ابن أم ) وقد كان أخاه من أبيه وأمه وانما ذكر الام لكى يرفق به ( ان القوم استضعفوني ) وكادوا يقتلونى ( بخلافهم اياى ) ( فلا تشمت بي الاعداء ) فلا تفرح بي الاعداء أصحاب

الى بنى اسرائيل ﴿ قال ابن أم ﴾ ذكر الام ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ ابن عامر وحزة والكسائى وابوبكر عن عاصم هنا وفى طه يا ابن أم بالكسر واصله يا ابن أى فخذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة فى التخفيف لطوله او تشبيها بجمسة عشر ﴿ ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلى ﴿ فلا تشمت بي الاعداء ﴾ فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله ﴿ ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ﴾ معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة ونسبة التقصير ﴿ قال رب اغفرلى ﴾ بما صنعت بأخى ﴿ ولاخى ﴾ ان فرط فى كفهم ضمه الى نفسه فى الاستغفار ترضية له ودفع الشمانية عنه ﴿ وادخلنا فى رحمتك ﴾ بجزيل الانعام علينا ﴿ وأنت أرحم الراحمين ﴾ وأنت أرحم بنا منا على أنفسنا ﴿ ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم ﴾ وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم ﴿ وذلة فى الحياة الدنيا ﴾ وهو خروجهم من ديارهم

لمارجع موسى عليه الصلاة والسلام ووجد قومه مقبين على المعصية أكبر ذلك واستعظمه فاقبل على أخيه هارون يلومه ومديده الى رأسه لشدة موجده عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بنى اسرائيل فيرجع ويتلافاهم فأعلمه هرون عليه السلام انه انما أقام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى ﴿ قال ﴾ يعنى هارون ﴿ ابن أم ﴾ انما قال هارون لموسى ابن أم وان كانا لاب وأم ليرققه ويستعطفه عليه ﴿ ان القوم ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿ استضعفوني ﴾ أى استذلوني وقهروني ﴿ وكادوا يقتلونى ﴾ أى وقاربوا وهموا أن يقتلونى ﴿ فلا تشمت بي الاعداء ﴾ أصل الشمانية الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سركمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تنال منى من مكروه ﴿ ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ﴾ يعنى الذين عبدوا العجل ﴿ قال رب اغفرلى ﴾ يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما تبين له عذر أخيه هرون قال رب اغفرلى ما صنعت الى أخى هارون يريد ما أظهر من الموجدة عليه فى وقت الغضب ﴿ ولاخى ﴾ يعنى واغفر لاخى هارون ان كان وقع منه تقصير فى الانكار على عبدة العجل ﴿ وادخلنا ﴾ يعنى جميعا ﴿ فى رحمتك ﴾ يعنى فى سعة رحمتك ﴿ وأنت أرحم الراحمين ﴾ وهنا فيه دليل على الترغيب فى الدعاء لان من هو أرحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعى فى نجاح طلبته ﴿ ان الذين اتخذوا العجل ﴾ يعنى الهما عبدوه من دون الله ﴿ سينالهم غضب من ربهم ﴾ وذلة فى الحياة الدنيا ﴿ يعنى سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك

لعجل ( ولا تجعلنى مع القوم الظالمين ) لا تعذبنى فى أصحاب العجل ( قال ) موسى ( رب اغفرلى ) لما صنعت بأخى هارون ( ولاخى ) هارون بما لم ينجزهم بالقتال ( وادخلنا فى رحمتك ) فى رحمتك ( وأنت أرحم الراحمين ) بنا ( ان الذين اتخذوا ) بدوا ( العجل ) ومن اتقدي بهم ( سينالهم ) سيصيبهم ( غضب ) سخط ( من ربهم وذلة ) مذلة بالجزبة ( فى الحياة الدنيا )



وقيل الجزية ﴿ وكذلك نجزي المفتريين ﴾ على الله ولا فريداً أعظم من فريتهم وهي قولهم هذا الحكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم ﴿ والذين عملوا

في عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين في هذه الآية قولان أحدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين باشروا عبادته وعلى هذا القول ففي الآية سؤال وهو أن أولئك الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله تعالى بقتلهم أنفسهم كما مرهم الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب أن ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو اسلامهم أنفسهم للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال والخطأ فان قلت السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف تكون للماضي قلت هذا الكلام انما هو خبر عما أخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم أخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي أمرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جرير في هذه الآية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة العجل ولمن فر من القتل وهذا الذي قاله ابن جرير وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وآباؤهم هم الذين عبدوا العجل وأراد بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي سينال أولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد بالغضب والذلة ما أصاب بنى النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تقرير الآية وجهان الاول أن العرب تعير الابناء بقباغ أفعال الآباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا وفعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضي من آباؤهم فكذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان آباؤهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا الوجه الثاني ان تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال أولادهم الخ ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه قوله عز وجل ﴿ وكذلك نجزي المفتريين ﴾ يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها نجزي كل من افتري على الله كذبا أو عبد غيره وقال أبو قلابة هي والله جزاء كل مفتر الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك بن أنس ما من مبتدع الا وهو يحد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية قال والمبتدع مفتر في دين الله ﴿ والذين عملوا

خروجهم من درياهم  
فالغربة تذل الاعناق  
أوضرب الجزية عليهم  
( وكذلك نجزي المفتريين )  
الكاذبين على الله ولا فريداً  
أعظم من قول السامري  
هذا الحكم واله موسى  
( والذين عملوا )

وكذلك ( هكذا ) نجزي  
المفتريين ( الكاذبين على الله )  
( والذين عملوا )

السيآت) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا) رجعوا ﴿٦٤١﴾ الى الله (من { سورة الاعراف } بعدها وآمنوا) وأخلصوا

الايان (ان ربك من بعدها)  
أى السيآت أو التوبة  
(لغفور) لستور عليهم  
محاء لما كان منهم (رحيم)  
منعم عليهم بالجنة وان مع  
اسمها وخبرها خبر والذين  
وهذا حكم عام يدخل  
تحتة متخذوا العجل وغيرهم  
عظم جنايتهم أو لا ثم اردفها  
بعظم رحمة ليعلم أن الذنوب  
وان عظمت فعفوه أعظم  
ولما كان الغضب لشدة  
كانه هو الأمر لموسى بما  
فعل قيل (ولما سكت عن  
موسى الغضب) وقال  
الزجاج معناه سكن وقرئ  
به (أخذ الألواح) التي  
ألقاها (وفي نسختها)  
وفيما نسخ منها أى كتب  
فعله بمعنى مفعول كالخطبة  
(هدى ورجة)

السيآت) في الشرك  
بالله (ثم تابوا من بعدها)  
بعد الشرك ويقال  
بعد السيآت (وآمنوا)  
وحدوا وأقرؤا بالله (ان  
ربك) يا موسى ويقال يا محمد  
(من بعدها) من بعد  
التوبة والايان (لغفور)  
متجاوز (رحيم ولما سكت)  
سكن (عن موسى الغضب  
أخذ الألواح وفي نسختها)  
فيما بقي منها ويقال فيما عيده

(قا و خا ٨١ نى) في اللوحين (هدى) من الضلالة (ورجة)

السيآت ﴿ من الكفر والمعاصي ﴾ ﴿ ثم تابوا من بعدها ﴾ ﴿ من بعد السيآت ﴾ ﴿ وآمنوا ﴾ ﴿ واشتغلوا بالايان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ﴾ ﴿ أن ربك ﴾ ﴿ من بعدها ﴾ ﴿ من بعد التوبة ﴾ ﴿ لغفور رحيم ﴾ ﴿ وأن عظم الذنب كجرمة ﴾ ﴿ عبدة العجل وكثير كجر آثم بنى اسرائيل ﴾ ﴿ ولما سكت ﴾ ﴿ سكن وقد قرئ به ﴾ ﴿ عن ﴾ ﴿ موسى الغضب ﴾ ﴿ باعتذار هارون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغته من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالأمر به والمعنى عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى وأخوه أو الذين تابوا ﴿ أخذ الألواح ﴾ ﴿ التي ألقاها ﴾ ﴿ وفي نسختها ﴾ ﴿ وفيما نسخ فيها أى كتب ففعله بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أى من الألواح المنكسرة ﴾ ﴿ هدى ﴾ ﴿ بيان للحق ﴾ ﴿ ورجة ﴾

السيآت) يعنى علموا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب صغير وكبير حتى الكفر فما  
دونه ﴿ ثم تابوا من بعدها ﴾ يعنى ثم رجعوا الى الله من بعد أعمالهم السيئة  
﴿ وآمنوا ﴾ يعنى وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التائب ويغفر الذنوب  
﴿ ان ربك ﴾ يا محمد أو يا أيها الانسان التائب ﴿ من بعدها ﴾ يعنى من بعد  
توبتهم ﴿ لغفور رحيم ﴾ يعنى انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الآية دليل  
على ان السيآت باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا  
بفضله ورحمته وتقدير الآية ان من أتى بجميع السيآت ثم تاب الى الله وأخلص التوبة  
فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من أعظم البشائر للمذنبين التائبين قوله عز وجل  
﴿ ولما سكت عز موسى الغضب ﴾ يعنى سكن لان السكوت أصله الامساك عن الشيء  
ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكون الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه  
لما كان بفورته دالاعلى ما في نفس الم غضب كان بمنزلة الناطق فاذا سكت تلك الفورة  
كان بمنزلة السكوت عما كان متكلم به وقيل معناه ولما سكت موسى عن الغضب فهو  
من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة في رأسي والمعنى ادخلت رأسي في القلنسوة  
والقول الاول أصح لانه قول أهل اللغة والتفسير ﴿ أخذ الألواح ﴾ يعنى التي  
ألقاها قال الامام فخر الدين وظاهر هذا يدل على ان الألواح تكسرت ولم يرفع من التوراة  
شيء ﴿ وفي نسختها ﴾ النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب  
حرفا بحرف فقد نقلت ما في الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الألواح لانها نسخت  
من اللوح المحفوظ وقيل ارادها النسخة المكتوبة من الألواح التي أخذها موسى بعدما  
تكسرت وقال ابن عباس وعمر بن دينار لما أتى موسى الألواح فكسرت صام  
أربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الاولى بعينها فيكون نسخها نقلها وعلى  
قول من قال ان الألواح لم تكسر وأخذها موسى بعينها بعدما ألقاها يكون معنا  
وفي نسختها المكتوب فيها ﴿ هدى ورجة ﴾ قال ابن عباس يعنى هدى من الضلالة ورجة

ارشاد الى الصلاح والخير ﴿ للذين هم لربهم يرهبون ﴾ دخلت اللام على المفعول اضعف  
الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم ﴿ واختار  
موسى قومه ﴾ اى من قومه حذف الجار واوصل الفعل اليه ﴿ سبعين رجلا لميقاتنا

من العذاب ﴾ للذين هم لربهم يرهبون ﴿ يعنى للمخاشين من ربهم ﴾ قوله عز وجل  
﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ﴾ الاختيار افعال من لفظ اختيار يقال  
اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه فحذف كلمة من  
وذلك سائق في العربية لدلالة الكلام عليه قال أصحاب الاخبار ان موسى عليه الصلاة  
والسلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا الثين وسبعين فقال ليختلف منكم  
رجالن فتشاحوا فقال لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكابابن  
يوفنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فوحي الله اليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا  
شيوخا فامرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا واثابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف  
أهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسئل فيه الرؤية وذلك  
انه لما خرج الى طور سيناء أخذ معه هؤلاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه  
عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا  
حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو يكلم موسى بأمره وينهاه  
افعل كذا لاتفعل كذا فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا ان تؤمن لك حتى  
نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية وقال  
السدى ان الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بنى اسرائيل يمتدرون اليه من عبادة  
الجبل ووعدهم موعدا فاختر موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات  
ربه ليمتدروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا ان تؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك  
قد كلمته فارناه فأخذتهم الصاعقة فأتوا مقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب  
ماذا أقول لبنى اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم رب لو شئت أهلكتهم من قبل  
واياى وقال محمد بن اسحق اختار موسى من بنى اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير  
وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من  
قومكم صوموا وتطهروا واطهروا واثابكم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات وقتله له ربه  
وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لي حين فعلوا ما أمرهم به وخرجوا  
مع موسى لميقات ربه اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل  
وقع عليه عمود الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان  
موسى اذا كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر اليه فضرب  
دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوا الله وهو يكلم موسى  
بأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم  
فقالوا له ان تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي الرجفة فأتوا جميعا مقام

للذين هم لربهم يرهبون  
دخلت اللام تقدم المفعول  
وضعف عمل الفعل فيه  
باعتباره ( واختار موسى  
قومه ) أى من قومه فحذف  
الجار وأوصل الفعل  
( سبعين رجلا ) قيل اختار  
من اثني عشر سبطا من كل  
سبط ستة فبلغوا ثنين  
وسبعين رجلا فقال  
ليختلف منكم رجالن فقعد  
كاباب و يوشع ( لميقاتنا )  
لاعتذارهم عن عبادة العجل

من العذاب ( للذين هم  
لربهم يرهبون ) يخافون  
( واختار موسى قومه ) من  
قومه ( سبعين رجلا  
لميقاتنا ) لميعادنا

فلما أخذتهم الرجفة ﴿٦٤٣﴾ روى انه تعالى امر ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختر من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليخلف منكم رجلا فقتلوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج ففعد كالب ويوشع وذهب مع الباقيين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسموه يكلم موسى بأمره وينها ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لنؤمن بك حتى نرى الله جبهة فأخذتهم الرجفة اى الصاعقة اور رجفة الجبل فصهقوا منها ﴿٦٤٤﴾ قال رب لو شئت

موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهكتم من قبل واياي وقال ابن عباس كان الله أمر موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختر سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا لله ان قالوا اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدا قبلنا ولا تعطه أحدا بعدنا فكرر الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقيل انما أخذتهم الرجفة من أجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هارون قال علي بن أبي طالب انطلق موسى وهارون الى سفح جبل فنام هارون على سريره فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له أنت قتلته حسدنا على خلقه ولينه وكان هارون حسن الخلق محببا في بني اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختروا سبعين رجلا فلما اتوا اليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلني أحد ولكن الله توفاني فأخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع عينا وشملا ويقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي الآية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما أخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لالانهم كانوا من عبدة قال ابن عباس انما اتوا لهم الرجفة لانه لم يزالوا القوم حين نصبوا العجل وما كرهوا أن يجامعوه عليه قال ابن جريج فلما خرجوا ودعوا الله أمانتهم ثم أحياهم وقال مجاهد واختر موسى قومه سبعين رجلا لميقانا الميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصاب قومهم وقال مجدي بن كعب القرظي لم يستجب لهم من أجل انهم لم ينهوا عن المنكر ولم يأمرهم بالمعروف فاخذهم الرجفة فانواتم آحياهم الله ﴿٦٤٤﴾ قوله عز وجل ﴿٦٤٤﴾ فلما أخذتهم الرجفة ﴿٦٤٤﴾ أصل الرجف الاضطراب الشديد الذي يحصل معه التغيير والهلاك ولهذا اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهؤلاء اهل كان معها موت أم لا فغظم الروايات التي تقدمت أنهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك رحيم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشده ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمأنوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما أخذتهم الرجفة ﴿٦٤٤﴾ قال ﴿٦٤٤﴾ يعنى موسى ﴿٦٤٤﴾ رب ﴿٦٤٤﴾ أى يارب ﴿٦٤٤﴾ لو شئت

(فلما أخذتهم الرجفة)  
الزلزلة الشديدة (قال رب  
لو شئت

(فلما أخذتهم الرجفة) الزلزلة  
بالهلاك يعنى الموت (قال  
رب لو شئت

أهلكتهم من قبل واياي ﴿ تعنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى مارأى أو بسبب آخر أو عنى به أنك قدرت على اهلاكم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترجت عليهم بالانقاذ منها فان ترجت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عجم احسانك ﴿ اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبه فلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ﴿ ان هي الافتنتك ﴾ ابتلاؤك حين اسمتهم كالكلام حتى طعموا في الرؤية او وجدت في العجل خوارا فزاغوا به ﴿ تضل بها من تشاء ﴾ ضلاله بالتجاوز عن حده واتباع الخيال ﴿ وتهدى من تشاء ﴾ هداه فيقوى بها ايمانه ﴿ أنت ولينا ﴾ القائم بأمرنا ﴿ فاغفر لنا ﴾ بمغفرة ما قارفنا ﴿ وارحنا وأنت خير الغافرين ﴾ تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة وهي ابتلاء الله تعالى عباده بما شاء ونبلوكم بالشر واخبرفتنة ﴿ تضل بها ﴾ بالفتنة ﴿ من تشاء ﴾ من علمت منهم اختيار الضلالة ﴿ وتهدى ﴾ بها ﴿ من تشاء ﴾ من علمت منهم اختيار الهدى ﴿ أنت ولينا ﴾ مولانا القائم بامورنا ﴿ فاغفر لنا وارحنا وانتم خير الغافرين ﴾

أهلكتهم من قبل ﴿ من قبل هذا اليوم ﴾ واياي ﴿ بقتلى القبطي ﴾ اتهلكنا بما فعل السفهاء ﴿ الجهاد ﴾ ﴿ منا ﴾ بعبادة العجل ظن موسى انما اهلكهم بعبادة قومهم العجل ﴿ ان هي ﴾ ماهي ﴿ الافتنتك ﴾ بليتك ﴿ تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ﴾ من الفتنة ﴿ أنت ولينا ﴾ اولينا ﴿ فاغفر لنا وارحنا ولا تمذبنا ﴾ وأنت خير الغافرين ﴿ المتجاوزين ﴾

أهلكتم من قبل ﴿ يعنى من قبل عبادتهم العجل ﴾ واياي ﴿ وذلك أنه خاف أن يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا رجع اليهم ومامم معه ولم يصدقوه بأنهم ماتوا فقال رب لو شئت اهلكتم من قبل يعنى قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنو اسرائيل يعانون ذلك ولا يتهموني ﴿ اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ قال الفراء ظن موسى انهم اهلكوا باتخاذ اصحاب العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعنى عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب مسئتهم الرؤية وهي قولهم ارنال الله جهرة وهذا قول الكلبي وجاعة وقال جاعة من أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن قوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحداى لست تفعل ذلك وهذا قول ابن النبارى وقال المبرد هذا استفهام استعطاف أى لا تهلكنا ﴿ ان هي الافتنتك ﴾ قال الواحدى الكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك أى اختبارك وابتلاءك وهذا تأكيد لقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء مثلا ان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء أضلت بها قوما فافتنوا وهديت قوما فمصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله ﴿ تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ﴾ قال الواحدى وهذه الآية من الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم معها عذر ﴿ أنت ولينا ﴾ يعنى أنت ياربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر أى لاولى لنا ولا ناصر ولا حافظ الا أنت ﴿ فاغفر لنا ﴾ سأل موسى عليه الصلاة والسلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه فلقوله ان هي الافتنتك وهذا فيه اقدم على الحضرة المقدسة واما لقومه فلقوله ارنال الله جهرة وفي هذا اقدم على الحضرة المقدسة فلهذا السبب سأل موسى عليه الصلاة والسلام الغفران له ولقومه ﴿ وارحنا ﴾ أى واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء ﴿ وأنت خير الغافرين ﴾ يعنى ان كل من سواك انما يغفر الذنب

أهلكتم من قبل ﴿ يعنى من قبل عبادتهم العجل ﴾ واياي ﴿ وذلك أنه خاف أن يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا رجع اليهم ومامم معه ولم يصدقوه بأنهم ماتوا فقال رب لو شئت اهلكتم من قبل يعنى قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنو اسرائيل يعانون ذلك ولا يتهموني ﴿ اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ قال الفراء ظن موسى انهم اهلكوا باتخاذ اصحاب العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعنى عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب مسئتهم الرؤية وهي قولهم ارنال الله جهرة وهذا قول الكلبي وجاعة وقال جاعة من أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن قوله اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الجحداى لست تفعل ذلك وهذا قول ابن النبارى وقال المبرد هذا استفهام استعطاف أى لا تهلكنا ﴿ ان هي الافتنتك ﴾ قال الواحدى الكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك أى اختبارك وابتلاءك وهذا تأكيد لقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء مثلا ان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء أضلت بها قوما فافتنوا وهديت قوما فمصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله ﴿ تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ﴾ قال الواحدى وهذه الآية من الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم معها عذر ﴿ أنت ولينا ﴾ يعنى أنت ياربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر أى لاولى لنا ولا ناصر ولا حافظ الا أنت ﴿ فاغفر لنا ﴾ سأل موسى عليه الصلاة والسلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه فلقوله ان هي الافتنتك وهذا فيه اقدم على الحضرة المقدسة واما لقومه فلقوله ارنال الله جهرة وفي هذا اقدم على الحضرة المقدسة فلهذا السبب سأل موسى عليه الصلاة والسلام الغفران له ولقومه ﴿ وارحنا ﴾ أى واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء ﴿ وأنت خير الغافرين ﴾ يعنى ان كل من سواك انما يغفر الذنب

واكتب لنا) وأثبت لنا واقسم (في هذه الدنيا حسنة) عاقبة وحياة طيبة وأوتوفيقا في الطاعة (وفي الآخرة) الجنة (أنا هدنا اليك) تبتنا اليك وهاد اليه يهودا اذ ارجع وتاب ﴿٦٤٥﴾ والهود جمع { سورة الاعراف } هائد وهو التائب ( قال

عذابي ) من صفة انى  
( أصيب به من أشياء ) أى  
لأعفوعنه ( ورحتى  
وسعت كل شئ ) أى من  
صفدرحتى انها واسعة تبلغ  
كل شئ ما من مسلم ولا كافر  
الا وعليه أثر حتى فى الدنيا  
( فسأ كتبها ) أى هذه  
الرحمة ( للذين يتقون )  
الشرك من أمة محمد صلى  
الله عليه وسلم ( ويؤتون  
الزكاة ) المفرضة ( والذين  
هم بآياتنا ) بجميع كتبنا  
( يؤمنون ) لا يكفرون  
( وأكتب لنا ) أوجب لنا  
( فى هذه الدنيا حسنة )  
العلم والعبادة والعصمة  
من الذنوب ( وفى الآخرة )  
حسنة الجنة ونعيمها ( أنا  
هدنا اليك ) تبتنا اليك ويقال  
اقلنا اليك ( قال ) الله  
( عذابي أصيب به ) اخص  
به ( من أشياء ورحتى وسعت  
كل شئ ) من البر والفاجر  
فتناول لها ابليس فقال انا  
من الاشياء فآخرجه الله  
منها فقال ( فسأ كتبها )  
سأوجبها ( للذين يتقون )  
الكفر والشرك والفواحش  
( ويؤتون الزكاة ) يعطون  
زكاة أموالهم ( والذين هم  
بآياتنا ) بكتابتنا ورسولنا ( يؤمنون ) فتناول لها أهل الكتاب فقالوا نحن أهل التقوى والكتاب فاخرجهم الله منها وبين

﴿ واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة ﴾ حسن معيشة وتوفيق طاعة ﴿ وفى الآخرة ﴾ الجنة ﴿ أنا هدنا اليك ﴾ تبتنا اليك من هاد يهود اذ ارجع \* وقرئ بالكسر من هاده يهده اذا أماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى أملنا أنفسنا أو أملنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض ﴿ قال عذابي أصيب به من أشياء ﴾ تعذبه ﴿ ورحتى وسعت كل شئ ﴾ فى الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره ﴿ فسأ كتبها ﴾ فسأ ثبتها فى الآخرة أو فسأ كتبها كسنة خاصة منكم يا بنى اسرائيل ﴿ للذين يتقون ﴾ الكفر والمعاصى ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ خصها بالذكر لانقتها ولانها كانت أشق عليهم ﴿ والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ فلا يكفرون بشئ

طلبوا للتناء الجليل أو لدفع ضرر واما أنت يارب فتغفر ذنوب عبادك لا اطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير العاقرين ﴿ قوله عز وجل ﴾ واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة ﴿ يعنى قال موسى فى دعائه واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة أى واجعلنا ممن كتبت له حسنة وهى ثواب الاعمال الصالحة وفى الآخرة أى واكتب لنا فى الآخرة مغفرة لذنوبنا ﴿ أنا هدنا اليك ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه أنا تبتنا اليك وهذا قول جميع المفسرين وأصل اليهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم ﴿ قال ﴾ يعنى قال الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ عذابي أصيب به من أشياء ﴾ يعنى من خلقى وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكى وعييدى ومن تصرف فى خالص حقه فليس لاحد عليه اعتراض ﴿ ورحتى وسعت كل شئ ﴾ يعنى ان رحمة سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام أريد به الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر فى الدنيا وهى للمؤمنين خاصة فى الآخرة وقيل هى للمؤمنين خاصة فى الدنيا والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه بركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحتى وسعت كل شئ تناول ابليس اليها وقال أنا من ذلك الشئ فنزعها الله تعالى من ابليس فقال تعالى ﴿ فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ فأيس ابليس منها وقالت اليهود نحن نتقى ونؤتى الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود وأثبتها لهذه الامة فقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامى الآية وقال نوف البكالى لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لك الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث أدرتكم الصلاة الا عند مرحاض أو حمام أو قبر وأجعل السكينة فى قلوبكم واجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلى

بآياتنا ) بكتابتنا ورسولنا ( يؤمنون ) فتناول لها أهل الكتاب فقالوا نحن أهل التقوى والكتاب فاخرجهم الله منها وبين

منها ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي ﴾ مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد ﴿ الأمي ﴾ الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله احدى معجزاته ﴿ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ﴾ اسما وصفة

الا في الكنائس ولا نستطيع حل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقرأها الا نظرا قال الله تعالى فسأ كتبها للذين يتقون الى قوله المفلحون فجملة الله تعالى لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني نبيا منهم قال اجعلني نبيا منهم قال اجعلني منهم قال انك لن تدركهم قال موسى يارب أيتك بوفاة بنى اسرائيل فجعلت وفادتنا لعيرنا فانزل الله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبيدهم الكتاب فرضى موسى أما التفسير فقوله الذين يتقون يعنى الشرك وسائر ما نهوا عنه لان جميع التكليف محصورة في نوعين الاول التروك وهى الاشياء التى يجب على الانسان تركها والاحترار عنها ولا يقربها واليه الاشارة بقوله تعالى للذين يتقون والثانى الافعال المأمور بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية أما البدنية فاليها الاشارة بقوله وبؤتون الزكاة وهذه الآية وان كانت في حق المال لكن يختص البنين باخراجها والاعمال القلبية كالإيمان والمعرفة واليهما الاشارة بقوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴿ قوله عز وجل ﴾ الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ﴿ ذكر الامام فخر الدين الرازى في معنى هذه التسمية وجهين أحدهما أن المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفة في التوراة اذ لا يجوز أن يتبعوه في شرائعه قبل ان يبعث الى الخلق وفي قوله والانجيل ان المراد وسيجدونه مكتوبا في الانجيل لان من المحال أن يجدوه فيه قبل ما أنزل الله الانجيل الوجه الثانى ان المراد من لحق من بنى اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رجة الآخرة الا اذا تبعوه قال وهذا القول أقرب لان اتباعه قبل أن يبعث لا يمكن فبين بهذه الآية ان هذه الرجة لا يفوز بها من بنى اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بآيات الله في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفته في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بنى اسرائيل خاصة وجهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع أمته الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بنى اسرائيل أو غيرهم وأجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الوساطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالته وأوامره ونواهيته وشرائعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا أيضا من أعلى المراتب وأشرفها وذلك يدل على انه رفيع

بشيء منها (الذين يتبعون الرسول) الذي نوحى اليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النبي) صاحب المعجزات (الأمي الذي يجدونه) أى يجد نعمته أولئك الذين يتبعونه من بنى اسرائيل (مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل)

لمن الرجة فقال (الذين يتبعون الرسول) دين الرسول (النبي الأمي) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (الذي يجدونه) نعمته وصفته (مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل)

الدرجات عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالامى قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامى هو الذى على صفة أمة العرب لأن العرب لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب فالتى صلى الله عليه وسلم كان كذلك فهذا وصفه الله تعالى بكونه أميا وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن أمة امية لان كتب ولا نحسب قال أهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان أميا من أكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم أنى بهذا الكتاب العظيم الذى أعجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار عن غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم انه أنى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره فلما كان أميا وأنى بهذا القرآن العظيم الذى فيه علم الاولين والآخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزته صلى الله عليه وسلم وأيضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه أنى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة عن غير مطالعة كتب ولا اشتغال على أحد فدل ذلك على كونه معجزته صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامى الذى هو منسوب الى أمه كانه لم يخرج بعدها ولدته عليه وقيل سمي أميا لانه منسوب الى أم القرى وهى مكة وقوله تعالى الذى يحدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يعنى يحدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماءهم وأخبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان (خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال أجل انه لم يوصف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذاننا صما وقلوبا غلفا

﴿ شرح غريب الفاظ الحديث ﴾

الفظ السبي الخلق والغليظ الجافي والقاسى وقوله سخاب بالسين والصاد وهو كثير الصياح فى الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الاغاف الذى لا يصل اليه شئ ينفعه شبهه بالاغلف كانه فى غلاف \* وروى البغوى بسنده عن كتب الاحبار قال انى أجد فى التوراة مكتوبا مجد رسول الله لافظ ولاغليظ ولاسخب فى الاسواق ولايجزى بالسيئة ولكن يعفو ويصفح أمته الحامدون يحمدون الله فى كل منزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزون على انصافهم ويفضون أطرافهم صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء مناديهم ينادى فى جوارسهم لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام \* قوله عز وجل



يأمرهم بالمعروف) بجمع الأنداد وانصاف العباد (وينهاهم عن المنكر) عبادة الاصنام وقطيعة الارحام (ويحل لهم الطيبات) ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحم وغيرها وأما باب في الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السمك (ويحرم عليهم الجباث ما يستحب كالدّم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة ونحوهما) { الجزء التاسع } من المكاسب ﴿ ٦٤٨ ﴾ الخبيثة (ويضع عنهم اصرهم)

هو الثقل الذي يأمر صاحبه أي يحبس من الحراك ثقله والمراد التكليف الصعبة كقتل النفس في توبتهم وقطع الاعضاء الخاطئة آصارهم شامى على الجمع (والاغلال التي كانت عليهم) هي الاحكام الشاقة نحو توب القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والتوب واحراق القنائم وظهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل (فالذين آمنوا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) وعظموه أو منصوه من

﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ﴾ مما حرم عليهم كالشحم ﴿ ويحرم عليهم الجباث ﴾ كالدّم ولحم الخنزير أو كاربوا والرشوة ﴿ ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ﴾ ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكليف المشافة كتعين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأمر صاحبه أي يحبس من الحراك ثقله ﴿ وقرأ ابن عامر آصارهم ﴾ فالذين آمنوا به وعزروه ﴿ وعظموه بالقوية ﴾ وقرى بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير

﴿ يأمرهم بالمعروف ﴾ يعني بالايان وتوحيد الله ﴿ وينهاهم عن المنكر ﴾ يعني عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطاء يأمرهم بالمعروف بجمع الأنداد وبمكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام ﴿ ويحل لهم الطيبات ﴾ يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم في الجاهلية من البحائر والسوائب والوسائل والحوامى وقيل هي المستلذات التي تستطيبها النفس ﴿ ويحرم عليهم الجباث ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الميتة والدّم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستحب الطبع وتستقذره النفس فان الاصل في المضار الجرمة الاماله دليل متصل بالحل ﴿ ويضع عنهم اصرهم ﴾ يعني ثقلمهم وأصل الاصر الثقل الذي يأمر صاحبه أي يحبس من الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذي أخذ على بني اسرائيل أن يعملوا بما في التوراة من الاحكام فكانت تلك الشدائد ﴿ والاغلال التي كانت عليهم ﴾ يعني ويضع الاثقال والشدائد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعين القصاص في القتل ونحوه أخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنائس وتبع العروق في اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تتقدم وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد عليه الصلاة والسلام نسخ ذلك كله وبدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة ﴿ فالذين آمنوا به ﴾ يعني بمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وعزروه ﴾

يأمرهم بالمعروف) بالتوحيد والاحسان (وينهاهم عن المنكر) عن الكفر والاساءة (ويحل لهم الطيبات) يبين لهم تحليل ما في الكتاب من لحوم الابل وألبانها وشحم البقر والغنم وغيرها

(ويحرم عليهم الجباث) يبين لهم تحريم ما في الكتاب من الميتة والدّم ولحم الخنزير وغير ذلك (ويضع عنهم اصرهم) عهدهم التي كان يحرم عليهم بنقضها الطيبات (والاغلال) الشدائد (التي كانت عليهم) من قطع الثياب وغيرها (فالذين آمنوا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم يعني عبدالله بن سلام وأصحابه (وعزروه) اعانوه

العدو حتى لا يقوى عليه  
عدو وأصل العز المنع ومنه  
التعزير لأنه منع عن معاودة  
القيح كالحمد فهو المنع  
( ونصروه واتبعوا النور  
الذي أنزل معه ) أي القرآن  
ومع متعلق باتبعوا أي  
واتبعوا القرآن المنزل مع  
اتباع النبي والعمل بسنته  
( أولئك هم المفلحون )  
الفائزون بكل خير  
والناجون من كل شر ( قل  
يا أيها الناس اني رسول الله  
اليكم ) بعث كل رسول الى  
قومه خاصة وبعث محمد  
صلى الله عليه وسلم الى كافة  
الانس وكافة الجن ( جميعا )  
حال من اليكم ( الذي له ملك  
السموات والارض ) في  
محل النصب باضمراء غنى  
وهو نصب على المدح

( ونصروه ) بالسيف  
( واتبعوا النور ) القرآن  
( الذي أنزل معه ) أنزل  
جبرائيل به عليه أحلوا  
حلاله وحرّموا حرامه  
( أولئك هم المفلحون )  
الناجون من السخط  
والعذاب ( قل ) يا محمد  
( يا أيها الناس اني رسول الله  
اليكم جميعا ) كافة ( الذي له  
ملك حزائن ) السموات  
والارض

﴿ ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ أي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لأنه  
باعتباره ظاهرة ظاهر امره مظهر غيره أولانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا  
باتبعوا أي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة ﴿ أولئك  
هم المفلحون ﴾ الفائزون بالرجة الايدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى  
صلى الله عليه وسلم ﴿ قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم ﴾ الخطاب عام وكان رسول الله  
صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم ﴿ جميعا ﴾ حال  
من اليكم ﴿ الذي له ملك السموات والارض ﴾ صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق  
المضاف اليه لانه كالمقدم عليه أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره

يعنى وقروه وعظموه وأصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله  
عليه وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله ﴿ ونصروه ﴾ يعنى  
على أعدائه ﴿ واتبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ يعنى القرآن سمي القرآن نورا لانه  
يستدير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم  
﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ يعنى هم الناجون الفائزون بالهداية ﴿ قوله عز وجل  
﴿ قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل  
يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض في الآية دليل على عموم  
رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا أيها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله  
عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضى كونه مبعوثا الى جميع الناس  
(ق) عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خصالا لم يعطهن أحد  
قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحر وأسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل  
لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فإما رجل أدركته الصلاة صلى  
حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وفي  
رواية أعطيت خصالا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر  
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فإما رجل من امتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي  
الغنائم ولم تحل لاحد من قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت  
الى الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل أحر وأسود قيل أراد بالاجر  
العجم وبالا سود العرب وقيل أراد بالاجر الانس وبالا سود الجن فعلى هذا تكون رسالته  
صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن (م) عن أبي هريرة رضى الله  
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بستة أعطيت جوامع الكلم  
ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت  
الى الخلق كافة وختم بي النبيون ﴿ قوله عز وجل ﴿ الذي له ملك السموات والارض ﴾  
لما أمر الله عز وجل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول يا أيها الناس اني رسول الله  
اليكم جميعا أردفه بما يدل على صحة دعواه يعنى ان الذي له ملك السموات والارض وهو

( لا اله الا هو ) بدل من الصلوة وهى له ملك السموات والارض وكذلك ( يحيى ويميت ) وفى لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفى يحيى ويميت بيان لاختصاصه بالالهية اذ لا يقدر على الاحياء والامانة غيره ( فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى ) الجزء التاسع يؤمن بالله ﴿ ٦٥٠ ﴾ الذى وكلماته أى الكتب المنزلة ( واتبعوه

لعلكم تهتدون ) ولم يقل فآمنوا بالله وبى بعد قوله انى رسول الله اليكم لتجربى عليه الصفات التى أجزبت عليه ولما فى الالتفات من منزلة البلاغة وتويع ان الذى واجب الايمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته كأنما من كان أنا وأغيرى اظهار للنصفه وتفادي من العصبية لنفسه ( ومن قوم موسى أمة يهدون الناس بالحق ) أى يهدون الناس محقين أو بسبب الحق الذى هم عليه ( وبه يعدلون ) وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج أو هم عبدالله ابن سلام واضرا به

( لا اله الا هو ) لا رازق ( الا هو يحيى ويميت ) فى الدنيا ( فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله ) الذى هو يؤمن بالله ( وكلماته ) بكتابه القرآن وان قرأت وكلمته يقول ويعيسى انه صار بكلمة

﴿ لا اله الا هو ﴾ وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفى ﴿ يحيى ويميت ﴾ مزيد تقرير لاختصاصه بالالهية ﴿ فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته ﴾ ما نزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرىء وكلمته على ارادة الجنس أو القرآن أو عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتبنيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ جعل رجاء الاهتداء اثر الاصرين تنبيه على ان من صدقه ولم يتابعه بالانتماء شرعه فهو يعد فى خطط الضلالة ﴿ ومن قوم موسى ﴾ يعنى من بنى اسرائيل ﴿ أمة يهدون بالحق ﴾ يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق ﴿ وبه يعدلون ﴾ يعدلون فى الحكم والمراد بها الثابتون

مدبرهما وملك أمرهما هو الذى أرسلنى اليكم وأمرنى بان أقول لكم انى رسول الله اليكم جميعا ﴿ لا اله الا هو يحيى ويميت ﴾ وصف الله نفسه بالالهية وانه لا شريك له فيها وانه القادر على احياء خلقه واماتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه ﴿ فآمنوا بالله ورسوله ﴾ لما أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس انى رسول الله اليكم جميعا امر الله جميع خلقه بالايمان به ورسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عنه فلهدا بدأ بالايمان بالله ثم نثى بالايمان برسوله فقال فآمنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى ﴿ النبي الامى ﴾ تقدم معناه ﴿ الذى يؤمن بالله وكلماته ﴾ قال قتادة يعنى آياته وهو القرآن وقال مجاهد والسدى أراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعنى يؤمن بجميع كلمات الله تعالى ﴿ واتبعوه ﴾ يعنى واقتدوا به أيها الناس فيما يأمركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة فى الاقوال ومتابعة فى الافعال أما المتابعة فى الاقوال فبان يمثل التابع جميع ما أمره المتبوع على طريق الامرو والنهى والترغيب والترهيب وأما المتابعة فى الافعال فبان يقتدى به فى جميع أفعاله وآدابه الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه ﴿ قوله عز وجل ﴾ لعلكم تهتدون ﴿ يعنى لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب فى متابعتكم اياه ﴿ قوله عز وجل ﴾ ومن قوم موسى ﴿ يعنى من بنى اسرائيل ﴾ أمة ﴿ أى جاعة يهدون بالحق ﴾ يعنى يهدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه ﴿ وبه يعدلون ﴾ يعنى وبالحق يحكمون وبالعدل يأخذون ويعطون ويتصفون واختلفوا فى هؤلاء من هم فقيل هم الذين أسلموا من بنى اسرائيل مثل عبدالله بن سلام وأصحابه فانهم آمنوا بموسى والتوراة وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض

من الله مخلوقا يعنى كن فكان ( واتبعوه ) اتبعوا دين محمد صلى الله عليه وسلم ( لعلكم تهتدون ) لكي تهتدوا من ( على ) الضلالة بالايمان ( ومن قوم موسى أمة ) جاعة ( يهدون ) يأمرون ( بالحق وبه يعدلون ) وبالحق يعملون وهم الذين وراة نهر الرمل

على الايمان القاعون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيهها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستقر وقيل مؤمنواهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين را هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به ﴿ وقطعناهم ﴾ وصيرناهم قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض ﴿ اثنى عشرة ﴾ مفعول ثانٍ لقطع فانه متضمن معنى صيراً وحال وتأنيته للحمل على الامة أو القطعة ﴿ اسباطا ﴾ بدل منه ولذلك جمع أو تميزه على ان كل واحدة من اثني عشرة

(وقطعناهم) وصيرناهم  
قطعاً أي فرقا وميزنا بعضهم  
من بعض (اثنى عشرة  
اسباطا) كقولك اثنى  
عشرة قبيلة والاسباط  
أولاد الولد جمع سبط وكانوا  
اثنى عشرة قبيلة من  
اثنى عشر ولدا من ولد  
يعقوب عليه السلام نعم  
ميز ما عدا العشرة مفرد  
وكان ينبغي ان يقال اثنى  
عشر سبطا لكن المراد  
وقطعناهم اثنى عشرة قبيلة  
وكل قبيلة اسباط لاسبط  
فوضع اسباط موضع قبيلة  
(وقطعناهم) فرقناهم  
(اثنى عشرة اسباطا)

على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الامة يقتضى الكثرة وأجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كافي قوله ان ابراهيم كان أمة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جرير وجماعة من المفسرين ان بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتدروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتسا قال ابن جرير قال ابن عباس رضى الله عنهما ساروا في السرب سنة ونصفارواه الطبري وحكى البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع قالوا هم قوم خلف الصين باقصى الشرق على نهر يسمى نهر الاردن ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يظرون بالليل ويصيحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم أحد مناوهم على الحق وذكر لنا ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به فكلهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يارسول الله ان موسى أو صانا ان من أدرك منكم أحد فليقرأ منى عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم موسى وأقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يستنون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان أحدا منا لا يصل اليهم واذا كان كذلك فن ذا الذي أوصل خبرهم الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به وهذا لم يرد به نقل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صبح في حديث المعراج أنه سلم عليه في السماء السادسة وأيضا قولهم وأقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة أكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يأمرهم بها قبل فرضيتها فاذا ثبت بما ذكرناه بطالان هذه الرواية فالخيار في تفسير هذا الآية انها اما ان تكون نزلت في قوم كانوا متمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون قد نزلت فيمن أسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه والله أعلم بما راده ﴿ قوله تعالى ﴿ وقطعناهم ﴾ يعني وفرقنا بنى اسرائيل ﴿ اثنى عشرة اسباطا ﴾ يعني من

(أما) بدل من اثنتي عشرة راي وقطعناهم أما لان كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ماتومه الاخرى ( وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه أن اضرب بعصاك الحجر ) فاضرب ( فانجبت ) فانفجرت ( منه ) اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس { الجزء التاسع } مشربهم ( ٦٥٢ ) هو اسم جمع غير تكسير

اسباط فكأنه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرى بكسر الشين واسكانها (أما) على الاول بدل بعد بدل أو نعت اسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا ( وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه ) في التيه ( ان اضرب بعصاك الحجر فانجبت ) أي فاضرب فانجبت وحذفه للاياء على ان موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته ( منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس ) كل سبط ( مشربهم ) وظلنا عليهم الغمام ( ليقبهم حرا الشمس ) وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا ( أي وظلناهم كلوا ) من طيات مازقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ( سبق تفسيره في سورة البقرة ) واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية ( باخمار اذكرو القرية بيت المقدس ) وكلوا منها حيث شئتم

( وظلنا عليهم الغمام ) وجعلناه ظليلا عليهم في التيه ( وأنزلنا عليهم المن والسلوى ) وقلنا لهم ( كلوا من طيات مازقناكم وما ظلمونا ) أي وما رجح البناضر ظلمهم بكفرانهم النعم ( ولكن كانوا انفسهم يظلمون ) ولكن كانوا يضررون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم ( واذ قيل لهم ) واذكرو اذ قيل لهم ( اسكنوا هذه القرية ) بيت المقدس ( وكلوا منها حيث شئتم )

أولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل وأولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا (أما) يعني جماعات وقبائل ( وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه ) يعني في التيه ( ان اضرب بعصاك الحجر فانجبت ) يعني فانفجرت وقيل عرقت وهو الانجاس ( منه ) أي من الحجر ( اثنتا عشرة عينا ) يعني لكل سبط عين ( قد علم كل أناس مشربهم ) يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم ( وظلنا عليهم الغمام ) يعني في التيه يقيم حرا الشمس ( وأنزلنا عليهم المن ) هو الترنجيبين ( والسلوى ) جنس من الطير جعل الله ذلك طعاما لهم في التيه ( كلوا من طيات مازقناكم ) أي وقلنا كلوا ( وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ) في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيات مازقناكم فاجوا ذلك وسئوه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوه غيره لان المكلف اذا أمر بشئ فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا يعني وما ادخلوا علينا في ملكنا وسطاننا نقصا بمسئلتهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني بمخالفهم ما أمروا به وقد تقدم بسط الكلام على هذه الآية في سورة البقرة قوله عز وجل ( واذ قيل لهم ) يعني واذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل ( اسكنوا هذه القرية ) يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه ( وكلوا منها حيث شئتم ) يعني وكلوا من ثمار القرية ورروعها وجوبها وبقولها حيث شئتم وأين شئتم وقال في البقرة فكلوا بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للاكل عقبه فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقب

(أما) سبطا سبطا تسعة اسباط ونصف سبط من قبل المشرق عند مطلع الشمس خلف الصين على نهر رمل يسمى اردن وسبطين ونصفا في جميع العالم ( وأوحينا الى موسى ) اذا استسقاء قومه ( في التيه ) أن اضرب بعصاك الحجر ( الذي معك ) فانجبت ( فانجبت ) ( منه ) من الحجر ( اثنتا عشرة عينا ) نهر ( قد علم كل أناس ) سبط ( مشربهم ) من النهر ( وظلنا

عليهم الغمام ) في التيه كان يظلمهم بالنهار من الشمس ويضئ لهم بالليل مثل السراج ( وأنزلنا عليهم ) ( السلوى ) المن والسلوى ( في التيه ) كلوا من طيات مازقناكم ( أعطيناكم من المن والسلوى ) ( وما ظلمونا ) ما نقصونا وما ضررنا بما عرفوا ( ولكن كانوا انفسهم يظلمون ) ينقصون ويضررون ( واذ قيل لهم اسكنوا ) انزلوا ( هذه القرية ) قرية اريحا ( وكلوا منها حيث شئتم )

وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ﴿ مثل ما مر في سورة البقرة معنى غير  
شامى ﴾ سنزيد المحسنين فبدل الذين ﴿ ٦٥٣ ﴾ ظلّموا منهم قولا غير الذى ﴿ سورة الاعراف ﴾ قيل لهم فارسنا عليهم رجزا

من السماء بما كانوا يظلمون ﴿ ولا تناقض بين قوله اسكنوا  
هذه القرية وكلوا منها في هذه  
السورة وبين قوله في سورة  
البقرة ادخلوا هذه القرية  
فكلوا لوجود الدخول  
والسكنى وسواء قدموا  
الحطة على دخول الباب  
أو آخروها فهم جامعون  
بينهما وترك ذكر الرغد  
لا يناقض اثباته وقوله نغفر  
لكم خطاياكم سنزيد  
المحسنين موعدا بشيئين  
بالغفران وبالزيادة وطرح  
الواو لا يخل بذلك لانه  
استئناف مرتب على قول  
القائل وماذا بعد الغفران  
فقبل له سنزيد المحسنين  
وكذلك زيادة منهم زيادة  
بيان وأرسلنا وأنزلنا  
ويظلمون ويفسقون من  
واد واحد (وأسألهم)

وأسأل اليهود (عن القرية)  
أيلة أو مدين وهذا السؤال  
للتقرع بقديم كفرهم  
(التي كانت حاضرة البحر)

وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ﴿ مثل ما مر في سورة البقرة معنى غير  
ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا  
اكتفاء بذكره ثمة أو بدلالة الحال عليه واما تقديم قوله قولوا على وادخلوا فلا اثر له  
في المعنى لانه لم يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما ﴿ نغفر لكم خطاياكم  
سنزيد المحسنين ﴾ وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف  
للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما سروا به ﴿ قرأ نافع وابن عامر ويعقوب نغفر  
بالتاء والبناء للمفعول وخطياكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحده وقرأ أبو عمر وخطاياكم  
﴿ فبدل الذين ظلّموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا  
يظلمون ﴾ مضى تفسيره فيها ﴿ وأسألهم ﴾ للتقرير والتقرع بقديم كفرهم وعصيانهم  
والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم أو وحى لتكون لك مجزة عليهم  
﴿ عن القرية ﴾ عن خبرها وما وقع باهلها ﴿ التي كانت حاضرة البحر ﴾ قرينة منه

السكنى فيكون الاكل حاصل متى شأوا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله ههنا لان  
الاكل عقب الدخول الذواكل فاما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن  
دخول لفظة رغدا هناك بخلافه ههنا ﴿ وقولوا حطة ﴾ أى حط عن ذنوبنا ﴿ وادخلوا  
الباب سجدا ﴾ وقال في البقرة عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك  
تعظيم امر الله و اظهار الخضوع والخشوع له في متفاوت الحال بسبب التقديم والتأخير  
﴿ نغفر لكم خطاياكم ﴾ يعنى نغفر لكم ذنوبكم ولم نؤاخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم  
وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة أو كثيرة اذا اتوا بالدعاء  
والتضرع ﴿ سنزيد المحسنين ﴾ وقال في سورة البقرة وسنزيد بالواو ومعناه أنه قد وعد  
المسيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بهذا المعنى  
لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقبل له سنزيد المحسنين  
﴿ فبدل الذين ظلّموا منهم قولا غير الذى قيل لهم ﴾ يعنى فغير الذين ظلّموا أنفسهم  
بمخالفة أمرنا من بنى اسرائيل فقالوا قولا غير الذى قيل لهم وأمروا به وذلك انهم أمروا  
أن يقولوا حطة فقالوا حطة في شميرة فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم ﴿ فارسنا عليهم  
رجزا من السماء ﴾ يعنى بعثنا عليهم عذابا من السماء أهلكهم ولا منافاة بين قوله تعالى هنا  
أرسلنا وبين قوله في سورة البقرة أنزلنا لانهما لا يكونان الا من أعلى إلى أسفل وقيل  
بينهما فرق وهو ان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكانه تعالى بدأ بانزال  
العذاب قليلا ثم أرسله عليهم كثيرا ﴿ بما كانوا يظلمون ﴾ يعنى ان ارسال العذاب عليهم  
بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما انهم لما ظلموا  
أنفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة  
أيضا في تفسير سورة البقرة ﴿ قوله عز وجل ﴾ وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر

الخطيئة وقالوا (قولا غير الذى قيل لهم) أمر لهم امر وادخلوا حطة فقالوا حطة سمقانا (فارسنا عليهم رجزا من السماء) طاعونا من السماء  
(بما كانوا يظلمون) يغيرون (وأسألهم) يا محمد يعنى اليهود (عن القرية) عن خبر القرية وهى تسمى ايلة (التي كانت حاضرة البحر)

قريبة منه ( اذ يعدون في يوم السبت وقد نهوا عنه اذ يعدون في محل الجربدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل وأسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتغال ( اذ تأتيمهم ) منصوب بيعدون أو بدل بعد بدل ( حيتانهم ) جمع حوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ( يوم سبتهم شرعا ) ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها يترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى اذ يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت بينهم ويبدل عليه ( ويوم لا يستبتون لا تأتيمهم ) ويوم ظرف لا تأتيمهم ( كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم

اذ يعدون في السبت )  
 يتعدون يوم السبت بأخذ الحيتان ( اذ تأتيمهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ) جاءت جماعات من غر الماء الى شاطئه ( ويوم لا يستبتون لا تأتيمهم

وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية ( اذ يعدون في السبت ) يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت أو حاضرة أو للمضاف المحذوف أو بدل منه بدل الاشتغال ( اذ تأتيمهم حيتانهم ) ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل وهو قرى يعدون واصله يعدون ويعدون من الاعداد أي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة ( يوم سبتهم شرعا ) يوم تعظيمهم أمر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرى يوم اسبتهم وقوله ( ويوم لا يستبتون لا تأتيمهم ) وقرى لا يستبتون من اسبت ولا يستبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف ( كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم حيرانك عن حال أهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ وتقريع لاسؤال استفهام لانه عليه الصلاة والسلام كان قد علم حال أهل هذه القرية بوحي الله عز وجل اليه واخباره اياهم بحالهم وانما المقصود بهذا السؤال تقريع اليهود على اقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومعجزاته ليس شيا قد حدث منهم في زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصلا لاسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الاولين ثم أخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب تحالفهم أمر الله عز وجل مسخو اقردة وخنازير واختلفوا في هذه القرية فقال ابن عباس رضي الله عنهما هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب وقيل بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي ما بين مدين وعيون يعني القرية التي كانت على ساحل البحر وقريبة منه ( اذ يعدون في السبت ) يعني يتجاوزون حد الله فيه وما أمرهم به من تعظيمه فخالقوا أمر الله وصادوا فيه السمك ( اذ تأتيمهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ) يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تأتيمهم متابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تأتيمهم يوم السبت مثل الكباش البيض السماء ( ويوم لا يستبتون لا تأتيمهم ) يعني الحيتان ( كذلك نبلوهم ) يعني مثل هذا الاختبار الشديد تختبرهم ونحن أعلم بحالهم ( بما كانوا يفسقون ) يعني ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما أمروا به قال أهل التفسير ان اليهود أمروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو ان الله أمرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما أراد الله أن يتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم ترائي السبت المقبل فلما ابتلوا به وسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم

(واذا قالت) معطوف على اذيعدون وحكمه حكمه في الاعراب (أمة منهم) جماعة من صلحاء القرية الذين أسوا من وعظهم بعد ما ركبو الصعب والذلول في مواعظهم لآخرين لا يقلعون عن وعظهم (لم تعظون قوما لله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) وإنما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة الى ربكم) أي مواعظتنا ابلاء عذر الى الله لئلا تنسب في النهي عن المنكر الى التفريط معذرة حفص على انه مفعول له أي وعظناهم للمعذرة (واعلمهم يتقون) ولطمعنا في أن (واذا قالت أمة) جماعة (منهم لم تعظون قوما لله مهلكهم) بالمسح (أو معذبهم عذابا شديدا) بالنار (قالوا معذرة الى ربكم) حجة لنا عذر ربكم (واعلمهم يتقون) عن أخذ الحيتان يوم السبت وكانوا ثلاثة نفر نفر كانوا يصطادون ويأمرون بذلك ونفر كانوا لا يصطادون ولا ينهاون عن ذلك ونفر كانوا لا يصطادون وينهون عن ذلك فمسح نفر الذين كانوا يصطادون ويأمرون بذلك ونجوا

لو قيل كذلك متصل بما قبله أي لاتأنيهم مثل آياتهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون ﴿واذ قالت﴾ عطف على اذيعدون ﴿أمة منهم﴾ جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتمعوا في مواعظهم حتى اسوا من اعاظهم ﴿لم تعظون قوما لله مهلكهم﴾ محترمهم ﴿أو معذبهم عذابا شديدا﴾ في الآخرة لتعاديتهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم أو سؤال عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم أو قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعومهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به واعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم ﴿قالوا معذرة الى ربكم﴾ جواب للسؤال أي مواعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا تنسب الى تفريط في النهي عن المنكر \* وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أو العلة أي اعتذرنا به معذرة أو وعظناهم معذرة ﴿واعلمهم يتقون﴾

انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياض على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرأوا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا فيه وأكلوا وباعوا وصار أهل القرية أحزابا ثلاثة وكانوا نحو من سبعين ألفا ثلاث نهبوا عن الاصطياد وثلاث سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهين لم تعظون قوما لله مهلكهم وثلاث هم أصحاب الخطيئة الذين خالفوا أمر الله واصطادوا وأكلوا وباعوا فلما ينهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاين باب ولعنهم داود عليه الصلاة والسلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان لهم لسانا لعل الحجر قد غلبتهم ففعلوا على الجدار الذي بينهم فاذا هم قد مسخروا قرده ففتحوا عليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القردة يعرفون أنسابهم من الناس ولم يعرف الناس أنسابهم من القردة فجعلت القردة تأتي أنسابها من الناس فتشم ثيابها فيقول لهم أهلوهم ألم نهكم فتقول القردة برأسها نعم فنجبا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى ﴿واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما لله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم﴾ واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان أهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت وأصاب الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة أمسكت عن الصيد وسكتت عن مواعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما لله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يعني انهم لا موهم على مواعظة قوم يعلمون أنهم غير معتدين ولا مزجرين فقالت الفرقة الناهية للذين لا موهم معذرة الى ربكم يعني ان مواعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فوعظتنا لهؤلاء عذر لنا عند الله ﴿واعلمهم يتقون﴾ أي وجأز عندنا أن يتقفوا بالمواعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان أهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة علمت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما لله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انهن اقبل أن ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنتهوا عما أنتم فيه فقالت



يقولوا ( فلما نسوا ) أى  
أهل القرية لما تركوا  
( ماذكروا به ) ماذكرهم  
به الصالحون ترك الناسى  
لما ينسأه ( أنجينا الذين  
ينهون عن السوء ) عن  
العذاب الشديد ( وأخذنا  
الذين ظلموا ) الراكبين  
للمنكر والذين قالوا لم تعظون  
من الناجين فعن الحسن  
نجت فرقتان وهلكت  
فرقة وهم الذين أخذوا  
الحيطان ( بعذاب بيئس )  
شديد يقال بؤس بيؤس  
بؤسا اذا اشتد فهو بيئس  
بيئس شامى بيئس مدنى  
بيئس على وزن فيعل أبو  
بكر غير حاد ( بما كانوا  
يفسقون فلما عتوا عما  
نهوا عنه قلنا لهم كونا قردة  
خاسئين ) أى جعلناهم قردة  
أذلاء مبعدين وقيل فلما  
عتوا تكرر لقلوله فلما نسوا  
والعذاب البيئس هو

الآخران ( فلما نسوا  
ماذكروا به ) تركوا ما  
أمرؤ به ( أنجينا الذين  
ينهون عن السوء ) عن أخذ  
الحيطان يوم السبت ( وأخذنا  
الذين ظلموا ) بأخذ الحيطان  
يوم السبت ( بعذاب بيئس )  
شديد ( بما كانوا يفسقون )  
يعصون ( فلما عتوا ) أبوا  
( عما نهوا عنه قلنا لهم كونا )

اذ اليأس لا يحصل الا بالله الاك \* فلما نسوا \* تركوا ترك الناسى \* ماذكروا به \*  
ماذكركم به صلحاؤهم \* أنجينا الذين يهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا \* بالاعتداء  
ومخالفة امر الله \* بعذاب بيئس \* شديد فعيل من بؤس بيؤس بؤسا اذا اشتد \* وقرأ  
ابوبكر بيئس على وزن فعيل كضيم \* وابن عامر بيئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه  
بيئس كخذر كقريء به فحذف عنه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد \* وقرأ نافع بيئس على  
قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب أو على انه فعل الهم وصفه بفعل اسماء \* وقرئ بيئس  
كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيئس على التخفيف كهيئس وبيئس كفاعل \* بما كانوا  
يفسقون \* بسبب فسقهم \* فلما عتوا عما نهوا عنه \* تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى  
وعتوا عن امر ربهم \* قلنا لهم كونا قردة خاسئين \* كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان  
نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى ان الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك  
فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى \* روى ان الناهين لما  
ايسوا من اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسوا القرية بحدار فيه باب مطروق فاصبحوا  
يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم  
قردة فلم يعرفوا انسابهم ولكن القروء تعرفهم فجعلت تأتي انسابهم وتشم ثيابهم

لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما لله مهلكم أو معذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا  
وقد علمت ان الله مهلكنا أو منزل بنا عذابه والقول الاول أصح لانهم لو كانوا فرقتين  
لكان قولهم معذرة الى ربكم خطايا من الناهية للمعتدية \* قوله عز وجل \* فلما نسوا  
ماذكروا به \* أى فلما تركوا ما وعظوا به \* أنجينا الذين يهون عن السوء \* وهم  
الفرقة الناهية \* وأخذنا الذين ظلموا \* يعنى الفرقة المعتدية العاصية \* بعذاب بيئس \*  
أى شديد وجيع من البأس وهو الشدة \* بما كانوا يفسقون \* يعنى أخذناهم بالعذاب  
بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال أسمع الله  
يقول أنجينا الذين يهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بيئس فلا أدري ما فعلت  
الفرقة الساكنة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت له جعلنى الله فداءك ألا تراهم قد أنكروا  
وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما لله مهلكهم وان لم يقل الله أنجيتهم لم يقل  
أهلكهم قال فاعجبه قولى ورضى به وأمرلى يبردين فكتسبا لهما وقال نجت الساكنة  
وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة وأهلك  
الله الذين أخذوا الحيطان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان  
وهذه الآية اشد آية في ترك النهى عن المنكر \* قوله عز وجل \* فلما عتوا عما نهوا عنه \*  
قال ابن عباس أبوأن يرجعوا عن المصيبة والعتو عبارة عن الاباء والعصيان والمعنى فلما عتوا  
عما نهوا يعنى عن ترك ما نهوا عنه وعردوا فى العصيان من اعتدائهم فى السبت واستحلالهم  
ما حرم الله عليهم من صيد السمك فى يوم السبت وأكله \* قلنا لهم كونا قردة خاسئين \*  
يعنى صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله فصيرهم

وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم  
 ﴿واذ تأذن ربك﴾ أى اعلم تفعل من الايدان بمعناه كالتوعد والابعاد او عزم لان  
 العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله  
 ولذلك اجيب بجوابه وهو ﴿ليبعثن عليهم الى يوم القيامة﴾ والمعنى واذا وجب  
 ربك على نفسه ليسلطن على اليهود ﴿من يسومهم سوء العذاب﴾ كالاذلال وضرب  
 الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فحرب ديارهم وقتل مقاتلهم  
 وسبي نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى الجوس حتى  
 بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة  
 الى آخر الدهر ﴿ان ربك لسريع العقاب﴾ عاقبهم فى الدنيا ﴿وانه لغفور رحيم﴾  
 قرودة تعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القرودة والخنازير  
 فزعم ان شبان القوم صاروا قرودة وان المشيمة صاروا خنازير قيل انهم بقوا ثلاثة  
 ايام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا ﴿قوله تعالى﴾ واذا تأذن ربك ﴿الخطاب  
 فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تأذن اذن والاذان الاعلام يعنى أعلم ربك وقيل معناه  
 قال ربك وقيل حكم ربك وقيل الى ربك بمعنى أقسم ربك ﴿ليبعثن عليهم﴾  
 اللام فى قوله ليعثن جواب القسم لان قوله واذا تأذن ربك جار مجرى القسم لكونه جزما  
 وجواب القسم ليعثن عليهم واختلفوا فى الضمير فى عليهم الى من يرجع فقيل يقتضى أن يكون  
 راجعا الى قوله فلما عتوا عما نوا عنه قلنا لهم كانوا قرودة خاسئين لكن قد علم ان الذين  
 مسخوالم ببق منهم أحد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الذل بهم وقيل  
 بان المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من أهل القرية كانوا صالحين والذى  
 بعثه الله على اليهود وهو بخت نصر وسنخاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل  
 المراد بقوله ليعثن عليهم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى  
 بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فآزم من لم يسلم منهم الصغار  
 والذلة والهوان والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة واورد على هذا بان فى آخر الزمان  
 يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود أتباعه وأشياعه وأجيب عنه بان  
 ذلك العز الذى يحصل لهم هو فى نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الهية الدجال فيزدادون  
 كفرا على كفرهم فاذا هلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فذلك هو الذلة  
 والصغار المشار اليه بقوله تعالى ليعثن عليهم ﴿الى يوم القيامة يسومهم سوء العذاب﴾  
 وهذا نص فى أن العذاب انما يحصل لهم فى الدنيا مستمرا عليهم الى يوم القيامة ولهذا  
 فسر هذا العذاب بالاعانة والذلة وأخذ الجزية منهم فاذا أنفصوا الى الآخرة كان  
 عذابهم أشد وأعظم وهو قوله تعالى ﴿ان ربك لسريع العقاب﴾ يعنى لمن أقام على الكفر  
 ففيه دليل على أنه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم  
 فى الدنيا والآخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى ﴿وانه لغفور رحيم﴾ يعنى لمن آمن منهم  
 ( رحيم ) لمن آمن به

هو المسخ قيل صار الشبان  
 قرودة و الشيوخ خنازير  
 وكانوا يعرفون أقاربهم  
 ويبكون ولا يتكلمون  
 و الجمهور على انها ماتت  
 بعد ثلاث وقيل بقيت  
 وتناقلت (واذ تأذن ربك)  
 أى أعلم و أجرى مجرى  
 فعل القسم ولذا أوجب بما  
 يجاب به القسم وهو قوله  
 (ليبعثن عليهم) أى كتب  
 على نفسه ليسلطن على اليهود  
 (الى يوم القيامة من يسومهم)  
 من بوليهم (سوء العذاب).  
 فكانوا يؤدون الجزية  
 الى الجوس الى أن بعث  
 محمد صلى الله عليه وسلم  
 فضر بها عليهم فلا تزال  
 مضروبة عليهم الى آخر  
 الدهر (ان ربك لسريع  
 العقاب) للكفار (وانه  
 لغفور رحيم) للمؤمنين  
 (واذ تأذن ربك) قال لهم ربك  
 (ليبعثن) ليسلطن (عليهم)  
 الى يوم القيامة من يسومهم  
 سوء العذاب) من يعذبهم  
 بأشد العذاب بالجزية  
 وغيرها وهو محمد صلى الله  
 عليه وسلم وأمه (ان ربك  
 لسريع العقاب) لشديد  
 العقاب لمن لا يؤمن به  
 (وانه لغفور) متجاوز  
 (رحيم) لمن آمن به

( وقطعناهم في الارض ) { الجزء التاسع } وفرقناهم فيها ﴿ ٦٥٨ ﴾ فلا تخلو بلد عن فرقة (أمامهم الصالحون)

الذين آمنوا منهم بالمدينة  
او الذين وراء الصين  
(ومنهم دون ذلك) ومنهم  
ناس دون ذلك الوصف  
منحطون عندهم الفسقة  
ومحل دون ذلك الرفع وهو  
صفة لموصوف محذوف أى  
ومنهم ناس منحطون عن  
الصالح (وبلوناهم بالحسنات

لمن تاب وآمن ﴿ وقطعناهم في الارض انما ﴾ وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم  
تمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وانما مفعول ثان احوال ﴿ منهم الصالحون ﴾  
صفة اوبدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ﴿ ومنهم دون ذلك ﴾ تقديره  
ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم ﴿ وبلوناهم  
بالحسنات والسيئات ﴾ بالنعم والنقم ﴿ لعلمهم يرجعون ﴾ يتنون فيرجعون عما كانوا  
عليه ﴿ فخلق من بعدهم ﴾ من بعد المذكورين ﴿ خلف ﴾ بدل سوء مصدر  
نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح  
في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ورثوا الكتاب ﴾

والسيئات ) بالنعم والنقم  
والخصب والجذب (لعلمهم  
يرجعون) يتنون فينبون  
( فخلق من بعدهم ) من  
بعد المذكورين ( خلف )  
وهم الذين كانوا في زمن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم  
والخلف بدل السوء بخلاف  
الخلف فهو الصالح  
(ورثوا الكتاب) التوراة

ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام ﴿ قوله تعالى ﴾ وقطعناهم في الارض  
أما ﴿ يعنى وفرقنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا تجدد بلدا الا وفيه من اليهود  
طائفة وجماعة قال ابن عباس كل أرض يدخلها قوم من اليهود ﴿ منهم الصالحون ﴾  
يعنى من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله  
وثبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم  
عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبري ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين  
عن ابن عباس ومجاهدان المراد بالصالحين الذين أدركو النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود  
وآمنوا به والصحيح ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعد فخلق من بعدهم خلف والخلف انما كان  
بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصالح من بني اسرائيل ﴿ وقوله تعالى ﴾ ومنهم دون  
ذلك ﴿ يعنى الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا وعبثوا ﴿ وبلوناهم ﴾ يعنى جميعا الصالح  
وغيره وهى بلوى اختبار وامتحان ﴿ بالحسنات ﴾ يعنى بالخصب والعافية ﴿ والسيئات ﴾  
يعنى الجذب والشدّة ﴿ لعلمهم يرجعون ﴾ يعنى لكي يرجعوا الى طاعة ربهم ويتوبوا  
اليه قال أهل المعاني كل واحدة من الحسنات والسيئات اذا فسرت بالنعم والشدّة تدعو الى  
طاعة الله تعالى أما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب في الطاعة وأما الشدة فيخاف سوء  
عاقبتها فيهرب منها ﴿ قوله تعالى ﴾ فخلق من بعدهم ﴿ يعنى من بعد هؤلاء الذين  
وصفناهم ﴿ خلف ﴾ يعنى خلف سوء يعنى حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل  
سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثرت ما يقال في المدح  
بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح  
لنا القدم الاولى اليك وخلفنا \* لاولنا في طاعة الله تابع

( وقطعناهم ) فرقناهم  
( في الارض انما ) سبطا  
سبطا ( منهم الصالحون )  
وهم تسعة اسباط ونصف  
الذين وراء نهر الرمل  
( ومنهم دون ذلك ) يعنى دون  
ذلك القوم سائر المؤمنين  
من بني اسرائيل ويقال  
دون ذلك القوم يعنى كفار  
بني اسرائيل ( وبلوناهم  
بالحسنات ) اختبرناهم  
بالخصب والرخاء والنعم  
( والسيئات ) بالقحط  
والجدوبة والشدّة (لعلمهم  
يرجعون ) لكي يرجعوا  
عن معصيتهم وكفرهم

فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال ليدي في الذم  
ذهب الذين يعاش في اكنافهم \* وبقيت في خلف كجلدا لاجرب

ففتح اللام وهو يريد الذم وأصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير في السقاء ويقال  
لردي من القول خلف وخلف الشيء تميز ومنه خلوف فم الصائم والمعنى جاء من  
بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يجي بعد قرن كان قبله  
﴿ ورثوا الكتاب ﴾ يعنى انتقل اليهم الكتاب عن آباءهم والمراد بالكتاب التوراة

( فخلق من بعدهم ) يعنى من بعد الصالحين (خلف) خلف سوء وهم اليهود (ورثوا الكتاب) ( ياخذون )

ووقوفوا على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحریم ولم يعملوا بها ( يأخذون عرض هذا الادنى ) هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع أى حطام ﴿ ٦٥٩ ﴾ هذا الشئ الادنى { سورة الاعراف } يريد الدنيا وما يمتنع به منها

وهو من الذنوب بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الاحكام وعلى تحريف الكلم وفى قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير ( ويقولون سيفقر لنا ) لا يؤخذنا الله بما أخذنا والفضل مستند الى الاخذ أو الى الجار والمجرور أى لنا ( وان يأثم عرض مثله يأخذوه ) الوال للخال أى يرجون المغفرة وهم مصررون عائدون الى مثل فعلهم غير تأبين ( ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ) أى الميثاق المذكور في الكتاب ( أن لا يقولوا على الله الا الحق ) أى أخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب

أخذوا التوراة وكتبوا ما فيها من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ( يأخذون عرض هذا الادنى ) يأخذون على كتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته حرام الدنيا من الرشوة وغيرها ( ويقولون

التوراة من اسلافهم يقرأونها ويقفون على ما فيها ) يأخذون عرض هذا الادنى ﴿ حطام هذا الشئ الادنى يعنى الدنيا وهو من الذنوب والدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشا في الحكومة على تحريف الكلم والجملة حال من الواو ﴿ ويقولون سيفقر لنا ﴾ لا يؤخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفضل مستند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون ﴿ وان يأثم عرض مثله يأخذوه ﴾ حال من الضمير في لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدین الى مثله غير تأبين عنه ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ﴾ اى في الكتاب ﴿ أن لا يقولوا على الله الا الحق ﴾ عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة

﴿ يأخذون هذا الادنى ﴾ العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كايقان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى انهم كانوا يأخذون الرشا في الاحكام على تبديل الكلام وتغييره وذلك الذى يأخذونه من حطام الدنيا هو الشئ التافه الخسيس الحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة والراغب فيها أحقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلمو ما فيها وضموا العمل بما فيها وتركوه وأخذوا الرشا في الاحكام ويعلمون أنها حرام ثم انهم مع اقدمهم على هذا الذنب العظيم يصرون عليه ﴿ ويقولون سيفقر لنا ﴾ يعنى ذنوبنا فيتمنون على الله الامانى الباطلة الكاذبة عن شدا بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى أخرجه الترمذى وقال فى قوله عليه الصلاة والسلام دان نفسه يعنى حاسبها فى الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وتمنى على الله الامانى لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيفقر لنا وهذا هو التمنى بعينه ﴿ قوله عز وجل ﴾ وان يأثم عرض مثله يأخذوه ﴿ وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى أنهم اذا نأهم شئ من الدنيا أخذوه حالاً كان او حراماً ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله أخذوه قال السدى كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى فى الحكم فيقال له ما بالك ترتشى فيقول سيفقر لى فيطعن عليه الآخرون فاذا مات أو نزع من الحكم وجدل مكانه آخر فمن كان يطعن عليه ارتشى أيضاً يقول الله عز وجل وان يأت الآخري عرض الدنيا يأخذوه ﴿ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ﴾ يعنى ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى أحكامهم اليهود والمواثيق فى الكتاب وهو التوراة ﴿ أن لا يقولوا على الله الا الحق ﴾ يعنى انا أخذنا عليهم الميثاق على أن يقولوا الحق فقلوا الباطل وخالفوا أمر الله وهو قولهم سيفقر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقرير لليهود فى ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس رضى الله عنهما هو ما يوجبون على الله من غفران

سيفقر لنا ) ما فعل بالليل من الذنوب يفقر لنا بالليل وما نعمل بالليل يفقر لنا بالليل ( وان يأثم ) اليوم ( عرض مثله ) حرام مثله مثل ما نأهم أمس ( يأخذوه ) يستحلوه ( ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ) الميثاق فى الكتاب ( ان لا يقولوا على الله الا الحق ) الا الصدق

(ودرسوا مافيه) وقرؤا مافي الكتاب وهو عطف على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا مافيه ( والدار الآخرة خير ) من ذلك العرض الحسيس ( للذين يتقون ) الرشا والمحارم ( أفلا يعقلون ) انه كذلك وبالتاء مدني وحفص ( والذين يمسون بالكتاب ) يمسون أبوبكر وأمسك والتمسك والاعتصام والتعلق بشئ ( وأقاموا الصلاة ) خص الصلاة مع ان التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لانها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر ( انا { الجزء التاسع } لانضيق أجر ﴿ ٦٦٠ ﴾ المصلحين) انا لانضيق أجرهم وجازان

يكون مجرور اعطفا على للذين يتقون وانا لانضيق اعتراض ( واذنقتنا الجبل فوقهم ) واذكر اذقلناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقكم الطور ( كأنه ظلة ) هي كل ما أظلك من سقيفة

( ودرسوا ) قرؤا ( مافيه ) من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ويقال قرؤا مافيه من الحلال والحرام ولم يعملوا به ( والدار الآخرة ) يعني الجنة ( خير ) أفضل ( للذين يتقون ) الكفر والشرك والفواحش والرشوة وتعير صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة من دار الدنيا ( أفلا تعقلون ) ان الدنيا فانية والآخرة باقية ( والذين يمسون بالكتاب ) يعملون بما في الكتاب يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويبينون

والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ﴿ ودرسوا مافيه ﴾ عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض ﴿ والدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾ بما يأخذ هؤلاء ﴿ أفلا يعقلون ﴾ فيعلوا ذلك ولا يستبدلوا الاذني الذي المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلويح ﴿ والذين يمسون بالكتاب واقاموا الصلاة ﴾ عطف على الذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره ﴿ انا لانضيق أجر المصلحين ﴾ على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمرة تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابوبكر يمسون بالتخفيف و افراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات ﴿ واذنقتنا الجبل فوقهم ﴾ اي قلناه ورفعناه فوقهم واصل التثني الجذب ﴿ كأنه ظلة ﴾ سقيفة وهي

ذوهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها ﴿ ودرسوا مافيه ﴾ يعني مافي الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما أخذ عليهم من المهود والنواثيق في الكتاب لانهم درسوا له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به ﴿ والدار الآخرة ﴾ يعني وما في الدار الآخرة مما أعد الله لوليائه وأهل طاعته العاملين بما أمرهم الله به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام ﴿ خير للذين يتقون ﴾ يعني يتقون الله ويخافون عقابه ﴿ أفلا يعقلون ﴾ يعني أفلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا أن مافي الآخرة خير وأبقى لانها دار المتقين ﴿ والذين يمسون بالكتاب ﴾ يقال مسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وأمسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بمافيه من احلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الآية في الذين أسلموا من أهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام وأصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يجرؤوه ولم يغيروه فاداهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القرآن ﴿ وأقاموا الصلاة ﴾ يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما أفردا بالذكر وان كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من أعظم العبادات بمدا الايمان بالله وبرسوله ﴿ انا لانضيق أجر المصلحين ﴾ قوله عز وجل ﴿ واذنقتنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ﴾ يعني واذكر يا محمد اذقلنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرائيل كأنه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما علا الانسان كالسقف ونحوه

صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ( وأقاموا الصلاة ) أتموا الصلوات الخمس ( انا لانضيق ) ( وظنوا ) لانبطل ( أجر المصلحين ) ثواب المحسنين بالفعال والفعل يعني عبدالله بن سلام وأصحابه ( واذنقتنا الجبل ) قلنا ورفعنا وحبسنا الجبل ( فوقهم ) فوق رؤسهم ( كأنه ظلة ) عالى

أو سحاب (وظنوا انه واقع بهم) وعلوا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا ﴿ ٦٦١ ﴾ في فرسخ { سورة الاعراف } وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها

والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الا اليسر وهو ينظر بعينه النبي الى الجبل فرقا من سقوطه فذلك لا ترى يهوديا يحد الاعلى حاجبه الا اليسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنها العقوبة وقتلنا لهم (خذوا ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه

(واذكر وامانيه) من الاوامر والنواهي ولا تنسوه (اعلمكم تتقون) ما أنتم عليه (واذا أخذتكم من بني أم) أي واذا أخذتكم من ظهورهم (بذل من بني آدم والتقدير واذا أخذتكم من ظهور بني آدم ذريتهم) ومعنى أخذتكم ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من أصلاب آبائهم (وأشهدهم على أنفسهم ألت بربكم قالوا بلى

(وظوا) علوا وأيقنوا (أنه واقع بهم) نازل عليهم ان لم يقبلوا الكتاب (خذوا ما آتيناكم) اعلموا بما أعطيناكم (بقوة) يجحدوا مواظبة النفس

كل ما ظلك ﴿ وظنوا ﴾ وسيقنوا ﴿ انه واقع بهم ﴾ ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجـو ولا يمشى كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم ﴿ خذوا ﴾ على اضمار القول اي وقتلنا خذوا او قاتلنا خذوا ﴿ ما آتيناكم ﴾ من الكتاب ﴿ بقوة ﴾ بجحد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ بالعمل به ولا تتركوه كالنسي ﴿ لعلمكم تتقون ﴾ قبائح الاعمال ورتائل الاخلاق ﴿ واذا خذتكم من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾ اي اخرج من اصلاهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض قرأ نافع وابوعمر وابن عامر ويعقوب ذرياتهم ﴿ واشهدهم على انفسهم الست بربكم ﴾ اي ونصب لهم دلائل ربوبية وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكينهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله ﴿ قالوا بلى

﴿ وظنوا ﴾ أي وعلوا وأيقنوا ﴿ انه واقع بهم ﴾ يعني الجبل ﴿ خذوا ﴾ يعني وقتلنا لهم خذوا واضمار القول كثير في القرآن وكلام العرب ﴿ ما آتيناكم ﴾ يعني التوراة ﴿ بقوة ﴾ يعني بجحد واجتهاد ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ يعني واعلموا بما فيه من الاحكام ﴿ لعلمكم تتقون ﴾ قال أصحاب الاخبار ان بني اسرائيل لما ابوا أن يقبلوا أحكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة أمر الله عز وجل جبريل فرفع جبلا عظيما حتى صار على رؤسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد منهم على حده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه النبي الى الجبل خوفا أن يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود الاعلى شق وجوههم الايسر ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا أخذتكم من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ﴿ الآية ﴾ عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سئل عن قوله سبحانه وتعالى واذا أخذتكم من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال سئل عنهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار اخرجته مالك في الموطأ وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسنادين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث

(واذكر وامانيه) من الثواب والعقاب ويقال احفظوا ما فيه من الامرو النهي ويقال اعلموا بما فيه من الحلال والحرام (لعلمكم تتقون لكي تتقوا السخط والعتاب وتطيعوا الله) (واذ) وقد (أخذتكم) يا محمد يوم الميثاق (من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) يقول ذريتهم من ظهورهم مقدم ومؤخر (وأشهدهم) استنطقهم (على انفسهم ألت بربكم قالوا بلى

الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن يعمر بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فاعجبه وبص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال داود قال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يارب زده من عمرى أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر آدم الأربعين جاءه ملك الموت فقال آدم أولم يبق من عمرى أربعون سنة قال أولم تعطها ابنك داود فبجد آدم فبجد ذريته ونسى آدم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطى فخطت ذريته أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وأما تفسير الآية فقوله سبحانه وتعالى وإذا أخذ ربك يعباد إذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم يعنى من ظهور بنى آدم وإنما لم يذكر ظهر آدم وان كان الله سبحانه وتعالى أخرج جميع الذرية من ظهره لأن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الانشاء من الآباء فلذلك قال سبحانه وتعالى من بنى آدم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر آدم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو آدم وأخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر آدم استغناء ثم العلماء في تفسير هذه الآية مذهبان \* أحدهما وهو مذهب أهل التفسير والاثر وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبرى بإسناد فيها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذى وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا قال ان أول ما أهبط الله آدم الى الارض أهبطه بدهناه أرض الهند فمسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئ الى يوم القيامة ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين زاد في رواية عنه فحج القلم بما هو كأئن الى يوم القيامة وفي رواية عنه قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذرو كتب أرزاقهم وأجالهم ومصائبهم وفي رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد كل من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفسه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يوفى به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا ولم يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق

الاول على الفطرة وروى الطبري بسنده عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الراس فقال لهم أأست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس أخرج ذرية آدم من ظهره فكلمهم الله وأنطقهم فقال أأست بربكم قالوا بلى ثم أعادها في صلبه فليس أحد من الخلق الا وقد تكلم فقال ربى الله وان القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه وقال السدى أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه كهيئة الذر بيضاء فقال ادخلوا الجنة برحمتى ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر سوداء فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال أأست بربكم قالوا بلى فأعطاهم طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التبعية زاد في رواية وذلك حيث يقول وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظى أقرله بالايمن والمعرفة الارواح قبل خلق أجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم أأست بربكم قالوا بلى فقال لليبيض هؤلاء في الجنة برحمتى وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا في صلب آدم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق جميعا وروى أن الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيرى وأنار بكم لارب لكم غيرى فلا تشركوا بى شيأ فانى سأنتقم ممن أشرك بى ولم يؤمن بى وانى مرسل اليكم رسلا يدكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتبنا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا أنك ربنا لارب لنا غيرك فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغنى والفقر وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال انى أحب أن أشكر فلما قرره بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجائز أن يكون الله سبحانه وتعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال تبارك وتعالى في الذللة قالت علة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير والابنارى مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم صور كالذر وأخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى خوطبوا بقوله يا جبال أوبى معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبى صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة حتى سمعت لامره واتقادت ومعنى قوله أأست بربكم على هذا التفسير قال الله سبحانه وتعالى للذرية الست بربكم فهو ايجاب للرؤية عليهم قالوا بلى يعنى قالت الذرية بلى أنت ربنا فهو جواب منهم له واقرار منهم له بالرؤية واعتراف على انفسهم بالعبودية بالعبودية



شهدنا ان تقولوا يوم القيامة ❀ اى كراهة ان تقولوا ❀ انا كنا عن هذا غافلين ❀

شهدنا) فيه قولان أحدهما أنهم لما أقروا له بالربوبية قال الله عز وجل للملائكة أشهدوا قالوا شهدنا على أقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله سبحانه وتعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستأنف والقول الثانى ان قوله سبحانه وتعالى شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على انفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده وقوله سبحانه تعالى ❀ ان يقولوا ❀ وقرىء بالتاء على خطاب الذرية ومعناه لئلا تقولوا أيها الذرية ❀ يوم القيامة انا كنا عن هذا الميثاق ❀ غافلين ❀ وقرىء أن يقولوا بالياء على القسبة ومعناه لئلا تقولوا أى الذرية انا كنا عن هذا غافلين ❀ والمذهب الثانى فى معنى هذه الآية وهو مذهب أهل الكلام والنظرانه سبحانه وتعالى أخرج الذرية وأنشأهم بعد ان كانوا نطفاتى أصلاب الآباء وهم أولاد بنى آدم فأخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم فى الوجود وأشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقول وأراهم عجائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى وأشهدهم على انفسهم أنه ربهم وذلك بما أظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التى تضطرهم الى ان يعلموا أنه خالقهم وبارئهم وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرّفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على انفسنا انك أنت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور فى كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد أخذ عليه الميثاق بما جعل فيه من السبب الذى يؤخذ به الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية واذا أحذرك من بنى آدم ويشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقل الذى يكون به الفهم والتكليف الذى به يترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة ❀ فان قلت فالاختيار من هذين المذهبين فى تفسير هذه الآية قلت المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا كان المختار فى تفسير هذه الآية هو مذهب السلف فى ذلك وان الله تعالى أخرج الذرية من ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد فى الحديث أيضا فكيف يحمل تفسير ألفاظ هذه الآية على هذا القول قلت قد صرح الحديث بان الله مسح ظهر آدم فأخرج ذريته وأخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم فى تفسير ألفاظ الآية من أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما فى الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر آدم الذى هو أصلهم فبهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث اذ ليس فى معنى ألفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الآية والحديث وحكى الواحدى عن صاحب النظم أنه قال ليس بين قوله عليه الصلاة والسلام ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بحمد الله لانه تعالى انا أخرجهم من ظهر آدم فقد أخرجهم من ظهور ذريته لان ذرية آدم ذرية كذرية بعضهم من بعض قال وتحصل

شهدنا) هذا من باب التمثيل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكانه أشهدهم على انفسهم وقرهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على انفسنا وأقرنا بوحدانيتك (ان يقولوا) مفعول له اى فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن يقولوا (يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين)

شهدنا) علمنا وأقرنا بانك ربنا فقال الله للملائكة أشهدوا عليهم وقال لهم ليشهد بعضكم على بعض (ان تقوا) لكى لا تقولوا (يوم القيامة انا كنا عن هذا) الميثاق غافلين لم يؤخذ علينا

لم ننبه عليه بدليل ﴿ أو تقولوا ﴾ عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو و كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة ﴿ انما اشرك آباؤنا من قبل و كنا ذرية من بعدهم ﴾ فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل و التمكن من العلم به لا يصلح عذرا ﴿ أفهلكتنا بما فعل المبطلون ﴾ يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك و قيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر و احياهم و جعل لهم العقل و النطق و الهمهم ذلك لحديث عمر رضى الله تعالى عنه و قد حقت الكلام فيه في شرحى لكتاب المصابيح و المقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم و الاحتجاج عليهم بالحجج السمعية و العقلية و منهم عن التقليد و جعلهم على النظر

لم ننبه عليه ( أو يقولوا )  
أو كراهة أن يقولوا ( انما )

اشرك آباؤنا من قبل  
و كنا ذرية من بعدهم )

فاقتدينا بهم لان نصب  
الادلة على التوحيد و ما نبهوا

عليه قائم معهم فلا عذر لهم  
في الاعراض عنه و الاقتداء

بالآباء كما لا عذر لآبائهم في  
الشرك و أدلة التوحيد

منصوبة لهم ( أفهلكتنا بما  
فعل المبطلون ) أى كانوا

السبب في شركنا لتأسيسهم  
( أو تقولوا ) لئلا تقولوا

( انما اشرك آباؤنا من قبل ) من  
قبلنا و نقضوا الميثاق و العهد

قبلنا ( و كنا ذرية ) صغارا  
ضعفاء ( من بعدهم ) اقتدينا

بهم ( أفهلكتنا ) أفقتدينا  
( بما فعل المبطلون ) المشركون

قبلنا في نقض العهد

الفائدة هذا الفصل بانه تعالى أثبت الحجة على كل منفوس ممن باغ و ممن لم يبلغ بالميثاق الذى أخذهم عليهم و زاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات و الدلائل التى نصبها بالرسول المنفذة اليهم مبشرين و منذرين و بالمواعظ و قال غيره فائدة أخذ الميثاق عليهم فى القدم أن من مات منهم صغيرا أدخل الجنة باقراره بالميثاق الاول و هذا على قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السوداء و انما اقر و بالعرفه كرها فلم يغن عنهم ذلك شيئا و من بلغ و عقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئا حتى يؤمن و يصدق عنه بلوغه و عقله بان الله ربه و خالقه و يصدق رسله فيما جاؤا به من عنده و انما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انما كنا عن هذا الميثاق أو الايمان بان الله ربنا غافلين أو لئلا تقولوا خلافهم انما اشرك آباؤنا ونحن نسير على آثارهم ظننا منهم أن الحق ما كانوا عليه فان قلت ان ذلك الميثاق لا يذكره أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم أو فكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج عليهم به قلت لما أخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول و أخذ عليهم الميثاق فلما عبدوا الى صلب آدم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية تسيانهم لئلا يمتدأهم بالخطاب على السنة الرسل عليهم الطلوة والسلام و أصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكر اذا الدار دار تكليف و امتحان و لو لم ينسوه لانتفت الحنة و الابتلاء و التكليف فقامت الحجة عليهم لاسدادهم بارسل و اعلامهم بجران أحد الميثاق عليهم و بذلك قامت الحجة عليهم أيضا يوم القيامة لاخبار الرسل ايهم بذلك الميثاق فى الدنيا فن أنكره كان معاندا ناقضا للعهد و لزمهم الحجة و لم تسقط الحجة عنهم بنسيانهم و عدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع و المعجزات الباهرات قوله عز وجل ﴿ أو يقولوا ﴾ يعنى الذرية ﴿ انما اشرك آباؤنا من قبل ﴾ يعنى ﴿ انما أخذ الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون انما اشرك آباؤنا من قبل ﴾ و كنا ذرية من بعدهم ﴿ يعنى و كنا أتباعا لهم فاقتدينا بهم فى الشرك ﴾ أفهلكتنا ﴿ يعنى أفقتدينا ﴾ بما فعل المبطلون ﴿ قال المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة انما اشرك آباؤنا من قبلنا و نقضوا العهد و الميثاق و كنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم

لهم (ولعلمهم يرجعون) عن شركهم فصلها الى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والنخعي وذهب جمهور المفسرين الى ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله ألسنت بربكم فأجابوه ببلى قالوا وهى القطرة التى فطر الله الناس عليها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أخرج الله من ظهر آدم ذبته وأراه أياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقال هؤلاء ولدك أخذ عليهم الميثاق ان يعبدون قيل كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل فى الجنة والحجة للاولين انه قال من بنى آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم ولا لانا لتذكر ذلك فاني بصير حجة ذرياتهم مدنى وبصرى وشامى ان تقولوا أو تقولوا أبو عمرو (واتل عليهم) على اليهود (نبأ الذى آتينا آياتنا) هو (وكذلك) هكذا (فصل الآيات نبين القرآن بخبر الميثاق) (ولعلمهم يرجعون) لكى يرجعوا عن الكفر

والاستدلال كما قال ﴿ وكذلك تفصل الآيات ولعلمهم يرجعون ﴾ أى عن التقليد واتباع الباطل ﴿ واتل عليهم ﴾ أى على اليهود ﴿ نبأ الذى آتينا آياتنا ﴾ هو احد علماء بنى اسرائيل أو امية بن ابى الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل واقتديا بهم وكنافى عقلة عن هذا الميثاق فلا ذنب فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل ذلك وقد أخذ عليهم جميعا الميثاق وجاءتهم الرسل وذكرهم به وثبتت الحجة عليهم بذلك يوم القيامة واما الذين حلوا معنى الآية على أن المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب أهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلائل وأظهرها للعقول لئلا يقولوا انما أشركنا على سبيل التقليد لا بآياتنا لان نصب أدلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والافبال على تقليد الآباء فى الشرك ﴿ قوله عز وجل ﴾ وكذلك تفصل الآيات ﴾ يعنى ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله ﴿ ولعلمهم يرجعون ﴾ يعنى عن الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلمهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعلمون بموجبه ومقتضاه ﴿ قوله عز وجل ﴾ واتل عليهم ﴾ يعنى واقرأ على قومك يا محمد ﴿ نبأ ﴾ يعنى خبر ﴿ الذى آتينا آياتنا ﴾ اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضى الله عنهما هو بلعم بن باعوراء وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال ابن مسعود هو بلعم بن ابر قال عطية قال ابن عباس رضى الله عنهما انه كان من بنى اسرائيل وفى رواية أخرى عنه انه كان من الكنعانيين من بلاد الحبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء ﴿ وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس رضى الله عنهما ومحمد بن اسحق والسدى وغيرهم من أصحاب الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام اليه وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى اسرائيل وأنت رجل محاب الدعوة فاخرج وادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف ادعوا عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وانى ان فعلت هذا ذهبت دنياى وأخرتى فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أوامر ربى وكان لا يدعوه حتى يؤامر ربه فى المنام فأتى فى المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد أمرت ربى فنهانى أن ادعوا عليهم فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى أوامر ربى فأمر فلم يوح اليه شئ فقال قد أمرت ربى فلم يوح الى شئ فقالوا له لو كره ربك أن تدعو عليهم انهاك كانهاك أول مرة فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتوه فافتتن فركب أناناه متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بنى اسرائيل يقال لذلك الجبل جبل حسان فلما سار على أناناه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت وركبها فلم تسره كثيرا حتى ربضت فضربها حتى قامت فركبها فلم تسره كثيرا حتى ربضت فضربها حتى أذلتها فأذن الله عز وجل لها فى الكلام وأنطقها فكلمته حجة عليه فقالت ومحك يا بلعام أتدعى أن تذهب أمتارى الملائكة أمامى ردونى عن

رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو نفسه فلما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجهي هذا ويحك أنذهب الى نبي الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزع فخلق الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى اذا أشرفت به على جبل حسان ومعه قومه جعل يدعو فلم يدع بشيء الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه يا بلعام أتدري ما تصنع انما تدعوا لهم وتدعو علينا فقال هذا ما لأملكه هذا شيء قد غلب الله عليه وان دلج لسانه فوقع على صدره فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق لي الا المنكر والحيلة فسامكر لكم وأحتال ثم قال جلوا النساء وزبنوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى عسكر بني اسرائيل ليعينها عليهم ومروهن ان لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منهن كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء على العسكر مررت امرأة من الكنعانيين اسمها كسقي بنت صور على رجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن شلوم وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال اني لانتك أنك تقول هذه حرام عليك فقال أجل هي حرام عليك لا تقر بها قال الله اني لأطيمك في هذا ثم قام ودخل بها الى قبتة فوقع عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرائيل في ذلك الوقت وكان فحمص بن العيزار بن هرون وكان صاحب أمر موسى وكان رجلا فظا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس في بني اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربيته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربيته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وقد أخذ الحربة بندراعه واعتمد بمرقعه على خاصرته وأسند الحربة الى حيطه وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون من بني اسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيما بين ان أصاب ذلك الرجل المرأة الى أن قتله ففحص فوجدوه قد هلك سبعون ألفا في ساعة واحدة من النهار فن هنالك يعطى بنو اسرائيل لولد فحمص من كل ذبيحة يذبحونها الفشة والذراع والحي لا يعتمد بالحرية على خاصرته وأخذها ايها بندراعه واسناده اياها الى حيطه ويعطوهم البكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار وفي بلعام أنزل الله عز وجل واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا الآية وقال مقاتل ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من أهل ديني ولا أدعو عليه فنصب له خشبة ليصلبه عليها فلما رأى ذلك خرج على أناله ليدعو على موسى فلما عين عسكرهم ووقفت به الاتان فضربها فقالت لم تضربني وانا مأمورة وهذه نار امامي قدمعتني ان أمشي فرجع الى الملك فاخبره بذلك فقال لتدعون عليه أو لاصلبك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني اسرائيل في التيه بدعاء بلعام عليه فقال موسى

عالم من علماء بني اسرائيل  
وقيل هو بلعم بن باعوراء أوتي  
علم بعض كتب الله

الاسم الاعظم

حسده وكفر به أو بلع بن باعوراء من الكنعانيين أوتى علم بعض كتب الله

يارب بأى ذنب وقعت في التيه قال بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه فدعا موسى عليه السلام ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله سبحانه وتعالى منه المعرفة وسلحه منها فخرجت من صدره كمامة بيضاء فذلك قوله سبحانه وتعالى آيناه آياتنا فانسلخ منها فان قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى عليه السلام دعا على بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان وكيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه في النبوة ان يدعو على انسان بالكفر بعد الايمان او يرضى له بذلك قلت الجواب عنه من وجوه أحدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرائيليات ولا يلتفت الى ما يسطره أهل الاخبار اذا خالف الاصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بنى اسرائيل في التيه هو عبادتهم العجل أو قولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الها فكان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لادعاء بلعام عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام ان موسى عليه السلام لم يدع عليه الا بعد ان ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وايشاره الحياة الدنيا فدعا عليه مقابلة لدعائه عليه والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله أصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظريه ولا بحث عن معناه \* وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم نزلت هذه الآية في أمية بن أبى الصلت الثقفي وكانت قصته أنه كان قد قرأ الكتب القديمة وعلم ان الله سبحانه وتعالى مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان أمية صاحب حكمة وشعر ومواعظ حسنة فقصده بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرابه فلما مات أمية أتت أخته فازعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة أخيها فقالت بيناهم وراقدا أنا اثنان فكشف اسقف البيت ونزلا فقعدا أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله فقال الذى عند رجله للذى عند رأسه أوعى قال وعى قال أذكى قال أبى قالت فسألته عن ذلك فقال خير

أريدنى فصرف عنى ثم غشى عليه فلما أفاق من غشيته قال شعرا

كل عيش وان تطاول دهرا \* صائر مرة الى أن يزولا

ليتنى كنت قبل ما قد بدالى \* فى قلال الجبال أروعى الوعولا

ان يوم الحساب يوم عظيم \* شاب فيه الصغير يوما ثقيا

فقال لهارسول الله عليه وسلم أنشدنى من شعر أخيك فأشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفره قلبه فأنزل الله عز وجل وانزل عليهم نبأ الذى آيناه آياتنا فانسلخ منها الآية وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس وهو رجل من بنى اسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة له منها اولاد فقالت له اجعل لى منها دعوة فقال لك منها واحدة كما تريدن قالت ادع الله

﴿ فانسخ منها ﴾ من الآيات بان كفر بها واعرض عنها ﴿ فأتبعه الشيطان ﴾ حتى لحقه وأدركه قريناه وقيل واستتبعه ﴿ فكان من الغاوين ﴾ فصار من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعوا على من معه الملائكة فالخوا عليه حتى دعاهم فبقوا في التيه ﴿ ولوشئنا لرفعناه ﴾ الى منازل الابرار من العلماء ﴿ بها ﴾ بسبب تلك الآيات وملازمتها ﴿ ولكنه اخلد الى الارض ﴾ مال الى الدنيا أو الى السفالة ﴿ واتبع هواه ﴾ في اثار الدنيا واسترضاه قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفته بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها

أن يجعلني أجل امرأة في بني اسرائيل فدعا لها فصارت أجل النساء فلما علمت أنه ليس في نساء بني اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضبت فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها الى أبيهم وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة والناس تعيرنا بذلك فداع الله أن يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقولان الاولان أشهر ﴿ وقال الحسن وابن كيسان نزلت في منافق أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم ثم انكروه وقال قتادة هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آياته آياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاكبر وقال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئا الا أعطاه وقال السدي كان يعلم اسم الله الاعظم وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه أوتي كتابا وقيل ان الله آناه حجة وأدلة وهي الآيات التي أوتيتها ﴿ فانسخ منها ﴾ يعني فخرج من الآيات التي كان الله آناه اياها كما تنسخ الحية من جلدها وقال ابن عباس نزع منه العلم ﴿ فأتبعه الشيطان ﴾ يعني لحقه وأدركه وصيره الشيطان تابعا لنفسه في معصية الله يخالف أمر ربه ويطيع الشيطان وهو ﴿ قوله عز وجل ﴾ فكان من الغاوين ﴿ يعني من الهالكين الضالين بما خالف ربه وأطاع هواه وشيطانه ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولوشئنا لرفعناه بها ﴿ يعني رفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات التي أوتيتها وقال ابن عباس لرفعناه بعمله بها وقال مجاهد وعطاء معناه ولوشئنا لرفعناه عن الكفر وعصمناه بالآيات ﴿ ولكنه اخلد الى الارض ﴾ يعني ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها ورضى بها وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المفاوز والقفار وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدنيا كلها هي الارض ﴿ واتبع هواه ﴾ يعني انه أعرض عن التمسك بما آناه الله من الآيات واتبع الهوى فحسر دنياه وأخرته ووقع في هاوية الردى والهلاك وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاه مستجابا ثم انه لما اتبع هواه وركن الى الدنيا ورضى بها عوضا عن الآخرة نزع منه ما كان أعطيه وانسخ من الدين فحسر الدنيا والآخرة

فانسخ منها ) فخرج من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره ( فأتبعه الشيطان ) فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريناه ( فكان من الغاوين ) فصار من الضالين الكافرين روى ان قومه طلبوا منه ان يدعو على موسى ومن معه فابى فلم يزلوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الاعظم ( ولوشئنا لرفعناه ) الى منازل الابرار من العلماء ( بها ) بتلك الآيات ( ولكنه اخلد الى الارض ) مال الى الدنيا ورغب فيها ( واتبع هواه ) في اثار الدنيا ولذاتها

( فانسخ منها فخرج منها هو ) بلع بن باعوراء أكرم الله بالاسم الاعظم فدعا به على موسى فأخذ الله منه حفظ ذلك ويقال أمية بن أبي الصلت أكرم الله تعالى بعلم حسن وكلام حسن ولما لم يؤمن أخذ الله منه ذلك ( فأتبعه الشيطان ) ففره الشيطان ( فكان من الغاوين ) فصار من الضالين الكافرين ( ولوشئنا لرفعناه بها ) بالاسم الاعظم الى السماء فلكناه بها على أهل الدنيا ( ولكنه اخلد الى الارض ) مال الى مال الارض ( واتبع هواه ) هوى الملك ويقال هوى

على الآخرة ونعيمها (فثله كمثل الكلب ان تحمل عليه) أي تزجره وتطرده (يلهث أو تتركه) غير مطرود (يلهث)  
والمعنى فصفته التي هي مثل { الجزء التاسع } في الخسة والضعفة ﴿ ٦٧٠ ﴾ كصفة الكلب في أحواله

على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب  
على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة  
في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه  
اعرض عنها فاقوع موقعه اخذ الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبهها على ما حمله عليه  
وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة وبذر كل بلية ﴿ فثله ﴾ فصفته التي هي مثل  
في الخسة ﴿ كمثل الكلب ﴾ كصفته في أخس أحواله وهو ﴿ ان تحمل عليه يلهث  
أو تتركه يلهث ﴾ أي يلهث دائماً سواء حمل عليه بالزجر والطرود أو ترك ولم يتعرض له  
بخلاف سائر الحيوانات تضعف فؤاده واللهث ادلاخ اللسان عن التنفس الشديد  
ولشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الخاتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب  
الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى صلى الله عليه وسلم خرج  
لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا

وأذلها وهي حال دوام  
اللهث بسواء حمل عليه أي  
شد عليه وهيج فطره أو ترك  
غير متعرض له بالحمل عليه  
وذلك ان سائر الحيوان لا  
يكون منه اللهث الا اذا  
حرك أما الكلب فيلهث في  
الحالين فكان مقتضى  
الكلام ان يقال ولكنه  
أخذ الى الارض فخطاه  
ووضعنا منزلته فوضع هذا  
التمثيل موضع فخططناه أبلغ  
محط ومحل الجملة الشرطية  
النصب على الحال كانه قيل  
كمثل الكلب ذليلاً دائماً الذلة  
لاهثا في الحالين وقيل لما دعا  
بلعم على موسى خرج لسانه  
فوقع على صدره وجعل  
يلهث كما يلهث الكلب  
وقيل معناه هو ضال وعظ  
أو ترك وعن عطاء من علم  
ولم يعمل فهو كالكلب  
يبغ ان طرد أو ترك ( ذلك  
مثل القوم الذين كذبوا  
بآياتنا ) من اليهود بعدما

نفسه بمساوى الامور  
( فثله ) مثل بلعم ويقال  
مثل أمية بن أبي الصلت  
( كمثل الكلب ان تحمل  
عليه ) ان تشدد عليه فتطرده  
( يلهث ) يدلغ لسانه ( أو  
تركه ) فلا تطرده ( يلهث )  
يدلغ لسانه كذلك مثل بلعم

ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الامن عصمه الله بالورع وثبت به العلم  
وبصير يعيون نفسه ﴿ عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ما ذئبان جائعان أرسلاني غم بافسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه أخرجه  
الترمذي ﴾ ثم ضرب الله عز وجل مثلاً لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها  
واتبع هواه فقال تعالى ﴿ فثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾  
يقال لهث الكلب يلهث اذا أداع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعياء والتعب  
وهذا مثل ضرب الله عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه  
وترك آخرته وآثر دنياه بأخس الحيوانات وهو الكلب في أخس أحواله وهو اللهث  
لان الكلب في حال لهثه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضررها في الآخرة لان التمثيل به على انه يلهث على كل  
حال ان حلت عليه أو تركته كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعته وهي مواظبته على  
اللهث دائماً فكذلك من آتاه الله العلم والدين وأغناه عن التعرض لحطام الدنيا  
الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها كانت حالته كحال الكلب اللاهث وقيل ان العالم اذا  
توصل بعلمه الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند أهلها ويدلغ لسانه في تقرير تلك  
العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة العطش الى الفوز  
بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة الكلب الذي ادلغ لسانه من اللهث في غير  
حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي ان شددت عليه  
وأهيجته لهث وان تركته على حاله لهث لان اللهث طبيعة ألية فيه فكذلك حال الحريص  
على الدنيا وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا يجمع فيه وان تركته ولم تعظ فهو حريص  
أيضاً لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب ﴿ ذلك  
مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ يعني ان المثل الذي ضربناه للذي آتاه آياتنا فانسلخ

وأمية ان وعظ لم يتعظ وان سكت عنه لم يعقل ( ذلك ) هكذا ( مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ) محمد عليه السلام ( منها )

قرؤانته رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ذكر القرآن المجز ومافيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه (فاقصص القصص) أو قصص باعم الاى هو نحو قصصهم (اعلمهم يتفكرون) فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى مثل القوم لحذف المضارف وفاعل ساء مضمرة أى ساء المثل مثلا والتضاريف مثلا على التميز (وأأنفسهم كانوا يظلمون) يعطوف ٦٧١ على كذبوا لبيان الاعتراف فدخل في حيز الصلة أى

الذين جهلوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم أو منقطع عن الصلة أى وما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول له للاختصاص أى وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها (من يهد الله فهو المهتدى) حل على اللفظ (ومن يضل أى ومن يضلله) فأولئك هم الخاسرون (حل على المعنى ولو كان الهدى من الله البيان كما قالت المعتزلة لاستوى الكافر والمؤمن اذا البيان ثابت في حق الفريقين فدل انه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) هم الكفار من الفريقين المعرضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل

فاقصص القصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم ﴿اعلمهم يتفكرون﴾ تفكروا يؤدى بهم الى الاتعاط ﴿ساء مثلا القوم﴾ أى مثل القوم وقرى ساء مثل القوم على حذف الخصوص بالذم ﴿الذين كذبوا بآياتنا﴾ بعد قيام الحجة عليهم، علمهم بها ﴿وانفسهم كانوا يظلمون﴾ امان يكون داخل في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جهلوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعاً عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان رباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول ﴿من يهد الله فهو المهتدى ومن يضل فاولئك هم الخاسرون﴾ تصرح بان الهدى والضلال من الله تعالى وان هداية الله تخص بعض دون بعض وانها مستلزمة للاهداء والافراد في الاول والجمع في الثانى باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان لهتدين كواحد لا اتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقصص في الاخبار عن هداية الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهداء وتنبيه على انه في نفسه كان جسم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعيم الآجلة والعنوان لها ﴿ولقد ذرأنا﴾ خلقنا ﴿لجهنم كثيرا من الجن والانس﴾

منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدوا فوجدوا الثقل بينهم وبين الكلب اللاهث انهم اذا جاءتهم الرسل ليهدوهم لم يهتدوا وان تركوا لم يهتدوا أيضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال سبحانه وتعالى ﴿فاقصص القصص﴾ وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى فاقصص القصص يا محمد على قومك أى اخبار من كفرا بآيات الله ﴿اعلمهم يتفكرون﴾ يعنى فيتظنون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يمتنون هاديا يهديهم وبدعوهم الى طاعة الله عز وجل فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بدعوهم الى الله والى طاعتهم ويعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال سبحانه وتعالى ﴿ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ يعنى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴿وانفسهم كانوا يظلمون﴾ يعنى بتكذيبهم بآياتنا ﴿قوله عز وجل﴾ من يهد الله فهو المهتدى ﴿يعنى من يرشده الله الى دينه فهو المهتدى وقيل معناه من يتول الله هدايته وارشاده فهو المهتدى ﴿ومن يضل﴾ يعنى ومن يتول الضلالة ﴿فاولئك هم الخاسرون﴾ يعنى في الآخرة وفي الآيات دليل على ان الله سبحانه وتعالى هو الهادى المضل ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ ولقد ذرأنا ﴿يعنى خلقنا﴾ لجهنم كثيرا من الجن والانس ﴿أخبر الله سبحانه وتعالى انه خلق كثيرا

والقرآن وهم اليهود (فاقصص القصص) فاقرأ عليهم القرآن اعلمهم (يتفكرون) اى يتفكروا في أمثال القرآن (ساء مثلا) بئس مثلا (القوم الذين كذبوا بآياتنا) بمحمد عليه السلام والقرآن اذا كان مثلهم كمثل الكلب (وانفسهم كانوا يظلمون) يضررون بالعقوبة (من يهد الله) دينه (فهو المهتدى) لدينه (ومن يضل) عن دينه (فأولئك هم الخاسرون) المعبونون بالعقوبة (ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس)



يعنى المصرين على الكفر في علمه تعالى ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ اذ لا يتلقونها الى معرفة الحق والنظرون في دلائله ﴿ ولهم عين لا يبصرون بها ﴾ اى لا ينظرون الى ما خلق الله نظرا اعتبار ﴿ ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر

من الجن والانس والنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه الله للنار فلا حيلة له في الاخلاص منها واستدل البغوى على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في اصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في اصلاب آباءهم أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النوى في شرح مسلم اجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بانه لعلة صلى الله عليه وسلم نهاه عن المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص لفظة اى لاراه مؤمنا فقال أو مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان أطفال المسلمين في الجنة فلما علم ذلك قال به وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاث مذاهب قال الا كثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقف طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ويستدل به باشيء منها خبر ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد الناس فقالوا يا رسول الله وأولاد المشركين قال واولاد المشركين رواه البخارى في صحيحه ومنها قوله سبحانه وتعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم وفى الآية دليل وحجة واضحة لمذهب أهل السنة فى ان الله خالق أعمال العباد جميعها خيرا وشرها لان الله سبحانه وتعالى بين بصرح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس والنار ولا يزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علم ان له من يضطره الى ذلك العمل الموجب الى دخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام فى جهنم للعاقبة اى عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ يعنى لا يفهمون بها ولا يعقلون بها وأصل الفقه فى اللغة الفهم والعلم بالشئ ثم صار على اسم العلم فى الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم ومعنى الآية لهم قلوب لا يتفكرون بها فى آيات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى لاعراضهم عن الحق وتركهم قبوله ﴿ ولهم أعين لا يبصرون بها ﴾ يعنى لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها فى آيات الله وأدلة توحيده ﴿ ولهم آذان لا يسمعون بها ﴾ يعنى لا يسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون بها قال أهل المعانى ان الكفار لهم

مصيرهم جهنم لذلك ولا تنافى بين هذا وبين قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبوا و لانه انما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبدوه وأما من علم انه يكفر به فانما خلقه لما علم انه يكون منه فالخصل ان من علم منه فى الازن انه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص وقول المعتزلة بان هذه لام العاقبة اى لما كان عاقبتهم جهنم جعل كانهم خلقوا لها فرار عن ارادة المعاصى عدول عن الظاهر (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق ولا يتفكرون فيه (ولهم أعين لا يبصرون بها) الرشد (ولهم آذان لا يسمعون بها)

لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق (ولهم أعين لا يبصرون بها) الحق (ولهم آذان لا يسمعون بها)

الوعظ (أولئك كالانعام) في عدم الفقه ٦٧٣ والنظر { سورة الاعراف }

للاعتبار والاستماع للتفكير (بل هم أضل) من الانعام لانهم كبروا العتول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا النار وكيف يستوى المكلف المأمور والمخلى المذذور فالأدعي روحاني شهواني سماوي أرضي فان غلب روحه هو افاق ملائكة السموات وان غلب هواه روح دفاقته بها تم الارض (أولئك هم العافلون) الكالمون في الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة فنهاما يستحقه بحقايقه كالقديم قبل كل شيء والباقي بعد كل شيء والقادر على كل شيء والعالم بكل شيء والواحد الذي ليس كمثل شئ ومنها ما تستحسه الانفس لا تارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل والعفو ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال كالعظيم والجليل والتكبر

(أولئك كالانعام) في فهم الحق (بل هم أضل) لانهم كفار (أولئك هم العافلون) عن

﴿ أولئك كالانعام ﴾ في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها ﴿ بل هم أضل ﴾ فانها تدرك ما يمكن لها ان يدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ﴿ أولئك هم العافلون ﴾ الكالمون في الغفلة ﴿ ولله الاسماء الحسنى ﴾ لانها دالة على معان هي

قلوب يتفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم أعين يبصرون بها المرئيات واذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الإدراكية علم بذلك ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الآخرة وحاصل هذا الكلام انهم مع وجود هذه الحواس لا يتفقهون بها فيما ينفعهم في أمور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها \* وانى ان أشاء بها سمع

فانه أثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شياً من أمر الآخرة ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق ﴿ ثم ضرب لهم مثلاً فقال سبحانه وتعالى ﴾ أولئك كالانعام ﴿ يعني ان الذين ذرأهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية كالانعام وهي البهائم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وسائر الحيوانات مشتركون في هذه الحواس الثلاثة التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك شيئاً ﴿ ثم قال عز وجل ﴾ ﴿ بل هم أضل ﴾ يعني بل ان الكفار أضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار أضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان قد أعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار أخس حالاً من الانعام وقيل ان الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام أفضل منه ﴿ ثم قال الله تعالى ﴾ أولئك هم العافلون ﴿ يعني عن ضرب هذه الامثال لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ولله الاسماء الحسنى ﴿ قال مقاتل ان رجلاً دعا الله في صلواته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو أبو جهل ان محمداً وأصحابه يزعمون انهم يعبدون رباً واحداً فبال هذا يدعو اثنين فانزل الله هذه الآية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تأنيث الاحسن ومعنى الآية ان أسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والمعنى ان الاسماء الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء ألقاظ دالة على معان فهي انما تحسن بمعانها ولا معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين أحدهما عدم افتقاره الى غيره الثاني افتقار غيره اليه وانه هو المسمى أمر الآخرة جاحدون بها (ولله الاسماء الحسنى) (قاوفا ٨٥ نى) الصفات العليا العلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك

## احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات

بالاسماء الحسنى (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية من أحصاها وفي رواية أخرى لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها لا يحفظها أحد الا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخارى أحصاها حفظها وفي رواية الترمذى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هو الله الذى لاله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض المباسط الخافض الرافع الممطر المذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المحيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولى المجيد المحصى المبدئ المعيد المحيي المميت الحى القيوم الواحد الماجد الواحد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العقو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المعنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الساقى الوارث الرشيد الصبور قال الترمذى حديثه غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم فى كثير من الروايات ذكر الاسماء التى فى هذا الحديث قال ابن الاثير وفى رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاقوه والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون إما كانوا يعملون فقال ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محي الدين النووى رحمه الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بمحصر الاسماء ولهذا جاء فى الحديث الآخر أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم ان لله ألف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخارى ان معناه حفظها وهو قول أكثر المحققين وبعضه الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العد أى عدها فى الدعاء بما وقيل معناه من أطاقها وأحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بعبانها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى أحصاها أحضر بياله عند ذكرها معناها وتفكر فى مدلولها معتبرا متدبرا ذا كرار عابرا رابعا معظما لها ولسمائها ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وان يخطر بياله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله

﴿ فادعوه بها ﴾ فسموه بتلك الاسماء ﴿ وذروا الذين يلحدون في اسمائه ﴾ واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما (٢) يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه اولادنا وابانكارهم مسمى به نفسه كقولهم ما نعرف الارحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلا فلها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كالللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه

( فادعوه بها ) فسموه بتلك الاسماء ( وذروا الذين يلحدون في اسمائه ) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير اسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه نحو ان يقولوا يا سحى يا رقيق لانه لم يسم نفسه بذلك ومن الالحاد تسميته بالجسم والجوهر والمقل والعللة يلحدون حجة لحدوا لحدمال

( فادعوا بها ) فاقروا بها ( وذروا الذين يلحدون في اسمائه ) يقولون يحجدون باسمائه وصفاته وان قرأت يلحدون يميلون عن الاقرار باسمائه وصفاته ويقال يلحدون في اسمائه يشبهون باسمائه اللات والعزى ومناة (٢) او بما نسجه

والله وتر يحب الوتر والتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى أنه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر في الاعمال لان أكثر الطاعات وتروفيه دليل على أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤف والكريم واللطيف من أسماء الله ولا يقال من أسماء الرؤف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظ الله هو الاسم الاعظم قال أبو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره وقد قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام فخر الدين الرازى دلت الآية على ان الاسم غير المسمى لانها تبادل على ان أسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهو يفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وأيضا قوله سبحانه وتعالى ولله الاسماء الحسنى يقتضى اضافة الاسماء الى الله واطرافه الشئ الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشئ المسمى به فهو غيره وقال أهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيه اسمائه أيضا \* قوله سبحانه وتعالى ﴿ فادعوه بها ﴾ يعنى ادعوا الله باسمائه التى سمى بها نفسه أو سماه بها رسوله ففيه دليل على ان أسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية وما يدل على صحة هذا القول ويؤكد كده انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سحى ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال يا طيب وللدعاء شرائط منها ان يعرف الداعى معانى الاسماء التى يدعوا بها ويستحضر فى قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية فى دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله ويعزم المسئلة مع رجاء الاجابة ويعترف لله سبحانه وتعالى بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تأثير عظيم ﴿ وذروا الذين يلحدون فى اسمائه ﴾ معنى الالحاد فى اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت المحمد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال ألحد فى الدين الحادا اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون الالحاد يقع فى أسماء الله تعالى على وجوه أحدها اطلاق أسماء الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سموا أصنامهم بالآلهة واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما وبجاهد الوجه الثانى وهو قول أهل المعانى ان الالحاد فى أسماء الله هو

أوعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم كما قال ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ وقرأ حزة هنا وفي فصلت  
يلحدون بالفتح يقال لحدوا لحد إذا مال عن القصد ﴿ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾  
ذكر ذلك بعد ما بين أنه خلق النار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه  
خلق أيضا للجنة أمة هادين بالحق عادلين في الأمر واستدل به على صحة الإجماع لان  
المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام لا تزال من امتي طائفة  
على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اخص بهد الرسول عليه السلام أو غيره لم يكن  
لذكره فائدة فانه معلوم ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم﴾ سنستدنيهم الى الهلاك  
قليلًا قليلًا واصل الاستدراج الاستعداد او الاستنزال درجة بعد درجة ﴿من حيث  
لا يعلمون﴾ ما يزيدهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم

تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان أسماء الله سبحانه وتعالى  
كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعوا الله باسمائه التي  
وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب  
في الدعاء فلا يجوز أن يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على الانفراد بل يقال يا ضار  
يا نافع يا معطي يا خالق الخلق الوجه الرابع أن لا يسمى الله العبد باسم لا يعرف معناه  
فانه ربما سماه باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسمى به  
لمفاهيم الغرابة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ سيجزون ما كانوا يعملون ﴿يعني في الآخرة  
ففيه وعيد وتهديد لمن ألد في أسماء الله عز وجل ﴿قوله عز وجل﴾ ﴿ومن خلقنا  
أمة﴾ يعني جماعة وعصابة ﴿يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ قال ابن عباس رضي الله  
عنهما يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم  
باحسان قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه  
لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون  
(ق) عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من  
أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم  
على ذلك وفي الآية دليل على أنه لا يخلو زمان من قائم بالحق يعمل به ويهدي اليه  
﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار وقيل  
المراد بهم أهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم تناول الكل الامادن الدليل على  
خروجه منه ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ قال الازهرى سنأخذهم قليلًا  
قليلًا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله سبحانه وتعالى يفتح عليهم من النعم ما يقتبطون به  
ويركنون اليه ثم يأخذهم على غربتهم أغفل ما يكونون وقيل معناه ستقرهم الى ماهلكهم  
ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا أتوا بجرم أو أقدموا  
على ذنب فتح الله عليهم من أبواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادون بذلك تماديا في النفي  
والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فأخذهم الله أخذة واحدة أغفل ما يكونون

(أمة يهدون بالحق وبه  
يعدلون) في احكامهم قيل  
هم العلماء والدعاة الى  
الدين وفيه دلالة على ان  
اجماع كل عصر حجة (والذين  
كذبوا بآياتنا سنستدرجهم)  
سنستدنيهم قليلًا قليلًا الى  
ما يهلكهم (من حيث  
لا يعلمون) ما يراد بهم  
وذلك ان يواتر الله نعمه  
عليهم مع انها كهم في النفي  
فكلما جدد الله عليهم نعمة  
ازدادوا بطرا وجددوا  
معصية فيتدرجون في  
المعاصي بسبب ترادف  
النعم ظانين ان ترادف  
لنعم أثره من الله تعالى وتقريب  
وانما هو خذلان منه وتبديد  
وهو استفعال من الدرجة  
بمعنى الاستعداد والاستنزال

(سيجزون) في الآخرة  
(ما كانوا) بما كانوا  
(يعملون) ويقولون  
في الدنيا من الشر (ومن  
خلقنا أمة) جماعة يهدون  
بالحق (يأمرون بالحق  
وبه يعدلون) وبالحق  
يعملون وهم أمة محمد  
صلى الله عليه وسلم (والذين  
كذبوا بآياتنا) بمحمد  
عليه السلام والقرآن وهو  
أبوجهل وأصحابه  
المستزؤون بنزول العذاب  
(سنستدرجهم) سنأخذهم بالعذاب (من حيث لا يعلمون) بنزول العذاب فاهلكهم الله في يوم واحد كل واحد بهلاك غير (عليه)

(سسنستدرجهم) سنأخذهم بالعذاب (من حيث لا يعلمون) بنزول العذاب فاهلكهم الله في يوم واحد كل واحد بهلاك غير (عليه)

عطف على سنسدرجهم  
وهو داخل في حكم السين  
أى أمهلهم ( ان كيدى  
متين) أخذى شديد سماه  
كيدالانه شبيه بالكيد من  
حيث انه في الظاهر احسان  
وفي الحقيقة خذلان ولما  
نسبوا النبي صلى الله عليه

وسلم الى الجنون نزل  
(أولم يتفكروا ما بصاحبهم)  
مجد عليه السلام وما نافية  
بعد وقت أى أولم يتفكروا  
في قولهم ثم نفي عنه الجنون  
بقوله ما بصاحبهم (من جنة)  
جنون ( ان هو الانذير  
مبين) منذر من الله موضع  
انذاره (أولم ينظروا)  
نظر استدلال (في ملكوت

هلاك صاحبه ( وأمل  
لهم ) أمهلهم ( ان كيدى  
متين ) عذابي وأخذى  
شديد ( أولم يتفكروا )  
فيما بينهم ان محمدا صلى الله  
عليه وسلم لم يكن ساحرا  
ولا كاهنا ولا مجنونا ثم  
قال الله تعالى ( ما بصاحبهم )  
ما يبنيهم ( من جنة ) مامسه  
من جنون أى جنون  
( ان هو ) ماهو ( الانذير )  
ورسول مخوف ( مبين )  
يبين لهم بلغة يعلمونها ( أولم  
ينظروا ) يعنى أهل مكة  
( في ملكوت

فيزدادوا بطرا وانهما كما في النفي حتى يحق عليهم كلمة العذاب ﴿ وأمل لهم ﴾ و أمهلهم  
عطف على سنسدرجهم ﴿ ان كيدى متين ﴾ ان اخذى شديد وانما سماه كيدا لان  
ظاهره احسان وباطنه خذلان ﴿ أولم يتفكروا ما بصاحبهم ﴾ يعنى محمدا عليه الصلاة  
والسلام ﴿ من جنة ﴾ من جنون روى انه عليه الصلاة والسلام سعد على الصفا  
فدعاهم فخذوا فخذنا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوث  
الى الصباح فنزلت ﴿ ان هو الانذير مبين ﴾ موضع انذاره بحيث لا يخفى على ناظر  
﴿ أولم ينظروا ﴾ نظر استدلال ﴿ في ملكوت

عليه وقال الضحاك معناه كما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين أعمالهم  
ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ثم نسلبهم الشكر روى أن عمر بن  
الخطاب لما حل اليه كنوز كسرى قال اللهم انى أعوذ بك ان أكون مستدرجا فانى  
سمعتك تقول سنسدرجهم من حيث لا يعلمون قال أهل المعاني الاستدراج ان يندرج  
الشيء الى الشيء في خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قرب بين خطاه في المشى ومنه درج  
الكتاب اذ طواه شيئا بعد شيئا ﴿ وأمل لهم ﴾ يعنى وأمهلهم وأطيل مدة أعمارهم  
والاملاء في اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى انى أطيل مدة أعمارهم ليمتدوا في الكفر  
والمعاصى ولا أعاجلهم بالعقوبة ولا أقبح لهم باب التوبة ﴿ ان كيدى متين ﴾ يعنى  
ان أخذى شديد والمتين من كل شيء هو القوى الشديد وقال ابن عباس رضى الله عنهما  
معناه ان مكربى شديد قال المفسرون نزلت هذه الآية في المستزئين من قريش وذلك  
ان الله سبحانه وتعالى أمهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الآية دليل على مسألة  
القضاء والقدر وان الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل وهم  
يستلون ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ أولم يتفكروا ما بصاحبهم ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه  
وسلم ﴿ من جنة ﴾ يعنى من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم  
قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذوا فخذنا يابني فلان انى لكم نذير مبين  
وكان يحذرهم بأس الله ووقائمه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا الجنون بات يصوت الى  
الصباح فانزل الله عز وجل أولم يتفكروا والتفكر التأمل واعمال الخاطر في عاقبة  
الامر والمعنى أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة  
والجنة حالة من الجنون وادخال لفظه من في قوله من جنة يوجب أن لا يكون به نوع  
من أنواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو يرى منه لانهم رأوا انه صلى الله عليه وسلم  
خالقهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الآخرة ونعيمها  
مشتغلا بالدعاء الى الله عز وجل وانذارهم بأسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا  
ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله سبحانه وتعالى من الجنون فقال تعالى ﴿ ان  
هو ﴾ يعنى ماهو ﴿ الانذير مبين ﴾ ثم حشهم على النظر المؤدى الى العلم بالوحدانية  
فقال سبحانه وتعالى ﴿ أولم ينظروا ﴾ يعنى نظر اعتبار واستدلال ﴿ في ملكوت

السموات والارض) الملك العظيم (وما خلق الله من شيء) وفيما خلق مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس  
 لا يحصرها العدد (وان عسى) ان مخفقة من الثقبلة وأصله وأنه عسى والضمير ضمير الشأن وهو في موضع الجر بالعطف على  
 ملكوت والمعنى أولم ينظروا في ان الشأن والحديث عسى (أن يكون قد اقترب أجلهم) ولعلمهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى  
 النظر وطلب الحق وما { الجز التاسع } ينجم قبل مفاجأة ﴿ ٦٧٨ ﴾ الاجل وحلول العقاب ( فبأى

السموات والارض وما خلق الله من شيء ﴿ مما يقع عليه اسم الشيء من الاجناس التي لا يمكن  
 حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكيها ومتولى امرها ليظهر لهم  
 صحة ما يدعوهم اليه ﴿ وان عسى ان يكون قد اقترب أجلهم ﴾ عطف على ملكوت وان مصدرية  
 أو مخففة من الثقبلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أولم ينظروا في اقتراب آجالهم  
 وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجم قبل مغافصة الموت ونزول  
 العذاب ﴿ فبأى حديث بعده ﴾ أي بعد القرآن ﴿ يؤمنون ﴾ اذالم يؤمنوا به وهو النهاية  
 في البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجية والارشاد الى النظر  
 وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فبالهم لا يبادرون الايمان  
 بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأى حديث احق منه يريدون ان  
 يؤمنوا به وقوله ﴿ من يضل الله فلا هادي له ﴾ كالتقير والتعليل له ﴿ ونذرهم في طغيانهم ﴾  
 بالرفع على الاستئناف ﴿ وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضل الله وحزة  
 والكسائي به وبالجزم عطفًا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده احد غيره وينذرهم  
 ﴿ يعمهون ﴾ حال من هم ﴿ يسألونك عن الساعة ﴾ أي عن القيامة وهي من الاسماء

السموات والارض وما خلق الله من شيء ﴿ والمتقصد التنبيه على ان الدلالة على  
 الوجدانية ووجود الصانع القديم غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شيء  
 خلقه الله سبحانه وتعالى وبرأه فيه دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وآثار  
 قدرته كقَالَ الشاعر وفي كل شيء له آية \* تدل على انه واحد  
 ﴿ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ﴾ والمعنى ولعل أجلهم يكون قد اقترب  
 فيموتوا على الكفر قبل ان يؤمنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على  
 العاقل المبادرة الى التفكير والاعتبار والنظر المؤدى الى الفوز بالنعيم المقيم ﴿ فبأى  
 حديث بعده ﴾ يعنى بعد القرآن ﴿ يؤمنون ﴾ يعنى يصدقون والمعنى فبأى كتاب  
 بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا بعد كتابه  
 كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه  
 وسلم ﴿ ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال سبحانه وتعالى ﴿ من يضل الله  
 فلا هادي له ﴾ يعنى ان اعراض هؤلاء عن الايمان لاضلال الله اياهم فلو هدهم لآمنوا  
 ﴿ وينذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ يعنى ويتركهم في ضلالتهم وتماديهم في الكفر يترددون  
 متحيرين لا يهتدون سيلا ﴿ قوله عز وجل ﴿ يسئلونك عن الساعة

حديث بعده) بعد القرآن  
 (يؤمنون) اذالم يؤمنوا به  
 وهو متعلق بعسى أن يكون  
 قد اقترب أجلهم كأنه قيل  
 لعل أجلهم قد اقترب فالهم  
 لا يبادرون الايمان بالقرآن  
 قبل الفوت وماذا ينتظرون  
 بعد وضوح الحق وبأى  
 حديث احق منه يريدون  
 ان يؤمنوا به (من ضلل الله  
 فلا هادي له) أي يضلله الله  
 وينذرهم بالياء عراقي  
 وبالجزم حزة وعلى عطفًا  
 على محل فلا هادي له كأنه  
 قيل من يضل الله لا يهده  
 احد وينذرهم والرفع على  
 الاستئناف أي وهو ينذرهم  
 الباقون بالنون (في طغيانهم)  
 كفرهم ( يعمهون )  
 يتحيرون ولماسأت اليهود  
 أو قرئش عن الساعة منى  
 تكون نزل ( يسألونك  
 عن الساعة ) وهي من  
 الاسماء الغالبة كالنجم للثريا  
 وسميت القيامة بالساعة

السموات ) من الشمس  
 والقمر والنجوم والسحاب  
 (والارض) وفي ملكوت  
 الارض وما في الارض

من الشجر والجبال والبحار والدواب (وما خلق الله من شيء) وفيما خلق الله من سائر (أيان)

الاشياء (وان عسى) وعسى من الله واجب (أن يكون قد اقترب أجلهم) ذناها لاكمهم ( فبأى حديث بعده ) فبأى كتاب بعد  
 كتاب الله (يؤمنون) ان لم يؤمنوا بهذا الكتاب (من يضل الله) عن دينه (فلا هادي له) فلا امر شده الى دينه (وينذرهم) يتركهم  
 (في طغيانهم) في كفرهم وضلالهم ( يعمهون ) يعضون عمه لا يبصرن (يسئلونك) يا محمد اهل مكة ( عن الساعة ) عن

لوقوعها بغتة أولساعة حسابها ﴿٦٧٩﴾ أولانها عند الله { سورة الاعراف } على طولها كساعة

من الساعات عند الخلق  
(أيان) متى واشتاقه من  
أي فعلان منه لان معناه أي  
وقت. (مرساها) ارساؤها  
مصدر مثل المدخل بمعنى  
الادخال أو وقت ارسائها  
أي اقبالها والمعنى متى يرسيها  
الله (قل انما علمها عند ربى)  
أي علم وقت ارسائها عنده  
قد استأثر به لم يخبر به أحدا  
من ملك مقرب ولا نبي  
مرسل ليكون ذلك ادعى  
الى الطاعة وأزجر عن  
المعصية كما أخفى الاجل  
الخاص وهو وقت الموت  
لذلك (لايجليها لوقتها الا هو)  
لا يظهر أمرها ولا يكشف  
خفاء علمها الا هو وحده  
(ثقلت فى السموات والارض)  
أي كل من أهلها من  
الملائكة والثقلين أهمه  
شان الساعة وتتمنى أن تجلى  
له علمها ويشق عليه خفاؤها  
وثقل عليه أو ثقلت فيها  
لان أهلها يخافون شدائدنا  
وأهلها (لاتأتىكم الا بغتة)  
قيام الساعة وحينها (أيان  
مرساها) متى قيامها وحينها  
(قل انما علمها) علم قيامها  
وحينها (عند ربى) من ربى  
(لايجليها لوقتها) لايسين  
وقتها وحينها (الا هو  
ثقلت فى السموات والارض)

الغالبه واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة أولساعة حسابها لانها على طولها عند الله كساعة  
﴿أيان مرساها﴾ متى ارساؤها أى اثباتها واستقرارها ورسوا لشيء ثباته واستقراره  
ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق أيان من أى لان معناه أى وقت وهو من أويت  
اليه لان البعض آولى الكل ﴿قل انما علمها عند ربى﴾ استأثر به لم يطلع عليه ملكا  
مقربا ولا نبيا مرسلًا ﴿لايجليها لوقتها﴾ لا يظهر أمرها فى وقتها ﴿الا هو﴾  
والمعنى ان الخفاء بها مستقر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقبت كاللام فى قوله  
اقم الصلوة لادواك الشمس ﴿ثقلت فى السموات والارض﴾ عظمت على أهلها  
من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه اشارة الى الحكمة فى اخفائها ﴿لاتأتىكم الا بغتة﴾  
أيان مرساها قال قتادة قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر  
الينامتى الساعة فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس قال جبل بن أبى قيسير وشمول بن  
زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا  
كما تقول فاننا نعلم متى الساعة فانزل الله عز وجل يسأونك عن الساعة يعنى عن خير القيامة  
سميت ساعة لانها تقوم فى ساعة غفلة وبغتة أولان حساب الخلائق يقتضى  
فيها فى ساعة واحدة أيان سؤال استفهام عن الوقت الذى تقوم فيه الساعة  
ومعناه متى مرساها قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى منتهاها أى متى وقوعها قال  
والساعة الوقت الذى تموت فيه الخلائق وأصل الارساء الثبات يقال رسا رسوا اذا  
ثبت ﴿قل﴾ أى قل لهم يا محمد ﴿انما علمها عند ربى﴾ أى لا يعلم الوقت الذى تقوم فيه  
الا الله استأثر الله بعلمها فلم يطلع عليه أحدا ومر حديث الايمان والاسلام والاحسان  
وسؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرنى عن الساعة قال ما المسؤل عنها  
باعلم من السائل قال المحققون وسبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها عن العباد ليكونوا  
على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل  
وخوف واشفاق منها فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة والتوبة وأزجر لهم عن المعصية  
﴿لايجليها لوقتها الا هو﴾ قال مجاهد لا يأتى بها الا هو وقال السدى لا يرسلها  
لوقتها الا هو والتجلية اظهار الشيء بعد خفائه والمعنى لا يظهرها لوقتها المعين الا الله  
ولا يقدر على ذلك غيره ﴿ثقلت فى السموات والارض﴾ يعنى ثقل أمرها وخفى  
علمها على أهل السموات والارض والارض فكل شىء خفى فهو ثقيل شديد وقال  
الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم  
وموتهم وذلك ثقيل على القلوب ﴿لاتأتىكم الا بغتة﴾ يعنى فجأة على حين غفلة من الخلق  
(ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقوم الساعة  
وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد انصرف  
الرجل بلبن لثحته فلا يطعمه ولتقوم الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقى فيه ولتقوم الساعة  
وقد فرغ أكلته الى فيه فلا يطعمها \* اللثحة يفتح اللام وكسرهما الناقاة القرية العهد بالتاج قوله

ثقل علم قيامها وحينها على أهل السموات والارض (لاتأتىكم الا بغتة) فجأة



الإفجاءة عن غفلة كما قال عليه الصلاة والسلام ان الساعة تهجم بالناس والرسول يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه ﴿يسئلونك كأنك حفي عنها﴾ علم بها فيعلم من حفي عن الشيء إذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ولذلك عدى بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هي من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قرىشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي بتحفي بهم فتحصم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحية أى تكثره لانه من الغيب الذى استأثره الله بعلمه ﴿قل انما علمها عند الله﴾ كرهه لتكرير يسألونك لما يظبه من هذه الزيادة والمبالغة ﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه ﴿قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا﴾

يليط حوضه ويروى يلو ط حوضه يعنى يطينه ويصلحه يقال لاط حوضه يلبطه أو يلو طه اذا طينه وأصله من اللصوق والا كلمة بضم الهمزة اللقمة ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ يسئلونك كأنك حفي عنها ﴿يعنى يسألك قومك عن الساعة كأنك حفي بهم بمعنى باربهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تقديره يسئلونك عنها كأنك حفي بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل ناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سأله سؤال قوم كانوا يرون ان محمدا صلى الله عليه رسولا وحقى بهم فاحسب الله عز وجل اليه انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسئلونك عنها كأنك حفي بها أى علم بها من قولهم أحفيت فى المسئلة اذا باغت فى السؤال عنها حتى علمها ﴿قل﴾ يعنى قل يا محمد ﴿انما علمها عند الله﴾ يعنى استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل ﴿فان قلت قوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الساعة أيان مر ساها وقوله سبحانه وتعالى ثانيا يسئلونك كأنك حفي عنها فيه تكرار﴾ قلت ليس فيه تكرار لان السؤال الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثانى سؤال عن أحوالها من ثقلها وشداؤها فلم يلزم التكرار ﴿فان قلت عبر عن الجواب فى السؤال الاول بقوله تعالى علمها عند ربى وعن الجواب فى السؤال الثانى بقوله تعالى علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين فى الجوابين﴾ قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السؤال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله تعالى علم وقت قيامها عند ربى ولما كان السؤال الثانى واقعا عن أحوالها وشداؤها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى علمها عند الله لانه أعظم الاسماء ﴿ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾ يعنى لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسألوا عنه وقيل ولكن اكثر الناس لا يعلمون السبب الذى من أجله أحفى علم وقت قيامها المنيب عن الخلق ﴿قول سبحانه وتعالى﴾ قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ﴿قال ابن عباس ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا يجرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو قنشتى ترى به

( فترج )

فجأة على غفلة منكم (يسئلونك كأنك حفي عنها) كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ فى السؤال عنها لان من بالغ فى المسئلة عن الشيء والتقدير عنده استحكم علمه فيها وأصل هذا التركيب المبالغة ومنها حفاء الشارب أو عنها متعلق يسئلونك أى يسئلونك عنها كأنك حفي أى عالم بها (قل انما علمها عند الله) وكرر يسئلونك وانما علمها عند الله للتأكيد ولزيادة كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء فى كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن الحسن رحمه الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه المختص بالعلم بها (قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا)

(يسئلونك) يا محمد عن قيام الساعة (كأنك حفي عنها) عالم بها ويقال جاهل بها ويقال غافل عنها (قل) يا محمد صلى الله عليه وسلم (انما علمها) علم قيامها وحينها (عند الله) من الله (ولكن أكثر الناس) أهل مكة (لا يعلمون) أو لا يصدقون ذلك (قل) يا محمد لاهل مكة (لا املك لنفسى نفعا) جبر النفع (ولا ضرا)

آما شاء الله) هو اظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أى أناعبد ضعيف لأملك لنفسى اجتلاب نفع ولا دفع  
 ضرر كما ملك الاما شاء ملكى من النفع لى والدفع عنى ( ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) أى  
 لكنت حالى على خلاف ما همى عليه من ﴿ ٦٨١ ﴾ استكثار الخير سورة الاعراف { واجتناب السوء والمضار

حتى لا يعنى شئ منها ولم  
 أكن غالباً مراً ومغلوباً  
 أخرى فى الحروب وقيل  
 الغيب الاجل والخير العمل  
 والسوء الوجل وقيل  
 لاستكثرت لاعتدت من  
 الخصب للجدب والسوء  
 الفقر وقد ورد ( ان أنا الا  
 نذير وبشير ) ان أنا الا  
 عبد أرسلت نذيراً وبشيراً  
 وما من شانى ان أعلم الغيب  
 واللام فى (لقوم يؤمنون)  
 يتعلق بالنذير والبشير لان  
 النذارة والبشارة انما  
 ينفعان فيهم أو بالبشير  
 وحده والمتعلق بالنذير  
 محذوف أى الانذير للكافرين  
 وبشير لقوم يؤمنون

دفع الضر (الاما شاء الله)  
 ان يفعل بى من الضر والنفع  
 ( ولو كنت أعلم الغيب )  
 النفع والضر (لأستكثرت  
 من الخير) من النفع ( وما  
 مسنى السوء) الضر ويقال  
 ولو كنت أعلم متى ينزل  
 العذاب عليكم لأستكثرت  
 من الخير شكراً لذلك  
 وما مسنى السوء ما أصابنى  
 الغم والحزن لقبلكم ويقال

جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيوب ﴿ الا  
 ماشاء الله ﴾ من ذلك فيلهمنى اياه ويوقنى له ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت  
 من الخير وما مسنى السوء ﴾ ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ما همى عليه من استكثار المنافع  
 واجتناب المضار حتى لا يعنى سوء ﴿ ان أنا الانذير وبشير ﴾ ما أنا الا عبد مرسل  
 للانذار والبشارة ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقاً

فترجى فيه عند الغلاء وبالارض التى يريد ان تجذب فترحل عنها الى ما قد أخصبت  
 فانزل الله عز وجل قل لأملك أى قل يا محمد لأملك ولا أقدر لنفسى نفعاً أى اجتلاب  
 نفع بان أربح فيما اشتريه ولا ضراً يعنى ولا أقدر ان أدفع عن نفسى ضرراً نزل بها بان ارتحل  
 الى الارض الخصبة وأترك الجدبة ﴿ الا ماشاء الله ﴾ يعنى ان أملكه واقدر عليه  
 ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ يعنى ولو كنت اعلم وقت الخصب  
 والجدب لاستكثرت من المسال ﴿ وما مسنى السوء ﴾ يعنى الضر والفقر  
 والجوع وقال ابن جريج معناه لأملك لنفسى نفعاً ولا ضراً من الهدى والضلالة ولو كنت أعلم  
 الغيب يريد وقت الموت لاستكثرت من الخير يعنى من العمل الصالح وقيل ان أهل مكة لما  
 سألو ارسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة أنزل الله تعالى الآية الاولى وهذه الآية ومعناه  
 اننا لأدعى علم الغيب حتى أخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طاب الوهم بالاخبار عن الغيوب  
 فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب فان قلت قد أخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت  
 أحاديث فى الصحيح بذلك وهو من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله  
 ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت يحتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل  
 التواضع والادب والمعنى لأعلم الغيب الا أن يطعننى الله عليه ويقدره لى ويحتمل أن يكون قال  
 ذلك قبل أن يطلع الله عز وجل على الغيب فلما أطلع الله عز وجل أخبره كما قال تعالى  
 فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول او يكون خرج هذا الكلام مخرج  
 الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك أظهره الله سبحانه وتعالى على أشياء من المغيبات فأخبر عنها  
 ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسنى السوء  
 يعنى الجنون وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت  
 من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى أصير بحيث لا يعنى السوء قيل معناه ولو  
 كنت أعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسنى السوء يعنى قولكم  
 لو كنت نبياً لعلمت متى تقوم الساعة ﴿ ان أنا الانذير ﴾ يعنى ما أنا الا رسول أرسلنى الله اليكم  
 أنذركم وأخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا ﴿ وبشير ﴾ يعنى وأبشربشوا به ﴿ لقوم يؤمنون ﴾

ولو كنت أعلم الغيب متى أموت لاستكثرت ( قا وحا ٨٦ نى ) من الخير من العمل الصالح وما مسنى السوء ما أصابنى  
 الشده ويقال ولو كنت أعلم الغيب متى التحط والجدوبة وغلاء السعر لاستكثرت من الخير من النعيم وما مسنى السوء ما أصابنى  
 الشدة ( أو أنا ) ما أنا ( الانذير ) من النار ( وبشير ) بالجنة ( لقوم يؤمنون ) بالجنة

(هو الذي خلقكم من نفس واحدة) هي نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه (ليسكن اليها) { الجزء التاسع } ليظمن ويعيل ﴿ ٦٨٢ ﴾ لان الجنس الى الجنس أميل خصوصا

إذا كان بعضا منه كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن بعدما أنت في قوله واحدة وخلق منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليعين ان المراد بها آدم ( فلما تغشاها ) جامعها (حلت جلا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه جلهن بعض الحبالى من جلهن من الكرب والاذى ولم تستقله كما استقلته (فرت به) فقتضت به الى وقت ميلاده من غير اخذ داج ولا ازالق او حلت جلا خفيفا يعنى النطفة فرت به فقامت به وقعدت ( فلما أثقلت ) حان وقت ثقل جلها (دعوا الله ربهما) دعا آدم وحواء ربهما وما لك أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتينا صالحا) لئن وهبت لنا ولد اسويقا صلح بدنه أو ولد اذكر الان الذكورة من الصلاح (لنكونن من الشاكرين) لك والضمير في آيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما والنار ( هو الذي خلقكم

بالبشير ومتعلق النذير محذوف ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ هو آدم ﴿ وجعل منها ﴾ من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها لقوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا ﴿ زوجها ﴾ حواء ﴿ ليسكن اليها ﴾ ليستأنس بها ويظمن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب ﴿ فلما تغشاها ﴾ اى جامعها ﴿ حلت جلا خفيفا ﴾ خف عاها ولم تلاق منه ماتاق منه الحوامل غالبا من الاذى او محجولا خفيفا وهو النطفة ﴿ فرت به ﴾ فاستمرت به وقامت وقعدت وقرىء فرت بالتخفيف فاستمرت به وفارت من المور وهو الحجى والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به ﴿ فلما أثقلت ﴾ صارت ذاتقل بكبر الولد في بطنها وقرىء على البناء للفعول اى أثقلها حياها ﴿ دعوا الله ربهما لئن آتينا صالحا ﴾ ولدا سويا قد صلح بدنه ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ لك على هذه النعمة الجديدة

يعنى يصدقون ﴿ قوله عز وجل ﴾ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴿ يعنى آدم عليه السلام ﴾ وجعل منها زوجها ﴿ يعنى وخلق منها زوجها حواء وقد تقدم كيفية خلق حواء من ضلع آدم في أول سورة النساء ﴿ ليسكن اليها ﴾ يعنى ليأنس بها وبأوى ﴿ فلما تغشاها ﴾ يعنى واقها وجامعها كنى به عن الجماع أحسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المرأة وقد غشيا وتغشاها اذا علاها وتجلها ﴿ حلت جلا خفيفا ﴾ يعنى النطفة والمنى لان أول ما تحمل النطفة وهى خفيفة عليها ﴿ فرت به ﴾ يعنى انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها ﴿ فلما أثقلت ﴾ أى صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت مدة ولادتها ﴿ دعوا الله ربهما ﴾ يعنى ان آدم وحواء دعوا الله ربهما ﴿ لئن آتينا صالحا ﴾ يعنى لئن أعطينا بشرا سويا مثلنا ﴿ لنكونن من الشاكرين ﴾ يعنى لك على انعامك علينا قال المفسرون لما أهبط آدم وحواء الى الارض ألقى الشهوة في نفس آدم فاصاب حواء فحملت من ساعتها فلما ثقل الحمل وكبر الولد أنها ابليس فقال لها ما الذى في بطنك قالت ما أدرى قال انى أخاف أن يكون بهيمة أوكلبا أو خنزيرا أتزين فى الارض الابهيمة أنوحوها قالت انى أخاف بعض ذلك قال وما يدريك من أين يخرج امن دبرك أو من فيك أو يشق بطنك فيقتلك فحافت حواء من ذلك وذكرته لآدم فلم يزل فى غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال لها انى من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحرث فذكرت ذلك حواء لآدم عليه السلام فقال لعنه صاحبنا الذى قد علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سميا عبد الحرث وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانت حواء تلد لآدم

من نفس واحدة) من نفس آدم وحدها (وجعل منها زوجها) خلق من نفس آدم زوجته حواء (ليسكن اليها) ( فيسميه ) معها فلما تغشاها أنها ( حلت جلا خفيفا) هينا (فرت به) قامت وقعدت تألما ( فلما أثقلت ) ثقل الولد فى بطنها ظنا بوسوسة ابليس انه بهيمة من البهائم (دعوا الله ربهما لئن آتينا صالحا) آدم اسويا (لنكونن) لنصيرن ( من الشاكرين ) لذلك

فلما آتاها صالحا جعله شركاء فيما آتاها ﴿١٠﴾ اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبدالعزى وعبدمناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه

فيسميه عبدالله وعبيدالله وعبدالرحمن فيصيبهم الموت فاتاها ابليس فقال ان شركا ان يعبدك لكما ولد فسمياه عبدالحرث فولدت فسمياه عبدالحرث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حلت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعبد لها ولد فقال سميه عبدالحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وامره أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال قدرناه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك من وحي الشيطان يعنى من وسوسته وحديثه كاجاء انه خدعهما مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس رضى الله عنهما لما ولده اول ولد آتاه ابليس فقال انى سأنصح لك فى شأن ولدك هذا تسميه عبدالحرث وكان اسمه فى السماء الحرث فقال آدم أعود بالله من طاعتك انى أطعتك فى أكل الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن أطيعك فمات ولده ثم ولده بعد ذلك ولد آخر فقال أطعنى والامات كما مات الاول فعصاه فمات ولده فقال لأزال أقتلهم حتى تسميه عبدالحرث فلم يزل به حتى سماه عبدالحرث فذلك قوله تعالى ﴿١١﴾ فلما آتاها صالحا جعله شركاء فيما آتاها ﴿١٢﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما أشركاه فى طاعته فى غير عبادة ولم يشرك بالله ولكن أطاعاه وقال قتادة أشركا فى الاسم ولم يشركا فى العبادة وقال عكرمة ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعبد لهما ولد فاتاها الشيطان فقال ان شركا ان يعبدك لكما ولد فسمياه عبدالحرث فهو قوله تعالى جعله شركاء فيما آتاها قريء شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال أبو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقريء شركاء بضم الشين مع المدجع شريك يعنى ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعنى جعله شريكا اذ سميا اولدهما عبدالحرث قال العلماء ولم يكن ذلك شركا فى العبادة ولأن الحرث رب لهما لان آدم عليه الصلاة والسلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبدالحرث ان الحرث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر

\* واني لعبدالضيف مادام ثاويا \* أخبر عن نفسه أنه عبدالضيف ما أقام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما أراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الالف واللام على غير الله كقول يوسف عليه الصلاة والسلام لعزير مصر انه ربى أحسن مثواى أراد به التربية ولم يرده انه ربه ومعبوده فكذلك هنا وانما أخبر عن آدم عليه الصلاة والسلام بقوله سبحانه وتعالى جعله شركاء فيما آتاها لان حسنات الابرار سيئات المقربين ولان منصب النبوة أشرف المناصب وأعلها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم ينظر الى المسبب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا

(فلما آتاها صالحا) أعطاهما  
مطلباه من الولد الصالح  
السوى (جعلاه شركاء)  
أى جعل أولادهما له شركاء  
على حذف المضاف واقامة  
المضاف اليه مقامه وكذلك  
(فما آتاها) أى آتى

(فلما آتاها صالحا) آدميا سويا  
(جعلاه شركاء) جعلاه  
ابليس شريكا (فما آتاها)  
فى تسمية ما آتاها من الولد  
سمياه عبدالله وعبدالحرث

ويدل عليه قوله تعالى ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ اي شركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون ﴿ يعني الاصنام وقيل لما حلت حواء اناها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك كعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقاً مثلك ويسهل عليك خروج فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثاً بين الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لاتيلىق بالانبياء عليهم السلام ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم لآل قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان لها زوج من جنسها عربية قرشية فطلبها من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسميهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولا عقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابوبكر شركاء اي شركة بان اشركاه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء

فقد تم الكلام عند قوله فيما آتاها ﴿ ثم ابتدا في الخبر عن الكفار بقوله تعالى ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من اهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو اراد آدم وحواء لقال سبحانه وتعالى فتعالى الله عما يشركان على التثنية لاعلى الجمع وقال بعض اهل المعاني ولو اراد به ماسبق في معنى الآية فستقيم ايضاً من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفلا ما أتياه من الاشراك في التسمية فكان الاولى ان يسمياه عبد الله لعبد الحارث وفي معنى الآية قول آخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهم اهل شركاء مخذف ذكر الاولاد وأقامهما مقامهم كأصناف فعل الآباء الى الابناء بقوله ثم اتخذتم العجل واذقتم نفساً فعبده عن اليهود الذين كانوا موجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل آباءهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة أي خلق كل واحد من آبيه وجعل منها زوجاً أي وجعل من جنسها زوجها آدمية مثله وهذا قول حسن الا أن القول الاول اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله اولاداً فهو دودهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سمو اولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله سبحانه وتعالى ﴿ اي شركون ﴾ قرئ بالياء على خطاب الكفار وقرئ بالياء على الغيبة ﴿ مالا يخلق شيئاً ﴾ يعني ابليس والاصنام ﴿ وهم يخلقون ﴾ أي وهم مخلوقون فان قلت كيف وحدي خلق ثم جمع فقال وهم يخلقون قلت ان لفظه ماتع على الواحد والاشئين والجمع فهي من صيغ الواحدان بحسب ظاهر اللفظ ومحملة للجمع بحسب المعنى فوحد قوله مالا يخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجمع قول وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو وبالنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابد والاصنام انها تعقل لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس

أولادهماديله ( فتعالى الله من الشرك ومعنى اشركا بهم فيما آتاهاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصى أي هو الذي خلقكم من نفس واحدة قصى وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاها ما طلبها من الولد الصالح السوي جعله شركاء فيما آتاها حيث سميا اولادها الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار والضمير في اي شركون لهما ولا عقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك شركاء مني وابوبكر أي ذوى شرك وهم الشركاء ( مالا يخلق شيئاً ) يعني الاصنام ( وهم يخلقون ) أجريت الاصنام مجرى أولى العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى اي شركون مالا يقدر على خلق شيء وهم يخلقون لانه خالقهم أو الضمير في وهم يخلقون للعابدين أي اي شركون مالا يخلق شيئاً وهم مخلوقون الله فليعبدوا خلقهم وللعابدين

( فتعالى الله ) تبرأ الله ( عما

يشركون ) به من الاصنام

( اي شركون ) بالله ( مالا يخلق شيئاً ) ولا يحيي ( وهم ) يعني الآلهة ( يخلقون ) ينجون أي مخلوقة ( ويتصورونه )

والمعبودين وجمعهم كاولي العلم تغليبا للعابدين ( ولا يستطيعون لهم ) لعبادتهم ( نصر او لا أنفسهم ينصرون ) فيدفعون عنها ما يعترهم من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ( وان تدعوهم ) وار تدعوا هذه الاصنام ( الى الهدى ) الى ما هو هدى ﴿ ٦٨٥ ﴾ ورشاد { سورة الاعراف } والى ان يهدوكم أى وار تطلبوا

منهم كما تطلبون من الله اخير والهدى ( لا يتبعوكم ) الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لا يتبعوكم نافع ( سواء عليكم ادعوتوهم أم انتم صامتون ) عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم ولا يجيبونكم والعدول عن الجملة الفعلية الى الاسمية

لرؤس الآى ( ان الذين تدعون من دون الله ) أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة ( عباداً مثلكم ) أى مخلوقون مملوكون أمثالكم

منخوتة ( ولا يستطيعون لهم نصراً ) نفعوا ولا نفعوا ( ولا أنفسهم ) يعنى الآلهة ( ينصرون ) لا يمتعون مما يراد بهم ( وان تدعوهم ) يا محمد يعنى الكفار ( الى الهدى ) الى التوحيد ( لا يتبعوكم ) لا يجيبوكم ( سواء عليكم ادعوتوهم ) الى التوحيد ( أم أنتم صامتون ) ساكتون فانهم لا يجيبونكم بالتوحيد يعنى الكفار ويقال وان تدعوهم يا معشر الكفار الاصنام

وهم ضمير الاصنام جى به على تسميتهم اياها آلهة ﴿ ولا يستطيعون لهم نصراً ﴾ أى لعبدتهم ﴿ ولا انفسهم ينصرون ﴾ فيدفعون عنها ما يعترها ﴿ وان تدعوهم ﴾ أى المشركين ﴿ الى الهدى ﴾ الى الاسلام ﴿ لا يتبعوكم ﴾ وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام أى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ﴿ سواء عليكم ادعوتوهم أم انتم صامتون ﴾ وانما لم يقل ام صمتهم للمبالغة في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات اولانهم ما كانوا يدعونها لخوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احدائكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾ أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة ﴿ عباداً مثلكم ﴾

ويتصورونه ﴿ وقوله تعالى ﴾ ولا يستطيعون لهم نصراً ﴿ يعنى ان الاصنام لا تقدر على نصر من أطاعها وعددها ولا تضر من عصاها والنصر المعونة على الاعداء والمعنى ان المعبود الذى تجب عبادته يكون قادراً على اىصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل أن يعبدها ﴿ ثم قال تعالى ﴾ ولا انفسهم ينصرون ﴿ يعنى ولا يقدر على أن يدفعوا عن أنفسهم مكروها فان من أراد كسرها قدر عليه وهى لا تقدر على دفعه عنها ﴿ ثم خاطب المؤمنين فقال سبحانه وتعالى ﴾ وان تدعوهم الى الهدى ﴿ يعنى وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى ﴿ لا يتبعوكم ﴾ لان الله سبحانه وتعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلون الهداية ﴿ سواء عليكم ادعوتوهم ﴾ الى الدين والهدية ﴿ أم أنتم صامتون ﴾ أى ساكتون عن دعائهم فهم فى كلال الحالين لا يؤمنون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما بين فى الآية المتقدمة عجز الاصنام بين هذه أنه لا علم بشئ البتة والمعنى أن هذه الاصنام التى يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهى ثم قوى هذا المعنى بقوله سبحانه وتعالى سواء عليكم ادعوتوهم أم أنتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا رجعوا فى شدة وبلاء تضرعوا لاصنامهم فاذا لم تكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقل لهم لا فرق بين دعائكم للاصنام أو سكوتكم عنها فانها عاجزة فى كل حال ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ان الذين تدعون من دون الله عباداً مثلكم ﴿ يعنى ان الاصنام التى يعبدها هؤلاء المشركون انما هى مملوكة لله أمثالهم وقيل انها مسخرة منذلة مثل ما أنتم مسخرون منذلون قال مقاتل فى قوله سبحانه وتعالى عباداً مثلكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول أصح وفيه سؤال وهو أنه وصفها بانها عباد مع انها جاد والجواب

الى الهدى الى الحق لا يتبعوكم لا يجيبوكم سواء عليكم ادعوتوهم يعنى الاصنام أم أنتم صامتون ساكتون لا يجيبونكم ولا يسمعون دعائكم لانهم أموات غير أحياء ( ان الذين تدعون ) تعبدون ( من دون الله ) من الاصنام ( عباداً مثلكم ) مخلوقون أمثالكم

(فادعوههم) جلب نفع أو دفع ضرر (فليستجيئوا لكم) فليجيئوا (ان كنتم صادقين) في انهم آلهة ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال (ألهم أرجل {الجزء التاسع} يشون بها) ﴿٦٨٦﴾ مشيكم (ألهم أيدي يطشون بها)

يتناولون بها (ألهم أعين يبصرون بها) أم لهم أذان يسمعون بها (أى فلم تعبدون ما هو دونكم (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم في عداوتي (ثم كيديون) جميعا أنتم وشركاؤكم وبالياء يعقوب وافقه أبو عمرو في الوصل ( فلا تنظرون) فاني لأبالي بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر أن يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب (ان وليي ناصرى عليكم (الله الذي نزل الكتاب) أوحى الى وأعزنى رسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن سنته أن ينصر الصالحين من

ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدكم بتبكيها لهم وتوبيخا ولذلك قال عز وجل ﴿ فادعوههم فليستجيئوا لكم ان كنتم صادقين ﴾ في كونها آلهة وجواب آخر هو ان هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين والمنى ان تصارى هذه الاصنام التي تعبدونها احياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتوهم وجعلتوهم آلهة وجعلتم أنفسكم لهم عبيدا ﴿ ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى ﴿ ألهم أرجل يشون بها أم لهم أيدي يطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها ﴾ يعنى ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها آلات يستعين بها الانسان في جمع اموره والاصنام ليس بها من هذه الاعضاء والجوارح شئ فهم مفضلون عليها بهذه الاعضاء لان الرجل المشية افضل من الرجل العاجزة عن المشى وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة افضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها ابنة لانهما حجارة وجناد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل أن يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحججة كون الاصنام آلهة ﴿ ثم قال تعالى ﴿ قل ادعوا شركاءكم ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى تبين عجزها ﴿ ثم كيديون ﴾ يعنى أنتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحججة عليهم لانهم لما قرعوا بعبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان مبعودى يملك الضر والنفع فلو اجهدتم في كيدى لم تصلوا الى ضرى لان الله يدفع عنى وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيديون ﴿ فلا تنظرون ﴾ أى لا تهملون واجعلوا في كيدى أنتم وشركاؤكم ﴿ ان وليي الله ﴾ يعنى ان الذي يتولى حفظى وينصرونى عليكم هو الله الذى نزل الكتاب ﴿ يعنى القرآن والمعنى كما أبدنى بانزال القرآن على كذلك يتولى حفظى وينصرونى وهو يتولى الصالحين ﴾ يعنى بتولاهم بنصره وحفظه

( فادعوههم ) يعنى الآلهة (فليستجيئوا لكم) فليسمعوا دعاءكم وليجيئوكم (ان كنتم صادقين) انهم ينفعونكم (ألهم أرجل يشون بها) الى الخير (ام لهم أيدي يطشون بها) يأخذون بها ويعطون (أم لهم أعين يبصرون بها) يسمعون بها (دعوتكم (قل) يا محمد لشركى أهل مكة (ادعوا شركاؤكم)

من حيث انها مملوكة مسخرة ﴿ فادعوههم فليستجيئوا لكم ان كنتم صادقين ﴾ انهم آلهة ويحتمل انهم لما تخوتوها بصور الاناسى قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كالا يستحق بعضهم عبادة بعض ثم عاده عليه بالنقض فقال ﴿ الهم أرجل يشون بها ام لهم أيدي يطشون بها ام لهم أعين يبصرون بها ام لهم أذان يسمعون بها ﴾ وقرئ ان الذين يخيفون ان ونصب عبادا على انها نافية علمت عمل ما للحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان ﴿ قل ادعوا شركاءكم ﴾ واستعينوا بهم في عداوتى ﴿ ثم كيديون ﴾ فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر وهى انتم وشركاءكم ﴿ فلا تنظرون ﴾ فلا تهملونى فاني لا ابالي بكم لو توفى على ولا ية الله وحفظه ﴿ ان وليي الله الذي نزل الكتاب ﴾ القرآن ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ اى ومن عادته

ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدكم بتبكيها لهم وتوبيخا ولذلك قال عز وجل ﴿ فادعوههم فليستجيئوا لكم ان كنتم صادقين ﴾ في كونها آلهة وجواب آخر هو ان هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين والمنى ان تصارى هذه الاصنام التي تعبدونها احياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتوهم وجعلتوهم آلهة وجعلتم أنفسكم لهم عبيدا ﴿ ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى ﴿ ألهم أرجل يشون بها أم لهم أيدي يطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها ﴾ يعنى ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها آلات يستعين بها الانسان في جمع اموره والاصنام ليس بها من هذه الاعضاء والجوارح شئ فهم مفضلون عليها بهذه الاعضاء لان الرجل المشية افضل من الرجل العاجزة عن المشى وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة افضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها ابنة لانهما حجارة وجناد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل أن يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحججة كون الاصنام آلهة ﴿ ثم قال تعالى ﴿ قل ادعوا شركاءكم ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى تبين عجزها ﴿ ثم كيديون ﴾ يعنى أنتم وشركاؤكم وهذا متصل بما قبله في استكمال الحججة عليهم لانهم لما قرعوا بعبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان مبعودى يملك الضر والنفع فلو اجهدتم في كيدى لم تصلوا الى ضرى لان الله يدفع عنى وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيديون ﴿ فلا تنظرون ﴾ أى لا تهملون واجعلوا في كيدى أنتم وشركاؤكم ﴿ ان وليي الله ﴾ يعنى ان الذي يتولى حفظى وينصرونى عليكم هو الله الذى نزل الكتاب ﴿ يعنى القرآن والمعنى كما أبدنى بانزال القرآن على كذلك يتولى حفظى وينصرونى وهو يتولى الصالحين ﴾ يعنى بتولاهم بنصره وحفظه

استعينوا بالهتهم (ثم كيديون) اعلموا انتم وهم في هلاكى (فلا تنظرون) فلا تؤجلون (فلا) (ان وليي الله) حافظى وناصرى الله (الذى نزل بالكتاب) نزل جبرائيل على لكتاب (وهو يتولى) يحفظ (الصالحين)

عباده ولا يخذلهم (والذين تدعون من دونه) من دون الله (لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعونوا وتراهم ينظرون اليك) يشبهون ﴿٦٨٧﴾ الناظرين ﴿ سورة الاعراف ﴾ اليك لانهم صوروا أضدادهم

بصورة من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه ( وهم لا يبصرون ) المرئي ( خذ العفو ) هو ضد الجهد أى ما عفاك من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تسروا ( وأمر بالعرف ) بالمعروف والجميل من الأفعال أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع ( وأعرض عن الجاهلين ) ولا تكفى

والذين تدعون ( من تدعون ) من تدعون ( من تدونه ) من تدون الله من الاوثان ( لا يستطيعون نصركم ) نفعكم ولا تمنعكم ( ولا أنفسهم ينصرون ) يمنعون مما يراد بهم ( وان تدعوهم الى الهدى ) الى الحق ( لا يسمعونوا ) ولا يجيبوا لانهم أموات غير أحياء ( وتراهم ) يا محمد يعنى الاصنام ( ينظرون اليك ) كأنهم ينظرون اليك مفتحة أعينهم ( وهم لا يبصرون ) لانهم أموات غير أحياء ( خذ العفو ) خذ ما فضل من الكل والعيال وهذا منسوخ ويقال خذ العفو أعف عن ظلمك وأعط من حرمك وصل

تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه ﴿ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ﴾ من تمام التعليل لعدم مبالاة بهم ﴿ وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعونوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ﴾ يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه ﴿ خذ العفو ﴾ أى خذ ما عفاك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد أو خذ العفو من المذنبين أو الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة ﴿ وأمر بالعرف ﴾ المعروف المستحسن من الأفعال ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾

فلا تضرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن أرادهم بسوء أو كادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شياً ولا يعصونه وفى هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا يضره شئ ﴿ قوله عز وجل ﴾ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون ﴿ هذه الآية قد تقدم تفسيرها والقائدة فى تكريرها ان الآية الاولى مذكورة على جهة التبريع والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوزله العبادة وهو الله الذى يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين هذه الاصنام وهى ليست كذلك فلا تكون معبودة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعونوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ﴿ قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى لا يسمعونوا دعاءكم لان أذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعنى ببصائر قلوبهم وذهب أكثر المفسرين الى أن هذه الآية أيضا واردة فى صفات الاصنام لانها جاد لا تضر ولا تنفع ولا تسع ولا تبصر ﴿ قوله تعالى ﴾ خذ العفو ﴿ العفو هنا الفضل وما جاء بالاكفة والمعنى اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فاستعصوا عليك فتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعنى خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الأشياء والعفو التساهل فى كل شئ ﴿ خ ﴾ عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف الا فى أخلاق الناس وفى رواية قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس وكذا فى جامع الأصول وفى الجمع بين الصحيحين للحميدى قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس أو كما قال وقال ابن عباس يعنى خذ ما عفاك من أموالهم فأنتوك به من شئ فخذها وكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه وقال السدى خذ العفو أى الفضل من المال نسختها آية الزكاة وقال الضحال خذ ما عفاك من أموالهم وهذا قبل أن تفرض الصدقة المفروضة ﴿ وأمر بالعرف ﴾ يعنى وأمر بكل ما أمرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحى من الله عز وجل وكل ما عرفه الشارع وقال عطاء وأمر بقول لا اله الا الله ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾

من قطعك ( وأمر بالعرف ) بالمعروف والاحسان ( وأعرض عن الجاهلين ) عن أبي جهل وأصحابه المستهزئين ثم نسخ



فلا تمارهم ولا تكائبهم بمثل أفعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق أمرته للرسول  
باجتماعها ﴿ واما ينزغك من الشيطان نزغ ﴾ ينزغك منه نخس أي وسوسة  
تحمك على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه  
وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه ﴿ فاستعد بالله  
انه سميع ﴾ يسمع استعاذتك ﴿ علم ﴾ يعلم ما فيه صلاح امرك فيحمك عليه او سميع

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن الجاهلين وهذا قيل  
أن يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الأمر بالأعراض عنهم منسوخا بآية  
القتال قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ أوها  
أخذ الفضل من الأموال فنسخ بفرض الزكاة والأمر بالمعروف ومحكم والأعراض عن  
الجاهلين منسوخ بآية القتال روى انه لما نزلت هذه الآية قل رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لجبريل ما هذا قال لا أدري حتى أسأل ثم رجح فقال ان ربك يأمرك أن تصل  
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن ظلمك ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر  
الصادق أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القرآن  
آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الأسواق ولا يجزى بالسينة السيئة ولكن يعفو ويصفح  
أخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال ﴿ قوله عز وجل ﴾ واما ينزغك  
من الشيطان نزغ ﴿ قال ابن زيد لما نزل قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر  
بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب  
فأنزل الله عز وجل واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعد بالله انه سميع وعلم ونزغ الشيطان  
عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب وقيل النزغ الانزعاج وأكثر ما يكون عند الغضب  
وأصله الانزعاج بالحركة الى الشر والامساق يقال نزغت بين القوم اذا أفسدت بينهم وقال  
الزجاج النزغ أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة والمعنى واما يصيبك يا محمد  
ويعرض لك من الشيطان وسوسة ونخسة ﴿ فاستعد بالله ﴾ يعني فاستجر بالله والجالأ اليه في دفعه  
عنك ﴿ انه سميع ﴾ يعني لدعائك ﴿ علم ﴾ بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا في حل  
الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ فامر الله بالتوجه اليه والتعويض في تلك الحالة فهمي  
تجري مجرى العلاج لذلك المرض فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى  
ينزغ في قلبه ويحتاج الى

### فصل واحتج الطاعون في عصمة الانبياء بهذه الآية ﴿

فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الى استعاذة  
والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان  
فاستعد بالله وانه لم يحصل ذلك له ألبته فهو كقوله لئن أشركت وهو برىء من الشرك  
البته والوجه الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل  
عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن قبولها وثبوتها في قلبه (م) عن ابن مسعود قال قال

السفهاء بمثل سفههم ولا  
تتارهم واحلم عليهم وفسرها  
جبريل عليه السلام بقوله  
صل من قطعك واعط من  
حرمك واعطف عن ظلمك  
وعن الصادق أمر الله نبيه  
عليه السلام بمكارم الاخلاق  
وليس في القرآن آية أجمع  
لمكارم الاخلاق منها (واما  
ينزغك من الشيطان  
نزغ) واما ينزغك منه  
نخس أي بان يحمك  
بوسوسته على خلاف  
ما أمرت به (فاستعد بالله)  
ولا تطعه والنزغ النخس  
كأنه ينخس الناس حين  
يعفونهم على المعاصي وجعل  
النزغ نازعا كما قيل جد جده  
أو أريد بنزغ الشيطان  
اعتراء الغضب كقول أبي  
بكر رضى الله عنه ان لى  
شيطانا يعتريني (انه سميع)  
لنزعه (علم) بدفعه

الأعراض (واما ينزغك)

يصيبك (من الشيطان

نزغ) وسوسة ورب

(فاستعد بالله) فامتنع

بالله من وسوسته (انه سميع)

باستعاذتك (علم) بوسوسته

باقوال من آذاك عليهم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان ﴿ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان ﴾ لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويقوب طيف على انه مصدر أو تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره ﴿ تذكروا ﴾ ما أمر الله به ونهى عنه ﴿ فاذا هم مبصرون ﴾ بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكابد الشيطان فيتمحزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله ﴿ وأخوانهم يمدونهم ﴾ أي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين ﴿ في النفي ﴾ بالترين والحمل عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا أو اياك يا رسول الله قال وأياي الا ان الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير قال الشيخ محي الدين النووي ويروي فأسلم بفتح الميم وضمها فن رفع قال معناه فأسلم أزمان شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين أسلم من الاسلام يعني صار مؤمنا لا يأمرني الا بخير قال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يأمرني الا بخير قال القاضي عياض واعلم ان الامة جمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه أعلمنا انه معنا لنحترز عنه بحسب الامكان والله أعلم الوجه الثالث يحتمل أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ومعناه واما ينزغك أيها الانسان من الشيطان نزغ فاستعد بالله فهو كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعد بالله ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف ﴿ وقرى طيف ﴾ من الشيطان ﴿ وهما لغتان ومعناه الشيء يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطائف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللثم والمس وقال الازهرى الطيف في كلام العرب الجنون وقيل للتعذب طيف لان الغضبان يشبه الجنون وقيل سمى الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال فذكر في الآية الاولى النزغ وهو أخف من الطيف المذكور في هذه الآية لان حالة الشيطان مع الانبياء أضعف من حاله مع غيرهم ﴿ تذكروا ﴾ يعني عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيدهم قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه ﴿ فاذا هم مبصرون ﴾ يعني انهم يبصرون مواقع الخطأ بالتذكروا والتفكر وقال السدي اذا زلوا تابوا وقال مقاتل هو الرجل اذا أصابه نزغ من الشيطان تذكروا عرف انه معصية فابصروا نزغ عن مخالفة الله عز وجل ﴿ وأخوانهم ﴾ يعني واخوان الشياطين من المشركين ﴿ يمدونهم ﴾ أي يمدهم الشياطين ﴿ في النفي ﴾ قال الكلبي لكل كافر أخ من الشياطين يمدونهم أي

(من الشيطان) طيف مكي وبصرى وعلى أي لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن أبي عمرو هما واحدوهي الوسوسة وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان عادة المتقين اذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان والمأمم بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه (فاذا هم مبصرون) فابصروا السداد ودفعوا وسوسته وحقيقته أن يفروا منه الى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله (واخوانهم) واما اخوان الشياطين من شياطين الانس فان الشياطين (يعدونهم في النفي) أي يكونون مددا لهم فيه ويمضونهم ويمدونهم

(ان الذين اتقوا) وسوسة الشيطان (اذا مسهم) اذا أصابهم (طائف) ريب ووسوسة (من الشيطان تذكروا) عرفوا (فاذا هم مبصرون) منتهون عن المعصية (واخوانهم) اخوان المشركين يعني الشياطين (يعدونهم) يمدونهم ويوسونهم (في النفي) في الكفر والضلالة والمعصية

من الامسداد مدني (ثم { الجزء التاسع { لا يقصرون) ثم ﴿ ٦٩٠ ﴾ لا يمسكون عن اغوائهم حتى بصروا

وقرى بمدونهم من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاعراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ﴿ ثم لا يقصرون ﴾ ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان أى لا يقصرون عن الفى ولا يتقون كالمثقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له ﴿ واذا لم تأتهم بآية ﴾ من القرآن او بما اقترحوه ﴿ قالوا لولا اجبتيها ﴾ هلا جتمتها اتقولا من نفسك كسائر ما قرؤه او هلا طلبتها من الله ﴿ قل انما اتبع ما يوحى الى من ربي ﴾ لست بمخترق للآيات اولست بمقترح لها ﴿ هذا بصائر من ربكم ﴾ هذا القرآن بصائر للقلوب بهابصر الحق ويدرك الصواب ﴿ وهدى ورجة لقوم يؤمنون ﴾ سبق تفسيره ﴿ واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا

يطيلون لهم في الاغواء حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم في الضلالة ﴿ ثم لا يقصرون ﴾ يعنى لا يكفون عن الضلالة ولا يتروكونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا أصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فترع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالتة لا يتذكر ولا يرعوى وقال ابن عباس رضى الله عنهما الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا لم تأتهم بآية ﴾ يعنى واذا لم تأت المشركين يا محمد بآية ومجزة باهرة ﴿ قالوا ﴾ يعنى قال المشركون ﴿ لولا اجبتيها ﴾ يعنى افعلتها وانشأتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجبتيت الكلام اذا اخترقته وافلته وقال الكلبي كان أهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الآيات تفتنا فاذا تأخرت آتموه وقالوا لولا اجبتيها يعنى هلا أحدثها وانشأتها من عندك ﴿ قل ﴾ أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوا الآيات ﴿ انما اتبع ما يوحى الى من ربي ﴾ يعنى القرآن الذى أنزل على وليس لى أن اقترح الآيات والمجزات ﴿ هذا بصائر من ربكم ﴾ يعنى هذا القرآن حجج وبرهان وأصل البصائر من الابصار وهو ظهور الشئ حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن سببا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب ﴿ وهدى ﴾ يعنى وهو هدى ﴿ ورجة ﴾ يعنى وهو رجة من الله ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ وهى لطيفة وهى الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم فبهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهدوم أصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظروهم وأصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم أصحاب حق اليقين فالقرآن في حق الاولين وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثانى وهم المستدلون هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رجة ﴿ قوله عز وجل ﴾ واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا ﴿ لما ذكر الله سبحانه وتعالى

ولا يرجعوا وجاز أن يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين والاول أوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا وانما جمع الضمير في اخوانهم والشياطين مفرد لان المراد به الجنس ( واذا لم تأتهم بآية ) مقترحة ( قالوا لولا اجبتيها ) هلا اخترتها أى احتلقتها كما اخترت مقابلهما ( قل انما اتبع ما يوحى الى من ربي ) ولست بمقترح لها ( هذا بصائر من ربكم ) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق ( وهدى ورجة لقوم يؤمنون ) به ( واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا )

( ثم لا يقصرون ) لا يتقون عن ذلك ( واذا لم تأتهم ) يعنى أهل مكة ( بآية ) كما طلبوا ( قالوا لولا اجبتيها ) هلا تكلفتها من الله وبقال تخلفتها من تلقاء نفسك ( قل ) يا محمد لهم ( انما اتبع ما يوحى الى من ربي ) اعلم واقول بما ينزل على من ربي ( هذا ) يعنى القرآن ( بصائر ) بيان ( من ربكم ) بالامر والنهى ( وهدى ) من الضلالة ( ورجة ) من العذاب ( لقوم يؤمنون )

بالقرآن ( واذا قرىء القرآن ) فى الصلاة المكتوبة ( فاستمعوا له ) الى قراءته ( وانصتوا ) لقراءته ( عظم )

عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون أتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته فقال سبحانه وتعالى واذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يعني أصغوا إليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواظمه وأنصتوا يعني عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت وانصت بمعنى واحد واختلف العلماء في الحال التي أمر الله عز وجل بالاستماع لقارئ القرآن والانصات له اذا قرأ لأن قوله فاستمعوا له وأنصتوا أمر وظاهر الامر للوجوب فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء في ذلك أقوال \* القول الاول وهو قول الحسن وأهل الظاهر ان تجرى هذه الآية على العموم في أي وقت وأي موضع قرئ القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت \* القول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روى عن أبي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فأمروا بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن وقال عبدالله كنا نسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا \* القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روى عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤون مع الامام فلما انصرف قال أما أن لكم ان تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا كما أمركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار \* القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت أخرجاه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سواء جهرا للامام بالقراءة أو سرا يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وما عذوه هو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى انه يقرأ فيما أسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ فيما جهرا للامام فيه يروى ذلك عن ابن عمر وهو قول عمرو بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد واسحق وذهب قوم الى انه لا يقرأ سواء أسر الامام أو جهرا يروى ذلك عن جابر واليه ذهب أصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الامام ظاهر هذه الآية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية قال ان الآية تدل على الامر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحملنا مدلول الآية على صلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جباين دلائل الكتاب والسنة وحجة من أوجب القراءة خلف الامام في صلاة السرية

لعلكم ترجون ﴿ نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامر و باستماع قراءة الامام والانصات له و ظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا و عامة الفقهاء على استحبابهما خارج الصلاة و احتج به من لا يرى وجوب القراءة على المأموم و هو ضعيف ﴿ و اذكر ربك في نفسك ﴾ عام في الاذكار من القراءة و الدعاء و غيرها أو أمر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كاهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى عند ﴿ تضرعا و خيفة ﴾ متضرعا و خائفا ﴿ و دون الجهر من القول ﴾ و متكلما كلاما فوق السرد و دون الجهر فانه ادخل

(لعلكم ترجون) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له ووجهوا الصحابة رضى الله عنهم على انه في استماع المؤتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح (واذكر ربك في نفسك) هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا و خائفا (ودون الجهر من القول) و متكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص و اقرب الى حسن التفكير (لعلكم ترجون) لكي ترجوا فلا تعذبوا (واذكر ربك في نفسك) اقرأ انت يا محمد وحدك ان كنت اماما (تضرعا) مستكينا (وخيفة) خوفا (ودون الجهر من القول) دون الرفع من القراءة

والجهرية قال الآية واردة في غير الفاتحة لان دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية و الجهرية قالوا و اذا قرأ الفاتحة خلف الامام تتبع سكتاته و لا ينازعه في القراءة و لا يجهر بالقراءة خلفه و يدل عليه ما روى عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله عليه وسلم الصبح فتقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اراكم تقرؤن وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله اى والله قال لا تفعلوا الا بأم القرآن فانه لا صلاة لمن لم يقرأ بها اخرج الترمذى بطوله و اخرجاه في الصحيحين أقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فليل لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرأ بها في نفسك و ذكر الحديث ﴿ قوله سبحانه و تعالى ﴾ لعلكم ترجون ﴿ يعنى لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما أمركم به من أو امره و نواهيه ﴿ قوله عز و جل ﴾ و اذكر ربك في نفسك ﴿ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم و يدخل فيه غيره من أمته لانه عام لساير المكلفين قال ابن عباس يعنى بالذكر القرآن في الصلاة يريد اقرأ سرا في نفسك و الفائدة فيه ان انتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس اقرب الى الاخلاص و البعد عن الرياء و قيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور جل جلاله و اذا كان الذكر باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة الذكر حضور القلب و استشعاره عظمة المذكور عز و جل ﴿ تضرعا ﴾ يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع و ذل و استكان لغيره ﴿ وخيفة و دون الجهر من القول ﴾ يعنى خوفا و المعنى تضرع الى و خف عذابي و قال مجاهد و ابن جريج أمر أن يذكره في الصدور بالتضرع و الاستكانه دون رفع الصوت في الدعاء و ههنا لطيفة و هى ان قوله سبحانه و تعالى و اذكر ربك في نفسك فيه اشعار بقرب العبد من الله عز و جل و هو مقام الرجاء لان لفظ الرب مشعر بالتربية و الرحمة و الفضل و الاحسان فاذا تذكر العبد انعام الله عليه و احسانه اليه فنجد ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعا و خيفة و هذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف و الرجاء قوى ايمانه و المستحب ان يكون الخوف أغلب على العبد في حال صحته و قوته فاذا قارب الموت و دنا آخر أجله فيستحب ان يغلب

في الخشوع والاخلاص ﴿ بالندو والآصال ﴾ باوقات الندو والعشيات \* وقرئ  
والايصال وهو مصدر أصل اذا دخل في الاصيل وهو مطابق للندو ﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾  
عن ذكر الله ﴿ أن الذين عند ربك ﴾ يعني ملائكة الملائكة الاعلى ﴿ لا يستكبرون عن  
عبادته ويسبحونه ﴾ وينزهونه ﴿ وله يسجدون ﴾ ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون

رجاءه على خوفه ﴿ عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب  
وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله وانى أخاف ذنوبي فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو منه وأمنه  
بما يخاف أخرجه الترمذ ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ بالندو ﴿ جمع غدوة ﴾ والآصال ﴿  
جمع أصل وهي ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذ كر ربك بالبكر والعشيات  
وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالعبادة من النوم الذي هو أخو  
الموت فاستحب له أن يستقبل حالة الاتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم  
بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل وأما وقت الآصال وهو آخر النهار  
فان الانسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أخو الموت فيستحب له ان يستقبله بالذكر لانها  
حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل  
وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى ﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾ يعني عما يقربك الى الله  
عز وجل وقيل ان أعمال العبد تصعد أول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة  
الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين  
ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح  
وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعباد أن يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع  
أوقاته مشغولا بما يقربه الى الله عز وجل من صلاة أو ذكر ﴿ قوله عز وجل ﴾ أن الذين  
عند ربك ﴿ يعني الملائكة المقربين لما أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم  
والمؤمنين بالذكر في حالة النزع والخوف أخبران الملائكة الذين عندهم علوم ربهم  
وشرفهم وعصمتهم ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ﴾ وطاعته لانهم عبيده خاضعون  
لعظمتهم وكبريائه عز وجل ﴿ ويسبحونه ﴾ يعني وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون  
سبحان ربنا ﴿ وله يسجدون ﴾ لانغيره فان قلت التسبيح والسجود داخلان في قوله تعالى  
لا يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادة فكيف أفردهما بالذكر قلت أخبر الله عز وجل  
عن حال الملائكة انهم خاضعون لعظمتهم لا يستكبرون عن عبادته ثم أخبر عن صفة عبادتهم  
انهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين أعمال القلوب وأعمال الجوارح  
وأعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله  
ويسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود  
القرآن فيستحب للقارئ والمستمع ان يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة  
المقربين في عبادتهم (ق) عن عبد الله بن عمر رضى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان

(بالندو والآصال) لفضل  
هذين الوقتين وقيل المراد  
ادامة الذكر باستقامة الفكر  
ومعنى بالندو باوقات الندو  
وهي الغدوات والآصال  
جمع أصل والاصل جمع  
أصيل وهو العشى (ولا  
تكن من الغافلين) من  
الذين يغفلون عن ذكر الله  
ويلهون عنه (ان الذين  
عند ربك) مكانة ومنزلة  
لامكانا ومنزلا يعنى  
الملائكة (لا يستكبرون  
عن عبادته) لا يتعظمون  
عنها (ويسبحونه) وينزهونه  
عما لا يليق به (وله  
يسجدون) ويختصونه

والصمت (بالندو والآصال)  
بكرة وعشية في الصلاة أى  
صلاة الغدو وصلاة المغرب  
والعشاء (ولا تكن من  
الغافلين) عن القراءة  
في الصلاة اذا كنت اماما  
أو وحدا (ان الذين عند  
ربك) يعنى الملائكة  
(لا يستكبرون) لا يتعظمون  
(عن عبادته) عن طاعته  
والاقراره بالسبودية  
(ويسبحونه) يطيعونه  
(وله يسجدون) يصلون

به غيره وهو تعرض عن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته \* وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلة امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فى النار \* وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعاه يوم القيامة

بالعبادة لا يشركون به غيره

والله أعلم

والله أعلم بالصواب

يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يسجد بعضنا موضع المكان جبهته في غير وقت صلاة (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعزل الشيطان يبكي يقول يا ويلة امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فى النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة والله أعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ ثم بحمد الله تعالى الجزء الثانى ويلى انشاء الله تعالى ﴾

﴿ الجزء الثالث اول سورة الانفال ﴾

الحمد لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا وخفيا وجهرا على اتمام طبع « الجزء الثانى » لقد بذلنا جهدنا وطاقتنا على حسب القوى البشرية فى تصحيحه وتهذيبه وتنقيحه مع رفيق المصحح فى دار الطباعة المثمانية اعنى الحاج طاهر افندى القنوى المدرس بجامع سلطان بايزيد ولى فرحم الله امرأ نظر اليه بعين الانصاف فساح ووقف فى التصحيح على خطأ فأصلح واعوذ بالله من حاسد اذا حسد وبني واستغفره

جل اسمه من قلم زل وسهى او حرف شياً

عن موضعه وطنى وهو حسي رثم الوكيل

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين

وانا الفقير المصحح

فى دار الطباعة العاصرية

احمد رفعت بن

عثمان حلى